المديح النبوي صلى الله عليه وسلم
عند شوقي وإقبال

رسالة قُدّمت لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

الإعداد

تسليم طيبه

الإشراف

الدكتور محمد أكرم جوهدري

رئيس جامعة سركودها

القسم العربي، الكلية الشرقية ، جامعة بنجاب،لاهور، باكستان

العام الجامعي: ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى :

سيدنا ومولينا ومحسن الإنسانية والمعلم الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخرج الناس من ظلمات الجهالة ونوّرهم بنور العلم .

وإلى:

أبي الكريم الشفيق وامّي الحنون الذين بدعائهما المستجاب ورعايتهما البالغة استطعت أن أكمل دراستي إلى مرحلة الدكتوراه وقمت بإعداد هذا البحث العلمي . فجزاهما الله أحسن الجزاء ومدّ الله في ظلّهما.

وإلى :

أساتذتي المكرّمين الذين منحوني ثروة العلم والفهم والشعور. فجزاهم الله خير الجزاء (آمين).



احمد شوقي

لــي فــي مــديــحك يــا رســول عــرائــس

تيّـــمـــن فيك ، وشـــاقهـــن جـــلاء

(الهمزية النبوية: أحمد شوقي)



علامہ محمد اقبال

بـه مـصـطـفـی بـه رسان خویش را کـه دین همـه اوست

اگـر بــه او نــه رسیـدی تـمـام بـولهبـی اسـت

(ارمغان حجاز: علامه محمد إقبال)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه والحمد لله الذي أحيا بذكره قلوب عباده الصالحين ، فقاموا لإحياء علوم الدين. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين، وصفوة الأنبياء والمرسلين وأشرف المرسلين وقائد الغرا لمحجلين وعلى آله السادة الأكرمين وأصحابه الغرّ الميامين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد : قال الله سبحانه وتعالى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم :

﴿ورفعنالك ذكرك﴾(سورة الشرح ، الآية:٤)

ولا ريب أن القرآن كله في المدح النبوي صلى الله عليه وسلم وليس المديح النبوي عند الشعراء عبر العصور إلا امتثال وتحقيق لما تكفّل به سبحانه وتعالى من رفع ذكره حبيبه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم .

إن فن الشعر هو اسم لإظهار العواطف القلبية إنّ فن الشعر له مكانة قديمة بين الآثار الأدبية بسبب صلته بقريحة الإنسان وعلاقته بالشعور (أو بالإحساس) . متى بدأ فن الشعر في العرب؟ لا نجد شيئاً عن تاريخه ولكنا نعلم أن عندما تعرّف فن الشعر على التاريخ تحوّل إلى صورة القصائد المحكمة والمرتبة . ونجد من نماذجها الطليعة في أشعار مهلهل بن ربيعة (ت حوالي ٥٣١م) وامرئ القيس (ت ٥٤٠م) .

وهناك ثلاثة أقسام لفن الشعر . القسم الأول غنائي أو وجداني والقسم الثاني قصصي وبينما

القسم الثالث يعبّر بشعر تمثيلي أو مسرحي وأما الشعر الغنائي من بين أقسام فن الشعر المذكورة فهو اعلاه. لأن الغناء هو أصل فن الشعر . إن العرب تحوز المؤهلات طبيعياً من بين الامم السامية وتمهّر تمهراً كاملا في هذا الفن . وقد اختبر الذكاء في كل اصناف الشعر . مثل : القصيدة والرثاء والمثنوي والرباعي والمخمس والرجز وغيرها.

ومن هذه الأصناف عندما نذكر القصيدة ندخل إلى حيز الظهور أن القصائد التي عرضت على المدح النبوي قد اكتسبت الشهرة في كل زمن . هذه الميزة مختصة بشخصية النبي عليه الصلاة والسلام فقط أن جميع الاشعار التي نُظمت في عظمة وكرامة النبي ـ سواء كانت في حياته عليه الصلوة والسلام أو بعد رحلته عليه الصلوة والسلام ـ قد اندرجت تحت فن المدح .

والشعراء في كل زمن كانوا يدركون أن فرض قصيدة في شان النبي سبب البركة والسعادة ـ وعندما نلقي نظرة إلى تاريخ المدح النبوي يظهر لنا أن الاسم الأول والبارز الذي اظهر من الشمس في عظمته عليه الصلوة والسلام ، اسم عبدمناف بن عبدالمطلب المعروف بأبي طالب ـ وبعده ياتي اسم الأعشى في ايام الجاهلية . وكان الأعشى معترفاً بعظمته عليه الصلوة والسلام.

والشعراء المفلقون الذين زيّنوا أشعارهم بمدح النبي صلى الله عليه وسلم هم عبدالله بن رواحه وعبدالله بن الزبعري و أبو سفيان بن الحارث وكعب بن زهير وكعب بن مالك وحسان بن ثابت والنابغة الجعدي .

وكان لحسان بن ثابت مكانة ممتازة بين هؤلاء الشعراء . وهو شاعر الرسول لأنه كان يدافع عن الرسول عليه الصلوة والسلام بشعره ويجيب على ما قام به أعداء الإسلام بالاشعار في هجو النبي. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أشعاره حبا جماً.

كما أننا نجد أن الشواعر في جميع العصور لم يتخلفن في انشاد القصائد فالسيدة آمنة والسيدة حليمة سعدية والسيدة أروى بنت عبدالمطلب والسيدة العاتكة بنت عبدالمطلب والسيدة صفية بنت عبدالمطلب وفاطمة الزهراء جديرات بالذكر من بين هؤلاء الشواعر .

وأتى من بعد الفرزدق والإمام أبو حنيفة وأبو العتاهية والصنوبري والمعري والشيخ عبدالقادر الجيلاني من بين الشعراء المعروفين في العهد الأموي والعباسي .

ويلوح اسم الإمام البوصيري في العصر التركي في الطليعة وهو الذي انشد الشعر في مدح

النبي في حالة الحلم وهو كان مفلوجاً . فأكرمه النبي صلى الله عليه وسلم بالبردة كجائزة وتقدير لشعره وإشتهرت قصيدته باسم قصيدة البردة للبوصيري.

ومن بين الأسماء الأخرى المعروفة لشعراء هذا العهد اسم أبي ترى وابن نباتة المصري والشيخ عبدالرحيم البرعي وابن خلدون وابن الحجر العسقلاني .

ونجد القصائد المدحية لعبدالباقي الآفندي ولعبد الحليم اللوحي ولحازم القرطاجني ولمحمود السامي البارودي باشا ولعبدالحميد الخطيب من بين شعراء العصر الحديث للأدب العربي.

ومن أشهر ومألوف شعراء العصر الحديث أحمد شوقي بك وهو الذي قد فاز بلقب أمير الشعراء بسبب المحاسن الشعرية . وأنشد قصائد مختلفة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم . ومن قصائده تلك الهمزية النبوية ونهج البردة وذكرى المولد (الأولى) وذكرى المولد (الثانية) و دول العرب وعظماء الإسلام جديرة بالذكر، عندما نطالع شعر الشوقي الديني ندرك براهين وشواهد على ملكته الشعرية المفحمة بحب دين الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم.وإذا قمنا بدراسة المدح النبوي خلال الشعر العربي في شبه القارة الهندية الباكستانية لوجدنا عدداً غير قليل من شعراء هذا القطر الذين تناولوا هذا الفرض في شعر هم واستخدموا قرائحهم وأتوا بمعان مبتكرة في أساليب جديدة وأتوا في المدح النبوي بما لا يقل فناً عن الشعر السابق له.

ومن أبرز الشعراء الذين طرقوا باب المديح النبوي في شبه القارة ونالوا البتول والتقدير لشعرهم باللغة العربية أو غيرها من اللغات المحلية ، الشيخ أحمد تهانسري وأمير خسرو و فخر الدين العراقي شهرة في عهد الغزنوي والسلاطين . وكذلك برزت اسماء الشيخ حامد الجمالي والشيخ عبدالحق محدث الدهلوي وشاه ولي الله وغلام علي آزاد بلكرامي.

لقد نال العلامة محمد إقبال إعجاباً وتقديراً إلى بالغ الحد من بين شعراء شبه القارة الهندية الباكستانية . فقد ترك آثاراً مجيدة بشعره على الأمة المسلمة أجمعها ولم يكن شعره مقصوراً على أهل شبه القارة بل تعدى إلى جميع المسلمين العرب وغيرهم في جميع أنحاء العالم.

وكان محمد إقبال يملك قلباً ولوعاً بحب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وشعره تعبير صادق عن رسالة الإسلام الخالدة مع كونه في ذوده وقمة باعتبار الجانب الفني أيضاً.

ولو استعرضنا تاريخ المديح النبوي في العصر الحديث لوجدنا شخصيتين بارزتين في هذا المجال أحدهما من بلاد مصر العربية وهو شوقي والآخر من القطر الأعجمي للبسيطة ، وهو إقبال وشعر إقبال و شوقي مع كونه مختلفا في اللغة حيث لم ينشد شوقي إلا بالعربية أما إقبال فقرض الشعر في اللغتين الفارسية والأردية إلا أنهما يتفقان في الأغراض السامية ويشتركان في جودة المعنى وابتكار الأسلوب . وهذا البحث المتواضع الذي نحن بصدده دراسة متأنية لشعر المديح النبوي لهذين الشاعرين الجليلين وأردت خلال هذا البحث إضافة قيمة وجديدة إلى الأدب المقارن بين اللغتين العربيةو الأردية اللتين تشتركان في كثير من الأمور من حروف الهجاء وطريقة الكتابة وغيرها.

وأشكر الأستاذ الدكتور محمد أكرم جودهرى المشرف على هذا البحث ورئيس جامعة سركودها في هذا الأيام على حسن إرشاد. وإشارته إلى هذا الموضوع الهام الذي لم يسبق إليه باحث من قبل.

وأرجو أن هذا البحث سيفيد الدارسين والباحثين في الأدب المقارن كما أنه يوضح ميزات الثقافتين العربية والباكستانية أو الهندية بتعبير واسع ويدعم العلاقات الأدبية والتعليمية بين هاتين الدولتين المسلمتين كما أنه يبرز تلك الجوانب الخفية من شعر هذين الشاعرين البارزين التي لم يتطرق إليها باحث من قبلى وبالأخص أسلوب المديح النبوي عند كلا الشاعرين . وإبراز ما يتفقان فيه وما يتفرد به لكل واحد منهما .

منهج البحث

قد سعيت حتى الإمكان أن أستفيد من كل المصادر والمراجع الأساسية والمبدئية لتكميل هذه المقالة كي يمكن لي أن أبرز فن الشاعرين بين أحوال حياتهما ومدحهما كثيراً وكثيراً كي يتطلع قارؤا هذه المقالة كل نواحي حياتهما . أما طريقة السير في البحث فموجزة فيما يلي.

قد راعيت النكات التالية في ترتيب هذه المقالة .

i. قد جعلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مأخذاً مبدئياً واستشهدت من الآيات القرآنية والبراهين في الأمكنة المختلفة لهذه المقالة . كما إنني قد استشهدت فيها بأحاديث النبوية صلى الله عليه وسلم و وثقت بالصحاح الستة في صدد الأحاديث النبوية .

ii. قد ذكرت في هذه المقالة التفاسير بعد الآيات الكريمة والأحاديث النبوية وخاص بالذكر

تفسير ابن كثير وتفسير ابن هشام وتفسير الزمخشري وتفسير الطبري وغيرهم .

وقـد بينت العناوين القارنة مفصلة في ضوء التفاسير قبل صقلها بين أبيات الشوقي وإقبال كي يتـضـح على القارئين بيان هذه المواقف والحقائق في الآيات القرآنية والتفاسير إيضاحاً كاملاً وإخبار بأسلوب ونهج الشاعرين هذين لبيان هذه الحقائق .

iii- قد استفدت من القصائد الأربعة التي نظمها الشوقي في المدح النبوي وهذه:

الـقـصيـدة الهمزية النبوية وذكرى المولد (الأولى) ونهج البردة وذكرى المولد (الثانية) كما إنني قد أخذت الأشعار الأخرى من الشوقيات حسب حاجة المقالة .

iv- أمّا كـلام إقبال قد استفدت من التراجم العربية لكلام إقبال. إنّ كل كلام إقبال (الأردية والـفارسية) موجود بصورة مترجمة و أشهر تراجمها : تراجم عبدالوهاب عزام والصاوي علي شعلان ومـجيـب حسيـن الـمـصـري وحسـن ظـأظـأ وظيهـر ظـأظأ وسمير عبدالحميد ابراهيمي وترجمة عبدالفتاح فرح.

قد عرضت بعض كلام إقبال في المقالة الذي لم أجد تراجمها العربية مثل كثير من شعر بانك درا وثلاثة أقسام للزبور العجم وقد سعيت أن أترجمها بنفسي .ومع ذلك قد وضحت بعض الكلمات التي تحتاج إلى التوضيح.

واشتمل هذا البحث على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة وهي كما تلي .

المقدمة

تتناول بيان موضوع الرسالة وأهميتها والأمور التي تتعلق بالعوامل والأهداف التي دفعت إلى كتابة هذه الرسالة وطريقة البحث وتنظيم الرسالة .

الباب الأول : لمحة سريعة عن حياة شوقي

إن فـي هـذا البـاب قـد ألـقى ضوء على النواحي المختلفة لحياة الشوقي بأسلوب أن يقع نظر القاري على كل نواحي حياته ومع ذلك قد ذكرت كتبه الشعرية والنثرية بالتفصيل .

يشتمل هذا الباب على الفصول التالية:

الفصل الأول : نسبه و ولادته

الفصل الثاني: نشأته الأدبية والثقافية

الفصل الثالث: رحلاته العلمية

الفصل الرابع: منفاه وعودته إلى وطنه واثر نفيه وعودته في شعره

الفصل الخامس: اتصاله بالشعب و وفاته

الباب الثاني : لمحة سريعة عن حياة إقبال

في هذا الباب قد القيت ضوء على النواحي المختلفة لحياة إقبال . وفيه كلام مفصل عن نسب إقبال وتاريخ ولادته ودراسته وثقافيه . وكذلك ذكرت كتبه الشعرية والنثرية.

يشتمل هذا الباب على الفصول الخمسة وهي كما تلي:

الفصل الأول: نسبه و ولادته

الفصل الثاني: نشأته الأدبية والثقافية

الفصل الثالث: رحلاته العلمية

الفصل الرابع: عودته إلى وطنه وتطور في شعره

الفصل الخامس: اتصاله بالشعب و وفاته

الباب الثالث: موضوعات المدح النبوي عند شوقي وإقبال

بدأت هذا الباب ببيان عظم شأن النبي صلى الله عليه وسلم وعلوّ مكانته ونشأة المديح النبوي وتطوره في مختلف العصور ثم تطرقت إلى المديح النبوي عند شوقي وإقبال وحاولت إبراز المحاسن الفنية عند كلا الشاعرين وبيان يتفقان فيه وما يختلفان.

وإن هذا الباب مشتمل على فصول أربعة وهي كما تلي:

الفصل الأول: نبذة عن المدح النبوي عبرالعصور.

الفصل الثاني: البيئة والأحوال التي دفعت شوقي وإقبال إلى المديح النبوي.

الفصل الثالث: الموضوعات التي تناولها شوقي وإقبال في المدح النبوي.

الفصل الرابع: الخصائص اللغوية والبلاغية في مدحهما للنبي صلى الله عليه وسلم مثل الصورة والخيال والعاطفة والموسيقى وغير ذلك .

الباب الرابع : المقارنة بين المديح النبوي لشوقي والمديح النبوي لإقبال

وقد ذكرت في هذا الباب مقارنة بين موضوعات مختلفة لمدح إقبال وشوقي للنبي صلى الله

عليه وسلم . وقمت في هذا الباب بإبراز أسلوب كلا الشاعرين والمحاسن الفنية لديهما.

وهذا الباب مشتمل على ثمانية فصول وهي :

الفصل الأول: ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني: الخوارق والمعجزات

الفصل الثالث: البعثة النبوية والوحي الرباني

الفصل الرابع: الهجرة النبوية وتأسيس الدولة الإسلامية

الفصل الخامس: الغزوات النبوية والجهاد في الإسلام

الفصل السادس: أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

الفصل السابع: الإسلام وخصائصه

الفصل الثامن: القرآن الحكيم والحديث النبوي والسنة النبوية

وقد اتيت بخاتمة البحث في النهاية وذكرت أهمية هذه المقالة بعد ذكر الخلاصة لجميع الأبواب .

وقد ذكرت فيها النتائج والاقتراحات المهمة التي توصلت إليها خلال هذه الدراسة . وفي نهاية الطاف قمت باعداد فهارس فنية وهي كما يلي :

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الاعلام

فهرس الأماكن

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

بأن موضوع مقالتي عن الشعر وعدد الشعر فيها كثيرة ولهذا لم أذكر فيها فهرس الأشعار.

الصعوبات التي توجهت خلال بحث هذه المقالة

ومن الصعوبات التي واجهها خلال بحثي هذا هو عدم توفر المصادر والمراجع الأساسية عن شوقي في المكتبات الباكستانية عامة إلا النزر اليسير . فبذلك واجهت صعوبة في جمع المعلومات

عن شوقي حياته وقته إلا أن الله يسر لي هذا العمل خلال رحلاتي العديدة المترامية الأطراف بجمع ما فيه كفاية ان شاء الله .

ولاشك أن إقبال معروف بين العرب وأكثر من كلامه قد ترجم بالعربية ولكن بضعة من اشعاره لم تترجم بالعربية فلذلك قد ترجمتها بنفسي وقابلت كثيراً من الصعوبات.

والله الموفق والمؤيد ، وله الحمد والمنة والإحسان ، أحمده وأشكر له في الآخرة والأولى، فلولا مننه السابغة ونعمه البالغة ، وتوفيقه الكامل وتأييده التام لما كان يمكن لي أن أقوم بهذا المسؤولية الكبرى ولم يكن لطالب مثلي أن يتجرأ بتناول مثل هذا العمل العلمي ولكن الله سبحانه وتعالى تكرم عليّ وتفضل حيث فتح أمام عينيّ هاتين طريقاً للوصول إلى ما يرجع في مثل هذا الرسائل العلمية ، فله الشكر في الأولى والآخرة ، ثم إن واجب عرفان الجميل يقتضينى أن أتوجه بالشكر إلى كل من أسدى إليّ عوناً وسهل لي صعباً ، وأخص بالذكر المشرف على هذا الرسالة الأستاذ الدكتورمحمد أكرم جوهدرى (رئيس جامعة سركودها) الذي فضّل بالإشراف على مقالتي هذه فإنني اقدّم إليه بباقة متواضعة من الشكر الخالص والعرفان بالجميل على تلك المحبة والعطف الأبوي الذي حباني به خلال كتابة مقالتي . وهو الذي منحني فرصة ثمينة لكتابة هذا البحث العلمي فهو استاذ كريم وجليل يعترف بخدماته الكبيرة للقسم العربي والأدب العربي كل طالب اللغة العربية من باكستان وخارجها . إن المحاسن في هذا المقالة نتيجة إشراف الدكتور محمد أكرم جوهدري ومعاقب النقائص بنفسي . وأدعوالله تعالى أن يمد ظله العطوف دائما (آمين).

وهذا من اللازم أن اتقدم الشكر الواجب إلى أستاذي "الدكتور خالق داد ملك" وهو مستعد دائما لمساعدة جميع الطلاب ومحبي اللغة العربية واؤدي شكره بأنه أعطاني نبذه من وقته الثمين رغم كثرة أشغاله في كل آن.

لن أنسي أن اقدم خالص الشكر الجزيل واوافر التقدير إلى الدكتور حامد أشرف همداني لمدّ يد العون إليّ بصفاء القلب . ادعو الله تعالى أن يزيد و يبارك في علمه وعمله وعمره ويجزيه خير الجزاء (آمين).

كما أقدم الشكر الجزيل إلى الأستاذ حافظ مقيت جاويد الذي أرشدني إلى ما أحتاج إليه في البحث.

كـما اقدم الشكر الجزيل إلى الدكتور رفيع الدين الهاشمي الذي اكرمني بإرشاداته الثمينة عن إقبال.

وفـي الـنهـاية أقـدم الشكر والامتنان إلى والدي الكريم وأمي العزيزة الحنون (أدام الله عزهما ومـدّظلهما ـ آمين) ومحمد جاويد وإخواتي خاصة انيس شهزادي وجبين طيبة وازكى عروج و زنيره منعم وإخوتي المكرمين وأخص بالذكر مهروز محمد من صميم القلب.

والله أسـأل أن يـوفـقـنـي دائماً لخدمة كتابه الحكيم، وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، إنه ولي التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

تسليم طيبه

الباب الأول

لمحة سريعة عن حياة شوقي

الفصل الأول: نسبه وولادته

الفصل الثانى: نشأته الأدبية والثّقافية

الفصل الثالث: رحلاته العلمية

الفصل الرابع: منفاه وعودته إلى وطنه

الفصل الخامس: اتصاله بالشّعب و وفاته

الفصل الأول

نسبه وولادته

أحمد شوقي (١٢٨٤هـ-١٣٥٠هـ/ ١٨٦٨-١٩٣٢م)

هناك أراضي عديدة في الدنيا اشتهرت بالخصائص المتنوعة، بعضها اشتهرت بزراعتها وأخرى امتازت في مجال اللعب وبعضها تفتخر بمبانيها وبعضها اكتسبت شهرة من حيث رجال العلم والفنون والفلاسفة. أما أرض مصر، فهي اكتسبت شهرة من نواحي شتى؛ لأنها هي مهد العلم والأدب والحضارة والثقافة منذ العصور القديمة، فقد نبغ فيها رجال العلم والأدب، والعالم اعترف لهم الفضل والمجد في ميادين مختلفة من العلوم والفنون. وهؤلاء رجال قد نوّروا المناطق العديدة بنور علمهم وفضلهم، ولا تزال مصر الحديثة تفتخر بهذه الرتبة الرفيعة العالية في العالم العربي. وفي العصر الحديث هناك عدة رجال تعّد من الشخصيات الجليلة في مجال الأدب، ولا ريب أن أحمد شوقي من أبرزها وأشهرها في العرب، وهو أحد من أعماد الأدب، هو الشاعر الذي مزج القديم بالجديد وأضاف المواضع البديعة إلى الشعر العربي، مكّنه على الرتبة الرفيعة المرموقة في الفن والخيال حتي صار نطاقه أوسع وأشمل، وظهر كزهرة جميلة التي عطّرت جميع أنحاء مصر من عطرها.

و قال عباس حسن في كتابه:

"لو أن سائلا طلب إليّ أن أرشده إلى شاعر عربي يستغنى به عن غيره ويكتفى بشعره عن كل شعر، ما ترددت أن أرشده إلى "شوقي" ولو جاز لبعض المثقفين والطلاب، ممن ضاق وقتهم وعجزت وسائلهم أن يقتصروا على شاعر عربي واحد ما كان غير شوقي" (١)

في ضوء هذا البيان سننظر من كلام شوقي أنه يمتاز بخصائص جامعة بالإجمال ويقدم لقارئه ثروة الهدوء والجذب والسكينة، ويجد القارئ خلال قراء ة كلام شوقي نفسه في بيئة السرو ر واللذة ولم يحسه ضيق الوقت والقلب، لاريب أن الأرض لا تجود بولادة كشاعر شوقي إلا بعد قرون ويكون وجودهم سبب الافتخار لأرضهم ويلمعون على سماء العلم والأدب كالنجوم التي أشعتها تعجب العيون ويحيط جميع الكون في كلامهم ونجد جميع هؤلاء الخصائص الرائعة في كلامه.

في ضوء هذا البحث نجدربنا أن نطلع على أحوال هذا الشاعر العظيم الذاتية وحياته الحافلة كي يمكن لنا تحليل العناصر التي كوّنت شخصيته الفريدة.

١ـ عباس حسن: المتنبي وشوقي. القاهرة: دار المعارف بمصر ١٩٦٤م، ص ٣٦١

اسمه

وهناك رواية مختلفة في تسميته واشتهرت رواية وهي فيما يأتى:

"كان اسمه أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي: أشهر شعراء العصر الأخير يلقب بأمير الشعراء" (١)

يقال له أحمد شوقي بن أحمد شوقي بك(٢) وقد اكتفى الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور طه حسين بذكر اسمه وهو "أحمد شوقي"(٣)

ويقول أحمد شوقي بنفسه في مقدمة "الشوقيات":

"أنا أحمد شوقي بن على بن أحمد" (٤)

أحمد شوقي كان اسم جدي وأنا حامل اسم جدي ولقبه (٥)

ولادته

ويكون شعر شاعر مرآة أحواله والبيئة التي يولد بها وينشأ والطواقس تمرّ بقلبه وذهنه ودوافع الضواحي الذي رافد في تطبيق شخصيته يُرى فيها عكسه عكسا واضحا، لمّا نرى شاعرنا شوقي في هذه الصدد نجد أن شعره كشعر رجل غني بثروة هدوء القلب والتفاؤل، وأحوال بيئته التي وجد فيها رخاء الثروة كل حين، ولم يقابل الحزن والألم، وفتح شوقي عيونه فى ترف ولهو،فإن نقول أن شوقي كان من الرجال الذين وجدوا ثروة في الوراثة فلم يخلوا من حقيقة.

ويقال في مهد من مهاد الترف والثراء ولد شوقي سنة ١٨٦٩م بالقاهرة(٦) ورواية أخرى ولد شوقي في القاهره عام ١٨٦٨م من أسرة تركية. (٧)

١ـ الزركلي، خير الدين : الأعلام.الطبعة السابعة ، بيروت ، لبنان : دار العلم للملايين . مايو ١٩٨٦م.١٣٦/١
أنظر أيضاً في ، جواهر الأدب: أحمد هاشمي . مصر ، ص٩١
وأيضًا،بك ، مردم الخليل : محاضرات خليل في انشاء العربي . سوريا ، دمشق: شارع مسلم البارودي. بدون التاريخ. ص٩٦

٢ـ الزيات ، أحمد حسن : تاريخ الأدب العربي . لبنان : مكتبة الأنجلو المصرية . ١٦٥ شارع محمد بك فريد. ص٣٦٩

٣ـ كحالة ، عمر رضا : معجم المؤلفين . بيروت : دار احياء التراث العربي، ٢٤٦/١.

٤ـ نظم بك ، شوقي أحمد : الشوقيات . الطبعة الثانية ، مصر: مطبعة الاصلاح شارع محمد علي، ١٣٢٥هـ/١٩١١م.٥/١

٥ـ نفس المرجع، ص ١٤.

٦ـ شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر. الطبعة الثامنة . القاهرة : دار المعارف ١١٩ كورينش النيل. بدون التاريخ ص١١

٧ـ شرارة، عبد اللطيف: شعراؤنا شوقي. بيروت : دار صادر داربيروت للطباعة والنشر. ١٩٦١م، ص٢٠

- وأنظر، عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي.الطبعة الثانية . بيروت : مطبعة منشورات مكتبة ميمنة المعرض.١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ص٥

- وانظر، Prop, Muhammad Munawwar, Iqbal Review, The potrait of Ahmad Showqi, vol,28, April, June 1987. No.1

ويذكر طه حسين سنة ولادة أحمد شوقي في كتابه كذلك:
"ولـد أحـمـد شوقي سنة ١٨٦٨م، بباب إسماعيل حيث البأس والعزة وحيث الغنى والثـــــروة، وحيث الترف والنعيم وحيث هذه العناصر الكثيرة المتباينة التي تبعث الحياة في ناحية من أنحاء النفس".(١)
وفـي رواية أخـرى: "ولـد أحـمـد شـوقـي سـنة ١٨٦٨م فـي قـصـر الـخـديـوي إسماعيل(ت١٨٩٢م) وكان يعطف عليه ويبدر بين يديه بدرات الذهب، ولقد كان أبـوه متـلافـا فـاهـلك مـا ورث عن أبيه، فكفلته في المهد جدته لأمه وكانت إحدى وصائف القصر في عهد إسماعيل .(٢)
وهكذا رأى خليل مردم بك :
"هو المصري بمولده وبمنشئه" (٣)
وفي رأي شوقي ضيف :
"أنه مصري المولد ولكنه ليس مصري الموطن في الاصيل" (٤)
وقال جبّور عبد النور عن مولده ومنشأه:
"أحـمـد شـوقـي شـاعـر مصري المولد سنة ١٨٦٩م والمتوفي ١٩٣٢م نشأفي بئية أرستقراطية ثرية" (٥)
ولكن اختلف الرواية عن مولده عند الدكتور طه وادي، قال:
"أحمد شوقي ولد في ١٦من أكتوبر سنة ١٨٧٠م." (٦)
واختـلف الـنـقـاد ومؤرخـو الأدب حتـى فيما يتصل بسنة ميلاده وهل هي سنة ١٨٦٨م أم ١٨٦٩م أم ١٨٧٠م.(٧)
فـذهب الدكتور طه وادى إلى أنه قد ولد في ١٦ من أكتوبر سنة ١٨٧٠م، وأخذ هذا التاريخ

١ـ طه حسين، الدكتور: حافظ وشوقي. الطبعة الأولى . مصر: مطبعة الاعتماد، ١٩٢٣م. ص ١٨٧

٢ـ انظر: الشوقيات، مقدمة الديوان

وانظر: الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي. ص ٥٠٠

٣ـ خليل مردم بك: محاضرات الخليل فى إنشاء العربي. ص٩٧

٤ـ شوقي ضيف: شوقي شاعر العصر الحديث.مصر ، دار المعارف . بدون التاريخ . ص ٩

٥ـ عبدالنور، جبور: المعجم الأدبي. بيروت : دار العلم للملايين. ص٤٩٨

٦ـ طه وادي، دكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي. ص ١١

٧ـ انظر، عباس حسن: المتنبي وشوقي. ص٣٧

من شهادة الليسانس التي نالها أحمد شوقي من باريس في الحقوق (١)

نسبه

عندما نلقي نظرة على نسبه فنجد مقامه مقامًا بارزًا من الآخرين وهو الذي لم تتكون شخصيته من أرض واحدة ، ويتجمّع الخصائص المختلفة من المناطق المتفاوتة ويثير دمه و يُبدع في فكره، ولمّا ينثر قلمه لؤلوء الحكمة والعلم والذكاء والبصيرة على صفحة الكتاب بمساعدة هذه الخصائص التي تدهش العقل.

والأن نطالع نسب شوقي بنظرة عميقة.

ويقول الدكتور شوقي ضيف عن نسبه:

"في مهد من مهاد الترف والثراء ولد أحمد شوقي سنة ١٨٦٩م لأب وأم تنحدر اليهما عناصر مختلفة، فقد كان أبوه يجري فيه الدم العربي والكردي والجركسي، وكانت أمه يجري فيها الدم التركي واليوناني، اذ كان أبوها تركيامن بطانة إبراهيم(٢) ومن خلفوه إلى إسماعيل (٣) وأصبح في عهده الأخير وكيلا لخاصته، أما أمها فكانت يونانية من بلاد المورة". (٤)

و نجد بنسبه أن في تكوين شوقي شوقيا يد الدوافع الداخلية مع الدوافع الخارجية، فإن لم يجد شوقي الخصائص المتنوعة من الوراثة، فلن يمكن له أن يلقب بلقب أمير الشعراء ولم يصل شهرته إلى علو السماء، ولكن من حُسن الحظ أنه وجد وراثة التي تغير نقائصه إلى محاسنه وحصل العلو والسمو والرفعة على كل خطوة.

ويقول شوقي مفتخراً بنفسه في مقدمة ديوانه "الشوقيات"

"سمعت أبي رحمه اللّٰه يردأصلنا إلى الأكراد فالعرب ويقول أن والده قدم هذه الديار يافعا يحمل وصاة من أحمد باشا الجزار إلى والي مصر محمد على باشا وكان جدي وأنا حامل اسمه ولقبه يحسن كتابة العربية والتركية خطاً وإنشاءً فأدخله الوالي في معيته ثم تداولت الأيام، وتعاقب الولاة الفخام، وهو يتقلد المراتب العالية ويتقلب في المناصب السامية إلى أن أقامه سعيد باشا أميناً للجمارك المصرية فكانت وفاته في هذا العمل عن ثروة راضية بدّدها أبي في سكرة الشباب ثم عاش

١ـ طه وادى، دكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، ص٥٣

ـ انظر، اسلام في شعر شوقي لأحمد الحوفي: الدكتور،جمهورية مصر العربية . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة التعريف بالأمم . ١٩٧٢م ص٤

٢ـ إبراهيم باشا، ١٧٨٩م . ١٨٤٨م

٣ـ إسماعيل باشا، ١٨٣٠م.١٨٩٢م

٤ـ "موره" هذه جزيرة في اليونان، فتحتها الترك في ١٨٤٥م وتأسس الإمارة العرب في سنة ١٨٢٩م. أنظر للتفصيل، شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص١١٥.

بعمله غير نادم ولا محروم وعشت في ظله وأنا واحده أسمع بما كان من سعة رزقه ولا أراني في ضيق حتى اندب تلك السعة فكأنه رأى لي كما رأى لنفسه من قبل أن لا أقتات من فضلات الموتى". (١)
ثم يرد مزيداً قائلا.

"أما جدي لوالدتي فاسمه أحمد بك حليم ويعرف بالنجده لى نسبة إلى نجدة إحدى قرى الأناضول وفد على هذه البلاد فتيا كذلك فاستخدمه والي مصر إبراهيم باشا من أول يوم ثم زوجه بمعتوقته جدتي التي أرثيها في هذه المجموعة وأصلها من مورة جلبت منها أسيرة حرب لاشراء وكانت رفيعة المنزلة عند مولاها وكان زوجها محبوبًا عنده كذلك فمازالا كلاهما مغمورين بنعمة هذا البيت الكريم حتى توفي جدي وهو وكيل لخاصته الخديوي إسماعيل باشا فأمر بنقل مرتبه برمته إلى أرملته وأن يحسب ذلك معاشا لا إحسانا، وكان الخديوي المشار إليه يقول عنهما "لم أرأعف منه ولا أقنع من زوجته ولو لم يسمه أبي حليما لحامه لسميته عفيفًا لعفته".

ثم يقول:

"أنا اذاً عربي، تركي، يوناني، جركسى بجدتي لأبي أصول أربعة في فرع مجتمعة، تكفله لها مصر كما كفلت أبويه من قبل، وما زال لمصر الكنف المأمول والنائل الجزل، على أنها بلادي، وهي منشأي ومهادي ومقبرة أجدادي، ولدلي بها أبوان، ولي في ثراها أب وجدان، وببعض هذا تحبب إلى الرجال الأوطان، أما ولادتي فكانت بمصر القاهرة".(٢)

ونجد في هذه الفقرة أن شوقي يبين نسبه ونفسه بكل تفصيل وبافتخار، فلم يترك إحدى نواحي حياته ظمآنا، وفي ضوئه يسهل للكاتبين الكتابة في نفسه وشعره بسهولة، ولا يستغرق جهوداً لتفتيش مصادره ويمكن لهم أن يجعلوا أقوال الشوقي أساس تحقيقهم وبحثهم. كما يقول دكتور عمر فروخ:

"أسرة شوقي" من الأسر الطارئة على مصر، كان جد شوقي لأبيه من أكراد الجزيره، أم مصر في أوائل القرن التاسع عشر بوصاة من أحمد باشا الجزار والي عكاء ودخل في خدمة محمد على باشا، وأما جده لأمه فتركي من الأنا ضول اسمه أحمد حليم دخل أيضا في خدمة محمد على باشا ثم تزوج إحدى معتوقاته وهي إمرأة يونانية الأصل اسمها تمراز (٣) سبيت في حرب المورة. ثم إن

١ـ نظم أحمد شوقي: الشوقيات. الجزء الأول، ص١٤

٢ـ نظم أحمد شوقي: الشوقيات،١/١٤،١٥. و انظر، أحمد عبيد، ذكرى الشاعرين. شاعر النيل وأمير الشعراء، الطبعة الأولى.دمشق : المكتبة العربية لأصحابها عبيد أخوان ، بدون التاريخ ص٤٢٦. وأيضاً، شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر. الطبعة الثامنة، ص١١٠ وأيضا، الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ص٣٦٩.

٣ـ معتوقة إبراهيم باشا.

أحـمـد حليم أصبح فيما بعد وكيلا على أملاك الخديوي إسماعيل الخاصة، ولماتوفي، أمر الخديوى أن ينقل مرتبه برُمّته إلى أرملته وأن يحسب ذلك معاشا لا إحسانا، أما والد الشاعر فاسمه علي.(١)

ثم يبين شوقي ضيف نسبه قائلًا:

"واشتـراك هـذه الـعـنـاصـر (التركي واليوناني والعربي) فيه يدل على أنه ليس مصريًا خـالـصًـا، هـو مـصـري الموطن ، أما الآباء والأجداد فليسوا مصريين، وأول من نزل مـنهـم مـصـر جدّه لأبيه ، وهو الذي سمى باسمه "أحمد شوقي" قدم هذه الديار في عهد محمد علي، فضمه إلى حاشيته، وكان يحسن العربية والتركية، ومنه ينحدر إلى شـوقـي الـدم الـكـردي الـعـربي والشركسي وتوالت الأيام وهو ينتقل في المناصب العالية حتى أصبح أمينا للجمارك المصرية في عهد سعيد (باشا) وتوفي وهو في هذه الـوظـيـفة عـن ثـروة واسعة عاش في ظلها عليّ والد شوقي وشوقي نفسه، وجاء بعد هـذا الجد إلى مصر جد شوقي لأمه، فقد دخل البلاد شابا لعهد إبراهيم باشا، واسمه أحمد حليم النجدة لي نسبة إلى قرية بالأناضول تُسمى "نجده" فهو تركي، وأعجب بـه إبـراهيـم بـاشـا على ما يظهر، فقر به منه، وزوّجه معتوقة يونانية له تُسمى "تمراز" أسرت في حرب المورة، وهي بنت عشر سنوات"(٢)

وبـعـد أن اطـلـعنا على نسب شوقي اطلاعاً عميقاً نصل إلى نتيجة وهي أن خصائصه الوراثية لـعبـت دوراً مهـمـا لـجـلاء كـلام شوقي وتنويع فكره وإبداعه ، ولم يبخل شوقي أن يستفيد من هذه الخصائص.

وكـان شـوقـي حسـن البـخـت بأنه وجد بيئة متنعّمة منذ طفولته وتمكّن من النفوذ الى بلاط الملك بإخلاص عمله وعلو فكره وأقنع شوقي بنبوغه في مجال العلم والأدب وبلقب أمير الشعراء.

١ـ عـمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي، ص٥، الطبعة الثامنة. وانظر أيضاً،الزيات، أحمد حسن: تأريخ الأدب العربي، ص٣٦٩.

٢ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث. ص٩، ١٠.

الفصل الثاني

نشأته الأدبية والثقافية

بيئة شوقي العلمية وثقافته

ولـد أحـمدشوقي "بباب إسماعيل" وشبّ في جواره ونشأفي حماه،وكان شوقي رجلاً ذكياً منذطفولته، وكان ولد في أسرة غنيةوتأثر نفسه بالبيئة الاجتماعية والسياسية.

ويقول شوقي في مقدمة ديوانه:

"حـدثـنـي سيـد نـدماء هذا العصر المرحوم الشيخ على الليثى قال: لقيت أباك وأنت حمل لم يوضع بعد فقص على حلما رآه في نومه فقلت له وأنا أما زحه ليولدن لك ولـد يـخـرق كما تقول العامة خرقا في الإسلام، ثم اتفق أني عدت الشيخ في مرض الموت وكانت في يده نسخة من جريدة الأهرام فابتدر خطابي يقول هذا تأويل رؤيا أبيك يـا شـوقـي فـو الـلّـه مـا قالها قبل في الإسلام أحد قلت وما تلك يا مولاي قال قصيدتك في وصف (البال) التي تقول في مطلعها:

حف كـــأسهـــا الـــحبـــب فهـــي فـــضة ذهـــب

وهـا هـي فـي يـدي أقـرأهاـ فاستعذت باللّٰه وقلت له الحمد لِلّٰه الذي جعل هذه هي "الخرق" ولـم يضّربي الإسلام فتيلا"ـ (١)

ولاريـب فتـح شـوقـي عينـيـه فـى بيـئة تـرف ولهو، ولكن والده كان قد أتلف ثروته بـإسـرافه، فنشأ أحمد يسمع بتلك الثروة ولايرى من آثارها إلا الأحاديث عنها، على أن جدته لأمه كفلته". (٢)

وكانت جدته اليونانية مشغوفة به تقوم على تربيته، وكانت منذعصر إبراهيم على صلة وطيدة بـالـقـصر، وهى جدته التي حملت إليه الروح اليوناني وكانت تحبه وتؤثره، فكفلته وقامت على تربيته الأولـى، وكانت منعمة مؤسرة، تعيش بباب إسماعيل فعاش معها الطفل حيث الترف والنعيم ـ ويقول شوقى عن جدته فى ديوانه:

"لـي جـــــدة تـــرأف بـــي أحـــنـــي عـلـيّ مـن أ بـي
وكـــــل شـــــيء سَـــرّنـــي تـــذهـــب فيـــه مـــذهـبـي
إن غـــضـــب الاهـــل عـــلـــى كـــلـهـم لا تـــغـضـــب
مشـــي أبـــي يـــومًـــا إلـــيّ مشية الـــمـــــــؤدب

١ـ أحمد شوقي: مقدمة الشوقيات،١/١٥.

٢ـ عمر فروخ: كلمة فى أحمد شوقى، ص٥.

غـضبـــان، قــد هــدّدبــا لـضـرب　　وإن لـــــم يـــــضـــــرب
فــلـــم أجــد لــي مـنـــه غيــر　　جـــدّتـــي مـــن مهـــرب
فـــجــعـــلتـــنـــي خـــلـــفهـــا　　أنـــجـــوبهـــا وأختبـــي
وهـــــي تـــــقـــــول لأبـــــي　　بـــلـهـــجة الـــمـؤنـــب
ويـــحٌ لـــــه ويـــح لهـــــــ　　ذا الـــولـــد الـــمـعـــذّب
ألـــم تـــكـــن تـــصـــنـــع مـــا　　يـــصـنـــع إذكـــنـــت صبـي" (١)

وجـدته هذه هي التى فتحت أبواب العلم عليه، يعترف شوقى أن فى إجلاء استعداداته العلمية والأدبية و في نشأته على نهج سديد لعبت جدته دوراً مهما أكثراً من والديه، وذلك بأن والد شوقي ما كـان لـه عـلاقة بـالعلم، بل كان يظن من واجباته أن يضيع الوراثة رغم وسعتها، فأتلف كل الثروة التي وجدها من أسلافـه، عـنـدمـا رأت جـدته حالته ففهمت أنه إن تربى شوقي تحت كفالة أبيه سيكون مثله، فرأت العافية في أن تكفله بنفسها منذ طفولته، لكي يكمل كل مدارجه من الضعف الفكري إلى قوته الفكرية بعـافية وبسـلامة، نـرى هـذه الـخطوة من جدة شوقي كانت مملؤةً بالحكم ، وكانت امراة كيسة ومداكه لـلأمور، وعيونها الضعيفة كانت ترى المستقبل المنور لسبطها ، وكانت تحرصى على أن تربي سبطها على هذا النهج كى يستفيدمنه راحة الأعصاب وهدوء القلب وينال مقاماً بارزًا فى المجتمع.

وعملت على تدبيرها وأدخلته فى القصر منذصغره وهكذا بدأ حياته الأدبية.

وعلى النحو الآخر كان شوقي متصفًا بخصائص وهبية و كان يمتاز من أطفال عمره وصارت فـطانته أساساً لحسن حظه ونال مقاماً محمودًا في القصر وتمتع على كل خطوة بمحبة وإقبال خاص من رئيس القصر.

ويبين شوقي دخوله مع جدته فى القصر هكذا:

"حـدثـتـني أنهـا دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا فى الثالثة من عمري وكان بصري لا يـنـزل عـن السـمـاء مـن اختلال أعصابه، فطلب الخديوي بدرة من الذهب ثم نثرها على البساط عند قـدميه فوقعت على الذهب اشتغل بجمعه واللعب به فقال لجدتي اصنعى معه مثل هذا فإنه لايلبث أن يـعتـاد الـنـظر إلـى الأرض قالت هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي، قال جيئيى به إلى متى شئـت إنـى آخر من ينثر الذهب في مصر، ولا يزال هذا الارتجاج العصبي في الأبصار يعاودني و كان المرحوم الشيخ على الليثي كلما التفت عينه بعينى ينشد هذا المصرع للمتنبي:

"محاجر مسك ركبت فوق زئبق". (٢)

١ـ　أحمد شوقي: الشوقيات، ٤/١٦١،و انظر أيضاً: عمر فروخ: كلمة فى أحمد شوقي، ص ٤٠.

٢ـ　أحمد شوقي: الشوقيات، ١/١٥،١٦ .وانظر أيضاً: شراره، عبد اللطيف : شعراؤنا شوقي، ص ٧.

وقد أكمل مرحلة ابتدائية لتعليمه وتربيته في القصر، وقد اجتاز كل مراحل الارتقاء النفسية والذهنية في القصر، وأعمر شوقي قلبه بحب القصرو أهل القصر مع إرتواء عيون العلم والفنون، واستمرّحبه للعلوم معه إلى وفاته، وما كان يمكن لأي الحزن والألم أن يتفرقه من حب القصر، بأن حياته كانت متصلة بالقصر منذ صغره، وولد بباب إسماعيل حيث البأس والعزة وحيث الغنى والثروة، وحيث الترف والنعيم وحيث هذه العناصر الكثيرة المتباينة التى تبعث الحياة في ناحية من أنحاء النفس، وتبعث الموت منها في ناحية أخرى وحيث هذه الاعتزاز بالنفس والازدراء للشعب وحيث هذه الاثـرة التي تخيل إلى صاحبها أن كل شيء مسخرله، وأنه هو لم يسخر ألا يستأثر بنعيم العيش، نشأ شوقي في بيئه تلك فذهب إلى الكتاب ثم إلى المدرسة، فأما شوقي فقد كان يجد من بيئته الأرستقراطية ما يضعف في نفسه أثر الكتاب والمدرسة، فلهذا نستطيع أن نقول أن شوقي كان أرستقراطياً في أوائل عمره رغم صلته بالكتاب والمدرسة ولكن صار ديموقرا طيًا بعده وأرشد حبه للجاه والحشمة إلى القصر. وقد تعلّم ولكن في عزة ونعيم وارتحل ولكن إلى حيث اللهو واللذة، وإلى حيث العلم والأدب والفن، وإلى حيث الطبعية المبتسمة. وعندما عاد شوقي إلى القاهرة بعد أن تلقى الدراسات العالية، فكان تمهّر في العلوم البديعة والفنون الجديدة وكان اكتسب شعره مكانا بارزًا و تضلع فى القوافي والأوزان تضلعاً كاملًا، ثم كان بعيداً عن الحزن والألم ولأن الشعر قد يكون مترجما كيفية القلب في الحقيقة وقلب شاعرنا لم يعرف الحزن والألم، فلهذا كان شعره صوت قلوب الشبان، ويجذب قراء ه إليه كقوة مغناطيسية ويتمكن في قلبه ويهب شعره الحلاوة للأذان والفرحة للقلوب، وبرغم هذه الخصائص لا نجد فى شعره أية صلة بالأمور العادية التي تتعلق برجل عام، لأن شعره كان محدودًابالقصر ورئيس القصر آنذاك، فلهذا نجد فى شعره تذكرة الأغنياء والوزراء الذين يبالغ فى مدحهم لا شك فيه أن الشوقى تعلّم الطيران فى ذاك العصر ولكن كان مقيدًا طيرانه بالقصر فقط ولذلك نرى عامة الناس لايعرفون لشوقي فيذاك العصر مكان كما كانوا يعرفون حافظاً (شاعر عصره)، لأن الحافظ كان قريبًا إلى الناس وكانت مشاكلهم ومصائبهم أهم جزء لشعر الحافظ، وقال الدكتورطه حسين فى هذا الصدد:

”وقد تقارب مولد الشاعرين، ولد أحدهما (شوقي) سنة ١٨٦٨م وولد الآخر (حافظ) سنة ١٨٧١م، تقارب مولدهما في الزمان ولكن نشأتهما اختلفت أشد الاختلاف، ولد أحدهما بباب إسماعيل في الترف واللهو ، ولد الآخر في ناحية مظلمة متواضعة من نواحي مصر، في أسرة مصرية لاحظ لها من غني ولا ثروة، لانصيب لها من بأس ولا سلطان، أسرة من هذه الأسر التي تمتلئ بهامدن مصر وقراها والتي تعودت منذ أيام المماليك أو قبل أيام المماليك أن تشقى ليسعد غيرها،

وأن تعمل ليكسل غيرها، وأن تتألم في صمت، وتحتمل المكروه في صبر وإذعان، ولكن أمر هذه الأسر كان قد أخذ يتغير في هذا الوقت، فأتيح لهذه الظلمة التي كانت تغمرها وتحيط بها أن تنقشع عنها بعض الشيء، وأتيح لهذا الشعور الذي كان مغلولا أن يجد شيئًا من الحدة، وأتيح لهذا العقل الذي كان مغلولا أن ينطلق من عقاله بعض الشيء". (١)

نشأ شاعرنا الأول فى هذه البيئة، فذهب إلى الكتاب ثم إلى المدرسة، ونشأ شاعرنا الآخر في البيئة الأخرى، وكل منهما تلقى العلم والأدب ولكنهما كانا منفردين حيث ميلانهم في الشعر، فأما شوقي فقد كان يجد من بئية الأرستقراطية ما يضعف في نفسه أثر الكتاب والمدرسة، وأما حافظ فقد كان مائلًا إلى ذكر الأمور العادية في شعره ونجد فيه صدّى الحياة العامة وأن نفس شوقي كانت أرستقراطية رغم صلته بالقلم والكتاب وكانت نفس الحافظ ديموقراطية خالصة، واضطرت ظروف الحافظ الى الطرب ، وأهدت نفس شوقي الي القصر والتقى الشاعران آخر القرن الماضي في ميدان واحد... ميدان الشعر، وكان أحدهما قد تعلم ولكن في عزة ونعيم، وكان الآخر قد تعلم ولكن في فقر وبؤس.

ثم عاد كل من الشاعرين إلى القاهرة، فأما أحدهما فإلي حيث كان ينتظره المنصب واللعب والثروة والترف، وأما الآخر فإلى حيث كانت تنتظره البطالة والشوارع والمقاهي والفقر والشظف وسوء الحال، وهذا الهم الثقيل الذى يضاجع الفقير إذ أوى الى سريره ويكشر له عن أنيا به إذا أراد أن ينظر إلى وجه الصبح، ثم يجلس على مائدة غير المتواضعة، وإذا أصبح فيكون نشيطاً ومملوءاً بعلو الهمة.

ويقول الدكتور ماهر حسن فهمى فى كتابه:

"وعاد الشاعران إلى القاهرة في هذه الحال، و استقبل كل منهما أهل القاهرة بما أمكن أن تتغنى به نفسه من الشعر، وسمع أهل القاهرة غناء حافظ وغناء شوقي، فأعجبوا بشوقي وأحبو حافظاً، وكذلك انتقل إعجاب القاهرة بشوقي إلي أهل مصرثم إلى أهل الشرق العربي، ثم مات حافظ فحزنت عليه مصر والشرق حزن المحب، ومات شوقي فحزنت عليه مصر والشرق حزن المعجب". (٢)

ويقول الدكتور شوقي ضيف عن نشأته:

١ـ أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين: شاعر النيل وأمير الشعراء، ص ٦٩٥.

٢ـ أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين ـ شاعر النيل وأمير الشعراء ـ ص ٦١ـ٦٩، انظر أيضا:فهمي، ماهر حسن، الدكتور: شوقي شعره الاسلامي ـ القاهرة: دار المعارف بمصر: شارع ماسيرو. بدون التاريخ. ص ٤٨ـ

"ونشـأفي بيئة أرستقراطية مترفة، وأخذ يختلف منذ سنة الرابعة إلى الكتاب، ثم انتقل إلى المدارس الابتدائية والثانوية، فكان ذلك فرصة له ليختلط بأبناء الشعب وحياتهم الديمقرطية، ولكنه سرعان ما كان يعود إلى بيئة وما بها من نعيم الحياة ولما أتم تعليمه الثانوي في سنة ١٨٨٥ م ألحقه أبوه بمدرسة الحقوق ليدرس فيها القانون وفي هذه المدرسة تعرف على أستاذه في العربية الشيخ محمد البسيوني(١) وكان قد أخذ يتفجر ينبوع الشعر على لسانه ، فأعجب به أستاذه، وكان هو الآخر يجيد نظم الشعر الا أنه لم يكن يفهم منه الا مديح الخديوي.(٢) توفيق في المواسم والأعياد، فدفع تلميذه في هذا الاتجاه، وتخرج شوقي في قسم الترجمة سنة ١٨٧٨م فعينه توفيق بالقصر، ثم أرسله إلى فرنسا ليدرس الحقوق، فانتظم في مدرسة بمونبليبه لمدة عامين، ثم انتقل إلى باريس، وظلّ بها عامين آخرين، حصل فيهما على إجازة نهائية، وهيئت له فرص مختلفة ليذرع فرنسا طولًا وعرضا وليزور لندن وبلاد الإنجليز، وكان طوال أقامته في باريس يشاهد مسارحها ويتصل بحياتها الأدبية، وأقبل على قرأه تيكفوهيجوودى موسيه ولافونتين ولامرتين، وترجم للأخير قصيدة البحيرة شعرا".(٣)

نشأته الأدبية

نشأ شوقي في ظل بيت الملك بمصر ، وفي بيئة أرستقراطية مترفة في أسرة غنية ولد بباب إسماعيل وشب في جواره ونشأ في حماه.

كتب أحمد شوقي في مقدمة ديوانه:

"أولم يكن من الغبن على الشعر والأمة العربية أن يحيا المتنبي مثلًا حياته العالية ثم يموت عن نحو مائتى صحيفة من الشعر، تسعة أعشارها لممدوحيه، والعشر الباقي، وهو الحكمة والوصف للناس، هنا يسأل سائل: وما بالك تنهى عن خلق وتأتي مثله؟ فأجيب أني قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلمه اليوم، ولا أجد أمامي غير دواوين للموتى لا مظهر للشعر فيها، وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء، والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحا في مقام عال، ولا

١- هو محمد البسيونى البيانى، (بيانى كان حيا في سنة ١٨٨٣م). انظر للتفصيل: معجم المؤلفين، ١٠٢/٩.

٢- الخديوي توفيق (١٨٥٢م-١٨٩٣م) محمد توفيق باشا بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على، انظر للتفصيل: الأعلام،٦٥/٢.

٣- شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص ١١٠،١١١.

يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الأسمى في البلاد، فما زالت أتمنى هذه المنزلة، أسمو أليها على درج الإخلاص في حب صناعتي واتقانها بقدر الإمكان، وصولها عن الابتذال حتي وفقت بفضل الله إليها، ثم طلبت العلم في أوربا فوجدت فيها نور السبيل من أول يوم جعلت أبعث بقصائد المسماة "بالبحيرة" من نظم (لامرتين) وهي من آيات الفصاحة الفرنساوية، ثم أرسلتها إلى الباشا المشار إليه في كراس ليطلع الجناب الخديوي عليها وأذا كنت لا أتخذ بشعرى مسودات رجوت أنى أجدها عنده بعد العودة الى مصر ثم عدت دون ذلك عواد، وجربت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهير، وفي هذه المجموعة شيئ من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أوثلاث أجتمع بأحداث المصريين وأقرأعليهم شيئًا منها فيفهمونه لأول وهلة ويأنسون اليه ويضحكون من أكثره".(١)

ونجد في شعر شوقي أن أحوال حياته لم تستقر على نهج واحد، كانت مدًا و جزرًا طوال حياته ورأى الرفعة وانهار القصر بعينيه، فكان ضروريا أن يطرأ التغير على فنه وفكره كما أن قلب شاعر يكون متحمسا جدًا، فلا يمكن له أن يعيش بدون شعور هذه التغيرات.

"فإنه قد شهد في حياته من التطورات السياسية والاجتماعية والأدبية الشعرية ما كان له أبلغ الأثر في تطور حياته ومواقفه ومجالات القول في شعره، بل وفنون الأدب التي عالجها، ويكفيه أنه عاصر ثورتين كبيرتين في حياة وطنه هما ثورة أحمد عرابى سنة ١٨٨٢، ثم ثورة الشعب المصري كله بزعامة سعد زغلول سنة ١٩١٩م ضد الاحتلال الإنجليزي، ثم شهد التحول التدريجى الكبير الذي حدث في وجدان الشعب العربي في مصر من ناحية التبعية للخلافة التركية إلى الشعور بالقومية العربية والنزعة الوطنية وهو الشعور الذي ظل يتصاعد حتى بلورته ثورة ٢٣ يوليوسنة ١٩٥٢ في التحرر الوطني الكامل لكل قطر عربي من الاستعمار الأجنبي أيا كان نوعه تمهيداً للوحدة القومية التي نرجو أن تشمل العالم العربي كله من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي. وكان لابد لتلك الأحداث الكبرئ من أن ينعكس تأثيرها على حياة أحمد شوقي واتجاهات تفكيره، واحساسه فضلاً عن اتجاهات فنه الشعري والأدبي وقوالبه وطرائق تعبيره وبخاصة وأنه قد ولد وترعرع في الفترة

١ـ انظر الشوقيات المجهولة، ص ٢٠ـ٢٢. انظر أيضا: مقدمة "الشوقيات"، ص٧ـ٩.

التي أخذ يلتقي فيها ويتفاعل التياران الكبيران اللذان تقوم عليهما نهضة العالم العربي الحديث ونعني بهما تيار البعث والتيار الأوروبي".(١)

وهذه البيئة التى ساعدت شوقي في تكوين شخصيته كشاعر بارز تمكنت له أن يصادف الأحوال السيئة والظروف غير الملائمة بوجه طلق.

ـ١ انظر: أحمد شوقي، أحمد زكي أبو شادي: أعلام الشهر العربي الحديث.بيروت : المكتبة التجارية للطباعة والنشروالتوزيع ص٣٨.

الفصل الثالث

رحلاته التعليميه

تعليمه الابتدائي

كان شوقي عظيم الزاد من الثقافة، كثير القراء ة، وشديد الحرص على تثقيف نفسه وأن يتقدم في مجال العلم والأدب وكان يدعو الناس الى العلم في قصائده، وهذا طبيعي، لأنه ذاق حلاوة الثقافة: شرقية وغربية، قديمة وحديثة، وعلم من تجارب الأيام أن العلم هوسر القوة، وما زال داعياً جيله إلى نهضة علميّة.

ويقول الدكتور عمر فروخ:

"وفي الرابعة من عمره ١٢٨٩هـ / ١٨٧٣م دخل "أحمد" مكتب الشيخ صالح، ثم انتقل إلى "المبتديان" أي المدرسة الابتدائية، ثم إلى المدرسة التجهيزية، وفي عام ١٨٨٣ م أدخله أبوه مدرسة الحقوق، ولكن لما انشأت الحكومة قسماً للترجمة في مدرسة الحقوق نفسها انتقل "أحمد" إليه ومكث عامين في قسم الترجمة ونال الشهادة النهائية عام ١٨٨٦م".(١)

ويقول الدكتور شوقي ضيف في هذا الصدد:

"واختلف شوقي منذ الرابعة إلى مكتب الشيخ صالح، ثم انتقل منه إلى مدرسة المبتديان، فالتجهيزية، وفي هذه المدرسة أظهر تفوقاً ونبوغاً، فمنح المجانية مكافأة له، وتخرج فيها وعمره خمس عشرة سنة". (٢)

ومن غير شك كان يختلط أثناء ذلك ببعض العناصر الديمقراطية من الشعب ولكن اختلاطه كان محدوداً، اذ كان لا يلبث أن يعود الى بيئة الأرستقراطية، فتضعف إحساسه الديمقراطية المكتسبة، ويرجع إلى أرستقراطية الأصيلة.

ويقول شوقي بنفسه عن دراسته في مقدمة ديوانه "الشوقيات":

"ودخلت في مكتب الشيخ صالح، وأنا في الرابعة وهي من أهلي جناية على وجداني أغفرها لهم ثم انتقلت منها إلى المبتديان فالتجهيزية فكنت التمليذ الثاني لهذه المدرسة وأنا في الخامسة عشـــــرة وكان ناظرها المرحوم صادق باشا شنن قد حصل لي من النظارة على "المجانية" بوجه

١ـ عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي، ص ٥ـ٦.
انظر أيضاً: أحمد الحوفي، الدكتور: أضواء على الأدب الحديث. الطبعة الأولى، القاهرة: دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل. ١٩٨١م ص٨٩ـ٩٠. انظر:شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر- ص١١٠ـ١١١ . انظر: الزيات،أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ص ٣٦٩.

٢ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١١ـ١٢.

الاستثناء لا عن حاجة إليها ولكن على سبيل المكأفاة ثم رأى لي أبي أن أدرس القوانين والشرائع، فدخلت مدرسة الحقوق وكان ناظرها المأسوف عليه فيدال باشا لايراني أهلا لذلك بالسن فما زال أستاذي وصديقي المهذب يحيٰ بك إبراهيم وكيل المدرسة يؤمئذ يؤيدني عند رئيسه إلى أن قبلت ثم لم يكفه ذلك حتى حصل لي من النظارة على مائتي قرش في الشهر فدرست الحقوق سنتين، ثم ارتأت الحكومة أن ينشأ بمدرسة الحقوق قسم للترجمة يتخرج فيه المترجمون الاكفاء فنصح لي الوكيل أن أدخل هذا القسم ففعلت، وأقمت به سنتين، ثم منحتني نظارة المعارف الشهادة النهائية في فن الترجمة". (١)

ويكتب عبد اللطيف في كتابه عن تحصيل علمه في هذه الألفاظ:

"تلقى شوقي دروسه الابتدائيه في كتّاب، أي في مدرسة قرآنية لاتعرف شيئاً من أصول التربية الحديثة، وانتقل منها إلى ما كان يسمى "المبتديان" ومن المبتديان إلى التجهيزية، حتى إذا بلغ السادسة عشرة من سنيه، التحق بكلية الحقوق، وأنشئ في هذه الكلية، بعد عامين من التحاقه بها، فرع للترجمة دخله، وخرج منه بشهادة نهائية في الترجمة".(٢)

ويظهر من العلوم أن منهجين للتعليم كانا معروفين في مصر آنذاك:

التعليم الديني الشرقي في الأزهر، وكان خاصا بالتراث الإسلامي وكان يتأثر بالقرون الوسطىٰ، والعلوم المدرَّسة فيها هي لغة وطب وفلسفة وغيرها، ولكن بصورة شاحبة ضئيلة.

والتعليم المدني الغربي، وهو تعليم أساسه على منهاج أوربا وقد بدأ تعليمه في عصر محمد علي، ولكن انقطع تعليمه في عهد سعيد وعباس ثم عاد إلى نشاطه الأول في عهد إسماعيل وبرزت مهاراته وقدراته بسبب تعليمه المغربي.

وحينما أتم تعليمه الثانوي ألحقه أبوه بمدرسة الحقوق، ليدرس القانون، وبعد مدة يسيرة لحق الخديوي توفيق، بعد أن تولىٰ خديوي توفيق الرئاسة صار شوقي ساعده الأيمن، وترك أثرا على خديوي توفيق أثراً كثيراً بمواهبه العلمية وبذكائه، فقد فاز بحصول مكان عال في أيدي الخديوي التوفيق.

وأن الشعراء يتفاضلون بقـــوة الشاعرية، وحسن اختيار اللفظ ودقة المعاني، وقد كان الخديوي توفيق معجباً به وبشعره، وكان يريد خديوي منه أن يزداد استعداده الشعري وأن يروي

١ـ أحمد شوقي: الشوقيات، ص ١٦ـ١٧.وانظر أيضاً: طه وادى، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، ص ١٦٨.

ـ وانظر ايضاً: شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصرفي مصر، ص ١١٠.

٢ـ شراره، عبداللطيف: شعراؤنا شوقي، ص ٢٠.

نفسه ببحر العلم ومناهلها، فدفع كل تكاليفه العلمية وحثه على تحصيل العلم بدون أي تفكير عن معاشه وما أقنطه في أمنيته.

فأرسله الخديوي إلى فرنسا للدراسة العلياء بعد تخرجه من مصر.

سفره إلى فرنسا

وسافر شوقي في عام ١٨٨٧م إلى فرنسا على نفقة الخديوي لدراسة الحقوق، مع أنه لم يكن كثير الميل إلى الحقوق.

وكتب الخديوي إلى مدير البعثة المصرية في فرنسا لاستقباله على وصوله، وأخبره المدير أن الخديوي أمر له أن يقضي عامين في مونبليه وفي باريس عامين آخرين.

والتحق شوقي بمدرسة الحقوق في مونبليه، ولمّا انقضت السنة الأولىٰ حاول أن يعود إلى مصر لزيارة أهله، فمنعه الخديوي، حتى لا يضيع من سنواته الأربع وكثرت له الدعوات من رفقائه الفرنسيين في المدرسة خلال اقامته، فلبى دعواتهم وتصفح معالم الحضارة الغربية.

ولم يكن تنتهي السنة الثانية حتى أرسل إليه مدير البعثة في باريس مع الطلبة في رحلة إنجلترا ليقضي أكثر أيام العطلة بها، وأن الخديوي كتب إليه أن يصطحبه، فسافر إلى باريس، فسافروا جميعاً إلى إنجلترا حيث قضوا شهراً متفرجين في لندن وغيرها من المدن.

حصوله على شهادة الحقوق

وفي السنة الثالثة في باريس أصيب بمرض شديد، ولمّا تماثل للشفاء، تشاورله الأطباء أن يقضي بعض أيام في الأفريقة، فاختار الجزائر ومكث فيها أربعين يوما، ثم عاد إلى باريس ليستأنف دراسة الحقوق، فقد استطاع على حصول إجازته النهائية في آخر السنة الثالثة، وظلّ هناك ستة شهور، ثم رجع إلى فرنسا ونال شهادة في الحقوق سنة ١٨٩١م، ثم عاد الى مصر.

ويقول عباس حسن في هذا الصدد:

> "وأنه تلقى العلوم المختلفة في مصر والخارج، وأتاحت له رحلاته العلمية وغير العلمية أن يشاهد كثيراً من البلدان الإفريقية والأروبية والآسوية. وأن يطلع على حفالات ومدنيات متباينة وكانت هذه الدراسة في فرنسا أهم حادث في تكوّن شوقي، وبناء شخصيته وتركيز ثقافته، اذ تمكّن على يدها من التنقّل في مختلف البلدان الأوروبية من بعد والاتصال بحياتها الثقافية عن طريق الفرنسية". (١)

وينهي شوقي دراسة المرحلة الثانوية فى سن مبكرة (١٨٨٥م) ثم ينهي دراسة الحقوق والترجمة عن "الفرنسية" (١٨٨٩م)، وبعد إكمال دراسته رجع شوقي إلى مصر ولحق القصر.

١- عباس حسن: المتبني وشوقي، ص٣٧-٤٠.

ويقول عمر فروخ:

"ولـمّـا رجع إلى مصر عين رئيسا للقلم الأفرنجي في ديوان عباس حلمي الثاني، وقد ظـل فـي هذا المنصب حتىٰ نشوب الحرب العالمية. وقبل انصرام القرن التاسع عشر توفي علي، والد شوقي فى سنة ١٨٩٥م"ـ (١)

خدماته العلمية والأدبية

وانـعـقـد مـؤتـمـر الـمستشـرقـيـن فـي جـنيف عام ١٨٩٤م فأوفده الخديوي إليه مندوباً عن الـحـكومة المصرية، وهناك ألقى قصيدته الملحمية الشهيرة التي لخص بها "تاريخ وادي النيل" والتي تـوجـد فـي ديـوانه (الجزء الأول) من الشوقيات (طبع ١٩٥٣م) وكان استحسن في معظم الأوساط والأقطار الأدبية.

وولـى ريـاسة الـقـلم الأفرنجي بمعية الخديوي عباس حلمي باشا الذي كان كثيرا لرعاية له، وبقـي فـي ذلك الـمـنـصـب إلـى أن شبـت نيـران الحرب العظمىٰ (٢) وخاضت التركي غمارها مع الأوطـان، وكـان الـخـديـوي لايـزال مقيماً في الآستانة وصار أكثر غضبا بالإنكليز فقصد الإنكليز أن يـحرموه من منصبه وأن يولوا عمه (الأميرحسين كامل باشا) سلطنة مصر، فأبى كثير من الموظفين أن يـعـمـلـوا عـلى مناصبهم وفاء لمولاهم المخلوع۔ وكان شوقي أحد هم فأجبرعلى أن يغادر مصر في الفور فاختار الأندلس۔ وظل بها إلى آخر سنة ١٩١٩م، فمنحواله بالعودة، فوصل أول سنة ١٩٣٠م.

وعـاد إلـى وطـنـه والـحـركة الاستـقـلاليّة التي كان يقودها سعد زغلول في ذروة ازدها رها، ومـعـركة الـمـصريين مع الإنكليز المحتلّين في زروة احتدامها، فتحوّل شعره إلى المناسبات السياسية والاجتـمـاعية المختلفة، المتنوعة، المتعددة وأخذ ولاء ه للقصر يتحوّل شيئاً فشيئاً إلى الجمهور، إلى الشعب، إلى الحركة الوطنية الاستقلالية، وجماهير العربية في مختلف الأقطار والبلدان تجد فيه شاعر قـضـايـاهم، حتى إذا حل عام ١٩٢٧م وطبعت طبعة ثانية "الشوقيات" وانعقد حفل تكريم توافد عليه شـعـراء الـعربية وأعلام ثقافتها من مختلف الديار، وأعلن فيه الحافظ إبراهيم بإمارته في الشعر وبأصالة نفسه ونيابته عن "وفود الشرق" وأنشد بيته الشهير:

"أمـيـر الـقـوافـي قـدأتيـت مـبـايعـاً وهذى وفود الشرق قد بايعت معى" (٣)

مـا مـضـت خمس سنوات على مجده إلا خمس سنوات وانصرف خلالها إلى الحياة الأدبية بـجـدّ خـال مـن السياسة ووظائفها ، وتوجهه إلى النوع الأدبي الذي افتقده العرب في تاريخهم لدى

١ـ عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي۔ ص ٦،٥ وأنظر أيضاً: الزيات: تاريخ الأدب العربي ، ص ٣٦٩ـ

٢ـ في أغسطس سنة ١٩١٤م وظلت إلى نوفمبر سنة ١٩١٨م۔

٣ـ ديوان حافظ إبراهيم: ٩٦/١ـ (وانظر أيضاً: شراره، عبداللطيف: شعراؤنا شوقي۔ ص ٢٠ـ٢٤.

احتكاكهم بالثقافة الغربية، وهو الشعر التمثيلى، فأخذ في وضع المسرحيات يحاكي بها ما عرفه لدى شعراء فرنسا من أمثال "راسين وكورني" وأخرج "مصرع كليو بطره" و "قمبيز" و "مجنون ليلى" و "عنتره" كما أخرج مسرحية نثرية "أميرة الأندلس" وظل طول حياته ينشد الشعر ويقف على خط واحد مع "امرؤ القيس" (١) و"المتنبي" (٢) و"أبي فراس" (٣) و "المعرى"(٤)

العوامل التي كونت شخصية أحمد شوقي كشاعر وأديب

وكان شوقي رجلا ذكيا منذ طفولته، ولكن لا يمكن لنا ان نغض البصر من العوامل التي كونت شخصيته كشاعر وأديب.

وكان في أثناء دراسته للحقوق يتلقى نوعا آخر من الدراسة الأدبية، فقد قرأ على شيخ حسين المرصفي وأستاذ البارودي أيضاً، وقرأ عليهم كتاب "الكشكول" لبهاء الدين العاملي وشعر البهاء زهير، كذلك اتصل شوقي في هذه المرحلة بالشيخ حنفي ناصف وقرأ عليه سنتين.

وعلى نهاية دراسته الحقوقية صار نابغاً في الأدب أيضاً وعلم المصريون عن ولادة شاعر جديد بمصر. وينبغي لنا أن نذكر العوامل التي بها وصل شوقي إلى مكانة أدبية ومرتبة اجتماعية.

العامل الأول

ويقول د. طه وادى:

"وكان من حسن حظه أنه تتلمذ على حسين المرصيفي، ثم حنفي ناصف وعبد الكريم سلمان ومعاصريه البارودي وغيره من شعراء البعث، وكل هؤلاء جعلوه يعمق صلته بالتراث القديم حفظاً ودراسة".(٥)

ويظهر من مقدمة الجزء الأول من الشوقيات وديوانه ما أخذ من أساتذته من القرأة والتأثر وما أخذ من شعراء العربية، أنه استوعب كل من سبقه بصفة عامة، وخاصة تأثر من المتنبي والبحتري، حاول أن يتبع مسارهم الفني في قصا ئدهم الشهيرة وعلى الرغم ما لقي شوقي بالحضارة والأدب الأوربيين في فرنسا- أثناء البعثة الدراسية من أسبانيا- أثناء النفى إلا أنه ظل يستمد من "عروبة الفن" ماهية الشعر وأداته.

١- (امرؤ القيس: ت ٥٦٠م)

٢- المتنبي: ٣٠٣هـ-٣٥٤هـ.

٣- أبي فراس: ٣٢٠هـ- ٣٥٧هـ.

٤- المعري: ٣٥٣هـ ٤٤٩هـ.

٥- طه وادى، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي-ص١٢ . وانظر: طه حسين: من حديث الشعر والنثر. مصر: دارالمعارف، ١٩٥٧م.

العامل الثاني

والذي وعاه شوقي، منذ وقت مبكر، أنه أعد نفسه ليكون كما قال عن نفسه:

شـــاعـــر الـعـزيــز ومـــا　　بـــالـقـلـيـل ذا الـلـقـب

ولـذلك لم ينشر في بدء حياته الشعر إلا في مدح الخديوي، بل كان يصُّر أحيانا على أن يقدم لـه مـدحتـه يـدا بيـد، ولـعـل السبـب فـي هـذا أنه ارتبط أسرته بالقصر، وفهمه التقليدي لوظيفة الشعر مـاتـأثـرمـن نـفيه وتشريده، ولكن يبد و أن السبب الأهـم هو أن فهمه التقليدي لما هية الشعر ووظيفته جعله يطمئن على وظيفة الشاعر "المادح" وقد حاول أن يعتذرون عن هذا الفهم في تقديم ديوانه. فيقول:

"إنـي قـرعـت باب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلم اليوم، ولا أجد غير دواوين لـلـموتى لا مظهر للشعر فيها، وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء، والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحاً في مقام عال".(١)

ولـكـن بـعثـه الخديوي إلى فرنسا لدرس الحقوق أوائل سنة ١٨٩١م، حيث قضىٰ سنتين في باريس وسنة في مونبلييه.

ويقول شوقي عن هاتين السنتين:

و"طـلـبـت العلم في أوربا فوجدت فيها نور السبيل من أول يوم وعلمت أني مسؤول عن تلك الهبة التـي يـؤتيهـا الـلّٰه ولا يؤتيها سواه، وأني لا أؤدي شكرها حتى أشاطر الناس خيراتها التي لا تحد ولا تـنـفد وإذ كنت أعتقد أن الأوهام اذا تمكنت من أمة كانت لباغي أبادتها كالأفعوان، لا يطاق لقاء ه ويـؤخـذ مـن خلف بأطراف البنان جعلت أبعث بقصائد المديح من أوربا مملوء ة من جديد المعاني وحديث الأساليب بقدر الإمكان إلى أن رفعت إلى الخديوي السابق قصيدتي التي أقول في مطلعها:

"خـدعـوهـا بـقـولـهـم حسـنـاء　　والـغـوانـي يـغـرهـن الثـنـاء" (٢)

وكـان هـدف تـوفيـق مـن هذه البعثة أن يصقل موهبته لكي يكون شاعره "الخاص" المسبح بحمده والمتحدث باسمه، لذلك يطلب منه في إحدى رسائله إليه:

"ويـجـب أن لا تشغلك دروس الحقوق التي يمكنك تحصيلها وأنت في بيتك بمصر عـن التـمتـع مـن معالم المدينة القائمة أمامك وأن تأتينا من مدينة النور (باريز) بقبس تستضيئ به الآداب العربية".(٣)

١ـ　نظم أحمد شوقي: الشوقيات، ٧/١. (وانظر أيضاً: أحمد شوقي، أحمد زكى، أبو شادى: أعلام الشعر العربي الحديث،ص٤٣.

٢ـ　نظم أحمد شوقي : الشوقيات، ٧/١.

٣ـ　نفس المرجع،ص٨.

وأثناء إقامته في باريس تمتع شوقي بالمذاهب الأدبية والفنية المختلفة، فكانت هناك الواقعية والرمزية وبقايا الروما نسية، وإلى جوارها كانت الكلاسيكية لا تزال حية كما لاتزال حتى يومنا هذا وخاصة في الأدب المسرحي، ولما كانت المسرحيات التي تعرض الروائع الكلاسيكية هي التي تختضها الدولة، وذاع صيتها في العالم أجمع، فالظاهر أنها هي التي جذبت أحمد شوقي أكث مما جذبته المسرحيات الأخرىٰ، خاصة، وأن المسرحيات الكلا سيكية التي مسرحيات شعرية كلها على أن شوقي- فيما يبدو- كان يقف الأدب ومذاهبه موقف الهاوي المتذوق، يتأثر بشعراء أو محاسن فنهم، وليس بسمات محدودة لمذهب بعينه،وقد صرح منذ وقت مبكر بإعجابه بثلاثة شعراء فرنسيين على اختلاف اتجاهاتهم وهم: فيكتور هوجو (١)، لافونتين (٢) لامرتين (٣)، ولو كان من هؤلاء الشعراء الذين "كان يغنى فيهم" وننتهي إلى أن تأثر شوقي بالآداب الغربية لم يكن منظما بحيث يبدو واضح المعالم في أدبه بصفة عامة، باستثناء شكسبير (٤) الذي تتبعه بدقة في مسرحيته عن كليوباتره.

وهذه هي العوامل البارزة التي كونت شخصيته أحمد شوقي وهذه هي آثار تربيته التي تخرج فيها، واشتهر كشاعر عظيم.

الفترة الثانية في حياته الأدبية

تبدأ الفترة الثانية في حياته الأدبية بعد العودة إلى مصر من أسبانيا ، فاختلط شوقي بالشعب وأخذ ينشد نشيد الوطنية، وزين شعره بذكر أمجاد العرب والمسلمين وأدخل التدين فيه، ثم عالج الشعر التمثيلي فنظم رواياته المعروفة:

"مصرع كليو باتره" و "مجنون ليلىٰ" و "قمبيز" و "على بك الكبير" و "عنترة" و "الست هدى"

الآن نلقي نظرة واحدة على مسرحياته التاريخية.

مسرحياته التاريخية

أعجب شوقي بالمسرحيات المؤلفة في عصره وكتب شوقي سبع مسرحيات، منها ست مآس وواحدة ملهاة.

١- فيكتور هوجو (١٨٠٢م-١٨٨٥م)الشاعر الفرنسي هو الذي اشتهر بشعره الرومانتيكي وكانت تصنيفه " Les Miserables" التي ترجمه حافظ إبراهيم باسم "البوسار" طبع المرة الأولىٰ من مصر في سنة ١٩٠٣م) .

٢- لافونتين Lafantaine (١٦٢١م-١٦٩٥م).

٣- لامرتين Lamartaine (١٧٩٠م -١٨٦٩م) الشاعر المعروف بالرومانسيه بفرانس.

٤- شكسبير (١٥٦٤م- ١٦١٦م)، الكاتب المسرحي المعروف في لغة الإنكليز.

وثلاث مآس منها كتب لغرس العاطفة الوطنية في المصريين وهي:

"مصرع كليو باتره"، و"قمبيز" و"على بك الكبير".

وثلاثا أخرىٰ تسترضى العواطف العربية والإسلامية وهي:

"مجنون ليلىٰ"، و"عنترة"، و"أميرة الأندلس".

أما الملهاة فتقوم على موضوع مصري شعبي.

لا نستطيع أن ننكر أنه درس المأساة الغربية وحاول أن يثبت قدرته على محاكاتها وتقليدها، درس شوقي المسرح الأوربي واختار لنفسه منه أصولاً وقواعداً كما حقه وهو شاعر فنان، وقد خالف بعض الحقائق التاريخية في غير مسرحية عامدًا كما خالف بعض العادات العربية فى "مجنون ليلىٰ" و "عنترة" وإنما فاخر بذلك لأنه أراد أن يمتلك عواطف الجمهور المصري، ثم كتب كليو باتره لا مثيل لـه في التاريخ، وسار شوقي على منهج الشعراء الذين ألفوا المسرحيات في الغرب، ولا شك أنه استفاد من المنهج المغربي في كتابة المسرحيات.

أما مصرع كليو باتره فتد ورحول الحوادث البطالية في آخر أيامه البطالسة، وأما "قمبيز"، فترجع حوادثها إلى عصر أعمق هو القرن السادس قبل الميلاد حين غزا قمبيز مصر وضمّتها إلى ممتلكاته، وأما "على بك الكبير"، يتعلق بأحوال العصر العثماني في القرن الثامن عشر.

والآن نبيّن مسر حياته واحداً واحداً.

(i) مصرع كليو باتره

ومصرع كليو باتره هي أولى مسرحيات شوقي، وقد حاول بها أن يعارض شكسبير في مسرحية المشهورة:

"أنطوني و كليو باتره"

والمأساة الموزّعة على أربعة فصول:

الفصل الأول فيها يبدأ المنظر في مكتبة قصر كليو باتره، حيث نجد ثلاثة من مؤظفين فيها وهم حابى وديون ولسياس، وكانوا ثلاثة هم المصريين، يصورّ التاريخ على لسان بلوتا رخوس كليوباتره في صورة حيّة رقطاء، بهيمة الذات والشهوات تدفع جسدها رخيصاً إلى كل صاحب مجد أو شرف رفيع، ورأى شوقي المصري ذلك، فأراد أن يبرّز في مسرحيته بعض مواقف المملكة المصرية، واضطرّ إلى التحريف في بعض الحوادث حتى يصل إلى غايته، وهذا التحريف في حوادث التاريخ من حقه ما دام يبتغي غاية وطنية بمسرحيته، وليست المسرحيات مصدراًمن مصادر التاريخ، بل هي قصص يأخذ من التاريخ ويحرفّ فيه حسب ما يريد الشاعر، قدألف شوقي هذه المسرحية بعد

الحرب الكبرىٰ، فكان طبعيياً أن يفكر في هذه المملكة المصرية، وأن لا يقدمها للجماهير مثلاً سيئاً لتضيع حقوق العباد، بل لتضيع البلاء نفسها، وإنما يقدمها وطنية محبة للوطن المصري تحي له ولعرشه، ولذلك فهو يجري على لسانه:

أموت كما عييت لعرش مصر　　　وأبذل دونه عرش الجمال

ثم يقول:

قلت روما تصدعت فترى شط　　　رأمن القوم في عداوة شطر
بطلاها تقاسما الفلك والجيـ　　　ش وشيا الوعني ببحر وبر
مؤقف يعجب العلا كنت فيه　　　بنت مصر وكنت ملكة مصر" (١)

ولا شك أن هذه المسرحية لشوقي كلها مسرحيّة تاريخية، وقد حاول أن يبرّز حوادث تاريخية فيها محاولة رائعة كما يعارض بها شكسبير بمسرحيّته "أنطوني وكليو باتره" ويصوّر شوقي فيها تاريخ مصر.

(ii) قمبيز

وألف شوقي هذه المأساة المصرية بعد المأساة السابقة بنحو عامين، وقد دارت حوادثها أيضا في تاريخ مصر القديم، يبين في هذه المأساة أسطورة قديمة، تزعم أن قمبيز طلب من أمازيس فرعون مصر أن يبنى بابنته، وأجابه فرعون إلى طلبه، ولكنه لم يرسل بابنته إلى البلد الغريب، وإنما أرسل بابنة فرعون السابق له الذي قتله واستولى على العرش من بعده، وتصبح ابنة فرعون السابق زوجة لقمبيز دون أن تنبئه بجلية الأمر، ولكن سرعان ما تنكشف الحقيقة إذ يفرّ من جيش أما زيس، وكان أكثره من الإغريق، ضابط إغريقي يدعى فانيس، ويولي وجهه نحو قمبيز وبلاطه، حيث يطلعه على حقيقة ما صنعه به فرعون مصر ويغويه على فتح بلاده، ويهوّن له من جيشها، فيكون الغزو الفارسي وتصبح مصر مستعمرة فارسية۔

والمأساة مؤلفة من ثلاثة فصول:

يبدأ الفصل الأول بمنظر في غرفة قريبة من غرفة أمازيس، حيث نرى فتاته نفريت تغازل حارسه تاسو، وكان من قبل حارسًا لفرعون المقتول وكان يغازل بنته نيتتاس وتعلق قلبها به على نحو ما تعلق به الآن قلب نفريت بنت آمازيس، ونرى نفريت تشكو لتاسو حظها وما جرى به القضاء۔

نشاهد في المنظر الثاني، وفد الفرس ينتظر ردّ أمازيس، ويتحاور أعضاؤه فيما رأوا بمصر ومن المصريين، وتجرى على ألسنتهم مدائح قوية عن شجاعتهم وعزتهم وفنّهم، كأن يقول أحدهم:

"لهم مثل ما للأسد بالجنس عزة　　　ضواري الفلا عند الأسود كلاب

١ـ　شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص ١٩١ـ ١٩٢.

هم الشعب والناس الجنادل والحصى وتبـر الثـري والـعـالـمون تراب

وكـل الـذي صـاغـوا من الفن آية وكـل الذي قالوا هدىً وصواب" (١)

ومـا يـزالـون يـكيـلون المديح لمصر، غير أنهـم يلاحظون قلة الجند فيها، كأنما هي ملك بلا حائط ولا عمد، وانهم يظنون أن عاصف بلادهم يمرعليها عاجلا أو آجلا فلا يبقى ولا يذر.

ونـنتـقل إلى المنظر الثالث لهذا الفصل، حيث يقيم فرعون للوفد الفارسي وليمة فاخرة مدّت عـليها ألوان الطعام والخمورالمختلفة، ويستعرض شوقي أثناء الوليمة بعض جوانب العادات و الحياة الـمـصرية، وفـي ضـحة الوليمة يتحدث بعض المصريين ساخطين على الجنود المرتزقة، وخاصة من الإغريق، وان أحدهم ليقول لصاحبه منا:

"تأمل القصر منا وانظره أرضا وسماء انـظر ترا لاغريق فيه هم لفيف العظماء" (٢)

وشـوقـي في قمبيز كان ممثلاً ولـم يكن مغنياً وقد كثرت بها الحوادث والأشخاص، فضعف فنه الشعري، ولـم نعد نجد صوراً رائعة على نحو ما وجدنا في مصرع كليو باتره.

(iii) على بكـ الكبير

وألف شـوقـي بـعـدمـأســاة "قمبيز" مأساة الثالثة "على بلك الكبير" وفي هذه المرة لا يختار مـأساته من التاريخ المصري القديم، بل يختاره من التاريخ المصري الوسيط. إذ اختار موضوعها كما يـبـدو مـن عـنوانها "على بلك الكبير" الذي أصبح رأس المماليك وزعيمهم أواخر الحكم العثماني في الـقـرن الـثـامـن عشـر، فعينّه العثمانيون شيخاً على البلد، وظيفة كانوا يقلدونها كبير المماليك، وكان طموحاً، ورأى ضعف الدولة العثمانية، فاستقل بمصر وحاول أن يمدّ سلطانه على الشام، فأرسل أحد أتبـاعـه فـي جيـش وهـو مـحمد بلك أبو الذهـب، ليتّم له ملك الشام كما تمّ له ملك مصر، وكان والي عـكـافـي الشـام يـظاهره، وانتصر محمد بلك أبو الذهب ، وفتحت الشام ولكن سرعان ما انقلب على سيـده، واذ أغـراه الـعثمانيون بملك مصر، فأحب أن تجري أنهارها من تحت سلطانه، وعاد في سرعة إلـى مـصر ولجأ على بلك إلى والى عكاظهيره، غير أن أبا الذهب لـم يلبث أن دسّ عليه عيونه، فأسر في أثناء محاولته الرجوع إلى مصر وتوفّى بعد أيام.

ويقول دكتور شوقي ضيف عن هذه المسرحية:

"ومسـرحية شوقي تتناول الحقبة الأخيرة من حياة البطل وما كان فيها من صراع بينه وبيـن تـابـعـه، وهـي تتـألف مـن ثلاثة فصول وجيّدة من حيث تصميمها ومن حيث تـداخل نوع الصراع الذين امتّد فيها، فقد استمر متشابكين ومتصلين اتصا لا منطقيّا

١ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ،ص ٢١٩.

٢ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص٢٣٢ـ

واتصلت الحركة أيضا. وواضح أنها مسرحية تاريخية وقد اختارلها شوقي الحقبة الحظيرة من حياة على بك الكبير، ولم يوزّعها على حوادث مختلفة وأشخاص كثيرين، بل ركزها في حدود ضيّقة فلم يمدأ طنابها إلى حقائق العصر كله، بل اكتفى ببعض هذه الحقائق وأختار شوقي أياما سوداء في تاريخ مصر لتمثيلاته القومية الثلاث، ومع ذلك لم يصور الشعب واحساسه الباطني بالظلم، صور مظالم المماليك حقا، ولكنه لم يصور أحساس الشعب العميق بوجود آلام والشرور في العالم وإيمانه بتغلب الشرّعلى الخير".(١)

مآس عامة

وألف شوقي ثلاث مآس عربية هي "مجنون ليلىٰ" وعنترة" و"أميرة الأندلس" المأساتان الأوليان نظمها شعراً أما الثالثة فكتبها نثراً.

(i) مجنون ليلى

هي أولى المأسى العربية كتبها شوقي، ولا شك في أن هذه المسرحية خير مسرحياته استعداداً للغناء والموسيقى، ولو أن لنا موسيقى عربية كالموسيقى الغربية تحتمل التمثيل الغنائي وتضطلع به فكانت هذه المسرحية أروع وأبدع ما يقدم لتلك الموسيقى، وواضح أن البناء المسرحي لهذه القصة أحكم وأضبط إلى أبعد حدود الأحكام والضبط، فالصراع يبدأ بالأحداث والأقوال تنمو به وتنهض وما تزال فقد صوّر الشخصيات أبدع تصوير، إما بأقوالها أو بالأقوال التي تجري على لسان غيرها.

ويقول دكتور شوقي ضيف:

"ولم يبين شوقي مسرحيته من مواد خيالية، وإنما بناها من الأساطير العربية التي ألفت في القرنين الثاني والثالث عن الحب العذري الذي شاع في باديه نجد بين بنى عامر وغيرهم من الأحياء والقبائل في أثناء العصر الأموي".(٢)

(ii) عنترة

والمأساة العربية الأخرىٰ التي ألف شوقي هي "عنترة" باحثا عن موضوع عربي جديد لمأساة تكون عمادها، كما في "مجنون ليلىٰ" الحب والصراع بينه وبين العادات العربية، ولم تخرج هذه المأساة في حياة شوقي، إنما خرجت بعد وفاته بنحو شهر، ومحورها عنترة البطل العربي الذي اشتهر

١ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ص ٢٤٠ـ٢٤٥ـ

٢ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ـ ص٢٤٦، ٢٦٢. انظر: سيد قطب: كتب وشخصيات، ص١٣٩ـ١٤٤. انظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار العلم للملايين، بدون التاريخ.

في العصر الجاهلي، وكان ابناً لجارية حبشية لسيد من سادات عبس يسمّى شداداً، وكان من عادات العرب حينئذ أن لا ينسبوا إليهم أبناء هم من الجواري الأجنبيات وأن يجعلوهم عبيداً لهم، هكذا كان أبو عنترة، هو يأبى أن يقبل عنتره كابنه. المسرحية تشتمل على أربعة فصول.

ويقول شوقي ضيف عن هذه المسرحية:

"ويسرد شوقي فيها العنصر الفكاهي واستطاع أن يستخدمه في رشاقة".(١)

(iii) أميرة الأندلس

وكتب شوقي مأساة عنترة نظماً ولكن تحول إلى كتابه نثرا وكتب مأساةأميرة الأندلس نثراً وليس بنظم، وأتم شوقي تأليف هذه المسرحية في الحقبة الأخيرة من حياته ويقال إنها بدأت في منفاه بالأندلس، وموضوعها هي العرب في تاريخ الأندلس، واختار معتمد بن عباد بطلاً لمسرحيته، وحياة المعتمد من خير الموضوعات الأندلسية الصالحة فهو في المسرحية مثال العربي الكريم الذي يغار لكرامته، وعرض شوقي في مسرحيته مواقف للغناء والرقص، ولكن غابت الأناشيد المطربة، ولم تظفر المسرحية منه بأنشوده واحدة، فظهرت عيوبه في المسرحية واضحة، وظهر أنه ليس لديه نظرات بعينها متناسقة في الحياة، إنما هي آراء يغلب عليها أن تكون حكماً منثورة، ولا تأخذ شكل تأملات وخبرات أو تجارب عميقه- وألف شوقي هذه المسرحية في خمسة فصول وينقسم كل فصل على مناظر.

ويقول شوقي ضيف في هذا الصدد:

"وإنما أطلنا في تلخيص فصولها ليطلع القارئ على التفكك الذي يتناول بعض مواقفها، رأينا أن محاولة شوقي أن يداخل بين صراعين في هذه المسرحية وتتضح أيضا معرفة شوقي بالأندلس في مختلف الجوانب من المسرحية، لا يستطيع شوقي أن يحدث حياة في عمله بدونه، وهنا في هذه المسرحية يحسن إلى حد بعيد الخيط الذي تمتدّ عليه الحوادث والأقوال والأفعال، ولم يكن شوقي من أهل الصبغة الفكرية، بل كان من أهل الصبغة العاطفية التي توقع شعراً وألحانا لا كلمات وألفاظا".(٢)

الملهاة

وألف شوقي الملهاة الواحدة، سماها "الست هدى" في أواخر أيام حياته، نجحت هذه الملهاة ولكن لم تلق نجاحاً غيرها من مأساته العربية، لسبب أنه تخلّص من بعض العيوب التي

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ص٢٦٢-٢٧٥-

٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص٢٧٥-٢٨٨.

لاحظناها في مسرحياته السابقة، فهذه الملهاة سريع الحوار والحركة، يبدوا كأن شوقي تنبّه إلى ضرورة الإعجاز والتركيز في العمل المسرحي.

ويقول شوقي ضيف:

"وقد سلّطت أشعة كثيرة على بطلة الملهاة ويبين شخصية كاملة للمرأة الثرية التي يطمع فيها الرجال، فلا يموت أحد أزواجها أو يطلقها حتىٰ تستقبل زوجا جديدا، وقد أعطانا هيئتها وشبابها ودوافعها وعواطفها وانفعالاتها، وجسّمها تجسيماً أتاح لها حياة حقيقية، فلا نقرأ الملهاة حتى نشعر أننا تصرّفنا على شخصية طريفة في مسرحنا الحديث ".(١)

ولا نبالغ إذ نقول أن هذه المسرحية هي تحفة ثمينة بين مسرحيات شوقي السبع.

قصائده في مناسبات أخرى

ومن يتصفح الشوقيات يمكن له أن يلاحظ في وضوح أن شوقي لم يترك مناسبة إلادوّن فيها الشعر، فهو لا يكتفي بالرثاء والمديح لشعراء العرب القدماء، بل يحاول أن ينظم في كل حادثة تتصل بالشرق أم بالغرب، فنجد قصيدة من الجزء الأول في ديوانه بمناسبة تأجيل تتويج ملك إنجلترا ادوارد السابع لإصابة بدمل، والثانية في ذكرىٰ كارنافون مكتشف مقبرة توت عنخ آمون، والثالثة في الاحتفال بأمين الريحاني حين وفد إلى مصر، والرابعة يناشد فيها سعد زغلول ووزير المعارف حينئذ أن يقوم بانشاء في المصرية والخامسة في سبيل الهلال الأحمر والسادسة بمناسبة الإصلاح في الأزهر والسابعة في الاحتفال بأحمد حسين بعد عودته من رحلته في صحراء ليبيا والثامنة في الاحتفال بأنشاء نقابة الصحابة، والتاسعة قيلت في الاحتفال بإنشاء بنك مصر.

ونلاحظ في الجزء الثاني قصيدة بمناسبة قدوم خبيرين من باريس إلى مصر في سنة ١٩١٤م، وقصيدة ثانية عن شكسبير وثالثة بمناسبة كتاب فتح مصر الحديث لحافظ عوض، ورابعة عن مسجد أياصوفيا وخامسة عن غاب بولونيا وسادسة عن المرأة العثمانية وسابعة عن وصف جنيف وضواحيها وثامنه عن ميدان الكونكورد، وتا سعة عن زيارة مصور لمصر، وعاشرة عن معرض الأزهار بباريس إلى غير ذلك من مناسبات.

والجزء الثالث خاص بالرثاء ولكن نشاهد في الجزء الرابع قصيدة في افتتاح إنشاء الجامعة المصرية، وثانية عن الاحتفال بوضع الجزء الأول لمؤسسة بنك مصر، وثالثة عن افتتاح دار للبنك، ورابعة عن افتتاح دار أخرىٰ، وخامسة عن مولد الأمير محمد عبد المنعم وسادسة عن مهداة له، وسابعة عن حريق ميت غمر وثامنة عن خطبة عن لغليوم عاهل ألمانيا أحدثت أزمة دولية، وتاسعة عن

١ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ـ ص٢٨٩ ـ

حفلة افتتاح نادي الموسيقى الشرقي، وعاشرة عن تحية غليوم الثاني لصلاح في القبر، ثم طائفة من الخصوصيات وقصيدة في فؤاد حين زار الجيزة سنة ١٩٣٢م".(١)

فترة المجد في حياة شوقي وفنه

ويعود شوقي إلى مصر في أواخر سنة ١٨٩٣م بعد وفاة الخديوى توفيق ليعمل في معية عباس حلمي الثاني بعد أن أقنع به، ويقتربان بحكم تقارب السن بدرجة تذكرنا بعلاقة المتنبي بسيف الدولة الحمداني (٣٣٧-٣٤٦) وتمتد الفترة من سنة ١٨٩٣م-١٩١٤م وهي سنوات مجد شوقي فناً وأدبا وفيما يلى نذكر مجده بالتفصيل۔

الناحية الاجتماعية

وكان شخصيته مرموقة في بلاط الخديوي وصار من أقرب المقربين إليه يوفده مندوبًا عنه إلى الخارج، ويحضر في ندواته واجتماعاته السياسية باعتباره أحد رجاله، ونتيجة لهذا التقارب كان شوقي فيما يبدو(٢) من سياسة لمصر، وأنه كان مقتنعاً وراضياً، عن سياسة القصر ومدح الخديوي، وتحدّدت صلته برجال الأمة وزعماء السياسية بحسب قربهم أو بعدهم من القصر.

الناحية الفنية

فقد ساهم شوقي، على تجديد وإحياء الشعر وابداعيات حديثة، بمحاولات كثيرة كما وكيفاء فشعره في هذه المرحلة بمثل مرحلة متقدمة من مراحل إحياء الشعر العربي، التي بدأها البارودي۔ حيث أصبحت الجملة الشعرية صحيحاً لغة وأثرى خيالا وأقوى تركيبا وحمّلها طاقة غنائية عذبة، موظفة عناصر التراث القديم ومطوّره لها، وهذه العودة إلى مصادر العروبة هي التي وحدت "الذوق" حول شعر شوقي، وأهلته بالتالي ليكون أمير الشعراء العربي سنة ١٩٢٧. كذلك بعد أثناء هذه الفترة التي بداية للشعر "الوجداني" المعبر عن الذات مثل قصيدته "حديث عن النفس" (١٨٩٥م) وهو يبدؤها بقوله:

"صحوت واستركتني شيمتى الأدب — وبت تنكرني اللذات والطرب

ويذكر فيها بعد ذلك:

أو شكت أتلف أقلامي وتتلفني — وما أتلت بنى مصر الذي طلبوا

همورا وا أن تظل القضب مغمده — فلن تذيب سوى أغمادها القضب" (٣)

وهذه القصائد مع قلتها، في ديوانه، وأهميتها لم يقف عندها كثير ممن نشروا ديوانه، أومن تناولوه بالتحليل والنقد.

١۔ انظر: شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص٢٩٠.

٢۔ نفس المرجع، ص٢٩١.

٣۔ نظم أحمد شوقي: الشوقيات.انظر: طه وادي، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحلي، ص١٩.

ويـكـاد ينفرد شوقي أيضا في هذه المرحلة بما يمكن أن نسميه بالشعر الوطني الذي يستلهم تـاريـخ مـصر منذ الفراعنة مشيداً بحضارتها الخالدة، وتاريخها العريق، تعبيراً عن رغبة مصر في التحرر والاستـقـلال والـقيـام بـدورها الحضاري المؤثر، وشعره في هذا المجال على الرغم من اطاره الغنائي تشع فيه سمة الطابع ""الملحمي" المعبر عن وجدان أمة، من ذلك قوته في قصيدة " كبار الحوادث في وادي النيـل") (١٨٩٦م) ما زال يكتب على هذا النهج ونظم قصائده المشهورة "فرعونيات" وكتب قصائد عن أبي الهول (١) النيل، توت عنخ آمون (٢) وقصرانس الوجود.

وكـذلك كثـر شـعـره الإسـلامـي فـي هذه المرحلة بدرجة وهم فيها بعض الدارسين، محمد حسين هيكل، وغيره ممن أخذوا هذا الرأي عنه:

"أن شـعـره الإسـلامـي يـعبـر عن شخصيته "رجل مؤمن عامر النفس بالإيمان" بينما شـعره في الغزل والخمر واللهو يظهره "رجل مادي" يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها".(٣)

فـاتهـمـوه بـازدواج الشـخـصية، كما ظن آخرون أن شعره في الترك يعكس حنينا الى أصوله التـركية التـي ورثهـا عـن أسرته، ولكن الحقيقة، فيمانرى، أن الشعر الإسلامي والتركي كان تعبيراً عن تيـار سيـاسـي قـائـم اذ ذاك، يـروج لـه الخديوي عباس حلمي ومصطفىٰ كامل زعيم الحزب الوطني، وكـان هـذا التيار يدعي الى فكرة "الجامعة الإسلامية" توحيداً للشعوب الإسلامية تحت ظل الخلافة التـركية، ليـكـون فـي ذلك درء لـلاستـعمار الأوروبي الذي اتسعت حدودها في المنطقة العربية، كما كـان شـعـره الإسـلامـي فـي هذه الفتـرة، بالاضافة إلى ماله من قيم دينية وأخلاقية، وإشادة لا حدلها بشـخصية الرسول، إذ يعد شوقي أكثر مدحاله، تجسيداً لمشاعر الوجدان العربي، انطلاقا نحو النهضة والاتـحـاد، وفـي هـذا بـعـض مـا جـعـل لشـعـره تـأثيـراً قـويا على الشعب العربي حتى اليوم، إذ يمثل شوقي "شاعر النهضة" المتغنى بقيم القومية العربية.

ويقول د، طه وادي:

"وكتب في المنفى المسرحية النثرية الوحيدة "أميرة الأندلس" التي أعاد كتابتها ثانية حيـن سيـطـرت عـلـيـه فـكـرة الكتابة للمسرح في أواخر أيامه، نظم شوقي أيضا في الـمـنفى "أرجوزته" الشعرية المطولة المعروفة باسم "دول العرب وعظماء الإسلام" وهـي ضـرب مـن الشـعـر التعليمي يؤرخ فيه للأمة العربية حتى نهاية العصر الفاطمي

١ـ أبو الهول: تمثال الحجر، يوضع قريب من اهرام جيزة، في مصر، يتشابه وجهه بالإنسان وجسده بالأسد.

٢ـ توت عنخ آمون: الفرعون المعروف في تاريخ مصر.

٣ـ طه وادي، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، ص١١.

وهذا الكتاب، رغم طوله ليست له قيمة فنية كبيرة".(١) وأشار شوقي بحضارة الإسلام وعظمة المسلمين وطالما يفتخر بجهودهم العلمية وبفضلهم على الغرب، كقوله:

حب السيادة في شمائل دينكم — والجدُّ روح منه والاقدام
والعلم من أياته الكبرى إذا — رجعت إلى آياته الأقوام
لو تقرؤن صغاركم تاريخه — عرف البنون المجد كيف يرام" (٢)

كثيراً ما أشاد شوقي بالعلم، وهومتأكد بأن العلم وسيلة الفوز والقوة والسبيل إلى حياة السعادة والسيادة، وأنه ينشد الأمة وحارسها وحاميها الى العلم.

وقال شوقي:

"بالعلم تمتلك الدنيا ونضرتها — ولا نصيب من الدنيا لجهال
والعلم يعتصم الملك الكبير به — كالغاب ما بين أساد وأشبال"

وقال في حفل افتتاح الجامعة القديمة:

"وألق في أرض منف أسَّ جامعة — من نورها تهتدي الدنيا بنبراس
ترك النفوس بلا علم ولا أدب — ترك المريض بلا طب ولا آس" (٣)

ولهذا يتمنى أن يشجع ويرشد الشباب إلى مناهل العلم، وإلى بعث الثقة في نفوسهم لأن على أكتافهم تكون مسئوليات المستقبل، فلهذا يقول:

"هل علمتم أمة في جهلها — ظهرت في المجد حسناء الرداء
فخذوا العلم على أعلامه — واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واطلبوا المجد على الأرض فإن — هي ضاقت فاطلبوه في السماء" (٤)

وعنده لا سبيل إلى المجد والرفعة إلا العلم، لأنه دعامة من دعائم النهضة، ولا قيمة للمال بغير علم، فالعلم هو الذي يثمر لمنفعة الناس، وإن الابتكار في الوسائل لا يمكن إلا بالعلم، وإن كانوا يريدون أن يحصدوا من زراعتهم أكثر من قيل فلا بدلهم أن يحصلوا العلم والصناعة المفيدة ـ وأهل مصر حينئذ كانوا غير مثقفين.

فيقول لهم:

١ـ طه وادي، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي، ص١١ـ١٨.

٢ـ أحمد الحوفي، الدكتور: أضواء على الأدب الحديث، ص٨٩ـ٩٠.

٣ـ نفس المرجع ، ص٩١.

٤ـ نفس المرجع، ص٩٢.

"يـا طـالبا لمعالي الملك مجتهدا　　　خـذها من العلم أوخذها من المال
بـالعلم والمال يبني الناس ملكهم　　　لـم يبن ملك على جهل وإقلالُ

"ورود الدعوة له ولمن بعده كقول:

أعـد بـالـعـلـم سـؤددهـا فـإنـي　　　وجـدت العصر علما واختراعا" (١)

وكان شوقي بنفسه عالماً مثقفاً وعارفاً ولهذا جعل العلم موضوعاً مستقلاً في شعره.وهو يقول:

"الـعـلـم في فضله، أو في مفاخره　　　ركن الممالك، صدر الدولة العالي
إذمشـت أمة فـي العـالـمين بـه　　　أبـى لهـا اللّٰه أن تمشي بأغلال
يـقـلُّ لـلـعـلـم عـنـد العـارفين بـه　　　ماتقدر النفس من حُبٍّ واجلال" (٢)

فيظهر أنه يعرف قيمة العلم ويعرف مكانته، وكان خبيراً بقوة العلم والعلماء، فنرى بهذه الخصائص أنه نال مقام السمو والرفعة واكتسب شهرة دائمة واستمر مقامه هذا في العرب حتى الأن، وما أمكن للشعرا الأخرين أن يحصلوا على هذه المنزلة.

تشابه الشعري بالمتنبي

واتفق العلماء المحدثون في عصرنا أن شوقي هو شاعر عظيم وهو شاعر الشعراء في العصر الجديد وعالج أكثر أصناف الشعر مثل المدح والغزل والرثاء والوصف.

وذكر أحمد حسن الزيات في كتابه عن منزلة شوقي في الشعر:

"ويكاد النقاد يجمعون على أن شوقي كان تعويضاً عاد لاً من عشرة قرون، خلت من تاريخ العرب بعد المتنبي، لم يظهر فيها شاعر موهوب يصل ما انقطع من وحي الشعر ويجدّد ما اندرس من نهج الأدب".(٣)

امتيازه في الشعر

يقول خليل مردم بك:

"وكان شوقي حريصاً على دينه ولغته وفنه، ويذكر كثيراً الأنبياء والخلفاء والكتب المنزّلة والأماكن المقدسة (٤) ويمتاز شوقي بحذاقته طبعه ودقة حسه وسرعة ملاحظته قبل كل شئ ويكمل ذلك فصاحة أسلوبه وروعة بيانه وكرم ديباجته وكثرة الماء في شعره، وذوقه الموسيقى الشعري في ألفاظه وتراكيبه، فهو بذلك قد استكمل أدوات الشاعر الخليقة والكسبية، فهو اذن الشاعر حقاً".(٥)

١ـ　أحمد الحوفي، الدكتور: أضواء على الأدب الحديث،٩٣.
٢ـ　عباس حسن: المتنبي وشوقي، ص٣٥٠.
٣ـ　الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ص٤٨٤.
٤ـ　الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ص٣٧٠.
٥ـ　خليل مردم بك: محاضرات الخليل، ص٩٧ـ٩٨.

الفصل الرابع

منفاه وعودته إلى وطنه

صلة شوقي بالقصر

وقبل أن نتكلم عن منفاه يجب علينا أن نلقى نظرة على هذه الأسباب التي صارت أسباب منفاه، فنجد السبب الخاص، علاقته بالقصر، وكان شوقي رجل القصر وكان وفاؤه كله مختصاً بالقصر، وصلة شوقي بالقصر وثيقة جداً، لأنه ولد بباب القصر ونشأ في ظل القصر وقضىٰ شبابه وكهولته ملتصقاً بالقصر، وحين كان سلطان القصر مطلقاً أو كالمطلق، ثم حين كانت حياة القصر التي تدور مستمـــرة بين الشعب الطامع بالحرية والانكليز المعتدين عليها، فليس غريباً أن يكتسب شوقي في حياته الأدبية والشخصية الاعتبار أوالمنزلة عند الأمير التي تحمي صاحبه وتضمن له الظفر والسلامة معاً ولم لا تكون صلته بالقصر وثيقة، وهو لم يولد بباب إسماعيل فحسب، بل في أحضان الأسـرة المالكة، التي قامت على تعليمه ونشأته في مراحل حياته المختلفة، إذ نراه يلتحق في طفولته بكتاب الشيخ صالح، حيث تعلم مبادئ القراء ة والكتابة ، ثم ينتقل منه الى مدرسة المبتديين الابتدائية في القاهرة ومنها إلى المدرسة التجهيزية أي الثانوية التي ينتهي منها في الخامسة العشرة من عمره ليلتحق بمدرسة الحقوق.

ويقول أحمد عبيد:

"ولما كانت هذه المدرسة العليا قد افتتحت عند ئذقسما خاصاً بالترجمة يتخرج فيه الطلبة بعد عامين، فقد نصحه القصر بأن يلتحق بهذا القسم لكي يعمل بعد انتهائه منه في إدارة الترجمة بهذا القصر، واستجاب أحمد شوقي طبعاً للنصحية وعمل في إدارة الترجمة بالقصر لمدة عام، رأى بعدها الخديوي أن يرسله إلى فرنسا ليدرس القانون بجامعة مونبلييه لمدة عامين، فينتقل بعدها إلى باريس لإكمال دراسته في جامعتها، وليطلع على الآداب الفرنسية ويتصل بالحضارة الفرنسية، وهكذا ظل القصر يتعهده ويطويه تحت جناحه حتى استكمل ثقافته".(١)

ويصبح شوقي شاعر الأمير إلا أن إقامته في فرنسا واتصاله بآدابها الإنسانية الواسعة لم يلبث أن فتح ناظريه على عوالم من الشعر والأدب أرحب بكثير من مدح الأمير وكل شعره حول أميره

١ـ أحمد شوقي، أحمد زكي أبو شادي: أعلام الشهر العربي الحديث. ص ٤١،٤٢، وانظر أيضاً: أحمد عبيد. ذكرى الشاعرين. شاعر النيل وأمير الشعراء. ص٧٠١،٧٠٢ وأيضاً في : طه حسين: حافظ وشوقي. الطبعة الأولى . مصر: مطبعة الاعتماد، ١٩٢٣م، ص١٩٣ـ١٩٤.

وكان وفاءه للقصر يؤكده دوما بقوله:

"أإخوان إسماعيل في أبنائه وقد ولدت بباب إسماعيلا" (١)

وشوقي أرسل من باريس همزيته التي يمدح بها الخديوي.

"خدعوها بقولهم حسناء" ......

فطلب القصر إلى الجريدة الرسمية أن تسقط الغزل وتنشر المدح، وود الشيخ عبد الكريم سلمان، لو أسقط المدح ونشر الغزل، فلم ينشر من القصيدة شيئ، وعرف شوقي أن لا بد من الاحتياط في التجديد".(٢)

ويقول أحمد عبيد في هذا الصدد:

"ويمضي شوقي في هذه الطريق موظفاً في القصر شاعراً للأمير يمدحه كل ما دعا إلى ذلك داعٍ وحين لا يدعو إلى ذلك داعٍ، يتفنن في هذا المدح فيجيد مقدماته غزلاً ووصفاً ولا يجيد في المدح نفسه الا قليلاً".(٣)

أما خصائص شوقي الأساسية أنه لا يشعر نفسه شعوراً كاملا في فنه وكأنه يحس دائماً أنه يعيش لغيره وقد بدأ حياته الفنية بإخضاعها للخديوي، فكان شعره الشخصي لم يكن يفكر فيه لنفسه وإنما كان يفكر فيه لأميره.

وكان توفيق قد توفي وخلفه عباس، إن الخديوي عباسا كان يهمل شوقي بعض الإهمال لاعتقاده، بل لأنهم أدخلوا على نفسه أن أحمد شوقي شاعر فقط وأنه هو رجل سياسي، وليس من شك في أن شوقي أثناء هذه الحقبة من حياته كان يعيش بعيدا عن الشعب، فهو في القصر أو في برجه العاجي، لا يفكر إلا فيما يفكر عباس فيه، وكأنه دوارة الريح، فهو يدور مع صاحبه حيث دار.

ويقول شوقي ضيف:

"نشأ شوقي بباب القصر، وعاش يجري في أثر أميره عباس، فهو لا يحس إلا بما يحسه، ولا يشعر إلا بما يشعر به، فليس له احساس مستقل ولا شعور مستقل، وهو لذلك يثور حين يخدش أميره ولا يثور حين يلطم الشعب على وجهه".(٤)

وكان ربة شعره سجينة ولكهنا سجينة في قفص ذهبي هو القصر، تتغنى ولكن بغناء فاتر متشابه بالمدح، وقد قيد شوقي ربة شعره هذه بنفسه منذ كان في باريس، فلما عاد إلى مصر ظهر أن

١ـ طه وادى، الدكتور: شعر شوقي، الغنائى والمسرحي، ص١١.

٢ـ طه حسين: حافظ وشوقي ـ ص٢١٢.

٣ـ أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين ـ شاعر النيل وأمير الشعراء ـ ص٧١٥.

٤ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ـ ص٢٠.

القيد الباريسي لم يكن ثقيلا كما ينبغي، فأضيفت إليه قيود وأغلال وأصبحت ربة الشعرأ سيرة الأمير لاتنطق إلا بما يريد وحين يريد وكان الأميرذكيا وشاعره أيضاً ذكيا،وكان الأمير محتاجاً إلى إعانة بشوقي الذكي على تدبير أموره الخاصة، ويستطيع شوقي الذكي أن ينال حظوة الأمير بالسياسة إن لم يستطيع أن يجيب إليه الشعر، وكذلك يصبح الشعر سمة لشوقي لا صناعة، ويستحيل الشاعر إلى رجل من الحاشية، ورجل القصر يد ورحول الأمير.

يقول أحمد عبيد:

"وهو شاعر الأمير يجب أن يفكر ويتدبر فيما يحدث بينه وبين الناس من صلة، يجب أن يقيس صداقته وعداوته وقربه وبعده برضى الأمير وسخطه، وإذاً فلن تكون بينه وبين طبقات الشعب المختلفة هذه الصلة الواضحة الصافية الصريحة، هذه الصلة التي تجمع بين قلب الشاعر وقلب الشعب، لن يحس شوقي من حياة الشعب وإن أحسه فلن يستطيع إلا الإعراض عنه، ليس شوقي ترجمان الشعب ولا لسانه، وإنما هو ترجمان الأمير ولسان الأمير، وما أشد ما كانت لتسع مسافة الخلف بين الشعب وبين الأمير".(١)

وإذ كان أحمد شوقي ظل عاملاً بعد عودته من دراسته في فرنسا موظفا في القصر الخديوي حتى أعزل الإنجليز عباس الثاني عن عرش مصر سنة ١٩١٤م ونصبوا السلطان حسين كامل حاكما.

ويقول شوقي ضيف:

"وأخذ شوقي يد ورمع عباس في كل أهوائه السياسة، فتارة يمدح له الخليفة العثماني الذي كان يبتغي رضاه، وتارة يلوم الإنجليز ويندبهم حين يغاضبهم وينازعهم بعض السلطان". (٢)

ومدائحه تدور حول الخديوي ما زالت توهي بينه وبين القصر أسباب الثقة والتقريب.

ونفى الإنجليز أحمد شوقي مع عباس الثاني حيث ظل منفيا في أسبانيا طوال الحرب العالمية الأولىٰ، فإن أحمد شوقي لم يعتز بوظيفة في القصر بقدر ما اعتز بأن يعتبر شاعر القصر فيقول مفتخراً:

"شاعر العزيز وما بالقليل ذا اللقب" (٣)

١ـ أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين- شاعر النيل وأمير الشعراء-ص٧١٦،٧١٧ وانظر أيضاً، طه حسين: حافظ وشوقي- ص ٢١٤-٢١٥ وانظر: شوقي ضيف : شوقي شاعر العصر الحديث- ص٢٠.

٢ـ شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر- ص١١١، وانظر: الزيات: تاريخ الأدب العربي- ص٣٦٩.

٣ـ أحمد شوقي، أحمد زكي أبو شادي: أعلام الشهر العربي الحديث-ص٤٢.

وهكذا نرى أن حياة شوقي قبل نفيه مغرقة في إطاعة الأمير وحبه، وما زال مادحاً الأمير في شعره طول حياته.

وظيفته

وعين رئيس القصر وظيفة شوقي في جزاء خدماته وحبه للقصر ورئيس القصر، وفرح شوقي بهذه الوظيفة التي استغناه من تفكير المعيشة كلها. وتمتع حياته بهذه الرعاية.

ويبين دكتور شوقي ضيف حبه للمال والرتب كذلك:

"وعاد شوقي إلى مصر، فعمل رئيساً للقسم الإفرنجي بالقصر، وأسرع أصبح شاعر عباس، بل أسرع أصبحت له حظوة كبيرة عنده، فقد جعل له تدبير كثير من الأمور وتصريفها، وأصبح مقصد طلاب الجاه والرتب والألقاب، وأمضى في هذا العمل الرتيب عشرين عامًا، هي زهرة حياته، ومن محاسن الصرف أنه تزوج بسيده ثرية، كانت مثالا للزوجة الصالحة وقد رزق منها بابنيه على وحسين وابنته أمينة ".(١)

هكذا نرى أنه عاش في تنعمات واستفاد من حياة القصر جداً وأراح نفسه.

ويقول خير الدين الزركلي:

"ورجع شوقي إلى مصر في سنة ١٨٩٢م وكان قد توفى توفيق وخلفه عباس الثاني، فعين في القصر بقلم الترجمة، وأخذ يعيش في منزل أبيه يحي الحنفي معيشة رتيبة، لم يقطعها في أول حياته فيه سوى سفره ممثلا للحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين الذي عقد في مدينة جنيف بسويسرة سنة ١٨٩٤".(٢)

وكانت هذه الرحلة فرصة طيبة للشاعر حتى يجتلي المناظر الطبعية البديعة هناك. ولما انفض المؤتمر سافر إلى بلجيكا لمشاهدة عاصمتها، وزيارة معرض في إحدى مدنها. وكان توفيق قد توفي وخلفه عباس. فلم ترج سوق شوقي عنده أول الأمر، ويوضح ذلك داود بركات، فيقول:

"وإن الخديوي عباسا كان يهمل شوقي بعض الإهمال لاعتقاده، بل لأنهم أدخلوا على نفسه أن أحمد شوقي شاعر فقط وأنه هو بحاجة إلى رجل سياسي، لما كان بينه وبين الإنكليز من الكفاح والجلاد، فاجتمع لإزالة هذا التوهم من صدره المرحومون: بطرس غالى (وقد كانت به نزعة للأدب والأدباء) وبشارة تقلا (صاحب جريدة الإهرام) ومصطفىٰ كامل، وكان بطرس يطلب من الخديوي أن يسمح له بتوظيفه شوقي في الخارجية بضعفي مرتبه الذي كان يتناوله من قلم

١ـ شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر ـ ص١١١.

٢ـ الزركلي، خير الدين: الأعلام،١/١٣٦ ـ وانظر أيضاً:عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ١/٣٦.

الترجمة في السراى، وكان بشارة تقلا باشا يعرض عليه مثل هذا العرض ليوليه تحرير الإهرام، وتأييداً لذلك وضع شوقي في مكانه من الأدب وإمارة الشعر(١) إلى أن قربه الخديوي وناط به كثيرا من المهام. فقام بها خير قيام، فأولاه ثقته، وقدمه على جميع رجاله".(٢)

أثر وظيفته على نفسه

والأن ننظر كيف أثّر وظيفته على نفسه وكان خديوي عباس رضي عن خروج شوقي من القصر، وأسلمه إلى بطرس غالي أو إلى بشارة تقلا، لكي تتغير أحاسيسه في الشعر وبعد ذلك صار مادحاً لعباس وأعماله من سنة ١٨٩٢م-١٩١٤م في المواسم والأعياد، وعبثاً حاولت ربة الشعر في هذه الحقبة الطويلة أن تنبت في أجنحته ريشاً يستطيع به أن يرتفع عن الأرض ويحلق في السماء، وكأن أجنحته لم تكن حينئذ من المتانة والقوة بحيث تحمل هذا الريش، فقد أصبح شوقي من الطيور المنزلية الأليفة التي لا تستطيع ارتفاعًا ولا تحليقاً في الجو، والتي تنتظر الحب يلقي إليها من صاحبها، فتعيش به هانئة راضية

ويصور شوقي ضيف بصورة واضحة كيفيته وحدوده بهذا الألفاظ:

"ولم تقف المسألة عند حد الحبّ، بل تجاوزته كثيراً، فان عباساً قربه منه، وجعله موضع ثقته ومفزع مشورته، وقدمه على جميع رجال حاشيته في القصر، وبذلك كان نافذا الكلمة مسموع الرأي، بل أصبح كأنه صاحب الأمر والنهي، يقصده طلاب الحاجات، وما أكثرهم، وتعنوله وجوه الوزراء ومن يطمعون في الرتب والألقاب، وليس من شك في أن شوقي أثناء هذه الحقبة من حياته كان يعيش بعيداً عن الشعب، فهو في القصر أو في برجه العاجي، لا يفكر إلا فيما يفكر عباس فيه، وكأنه دوارة الريح، فهو يدور مع صاحبه حيث دار، وكان في عباس طموح واندفاع، فصارع الإنكليز وغاضبهم، ووقف شوقي في صفه يغضب عليهم مع غضبه، ويرضي مع رضاه".(٣)

أثر وظيفته في شعره

ورأينا في السطور السابقة، كيف أثّر حب المال وحب الجاه على شخصيته والأن نلاحظ

١- يشير إلى اشادة الإهرام بشوقي حينئذو تلقيبها له بأمير الشعراء.

٢- أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين- شاعر النيل وأمير الشعراء- ص٣٦٦ وانظر أيضاً: شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث-ص١٦.

٣- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث- ص١٧،١٨.

شعره وموضوعاته من جميع جوانبه ونواحيه لكى نرسم صورة واضحة لأحواله و كيفياته.

فنجد لم يكن لشوقي من رغبة الا أن يكون ظلا للأمير، وربما كان لفساد الحياة السياسية في مصر حينئذ أثر في توجيه شوقي، فقد نشأ وهو يرى القصر والأمير كل شيئ في حياة المصريين، فهما مصدر العز والذل، والخفض والرفعة، والجاه والسلطان، فأراد أن يقتحم هذا الحصن وأن يكون له مجال فيه، ولو أن الحياة كانت تجري في مصر على شكل آخر، فيه ديمقراطية، وفيه إيمان بالشعب وعمل صحيح على إحيائه، لكانت أحلام شوقي غير هذه الأحلام، ولما رأيناه يجري منضوياً تحت لواء الأمير يسبِّح بحمده آناء اليل وأطراف النهار.

وفي الفقرات الآتية يبين شوقي ضيف كيفيته وكيفية أميره كذلك:

"والظروف السيئة التي أحاطت بشوقي إذن هي التي ضيقت حدود شعره وجعلتها محفوفة بالأشواك في هذه الحقبة الطويلة من حياته التي تجاوزت عشرين عاماً، فلم يعد شوقي يملك نفسه، بل أصبح يملكه الأمير كما يملك أي شئي من ثروته، وليس من شك في أن عباساً لم يحسن ملك شوقي، فقد سخره لنفسه، وكان ينبغي أن يسخره لفنه، وكان ينبغي لعباس أن يصون كرامة شوقي وأن يمده بالمال الذي يريده، حتى يتقد هذا القبس المبارك في شاعره، إذن كنا نعد عباساً حامياً للآداب في عصره، ولكنه لم يصنع، ولم يحاول، بل استمر يشد البلبل من خيط في لسانه ليتملقه ويداهنه، ويغنيه بما يشاء ويهوى".(١)

واستمر أحمد حسن الزيات هذا الموضوع ويقول:

"فظل صوت الشاعر يتقطع، ولم يستطيع أن يمده حيث ينبغي أن يمد، ولم يستطيع أن يعبر به نوافذ القصر، ولا أن يخرج به عن صورة المديح إلا قليلا، فظل صوتاً ضعيفاً شاحباً، فيه جمال، ولكنه جمال الأسير، وفيه روعة، ولكنها ليست روعة البحر الضاري، وإنما روعة النبع الضئيل. وكان النبع كثيراً ما تفيض جوانبه وتتدفق مياهه، فكان الشاعر يهدر بتاريخ مصر أو بالنيل أو بمديح الرسول ولكنه كان لا يلبث أن يهدأ أو أن يجف معينه، فيعود إلى سيده، يغنيه على قيثارة المديح ما يهوي من حمد وثناء وملق ودهان، ومعنى ذلك كله أن شوقي لم يكن يفرغ لنفسه أثناء

١ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث ـ ص٢٦ ـ ٢٨.

وظيفته في القصر، فكان شعره لأميره، وقلما نظم شيئاً لنفسه، فنفسه تجري في أثر مولاه، وهو عنها لاه، لا يكاد يردها إليه إلا في الحين البعيد بعد الحين".(١)

التحول في شعره

وتعب شوقي عن موضوعاته في الشعر (أي مدح أميره فقط) لأنه وجد أن بموضوع واحد يكون مجال حياته محدوداً جداً، فأراد أن يقول شعراً في موضوعات مختلفه، وجرّبه فنه في ميادين شتىٰ و استفاد من دراسته في فرنسا، فحاول الخروج من حصار التقليد ومدح الأمير.

ويبين شوقي ضيف كيفية نفسه ومحاولاته بهذه الألفاظ:

"ومن المحقق أن شوقي لم تكفل له حريته في هذه الحقبة، إذ كان مشدوداً بحكم وظيفته إلى القصر وصاحبه، ولكن مع ذلك حاول أن يفرغ لنفسه ولفنه، فنظم على ألسنة الحيوان شعراً على نسق ما قرأه في الفرنسية للشاعر لافونتين، وحاول محاولة أروع من تلك المحاولة، إذ قرأعند بعض الشعراء الفرنسيين شعراً تاريخيا رائعاً من مثل أساطير القرون لفيكتور هيجو، فرأى أن ينظم على هذا المثال قصيدته الطويلة "كبار الحوادث في وادي النيل" وألقاها في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في سنة ١٨٩٤م، واستمر طويلا في هذا الاتجاه، فنظم فرعونياته المشهورة في أبي الهول والنيل وتوت عنخ آمون وقصر أنس الوجود، ومدّ شعره إلى ينابيع الإسلام، فأسقى منها قصائد رائعة في مديح رسول اللّٰه من مثل الميمية التي عارض فيها بردة البوصيري، كما اسقىٰ في شعره أحياناً من ينابيع العروبة، وكل ذلك معناه أنه كان يريد الانطلاق من قيود القصر وصاحبه والتحليق في آفاق أو سع وأرحب".(٢)

فنجح في غايته وأخذ ينشد في موضوعات متعددة بدلا من مدح أميره فقط، ولكن ما معنىٰ هذا أن حبه للأمير كان اختتم بقلبه، بل ظل قائماً حبه إلى وفاته وتحمل المشقة وواجه صعوبات في حبه.

منفاه وعودته إلى وطنه

ولمامات الخديوي توفيق وتولى العرش بعده ابنه الخديوي عباس ذاد في إكرامه وتقريبه، وجعله أنيس مجلسه، ورفيق رحلته، كشاعره الخاص، ثم اشتعلت الحرب العالمية الأولىٰ والخديوي

١ـ الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي- ص ٥٠١.

ـ وانظر: ايلياوي: أعلام الشعر العربي الحديث. الطبعة الأولى، بيروت، المكتبة التجارية، ١٩٧٠م.

٢ـ شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر-ص ١١٢.

يصطاف وحده في بلاد الترك (وكانت مصر تابعة لهم من الوجهة السياسية، برغم احتلالها بالإنجليز) فأعلن هؤلاء حمايتهم عليها، ومنعوا الخديوي من الرجوع إليها، لاتهامهم إياه بأنه عدوّلهم، وإنه تركي الهوى، راض عمافعله الترك من انضماهم في الحرب إلى صفوف الألمان، أعداء المحتلين، وقد اضطهد الإنجليز كثيراً من الوطنيين، وشردوا المقربين إلى الخديوي، ومنهم (شوقي) فنفوه إلى بلاد الأندلس وظل بها إلى آخر سنة ١٩١٩م، ولقد خلع الإنجليز "الخديو عباس" في بدء الحرب العالمية الأولى، وحرّموا عليه دخول بلاده، وولوا مكانه السلطان حسين كامل، وأعلنوا الحماية على مصر وحكموها بالأحكام العرفية، وأطلقو أيدهم في أموال الدولة، ورجالها وسائر مرافقها، فما ذا قال أمير الشعراء في هذه المصائب؟ لقد استقبلها بقصيدته التي نفى بعدها، وهو عنوانها ،السلطان حسين، ومطلعها:

"الملك فيكم آل إسماعيلا ... لا زال ملككم ويظلّ النيلا

والتي يقول فيها:

سبحان من لاعزّ إلا عزّه ... يبقى، ولم يك ملكه ليزولا

لاتستطيع النفس في ملكوته ... إلا رضاً بقضائه، وقبولا

الخير فيما اختاره لعباده ... لا يظلم اللّه العباد فتيلا

ويقول:

يأهل مصر، كل الأمور لربكم ... فاللّه خير موئلا ووكيلا" (١)

ويقول الدكتور عمر فروخ:

"ومع أن شوقي لم يكن من المشتغلين بالسياسة، فإن شعره كان خطراً على الاستعمار الذي كانت مصر ترزخ تحته، فلما شبّت الحرب العالمية (١٩١٤م) أبعده الإنجليز عن مصر، وفكر شوقي، أين يذهب، أيذهب إلى قسطنطينة، ولكن الحرب في قسطنطنية وأميره وصديقه في قسطنطنية، هنا اختار ربة الشعر وطناً من أوطانها ففكر في أسبانيا واستقر في الأندلس، ولم تكن ربة الشعر فرحة ولا مبتهجة، وانما كان محزون عميق الحزن، محزون على القصر، محزون على الوطن، محزون على هذه الأمال التي قضبت قضبا، وربة الشعر تحي النفوس، تحييها بالغناء الفرح وتحييها بالغناء الحزين، وقد يغنى ربة الشعر في الأندلس فأحييٰ نفوس المصريين، ووصل قديم العرب في الأندلس بجديدهم في مصر".(٢)

١ـ عباس حسن: المتنبي وشوقي- ص٣٥٦.

٢ـ طه حسين: حافظ وشوقي- ص٢١٧-٢١٨.

ويقول دكتور ماهر حسن فهمي:

"والواقع أن شوقي كان الشاعر المخلص للخديو وقد نفى لذلك". (١)

وذكرنا قبل سبب نفى شوقي عن وطنه ونذكر الآن منفاه وأسبابه بالتفصيل:

وكانت أحداث تقلبت في مصر آنذاك، فصار تحت وطأة الإنجليز المستعمرين الذين تسلطوا على المصريين، وكره كل المصريين تغلبهم وبدأوا رغبة في خلع طاعتهم.

وشوقي كان محب الوطن، ويحسب الوطن كا لجنة النعيم، لما شغله نعيمها عن وطنه الذي يهفوا إليه شوقاً وحيننا، فما صبر على برحاء الشوق التي أذهلت نهاره وسهرت ليله، وكان شوقي شاعر الخديوي عباس، أي أنه شاعر القصر، فهو شاعر الدولة الرسمي الذي ينطق عنها بحكم وظيفته في القصر، كما يعبر بلسانه عن ألسنة أهله وعشيرته، ومن كان هذا شأنه فالمتوقع منه أن أوجب الواجب أن يغرس الغيرة والحماسة في نفوسهم ضد ظلم الإنجليز.

وهذا هو السبب الذي أقنع الانجليز بأن وجود شوقي في مصر غير مرغوب فيه، لأنه يتهددهم بما يكرهون، ويتوعدهم بما يشير عليهم الخواطر، وهذا عندهم ولا ريب شر مستطير، ولما شبت الحرب العظمىٰ الأولى عام ١٩١٤م، وكان الخديوي عباس غائبا بتركيا وأعلنت إنجلترا حمايتها على مصر، وفي هذا خزي وعار ومهانة للمصريين، فأبت على الخديوي أن يعود إلى مصر لأنها تعلم أنه موال لتركيا، وكانت إنجلترا في حرب معها فخلصته ورفعت إلى العرش السلطان حسين كامل. (٢)

وكان شوقي يميل بطبعه إلى الخديوي عباس مماجعل الإنجليز يوجسون منه خيفة أو في الأقل يدركون أنه صاحب رأي، ولا ريب ظنهم كان صحيحاً.

وقال شوقي في ذلك شعراً يعبر به عن نفسه ويتألم من أن يخون عهد مولاه الخديوي عباس، كما أنه ألمح إلماحا إلى أن الإنجليز يبيتون شراً لأسرة محمد علي، وبذلك أدخل نفسه في غمار السياسة وكان صاحب رأي ونزعة خاصة ضد الإنجليز، وترتب على ذلك حتماً أن يخشوا من رأيه وشعره الذي لا بد يؤلب عليهم المصريون، فأصدروا أمرهم بنفيه من البلاد، ويبدوأنهم خيروه، فأختار أن ينفى إلى الأندلس.

يُبين د. حسين مجيب المصري النزاع بين الإنكليز وشوقي كذلك:

"وكان الإنجليز موقنين بأنه لهم عدو مبين، لأنه وطينة تدفع ولا شك دفعاً إلى زعزعة احتلالهم لمصر، فبادروا إلى نفيه عن مصر في عام ١٩١٥م والحرب العظمىٰ

١- فهمي،ماهر حسن، الدكتور: شوقي شعره الإسلامي، ص ٦٢.

٢- ١٨٥٢م-١٩١٧م.

دائــــــرة الرحي، فطلب أن ينفي إلى الأندلس على الخيار وما كان من موجدة ولا سـخـط على مصر لأنها نفته، فقد كان نفيه على غير رأي منها، وأبعده الإنجليز عنها ويرى أن مصر أمه الرؤم،تحنو عليه ويهيجها الشوق إلى عودته من غربته". (١)

ولا شك أن الإنـجـليـز نـفـاه عن وطنه لأنهم يحسون الخطر والشر منه، ولكن لما ننظر بنظر عـميق، فنجد أن عداوته بالانكليز ما كانت شخصية ولكن في حُب أميره وفي حب وطنه، ولا يمكن لـه أن يـرى وطنه تحت قدم الإنكليز وأميره في كيفية عدم القدرة، فأخذ ينشد الشعر مملوءا بالغضب لـلانـكـلـيـز وحباً للأمير، ولما يظهر قلمه مشاعر القلب الحزين بصورة شعر، فتحول أذهان قارئه وتثير الدم وتنزل الرعب في قلوب الإنكليز.

ويقول الدكتور عمر فروخ في هذا الصدد:

"وكـان لشوقي فلسفة سياسية ولكن لـم يكن له لون سياسي، ولا انتمى إلى حـزب سـيـاسـي قـط، بـل ارتـفـع فـوق الأحـزاب كلها ولـم يناصب أحدا من رجالها الـعـداء، ولـم يشأ شوقي أن يتعرض للقول في السياسة، مع أنه كان يتألم لحال مصر السيـاسة فـي ذلك الـحيـن، حتى حملته الأيام على أن خلع الخديوي عباس حليمى (١٤ كانون الأول ١٩١٤م) لميله إلى تركية، ونصب مكانه السلطان حسين كامل بن إسماعيل.

فقال شوقي:

الــمـلك فيـكــم آل اســمــاعيـلا   لا زال مــلـكـكـم يـظـل الـنيـلا

وورد فـي القصيدة أبيات تحتمل التأويل وتحمل غمزاً فاقتضى ذلك أبعاد شوقي عن مـصـر (أوائـل سـنة ١٩١٥م) فأختار أسبانية وأقام في برشلونة لا يسمح له بتبراحها حتى أعلنت الهدنة (١١ تشرين الثاني ١٩١٨) عندئذ ساح شوقي في أسبانية العربية (الأندلس) عاماً أو نحو عام (١٩١٨-١٩١٩) رجع بعده "إلى مصر". (٢)

ويبين الدكتور شوقي ضيف منفاه بهذه الألفاظ:

"وأعـلنت الحرب العالمية الأولىٰ وكان عباس غائباً بتركيا، فمنحه الإنجليز مـن دخـول مـصر، وأقاموا عليها السلطان حسين كامل، وأخذوا يبعدون عن القصر مـن يستشـعـرون الـولاء لعباس، ولـم يسكت شوقي بل نظم قصيدة تحدث فيها عن الحماية التي أعلنتها إنجليزا على مصر وقال فيها:

١- حسين مجيب المصري، الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال- الطبعة الأولى، بيروت: المطبعة العصرية. ١٩٩٩م. ص٥٩-٦٠.

٢- عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي، ص٧.

"ان الرواية لم تتم فصولا ...

فنفاه الإنجليز إلى أسبانيا، وظل بها طوال الحرب هو وأسرته، وهنا أخذ ينظم قصائده في أمجاد العرب ودولتهم الزاهدة التي اندثرت في الأندلس، ويضمنها حنيناً شديداً إلى وطنه".(١)

سفره إلى الأندلس

أنفاه الإنجليز إلى أسبانيا، فذهب شوقي هناك كارهاً، ولكن ما كان سفره مرتاحاً ولقي شدائد وواجه صعوبات مختلفة في الطريق، الآن نذكر سفره من مصر الى الأندلس وصعوباته بالتفصيل:

ركب شوقي القطار من القاهرة وما كان في وداعه الا قلة ضئيلة من أهله وعشيرته ما يدرك منه أنه الطريد الذي أزعج عن وطنه بعنف شديد.

ومضى به القطار إلى ميناء السويس حيث ركب سفينة أسبانية صغيرة قادمة من جزر الفلبين، فاستقر فيها مع أسرته المؤلفة من زوجه وولديه على وحسين، وابنته أمينة، وحفيدته منها وكانت خادمتان معه وبذلك يكون شوقي مصحوباً بأهله الأقربين ومن يقوم على خدمته وراحته، كأنما رحل الى الأندلس مبعداًعن مصر، وهذا يناقض ما أدركناه من قلة مودعيه عند السفر، أي أنه أبعد مكرماً ولم يعنف به كطريد.

مامضى إلا يوم على مغادرة السفينة للسويس حتى هبت عاصفة هوجاء كانت سفينة شوقي منها جبال ترفعها ووهاد تهبط بها ودامت الحال على ذلك يومين متعاقبين.

ويبين د. حسين مجيب المصري كيفيته وأسرته خلال هذه الحادثة:

"ولما وقعت هذه الحادثة، فانخلعت القلوب رعباً تحسباً للهلكة، وزاد الحالة هولاً على هول ما صعد الركب، ركب السفينة، من صيحات الفزع ممتزجة بنشيج وانتحاب الباكين واستغاثة المستغيثين الفزعين الداعين، واشتد على شوقي أن يرى ولديه فيما خلع قلبهما من فزع، وأشفق عليهما وسائر أفراد أسرته ما يتهددهما من سوء العاقبة مما جعل تلك السفرة عميقة الأثر في صميم نفسه، ثم سكنت العاصفة وهبت الريح رخاء، ولكن بعد أن لقي من الهول ما لا ينسى على الأيام، وكافينا أن نقول أن ربان السفينة شاء أن يتخوف من حمولتها ليدفع خطر الخوف عنها فطرح، في البحر ثيراناً جيئ بها إلى أسبانيا للزج بها في حلبات مصارعة الثيران، وهدأت

١ـ شوقي ضيف، الدكتور : الأدب العربي المعاصر في مصر، ص١١٢. وانظر أيضاً: شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث، ص٣١ـ٣٢.

العاصفة، إلا أن نفس شوقي لم تهدأ لأنه كان دائم التفكير في أمه العجوز التي خلفها في مصر وأصرت على البقاء فيها، وبذلك عدم قربها منه وحنوها عليه". (١)

ولذاما كان لهدوء الجو من حوله وحول ذويه أن يعمق له الأثر في جوه النفسي، وألقت السفينة مرساتها في مرسيليا ثم زايلتها إلى برشلونة، هذه الميناء التى تخيره شوقي كانت ميناء واحدة في أسبانيا المحايد على البحر الأبيض التي تتيح أن يسارع منه عائداً إلى مصر عند ما يسمح له من منفاه إلى العودة، فما كان يحسب شوقي في مصر أن الحرب ستمر أكثر من أشهر ستة لأن جيوش الترك على أهبة الاستعداد لتحرير مصر من جيوش الإنجليز فيها، وأتاح له أن يلمح في الأفق المظلم بصيصاً من أمل، وهكذا كان اليأس والرجاء يتجاذبان نفسه، عقب هذا السفر الرهيب الموحش وإن كان المأمول عنده أن الله سوف يرد غربته ويفرج عنه شدته.

يقول شوقي ضيف:

اختار شوقي لاقامته مدينة برشلونة، وكان برشلونة مدينة جميلة لها شهرتها بكل ما تثير الإعجاب كل الإعجاب بمدينة من المدن، وهي تعمرها الحركة وتنبض بالحياة وتعد لأسبانيا عاصمتها الثانية، وليلها ساهرة بمن يطلبون عن النفس الترويح وأصائلها وأمسياتها تزدحم بمن يتنزهون ويطلبون راحة من عناء وترويحاً من مشقة العمل، ذلك العمل الدؤوب الذي لا يكاد يفتر ساعة من نهار ولا طائفة من اليل، ولكن شوقي كان يعيش في هذا الجو ولم يفتتن بجمال الطبعية، ورونق الحضارة في برشلونة، بل كان ساهماً شارد الفكر الذي يتلقاه من مصر، وكانت الحرب تشق عليه وكاد المال أن ينفد وتلك هي الطامة الكبرىٰ التي لا يعرف شوقي كيف يواجهها ويدفع عنه شرها وبلاء ها، وواجهه شوقي صعوبة اقتصادية جداً في النفى دون صعوبة سفره، ومنع الإنجليز عنه وظيفته بالتي وقعت عليه الشدائد، وكان ولد في بئية الترف والنعيم، ولم يرأى ضيق المال قط، والآن تلقى العناء والعسرة وتكبّده الذي اتعبه، واضطر إلى محادثة بالإنكليز".(٢)

ويرسم د. مجيب حسين المصري صورته البؤسة في المنفى ويقول:

"وجرى القضاء بأن يقع ما يحظره شوقي، فقد زعم الإنجليز أنه بشعره وبيانه يقتدر على إثارة الخواطر في المغرب، ويلهب حماسة القوم هناك بشعره فيحرضهم على الخلفاء، وهذا سبب قوي يدفعهم دفعاً إلى التنكيل به وشفاء غيظهم منه وحدثنا قلت الصحف الإنجليزية هذا الزعم، فأصبح الظن عند الإنجليز يقيناً فقطعوا عنه المال، ووقع شوقي في ضيق أي ضيق وهو في بلد غريب نازح لايعرف فيه من يواسيه ولا يمد له بالعون يداً، فيضطره ضيق ذات يده إلى أن يرهن حُليّ زوجته

١ـ المصري:مجيب حسين، الدكتور : الأندلس بين شوقي وإقبال، ص٦٢ـ٦٣ .وانظر أيضاً: شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث، ص٣٣.

٢ـ شوقي ضيف ، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث. ص٣٤.

وابنتـه، وكـان لهـذا وضعه الأليم في نفسه، ولكن شاء الله لشوقي أن يجد فرجاً من ضيـق فاتصل بالسفير البريطاني في مدريد، وأظهره على حقيقة الحال وأقنعه بأنه مما يتهم به براء فأرسل اليه الإنجليز معاشه بعد قطعه عنه".(١)

وفـي منفاه كان شوقي يعيش في هم وغم وما أمكن له أن يقوم بعمل وازداد اشتياقه للشعر أن الـفـراغ ضـاعف عليه ما غمره من أسى وطيرة فظل في جمود لا يقدر على شيئ إلا أنه استنهض همته شيئاً ما ولم يجد لنفسه ملهاة ولا مسلاة إلا في نظم الشعر.

ولم يـنـطـلق على سجيته ينشد الشعر الذي لا يقوله إلا شوقي... شاعر العربية غير مدافع، بل قـال الشـعـر فـي تـاريـخ الإسـلام وأعلامه وكان متراخياً في نظم الشعر بل أراد إلى أن يجري قلمه في التاريخ لأن شاعريته مرأة ظلمة قلبه فهو ينظم أجودو تطفوا قرارة نفسه كما قال في هذا الشعر:

"لـمـا رمـى الـلّـه بهـذي الـحـرب	عـلـى نبـى الشـرق وعظماء العرب
تـحـركـت سـواكـن الأقـدار	والـحـردت عـوامـل الأكـدار
وحـكـم الـلّـه بهـجـرة الوطن	وطـالـمـا ابتـلـى بهـا أهل الفطن
فـكـنـت أستـعـدى عـلـى الهـموم	بـنـات فـكـر ليـس بـالـملموم
أستـدفـع الـفـراغ والـعـطـالة	وبـطـل مـن يـقـتـل البـطـالة" (٢)

وخـلال إقـامتـه فـي الأندلس استفاد شوقي من علومها وفنونها ونبغ في علومه وفنونه وبالتي أبدع بها في كلامه.

ويقول د، مجيب حسين المصرى:

"وشوقي لايميل إلى محاولة البلاغة وتحسين العبارة وأسبابه، وإثارة النشوة فـي الـنفوس بالمحجب المطرب، ومن مظاهر الفراغ الذي شقى به شوقي في منفاه أنـه حـاول له دفعاً بقول شعر قاله لنفسه، وإذ استدفع الفراغ فهو فراغه، ولكن شوقي لم يكن وحيداً فريداً في الأندلس، بل كان رب دار كثر من يقطنونها من أفراد أسرته، ومن يقومون على خدمتهم ولهؤلاء حقهم عليه الذي لم يغفل عنه، فجعل شوقي من داره أشبـه شيـئ بـمدرسة لتعليم اللغات، فاتفق مع مدرس يأتي ليعلم ولده علياً وابنته أمينة اللغة الفرنسية واستقدم مدرسة تعلم ولده حسنا الألمانية، أما شوقي فاستقدم له مـن يـعلمه الأسبانية، كما أنه تولى تعليم أبنائه جميعاً اللغة العربية، وبذلك تأتي له أن

١ـ المصري: مجيب حسين، الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال، ص٦٥.

٢ـ نـظـم أحمد شوقي: دول العرب وعظماء الاسلام، مصر: ١٩٣٣م، ص٦. وأنظر أيضاً: المصري، مجيب حسين، الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال، ص٦٧.

يدفع عنه وعن أهله كلالة الملالة ولو إلى حد". (١)

والـمـــــدة التي قضاها أحمد شوقي في الأندلس لها أثر بالغ في حياته الأدبية ويقول شوقي ضيف عن إقامته في الأندلس:

"وكـانـت أوقـات الشاعر فارغة لمدة خمس سنوات، فقرأ كثيراً عن الأندلس، وملأ وعيـه ولا وعيـه بتـاريـخ أبطالها وشعرائها، فبدأ يكتب قصة "أميرة الأندلس" أو أخذ يعد نفسه لكتابتها، واختار لها حياة المعتمد بن عباس وزوجته الرميكيّة.(٢)

وظل بها إلى آخر سنة ١٩١٩م، فسمعه الإنجليز بالعودة.

أثر الأندلس في حياته الأدبية

وإن الشـاعر إذا نفى إلى أرض بعيدة أو أقام فيها لمدة لا بدله أن يتأثر من بيئة أجنبية، وهذا التغيير لا بـد أن يتـرتـب عـليـه فـي الأغـلـب لم يكن له من قبل وجود، ولولا ذلك لجرت على هذا الشاعر صفة الجمود والخمود لأنه لم يتأثر بما حوله والأجدر أن يتأثر من أدب الأندلس بجميع أصنافه تأثراً كبيراً .

"وشـوقـي يـحدثنا عن مغادرته بر شلونة التي طال مكثه فيها منطوياً على نفسه، فلما بـلـغـت الـحـرب نهـا يتهـا فرح واستبشر وقام في نفسه أن يتجول في الأندلس طلباً للفرجة بعد أن أيقن بأن الفجر سوف يتنفس بعد ليل طال".(٣)

وخـلال إقـامتـه فـي الأنـدلس كان الفرصة الذهبية له أن يطالع دراستها والإبداع في كلامه، وتحول موضوعات في شعره واختبار الذكاء في أصناف أخرىٰ، واستفاد شوقي استفادة تامة وتغيرت فكرته فانطلق قلمه إلى الجوانب المختلفة والموضوعات المتنوعة.

ويقول د. مجيب حسين المصري في هذا الصدد:

"فهـو أشبه شيئ بذلك البلبل الفريد الذي ظل حبيساً في قفصه طويلا ثم فتح، فانطلق في الآفاق، إن شـوقـي يـحدثنا عن الأندلس وعن نفسه فيها ويظهرنا على الأطوار التي تعاقبت على نفسيته في منفعة بهـذا الـنثـر أو بـذلك الشعر المنثور، أما أهم ما لشوقي من نثر، فهو مسرحية بعنوان: "أميرة الأندلس" أنها ألفت أثناء مقام شوقي في برشلونة وذلك خلال الأعوام الثالثة الأولىٰ التي قضاها في تلك المدينة وبذلك تـكـون تـلك الـمسـرحية مؤلفة في أرض الأندلس مستوحاه منها، وعاد من منفاه إلى مصر، ومـادة هذه المسرحية من كتاب "نفح الطيب" للمقري ذلك الكتاب الذي حمله معه من مصر إلى برشلونة".(٤)

١ـ المصرى،مجيب حسين،الدكتور: الأندلس بين شوقي و إقبال ،ص٦٦ـ٦٧.

٢ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث،ص٣٤.

٣ـ المصرى، مجيب حسين، الدكتور: الأندلس بين شوقي واقبال، ص٨٥.

٤ـ نفس المرجع، ص٨٦.

وتبرز شخصيته كمؤرخ خلال إقامته الأندلس وهذا ما هو يظهر من مقدمة مسرحية وهو يؤرخ العرب وآدابهم وسلالهم وعظمتهم وكان يليق له أن ينظر إلى تلك الآثار التي يراها بعين أمه أو يعرفها من بطون الكتب التي انطوت بأخبارها وأوصافها، وهذا هو السبب بالذي يمكن له أن يحصل مكانا مرموقا ولشوقي أرجوزة في دول العرب وعظماء الاسلام تعد معظم ما فاضت به قريحته في الأندلس و يحدثنا في أرجوزته سهلة بقوله:

"فكنت أستعدى على الهموم | بنات فكرليس بالملوم
أستدفع الفراغ والعطالة | وبطل من يقتل البطالة
حتى أراد اللّه أن ظمت | من سير الرجال ما استعظمت
علما بما تبعث في الأحداث | جلائل الأعمال والأحداث" (١)

ويقال عن هذه الأرجوزة:

"أنه كتب هذه الأراجيز على غلاف كتاب نحو اللغة الأسبانية ولهذا دلالته، أنه يؤيد أنه كان يشعر بالملل والضجر، أن مثل هذا الشعر، أى شعر الأرجوزة، لا يقتضي من الشاعر كداً للذهن وترديداً للروية والنحت من صخر إذا تيسرا الاغتراف من بحر،و لذلك أقبل عليه ملتمساً فيه مسلاة وملهاة".(٢)

وعاد شوقي إلى مصر في سنة ١٩٢٠م، وقد هيأت له الفرص أن يزور بلاداً وأقطاراً، فزار بلاد الترك، ولبنان، وسورية، وتجلت عبقريته كاملة بعد عودته من المنفى عند ما طلع على الناس قد نضج فكرا، وأصفى قريحة، وأقوى شاعرية، وأغرز إنتاجا، فأنشد روائع الشعر، وبدائع النثر، وفواتن القصص المسرحية وغير المسرحية. فلم يظفر شاعر عربي معاصر بمثل ما ظفر به شوقي في شهرة.

ويقول الدكتور شوقي ضيف:

"إنما هو شاعر من حقه أن يحلق في أجواء الفن العليا منفصلا عن حدود المكان، وملقيا عن كاهله حواجز الزمان، وإننا لنأسى لهذه الثروة الكبيرة من شاعرية شوقي التي أضاعها فيما بين يديه من مناسبات ضيقة، كما نأسى لهذا الفيض العظيم من نيلنا الذي يتلاشي ويفنى سويّا في بحر الروم دون أن نفيد منه فوائد محققة".(٣)

١ـ نظم أحمد شوقي: دول العرب وعظماء الاسلام ،ص٦٨.

٢ـ المصري، مجيب حسين، الدكتور : الأندلس بين شوقي وإقبال، ص٨٨ـ٨٩.

٣ـ شوقي ضيف ، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث، ص١٧٤ . وانظر أيضاً: طه حسين: حافظ وشوقي ص٢٢٠ـ٢٢١ . وانظر أيضاً: عباس حسن : المتنبي وشوقي، ص٣٨ـ٣٩ .وانظر: طبقات الشعراء. ط.القاهرة.

أثر منفاه وعودته في شعره

وقبل النفى كانت حياته تجري على وتيرة واحدة من اللهو والمرح، واستقبل شوقي هذه الحقبة الجديدة بالحزن والألم ، فليحزن شوقي، ليحزن من غربته، وليحزن لمضايقة الإنكليز له فيما يرسل إليه من أمواله، وليحزن على وظيفته في القصر، وليحزن على ما أصاب أميره عباس، وليحزن لهذا النفي والتشريد، فإن صوت شوقي يتكامل له اللحن، فقد كان البلبل، أسيراً من قبل، وكان لا يغني إلا مديحاً متشابهاً في أغلب أحواله، ولم يكن يعرف شيئاً من محن الحياة وآلام الناس، فالآن تتم له شعره ، ويتم له صوته، وظل الشاعر في قلشدر يرا حتى أعلنت الهدنة سنة ١٩١٨م، فأصبح من حقه أن يتجول في أسبانيا كما يشاء، فتنقل بين مدنها الكبيرة في قرطبة وأشبيلية وغرناطة، فذهب يبكيهم ويبكى نفسه في قصيدته، وقد بدأها بحنينه إلى وطنه، يقول:

"اختلاف النهار والليل يُنسى — اذكر إلى الصبّا وأيام أنسى
وسلا مصر هل سلا القلب عنها — أو أساجُرحه الزمان المؤسّىٰ
أحرام على بلابله الدّو — ح حلال للطير من كل جنس
وطنى لو شغلت بالخلد عنه — نازعتني إليه فى الخلد نفسى
شهد اللّٰه لم يغب عن جفوني — شخصه ساعةً ولم يخل حِسّي" (١)

أنشد شوقي شعرا في الحنين إلى مصر وأهل وده فيها، وهو يشكو غربته ووحدته وفراغه، وكأنه بذلك يعبر عن واقع حاله على نحو يختلف عنه فيما أسلفنا إيراده من أبيات له جعلها مقدمة كتابة المنظوم "دول العرب وعظماء الإسلام" بعث شوقي بأبيات إلى حافظ ابراهيم.

يقول:

"يا ساكني مصر إنا لا نزال على — عهد الوفاء، وأن غبنا، مقيمنا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم — شيئاً نبل به أحشاء صادينا
كل لمناهل بعد النيل آسنة — ما أبعد النيل إلا عن أمانينا" (٢)

فهذا من كلام الشاعر يشعر بأنه ضاق ذرعاً بوحشة غربته ووجد نفسه غريباً، ويرد عليه حافظ مواسياً ، فأخذ منه الأسى كل مآخذُ أراد أن يكون له مواسياً ابداً ،

فقال:

"عجبت للنيل يدري أن بلبله — صاد ويسقى ربا مصرويسقينا
واللّٰه ما طاب للأصحاب مورده — ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا

١- شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث، ص٣٤-٣٥.

٢- نظم أحمد شوقي: دول العرب وعظماء الإسلام، ص ٢٧ .

فـكـان رد حـافـظ هذا عليه وارداً بالرى على ذي طمأ، وان كان المنهل سراباً، وبين شـوقـي وبيـن النيل بحار وقفار، ولكن واقع الحال ظل شديداً الوطأة عليه، وما وجد شوقي على طول المدى ما يشعب قلبه بالسلوان". (١)

وعـاش شـوقـي فـي الأندلس منطوياً على نفسه معتزلاً عن الناس، وكان على غير المتوقع من شاعـر مثلـه فـقـد كـان الـمتوقع أن يطوف في أرض الأندلس، ويشاهد آثار العرب فيها، ويجعل من وصـفـه لهـا مـا يشغله عن همه الذي استبدبه واشتد عليه، ولكن وحشة الغربة كانت أشد وحشة عليه مـن كـل شيـئ فحبسته في نطاق ضيق، وجعلت منه ذلك البلبل المحزون الذي يئن ويحن في قفصه، يريد الانطلاق منه الى الروضة المعطرة.

ويبين د. مجيب حسين المصرى كيفيته كذلك:

"وذلك الـنـأى الـذي يـحـن إلـى تلك القصباء التي انتزع منها فما كف عن الـنواح بعد أن أدرك أو كاد أن الإياب إليها شبه مستحيل، واتفق للخديوي عباس أن يـكتـب إلـى شـوقـي مـن فيينـا يعرض عليه رغبته في أن يلحق به في فيينا وله عليه أن يـوصى سفارة النمسا في مدريد بأن تيسر له السفر في غواصته ألمانية، ولكن الشاعر لـم يـلـق إلـى ذلك بـالا وأثر البقاء في الأندلس، وإيثار شوقى للبقاء في الأندلس ولو عـلـى مـضض يزيدنا علماً بنفسيته المعتلة في تلك الفترة من حياته، فكان الظن بمثله فـي حاله وضيقه أن يخف إلى السفر، وينطلق من ذلك السجن الرهيب الذي حجب عـنه نور الحياة، إلا أنه رهب أن يغا مرو أن يغوض في جوف البحر بعد ما كاد يهلك فـوق لـجته، وكأنما استسلم لليأس ولم يعد يتطلع إلى بسمة للرجاء، ورضي بقضاء اللّٰه خيره وشره". (٢)

أمـا وتـر الـوطـن فلم يكن بأقل براعة وحذقاً في النقر عليه، فوطنيات شوقي خليقة بأن تجمع وتـدرس في المدارس لتنشئة الطلبة على حب الأوطان، فهو يقدس الوطن تقديساً ويتكلم عن العاطفة الوطنية كعقيدة دينية، لأن حب الوطن من الايمان، وهو الرجل المؤمن.

فيقول في حب وطنه:

"أيـا وطـنـي لـقيتك بـعـد يـأس ... كـأنـي قـد لـقيـت بك الشبـابـا

ولـو أنـي دعيـت لـكـنـت ديـنـي ... عـلـيـه أقـابـل الـحتـم الـمـجـابـا

يسرد الوطن في هذه الأبيات وفي غيرها منزلة الدين.

١ـ المصرى،مجيب حسين، الدكتور: الأندلس بين شوقي وإقبال، ص٦٥

٢ـ نفس المرجع، ص٦٨.

وسلا مصر هل سلا القلب عنها | أوأسا جرحه الزمان المؤسي
وطني لو شغلت بالخلد عنه | نازعتني إليه في الخلد نفسي (١)

ويكاد يتغزل لوطنه في كل موضوع يعالجه حتى في خمرياته، فبينما هو ينشد في العيد طرباً:

"رمضان ولّى هاتفا يا ساقي ، مشتاقة تسعى إلى مشتاق"(٢)

ثم يقول:

وطنى أسفت عليك في عيد الملا | وبكيت من وجد ومن اشفاق
لا عيدلي حتى أراك بأمة | شمآء راويه من الأخلاق
نعم ان حب الوطن سجيته كل حر | وكان وحبه لوطنه حبا شديداً
وللأوطان في دم كل حرٍّ | يد سلفت ودين مستحق

يقول خاطب النيل:

لي فيك مدح ليس فيه تكلف | أملاه حب ليس فيه تملق" (٣)

وقال يصف ليلة وهو منفى في الأندلس، ويذكر ألم الفراق والغربة:

"ونابغيّ كأن الحشر آخره | تمتينا فيه ذكراكم، وتحيينا
نطوى دُجاه بجرح من فراقكمو | يكاد فى غلس الأسحار يطويُنا
اذ رَسا النجم لم ترقا محاجرنا | حتى يزول، ولم تهد أتراقينا
بتنا نقاسى الدّواهي من كواكبه | حتى قصدنا بها حسرى تقاسينا
يبدو النهار، فيخيفه تجلّدنا | للشامتين، ويأسوه تأسينا" (٤)

فهو حزين على ضعف مصر بسبب الاحتلال البريطاني، إذ تسلط الإنجليز على الجيش، واستأثروا برتبته العالية، على حين أن أبناء مصر بعيدا عنها، محرومون أن يؤملوا فيها، محترقون بالأسى من إهانة مصر وإهانتهم:

"أم هل يعدّلك إلا ضاعة منّةً | جيش كجيش الهنديات ذليلاء
انظر الى فتيانه ما شأنهم | أوليس شأنا في الجيوش ضئيلاء
حرمتهم أن يبلغوا رتب العلا | ورفعت قومك فوقهم تفضيلا
فإذا تطلعت الجيوش وأملت | مستقبلا لم يملكو التأميلا (٥)

وليس ينسى أن يذكر كرومر بأن الجيش المصري الباسل هو الذي احتمل الألباء الجسام في

١- الشوقيات: ٢/٦٥.
٢- الشوقيات: ٢/٩٢.
٣- أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين :شاعر النيل وأمير الشعراء، ص٣٥١.
٤- عباس حسين: متنبي وشوقي، ص٤٦-٤٧.
٥- أحمد الحوفي: أضواء على الأدب الحديث ، ص١٢٧.

استعـــــارة السودان، وأن الجيش الإنجليزي كان على هامش الفتح، ثم كان جزاء مصر وجيشها أن ادعت بريطانيا اشتراكها في فتح السودان ، وأن اهملت الجيش المصري عامدة وأضعفته متعمدة:

يقول:

"كـن إلـى الـموت على حب الوطن　　　مـن يـخـن أوطـانـه يـومـا يـخن
وطـن الـمـرء حـمـاه الـمـفتدى　　　يـذكـر الـمـنة مـنـه، واليـدا
قـد عـرفـت الـدار والأهـل بـه　　　كـل حـب شعبـه مـن حُبّـه" (١)

وشوقي يفيض بالحنين إلى مصر ويزخر بالشوق إلى النيل وهو كأنما يتكلم عن نفسه، ولكنه في الـواقع يتوجع لما يعاني وطنه من وطأة الظلم، ويتفجع لما تقاسي بلاده من قسوة الاضطهاد، وأنه ليبكي ملاعب شبابه، وعهود صباه، حين يقول:

"اختـلاف الـنهـار والـلـيـل يُنسـي　　　فـاذكـر إلـى الـصبـا وأيـام أنسي
وصـفـا لـي مـــلاوة في شباب　　　صـورت مـن تـصـورات ومـس
عـصـفـت كـالـصبّا اللعوب ومدّت　　　سـنة حـلـــوة ولـذة خلس" (٢)

ثم يأخذ في الحديث عن مصر فيقول:

"وسلا مـصـر هـل سلا القلب عنها　　　أو أسـاجـرحـه الـزمـان المؤسي
كـلـمـا مـرت الـلـيـالـى عـلـيـه　　　رق والـعـهـد فـي اليـالـي تُـقيسي
مستـطـــار إذا الـبـواخـر رنّـت　　　أول الـلـيـل أوعـوت بـعـد جـرس" (٣)

وينبغي أن نطلع على روعة الحسن في قوله قبل قراءة خطابه للباخره .

"وسلا مـصـر هـل سلا القلب عنها　　　أوأسـاجـرحـه الـزمـان المؤسّي"

وانظر كيف وصف قلبه حين قال:

كـلـمـا مـرت الـلـيـالـى عـلـيـه　　　رق والـعـهـد فـي الـلـيـالـي تـقسي
مستـطـــار اذا البـوا خـررنـت　　　أول الـلـيـل أو عـوت بـعـد جـرس

وهـو لـم يـذكـر أن قـلـبـه كـان يخفق كلما أو مض البرق، أوهب النسيم، كما كان يتحدث الأعـراب، وانما يصف ما يحسه الغريب على شواطيئ المحيط وهبوب الريح، من أصوات البواخر في غسق الليل، ثم قال:

"يـا ابـنة اليّـم مـا أبـوك بـخيـل　　　مـالـه مـولعاً بـمـنع وحبـس

١ـ عباس حسن: المتنبي وشوقي، ص٣٤٨.

٢ـ أحمد شوقي : الشوقيات، ٢/٤٥.

٣ـ أحمد شوقي: الشوقيات،٢/٦٥.

أحـــرام عـــلـــى بـــلابـــلـــه الـــدو ... خ حـــلال لـــلـطير مـــن كـــل جنـــس

كـــل دار أحـــق بـــــالأهـــل إلا ... فـــي خبيـــث مـــن المذاهب رجـــس" (١)

يقول زكي مبارك عن هذه الأبيات:

"والـقـارئ يتلقى هذه الأبيات الأن بشئ من الطمانينة، أما الذين قرأوها يوم قـالهـا شـوقي فلم فيها رأي، ومن كان في ريب من هذا فليذكر الأحكام العرضية، لا قدر الله لها رجعة، ولا كتب لها أوبة، فقد كنا نبتغي بقول شوقي:

أحـــرام عـــلـــى بـــلا بـــلـــه الـــدو ... خ حـــلال لـــلـطير مـــن كل جنـــس" (٢)

"ثـم يتمثـل شـاعـر مـصـر فـي الـصـورة الشجرة الوريقة، تفرقت عنها البلابل الـمغردة، ثم صارت مأوى للبوم، ومقيلاً للغربان، وكذلك كانت مصر في ذلك الحين، فكان شهيد الحرية محمد بك فريد، يرسل عساكرها لنيل ثرى مصر، وتنهل من سلبيل الـنيـل، ثـم لا تـجـاب لـه طـلبة، ولا يـد نـومنه مأمول، في حين أن بلاد الفراعنة كانت مفتوحة الأبواب لكل أثيم القلب، وقاح الوجه، خبيث اللسان، وسيظل قول شوقي:

أحـــرام عـــلـــى بـــلابـــلـــه الـــدو ... خ حـــلال الـطيـــر مـــن كـــل جنـــس

سيظـل هـذا البيـت مثـاراً لـلشـجي والأسى، حتى تغدو تلك الشجرة ذات الظلال والأفنان، وهي للبلابل مأوى وللطواويس مقيل، أما قوله:

كـــل دار أحـــق بـــــالاهـــل إلا ... فـــي خبيـــث مـــن المذاهب رجـــس" (٣)

ثم يقول:

"يشـجـعـى بهـا بـعـض الـحـلـوق ... ثـم قـال فـي خـطـاب الـبـاخـــرة

نـفـســي مـــرجـــل وقـلـبي مشـــراع ... بـهـمـا فـي الـدموع سيرى وأرسي

واجـعـلـي وجهك "الـفـنار" ومجرا ... ك يـد "الشـغـر" بيـن رمـل ومكـس

وطـنـي لـو شـغـلـت بـالـخلد عنه ... نـازعتـنـي إليـه فـيالخلد نفسي" (٤)

ثم يقول:

وهـــفـــا بـــالـــفـؤاد في سلسبيل ... ظـمـأ لـلسـواد من عيـن شـمـس

شهـد الـلّـه لـم يـغـب عـن جفوني ... شـخـصـه سـاعة ولم يخل حسي" (٥)

١ـ أحمد شوقي: الشوقيات، ٢/٤٦.

٢ـ زكي مبارك، الدكتور: الموازنة بين الشعراء.الطبعة الأولى، مصر: المصطفى البابي الحلبي وأولاده، مارس ١٩٣٦م/ ١٣٥٥هـ، ص١٣٧.

٣ـ نفس المرجع، ص١٣٨.

٤ـ أحمد شوقي: الشوقيات، ٢/٤٦.

٥ـ نفس المرجع، ٢/٤٦..

وأي نفس يمثلها شوقي في هذا الشعر البديع ، إنه يمثل روح مصر، ولقد كانت مصر، ولا تزال، باباً من الفتنة .ولكن لم ييئس شوقي من صورة مصر هذه ويؤمن أن تغيرت كيفياتها وحالاتها، فستكون جميلة رائعة.

ويقول وهو يتمثل الجزيرة والنيل:

"وكأني أرى الجزيرة أيكا نغمت طيره بأرخم جرس
حسبها أن تكون للنيل عرساً قلبها لم يجن يؤما بعرس
ليست بالأصيل حُلّة ومشى بين صنعاء في الثياب وقس
قدّها النيل فاستعت فتوارت منه بالجسر بين عُري ولبس
وأرى النيل كالعقيق بواد يـ ـله وان كان كوثر المتحيي" (١)

"وعاد شوقي من المنفى أواخر سنة ١٩١٩م". (٢)

التطور في شعره بعد العودة

وعادشوقي من المنفى ، فتغيرت فكرته وتحولت حياته الأدبية وأبدع في قلمه.

يقول عباس حسن:

"وكان شوقي بارع خير، وتزداد براعته وضوحاً، وخبرته جلاء، في قصائده التي صاغها بعد عودته من المنفى، تلك العودة التي كانت فاتحة حياة أدبية جديدة، تتسم بالنضج والكمال، والخصب، والسّمو إلى آفاق أدبية عالية، بعيدة المدى، ومن الخير أن نعرض صوراً من ألفاظه في مرحلتيها:

الأولىٰ والأخيرة، فاستمع إليها، وقف عند كل كلمة من كلماتها".(٣)

وكان منفى شوقي عن القصر وعن وطنه أمكن له أن يكون ربة الشعر ليعبر من برجه المنعزل عن الشعب إلى أودية المنحدرة الملتفة حول النيل وجداوله وعيونه وغدرانه، وما يجري في هذه أودية من أحلام وآمال وآلام دماء ها تحته الشعب من جروح وقروح.

وعاد شوقي إلى وطنه ، فرأى دماء أهل مصر ملأت أرض الوطن وتسيل في كل أرجاء مصر، واستقبل الطلاب شوقي في فناء محطة القاهرة استقبالا رائعاً، وحملوه على الأعناق حتى سيارته وسالت الدموع من عينيه، فقد حول شوقي بصره من سماء القصر الذاهية إلى أرض مصر الدامية، وأخذ الوطن يحتضن ابنه، ويضمه إلى صدره، ولم يلبث أن استيقظ ضمير شوقي الوطني بعد أن ظل

١ـ زكي مبارك، الدكتور : الموازنة بين الشعراء، ص١٣٩ـ١٤٠.

٢ـ طه وادى، الدكتور : شعر شوقي الغنائي والمسرحي، ص١٧.

٣ـ عباس حسن: المتنبي وشوقي، ص٩١.

يخطُّ طويلا في نوم عميق، فكتب قصيدته" بعد المنفى" يعلن لقاء بوطنه، ويقول:

"ويا وطني لقيتك بعد يأس كأني قد لقيت بك الشبابا
وكل مسافر سيؤوب يوماً إذا رزق السلامة والإيابا
ولو أني دُعيت لكنت ديني عليه أقابل الحتم المجابا
أدير إليك قبل البيت وجهي إذا فهت الشهادة والمتابا" (١)

وكان شوقي في الحقيقة خير مثال طرأ على شاعرنا الحديث من تطور، فقد عاش مغنياً لا لوطنه بل لعواطفه، يغني عواطفه ومشاعره، فلما عاد من منفى لم يجد سيده، فتحول إلى موضوع جديد هو الشعب المصري والشعوب العربية، ولا يفكر في عواطفه وميوله وإنما يفكر في عواطف غيره، سواء أكان أميراً أم كان شعباً.

يقول الدكتور شوقي ضيف في هذا الصدد:

"فهو دائماً لاتعنيه نفسه، إنما تعنيه أشياء خارجة عنه، وكان الجمهور وكانت الصحف دائماً قبلته، حتى حين كان يغني للخديوي عباس، وحين كان يعتزل الناس في برجه العاجي أو الذهبي، فلم ينفك عنه اهتمامه بالجمهور والصحف، إنما الذي يلاحظ أن هذا الاهتمام يتطور وتختلف اتجاهاته مع مرالزمن، فهو يتم بالجمهور قبل الحرب الكبرىٰ، فيغنيه التركيات، ويغنيه الإسلاميات ويغنيه تاريخه، كما يغنيه عروبة، ولكن لاتنحسر موجة الحرب حتى تفيض مع شعبه والشعوب العربية مشاعرة الوطنية والعربية، وهذا هو معني أن شوقي يصور أوضح تصوير تطور شاعرنا الحديث مع جمهور قرائه ومع الصحف التي يقول عنها في إحدى قصائده إنها آية العصر".(٢)

ومن يتصفح الشوقيات يستطيع أن يلاحظ في وضوح أن شوقي لم يترك مناسبة إلا دوّن فيها شعره، فهو لا يكتفي بالرثاء والمديح على عادة شعراء العرب القدماء، بل يحاول أن ينظم في كل حادثة وفي كل مسألة طارئة سواء أكانت تتصل بالشرق أم بالغرب.

وكانت أوقات الشاعر فارغة لمدة خمس سنوات، فقرأ كثيراً عن الأندلس ، وبدأ يكتب قصة "أميرة الأندلس" وأخذ شوقي يقرأ في الشعر الأندلسي ويظهر أنه أعجب بابن زيدون إعجاباً خاصاً وذلك رأيناه يتعلق بابن زيدون ويحاول أن يعارضه في قصيدته المشهورة التي يبث فيها حبه وحنينه إلى فردوسه المفقود "ولادة" قرة عينه، ونسج شوقي على منواله، فبكى واستبكى وذرف الدمع سخيناً

١ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص١٤٦.

٢ـ نفس المرجع، ص١٦١ـ١٦٢.

وفيها يقول:

"لـكـنّ مـصـر وأن أغـضت على مقةٍ — عيـن مـن الـخـلـد بالكافور تسقينا
تـاب الـحـنيـن إليـكم في خـواطرنـا — عـنـد الـدّلال عـليـكم في آمـانينـا
جئـنـا إلـى الـصبـر نـدعـوه كعادتنا — فـي الـنــائبــات فلم يـأخذ بـأيدنـا
لـم تـنزل الشمس ميزاناً ولا صورت — فـي مـلكها الضخم عرشا مثل وادينا" (١)

وخلع شوقي عنه الحلة الرسمية واستيقظت روح الشاعر بعد سبات عميق وأخذت تنظم فيها حـولهـا مـن عبر التاريخ الأندلسي وامتد البصر في أعماق تاريخ العرب، وأخذ شوقي يقرب إلى نفسه في الأندلس بأكثر مما كان يقرب إليها في مصر.

ويقول شوقي ضيف عن تطور في شعره:

" وعاد شوقي إلى وطنه، فوجد أرضه مخضبة بدماء الحركة الوطنية الذكية، ووجـد كـل شيئ فيه يتحول ويتغير، ولا ندري هل فكر في العودة إلى القصر؟ ولكن الـمـؤكـد أن أبـواب الـقـصـر لـم تـفـتـح لـه، فظل بعيداً مع الشعب، يعيش في حياته الـجـديـدة، فـلتـفـرحي ربة الشعر، ولتدقي البشائر، فإن طائرك لن يعود رهين محبسه الـقـديـم، ولا رهيـن ذهـب إسماعيل وأبنائه، فقد أخذ يرفرف حراً طليقاً في الفضاء، وأخـذت أجـنـحـتـه تـلـمـح فيها ألوان اللطيف وهي ألوان لم تكن تستمد من القصر وأميره ولا من حياته الارستقراطية القديمة، وإنما كانت تستمد من دماء الشعب التي سـفـعـهـا راضيـاً في الحركة الوطنية المباركة سنة ١٩١٩م ومن آماله وآلامه، وأيضاً مـن آمـال الشـعوب العربية جميعاً وآلامها، أصبح شوقي إلى حدما ديمقراطياً يعيش مـع شـعبـه والشـعوب العربية ،وكان مظهر ذلك في حياته أن أغلق داره أو كرمته في الـمـطـرية، واتغذ له كرمة جديدة في الجيزة، وفرغ لنفسه، وحياته الخاصة، ونزهاته المختلفة في النيل، وفي الإهرام، وفي إحدى نزهاته نظم قصيدته المشهورة:

أبـــا الهـــول طـــال عـليك الـعـصـر — وبـلـغـت فـي الأرض أقـصى العمر

وبـنـى فـي الـسـكـنـدرية بيتـاسـمـاه "درة الغواص" وكان كثير الرحلة إليها" (٢)

ونـحـن عـنـدمـا نـقـرأ قصائده على سفح الأهرام (٣) وأبو الهول (٤) وتوت

١ـ شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث، ص١٧١ـ١٧٢.(وأيضاً في: شراره،عبد اللطيف: شعراؤنا شوقي، دراسته تحليلية، ص٢٥.

٢ـ شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث، ص٣٦ـ٣٧.

٣ـ الشوقيات: ١٣/١.

٤ـ نفس المرجع: ١ / ١٣٢.

عنخ آمون(١) يهز السامع الشعور وتملكه نفس الشاعر فترفع به من مستوى الحياة الدنيا إلى سماوات الخلد، ذلك بأن شوقي يهديه المعنى الذي كانت تلتمسه نفس السامع فلا تقع عليه، ويرسـ أمامه بوضوح وقوة وسمو خيال ونيل عاطفة كل ما ينبض به قلبه ويهتزله فؤاده. وليس معنى ذلك أن صياغة شوقي لا تفترق عن صياغة البارودي في شيئ، فشعره أكثر سلاسة من شعر أستاذه، وكأنما أشربت روحه روح البحتري، فموسيقاه أكثر صفاء وعزوبة من موسيقى البارودي، وكأنه كان يعرف أسرار مهنته معرفة دقيقه، وخاصة من حيث الصوت وما يتصل به من أنغام وألحان، ولعل ذلك ما جعل شعره أطوع للغناء من شعر صاحبه البارودي وحافظ معا، فقد أكثر المغنون في عصرنا من تلحين شعره وتوقيعه.

ويقول الدكتور شوقي ضيف:

"وقصيدته النونية (٢) رائعة إلى الغاية قد صاغها على نسق قصيدة لا بن زيدون وكذلك صاغ السينية على نسق قصيدة البحتري في إيوان كسرى، ومعنى ذلك أنه كان لا يزال في الأندلس شاعراً تقليدياً من بعض جوانبه، إذ يعنى ببعض القصائد القديمة الرائعة، فيعارضها، وينظم من وزنها وقافيتها، وإن اختلفت القوالب بالقياس إلى ما تؤديه، فإن القوالب القديمة عنده دائماً لاتستعصي على أداء ما يريد من معان وأفكار، وهي لذلك تصبح عنده كياناً فنياً حيًّا، له روعته وجماله".(٣)

فهكذا أثر منفاه على كلامه وتطور في شعره واكتسب شهرة لا مثيل له وتمتع بلقب أمير الشعراء.

١ـ الشوقيات: ١/٢٦٦.

٢ـ الشوقيات: ٢/١٣٩.

٣ـ شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص١١٨.

الفصل الخامس

اتصاله بالشعب و وفاته

لم تكن لشوقي شعبية في أول الأمر

فقد كان شوقي في حياته الاستقراطية بعيداً عن الشعب كل البعد، قريباً من ذوي السلطان كل القرب، ينطق بلسان الرعاة ولا ينطق بلسان الرعية، إلا إذا اجتمعت الأمة وأولى أمرها على بعض الشؤون التي يظهر تأثيرها فيهم على السواء، وأكثر ما يكون ذلك عند ما تكون البلاد غرضاً لسهام الأجانب في السياسة أو في الحروب، فيتناسى الشعب في مصر أو في الدولة العثمانية بؤسة وجور حكامه، فإذا يبكى شوقي أو يغني في مثل هذه الحال، فقد حق له أن يقول:

كان شعري الغناء في فرح الشرق   وكان العزاء في أحزانه

وقصيدته التي خاطب بها اللورد كرومرسنة ١٩٠٧م على أثر الحفلة التي أقيمت لوداعه في ملعب اللاوبرة، تنطق بلسان صاحب العرش ولسان الأمة المصرية:

إياكم أم عهد إسماعيلا   أم أنت فرعون يسوس النيلا

وكذلك قصيدته "الأندلس الجديدة" التي قالها بعد سقوط ادرنة في أيدي البلغار سنة١٩١٢م، تعد من الشعر السياسي الاجتماعي الذي يعبر عن عاطفة الشعب والحكومة معاً، ولا يقتصر تأثيره على الأتراك وحدهم بل يشمل المسلمين على الإجمال، على أن الشاعر لم يكن يبتعد في الشؤون الداخلية عن إرادة القصر في السياسة والاجتماع.(١)

ويقول الدكتور شوقي ضيف:

"وكان أهم ما يعجب عباسا فيه مدائحه له في أعياد حكمه لمصر وفي كل مناسبة كبيرة تمر به وأخذ شوقي يدور معه في كل أهوائه السياسيّة، فتارة يمدح له الخليفة العثماني الذي كان يبتغي رضاه، وتارة يلوم الإنجليز ويندد بهم حين يغاضبهم وينازعهم بعض السلطان، ولم يكن شوقي حينئذ يختلط بالشعب، لذلك تفوق عليه حافظ في ميدان الوطنية وما يتصل بها من عواطف الجمهور السياسية، إذ كان ابن الشعب وكان يحس آلامه في عمق وقوة".(٢)

وقدحدث في هذه الحقبة من حياته تطور في فنه، فهو يعني أحيانا بالأوزان القصيرة وبوصف الرقص والخمر في قصيدته:

١ـ شوقي ضيف، الدكتور : الأدب العربي المعاصر في مصر ـ ص ١١٠.

٢ـ نفس المرجع، ص١١١.

"حفَّ كـأسهـا الـحبـب فهـي فـضة ذهـب" (١)

وشوقي في كل ذلك لم يكن يعنى بالجمهور عناية دقيقة، فهو شاعر القصر، وهو بعيد عن الجمهور بحكم أسرته الأرستقراطية وبحكم وظيفته الرسمية، ولكن خلال منفاه إلى أسبانيا، ينظم قصائد في حب وطنه وينشد شعر عن فردوسه المفقود، ويستشعر كبرياء قومه في أقوى صورة، كما نرى في مثل قوله:

"نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ولـم يهـن بيـد التشتيـت غـالينا" (٢)

ثم يقول:

"لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت في ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا" (٣)

ويبين طه حسين كيفياته بعد العودة قائلا:

"وحين تضع الحرب أوزارها في سنة ١٩١٩م ويؤذن للشاعر أن يعود إلى وطنه، فيعود في سنة ١٩٢٠م قويا شديد النشاط، حتى يرى القصر فيحن إليه ويدنوا منه، والقصر لا يعرفه ولا ينكره، وكان يسفك دم شعب المصري في سبيل الحرية ويخفض الشاعر بصره إلى الأرض، لن يرى عليها ذهب إسماعيل ويرى أمته تراق دمائها وتنتهك حرماتها، وتأمل في كل شيئ ولكنها ترتقب الأمل من كل شيئ! ياللطبعية الخصبة! يا للقلب الذكي! هذا شاعر القصر يصبح شاعر الشعب".(٤)

وكان شوقي لم يعن حينئذ عناية واضحة بحاظر وطنه، فإنه عنى عناية قيمة بماضيه، فكتب ملحمته الرائعة "كبار الحوادث في وادي النيل" وكتب قصيدته اليتيمة "أيها النيل" وينشد فيها حنان إلى وطنه وحريته.

ويقول شوقي ضيف في هذا الصدد:

"ولمع في بصره المتألق المتموج تاريخ وطنه كأنه قوس قزح يسطح في السماء فصرخ من أعماقه، وذهب ينشد على قيثارته أغاني، يصور بها جمال هذا القوس الرائع، أما حاضر الوطن فلم يعن به وكأنما كان من الضروري أن يخرج من برجه العاجي وحياته الضيقة في القصر حتى يرى عالم وطنه المحجوب عنه، وحتى

١ـ أحمد شوقي: الشوقيات: ٢/٩. انظر أيضاً: شوقي ضيف، الدكتور: الأدب العربي المعاصر في مصر، ص١١٧ـ١١٨.

٢ـ أحمد شوقي: الشوقيات: ٢/ ١٠٧.

٣ـ نفس المرجع: ٢/١٠٨.

٤ـ طه حسين: حافظ وشوقي: ص٢١٨،٢١٩.

يخلع عنه نيرسيده، فلا يرى الشعب من خلال رغباته ونزعاته، بل يراه مستقلا على حقيقته، وخرج شوقي من البرج العاجي أو الذهبي، ولكنه لم يخرج إلى الشعب، بل خرج إلى المنفى في أسبانيا، وهناك أخذت الكأس تمتلئ بالعاطفة الوطنية، فقد أبعد شوقي عن ملاعب شبابه، ورآها من بعيد يجثم عليها كابوس الاحتلال الذي يذيقها ألوانا من الذهب، فحنّ الطائر إلى روضه، وحكي ذلك في قوله الذائع:

وطني لو شغلت بالخلد عنه　　　نازعتني إليه في الخلد نفسي" (١)

اتصاله بالشعب

ومن هنا تبدأ الدورة الثانية في حياته الأدبية فإنه لم يعد يفكر في القصر ولا في وظيفته فيه، فقد أصبح حُرّا طليقا، وهيأ له ثراؤه أن ينعم إلى أقصى حد بهذه الحرية، فخلص لفنه ولشعبه وأخذ يغنيه أغاني وطينة رائعة، فشعره في هذه الدورة من حياته يفيض بالوحدة العربية من أبياته الدائرة في نوادي العرب ومجالسهم قوله:

ونحن في الشرق والفصحى بنورحمٍ　　　ونحن في الجرح والآلام إخوان

وقوله:

كلما أن بالعراق جريح　　　لمس الشرق جنبه في عمانه" (٢)

فقد أخذ شوقي يرفرف حرّا طليقا في الفضاء وأخذت أجنحته تلمح فيها ألوان اللطيف وهي ألوان لم تكن تستمد من القصر وأميره ولا من حياته الأرستقراطية القديمة، وأصبح شوقي إلى حدما ديمقراطياً يعيش مع شعبه والشعوب العربية، واتخذ له كرمة جديدة في الجيزة، وفرغ لنفسه، وحياته الخاصة ونزهاته المختلفة في النيل وفي الإهرام ، وفي إحدى نزهاته نظم قصيدته المشهورة:

"أبا الهول طال عليك العصر　　　وبلغت في الأرض أقصى العمر" (٣)

واحتفظ شوقي بعد رجوعه من المنفى بخاصة الفنية المميزة له، وهي أن يكون شاعر غيره، كان شاعر عباس، فأصبح شاعر الشعب المصري، بل شاعر الشعوب العربية كلها، ينبض قلبه بأحلامها وآمالها وما تكون فيه من جهاد وثورات، وانصبّ شوقي مع الشعب يغنيه آماله في الدستور النظام البرلماني وفي التعليم والجامعة وفي الجيش، وفي كل ما يجيش بنفسه من آمال وما يدور بفكره من خواطر، فليس هناك من حادث يمر به إلا ويستخلص له منه حكمة وعظمة وكانت له قوة

١ـ شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث، ص١٤٥ .

٢ـ شوقي ضيف، الدكتور : الأدب العربي المعاصر في مصر، ص١١٣ .

٣ـ شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث، ص٣٨ـ٣٩.

نفاذة أو بعبارة أخرى عين بصيرة تستطيع أن تلمح ما يريده الشعب، فيسبق إلى الدعوة به، ويدعوا إلى الائتلاف والاتحاد بين الأحزاب في قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

"إلام الخلف بينكم إلاما ... وهذي الضجة الكبرى علاما
وفيم يكيد بعضكم لبعضٍ ... وتبدون العداوة والخصاما
وأين الفوز؟ لا مصر استقرّت ... على حال ولا السودان داما
ترامیتم فقال الناس قوم ... إلى الخذ لان أمرهم ترامى
وكانت مصر أول من أصبتم ... فلم تحص الجراح ولا الكلاما
ولينا الأمر حزبا بعد حزب ... فلم نك مصلحين ولا كراما
جعلنا الحكم توليةً وعزلاً ... ولم نعد الجزاء والانتقاما" (١)

وشوقي بذلك إنما يعبر عن الشعب الحزين الذي نال بعض حقوقه. فلا عجب أن شغل شوقي بالشاب وأولاه عنايته، لأن الشاب هم أشبال اليوم التي يريسيها الوطن لغده المأمول، فالوطنية تقتضي إعدادهم لتحقيق الأمل العظيم المنوط بهم:

إن الشاب غدّ فليهدم لغد ... وللمسالك فيه الناصح الورع

ولهذا يفديهم شوقي بابنيه، وإنه لفداء عظيم، ويدعوا اللّٰه أن يمد أجله ليسعد برؤيتهم وهم يحيون في وطنهم ينعمون به وينعم بهم، ويرفعون مكانته إلى ذروة العلا والمجد ويستبشر بهم خيراً، بأنهم سيعيدون إلى الوطن عزته وقوته.

فيقول:

"يا شباب الغد، وابناي الغدا ... لكم، أكرم وأعزز بالفداد
هل يمد اللّٰه إلى العيش عسى ... أن أراكم في الفريق العداء
وأرى تاجكم فوق السُّها ... وأرى عرشكم فوق ذكاء
من رأكم قال مصر استرجعت ... عزها من عهد خوخو ومناء
أمة للخلد ما تبني إذا ... ما بنى الناس جميعاً للفناء" (٢)

ولكنه قد ذاق الآن لذة الحرية وظهر فيه عنصره العربي وعنصره اليوناني، فهو يحب الهواء الطلق، وهو يحب الديموقراطية، وهو ينزل إلى الشارع ويطوف فيه حيث يلقى الناس ويتحدث إليهم ويسمع منهم ويشاركهم في لذاتهم وآلامهم.

ويبين طه حسين السمو والرفعة له بعد اتصال الشعب ويقول:

١ـ شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص١٤٨ـ١٤٩.

٢ـ أحمد الحوفي، الدكتور: أضواء على الأدب الحديث، ص١١٣.

"وبعد اتصال الشعب يرقى إلى السمآء الشعر فإذا هو ترجمانهم الصادق ومرآتهم المجلوة الصافية، وكذلك الشعب قوي دائماً جذاب دائماً، منه رفعة العظيم وبه خمول الخامل، رفع حافظاً حتى تنافس في قربه العظماء وجذب شوقي حتى فتن بعامة الناس وأغمارهم، ولقد كان شوقي في أول أمره شاعراً أثراً يحب نفسه ويلتمس لها أسباب اللذة والنعمة، ثم شاعراً موظفا يقف ملكاته على الأمير والسلطان، ثم عاد إلى نفسه، ثم رد إلى شعبه، فأصبح شاعر الفن وأصبح شاعر الشعب". (١)

صيته في العالم العربي

وأهم ما يميز شعر شوقي في هذه الدورة الثانية من حياته أن تحول من القصر إلى الشعب، فصوّره في آماله الوطنية وحركاته السياسية، ولم يعد شاعراً تقليديّا، بل أصبح شاعراً شعبيّاً، ولكن بطريقته الفنية الخاصة، وهي طريقة لم تعد تعتمد على معارضات الشعراء القدماء، وإنما تعمد اعتماداً عاماً على الجزالة والمتانة.

ويقول شوقي ضيف عن هذه التطور:

"وكانت شهرته قد طبقت الآفاق، فأينما حلّ أقيمت له الاستقباليات، وكان بيته منتدى الآباء والشعراء وكبار رجال عصره، وقد زاره في عام ١٩٢٦م "طاغور" شاعر الهند الكبير، وقلما يفد على مصر زعيم عربي إلا ويزور الكرمة، وممن زاروها إسعاف النشا شيبي أديب فلسطين والسيد الثعالبي الزعيم التونسي. واختير شوقي عضواً في مجلس الشيوخ، وفي سنة ١٩٢٧م أعاد طبع ديوانه الشوقيات، فأقيمت له بهذه المناسبة حفلة تكريم كبيرة، بل حفلات، اشتركت فيها الدول العربية جميعاً بمندوبين، نثروا رياحينهم بل اشتركوا جميعاً في وضع تاج إمارة الشعر العربي على رأسه، وممن ساهم في هذه الحفلات محمد كرد علي عن المجمع العلمي العربي بدمشق وشبلي ملاط عن لبنان وأمين الحسيني عن فلسطين وشكيب أرسلان وفند نبرج البلجيكي عن بلده، وأعلن حافظ باسمه واسم شعراء البلاد العربية البيعة لشوقي:

"أمير القوافي قد أتيت مبايعا وهذى وفود الشرق قد بايعت معى" (٢)

وعلى هذه الشاكلة حقق شوقي كل ما كان يطمح إليه من مجد أدبي، وأثناء ذلك كان يتصل

١ـ طه حسين: حافظ وشوقي، ص٢١٩ـ٢٢٠ .انظر ايضاً: احمد عبيد: ذكرىٰ الشاعرين: شاعر النيل وأمير الشعراء، ص٧٢١.

٢ـ شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث،ص٣٩.

بالشعب وحياته الجديدة بعد نهضة الوطنية كما كان يتصل بشعوب البلاد العربية، فقد شارك السوريين في ثوراتهم الوطنية المختلفة وسجل هذه الثورات شعراً رائعاً، ولم يترك فرصة للإشادة بزعيم عربي أو حركة عربية إلا انتهزها، ونوه فيها بآمال العرب وظلم المستعمرين وما ينالونهم به من عذاب.

ويقول الدكتور شوقي ضيف:

"وأصبح شوقي أمل الشباب في مصر وسوريا وغيرهما، وأصبح شعره يردد في كل مكان ينطق أصحابه بالضاد، وظل يتربع عرش إمارة الشعر العربي بقية حياته، وحتى الآن لا يزال اسمه يدوي في آذان العرب كأنه تراتيل السحر".(١)

وعاش شوقي لشعره وفنه، ولم تبق أمينة تمناها إلا حققها له الدهر.

ويقول طه حسين عن تطور في شعره:

"وتتقدم السن بشوقي وتكثر الحوادث من حوله ويشتد شاعريته النشاط، فإذا جناح شعره ينبسط حتى إذا أظل الشرق العربي كله، وإذا هو يرى في السماء الفن الخاص، يرى التمثيل ويرى الغناء فينفق بقية عمره في التمثيل والغناء، أما في الغناء فقد أجاد من غير شك، وأما في التمثيل فقد غنى فأطرب وأثر في القلوب".(٢)

سوء حظه

ولاريب أن شوقي نال مقام السمو والرفعة والعظمة واكتسبت شهرة في العالم العربيفي ميادين الشعر والنثر، ولكن من سوء حظه أن وصل في شيخوخته إلى ما وصل إليه حافظ في شبابه، لأن شوقي سكت حين كان حافظ ينطق، ونطق حين اضطر حافظ إلى الصمت، أو لسوء الحظ، ليت الحافظ لم يوظف قط، وليت شوقي لم يكن شاعر الأمير قط، لقد أسكت حافظ ثلث عمره، وسجن شوقي أميره ربع قرن.

ويقول طه حسين في هذا الصدد:

"وخسرت مصر والأدب بسعادة هذين الشاعرين العظيمين شيئاً كثيراً، وتتقدم السن بشوقي، وإنما فن الشعر والنثر يحتاج إلى الشباب ويحتاج إلى الدرس ويحتاج إلى القراءة الكثيرة، وقد أضاع شوقي شبابه في القصر وقد أضاع شوقي نشاطه وحدة دهنة قبل أن يفرغ للدرس وقد كان شوقي قليل القراءة فكان تمثيله صوراً ينقصها الروح وإن حبها إلى الناس ما فيها من براعة في الغناء".(٣)

١ـ شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث ـ ص ٤٠

٢ـ طه حسين: حافظ وشوقي ـ ص ٢٢١

٣ـ طه حسين: حافظ وشوقي، ص٢٢١ـ٢٢٢ (وانظر أيضاً: أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين ـ شاعر النيل وأمير الشعراء ـ ص٧٢٢ـ٧٢٣.

وفاة شوقي

وكان شوقي في أيامه الأخيره يتمتع بصحة طيبة ولم يكن يشكو غير فقد شخصية الطعام، وقد فحصه أخيراً أحد الأطباء المعروفين فقرر أن صحته العامة لا بأس بها، ولكن التغذية ضعيفة، ونصحه بأن يعطي الجسم حاجته من غذآئه.

ويبين أحمد عبيد وفاته وكيفياته قبيل وفاته قائلا:

"وكان يوم الخميس ١٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٢م من الأيام التي أحس فيها بنشاط صحي مكنه من تناول طعام الغدآء بشخصية، ثم ذهب للنزهة في السيارة إلى ضاحية مصر الجديدة وعرج على دار صديقه إسماعيل شيرين بك، مدير المطبوعات فلم يجده فيها فترك له بطاقته ثم قصد حوالي الساعة التاسعة إلى أحد المطاعم بالعاصمة فتناول عشاء ه فيه، وتوجه على أثر ذلك إلى دار (الجهاد) فأمضى مدة فيها بالقرب من صديقه الكاتب الجرئ الأستاذ توفيق دياب، ووصل الفقيد إلى منزله في الجيزة حوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً وأخذ مضجعة ولكنه استيقظ عند منتصف الساعة الثانية بعد منتصف الليل، فدق الجرس وحضر الخادم، فطلب إليه الفقيد أن يحضر مآء ساخناً وورق كافور، وكلفه استدعآء طبيبين سماهما له وهما الدكتور برسكا والدكتور جلاد".

ثم أمر الفقيد الخادم أن يوقظ السيدة قربنته وأنجاله، ففعل وهنا أحس الفقيد بالخاتمة فقال لخادمه:

"إني أشعر أن أمري قد انتهى فعليك أن تبلغ تحياتي وسلامي إلى أصدقائي الذين كانوايزورونني هنا".

وحضر آل الفقيد وهو بالنزع الأخير، ولما وصل الدكتور جلاد كان الفقيد قد أسلم روحه إلى بارئها في منتصف الساعة الرابعة صباحاً.(١)

فانطفأ هذا المصباح المنير الذي شعّ ضؤه فملأ الآفاق نوراً، وكسا الدنيا بهجة وسروراً وذهب شوقي بعد أن كان اسمه ملء فم الدنيا، وشعره أدب العالم العربي ومفخرته على الأجيال الغابرة والحاضرة.

ثم يقول أحمد عبيد:

وما كاد يذاع نعي الفقيد في القاهرة حتى وجم الناس وعلتهم الكآبة وانتابهم الحزن

---

١ ـ أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين: شاعر النيل وأمير الشعراء، ص٣٠٧.

والجزع، وأذاعت نعي الفقيد في أندية العاصمة وبمعاهدها، فأوفد مندوباً ينوب عنه في تشييع جنازة الفقيد، كماأناب دولة رئيس الوزارة معالي وزير المعارف عنه وعن زملائه الوزرآء في تشييع الجنازة.

وأعلن أن بدء المركب الرسمي للجنازة سيكون في منتصف الساعة الخامسة بعد الظهر من ميدان الإسماعيلية، فحملته من داره بالجيزة إلى ميدان الإسماعيلية، و في الساعة الرابعة ونصف تماماً نقل النعش من السيارة وحمل على الأعناق، ثم مشى خلف الجنازة المشيعون، وتملأ أنهر الشوارع وأرصفتها بخط طويل جداً وصلي على جثمان الفقيد في جامع الكخيا وقدأم المصلين فضيلة الأستاذ التفتازاني، ولم يرعدد أكثر من المصلين على الفقيد، وبعد أن صلي عليه تقبل نجلا الفقيد الأديبان علي وحسين والأستاذ حامد العلايلي بك زوج كريمة عزآء جمهور المشيعين.

ثم يقول أحمد عبيد:

"ونقل نعشه إلى سيارة وتبعها خاصة الفقيد في سيارات كثيرة إلى مدفن العائلة بالسيدة نفيسة حيث أضجع في مرقده الأخير إلى جوارحمية المرحوم حسين شاهين باشا، ثم ألقى الأدباء الدكتور على العناني والأستاذ أحمد محفوظ والدكتور ناجي وفضيلة الأستاذ التفتازاني كلمات نثرية وشعرية في رثآء الفقيد،أن ينزل الفقيد منازل الرحمة الواسعة ويقعده مقعد صدق بين عباده الصالحين".(١)

ويقول الدكتور شوقي ضيف على وفاته:

"ومن الغريب أن الأمراض كانت قد اصطلحت عليه في هاتين السنتين الأخيرتين، ويحدثنا كاتبه أن يعكف معه على قراءة القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي، وكان يعجب خاصة بالغزالي ومؤلفاته والجبرتي وتاريخه، ولا بدأن نشير هنا إلى سماحة نفسه، وبشر وجهه، فقد كان ضحوك المحيّا، خفيف الروح، وكان يعجب بالدكتور محجوب ثابت وله معه فكاهات مثبوتة في شوقياته. وأخيراً حول الساعة الثانية في ليلة ١٤من اكتوبر سنة ١٩٣٢م كفّ البلبل عن شدوه، فقد سقطت قيثارة الشعر من يده، ولبّت روحه نداء ربه، وارتفع النواح والنشيج في مصر والأقطار العربية وخرجت الأمة المصرية الكريمة تشيع شاعرها بقلب ملهوف وعين جارية، وانبرى الكتاب والشعراء في مصر والشرق العربي يرثون الشاعر ويعزون الوطن في هذا العلم الذي طوى إلى الأبد وأقيمت له حفلات التأبين في كل مكان، وندبته الصحف العربية ندباً حاراً". (٢)

١ـ أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين ـ شاعر النيل وأمير الشعراء ـ ص ٣٠٧ ـ ٣١٠.

٢ـ شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث ـ ص ٤١ .

ويقول طه وادى على وفاته:

"والمنصب الرفيع الذي شغله شوقي لا يزال شاعر منذ وفاته ١٩٣٢م حتى اليوم".(١)

ويقول طه حسين:

"مات شوقي فحزنت عليه مصر والشرق حزن المعجب". (٢)

تواريخ هامة في حياة شوقي

١٦ اكتوبر ١٨٧٠م

"تاريخ ميلاده كما جاء في شهادة الليسانس التي نالها من باريس في الحقوق".(٣)

سنة ١٨٨٥م

دخل مدرسة الحقوق بعد أن أنهى المرحلة الثانوية، وبقى بها أربع سنوات يدرس الحقوق والترجمة عن الفرنسية حتى سنة ١٨٨٩م.

٧ ابريل ١٨٨٨م

نشرت له أول قصيدة في الوقائع المصرية" في مدح الخديوي توفيق.

سنة ١٨٩٠م

عينه الخديوي توفيق فى "قلم السكر تارية الخديوية" قسم الترجمة.

١٨٩٠م ـ١٨٩٣م

سافر في بعثة إلى فرنسا على نفقة توفيق ليكمل دراسته في الحقوق، قضاها بين مونبلية وباريس، وزار خلالها إنجلترا والجزائر وكثير من قرى الجنوب الفرنسي ومدنه.

نومبر ١٨٩٣م

العودة من فرنسا، والعمل في "قلم السكر تارية الخديوية"

سنة ١٨٩٦م

أوفدته الحكومة المصرية، ممثلا لها في مؤتمر المستشرقين بسويسرا (جنيف)

١ـ طه وادى، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي ـ ص مقدمة الكتاب.

٢ـ طه حسين: حافظ وشوقي ـ ص١٩٠ وانظر أيضا: شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر في مصر ـ ص١٨٣ (وانظر: عمر فروخ: كلمة في أحمد شوقي ـ ص٧ـ٨ وانظر: أحمد الحوفي: الإسلام في شعر شوقي ـص٤.

٣ـ طه وادى، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي ـ ص١٥٣.

حيث ألقى قصيدته "كبار الحوادث في وادي النيل " ثم سافر من هناك في رحلة إلى بلجيكا.

سنة ١٨٩٨م

ونشر الجزء الأول من "الشوقيات" بمقدمة لشوقي " ويوجد نصفها فيهذا الباب.

١٨٩٤م ـ ١٩١٤م

وتعد هذه المدة من أزهى الفترات في حياة شوقي، حيث كانت له مكانة سامية لدى الخديوي في مصر والخليفة في تركيا. وقد كثر فيها شعره في مدح الخديوي والخليفة. كما ظهر شعره الديني ترجمة للدعوة إلى الجامعة الإسلامية في ظل الخلافة التركية.

١٩١٥م ـ نهاية ١٩١٩م

فترة النفي في أسبانيا (برشلونة)

سنة ١٩٢٤م

وعين عضوا بمجلس الشيوخ بترشيح من سعد زغلول عن محافظة سيناء، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته.

سنة ١٩٢٦م

زاره شاعر الهند الكبير "طاغور"

٢٩ أبريل ١٩٢٧م

مبايعة وفود الدول العربية وشعرائها له بأمارة الشعر، وقد أقيم الاحتفال بهذه المبايعة في دار "الأوبرا" بالقاهرة.

١٤ اكتوبر ١٩٣٢م

"مات شوقي عن اثنتين وستين سنة". (١)

تواريخ هامة في فن شوقي

سنة ١٨٨٨م

وأول مـــــرة ينشر له شعر في "الوقائع المصرية" (٧أبريل) وكان مدحا في توفيق الخديوي.

سنة ١٨٩٣م

"علي بك الكبير" مسرحية شعرية مطبوعة، ألفها في باريس سنة ١٨٩٢م، ثم أعاد

١ـ طه وادى، الدكتور: شعر شوقي الغنائي والمسرحي،ص ١٥٤.

كتابتها سنة ١٩٣٢م، وأحدث بها بعض التغيير.

سنة ١٨٩٧م

"عـذراء الهـنـد أو تـمـدن الفراعنة" رواية نثرية لم تطبع في كتاب ويقال إنها طبعت، لكنها تعد ضائعة ولم أعثرلها على أى نص.

سنة ١٨٩٨م

نشر الجزء الأول من الشوقيات بمقدمة لشوقي ثم حذفت من الديوان فيما بعد، وقد أثبتناها وفاء للأمانة العلمية في هذا الباب.

سنة ١٨٩٩م

و"لا ديـاس أو آخـر الـفـراعـنة" رواية نثـرية تاريخية تدور أحداثها في عهد الفراعنة، يـصـور فيهـا تـمـرد قـائد الجند "أمازيس" على فرعون المستبد وانتصاره عليه، أعيد طبعها حديثا بمقدمة لمحمد سعيد العريان بعد وفاة شوقي.

سنة ١٩٠٠م

و"دل وتيـمـان" (لم تطبع) رواية نثرية تتمه لرواية "لادياس"كتبها متأثرا برواية العالم المصر ولوجى جورج أيبرس.

سنة ١٩٠٠م

"شيـطـان بـنتـاء ور" أولبد لقمان وهدهد سليمان" وهو محادثات قريبة من أسلوب الـحـكـى فـي المقامة. يناجى فيها "يتناء ور" شاعر رميسس الأكبر. الذي تخيله في صـــــورة نسر معمر لبد، أما شوقي فكان الهدهد، ويدور بين الأثنين الشاعر القديم والـحـديـث حـوار عـن أحـوال مصر في الزمان القديم والحديث. وقد نشر الكتاب حديثا بتحقيق وتقديم محمد سعيد العريان.

سنة ١٩١١م

ورقة الأس أو الـنـضـيـرة بنـت الضيزن رواية تاريخية، تمثل غاية نضج فن الرواية عند شوقي، وقد نشرت أخيرا بتقديم محمد سعيد العريان.

سنة ١٩١١م

"البـخيـلة" مسـرحية شعـرية لم تتم ولم تطبع، وهذه الأجزاء موجودة في الشوقيات المجهولة.

سنة ١٩١١م

إعادة طبع الجزء الأول من "الشوقيات" بمقدمة شوقي.

١٩١٥م - ١٩١٩م

كتب إثناء النفي بالإضافة إلى شعر المنفى الذي يعد من أعذب شعره.

أميرة الأندلس: مسرحية نثرية ثم أعاد كتابتها فيما بعد.

دول العرب وعظماء الإسلام : أرجـــــــوزة شعرية تناول فيها تاريخ الإسلام ورجاله حتى نهاية العصر الفاطمي. ويبدو أن شوقي قد تأثر فيها بأرجوزة الشاعر الأندلسي لسان الدين من الخطيب "رقم الحلل في نظم الدول" نشرت ١٩٣٣م.

١٩٢٧م - ١٩٣٢م

تفرغ شوقي في هذه الفترة للمسرح فأنتج:

"مصرع كليو باتره"	مسرحية شعرية
"مجنون ليلى"	مسرحية شعرية
"قمبيز"	مسرحية شعرية
"على بك الكبير"	مسرحية شعرية
"عنترة"	مسرحية شعرية
"الست هدى"	مسرحية شعرية
أميرة الأندلس"	مسرحية نثرية

سنة١٩٣٢م

"**أسواق الذهب**" وهو يشتمل على موضوعات عامة مختلفة، بأسلوب نثري مسجوع، إذ كان شوقي يرى أن السجع "شعر العربية الثاني" وهو قريب من حيث طريقة كتابته من كتاب "أطواق الذهب للزمخشري" و"أطباق للذهب للأصفهاني".

"الشوقيات"

"وديوان شوقي يشتمل على أشعاره وطبع في أربعة أجزاء:

ا: كتب مقدمة محمد حسين هيكل لأول جزء من الشوقيات ويتناول قصائد في "السياسة والتاريخ والاجتماع" وقد حدثت به تغيرات عن الطبعة الأولى، وقد أشرف على طبعه الشيخ عبد العزيز البشري.

ب: أما الجز ألثاني

فيتناول فيه قصائد في الوصف والنسيب والموضوعات المتنوعة.

ج: والجزء الثالث

فهو يدور كله حول الشعر الرثائى.

د: والجزء الرابع

طبع بعد وفاته بمقدمة محمد سعيد العريان ويشتمل قصائد متنوعة.

"الشوقيات المجهولة"

ويشتمل هذا الكتاب على جزئين وعلى كتابات مختلفة من تراث شوقي.

يقول طه وادي:

"والذيلم يجمع في ديوانه المتداول، وقد جمعه وعلق على بعض موضوعاته "محمد صبرى السريوني" كما يحتوي على بعض موضوعات نثرية لشوقي، وقد صدر عن دار الكتب المصرية سنة ١٩٦١م، ١٩٦٢م".(١)

أربعة أدوار في حياة شوقي

ويقسم عبد اللطيف شرارة أربعة أدوار في حياة شوقي الشاعر وهي:

١ـ "ما قبل ذهابه إلى فرنسا للدراسة حتى عام ١٨٩٨م.

٢ـ ما بعد دراسته حتى نفيه إلى أسبانيا.

٣ـ ما بعد عودة من المنفى حتى ١٩٢٧م.

٤ـ بعد ١٩٢٧م، حتى نهاية حياته".(٢)

شخصية شوقي في نظرة واحدة

ونحن الآن نتكلم عن خصائص شوقي واحداً واحداً، وهي التي تشتمل على صورته، طبعيته، ذهنه وأخلاقه وغيره. ويبين شوقي ضيف بيان زميله أحمد زكي صورة شوقي حين دخل مدرسة الحقوق.

فيقول:

"وكان في جملة الوافدين سنة ١٨٨٥م فتى نحيف، هزيل، ضئيل، قصير القامة، وسيم الطلعة تقريباً، بعيون متألقة تحقيقًا، ولكنها متنقلة كثيراً، فإذا نظر إلى الأرض دقيقة واحدة، فللسماء منه دقائق متمادية، وإذا تلفت صوب اليمين فما ذاك إلا لكى يرمي ببصره نحو الشمال، وهو مع هذه الحركات المتتابعة المتنافرة هادئ ساكن

١ـ طه وادى، الدكتور ، شعر شوقي ـ الغنائي والمسرحي ـ ص١٥٥ـ١٥٨ انظر أيضاً:شرارة، عبداللطيف: شعراؤنا شوقي ـ ص٥١ـ٥٢ (وانظر أيضاً ـ عباس حسن: المتنبي وشوقي ص٣٧ـ٤٢.

٢ـ شرارة،عبداللطيف: شعراؤنا شوقي ص٢٥.

وادع كأنما يتحدث بنفسه إلى نفسه، أو يتلاغى مع عالم من الأرواح، ما كان يلابسنا فيما ناخذ فيه من اللهو والمرح، ولا يتهافت معنا على تلقف الكرة بعد الفراغ من تناول الغداء، أو حينما تتنفس الصعداء لانتهاء مواقيت الدراسة".(١)

عند ما نتكلم عن شخصيته، فنجد أنه رجل قصير الحديث، ولكن عرفنا أنه مجنون جديد من مجانين ليلىٰ، وليلاه هي الشعر، وهو مجنون بالشعر، مغرم ولا مفتون،فإن الغرام والفتنة من أيسر ما يعرض للأرباب القلوب.

وما كان حديث شوقي حديثا عادياً ولكن مملوء بروعه، وكأنه يبحث عن شيئ في لفائف قلبه، وحنايا نفسه، وأعماق ضميره،

وقد وصفه زكي مبارك وصفاً صادقاً حين قال:

"وينظم بين أصحابه فيكون معهم وليس معهم، وينظم في المركبة، وفي السكة الحديدة، وفي المجتمع الرسمي، وحين يشاء وحيث يشاء، ولا يعرف جليسه أنه ينظم إلا إذا سمع منه بادئ بدء غمغمة تشبه النغم الصادر من غوربعيد ،ثم رأى ناظريه وقد برقا وتواترت فيهما حركة المحجرين، ثم بصر به وقد رفع يده إلى جبينه، وأمرّها عليه إمراراً حفيفا هينهة بعد هينهة فإذا قوطع في خلال النظم انتقل إلى أي بحث يباحث فيه حاضر الذهن صافية، جميل البادرة، كعادته في الحديث، ثم إذا استأنف ذلك المنظوم، ولو بعد أيام طوال عاد إليه، كأنه لم ينقطع عنه مستظهراً ماتم منه حافظاً لبقية المعني الذي يضمره، ويكتب القصيدة بعدتمامها وربما تمت ونسيها شهرا، ثم ذكرها فكتبها في جلسة واحدة. ويكلف أحيانا بمعارضة المتقدمين ولا يندر عليه أن ينبرهم، لا يجهد فكره ولا يكده في معني أو مبني، فأما المعني فيحيئه على مرامه أو على أبعد من مرامه، ولا ينضب عنده لأنه سيخلصه من عقل فوآر الذكاء، ومعارف جامعة إلى أفانين الآداب في لغات الأفرنج والأعراب، فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ، وتنبيهات فنية، استقاها من مطالعته في صنوف الكتب، واتخذها من ملحوظاته وسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب، وأما المبني فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقامات القول، ترى فيه من سج البحتري، ومن صياغة أبي تمام، ومن وثبات المتنبي، وفي المجموع تجد صفة عامة للنظم وهي أنه نظم شوقي، ذلك شعر العبقرية والتفوق" فشوقي، قلما يتحدث عن شعره،

١ـ شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث ص١٢ أنظر أيضاً: أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين- شاعر النيل وأمير الشعراء- ص٣٢٥ـ٣٢٧.

وقـلـما ينشده، وإنما يوكل بانشاده من يتوسم فيه حسن الفهم، وحسن الأداء، وهذا المسـلك، مـع مـا فيـه مـن دلائل الحياء، غير مأمون العواقب وكثيراً ما أذى الشاعر وعاد عليه بالضرر البليغ، وعفا الله عن فلان وفلان".(١)

وكانت شخصيته كما يعرفه الناس كإنسان اجتماعي يخطئ ويصيب بين الحق والواجب.

طبيعة شوقي

وأمـا طبيـعة شـوقي، فيها أثر من العرب وأثر من الترك وأثر من اليونان. والتقت كل هذه الآثار ومـا فيهـا مـن طبـائع واصطلحت على تكوين نفس شوقي، فكانت هذه النفس بحكم هذه الطبعية أو الـطبـائع أبـعـد الأشيـاء عـن البساطة وأنآها عن السذاجة، وهي بحكم هذا التعقيد والتركيب خصبة كأشد ما يكون الخصب، غنية كأوسع ما يكون الغنى.

ثـم لـم تـكـد هـذه الـنـفـس الـخـصبة الـغنية المتوقدة تتصل بالحياة حتى لقيت من حوادثها وتجاربها، ومن كنوزها وغناها ما يزيد ها خصباً إلى خصب وثروة إلى ثروة.

ويقول طه حسين عن طبيعته:

"وكـان شـوقي يحسن التركية وكان متقناً للفرنسية، قد برع فيها نطقاً وفهما، وكان فـي أول أمـره كثير القراء ة حريصاً على الفهم، فقرأ كثيراً وفهم كثيراً وتمثلت نفسه مـا قـرأ ومـا فهم، وانضم إلى هذه العناصر التي كانت تركب طبعيته عنصر جديد هو الـعـنـصر الفرنسي الذي عمل في عقله وخياله ومزاجه كله، ونمت العناصر الأخرى بالقراء ة والحياة". (٢)

ويقول طه حسين:

ونـجـد بيـن معاصر يه أدباء احترفوا الحزبية احترافاً، فهم كل يوم في حزب، يتنقلون مع الريح يـمينـاً وشـمـالا، ويدقون الطبل دقاعر يضاً اليوم لهذا الحزب، ثم ينصرفون إلى حزب آخر، ولم يكن شـوقـي يـحب أن يعيش هذه المعيشة الملونة ألوان الليطف، وكان في الوقت نفسه غنيّاً عن أن يرتزق بشعره فاعتزل الأحزاب وعاش مستقلا.

"وكـانـت نـفـس شـوقي أرستقراطية رغم ديموقراطية الكتاب والمدرسة، ووجهت السياسة شوقي نحو القصر".(٣)

ولـكـن مـا يـدل هـذا أن شـوقي لم يعرف الناس قط، بل هو بنفسه من شعب المصري وكان

١ـ زكي مبارك، الدكتور: الموازنة بين الشعراء ـ ص١٢٢ـ١٢٤.

٢ـ طه حسين: حافظ وشوقي ـ ص١٩٩. وانظر: عبدالوهاب أحمد: اثنا عشر عاماً في صحبة امير الشعراء، القاهرة،مصر:١٩٣٢م.

٣ـ طه حسين: حافظ وشوقي ـ ص١٨٩.

يعرف أمانيهم وآمالهم ويبين في شعره بالتفصيل.

كما يقول طه حسين:

"وشوقي لم يواجه الناس بتجديد عنيف في الأدب قط، وهو لم ينهض لخصومة ناقد من نقاده، بل لم يجرؤ على أن يلقى نقاده بالعتب ، وإنما كان يعاملهم معاملة الأراقم لا يلقاهم ولكنه يأخذهم من خلف بأطراف اليد، يغرى بهم ويؤلب عليهم ثم يلقاهم باسماً وادعاً ولا يتحرج من زيارتهم واستزارتهم كأنهم أحب الناس إليه، ولم يكن في حياته اليومية عدو ظاهر إنما الناس جميعاً أصدقاء ه وخلصاؤه". (١)

ذكاء ه

ويقول محمد كرد علي عن ذهن شوقي وسرعة خياله:

"ومرة منذ عشرة اعوام (سنة ١٩٢٢م) جاء من منزله في المطرية، فوجدني بالمكتب في الساعة الحادية عشرة ونصف، فأملى علّى ثمانية وعشرين بيتاً من قصيدته التي مطلعها (قفى يا أخت يوشع خبرينا) ثم قال لي:

لا تبعدعني، حتى إذا جاء ني شي أمليته عليك، وخرج يمشى حول العمارة، فكان كل بضع دقائق يعود فيملى علّى خمسة أو ستة أو سبعة أبيات وأخير دخل المكتب، وجلس على مقعد، وأخذ يمر براحته اليسرى على رأسه، ففهمت أنه ينظم في سره، لأنه كثيراً ما كان يفعل ذلك أثناء النظم، ثم قال: اكتب، فكتبت، ونظرنا الساعة، فإذا هي الواحدة بعد ظهر.

وكل ذلك يدل في وضوح على سرعة شوقي في نظم الشعر وأن بديهته كانت مطواعة سيالة، إنه كان يسرع في عمل العقيدة وإنجازها".(٢)

١ـ طه حسين: حافظ وشوقي ـ ص ١٩٠ـ١٩٣

٢ـ شوقي ضيف، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث ـ ص٦٤،٦٦.

الباب الثاني

لمحة سريعة عن حياة إقبال

الفصل الأول: نسبة و ولادته

الفصل الثاني: نشأته الأدبية والثقافية

الفصل الثالث: رحلاته العلمية وعودته إلى وطنه

الفصل الرابع: العوامل التي كوّنت شخصيته محمد إقبال

الفصل الخامس: اتصاله بالشعب و وفاته

الفصل الأول

نسبه و ولادته

العلامة محمد إقبال ١٢٩٤هـ ـ ١٣٥٧هـ /١٨٧٧ـ ١٩٣٨م.

ظهرت شخصية إقبال على سماء العلم والأدب كالشمس في آخر القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين ولم تشرق شبه القارة الهندية فحسب بل العالم الإسلامي كله.

ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام عن شخصية إقبال:

"وإقبال ذلك الإنسان الذي سطعت شعلته باشتعال من حب الله عزوجل ورسوله الكريم، وتجوهرت ذاتيتها، فصحت ونطقت بالحكمة الربانية سريرتها، فأضات سبيل المعرفة عند ما انكشفت لها الأسرار، ونطقت بأجمل المعاني، من وراء حجب الغيب والأستار، فكان نطقها كلام الروح الذي تدركه القلوب بلا حوا جز من لغة ولا حدود، فهذا القلب ينبض بالحق، ويحيا باليقين، لأن الوجدان قد أرهف، والروح قد شغلت، فكان تاجه من تاج عزة الإسلام".(١)

ولا ريب كان إقبال بطلاً من أبطال الإسلام ومن خدام الإسلام الذين أرشدوا الأمة الإسلامية بشعره إلى طريق الحياة وسبيل النجاة.

ويثنى عليه الدكتور ظهور أحمد أظهر ثناء قائلاً:

"وكان إقبال من هؤلاء الآحاد الأفذاذ الذين قلما يجود الزمان بهم، هؤلاء القادة العظماء الذين قادوا البشرية إلى حياة أفضل وتقدموا بالحضارة البشرية شوطا بعيدا وتركوا العالم على أحسن حال مما وجدوه عليها! من هؤلاء المصلحين المخلصين الذين كرسوا حياتهم لنفع بنى آدم ووهبوا أنفسهم من أجل خدمة الإنسانية والقيم الخلقية من هؤلاء القادة الأفذاذ كان إقبال، شاعر الإسلام و شاعر الشرق، وشاعر الإنسانية كلها".(٢)

والعلامة محمد إقبال هو الذي قام لكشف الظلمة التي سيطرت على مسلمي شبة القارة الهندية والباكستانية وحثهم على العمل والحياة والجهد والأمل واليقين وساعدهم لنيل مقام العزة والحرية والرفعة.

نسبه

وكان إقبال ينتمي إلى أسرة براهمة (٣) كشمير تسمى سبرو (بكسر السين المهلة وسكون الباء الموحدة وضم الراء وسكون الواو) وقد صرح بذلك هو نفسه في بعض الوثائق الخطية الرسمية

١ـ عزام، عبد الوهاب، الدكتور: إقبال، سيرته وفلسفته وشعره، ص ٣٥؛ انظر أيضاً: مؤتمر إقبال بدمشق: نداء إقبال. الطبعة الأولى، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٨٦م ص ١١.

٢ـ أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: إقبال العرب على دراسات إقبال، ص ٢.

٣ـ البراهمة وهم الطبقة العليا في المجتمع الهندي ويرأسون الحفلات الدينية وحفلات الزواج ودفن الموتى.

بخط يده ويذكر ابنه جاويد إقبال عن نسبه بلسانه :

"إنه كان قد سمع من والده- رحمة الله عليه- بأنهم ينحدرون من أسرة عريقة من البراهمة الكشميريين، إذن فالقبيلة التي ينتسب إليها إقبال هي قبيلة (سبرو) من أهل كشمير وأما أول من اعتنق الإسلام من آبائه فقد كان يعرف بلقب (بابالول حج) أو (لولى حاجى)(١) تدين بالهندوكية.(٢)

وكان أسلاف إقبال وأصوله منتمين إلى جماعة محترمة من البانديت (Pandits)(٣) في كشمير، وقد اعتنق الإسلام أحد أجداده في عهد السلطان زين العابدين الياس بادشاه (١٤٢١م-١٤٧٣م) وكان تحوله من البرهمية إلى الإسلام على يدي الشيخ شاه الهمداني وهو من أئمة المسلمين في عهد الدولة المغولية، الدولة الكبرى الإسلامية التي قامت في الهند.

ويقول الدكتور أحمد معوض:

"ولا يزال فرع من عائلته يقيم في كشمير، ويعرفون بالسبرو (Sapru) وهو لقب كانوا يطلقونه على من يتعلم القراءة أو من يعتنق الإسلام على أن والد إقبال كان يقول دوما أن هذا اللقب إنما اخترعه البانديت في كشمير سخرية من اخوتهم الذين أداروا ظهورهم لعاداتهم السائدة في ذلك الوقت، والتفتوا عن الروابط القومية والدينية القائمة أنذاك إلى دراسة العلوم الاسلامية ولغاتها، وعلى مر الزمن أصبح لقب "سبرو" علما على عشيرة خاصة، وأصبح أفرادها معروفين به، ويمتاز البانديت في كشمير بذكاء متقد وفكر ثاقب وميل إلى الفلسفة، يضاف إلى ذلك عند السبر وإقبالهم على العلم وعدم تقيدهم بالتقاليد الجامدة وحرصهم على اختيار الأفضل الذي يوافق عقلهم ومنطقهم".(٤)

ويقول البروفيسور محمد منور عن نسبه:

"وينتمي إقبال إلى أسرة برهمية اعتنقت الإسلام زعيمها (بابالول الحاج) خلال القرن الخامس عشر الميلادي وذلك قبل مائة عام من إنشاء الأمبرا طورية المغولية في الهند على يد الملك المغولي (ظهير الدين بابر) وقد هاجر جد إقبال (شيخ محمد رفيق) من كشمير فاستوطن مدينة سيالكوت، وكان أجداد إقبال بطبيعتهم يميلون إلى العبادة وكان أبوه (شيخ نور محمد) وأمه السيدة (إمام بى بى) معروفين بالصلاح والتقوى". (٥)

١- جاويد إقبال ، الدكتور: آباء إقبال وأصله، مجلة إقباليات (عربي) تعريب:أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: العدد الأول ١٩٩٢م.

٢- عبدالسلام هارون، الدكتور: سر گزشت إقبال(حياة إقبال) (الأردية)،ط.لاهور، باكستان:١٩٧٧م.ص٣.

- أنظر أيضاً: جاويد إقبال: زنده رود (النهرالحي). الطبعة الثالثة ، لاهور ، باكستان : شيخ غلام علي ايند سنز ١٩٨٤م.ص١٩.

٣- بندت اى رجال الدين الهنادكة، يطلقون هذا اللقب من أبناء بأسرتهم للتحريض والسخرية، وينبغي أن يكون بندت من أسرة برهمية.

٤- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره،مصر: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م،ص١٤.

٥- محمد منور، بروفيسور: حياة إقبال. تعريب:أظهر ، ظهور أحمد ، الدكتور،لاهور ، باكستان : مطبعة إقبال أكادمي ١٩٨٥م،ص١.

ويبـد ومـمـا كتـب إقبـال إلـى (الشيـخ مـحمد دين فوق) من الرسائل الكثيرة بأنه أي الشيخ الـمـذكـور كـان مـن أصدقاء إقبال وهو ممن تعارف على والد إقبال. وإما المعلومات عن أسرة إقبال التي كـانـت عـنـد هذا الشيخ فإنما كانت قد بلغته إما عن طريق إقبال أو عن طريق والده وقد استفاد الشيخ من هذه المعلومات وعول عليها في تأليف كتابه عن "مشاهير كشمير" والذي قد طبع في سنة ١٩٣٠م، وكـذلك فـإن هـذه المعلومات نفسها كان الشيخ فوق قد سردها في مقال له عن (الدكتور الشيـخ السير محمد إقبال) والذي كان قد نشر في مجلة الأردية الشهرية وهي (نيرنك خيال أى الفكر البـديـع) الـصـــادرة من لاهور لشهري سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٣٢م، حيث يصرح الشيخ فوق نسب إقبال ويجعل جاويد إقبال (ابن إقبال) أساس بيانه ويقول:

"إن حـضـرة الشيخ (أي إقبال) ينتمي إلى أسرة قديمة من بناديت كشمير أو برا همتها، وكان بعض آبائه قد اعتنق الإسلام قبل أكثر من مأتى سنة وأصله من قبيله سبرو".(١)

ومـعناه بالسنسكرية المتسابق إلى القراءة والدراسة من بين إخوانه وزملائه، وكتب إقبال إلى زميله "محمد دين فوق" مؤلف كتاب "مشاهير كشمير" في يناير عام ١٩٣٤م:

"ولقد سمعت من أبيأن براهمة كشمير كانوا يطلقون اسم"سبرو" سخرية وازدراء بإخوانهم الـذين اشتغلوا بدراسة اللغة الفارسية والعلوم الإسلامية انصرافاً عن العصبية الدينية، وتخلياً عن ضغوط الـقـومية الهـنـدوكية، فصاروا جماعة مستقلة وعشيرة خاصة، معروفة بذكاء متنور وفكر ثاقب ويميل إلى الفلسفة والعلم".(٢)

وأما معنى "سبرو"، فيبين لنا الدكتور جاويد إقبال قائلا:

"وسبـر وهـو الشـخـص الـذي يسبـق غيره إلى التعليم والدراسة وأن حرف السين (في كلمة سبـرو) قـد جـاء بمعنى التقدم والترقية في أكثر من لغة أو لهجة من اللغات الهندية المحلية وأما كلمه (بـرو) فهـي مشتـقـة من نفس الأصل الذي اشتق منها (پڑنا أى پڑھنا) من مصادر اللغات الهندية (ومن بينـهـا الـلـغة الأردية) ومعناه: "القراءة" وكان والدي (المغفورله) يقول: بأن براهمة كشمير كانوا قد لقبوا إخوانهم البراهمة، الذين تركوا تقاليدهم القديمة المتوارثة وعصبيتهم الدينية والقومية وكانوا في طـليـعة مـن أخـذ يتـعـلـم الـلـغـات الإسلامية ومعارفها وكان هذا التلقيب من قبيل الإذراء والتعريض والإغراء، ثم اشتهرت تلك الفئة البراهمية كقبيلة مستقلة فيما تلا من العصور".(٣)

وفي الرسالة نفسها يعرّف إقبال قومه (سبرو) ويقول:

١- جاويد إقبال، الدكتور: أباء إقبال وأصله- مجلة إقباليات: ص٥٧-٥٨.

٢- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهرالحي)،١/١.

٣- جاويد إقبال، الدكتور: آباء إقبال وأصله. مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢م، ص٥٨-٥٩.

"إن (ديـوان تيك شـانـد) الذي كان محافظا في إحدى محافظات اقليم بنجاب والذي كان يـرغـب فـى فقه اللغات والبحث فيها كان قد لقيني في مدينة (أنباله) وأخبرني بأن (سبرو) قوم كانت لهـم صلة بـالـملك الإيـراني القديم المعروف (شابور) وأنهم (أى قوم سبرو) هم في الواقع من أصل إيراني وكانوا قد هاجروا من إيران فاستوطنوا كشمير في عصر متقدم جدا قبل الإسلام ثم انضموا إلى البراهمة وذلك بذكائهم وفطنتهم".(١)

وبـعـد أن يسـرد الشيـخ فوق رسالة إقبال هذه في كتابه ذلك يوضح قائلا، بأنه يوجد الآن في إقـليـم بـنجاب أسر معروفة بين مسلمة وغير مسلمة يرجع أصلها إلى قبيلة (سبرو) ومن بين هذه الأسر الـمسلـمة الـموجودة في بنجاب كانت أسرة إقبال والتي كانت قد اعتنقت الإسلام فى عصر الملك عـالـمكيـر الـمغـولي. ويمكن أن نعرف مدة حرص إقبال ورغبته في تصديق ما سمعه عن أبيه حول أسـرته وأجداده من رسالته التالية التي كتبها إلى شقيقه "عطا محمد" في الخامس من شهر اكتوبر عام ١٩٢٥م حيث قال:

"وإنني قد عثرت على مفتاح عن أسرتنا وأجدادنا وأن سيدنا (بابا لول حج) قد كان من كبار مشـائـخ كشمير ومتصوفتها المعروفين وذلك أنني قد وجدت بعض المعلومات عنه في كتاب (تاريخ كشـميـر) لـلـخـواجـا أعـظـم وأن مـا سمعه الوالد الكريم ويحكيه عن آبائه صحيح إذا أخذناه بنظرة الإجـمـال والـعموم وأن القرية التي كانت مسقط رأس الحاج (بابا لول) اسمها (لوشرنه) بل هي قرية (شـكـو) مـن مـديـرية (أدون) فـي كشمير، وقد جاء فيما عثرت عليه في هذا الكتاب بأن الحاج (بابا لـول) كـان قـد عاش اثنى عشر عاما خارج كشمير وتجول في البلاد، وإنه لم يكن على صلة طيبة مع زوجته ومن ثم زهد في الدنيا وتركها، فخرج من كشمير ثم إنه أعاد من سفره الطويل فانضم إلى اتباع سيدنا (بابا نصير الدين) ودفن بجوار شيخه".(٢)

ونـجـد البيـان التـالي عـن الشيخ بابا لول حج في "باب ريشين" على صفحة ٧٢ من كتاب "تاريخ كشمير أعظمي" (واقعات كشمير ١٧٥٥م) تأليف الخواجا محمد أعظم شاه:

إنـه (أى الـحـاج بابا لول) كان من أهل قرية "شكو" من مديرية "أدون" وكان قد تزوج إمرأة وكـان لا يحب حديثها فخالعها مما جعل الحاج يزهد في الدنيا، فخرج حاجا لبيت الله ثم تحول في البـلاد اثـنـى عشـر عـاما حتى عاد إلى كشمير وبإشارةغيبية التحق باتباع سيدنا بابا نصير الدين حيث

١ـ جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي) ١/١٩، ٢٠.

٢ـ جاويد إقبال،الدكتور: زنده رود (النهر الحي) (الأردية) ١/٢٠، ٢١ .

ـ انظر أيضاً: أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال،حياته وآثاره، ص١٧-١٨.

ـ وانظر أيضاً:جاويد إقبال، الدكتور: أباء إقبال وأصله،مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢م، ص٦١-٦٢.

قضى ما بقى من أيام حياته في حضرة الشيخ وخدمته، ولما توفي دفن بجوار شيخه الكبير، ثم يقول صاحب "تاريخ أعظمي" على صفحه ٧٢ منه بالذات:

وإنه عاد إلى كشمير بعد اثنى عشر عاماً وانضم إلى إتباع سيدنا بابا نصير الدين باشارة غيبية وقضى ما بقي من عمره في حضرة شيخه وخدمته، ولم نستطيع العثور على اسمه الحقيقى إلا أنه كان معروفا باسم لول حج أو لولى حاجى، وكان قد حج ماشيا غير مرة، وأما كلمة (لول اولالا أو لال) بالكشميرية فهي تعبر عن الحب والتكريم كما يسمون الشقيق الأكبر (كاك لال) وأما مولده فهو "تشكو حليند" من مضافات مديرية (أدون) وقد كانت عيناه فيهما حول ورجلاه صعوجتين ولاح له ما جعله يتوو إلى الزواج فتزوج امرأة الا أن زوجته هذه ضحكت منه لما رأت صورته تلك ما جعله يكرها ويبغضها وخرج معتزما على السفر إلى أرض الحرمين الشريفين لزيارتهما، وبعد أن تشرف بهذه الزيارة وعاد إلى كشمير تقدم إلى حضرة بابا نصير الدين، وانضم إلى أتباعه وأثر حياة العزلة والوحدة ودفن بعد وفاته بمقبره شيخه ومرشده إلا أن البعض من المؤلفين يقول بأنه مدفون في قرية "زالرة" من مضافات مديرية "كام راج". وأما عن مهنته فقد كان من الفلاحين المزارعين ولكنه لما تزهد رغب عن هذه الأشياء كلها. وأما قبره فهو في حبانة: ضريح الشيخ نور الدين الولي بموضع يسمّى "تشرار" حيث دفن شيخه ومرشده بابا نصير الدين. ومن ثم يقول صاحب تاريخ أعظمي: إنه استراح بعد وفاته في حبانة "تشرار" بجوار شيخه".(١)

وإذا صح بأن "بابا لول حج" هو الجد الأعلى لإقبال فإن المعلومات التي وصلت إلينا تجعلنا أن نقول بأن ما قاله "ديده مرى" (٢) "عن بابا لول حج" أصح مما أورده "مسكين" (٣) عنه لأن ماقاله "مسكين" يشير إلى أن "بابا" كان قد قطع صلته بزوجته قبل أن يخلو بها وأنه قضى ما بقي من عمره في العزلة والعزبة. وينشأ السوال حينئذ حول استمرار النسل وتسلسلة.

ويقول الدكتور جاويد إقبال في هذا الأمر:

"وقد اتضح من البحث الذي قام به الشيخ فوق بأن "بابا" أصله من البراهمة ومن قبيلة "سبرو" ثم اعتنق الإسلام، إننا لا نعرف شيئاً عن اسمه الذي كان يعرف قبل أن يعتنق الإسلام وبما ذا

١- شاه ديده مرى، محمد أعظم: تاريخ كشمير أعظمي، كشمير: سرينگر١٧٥٥م. ص٧٢ .وانظر أيضاً: جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي)، ص ٢٢ .وانظر: جاويد إقبال: آباء إقبال وأصله: مجله اقباليات :(عربي، العدد الأول١٩٩٢م، ص٦١، ٦٢)

٢- انظر: شاه ديده مري، محمد أعظم: تاريخ كشمير أعظمي.

٣- انظر: تحائف الأبرار في ذكر الأولياء الأخيار: لأبي محمد محي الدين مسكين- وهو كتاب ألف بعد نصف قرن على وفاة "ديده مري"، ص ١٤٣.

سـمـي بعد أن أسلم ولـم نعرف عنه شيئاً إلا ما وصل إلينا بلقبه والشئ الآخر الذي يمكن استنتاجه مما قـاله "ديده مرى" والشيخ فوق هو أن "بابا" قد يمكن أن يكون مسلماً قبل الزواج وإن قضى حقبة من الزمان مع زوجته ثم افترقا بالخلع وحينئذ يمكن بأن "بابا" كان أولادها وإن سلالته قد استمرت بصفة متواصلة متسلسلة".(١)

الأن يـرفـع سـؤال مـا ذا جـعل "بابا" يترك دينه المتوارث ويعتنق الإسلام؟ ومن الصعب على الإنسان أن يغيّر عقيدته أو ديانته.

ويقول الدكتور جاويد إقبال في هذا الصدد:

"وإنـنـا نستـطيـع أن نستـنبـط مما وصل إلينا من المعلومات عن حياته بأنه لـم يغير دينه كرها وخـوفـا مـن قوة او سلطة، كما إنه لـم يغيّر دينه وعقيدته رغبة في أغراض ما دية لأنه لو كان هذا التغير قـد حـدث تـحـت ضـغـطة مـن هـذه الـضـغـوط لما كان له من الممكن أن يبلغ ما بلغه حب الإسلام ورسـولـهﷺ ما جعله يخرج ماشيا للحج والزيارات المتعددة المتواصلة، ولو كان قد غيّر دينه لغرض مادي لوصلت إلينا البراهين والشواهد التي تشير إلى تحسين الحياه المادية بعد ذلك".(٢)

وقـد كـان حضرة "بابا لول الحاج" ينتمي إلى فئة البراهمة أو قبيلتهم التي لـم تحفل بما لاقته مـن التـعـريـض والتـحـقير وإنما استمرت في اهتمامها باللغة الفارسية واحتلت مكانة بارزة في آدابها ولـعل حضرته كان يعرف اللغة الفارسية كأسلافه ومعاصريه من البراهمة وأن معرفته بهذه اللغة كانت قـد أصبـحـت المفتاح الذي فتح عليه أبواب العلوم الإسلامية فدرسها بجهوده الذاتية ودراسته العميقة هـي التـي أحـدثـت في نفسه تغييرا ثوريا مما انتهي به إلى اعتناق الدين الإسلامي الحنيف كما أنه من الـمـمـكن أيضا أن "بابا" لم يكن مقتنعًا بدين آبائه راضيا بما توارثه من العقائد أوأنه لم يكن من الذين يتبعون من العقائد والتقاليد المتوارثة وإنما يملكون فطرة تحرضهم على التحقيق والحث عن الجديد، ويذكر جاويد إقبال قول الشيخ فوق الذيیقول:

"وكـان أجـداد إقبال يعتنقون الإسلام قد كان نتيجة لحبهم وإعتقادهم في ولي من أولياء الله وإن ذلك الـحـب والاعتـقـاد، ولاتـزال مـيـزة تمتاز بها أسرة إقبال حتى اليوم على كل حال، فإنه من الـمـمـكن أن نعتقد بأن حضرة "بابا" كان قد تزوج في أسرة مسلمة بعدأن اعتنق الإسلام وقد لاحظنا أن "ديـده مرى" و "مسكين" يتفقان على أنه لـم يكن على صلة جيدة مع زوجته وقد يمكن إنها كانت تـضـحـك مـنـه لأنـه كان معوج الرجلين وأحول العينين، فتضايق بابا منها وتبرم فترك عائلته وزهد في الـدنيا وهاجر من كشمير متوجهاً إلى أرض الحرمين، ثم قضى اثنى عشر عاماً يجوب الآفاق ويتجول

١ـ جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي) ص٢٥ـ٢٦.

٢ـ جاويد إقبال، الدكتور: آباء إقبال وأصله، مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢،ص٦٤،٦٥.

في البلاد وهذه التفاصيل وإن كانت قليلة مجملة إلا أنها تعطينا صورة واضحة عن بابا وطبعه الحساس، حيث أصبح تصرف الزوجة وسلوكها معه سببا محرضا على الزهد في الدنيا وظواهرها والبحث عن الحق وجماله الباطني وكان قد أضاء قلبه، وضميره بنور الإيمان والإسلام بجهده الذاتي أو بتوجيه أحد من المتصوفة العارفين إلاإنه كان في حاجة إلى مرشد كامل من الأولياء يبايعه فيرضيه بما يبغي ويرويه بما يطلب ويشفي غليله بتوجيهه الروحي، ومن ثم تلقى الإشارة الروحيه التي كان ينتظرها بعد أن عاد إلى كشمير من سفره الطويل الذي دام اثنى عشر عاما فأصبح من مريدي بابا نصير الدين وبذلك ارتبط بالسلسلة الريشية من المتصوفين وهذه المراجع كلها لاتنص على أولاد بابا وأحفاده ولعله قد قطع صلاته نهائيا مع أولاده وأحفاده حين ترك الدنيا وزهد وارتبط بالسلسة المتصوفة". (١)

ثم يقول جاويد إقبال:

"وكان من سلالة الشيخ بابا لولى حاج" رجل يسمى الشيخ محمد أكبر، وكان ورعاً تقياً، وبعد جيلين أو ثلاثة أجيال من الشيخ أكبر جاء الشيخ جمال الدين وكان للشيخ جمال الدين أربعة أولاد، وهم الشيخ محمد رفيق، والشيخ محمد رمضان، والشيخ عبد الله، والشيخ عبد الرحمن، وقدهاجر هؤلاء الإخوة الأربعة خلال حكم الأفغان في كشمير' من كشمير إلى البنجاب، واستقروا في بلدة سيالكوت طلباً للمعاش والتوسع في الرزق، والشيخ محمد رفيق أحد هؤلاء الإخوة الأربعة هو جد إقبال، فقد عمل في تجارة الأصواف والأقمشة في سيالكوت، وساعده فيه ابنه الاكبر الشيخ نور محمد المعروف بالشيخ نتهو وهو والد إقبال". (٢)

فنحن نرى أن أسرة إقبال التيتقلبت في أحضان البرهمية وعاشت في أبراجها العاجية، ترى نفسها من سلالة الآلهة ومن دونها عبيد وحشم نراها بعد ثلاثة قرون قد أنجبت "إقبال".

وهو الذي يقول:

''بتان رنگ و بو کو توڑ کر ملت میں گم ہو جا نہ طورانی رہے باقی، نہ ایرانی، نہ افغانی'' (٣)

(يجب أن تفنى في دينك وملتك بعد أن تكسر أصنام اللون والدم،

حتى لا يبقى في العالم "طوراني" ولا "إيراني" ولا "أفغاني".

١- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي) ص٢٦، ٢٧.

- انظر ايضاً: جاويد اقبال، الدكتور: أباء إقبال وأصله، مجملة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢، ص٦٥-٦٦.

٢- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي) ١/١٩-٢٠.

- أنظر أيضاً: أحمد معوض، الدكتور: علامه محمد إقبال، حياته وآثاره، ص١٩-٢٠.

٣- كلياتِ إقبال: محمد إقبال:بانك درا. قصيدته: طلوع اسلام،لاهور باكستان: مكتبة جمال، المنزل الثالث حسن ماركيت، اردو بازار، ٢٠٠٥م. ص٤٨٠.

وقد أشار محمد إقبال في مواضع كثيرة في شعره إلى أنه من سلالة البراهمة وأنه لا يفخر بهذا الأصل بل يفخر أنه من سلالة البراهمة الذي أدرك من حقائق الإسلام وأسراره مالم يدركه غيره.

ويقول إقبال معبراً عن هذه الحقيقة في ديوانه "ضرب كليم" عن نفسه:

میں اصل کا خاص سومناتی　　آبا میرے لاتی و مناتی

تو سید ہاشمی کی اولاد　　میری کفِ خاک برہمن زاد (١)

وانني في الأصل سومناتي　　إلى مناة سلفي واللات

وأنت من اولادهاشمي　　وطينتي من نسل برهيمي (٢)

و أضاف قائلا:

"ميرا بنكر كه درهندوستان نمى بينى　　بريمن زاده رمز آشناي روم تبريزاست" (٣)

أنظر إليّ فما ترى في الهند غير رجل من سلالة البراهمة عارف بأسرار الروم وتبريز.

ويقول في بيت آخر:

"کافر ہندی ہوں میں، دیکھ میرا ذوق وشوق　　دل میں صلوٰۃ ودرود، لب پہ صلوٰۃ ودرود" (٤)

أنا من كفار الهندي وفي نظراتي مالا تجده　　وحماسة أغنيتي هلي من لحن قلبك ينشده

وصلاة الحب على شفي　　وعلى خديك تؤده (٥)

ويعلن أنه محرم للاسرار، حيث يقول:

"ميرا مرزا لبياست دل و دين باخته اند　　جزبرهمن پسرى محرم اسرار كجاست" (٦)

(لقد تآمر الأمراء وأبناؤهم بالقلب والدين في سبيل السياسة،　　فأين محرم الأسرار غير ابن برهمي)

ويسجل إقبال هجرة أسلافه من كشمير إلى الهند في عدد أبيات منها:

"تنم گلي زخيابان جنت كشمير　　دل ازحريم حجاز و نواز شيراز است" (٧)

١ـ محمد إقبال، الدكتور: كليات إقبال، ضرب كليم .لاهور، باكستان : شيخ غلام علي . ١٩٧٣م. ص٨٤٦.

٢ـ الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: ضرب كليم ، ص٢٥ .

٣ـ ويقصد إقبال بالروم الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي، ويقصد تبريز شمس الدين التبريزي مرشد جلال الدين الرومي. محمد إقبال: كليات إقبال، زبورِ عجم، ص ٣٠. أنظر أيضاً:أحمد معوض، الدكتور:علامه محمد إقبال، حياته و آثاره، ص١٥-١٦.

٤ـ محمد إقبال، الدكتور: كليات إقبال بال جبريل(الاردية). لاهور، باكستان: مكتبة جمال . ٢٠٠٥م. ص٧٠١.

٥ـ الترجمة العربية : زهير ظاظا، الأستاذ : جناح جبريل. لاهور، باكستان: دار الإقبال للطباعة والنشر، ١٩٨٩م. ص٤٧٩.

٦ـ باقيات إقبال: في قصيده مسجد قرطبة، ص ٢٥٥ .

٧ـ محمد إقبال: كليات إقبال : پيام مشرق(فارسي): ص٣٣٢. أنظر أيضاً: محمد اكرم أحمد على، حافظ : الأمة الإسلامية العربية في شعر محمد اقبال. القاهرة: ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م، ص٥٨-٦٠.

زهـــــرة من رياض كشمير جسمي | وبـأرض الـحـجـار قلبي أضـاء
وأغـــانـي والـلـحـون نـمتهـا | أرض شيـراز(١) حـبّ ذاك انتمـاء (٢)

ويقول في هجرة أسرته من كشمير:

"لـقـد هـجـر الـدرّ أرض اليـمـن | ونـافـجة الـمسك أرض الـختـن
وبـلـبـل كشـمـيـر فـي الهـند ثـار | بـعـيـداً مـن الـروض خـار الـوطـن" (٣)

أما نسب إقبال فهو مفتخر على أن يكون ابن البرهمن، يستضئي مصباح الإسلام في قلبه و يعرف أسرار الإسلام وقد حرمه ابن رجال الدين، ولكن نجد إقبال يخخل حينما يقال له يا بانديت، أي برهمن، ويذكر احساسه هذا في بيت مثل:

"إن ذكري الأيـام الـمـاضية تـجعلني أحجل | لأنها تـذكـرني بـعبادة الأصنام (فيما مضى)
ومـا دامـت غـــرّة الإسلام بجبين إقبال متلالئة | فـإنـه يـخجل حين يقال له: يابانليت (أي برهمن)" (٤)

ولادة إقبال

وفي عام ١٨٧٧م، بزغ في سماء الخلود والمجدنجم ساطع لألاء، أخاذ الرواء، ألا وهو نجم شاعرنا الفيلسوف، والعالم المبرز، والخطيب المفوه، والثائر البليغ، والمسلم الحق محمد إقبال.

ويروى أن والده رأى قبل مولده حمامة بيضاء ناصعة تطير فتقع في حجره وتسكن إليه، و عبرّت الرؤيا أنه سيرزق ابنا عظيم الجد والإقبال يعلو على الناس (٥) ولد شاعر الإسلام (٦) في سيالكوت، إحدى مدن منطقة البنجاب في ثالث من ذي القعدة عام ١٢٩٤ للهجرة الموافق التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧م و ذلك تاريخ ميلاده الرسمي لدى حكومة باكستان بعد موافقتها على التقرير المقدم من لجنة تاريخ ميلاد إقبال المركزية الحكومية، التي حددت مولده بهذا التاريخ.

١- شيراز من أعظم مدن إيران أول من بناها "شيراز بن طهمورت" وهي أغنى المدن الفارسية بالحدائق وينسب إليها جماعة من أهل العلم، وتقع على ارتفاع خمسة آلاف ومائتين من القدم.

٢- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: رسالة الشرق، ص٣١٩.

٣- عزام،عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفة وشعره. ص١٥-١٦. وأنظر أيضاً: أحمد معوض، الدكتور: علامه محمد إقبال،حياته و آثاره.ص١٥-١٦.

٤- أشرف وحيد، الدكتور: مجلة إقباليات (العربية) العدد الثاني، الثالث ١٩٩٤، ص٧.و أنظر أيضاً: فقير وحيد الدين، سيد: روزگار فقير. (الأردية)،٢/١٢١.

٥- عبدالوهاب عزام: إقبال، سيرته و فلسفة وشعره، ص١٨.

٦- أطلق على إقبال هذا اللقب الأديب أحمد حسن الزيات، في مقال، في مجلة الرسالة المصرية.

وكانت الحكومة الباكستانية قبل ذلك تعتبر مولده في ٢٢ نوفمبر عام ١٨٧٣م(١) "ولكن يقول جاويد إقبال:

"من لجنة تاريخ ميلاد إقبال المركزية بذلت جهود جبارة في تحقيق هذا الأمر وقررت بعد دراسة الموضوع زهاء سنتين، أن اقبال ولد في التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧م. (٢)

قضية تاريخ ميلاد إقبال

ولقد اشتد الاختلاف في تاريخ ميلاد إقبال واضطربت أقوال الكتاب عن سيرته في هذا الأمر وتفرقت بين أعوام ١٨٧٠ و ١٨٨٠ الميلادية، وظل الخلاف قائماً وكان إقبال على قيد الحياة فلم يلجأ إلى تعيين تاريخ ميلاده ولم يلتفت إلى تصنيفه ما أورده الكتاب من أقوال مضطربة في هذا الموضوع.

أول مقالة كتبها محمد دين فوق على حياة إقبال صدر في محلة الكشميرية بلاهور باسم "أحوال إقبال" في السنة ١٩٠٩م، ذكر فيها أن إقبال ولد في ١٨٧٥ الميلادية.

أصدر أمير ذو الفقار علي خان في سنة ١٩٢٢م "نداء الشرق "A Voice from the East" ذكر فيها عام ولادة إقبال ١٨٧٦م.و"الكتاب الثالث الذي أصدر في حياة إقبال كان باسم "الإقبال" لمنشي أحمد دين أصدر في ١٩٢٦م وعام ولادته إقبال فيه ١٨٧٥م "وفي مشاهير كشمير" تصنيف "لمحمد دين فوق"عام ولادته ١٨٧٥م ، هذا الأمر جديربالذكر أن الكتاب الثلاث كانوا ممن عامروا إقبال. وكانت روابطهم بإقبال عميقة جداً ولكن روابط محمد دين فوق بإقبال كان عميقاً جداً بالنسبة للأخرىٰ".(٣)

نحن الأن نستعرض عن مولود إقبال في السنين العديدة في الكتب المختلفة بالتفصيل.

١٨٧٠م

١ـ "ضمخانه جاويد" ج الأول ص٣٦٩، مطبوعه نولكشور ١٩٠٨م، كاتبه رام سرى رام "ولد إقبال في السنة ١٨٧٠م".

٢ـ "انتخاب زرين" ص ٢٤٥، مطبوعة في ١٩٢١م السر سيد راس مسعود.
ولد إقبال في أغسطس ١٨٧٠م المطابق ١٢٨٧ هـ في مدينة سيالكوت".

١ـ وفي سنة ١٩٥٨م أصدرت حكومة باكستان طابع البريد التذكاري لمحمد إقبال، وكان مسجلًا عليه تاريخ ميلاده ١٨٧٣م.

٢ـ جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي) ،٣٦/١.

٣ـ وحيد قريشي، الدكتور: نقوش إقبال نمبر٢. عداد ١٢٣ دسمبر ١٩٧٧م، مدير: محمد طفيل : صحيح تاريخ الولادة لعلامة إقبال (علامه إقبال كى صحيح تاريخ ولادت)، ص٩.

٣ـ "قاموس المشاهير" ج الأول مطبوعة في ١٩٢٤م، نظامي بدايونى "ولدإقبال في السنة ١٨٧٠م".

١٨٧٢م

٤ـ "آثار إقبال" ص١٧، المعهد الطباعة الأردية حيدر آباد. موضوعها "حياة إقبال (إقبال كى زندگى)، مصنفه الدكتور خليفة عبد الحكيم، ومرتبه غلام دستگير رشيد.
" ولد إقبال في ١٨٧٢م في مدينة سيالكوت.

١٨٧٣م

٥ـ جريدة يومية "انقلاب" (روزنامه) بلاهور، المؤرخ ٧ مايو ١٩٣٨م.
"ولد إقبال ٢٢ فبرائر ١٨٧٣م المطابق ٢٣/٢٤ ذى الحجة ١٢٨٩هـ.

٦ـ "تذكـــرة الشعراء المتغزلين" مطبوعة نقوش بلاهور ص٥٨٠، معهد رواج الأردية بلاهور، مرتبه: الشيخ محمد إسماعيل بانى بتى ١٩٥٦م.
"ولد إقبال ٢٢ فبرائر ١٨٧٣م في سيالكوت.

٧ـ "كليات اقبال" ص٣، طبعها نسيم بك دبو لكهنؤ .
"ولد إقبال في السنة ١٨٧٣م في سيالكوت.

٨ـ "كليات إقبال" ص٣، مطبوعة نظامي پريس بدايون.
"ولد إقبال في ١٨٧٣م في سيالكوت.

٩ـ "سيرة إقبال" ص٢٥، محمد طاهر فاروقي الطبعة الثالثة ١٩٤٩مـ
"جاء إقبال من عالم العدم في عالم الوجود ٢٤ ذى الحجة ١٢٨٩هـ المطابق ٢٢ فبرائر ١٨٧٣م، وهذا التاريخ المولود ثابت من سجل الولادة والأموات.

١٠ـ "ذكر إقبال" ص١٠، عبدالمجيد سالك، طبعة نادى إقبال (بزم إقبال) بلاهور يونيو ١٩٥٥م.
"ولد إقبال ٢٤ ذى الحجة ١٢٨٩هـ المطابق ٢٢ فبرائر ١٨٧٣م، صدّقه حاكم المديرية سيالكوت بمراجع سجل الولادة والأموات"

١١ـ دائرة المعارف الأردية، ص٣٩، طبعة مطبعة فيروز وأبناء ه المحدودة الباكستانية.
"ولد إقبال في بيت مؤدب في ١٨٧٣م في مدينة سيالكوت".

١٢ـ إقبال الشاعر الثائر، ص٨، الدكتور نجيب الكيلاني، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
"في عام ١٨٧٣م ولد محمد إقبال".

١٣ـ لمحة عن حياة اقبال، السيد تفضل علي، ص٧، طبعه: قسم الصحافة والاستقلات.
"ولد إقبال بمدينة سيالكوت في ١٩٧٣م".

١٤ـ شاعر الشرق محمد إقبال، د، امجد حسين، سعيد أحمد، ص٥، طبعة: سفارة جمهورية الباكستان.

"ولد محمد إقبال في سيالكوت بالبنجاب عام ١٨٧٤م في عائلة تعيش على الزراعة نزح جدها الأكبر من كشمير".

١٥ـ پيام مشرق، الدكتور عبدالوهاب عزام، ص١٧ . أكاديمية إقبال الباكستانية.

"ولد محمد إقبال في سيالكوت سنة ١٨٧٣م".

١٨٧٥م

١٦ـ "إقبال، اسمه وعمله" ذكر إقبال (إقبال ان كا نام اور كام، ياد إقبال) مرتبه: عمدة القرية غلام سرور، "يولد إقبال في هندوستان عام١٨٧٥م".

١٧ـ كليات إقبال (مقدمة الكتاب) محمد عبدالرزاق عليك طبع في ١٩٢٢م.

"كان ١٨٧٥م من التقويم العيسوي حين ولد إقبال في مدينة سيالكوت، بمنطقة منبت الرجال بنجاب".

١٨ـ "تاريخ أدب أردو" رام بابو سكسينه، ترجمه راجه محمد عسكري، ص١٨٦.

"سنة الولادة ١٨٧٥م، و مقام الولادة سيالكوت وبلد بنجاب.

١٨٧٦م

١٩ـ "إقبال كامل، مولانا عبد السلام ندوى، ص٢.

"ولد سيدنا الدكتور في سيالكوت في سنة ١٨٧٦م".

٢٠ـ حديقة ألوان ألاف (گلستان هزار رنك) سيد بهاء الدين أحمد، ص٥١٦.

"ولد السير الشيخ محمد إقبال في ١٨٧٦م في مدينة سيالكوت".

٢١ـ مرأة الشعر، مولوى محمد يحيٰى، ج ٢، ص١٧٢:

"بالحسن ظن أبصرت تاريخ ولادته ١٨٧٦م في محلة واحدة وصارت بلغ كمالا هذا النقص ونعرف أن اسم والده كان نور محمد"

٢٢ـ إقبال، شعره ورسالته،شيخ أكبر على، ص١: (Iqbal his poetry and message by Sh. Akbar Ali, P.1)

"ولد إقبال في سيالكوت في السنة ١٨٧٦م"

٢٣ـ تذكرة شعراء البنجاب، مرتبه، ملك محمد نسيم رضواني ١٩٣٧م، ص٥٢.

"ولد إقبال في ١٨٧٦م في سيالكوت".

٢٤ـ پيام إقبال (رسالة إقبال) عبد الرحمٰن طارق ص٢٨، أكاديمية إقبال بلاهور.
"ولد إقبال في ١٨٧٦م في سيالكوت، وكان عمره عند وفاته اثنان وستون سنة".

١٨٧٧م

٢٥ـ نقوش إقبال- السيد أبو الحسن الندوي. ص١٨.
"ولد إقبال في ١٨٧٧م في مدينة سيالكوت ببنجاب".

٢٦ـ "النهرالحي"(زنده رود) جاويد إقبال- ص٨٨:
تاريخ الولادة الصحيح لإقبال في ٣ من ذي القعدة ١٢٩٤ هـ المطابق ٩ نوفمبر ١٨٧٧م.

٢٧ـ يقول الدكتور وحيد قريشى:
"ولد إقبال في ٣من ذي القعدة ١٢٩٤هـ المطابق ٩ نوفمبر ١٨٧٧ بيوم الجمعة". (١)

ونوجز القول بأن الخلاف بين من اهتم بالتحقيق في هذه القضية من أقارب إقبال وغيرهم من الكتاب والباحثين، قد انحصر أخيرا في تاريخين وهما ٩ نوفمبر عام ١٨٧٧م، و ٢٩ ديسمبر عام ١٨٧٣م، وممن اختار الأول الشيخ إعجاز أحمد ابن أخي إقبال الأكبر الشيخ عطا محمد، فمن مقالته "تاريخ ميلاد إقبال" والسيد فقير وحيد الدين في كتابه "روزكار فقير" والدكتور جاويد إقبال "نجل إقبال" في كتابه "زنده رود" ووريندر گرو ور فى كتابه (Muhammad Iqbal political thinker) (محمد إقبال مفكر "سياسي") وذلك هو التاريخ المعترف به رسمياً لدى حكومة باكستان. "ومن بين من ذهب إلى القول بالثاني، السيد خالد نظير صوفي، سبط أخي إقبال المذكور وابن حفيد أخته الكبرىٰ السيدة "طالع بي، في كتابه" إقبال درون خانه (اقبال: داخل بيته) والدكتور وحيد القريشى والدكتورظ، الانصاري والسيد عبداللطيف أعظمى، ودكتور نظير صوفي ردّ مفروضة تاريخ الولادة ٩ نوفمبر ١٨٧٧م بألفاظ وثيقة، وفي توثيق بيانه هو قدّم عليه شجرة الأسرة وشهادة البلدية، وفيها تسجيل أن كانوا أربعة أولاد عند نتهو (والد اقبال) من سنة ١٨٧٠م إلى ١٨٧٦م، في شهادة البلدية نحن ننظر أن لم يلد أولاد تذكير عند نتهو بعد ولد ذكر ٢٩ ديسمبر ١٨٧٣م وكيف يمكن بعد هذه الشهادة أن تكون ١٨٧٧م كانت تاريخ ميلاد اقبال".(٢)

وبعد هذا البحث المختار عندنا من هذين التاريخين هو التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧م الذي هو المعمول به رسميًّا ورجّحه نجل إقبال الدكتور جاويد إقبال، ووجه صحته وترجحه عندنا أن إقبالا بين في سجل حياته الذي كتبه فمن بحثه "تطور الميتافزيقا في فارس" المقدم إلى جامعة ميونيخ

١ـ وحيد قريشى، الدكتور: تاريخ الولادة الصحيح لإقبال (إقبال كى صحيح تاريخ ولادت)، نقوش، رقم إقبال٢، عدد ١٢٣ .دسمبر ١٩٧٧م.

٢ـ خالد نظير صوفي: إقبال درون خانه (اقبال داخل بيته)الطبعة الأولى ، لاهور ، باكستان:اقبال أكادمي، ٢٠٠٣م.

بألمانيا، "لنيل شهادة الدكتوراه، أنه قد ولد في الثالث من ذى القعدة سنة ١٢٩٤ للهجرة (١٨٧٦م) في سيالكوت (البنجاب) وقد وجد الباحثون أن التاريخ الهجري الذي سجله إقبال بين القوسين فمن سجل حياته في البحث المذكور لايوافق سنة ١٨٧٦م بل يوافق ٩ نوفمبر عام ١٨٧٧م حسب التقويم وكان إقبال يهتم بالتاريخ الهجري وكان يحبه أكثر من الميلادي جريًا على خطى آبائه، على ما حققه الدكتور وحيد القريشي.(١)

فالتاريخ الهجري الذي سجله إقبال فمن بحثه هو الصحيح والمعتمد عليه عندنا، ولكن إقبال اخطأ في تخمين بالتاريخ الميلادي وظن أنه يوافق عام ١٨٧٦م معتمداً على الذاكرة، دون رجوعه إلى تقويم، وكذلك سجل إقبال ميلاده عام ١٨٧٦م في جوازه حين سافر إلى اوربا للدراسة في عام ١٩٠٥م، كما سجل نفس العام في الجواز حين سفره إلى لندن لحضور مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٣١م، فيتضح من ذلك كله أن تاريخ ميلاده إقبال حسب معرفته، هو الثالث من ذي القعدة عام ١٢٩٤هـ الموافق التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧م، وذلك التاريخ يوافق من إقبال في معظم مراحله الدراسية، فقد جاء سنة في وثيقة اجتيازه مرحلة المدرسة المتوسطة عام ١٨٩١م، إنه ابن خمسة عشر عامًا، فلا يكون إقبال في عام ١٨٩١م ابن خمسة عشر عامًا إلا إذا كان مولده في عام ١٨٧٦م وهذا التاريخ إذ اصحح رجوعًا إلى التقاويم يتفق مع التاريخ الراجح وهو ٩نوفمبر ١٨٧٧م وكذلك سجل إقبال في استمارة الالتحاق بجامعة البنجاب عام ١٨٩٦م- إنه ابن تسعة عشر عامًا ويصح هذا السن في ١٨٩٦م إذ كان مولده في عام ١٨٧٧م، فنظراً إلى بيانات إقبال المسجلة في مختلف مراحل حياته من الدراسة وغيرها. ويرجح عندنا أن تاريخ مولده الصحيح هو الثالث من ذى القعدة عام ١٢٩٤ للهجرة الموافق التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧ للميلاد، ومما يؤيد ذلك أن الشيخ إعجاز أحمد سمع من أخت إقبال السيدة كريم بى قولها بأنها سمعت من والدتها أن إقبال ولد في صباح يوم الجمعة، فمن بين جميع التواريخ المتنازع فيها في أمر مولد إقبال لايقع في يوم الجمعة سوى الثالث من ذى القعدة عام ١٢٩٤هـ، وأما ما أثبته السيد خالد نظير صوفي من خلال سجلات بلدية سيالكوت إنه لم يسجل فيها مولود ذكر لدى والد إقبال الشيخ نتهو بعد ٢٩ ديسمبر ١٨٧٣م وذلك المولود هو إقبال فليس ذلك حجة قاطعة لأن البلديات في الهند و باكستان لاتهتم حتى اليوم بتسجيل كل مولود لدى كل مواطن، فضلًا عن القرن السابق الذي كان يسوده التخلف والجهل، وقرر في ضمن هذا وثائق شرقية (ArchivOrientation) التي كتبها الأستاذ جان مارك (Gan Mark) المدرس بجامعة براغ (Prahag) (ستيسكو سلواكيه) ونقل كلامه لنا الأستاذ الدكتور محمد عبدالله چغتائى بقوله:

١- أنظر: مجلة "نقوش" لاهور، العدد ١٢٣، ص ٣٠.

"There is absolutely no reason for us to disregard the date of Iqbal's birth as given by him, that is 3rd Ziqadha 1299 Ah, corresponding to 9th Nov. 1877. Although the municipal record of Sialkot town make no mention of his date"

"يحقق لنا أن نتقاضي عن تاريخ ولادة إقبال الذي أشار إليه بنفسه في سجلات بلدية سيالكوت، أما التاريخ الذي حدده محمد إقبال بنفسه فهو كالتالي:

"ثلاثة من شهر ذى القعده ١٢٩٩هـ وانتهى به البحث إلى اعتماد يوم ٩ نوفمبر ١٨٧٧م تاريخا لميلاد محمد اقبال، وهذا التاريخ هو الذي صادقت عليه لجنة عينها بحكومة باكستانية لبحث الموضوع وتحتفل الحكومة الباكستانية بيوم ميلاده رسميا وفق هذا التاريخ كل سنة".(١)

والدا إقبال

أبوه

وكان الشيخ نور محمد والد إقبال يكنى بالشيخ نتهو"نت" في الأرديه بمعنى فتحة الأنف، و "نتهو" بمعنى الحلقة التي تعلق بالأنف. وكان رجلا صوفيا زاهداً، يهتز فؤاده رهبة واشفاقًا، وتدمع عيناه خوفًا ووجلًا، كلما ذكرت الجنة والنار، وكلما سمع او قرأ عن أحوال الحشر، ورهبة يوم

١- عبدالله چغتائى، الدكتور: إقبال كى صحبت ميں (في صحبة إقبال)، لاهور، باكستان: ١٩٧٧م. ص٦.

- أنظر: جاويد إقبال،الدكتور: زنده رود (النهر الحي) ص١٤٥.
- وأنظر: محمد أكرم أحمد علي، حافظ: الأمة الإسلامية العربية في شعر محمد إقبال، ص٦٦-٦٨.
- أنظر: فقير وحيد الدين، السيد: روزگار فقير- الطبعة السادسة، كراتشي، باكستان: لائن آرت بريس ليميتد. ابريل ١٩٦٦م،ص ٢٢٩-٢٣٤.
- أنظر: عبدالمجيد سالك: ذكر إقبال. لاهور، باكستان: بزم إقبال، ١٩٥٥م. ص١٠.
- أنظر: محمد دين فوق "تاريخ إخوان الكشمير"، سرينگر، كشمير.١٩٤٣م.٢/٣٥.
- أنظر: Varinder Grover: Muhammad Iqbal Political thinker of modern India. P-14-21
- أنظر: The Oxford history of India, Third Eddition 1961. P-805
- أنظر: تفضل علي، السيد: محمد إقبال لمحة عن حياة إقبال. القاهرة: قسم الصحافة والاستقلات سفارة الباكستان.١٩٥٦م.ص٧.
- أنظر: امجد حسين سعيد أحمد، الدكتور: شاعر الشرق محمد إقبال .الطبعة الأولى، مصر. القاهرة:سفارة جمهورية الباكستان ١٩٩٧م.ص٥.
- أنظر: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: پيام مشرق ص١٧.
- أنظر: محمد سعيد جمال الدين، الدكتور: رسالة الخلود (جاويد نامه): ص مقدمة الكتاب.
- أنظر: محمد منور، بروفسور:حياة إقبال، مجلة إقباليات (عربي) ص١٣.
- أنظر: سمير، عبدالحميد إبراهيم، الدكتور: إقبال و ديوان أرمغان حجاز، ص١٥.

الحساب وكان كثير التردد على مجالس الصوفية ورجال العلم والمعرفة، جعله اتصاله بهم عازمًا بدقائق الطريقة وعلوم العقيدة والسنة متأدبا بآداب السلوك كافة ولذلك يقوم صديقه السيد مير حسن (ت ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م) عن الشيخ نور محمد:

"إنه فيلسوف الذي لم يتخرج في مدرسة" (١)

وكان على معرفة من أحكام الشريعة ومطالبها بقدر الحاجة، فكان يواظب على تلاوة كتاب الله الكريم وقد أمرأولاده بالمواظبة عليها كل يوم مؤكدا أنها تضمن الفوز في الدنيا والآخرة.

وقدسأل السيد سليمان الندوي إقبالًامرة عن سر بلاغته التي تكشفت معها غوامض الدين و معالم الحق وأوصلته إلى الذروة في أساليب التعبير التي ندر أن يصل إليها أهل العلم، فأجابه إقبال: "يرجع الفضل في كل ما أنشأ به من شعراً أو نثراً إلى توجيهات أبيّ، فقد عودني تلاوة القرآن الكريم صباح كل يوم" .(٢)

يقول الدكتور أحمد معوض:

"وقد عمر الشيخ نور محمد زهاء مائة سنة، وشهد نجم إقبال يرتفع وصيته يذيع بين أعلام العلم والأدب والسياسة وتوفى في سيالكوت في السابع عشر من أغسطس ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، ودفن في مقبرة الأمام صاحب، وقد فقد بصره أثر مرض قبل وفاته بعشرين سنة". (٣)

"وقد رحل والد إقبال و مرشده عن هذا العالم، وكلنا راحلون ولقد سأل هاتف الحق عن تاريخ الرحيل فقال:

أثر الرحمة، أحضان اللحد. (٤)

أمه

وكانت والدة محمد إقبال السيدة إمام بى بى تقية، أمينة، سخية، لم تعرف القرأة والكتابة لكنها كانت مواظبة على الصلوٰة والصوم، يمتلئي قلبها بالإيمان والورع. (٥)

وكانت معروفة بين النساء بالتقوىٰ والأمانة وتدبير الأمور ، فكانت نساء الحيّ يرجعن إليها

١- أحمد معوض، الدكتور: علامه محمد إقبال، حياته و آثاره، ص٢١.

٢- نفس المرجع، ص٢٢.

٣- نفس المرجع: ص٢٥.

- محمد منور، بروفسور: حياة إقبال. مجلة إقباليات، ص١٣.

- وأنظر تقوى وورع والد إقبال في: ضياء الدين أحمد برلى: إقبال از عطيه بيكم- ص١٦-١٩.

٤- محمد أكرم أحمد على، حافظ : الأمة الإسلامية العربية في شعر محمد إقبال- ص٥٨-٦٦.

٥- چغتائى، محمد عبدالله ، الدكتور: إقبال كى صحبت ميں (في صحبة إقبال) ص١٢.

في حل مشاكلهن وتحكيم نزاعاتهن والحفاظ على أماناتهن، وقد توفيت قبل وفاة زوجها ست عشره سنة حيث انتقلت إلى رحمة الله تعالىٰ في التاسع من نوفمبر عام ١٣٣٣هـ/١٩١٤.(١)

وقد رثاها إقبال بمرثية رائعة مطولة بعنوان ذكرى الوالدة المرحومة (والده مرحومه كى ياد ميں) بين بها بالغ حزنه والأسى ولكنها تفيض بالحكمة والفلسفة وتشرح قوانين الحياة والموت وأسرارها على وجه العموم، كما أثبتها الدكتور أحمد معوض في كتابه: العلامة محمد إقبال حياته و آثاره" نورد منها مايلى:

"كل زرة في الدهر رهن التقدير — أما التقدير ففي حجاب الجبر والعجز
السماء مسخرة والشمس والقمر مسخران — والأنجم الزئبقية مسخرة في مسارحها أيضًا
وآنية الزهر لابد آن نكسر — والخضرة والوردة لايمكن أن تنموفي الحديقة أيضاً" (٢)

ونحن الآن نشرح بعض الأبيات هذا النظم وكان من ضمنها.

" إنني يا والدتي في حيرة من إعجاز صورتك التي غيرت اتجاه طيران الزمان، فقد جمعت الماضي والحاضر سوياً، وأعادت إلى ذكريات الطفولة، عندماكنت غضناً صغيراً في حجرك، وعندما كان فمي غير قادر على الكلام، والأن قد أصبحت أقوالي ذائعة في مكان وتمطر عيناي هذه اللآلي الثمنية في أبيات من الشعر رائعة بالغة في التأثير، فإن الإنسان مهما كبر في السن، وهما بلغ في مدارج العلم والمعرفة، ومهما حصل على معارج العزة والكرامة، فإنه يعود طفلاً ساذجاً في حضن أمه، ويشعر بمصاحبتها كأنه عثر على الفردوس المفقود من جديد، وحصل على الخلاص من جميع آلام الدنيا، وبعد رحيلك يا أماه! من ينتظر ني في وطني ومن يستبد به القلق إذالم يصل إليه خطابي، وعند ما أتي إلى تراب مرقدك، أصبح من ذا الذي يذكرني في الدعاء في منتصف الليالي، لقد كانت حياتك صفحة ذهبية عن كتاب الحياة، وكانت درساً متكاملاً في الدين والدنيا، ولقد بلغت أوج النجوم في الخط والسعادة بتربيتك ورعايتك وأصبح بيت أجدادي موضع العزةوالكرامة، ويا أسفاه! رعتني محبتك طيلة عمري وعند ما أصبحت قادراً على رعايتك وخدمتك رحلت.

وقال إقبال في تلك المرثية فمن شرحه أسرار البعث بعد الموت، إن الإنسان لا يفنى بالموت، فإن بذرالنبات إذا يدفن في التراب، ينبت من جديد شكل شجرة عالية جميلة.

لقد دفنوا في التراب البذور — فلم تفن في لحدها الهامد
ولم تنطفئ نارها في الحياة — على طول مرقدها البارد

١- جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي)، ١/ ٢٥.
- وأنظر: أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد اقبال، حياته و آثاره، ص٢٦.
٢- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال،حياته و آثاره، ص٢٦.

نمـا غـصنهـا زاهـراً واستفـادت   من الموت تجديد ذوق الحياة" (١)

وقـد رثـى أم إقبـال الشـاعر الأردي الكبير أكبر إله آبادى أيضاً، قال أكبر إله آبادي في رسالته التي أرسلها إلى إقبال:

"إن الـصـفـات الطيبة النبيلة التي يمتازبها إقبال وأسلوبه الذي حببه للأمة، وهذا الوعي بالذات وهـذه العلاقة وهذا الحماس للمسائل الصوفية، هذا الأسلوب في الصداقة مع الآخرين، وهذا الإحترام لـلـذات فـي إعـزاز، كـلهـا دليـل واضـح عـلى أن أبويه كانا من الأتقياء والورعين الصوفيين المتصلين بالأسرار الإلهية ومن أصحاب البصيرة والمعرفة".(٢)

وهكذا تربى إقبال في أحضان والدين صالحين انعكس أثرهما على نشأته وسلوكه، فقد كان أبـوه يـقظا لنبوغ ابنه يتعهده بتوجيه الفكر والسلوك معا، ومما يذكره عنه الابن مبكرا قوله له حين رآه يكثر قراءة القرآن من صغره:

"يابنى إن أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك".(٣)

وقـد كـان إقبال بعد وصية أبيه هذه له مما أثر في حياته، وكان لأمه ورعها أثر كبير في سلوك ابنها حتى ليذكر أثرها فيه بقوله:

"ساميت النجم بتربيتك وكان فخرالآباء والأجداد بيتك وكانت قدوة في الدين والدنيا.وقد كـان إحسـاس إقبـال بـفـضـل والـديه وأثرهما فيه عميقا فكان دائم العرفان لهما بالجميل ويقول في شعره:

"مينتى أن أضع جبيني على أقدام الوالدين" (٤)

١- الأعـظـمـى ، مـحـمـد حسـن ، وشـعـلان ، الصاوي علي: الحياة والموت في فلسفة إقبال، كراتشي ، باكستان: ١٩٦٩م.ص٨٤-٨٦.

٢- فقير وحيد الدين، السيد: روزگار فقير (الأردية)، ص١٩٧.

- وأنظر: محمد عبدالله چغتائى، الدكتور: في صحبة اقبال(الدكتور)، ص١٤.

- وأنظر:جاويد إقبال، الدكتور: زنده رود (النهر الحي) ،٢/٢٥-

- وأنظر: محمد أكرم أحمد على، حافظ: الأمة الإسلامية العربية في شعر محمد إقبال ص٥٨-٦٧.

- وأنظر: خليل الرحمٰن عبدالرحمٰن: محمد إقبال و موقفه من الحضارة الغربية. الطبعة الأولى. مكتة المكرمة : دارحراء . ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م . ص٥٤-٥٥.

٣- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرة وفلسفته وشعره، ص١٧.

٤- أظهر، ظهور أحمد ، الدكتور: إقبال العرب على دراسات إقبال، لاهور : المكتبة العلمية . ١٥ شارع مدرسة البنات،١٩٧٧م.ص٧٧.

الفصل الثاني

نشأته الأدبية والثقافية

بيئة إقبال و نشأته

ولد محمد إقبال فى ٢٤ من ذى الحجة ١٢٨٩هـ/ ٩ نوفمبر ١٨٧٧م في أسرة مومنة وما يزال البيت الذي أبصر محمد إقبال النور موجوداً وباقياً كما تركه صاحبه يوم تركه الحياة۔

ويقول الدكتور ظهور أحمد أظهر عن نشأته في كتابه:

"وقد تميزت نشأة محمد إقبال بعوامل دفعت به إلى ميدان الإصلاح والتحديد في الفكر والحركة الإسلامية:

(ا)۔ فقد هباه اللّٰه تعالىٰ ذكاءً نادراً، وذهنا صافيا، وعقلا واعيا، فكانت لهذه المواهب أثرها في نشأته واتجاهه۔

(ب)۔ وتربى في أحضان والدين صالحين انعكس أثرهما على نشأته وسلوكه، فأما أبوه كان متصوفا عاملا كادحاً في كسب رزقه يعمل لدينه ودنياه، وكانت أمه على صلاح وورع حتى أنها كانت تتحرج أن تأكل من وظيفة زوجها إذ كان يعمل مع رئيس عرف بأكل الرشوة، مع أن راتب وظيفة زوجها لم يكن من مال هذا الرئيس ولكن كذلك اقتضاها ورعها".(١)

وتأثر محمد إقبال بأبيه وظل يحكي عنه قصصاً ونوادر لطيفة تكشف عن الزاد الروحي والصوفي لأبيه ورقيه في مدارجه، وقد أشار إقبال إلى نصيحة أبيه ووصيته تلك عند ما سئل عن سرّ بلاغته في الشعر والنثر، فأجاب قائلا:

"يرجع الفضل في كل ما أنشأته من شعر أو نثر إلى توجيهات أبي رحمة اللّٰه، فقد عودني تلاوة القرآن الكريم بعد صلاة الصبح من كل يوم، وكان كلما رآني سألني عما أفعل، فأجبيه بأني أقرأ القرآن الكريم، وإذ كان يعاود إلقاء هذ السؤال في صبيحة كل يوم فأجبيه الجواب نفسه فقد دفعني الفضول والعجز إلى أن أقول لوالدي يوماً: أبي أنك تراني أتلو كتاب اللّٰه، فلم تسألني هذا السؤال وأنت تعلم جوابي، فقال رحمة اللّٰه: "بل أردت أن أقول لك، إقرأ القرآن كأنه نزل عليك" ومند ذلك الوقت بدأت أتفهم القرآن الكريم، أقبل على وداخل كلماته ومعانيه، فكان من أنواره ما اقتسبت، ومن بحره ما نظمت".(٢)

١۔ أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: إقبال العرب على دراسات إقبال، ص٧٩۔٨٠.

٢۔ عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره: ص١٧. و أنظر أيضا: أحمد معوض، الدكتور: علامه إقبال، حياته وآثاره، ص٢٢.

وكان للقرآن الكريم أثره عميقاً في نفس محمد إقبال وفي عقله وكذلك في فكره ومسلكه، وهذا ما ظهر جلياً فيما بعد على لسانه إذا تكلم وفي بيانه إذا كتب. وعند ما كان يتكلم، فآيات الكتاب العزيز هي حجته وعند ما يكتب كانت هذه الأيات هي شواهده، فالقرآن الكريم كان معه إذا خلا إلى نفسه كما كان معه إذا التقى بالناس لقد أدرك محمد إقبال في القرآن الكريم أسراره. فاختار أن يكون هذا الكتاب الإلهي دائماً بجواره. وهذا الاختيار لازم شاعر الاسلام إلى أن أدركه.

وكان القرآن الكريم الأستاذ الدائم لمحمد إقبال، وهو يؤمن أن الكتاب الذي هو مصدر حياتنا ومنبع قوتنا، ورأس مال أهل الحق، وفيه بداية ونهاية كل أمر. والقرآن الكريم هو الكتاب الذي يتضمن لنا الرقي في الحياة الدنيا والآخرة ويدل إلى سبيل النجاح ويرشدنا كيف نعيش وكيف نموت.

والشيخ نور محمد (أبوه) غرس شجرة حب المصطفى صلى الله عليه وسلم مع حب القرآن في قلب بنيه، وذلك يتفتح بقصة تتعلق بجملة من نصائح أبيه المتصوف، أوردها في منظومته "رموز بے خودي" وقد ساقها الدكتور عبدالوهاب عزام. (١)

ويقول إقبال:

"وقع على بابنا سائل وقوع القضاء، ورفع صوته كأنه نقيب غراب، وأخذ يهز الباب! ولما ألمني تصايحه وإلحافه، خرجت إليه...... فأهويت على رأسه بضربة بعثرت ما بيده، مما جمعه طوال يومه، فلما رأى والدي تلك الحادثة اصفر وجهه الأحمر، وانحدرت الدموع نهراً على خديّه وقال:

گفت فرد امت خير الرسل	جمع گردد پيش آن مولائے كل
درميان انجمن گردد بلند	ناله هالے اين گداے دردمند
اے صداطت مشكل از بے مهر كهي	من چه گويم چون ميرا پرسد بيني
حق جوانے مسلمے با تو سپرد	كو نصيبے از دبستانم نبرد
از تو اين يك كار آسان هم نشد	يعنى آن انبار گل آدم نشد
باز اين ريش سفيد من نگر	لرزهٔ بيم و اميد من نگر
بريد رايس جورنا زيبا مكن	پيش مولا بنده را رسوا مكن
غنچه از شا خسار مصطفى	گل شو از بادبهار مصطفى
از بهارش رنك و بو بايد گرفت	بهره از خلق او بايد گرفت (٢)
قال لي الوالد: يوم محشر	تلتقي أمة خير البشر
وعلا في لجّ هذا المحشر	صوت هذا السائل المنكسر

١- سفير مصر السابق في باكستان.

٢- كليات إقبال (فارسى) رموزبے خودي، ص٢٨٨.

أيهـا الـحـائر في ذا الـموكـب ... مـا جـوابـي حيـن يـلـحـانـي الـنبي
قـد حبـاك الـحق طـفـلا مسـلـما ... لـم تـنـلـه مـن كتـابـي مـغـنـمـا
هيّـن الأشيـاء قـد شـقّ عـليك ... لـم يـصـر ذا الـطيـن إنسـانـا لـديك
لـحيتي البيـضـاء فـي الـحشـر انظـر ... رعـدتـي فـي الـخـوف والحزن اذكر
لا تـزدعـب ء أبيك الـوهـن ... عـنـد مـولاى غـداً لا تـحـزني
أنـت كـمّ فـي فـروع الـمـصـطـفـى ... فتـفـتّـح فـي ربيـع الـمـصـطـفـى
نـظـرة مـن روضه فالتمس ... وسـنـا مـن خـلـقـه فـاقتبـس (١)

ويقول نجيب الكيلاني عن هذه القصة:

"فـي مثـل هـذا الـجـوالـر وحاني الزاخر بالإشفاق من يوم اللقاء، العامر بالحب الخالص لنبي البشـر، الـمتأرجع بين الخوف من المصير المجهول، والرجاء في الغد المأمول في مثل هذا الجوعاش إقبـال يـنـظـر فيـرى أباه لايفتأ يتحس بأنامله المرتعشة الواهنة، تلك اللحية البيضاء التي تؤذن باقتراب الـرحيل، وكأني بإقبال، ذلك الفتى الغض اليافع، وهو يتلقى تلك الأنغام السلسلة تتدفق من فم أبيه في سهـولة وغيـر تـكلف، صادرة من أعماق روحه المؤمنة، نابغة من فيض نفسه الناصعة الورعة، فيتلقفها (إقبـال) فـي سهـولة وغيـر تكلف أيضًاء ويتقبلها تقبلًا سريعًا طبيعيًا، ثم تسري في قلبه وفؤاده، فتصير هذه المعاني لديه في الحياة. هي الاسلام والسعادة والنعيم الأبدي، والراحة في الدنيا والآخرة".(٢)

إن الـجـرعـات الـديـنية النقية لهي الدواء الناجحة البشرية الحائرة، وإن في الكؤوس الروحية الـخـالصة لنشوة سامية تنفي عن الإنسان ظلمات، وتحجب عن عينيه أصنام اليأس، وترده إلى حظيرة الـخيـرو الحب والصفاء، ولطالما ارتشف إقبال من تلك الكؤوس فشفت من نفسه جراحًا، وأبانت له عـن طـريـق سـليـم واضـح وكشـفـت لـه عن أشياء، ما كان ليكشف عنها، وينعم بجمالها، لولا تلك الجرعات النافعة، وما أجمل قوله:

١ـ التـرجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات، ص٢٢٠ـ ٢٢١.
ـ عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفة وشعره، ص١٧ـ١٨.
ـ أنظر: أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، ص٢٢.
ـ أنظر: أظهر،ظهور أحمد ، الدكتور: إقبال العرب على دراسات إقبال، ص مقدمة الكتاب.
ـ أنظر: نجيب الكيلاني: إقبال الشاعر الثائر،الطبعة الثالثة ، القاهرة : مؤسسة الرسالة . شوارع سوريا ١٩٥٩م.ص١٦.
ـ أنظر:محفوظ ، حازم محمد أحمد ، الدكتور: محمد إقبال والقضية الفلسطينية، ص٢٩ـ٣٠.
ـ أنظر: الهاشمي، رفيع الدين ، الدكتور: علامه إقبال اورمير حجاز (الأردية) ص٢٢ـ٢٣.
ـ انظر: اله آبادى، بهار: تفسير إقبال (الأردية) .مطبعة دهلي : جمال برنتنك بريس ، ١٩٨٢م.ص٥٨ـ٥٩.
٢ـ نجيب الكيلاني: إقبال الشاعر الثائر، ص١٧.

"اليوم أسمعك احتدام مشاعري وصراخ إيماني وصوت منايا
المستحيل بد العيني ممكنًا سأرى الخليقة مارأت عينايا
لم ألق في هذا الوجود سعادة كموّده الإنسان للإنسان
لما سكرت بخمرها القدسي لم أحتج إلى تلك التي في الحان" (١)

وفي هذا الجوينشأ إقبال وينمو مع حب المصطفى في قلبه وذهنه ويوقد مصباح لم يطفئه عواصف الزمن وظلمات الكفر.

(ج): لا ريب أنه تربى في أحضان الوالدين الصالحين وهذا من حسن حظه أن أُثناء مراحل تعليمه استفاد كثيراً من الأساتذه الأوفياء الأذكيا، الذين كان لهم أثر كبير في رفعة فكره وسلوكه حتى أنه ليعبر كثيرا بالقول والعمل، وهو في تألق مجده، عن فضل وأثر هؤلاء الأساتذه فيه.

منهم:الأستاذ مير حسن الذي كان له أثره، بعلمه وسلوكه ـ في تربية إقبال ـ وتوجيهه إلى مواصلة طلب العلوم الحديثة بجانب العلوم الإسلامية، وقد أشاد به إقبال كثيراً في شعره.

ومنهم: السير تومانس آرنولد صاحب كتاب "الدعوة إلى الإسلام" فقد تلمذ عليه إقبال في الهند وفي انجلترا حتى أن توماس اختاره ليخلفه في عمله بالجامعة حتى اضطر إلى الانقطاع عنه بعض الوقت، ولم يأل إقبال جهدا في توثيق صلاته بالعلماء .(٢)

كما نال إقبال إعجاب أساتذته وزملائه وتلاميذه بسعة علمه وكثرة اطلاعه وسداد رأيه فاتجهت إليه الأبصار مبكرا، في لاهور اتصلت أسبابه بالأستاذ الانكليزى الشهير سرتهامس آرنولد وبالأستاذ عبدالقادر المحامي، والأديب الشهير وقاضي محكمة الاستئناف بعد وعضو مجلس الهند سابقًا، وكان أصدر أول مجلة علمية أدبية في اللغة الأردية، اسمها "مخزن".(٣)

وكان إقبال نظم قصيدته الأولى البديعة "جبل همالة" وهي فارسية التركيب إنجليزية الافكار، ونشرها الأستاذ عبدالقادر في مجلته سنة ١٩٠١م، ونظم عدة قصائد أدبية توجد في مجموع شعره الأول، وكان لها دوي في أندية الشعر والأدب، واجتلبت العيون نحو الشاعر الشباب المبدع، وفي هذه المدة حصل محمد إقبال على شهادة ما جتسير في الفلسفة بامتياز ونال وسامًا وعيّن على أثره أستاذاً للتاريخ والفلسفة والسياسة في الكلية الشرقية في لاهور". (٤)

١ـ نجيب الكيلاني: إقبال الشاعر الثائر، ص١٩.

٢ـ أظهر إقبال اعتقاد قلبه لسير توماس آرنولد في نظمه "ناله فراق" "بيانك درا"

٣ـ الشعر الغزلي الأولى لإقبال، التي طبعت في محلّة "زبان" دهلي في نوفمبر فهمتها الغزلي الطبع القديم ولكن سلسلة الطباعة المنظمة بدأت من تنفيذ مجلة "مخزن" في أبريل ١٩٠١م.

ـ أنظر: س، الف، واحد: فكر إقبال كا تعارف (الأردية) (أى افكار إقبال وأراوه) الطبعة الثالثة . لاهور، باكستان: منظور احمد برنتنك بريس ، نياز احمد سنك ميل بليكيشنز ، ١٩٨٤م.

٤ـ الندوي، ابو الحسن علي الحسني: روائع إقبال،دمشق : دار الفكر : ١٩٦٠م. ص١٥-١٦.

وكان إقبال في هذه المرحلة من عمره ينظم الشعر، وكان يرسل بين حين بعد حين شعره إلى الشاعر الأردية الكبير نواب داغ الدهلوي (ت١٩٠٥م) بالمكاتبة، وكان الأستاذ داغ الدهلوي أنذاك، أستاذ حاكم ولاية حيدر آباد بجنوب الهند فأشعره بذلك فتوقف إقبال عن إرسال شعره له للإصلاح، وبعد مدة قصيرة رأى الأستاذ داغ الدهلوي:

"أن شعر إقبال لا يحتاج إلى مزيد من التنقيح والإصلاح واعتز بأن إقبال من تلامذته حين ذاع صيت شاعرية إقبال في جميع أنحاء الهند".(١) وكان يفتحر إقبال بنفسه أن يكون تلميذ داغ.(٢)

ولم ينس إقبال من أساتذته قط، بل ذكرهم دوما وخلدهم في أشعاره، وها هو في قصيدة "التجائى مسافر" (تضرع مسافر) يعلن أمله في أن يجثو ثانية على أقدام أبويه، مثلما يعرب عن حبه ووده واحترامه وتقديره لمولانا السيد مير حسن، ويقول إقبال عن أستاذه:

"وكان من المنتسبين إلى آل البيت، ان شمع حضرة آل مرتضىٰ مقدسة كالحرم، فهي التي مكنت أنفاسها برغم أملى من أن يذدهرو يتفتح، والتي نمى نورها الكريم ملكاتي النقدية".(٣)

وكان إقبال يعد نفسه "كتابا حيا" لمعلمه وكان يمتدح أيضاً مولانا شبلى النعماني(ت١٩١٤م)، ومولانا حالي(ت١٩١٤م)، ومولانا الكرامي (ت١٢٠٠هـ)، وداغ الدهلوي(ت١٩٠٥م) وكلهم من رجال الأدب.

وكان إقبال طالبا ذكيا وفطينا، يمدحه أستاذه الدكتورآرنولد ويقول:

"إن طالبا مثل إقبال، يحيل أستاذه إلى محقق، والمحقق إلى باحث".(٤)

وكانت أول أشعاره التي ألقاها في حشد من المستمعين قصيدته "نالة يتيم" "أنة يتيم" وكانت في الحفل السنوي لجماعة حماية الإسلام (انجمن حمايت اسلام) في لاهور، وقد استقبلت القصيدة استقبالا حسنا، ومست من القلوب شغافها، في العام التالي فى الحفل السنوي قال قصيدته، خطاب يتيم به هلال عيد، وفي إحدى الجلسات الشعرية ألقى إقبال رباعية، عدها السامعون أجمل ما

١- خليل الرحمٰن عبدالرحمٰن: إقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص٥٨-٥٩.
- أنظر: عزام، عبدالوهاب ، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره: ص٢١.
- أنظر: طاهر تونسوى: حياتِ إقبال. لاهور : ندرت بريس ، بدون التاريخ . ص٢٢.
- أنظر:أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص٣٤-٣٦.
٢- انتخاب مقالات إقبال: حيات وسيرة إقبال ايك اجمالى خاكه (وصف مجمل) مجلة (جرنل تافكر ونظر) ص٨-٩. اشاريه جرائد (جرنل تا فكرونظر : (يناير فبرائر : ١٩٧٤م).
٣- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص٣٤-٣٦.
٤- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص٣٨.
- وأنظر: افتخار أحمد صديقي، الدكتور: إقبال كاذهني ارتقاء (نمو إقبال الذهنيه) ص٧٦.

سمعوا في تلك الجلسة على الاطلاق حيث قال:

"موتی سمجھ کے شانِ کریمی نے چُن لیے   قطرے جو تھے میرے عرقِ انفعال کے" (١)

"لقد التقطتها الرحمة الإلهية كما لو كانت لالى.

قطرات العرق التي تصببت مني عند ما شعرت بالخجل والندم:

وجريا على عادة الشعر في عصره، اقتبس إقبال بعض الأشعار والأساليب الفكرية الإنجليزية إلى الأردية، فتلقفتها الطبقات المثقفة وتلقتها بخير ما يرجوه شاعر لقصائده و قطعاته، وفكر إقبال في نظم ملحمة على طريقة ملتن (Milton)(ت١٦٧٤م) (الفردوس المفقود وغيره) فكتب إلى أحد أصدقائه في سنة ١٩٠٣م.

"بأن الوقت قد حان لذلك، إلا أن هذه الملحمة لم ترالنور" (٢)

وهكذا كان إقبال نشيطا من أوائل عمره ونشأ فى بئية الدينية والأدبية التي صيقل استعداده الفطرية، وخصائصه الذهنيه، بالتي يمكن لإقبال أن يكسب شهرة لانظير له في شبه القارة الهندية والعالم الاسلامي والغير الاسلامي.

١- وأنظر: طاهر تونسوى: حياة إقبال (الأردية)، ص٢٢.

- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره: ص٤٢-٤٣.

٢- نفس المرجع: ص٢٢.

الفصل الثالث

رحلاته العلمية وعودته إلى وطنه

دراسة إقبال في الهند

بدأ إقبال دراسته في الهند و تلقى نور العلم والسعادة من مدنها وبقوة العلم نال شهرته في عالم الشرق والغرب، نحن الآن نستعرض مدارج تعليمه والمدارس والمناهل منها تلقى العلوم المفيدة والفنون المختلفة.

دراسته في سيالكوت

بدأ إقبال تعليمه في طفولته على أبيه، ثم التحق خلال السنة الخامسة من عمره بمدرسة في المسجد، كان قرأ فيها القرآن الكريم على المولوى أبي عبد الله غلام حسن، فحفظ كثيراً منه، وكان في كبره يعلم القران.

يبين ابو الحسن علي الحسني الندوي شغفه و حبه للقرآن الحكيم كذلك.

"وإن كثـــرة اقتباسة من القرآن الكريم في شعره تدل على أن كتاب الله كان دائماً على قلبه ولسانه".(١)

فتلقى إقبال الدرس من المدرسة، حتى زارتلك المدرسة يوما المولوي السيد مير حسن وكان عالماً بارعاً في آداب العربية والفارسية والأردية والبنجابية، فعند ما وقع نظره على إقبال رأى دلائل العظمة والذكاء في وجهه، فسأل أستاذه عن أبيه، فأخبره بأنه ولد الشيخ نور محمد، وكان السيد مير حسن يعرف الشيخ نور محمد من السابق، فجاء إليه و عرض عليه أن يدرس بنفسه لإقبال منذ ذلك الحين، وكان والدإقبال يحب أن يتعلم ابنه العلوم الدينية في المدارس بالمساجد، ولكن المولوي السيد مير حسن لم يوافقه الرأى، وقال:

"إن هذا الصبي لا يصلح له أن يدرس بالمساجد، بل إنه سوف يدرس في المدارس العصرية".(٢)

١- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع إقبال: ص٣ .

- أنظر: المصري ، حسين مجيب ، الدكتور: قرآن و إقبال،القاهرة ، المصر : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٦٥شارع محمد فريد .١٩٧٧م .ص٢١.

- وأنظر: الطرازى، عبد الله مبشر، تحت عنوان: الشاعر الإسلامي الكبير، محمد إقبال سيرته و شعره وفلسفته في الحياة والموت: مجلة إقباليات (عربي) العدد الاول ١٩٩٢، ص١٠٠.

٢- عبد الرحمن خليل الرحمن : إقبال و موقفه من الحضارة الغربيه۔ص٥٧.

ثـم أدخـلـه أبـوه مـدرسة البـعثة الأسـكوتية(١) ويقال إن أباه أدخله هذه المدرسة ليكون في رعـايةصـديقه العالم الجليل مير حسن الذي كان أستاذاً أديبا متضلعًا في الأدب الفارسي وعارفًا باللغة الـعـربية، وإقبـال نبـغ في هاتين اللغتين بفضل الشيخ سيد مير حسن الذي حاز بلقب "شمس العلماء" والذي كان من أصدقاء. (٢)

وقد امتاز إقبال بذكائه وجهده ففاق زملائه ونال جوائز كثيرة.

ورأى الأستاذ ميرحسن من ذكائه بل من قوله و فعله مازاده إعجابًا به، ومن نوادره أنه وهو في سن العاشرة، جاء إلى المدرسة متأخرا فسأل عن تأخره فقال:

"الإقبال يأتي متأخرا".(٣)

فـاجتـاز إقبـال مرحـلة المدرسة المتوسطة في عام ١٨٩١م، ثم اجتاز مرحلة الثانوية في عام ١٨٩٣م بتـقـديـر مـمتـاز، واستحق الوسام والمنحة الدراسية، وبعد إكمال الثانوية التحق بكلية البعثة الاسكتلاندية في مايو ١٨٩٣م واجتاز مرحلة الكلية المتوسطة (F.A) في عام ١٨٩٥م بتقدير جيد، وإلـى هـنـا انتهـت دراسة إقبـال فـي مدينة سيالكوت، لأن كلية البعثة الاسكتلاندية لم يكن قد بدأت تـدريـس مرحلة البكالوريوس (B.A) إلـى ذلك الـوقـت، فتـرك إقبـال بلدته وانتقل إلى مدينة لاهور، (عـاصـمة بـنـجـاب الغربية) لإكمال الدراسة هناك، وعمره نحو ثمانية عشر سنة، وكل هذا من فضل أستاذه. ويعترف إقبال بهذا ويذكر أستاذه بكل إحترام وعزة.

ويقول أبو الحسن علي الندوي في هذا الصدد:

"ولـم ينس إقبال فضل أستاذه إلى آخر حياته".(٤)

فإنه أثنى على أستاذه شمس العلماء مولانا مير حسن في قصيدته المعنوية حينما إتجه في عام ١٩٠٥م إلـى انـجلترا ليكمل دراسته العليا هناك، وإلى جانب ثنائه على أستاذه فقد دعا الله سبحانه و تعالىٰ لتيسير سبل الحصول على العلم، فيقول على أستاذه:

١- Scottish Mission School.

٢- وللمزيد من التفاصيل راجع كتاب: س، محمود حسين: "مولوى سيد مير حسن" (بالأردية).

٣- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: "محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره"، ص١٩.

- أنـظـر: سيـد أحـمـد ، امـجـد حسـن ، الـدكتور، إبـراهيـم مـحمد إبراهيم، الدكتور:شاعر مشرق محمد إقبال ، ص٢٠-٢١.

- أنـظـر:الـطـرازي، عبـدالله مبشـر، الدكتور: "الشاعر الاسلامي الكبير محمد إقبال. مجلة إقباليات (العربية) العدد الاول ١٩٩٢،ص ١٠٠.

٤- الندوي، أبو الحسن علي الحسني،مولانا : روائع إقبال، ص٣.

- أنظر: عزام ،عبدالوهاب، الدكتور: "محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره"، ص٣٢.

"إن شمعة بيت المرتضىٰ (مير حسن) عتبة لى دائما كالحرم"، وقد مدح إقبال في أبيات أخرى كلامن حضرة داغ الدهلوي، مولانا شبلي نعماني ومولانا حالي باني پتي ومولانا جرامى".(١)

دراسته في لاهور

انتقل إقبال إلى لاهور في سبتمبر عام ١٨٩٥م، ولاهور هي إحدى المدن الكبرىٰ من مدن الهند، ومدن الحضارة والعلم والفن، وكانت حين قصد إليها إقبال تعمل مجامعها في نشر الأدب محل الأدب الفارسي، وتألفت فيها مجامع أدبية تدعو إلى محافل ينشد فيها الشعراء عيون أشعارهم، ويسمى هذا "مشاعره" ويقول أبو الحسن علي الندوي:

"والمشاعرة عادة أدبية في باكستان والهند حتى اليوم".(٢)

وفي كلية الحكومية بلاهور التقى إقبال بأستاذه الفيلسوف المستشرق "توماس أرنولد".(٣)

وهو من خيرة من درسو الإسلام والتصوف الإسلامي وله مواقف كريمة في الدفاع عنه، ورحب الأستاذ بميل تلميذه إلى الفلسفة، فكان له خير مرشد ومعين، ونال بعد ذلك شهادة في الفلسفة ويذكر نجيب الكيلاني أهميته عند أستاذه قائلا:

"وكثيرا ما كان الأستاذ توماس يفخر بذكاء تلميذه، ويعتز بصداقته".(٤)

ويقول الدكتور أحمد معوض في هذا الصدد:

"وكان إقبال يعد نفسه (كتابا حيا) لمعلمه، ومن ثم فإنه عند ما عرض عليه لقب (السير) أعرض عنه ولم يقبله إلا شريطة أن يمنح معلمه (مير حسن) لقب شمس العلماء، وكان اصرار إقبال سببا في الوضوح لمشئية، فمنح مولانا السيد مير حسن، اللقب، على الرغم من أنه لم يكن له من الشهرة والصيت العلمي مايسوغ هذا اللقب في نظر الحاكمين". (٥)

١- شاه ولي، عبد الرحمٰن، "محمد إقبال ١٨٧٧- ١٩٣٨"، اسلام آباد، باكستان: مجمع البحوث الإسلامي ١٩٧٧م.ص١٠-١٢.

٢- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص٣٩.

- وأنظر أيضا: الطرازي، عبد الله مبشر، الدكتور:تحت عنوان: "الشاعر الكبير محمد إقبال،مجلة إقباليات (عربي)، العدد الأول ١٩٩٢، ص١٠٠-١٠١.

٣- كان السير توماس أرنولد أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن، ثم أستاذ الفلسفة في جامعة عليكره في الهند، ثم في كلية الحكومية في لاهور، وكان آرنولد يلبس أحيانا لباس المسلمين فكان يدعى بمولانا آرنولد، وامتدحه خواجه حالى، فمن بيت له:

"بأنكم قد رأيتم كثيراً من شاب المسلمين في أزياء النصارىٰ، ولكن أنظروا إلى هذا المسيحي يزين نفسه بقباء المسلمين".

٤- الكيلانى نجيب: إقبال الشاعر الثائر، ص٢٩.

٥- أحمد معوض، الدكتور: علامة محمد إقبال: حياته وآثاره، ص٣٥.

والتحق إقبال بالكلية الحكومية في لاهور، واستمر في الدراسة حتى حصل على درجة البكالوريوس، وبرز في اللغة العربية والإنجليزية، ونال جوائز التفوق في السنة ١٨٩٧م، ثم وصل إقبال دراسة بالماجستير واختار الفلسفة للدراسة، فنال شهادة الماجستير فيها في عام ١٨٩٩م بتقدير جيد ولكن نظراً إلى أنه كان طالبًا وحيدًا نجح في تلك المادة بمنطقة البنجاب، واستحق وسام فضة، ويقول خليل الرحمٰن عبدالرحمٰن:

"وبجانب دراسة الفلسفة في الماجستير، التحق إقبال ضمن برنامج الدراسات المسائية بدراسة القانون أيضا، ولكنه رسب في مادة الفقه في اختبار السنة الأولى، وفي العام القادم طلب أن يسمح له بحضور الاختبار بدون مواصلة الحضور في الصف ولكن لم يسمح له بذلك".(١)

اشتغاله بالتدريس بعد التخرج

وفرغ إقبال من تحصيل العلم في الكلية، فاختير لتدريس التاريخ والفلسفة في الكلية الشرقية.(٢)

ثم عين لتدريس الفلسفة واللغة الانجليزية بكلية الحكومية التي تخرج فيها، وقد نال إعجاب تلاميذه وزملائه وثقة وزارة المعارف بسعة علمه وحسن خلقه وسد ادرأيه، واتجهت الأنظار إليه، وذاع ذكره، حتى صارمن أساتذة لاهور النابهين.

وأنجز إقبال خلال تلك السنوات الأربع، أربعة أعمال من التأليف والترجمة وهي:

١ـ مقالة بالإنجليزية حول نظرية الوحدانية عند الشيخ عبدالكريم الجيلى، طبعت سنة، ١٩٠٠م.

٢ـ الترجمة والتلخيص لكتاب المستراستوب "تاريخ بريطانيا القديمة".

٣ـ الترجمة والتلخيص لكتاب "الاقتصاد السياسي" لمستردوكره.

٤ـ تأليف كتاب "علم الأقتصاد" بالأردية.

وكان إقبال بقي في منصبه بكلية الحكومية حتى حصل على إجازة سنوات لإكمال الدراسة في أوربا، ابتدأء من أول أكتوبر ١٩٠٥م".(٣)

١ـ عبدالرحمٰن، خليل الرحمٰن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص٥٩.

٢ـ الندوي،أبو الحسن علي الحسني: روائع إقبال، ص٣.

ـ أنظر أيضا: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته و فلسفته وشعره،ص٤٤.

٣ـ عبدالرحمن، خليل الرحمٰن: إقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص٦٢-٦٣.

ـ وأنظر أيضا:الأعظمي، محمد حسن، وشعلان، الصاوى على: فلسفة إقبال والثقافة الاسلامية في الهند والباكستان، الطبعة الأولى . القاهرة: دار احياء الكتب العربية . ١٩٥٠م ، الطبعة الثانية ، دمشق : دار الفكر ، ١٩٧٥م. ص٣.

سفره إلى بلاد أوربا

عـنـد ما عزم إقبال على السفر إلى أوربا للتزويد من العلم، اتباعا لمشورة السير توماس آرنولد، وسنّـه يـؤمـئـذ اثـنـتـان وثـلاثـون سـنة، أخذ إقبال إجازة ثلاث سنوات من عمله في الكلية الحكومية بـلاهـور، ابتدأ من أول اكتوبر ١٩٠٥م، وقد تحمل مسئوولية نفقاته في أوربا أخوه الكبير الشيخ عطا محمد، الذي كان يشتغل مهندسًا لدى مصلحة الأشغال العسكرية الهندية، وخرج معه بعض أصدقائه لتـوديـعـه حتـى دهـلي، وبلغ إقبال وصحبه مدينة دهلي في سنة ١٩٠٥م، فاستقبلهم في محطة دهلي جـمـاعة فيهـم السيـد حسـن نـظـامـي الدهلوي من أحفاد نظام الدين أولياء، وفي طريقه مرّعلى مزار "السـلطان همايون" ثاني ملوك الدولة المغولية، وهو أول مزار تُسيَّد لملوك هذه الدولية في الهند، فقد تـوفـى أبـوه بـابر مؤسس الدولة في كابل ودفن فيهاـ ولما بلغ إلى مزار نظام الدين أنشد قصيدة باللغة الأردية إنشادًا شاجيًا.

ويقول في هذه القصيدة بعد مدح نظام الدين:

"لـقـد فـارقـت الـوطـن لأتـذوق لذة شراب العلم وأتزود بالمعرفة والهدى، وإنني لأشكر الله تـعالىٰ بأنه لم يحوجني إلى غيره كشجرة بريّة في الصحراء تنتظر السحاب من السماء، فلا تحتاج إلى رعـاية البستـاني وسقايته، فأدعوا الله سبحانه و تعالىٰ أن يهبني علمًا وقوة ومكانة أمتاز بها بين أقراني وأن يوفقني للخير وخدمة خلقه، فلا أوذي أحد في الدنيا بلسان قلمي، ولا أشتكى أحداً تحت السماء كـمـا أدعـوه تـعالى أن يعيدني إلى بيتي بعافية وسلامة، فأضع جبيني على أقدام الوالدين اللذين ربياني صغيراً وصيّراني عارفًا بأسرار الحب والصدق".(١)

وقـد سـجـل إقبـال تـفـاصيل رحلته هذه ضمن مكاتيب إلى المولوي "انشاء الله خان" مدير مجلة "الوطن" بلاهور، بتاريخ ١٢ ستمبر، ٢٥ نوفمبر من عام ١٩٠٥م.

دراسته في كمبردج

لـقـد وصل إقبال إلى كمبردج في ٢٥ سبتمبر ١٩٠٥م، ثم التحق بجامعة كمبردج بسرعة و بسهـولة، بـفـضـل جهـود الأستاذ آرنولد الذي كان أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن أنذاك، وبدأت دراسة إقبال في الجامعة من أول أكتوبر ١٩٠٥م، وبعد الالتحاق بالجامعة، كان على إقبال أن يسجل

١ـ عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفة وشعره. ص٢٧-٢٨.

- وأنظر: عبدالرحمن، خليل الرحمن:"إقبال و موقفه من الحضارة الغربية ،ص٦٦-٦٧.
- وأنظر: الطرازي ، عبدالله مبشر ، الدكتور: المفكر الاسلامي الكبير العلامة الدكتور محمد إقبال،ص٧.
- وأنظر:جمال الدين ، محمد سعيد ، الدكتور: رسالة الخلود أو جاويد نامه،ص٤.
- وأنظر أيضًا: شبانه انجم : اورينٹل كالج ميگزين ميں ذخيره إقباليات (خزينة الإقباليات في مجلة الكلية الشرقية) ، ص٢٧-٢٨.
- وأنظر: مجهول: ذكرى محمد إقبال، ص٩-١٠.

موضوعا لرسالة لنيل شهاده الدكتوراة وأن يختار المشرف عليها، ولكن جامعة كمبردج لم تكن تمنح شهادة الدكتوراة في مادة الفلسفة في ذلك الحين، وبناء على اقتراح أستاذه مكتاكرت (mctaggert) سجل إقبال موضوع رسالة بعنوان في "تطور الميتافزيقا في فارس.(١) (Development of Methphysics in Persia) في جامعة ميونيخ بألمانيا، ولكن الجامعات ألمانية كانت تطلب عادة أن يحضر الطالب محاضرات لمدة تتراوح بين ثمانية عشر شهراً و ثلاث سنوات بناء على سابق تحصيل الطالب، كما أنهم كانوا يطلبون عادة كذلك أن تكون الرسالة باللغة ألمانية أو اللاتينية، ولكن ادارة جامعة ميونيخ بفضل توصيات أساتذة إقبال بكمبردج، سمحت له بأن يكتب رسالته بالإنجليزية، إلا إنها اشترطت أن يكون الاختبار الشفوي بألمانية.(٢)

وتركزت جهود إقبال في كمبردج على انجاز أهدافه من تقديم الرسالة إلى جامعة ميونيخ خلال ثلاثة أعوام من تسجيلها.(٣)

والحصول على شهادة بكالوريوس الشرف من جامعة كمبردج، ولقد عكف إقبال بكل جهوده على الدراسة وكتابة البحث خلال إقامته بكمبردج، حتى أنه كان يقضى إجازته في مقره بكمبردج، ولكنه إلى جانب دراسة بجامعة كمبردج قد سجّل نفسه في دراسة القانون بكلية لينكوليزان (lincolin's inn) بلندن.(٤) فكان يزور لندن بين حين و آخر، ويحكي الدكتور جاويد إقبال (نجل إقبال).

"أنه على ما نعرف أن إقبال قد أقام بكمبردج إلى يونيو ١٩٠٧م مشتغلا بكتابة بحثه، وكان يأتي لندن لحضور عشاء ات محكمة "لينكولنزان" أو لحضور اختبارات المرحلة التمهيدية من دراسة القانون".(٥)

١- (Developrnent of Methpysics in persia)"تطور الميتافيز يقيافي فارس" طبعة لندن ١٩٠٨م طبعة "بزم إقبال" الثانية بلاهور ١٩٦٣م" التجديد التفكير الديني في الاسلام" طبعة جامعة آكسفورد بلندن ١٩٣٤م والطبعة الثانية لمهد الثقافة الإسلامية بلاهور ١٩٨٦م)

٢- أنظر:الطرازي، عبدالله مبشر: الشاعر الإسلامي الكبير، محمد إقبال. مجلة إقباليات (عربى) العدد الأول ١٩٩٢، ص١٠١. وانظر: خليل الرحمن، عبدالرحمن : إقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص٦٧-٦٨.

٣- الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع إقبال، ص٣١.

٤- الندوي، عبد السلام، مولانا: إقبال كامل (الاردية)، لاهور، باكستان: آتش فشان بيليكيشنز ٤، غزنى ستريت ١٩٩٢م.ص٢٠-٢١.

- و انظر: محمد منور، بروفيسور:حياة إقبال .تعريب: أظهر، ظهور أحمد، الدكتور، ص٢. انظر أيضًا :مجهول: ذكرى إقبال،ص٩-١٠.

٥- خليل الرحمن، عبد الرحمن: إقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص٦٨-٦٩.

دراسته بألمانيا

غادر إقبال من كمبردج في يونيو ١٩٠٧م، وأقام في لندن، حتى انتقل إلى هيدلبرك بألمانيا في أواخر يوليو ١٩٠٧م، وقد منحته جامعة كمبردج "شهادة بكالوريوس الفخرية" في فلسفة الأخلاق نظراً لحضوره المحاضرات مدة عامين دراسين، ويقول الدراني في كتابه:

"ونال إقبال درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونيخ في ٤ نوفمبر ١٩٠٧م وجرت المناقشة بألمانيا". (١)

وإن كانت الرسالة مكتوبة بالإنجليزية وسافر من ألمانيا بعد ذلك إلى لندن وأقام بها حتى عودته إلى الهند في يوليو ١٩٠٨م.

وهيدلبرك مدينة جامعية صغيرة على شاطئ نهر نيكرو بالقرب من جامعة ميونيخ، وقد أقام بها إقبال في مسكنها الجامعي إلى نوفمبر ١٩٠٧م، يعني الأربعة شهور تقريباً وقد تعلم بها اللغة ألمانية وشعرها وفلسفتها تحت توجيهات ثلاث أستاذات له وهن الأنسة "ينيشال" و"يجناست" و"ساست"، كما أنه استفاد من توجيه الأستاذ "ران" وابنته "الأنسة ران" في جامعة ميونيخ، وتحكي الدكتوراة مائي (May) :

"أن إقبال استكره في أول الأمر أن يتعلم من النساء الشابات ولكنه قبل ذلك حين عرف انهن يساعدن الطلاب أكثر من غيرهن".(٢) فتعلم إقبال منهن علوم نافعة .

وبعد الحصول على شهادة الدكتوراه في ألمانيا، عاد إقبال إلى لندن لإكمال المرحلة الأخيرة من دراسة القانون، فأكملها في مايو ١٩٠٨م وحصل على شهادة التخصص في الحقوق في أوائل يوليو. ثم رجع إلى بلاده، وامتدت فترة إقامة إقبال هذه بلندن تسعة شهور تقريباً، وفي أثناء ذلك حدث:

"أن أضطر الأستاذ آرنولد إلى الانقطاع عن عمله كأستاذ العربية في جامعة لندن لبضعة شهور، فاختار إقبال ليحل محله أستاذ اللغة العربية لفترة امتدت ستة أشهر".(٣) هكذا اكمل إقبال مراحل تعليمه وظهر كمفكر مبدع وكشخصية بارزة في مجال العلم والأدب.

١- وراجع الباب الرابع والثامن والعاشر من: س ـ الف، الدراني، "إقبال يورپ ميں "أى" إقبال في أوربا" (بالأردية)

- وأنظر:محمد منور ، بروفيسور، وأظهر ، ظهور أحمد: حياة إقبال، مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول:١٩٩٢م، تحت عنوان، حياة إقبال، ص٦.

٢- خليل الرحمن ، عبد الرحمٰن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص٦٩-٧٠.

٣- خليل الرحمٰن، عبد الرحمٰن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص٧٠-٧١.

- انظر: محمد منور ، بروفيسور: مجلة إقباليات. تعريب: أظهر ظهور أحمد، الدكتور. العدد الأول ١٩٩٢: ص١٣-١٤.

- انظر:جمال الدين، محمد سعيد ، الدكتور: شرح جاويد نامه (رسالة الخلود)، ص٢-٤.

- انظر:المصري، حسين مجيب ، الدكتور، جمال الدين محمد سعيد ، الدكتور: روضة الأسرار لمحمد إقبال، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد ١٩٧٧م. ص١٨.وانظر: عزام عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص٣٦.

عودته إلى وطنه

لبث إقبال في أوربا ثلاث سنين، ثم رجع إلى وطنه سنة ١٩٠٨م.

ولمّا مرّبد هلي استقبله أصد قاؤه وعارفوه كما ودعوه قبل ثلاث سنين، و زار مزار نظام الدين أولياء. كما زاره حين سفره إلى أوربا.(١) وبلغ إقبال لاهور في السابع والعشرين من حزيران سنة ١٩٠٨م واحتفل كثير من أهل لاهور بعد غيبة ثلاث سنين.(٢)

اشتغاله بالمحاماة

وقد نال إقبال شهادة المحاماة في لندن، وبعد العودة في لاهور، واختار المحاماة كمهنة، وبلغ أعلى الدرجات في المحاماة بفضل ذكائه وعلمه وبيانه وخلقه، وأنه كان لا يقبل قضية حتى يعلم أن وكيله محق في القضية التي يوكله فيها وأنه يستطيع أن يأخذ له حقه، وصار محامياً حتى سنة ١٩٣٤م قبل وفاته بأربع سنوات،إذ اضطره المرض إلى تركها۔ ولم يكن هواه في المحاماة، فكان يقضى أكثر أوقاته وجل همه في تأليف الكتب ونظم الشعر.

ويقول مبشر الطرازي:

"وكان يحضر حفلات جمعية "حماية إسلام" السنوية وينشد فيها قصائده، ومنها "العتاب والشكوى" واشتكى فيها إلى الله على لسان المسلمين لماحل بهم، وذكر أعمال المسلمين الخالدة في سبيل نشر الإسلام وفي سبيل الجهاد والإصلاح".(٣)

وسرع حفظ هذه القصيدة الرجال والنساء.

اهتمامه بالتدريس

رجع إقبال إلى التدريس في الكلية الحكومية التي تخرج فيها، وياخذ خمس مائة روبية كوظيفة، ثم استقال من الكلية بعد أن عمل بها نحو سنة ونصف واكتفى بالمحاماة.

وحدث خادمه الوفي على بخش:

"سألته حين استقال من الكلية لما ذا استقلت؟ فأجاب: ياعلى بخش إن خدمة الإنكليز عسيرة، وأعسر ما فيها أني لا أستطيع أن أحدث الناس بما في نفسي مادمت في خدمتهم، وأنا اليوم حرّ، ما شئت قلت وما شئت فعلت.(٤)

١۔ عزام، عبدالوهاب ،الدكتور : محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره، ص ٣١-٣٢.

٢۔ نفس المرجع: ص٤٣-٤٤.

٣۔ الطرازي: عبد الله مبشر: المفكر الإسلامي الكبير محمد اقبال، ص٧-٨.

- وانظر: الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع إقبال. ص٣٢.

٤۔ عزام، عبدالوهاب ، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره، ص٥٥.

- وانظر: الطرازي ، عبدالله مبشر، الدكتور: الشاعر الإسلامي الكبير ممد إقبال . مجلة اقباليات (عربي) العدد الأول،١٩٩٢م ، ص ١٠٣.

- وانظر: الأعظمي ، محمد حسن، وشعلان ، صاوي علي: فلسفته إقبال شاعر الباكستان ، ص ٣- ٥.

- وانظر: حميد نسيم: علامة اقبال، همارے عظيم شاعر. كراتشي ، باكستان: فضلى سنز المحدودة الذاتية،١٩٩٣م

واستقالة إقبال من الكلية لم تقطع صلته بالجامعة، فكان يعمل في مجالسها، وقد لبث سنين عميد الكلية الدراسات الشرقية ورئيساً لقسم الدراسات الفلسفية، وكان ذاصلة دائمة بالكلية الإسلامية في لاهور، وكذلك كان كثير الاهتمام بالجامعة الملية في دهلي، كما عمل في مؤتمر المائدة المستديرة للنظر في إصلاح التعليم في الهند".وقداستمر محاولاته العلمية والاصلاحية لمسلي شبه القارة الهندية خاصة ولمسلمي العالم عامة.

دعوته إلى إنشاء باكستان

وبذل إقبال جهوده لتحرير مسلمي الهند وقام لدعوة انشاء باكستان وفي هذا الصدد رأس الدورة السنوية للرابطة الإسلامية في الهند التي عقدت في مدينة إله آباد في سنة ١٩٣٠م وألقى فيها خطابا شهيرا، وبيّن فيه لأول مرة فكرة الباكستان بكل وضوح. (١)

وكذلك عمل إقبال في حزب الرابطة الإسلامية ومحمد على جناح (الملقب بالقائد اعظم) كان رئيساله، وكتب إقبال إليه سنة ١٩٣٧م، فقال له فيه:

"إن خير وسيلة إلى الإسلام في الهند في هذه الأحوال أن تقسم البلاد على قواعد جنسية ودينية ولغوية، وإن المسلمين والهنادكة لا يمكن أن يسيروا في قافلة واحدة إذ لا يمكن أن يجتمع الفكر والإسلام".(٢)

وتحدث إقبال عن إنشاء باكستان ذات مرة لعلامة أبي الحسن الندوي في سنة ١٩٣٧م قبل إنشاء باكستان فقال:

"إن أمة لا تملك أرضا تستند إليها لا دين لها ولا حضارة، فانما الدين والخصارة بالحكومة والقوة، وإن إنشاء باكستان هو الحل الوحيد للمشاكل التي يواجهها المسلمون في هذه القارة الهندية، وهى الحل الوحيد للمشكلة الإقتصادية، وأشار إلى نظام الزكوٰة وبيت المال في الإسلام".(٣)

فكان إقبال أول من دعا إلى تقسيم الهند بأن يكون للمسلمين بها موطن يخصهم وللهنادكة موطن يخصهم ونادى به محمد على جناح و جاهد من أجله (٤)حتى قامت دولة باكستان الإسلامية سنة ١٩٤٧م.(٥)

١- مجهول: ذكرى محمد إقبال، ص ١٠.

٢- الطرازى ، عبد الله مبشر، الدكتور: المفكر اسلامي الكبير محمد إقبال، ص٩-١٠.

٣- الندوي، أبو الحسن على،الحسني: روائع إقبال، ص١٨.

٤- الطرازي، عبد الله مبشر، الدكتور: المفكر الإسلامي الكبير محمد إقبال: ص ١٠.

٥- أنظر :ترجمة خطب إقبال في كتاب" فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند و باكستان.

- وانظر: مقالات: إقبال عالمى كانگريس ، ٢ دسمبر إلى ٨ ديسمبر، ج٣، دانش گاه بنجاب ، ١٩٧٧م.

وهكذا خدم إقبال بلاده وخدم الإسلام عن طريق الشعر والعلم وعن طريق المحاماة والسياسة، بل نجح في تأثيره في الرأى العام حتى أصبحت للمسلمين في شبه القارة الهندية دولة مستقلة ذات سيادة كدولة باكستان الإسلامية.

محاضرات في أرجاء الهند

كان العلامة إقبال (١)دائم الاتصال بمعاهد العلم في لاهور وغيرها، وكانت الجامعات تدعوه إلى زيارتها والمحاضرة فيها. دعي إلى مدراس سنة ١٩٢٨م فألقى محاضرات هناك، وبدأ محاضراته التي أكملها من بعد في اله آباد وعليكره، والتي جمعت فسميت "إصلاح الأفكار الدينية في الإسلام".(٢)وهي أعظم كتب إقبال في الفلسفة.

مشاركته في السياسة

فلسفة إقبال في السياسة فلسفة أمل وعمل، وجهاد وإقدام، ودعوة وعزة . فهي عون للأمم المجاهدة لحريتها وكرامتها، تبعث فيها النور والنار.

وقد توجه إقبال دعوته إلى البشرية عامة والمسلمين خاصة، وأخذ من التاريخ الإسلامي أمثلة لفلسفته وصورا لشعره، فقد كان شعر إقبال أنا شيد مسلمي الهند المجاهدين، أشعل في نفوسهم ثورة على سلطان الإنجليز، وقد شارك إقبال في سياسة بلاده بأقواله، وأفعاله ورأس مجامع سياسية وكان عمادا قويا لحزب الرابطة الإسلامية .

وألح عليه أصد قاؤه سنة ١٩٢٦م أن يشح نفسه في انتخاب الجمعية التشريعية في بنجاب، فأيده الناس وانتخب بغير عناء، ولا تزال خطبة في هذه الجمعية شاهدة بعمله فيها، ودعا الناس إلى الإتحاد لخلاص البلاد من الإستعمار.(٣)

التطورفي كلامه

وقد اكتسب الكثير من الأفكار الحدثية التي كانت أوزان الشعر وقيوده توشك أن تضيق بها ولا تتحملها، لكن إقبال بما أوتي من لباقه وسعة أفق وامتلاك لناصية القول، استطاع أن يجعل الشعر أطوع له من بنانه، وأشد تلبية له من خادمه الوفي الأمين، وهكذا مزج إقبال الشعر بالعلم وخلط قواعد الفلسفة وقوانينها بخفة الخيال وروعته، فخرجت أوزانه قوية المعنى والمبني، أوكما يقول عنها:

"كفاح شديد و ضرب سديد　　فلا ترج في الحرب عرف الوتر" (٤)

١- يغلب على ألسنة الخاصة والعامة ذكر إقبال مع لقب "العلامة".

٢- The Reconstruction of Religious thought in Islam

٣- انظر: عزام عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره، ص٥٢.

٤- نجيب الكيلاني،الدكتور: إقبال الشاعر التأثر: ص٣٢، وانظر: الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع إقبال، ص٣.

وعـاد إقبـال إلـى وطنـه، بـعـد أن لا حـظ ذلك، كثيـر التحدّث عن الإسلام وثقافته، وشديد التـحـمسّ فـي دعوة الشاب المسلم إلى التمسك بدينهم وجمع كلمتهم، فألقى عدة محاضرات في مـوضـع الإسـلام، بـلـنـدن نشرتهـا الصحف الهامة المعروفة وكانت مواضيع تلك المحاضرات مثل "الإسـلام والتصوف" وأثر الإسلام على الحضارة الغربية، والإسلام والديمقراطية والإسلام والعقلانية وأمثـال ذلك، وقـد جـمـعـت هـذه الـمـحـاضـرات ونشـرت بـعـنـوان "تـجديد التفكير ا لديني في الإسلام".(١)

وكـذلك بـدأ إقبـال يشعـر بـآثـاره الـنهضة والنشاط وملامح الحياة الجديدة في كيان الأمة الـمسـلـمة، فـأخذ يبشر بأن الحضارة الإسلامية هي التي سوف تسود العالم وتقود البشرية بعد انهيار الحضارة الأوربية فكان من ضمن المقطعوعة المذكورة:

نکل کے صحرا سے جس نے روما کی سلطنت کو اُلٹ دیا تھا   سنا ہے یہ قدسیوں سے میں نے وہ شیر پھر ہوشیار ہوگا (٢)

(لقد سمعت من أصحاب المعرفة والكرامة أن ذلك الأسد الذي، قد قلّب حكم الروم وقضى على حضارتها في السابق عقب خروجه من الصحراء، سوف يصحومن نومه من جديد".

والتغير الثاني الذي حدث في شخصية إقبال، خلال تلك الأيام، أنه بدراسة الفلسفة وبمطالعة الأوضـا ع السيـاسية والأحـوال الـواقـعية التي كان يمرّبها العالم وبالأخص العالم الإسلامي، يومذاك يـكـره الشـعـر والخيال وإزداد شغفه بالفلسفة والاقتصاد والقانون والسياسة يوماً بعد يوم، حتى إنه قررّ يـومـا أن لايـنـظـم الشـعـر مطلقاً ولا يضيع وقته في الاشتعال فيه، وحين عرض إقبال هذه الفكرة على الأستاذ آرنولد لم يوافق عليها كذلك وقال:

"إن شـعـرك ليس خيالاً مجرداً بل إنه يؤثر على القلوب فيثير الحياة والنشاط فيها ويدعو الناس إلى الكفاح والعمل، فلا ينبغي أن تهجره اطلاقا".(٣)

فاستمر إقبال في تنشيداً الشعر وفقا لوصية أستاذه آرنولد صديقه الشيخ عبد القادر.

والتـطـور الثـالـث الـذي طـرأ على فكره أثناء تلك الفترة وتأثرت به شاعريته فيما بعد أنه أخذ يقرض معظم شعره بالفارسية بينما كان ينظمه قبل ذلك بالأردية فحسب، ومن أسباب تحوله إلى قول الشعر بالفارسية:

أولا: إن أسـلـوب الشـعـر الأردي المعروف إلى عصره، بينما اللغة الفارسية كانت تملك تراثا

١ـ ترجمة إلى العربية الأستاذ عباس محمود بهذا العنوان، ونشر في القاهرة ١٩٥٥م)

٢ـ كلياتِ إقبال (بالأردية) علامه إقبال، ص١٤٠.

٣ـ عبد الرحمن خليل الرحمن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية. ص٧٢.

ـ وانـظـر: اكبـر عـلـى ، الشيخ: اقبال، اس کی شاعری اور پیغام (الاردية). الطبعة الأولى، لاهور، باكستان: كمال بيلشرز، ١٩٤٦م.

معروفاً في ذلك النوع من الشعر وقد أزداد إقبال معرفة به حين أعدّ رسالته "تطور الميتافزيقا في فارس".

ثانيا: إن مجال الفارسية كان أوسع من الأردية حينذاك، فإنها لغة تتكلم بها دولتان إسلاميتان إيران وأفغانستان وكانت تفهم كثيرا في الهند وكان يعرفها أهل تركستان و تركيا وعدة مناطق في روسيا، وكان السبب في هذا التغير حادث حكاه السير عبد القادر:

"أن إقبال قد دعى في مجلس بلندن يسمع الحضور شيئاً شعره بالفارسية، فاعترف إقبال بأنه لم ينظم بعد شيئًا يعتد به بالفارسية ولكنه حين رجع إلى غرفتة للنوم، نظم مقطوعتين طويلتين بالفارسية، فمند ذلك الحين، أخذ إقبال يقرض شعره بالفارسية".(١)

بدأ العهد الأخير الذي انتهى إلى وفاته، وقد ازداد فيه فكره نضجًا، وأفق معارفه اتساعا، وقد انتظمت دعوته، واتضحت رسالته، فنشرله عدة كتب بالفارسية، وقد أثر اللغة الفارسية لشعره لأنها أوسع من الأردية، وهي اللغة الإسلامية التي تلي اللغة العربية في الأهمية والانتشار في العالم الإسلامى، ويتكلم بها قطران مهمان إيران وأفغانستان، وتفهم في الهند، ويحذقها كثير من أهلها، وأهل تركستان وروسيا و تركيا، ونشر مجموعتين بالأردية، فأما الديوان الفارسية هى: "أسرار خودي" يعنى (أسرار معرفة الذات) و"رموز بيخودى" (اسرار فناء الذات) و "بيامِ مشرق" (رسالة الشرق) في جواب كتاب "جوته" "رسالة الغرب" و "زبور عجم" و "جاويد نامه"(رسالة الخلود) "وپس چه بايد كرد أى أقوام شرق" (الأن...... ماذا نصنع يا أمم الشرق) و "مسافر" وأرمغانِ حجاز"(هدية الحجاز) وبالأردية "بالِ جبريل (جناح جبريل)"بانك درا" (صلصلة الجرس) و "ضرب كليم" (ضربِ مُوسٰى) وغير هذه الكتب، محاضرات ألقاها في مدينة "مدراس" طبعت باسم. (Reconstruction of religious thought in Islam و محاضرات ألقاها في جامعة كمبردج".(٢)

التطور في شعره ونثره

بعد العودة إلى وطنه تغيرت فكرة إقبال وصار وجوده مخزن العلم والأدب وهكذا أبدع في قلمه، وعند ما يكتب مع هذا التنويع فكره، نرى تغير بيّن في كلامه، قبل ذهاب إلى أوربا و بعد العودةإلى الوطن، وخلف إقبال وراء ه مؤلفات عديده باللغات الثلاث: الأردية، والفارسية والإنجليزية والآن نستعرض كلامه فيمايلي.

١- عبد الرحمن ،خليل الرحمن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص٧٣.

٢- الندوي، أبو الحسن على الحسني: روائع إقبال، ص١٩. انظر أيضاً: محمد منور: أبحاث ذكرى إقبال المئوية، لاهور: جامعة سجاب ، قسم الاقباليات . مطبعة المكتبة العلمية ، ١٥ شارع ليك ١٩٨٢م .ص٥٤.

في الشعرية

لإقبال تسعة دوا وين و كتب أخرى، انظرها مرتبة على تواريخها:

رقم الاعداد	اسم تصانيفه	سنوات النشر	أرقام الطباعة	عدد
١	أرسرا خودي (بالفارسية)	١٩١٥ إلى ١٩٥٩	طبعة ٦ مراراً	١٣٠٠
٢	رموز بي خودي (بالفارسية)	١٩١٨	//	//
٣	پيامِ مشرق (بالفارسية)	١٩٢٣-١٩٥٨	٩ طبعة	١٨٠٠٠
٤	بانك درا (بالأردية)	١٩٢٤-١٩٦٢	٢١ طبعة	١١٤٠٠٠
٥	زبورِ عجم (بالفارسية)	١٩٢٧-١٩٥٩	٧ طبعة	١٦٤٠٠
٦	جاويد نامه (بالفارسية)	١٩٣٢-١٩٥٩	١٤ طبعة	٦٠٠٠
٧	مسافر (بالفارسية)	١٩٣٤	=	=
٨	بال جبريل (بالأردية)	١٩٣٥-١٩٦٢	١٢ طبعة	٦٢٠٠٠
٩	پس چه بايد كرد (بالفارسية)	١٩٢٦-١٩٥٩	١٠ طبعة	١١٠٠٠

(نظمها حينما أغارت ايطاليا على الحبشة)

رقم الاعداد	اسم تصانيفه	سنوات النشر	ارقام الطباعة	عدد
١٠	ضربِ كليم (بالأردية)	١٩٣٦-١٩٥٩	١٠ طبعة	٤٣٠٠٠
١١	ارمغانِ حجاز (بالأردية والفارسية)	١٩٣٨-١٩٥٩	٧ طبعة	٢٢٠٠٠

وقد طبعت تصانيف إقبال رحمة الله عليه كمايلي:

.٣٠٥٠٤٠٠

"ثلاثة مائة ألف و خمسه آلافٍ وأربعة مائةٍ".(١)

١- ترجمة: الأعظمي، محمد حسن: اللألي الإسلامية الغالية، من أفكارِ إقبال و سعدي العالية (العربية والاردية)، كراتشي، باكستان : عالمي تنظيم اتحاد العالم الإسلامي. ص٣٠٨.

- وأنظر: وحيد الدين فقير، السيد: روزگارِ فقير (الأردية) ١/٢١٥-٢١٦-.

- انظر: انتخاب مقالات إقباليات: حيات و سيرت إقبال (الاردية) ايك اجمالى خاكه (وصف مجمل) ص١١، وفهرس مجلة (جرنل تا فكر و نظر) ١٩٨٨م.

- انظر: إقبال كى تصانيف (تصانيف إقبال) روزنامه مشرق (الجريدة اليومية المشرق) ١٢ يوليو ١٩٨٨ .

- انظر: عزام ،عبد الوهاب الدكتور: پيام مشرق. ص٩.

ولا بأس علينا أن نعرض الأن كلامه بالموجز، لنتعارف خصائص كلامه:

١ـ "أسرار خودي و رموز بے خودي" (أسرار الذات و نفي الذات) باللغة الفارسية

منظومتان على القافية المزدوّجة، وهما منظومتان طويلتان يبين فيهما الشاعر فلسفته الأنانية.

٢ـ "پيام مشرق" (رسالة الشرق) باللغة الفارسية

طبع هذا الديوان أول مرة سنة ١٩٢٣م، وكتب الشاعر فوق عنوانه : "ولله المشرق والمغرب".

وكتب تحته: جواب ديوان الشاعر ألماني كوته.(١)

وفيها الأقسام الأتية:

١ـ شقائق الطور ٢ـالأفكار ٣ـ الخمر الباقية

٤ـ نقش الفرنج ٥ـ الدقائق

وقد ترجمت هذا الديوان إلى العربية، وطبع في كراتشي". (٢)

٣ـ "بانک درا" (صلصلة الجرس) باللغة الأردية

وأما دواوينه الشعرية باللغة الأردية فأولها "بانك درا" أى صوت الجرس (١٩٢٤م)، فهو يحوي المختار من شعره الذي يرجع إلى المراحل الثلاثة الأولى أو المبتدأة من حياة إقبال الشعرية.(٣)

٣ـ "زبور عجم" بالفارسية

وهو من أجود شعرة وهذا الديوان منقسم في أربعة أقسام۔ وهذه الأقسام كلها تعرف باسم زبور عجم، وقد جمعت في مجلد واحد عليه هذا العنوان، ولكن يتبين من العناوين الداخلية أن القسمين الأولين هما زبور عجم، وألحق بهما القسمان الأخيران بعنوانين منفصلين.(٤)

وقد ألحق بهذه المجموعة مثنويان آخران هما (كلشن راز جديد) و بندكى نامه (كتاب العبودية).(٥)

١ـ ١٧٤٩م-١٨٣٢م.

٢ـ عزام، عبد الوهاب، الدكتور : محمد إقبال، سيرته و فلسفته وشعره، ص١٣٤-١٣٦. وانظر: أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته و آثاره. ص٢٢٩-٢٣٩.

٣ـ محمد منور ، بروفيسور: حياة إقبال، ص٣.

٤ـ عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته و فلسفته و شعره، ص١٣٦-١٣٨.

٥ـ أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته و آثاره، ص٢٥٣.

٥ـ جاويد نامه (رسالة الخلود) بالفارسية

ألف إقبال هذا الكتاب باللغة الفارسية و هو يعتبر ردا على مؤلف الشاعر الإيطالي (دانتي Danta) ويسمى مؤلفة Devine Comedy۔ صوّر إقبال في هذا الكتاب سياحته في الأفلاك يروده فيها جلال الدين الرومي،(١) حيث تشرف بقرب الإلهي والتحليات الربانية۔ ويخاطب في آخر هذا الكتاب ابنه جاويد و بذلك يبلغ رسالته إلى جميع الشاب كما يرشد الأجيال الجديدة بما يناسب ميولهم و مقتضيات عصرهم.(٢)

٦ـ مسافر باللغة الفارسية

ويقول عبدالوهاب عزام:

وفي سنة ١٩٣٤م نشر مسافر (باللغة الفارسية) وهي منظومة مزدوجة، سجل فيها ما جال فكره، وجاش في قلبه، حينما سافر إلى أفغانستان مجيباً لدعوة الملك نادر شاه كما قدمت في الكلام على سيرته. وخاطب في هذه المنظومة نادر شاه، وقبائل الأفغان، وهو كثير الإعجاب بشجاعتهم وحريتهم.(٣)

٧. "بالِ جبريل" (جناح جبريل) بالأردية

نشر هذا الديوان أول مانشر في سنة ١٩٣٥م، وقد ترجم هذا الديوان إلى اللغة البشتوية نثرا ونظما وإلى البنغالية.

ويقول عبدالوهاب عزام:

"والديوان قمة أشعار إقبال بالأردية، حيث يكشف من خلال قطعه و غزلياته وقصائده عن الحقائق والتعاليم والحكم التي تعين المرء والأمة على تثبيت الإيمان ودعم الإخلاص، وتحيل الأفراد إلى مؤمنين، مخلصين معتقدين في أمتهم، وتحصنهم من الإفتنان بالغرب وتقيهم منه" (٤)

٨ـ "پس چه بايد كرد أى اقوام شرق" (الأن ......ماذا نصنع يا أمم الشرق) بالفارسية

ويقول عبد الوهاب عزام فى كتابه:

"منظومات مثنوية نشرت سنة ١٩٣٦م بعد أن استولت إيطاليا على الحبشة۔ وهذه

١- الشاعر العظيم في عهد العباسي، ولد في بغداد سنة ٨٣٦م و توفى سنة ٨٩٦م.

٢- شاه ولي، عبدالرحمن: العلامه محمد إقبال (١٨٧٧-١٩٣٨)، ص٤٦.

٣- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره۔ ص١٤٠، انظر: أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال حياته وآثاره، ص٢٢٦-٢٢٧.

٤- عزام، عبد الوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته و شعره، ص١٣٨-١٣٩.

المنظومات في جملتها حكمة بالغة، وشعر بليغ نفثهما الشاعر حين حزنته أحوال المسلمين، وحزنه مارأى من فنون الحضارة الأوربية، وخلالها وجور سياستها، وقسوة قادتها، وعدوانهم على الأمم الضعيفة.(١)

٩- "ضربِ كليم" باللغة الأردية

وقد طبعت هذه المجموعة الشعرية لأول مرة في ١٩٣٦م وكان الدكتور "عبد الوهاب عزام(٢)أول من ترجم هذا الكتاب إلى العربية...... في سنة ١٩٠٩م، ثم ترجمه إلى الفارسية الدكتور خواجه عبد الحميد عرفاني، وأيضا ترجم إلى البشتوية وإلى التركية.

ووصف الشاعر هذا الديوان بأنه إعلان بالحرب على العصر الحاضر. وقد صدره بأبيات إلى السير حميد اللّٰه خان، "حاكم بهوبال"، وبعد التمهيد ينقسم الديوان إلى ستة موضوعات وهذه الموضوعات هي:

١- "الإسلام والمسلمون
٢- التعليم والتربية
٣- المرأة
٤- الأدب والفنون الجميلة
٥- السياسة في المشرق والمغرب
٦- أفكار محراب كل أفغان

ويتضمن هذا الديوان فلسفة إقبال و آراءه" ...... (٣)

١٠- "أرمغانِ حجاز" (هدية الحجاز) باللغتين: الفارسية والأردية

هذا الديوان نشر بعد وفاة الشاعر، فيه آخر أفكاره، وختام نظراته، ولكن فيه منظومة مهمة عنوانها مجلس شورىٰ إبليس.

وتضم هذا الكتاب على قسمين: "الأول منهما رباعيات ومقطعات بالفارسية، وأما القسم الثانى من المجموعة فبالأردية" وقد ترجم إلى اللغات المتعددة.

مؤلفات إقبال النثرية

ولإقبال مؤلفات فكرية كتبها نثراً لا شعراً، ونوردها حسب أهميتها، لا حسب تسلسلها التاريخي.

١- تجديد التفكير الديني في الإسلام

ويتألف الكتاب من مجموعة محاضرات ألقاهاإقبال باللغة الإنكليزية في مدراس وحيدر آباد وعليكرة (الهند) خلال عام ١٩٢٨م-١٩٢٩م، وقد نشرت المجموعة الأولىٰ في لاهور عام ١٩٣٠م تحت عنوان:

١- عزام عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته و فلسفته و شعره، ص١٤٠.

٢- سفير مصر في باكستان.

٣- أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته و آثاره، ص٢٦٨- ٢٦٩.

"ست محاضرات في تجديد التفكير الديني في الإسلام" ونشرت المحاضرات في جامعة أكسفورد عام ١٩٢٤م مضافاً إليها محاضرة جديد بعنوان "تجديد التفكير الديني في الإسلام، عام ١٩٥٤ م وطبعة ثانية عام ١٩٦٨م. وكتب إقبال مقدمة لمحاضراته هذه بدأها بقوله:

القرآن الكريم كتاب يعني بالعمل أكثر مما يعني بالرأى، ويقول بعد أسطر قليلة:

"ولقد حاولت في هذا المحاضرات التي أعددتها بناء على طلب الجمعية الإسلامية بمدراس وحيدر آباد وعليكره، بأن أحاول بناء الفلسفة الإسلام، إلى جانب ماجرى على المعرفة الإنسانية من تطوير في نواحيها المختلفة، واللحظة الراهنة مناسبة كل المناسبة لعمل كهذا".(١)

ونلقي نظرة سريعة على هذه المحاضرات القيمة، لعلنا نلتمس بعض ما أراده إقبال في تحريك الفكر الإسلامي، وإيقاظه من سباته الطويل.

المحاضرة الأولىٰ: المعرفة والرياضة الدينية

يبين إقبال مصادر المعرفة الإنسانية، وأن القرآن الكريم يسوي بين نواحي الإدراك الإنساني كلها في الاستمداد منها لمعرفة الحقيقة النهائية، ويقول إقبال:

"ولا بد من أجل إدراك هذه الحقيقة، أن يصحب الإدراك الحسي هذا الإدراك الذي يسميه القرآن".(٢)

وتكلم إقبال في هذه المحاضرة عن قيمة الإدراك الديني في المعرفة الإنسانية و بيّن قدر الإلهام، وللإلهام في فلسفة إقبال مكانة عالية، وهو يرى أن الفكر والإلهام ليسامتنافرين، بل ينبعان من أصل واحد، وكل منهما يكمل الآخر، وفي الحق أن الداهة، كما يقول برغسون.

"ليست إلا ضرباً عاليًا من التفكير".(٣)

المحاضرة الثانية: برهان الفلسفة المدرسية على وجود اللّٰه

"وهي الدليل الكوني ودليل العلة الغائبة، والدليل الوجدي ونقد هذه الأدلة من قبل الفلسفة الحديثة ويصل في النهائية إلى أن حقائق التجربة، تسوغ القول بأن ماهية الحقيقة ماهية روحية وينبغي أن نتصورها ذاتا، ولكن مطمح الدين يسمو فوق مطلب الفلسفة، فالفلسفة نظر عقلي معنى الأشياء، أما الدين فيهدف إلى إتصال بالحقيقة أقرب و أوثق، فالفلسفة نظريات، أما الدين فتجربة حية ومشاركة و إتصال وثيق، و ينبغي على الفكر لكي يحقق هذا الإتصال أن يسمو فوق ذاته".(٤)

١ـ الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام ـ ج٢ ـ ص مقدمة الكتاب.

٢ـ الترجمة العربية : عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ٢/٧.

٣ـ الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام ،٢/٧.

٤ـ نفس المرجع: ص٧٤.

المحاضرة الثالثة: الألوهية و معنى الصلوة

يبيـن إقبـال تصور إله في القرآن، ويقول: إن أكبر عناصر هذا التصور من وجهة فكرية خالصة، الخلق، والعلم والقدرة والبقاء. ويقول إقبال في هذا المحاضرة:

"وإن الـحـقيقة العليا ذات، ومن هذه الذات العليا تتجلى الذوات الأخرى بالخلق، والعالم في كـل أجـزائه، من الحركة الألية فيما نسميه، الذرة المادية إلى حركة التفكير الإرادية في الإنسان، وكل ذرة ذات حركة إلهية هي ذات مهما انحطت مكانتها في الورى".(١)

وينتقل إقبال إلى الكلام في الصلوٰة فيقول ماخلاصته:

"والـديـن لا يقنع بالتصور فحسب بل يطلبه إتصالاً بمقصوده، ووسيلة هذا الإتصال العبادة أو الصلاة، الـصـلـوة وسيلة إلى استنارة روحية تصرف بها الذات الإنسانية، هذه الجزيرة الصغيرة، إنها موصولة بحياة أوسع، وكون أفسح".(٢)

المحاضرة الرابعة: الذات الإنسانية حريتها وخلودها

يبيـن إقبـال كيف عـمـت المسلمين جريه مشئومة على خلاف ما علمه الإسلام وأكده من حرية الذات، ويقول:

"إن هذه الجبرية التي عرفها الأوربيون في كلمة "قسمة" ترجع إلى غلبة الفكر الفلسفي و إلى المطامع السياسة وضعف نبض الحياة التي بثها الإسلام في نفوس المسلمين".(٣)

ثم يقول إقبال:

"نشـأت عـلـى خـلاف دعـــوة ائمة المسلمين، جبرية مهلكة، وشاعت نظرية الأمر الواقع لتـحـصيـل منافع لبعض الناس و تيسير مطامعهم، وليس هذا أمراً بدعًا فقد احتج فلاسفة محدثين على أن نـظـام رأس الـمـال فـي الـجـمـاعة نـظـام أبـدي، حـدث مثل هذا في تاريخ المسلمين ولكن درج الـمسلـمـون عـلـى التماس، أدلة مذاهبهم في القرآن، ولو على خلاف معانيه الواضحة فكأن للتأويل الذي يحتج به الجبرية آثار بالغة في الإضرار بالجماعة الإسلامية".(٤)

المحاضرة الخامسة: روح الثقافة الإسلامية

عند إقبال ينابيع المعرفة الإنسانية ثلاثة كما بين ذلك القرآن وهي:

الإدراك البـاطـن الـطبيـعة، والتـاريـخ والإستـقـاء مـن هذه الينابيع تبلغ الثقافة الإسلامية أنضر

ا۔ عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفة وشعره، ص ١٦٠.

٢۔ نفس المرجع: ص١٦١.

٣۔ عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته و فلسفة و شعره، ص١٦٢.

٤۔ نفس المرجع، ص١٦٣.

صورها. وإن الفكر الإغريقي لم يحدر خصائص الثقافة الإسلامية،وإن فكرة ختم النبوة لم تعرف قيمتها في الثقافة الإسلامية إذ هي تدل على أن النبوة في الإسلام بلغت أوج كما لها، قد أبطل الإسلام سلطان الأحبار والرهبان، ودعا إلى الرجوع إلى العقل والإعتبار بالتجربة.

وأعظم خصائص الثقافة الإسلامية توكيد ها في الأنفس "تصور عالم متحرك" وسنن مستمرة.

ومن قواعد الهدى الإسلامي أن الأمم والجماعات مسئوولة عن أعمالها في هذه الحياة، ولهذا يكثر القرآن من قصص الماضين ويأمر بالنظر في تجارب الأمم غابرها وحاضرها ويقوم تعليم القرآن في هذا الشأن على أصلين:

الأول: وحدة الأصل الإنساني، ويبين القرآن كثيرا أن الناس خلقوا من نفس واحدة.

والثاني: قـــوة الشعور بأن الزمان حقيقي و تصور الحياة سيراً مستمراً في الزمان، وإن يدرك قادة العقول والأرواح في الأمم حقيقة هذه الأصول الإسلامية يظفر الإنسان بعالم للمعيشة أفضل من هذا".(١)

المحاضرة السادسة: مبدأ الحركة في بناء الإسلام

وتكلم فيها إقبال عن تصور الإسلام العالمي على أنه عالم حركة. وقال إن الإسلام ينكر أو أصرالأنساب، ويعترف بالأواصر الروحية ويقرر أن حيـاة الإنسان روحية في كنهها ولا يمكن التطلع إلى أساس نفساني تقوم عليه الوحدة الإنسانية إلا إذا عرفنا أن الحياة الإنسانية روحية، وأن هذه الحياة الروحية دائمة في أصلها متغيرة في مظاهرها، فالجماعة الإنسانية ينبغي أن تقوم على أول دائمة في عقائدها وسننها متغيرة في مظاهرها وأحولها والحركة في الجماعة الإسلامية بالاجتهاد وأن من أقوى أسباب ضعف المسلمين و إهمال وإبطال الإجتهاد.(٢)

المحاضرة السابعة:هل الدين أمر ممكن؟

ذلك سؤال يشغل الإنسان في كل عصر ولا سيما في عصرنا، والعالم كله يلتمس أساسا يبني عليه وتام الناس وسلاستهم.

عند إقبال الدين في أعلى صوره ليس أحكاما جامدة ولا يتسير إلا بالدين تهيئة الإنسان المعاصر لحمل العب الثقيل الذي يحمله إياه تقدم العلوم في عصرنا، والدين وحده يرد إليه الإيمان والثقة اللذين يسيران له اكتساب شخصية في هذه الدنيا والإحتفاظ بها في الآخرة، ولا بد للإنسان من الإرتقاء إلى تصور جديد لماضيه و مستقبله، ويقهر هذه المدنية التي فقدت وحدتها الروحية بالتصادم الباطني بين الدين والمطامح السياسية.

١- عزام، عبدالوهاب الدكتور: محمد إقبال، سيرته و فلسفته و شعره،ص١٦٣.

٢- نفس المرجع ، ص١٦٤.

والحق أن يسر الدين والعلم، على اختلاف وسائلها، ينتهي إلى غاية واحدة، بل الدين أكثر من العلم اهتماماً ببلوغ الحقيقة الكبرىٰ. هذه نظرة عاجلة في بعض ماحوته هذه المحاضرات القيمة التي تحتاج من مفكرى الإسلام، والدعاة إلى اللّٰه، في هذا العصر العناية بها، وتحليل أفكارها، والاستفاده منها.(١)

٢ـ علم الاقتصاد

وهو أول كتاب لإقبال وضع بالأردية في الاقتصاد، نشر هذا الكتاب لأول مرة في لاهور سنة١٩٠٣م وقام بنشره مرة ثانية السيد ممتاز حسين تحت إشراف أكاديمية إقبال بكراتشي في سنة ١٩٦١م.

ويقول أحمد معوض:

"وأصله محاضرات كان يلقيها في الكلية الشرقية بلاهور قبل سفره لاستكمال دراسته في أوربا وكذلك ألقى محاضرات حول هذه المادتة في جامعة كمبردج".(٢)

٣ـ تاريخ الهند

ووضع إقبال هذا الكتاب ليفيد منه التلاميذ في شبه القارة وألفه إقبال مع لاله رام برشاد بالأردية وقد نشر في مدينة أمرتسر في سنة ١٩١٣م ويضم الكتاب سيرة الهند و أحوالها في الماضي والمحاضرة وعرضا للأماكن التاريخية المشهودة وتقسيم البلاد قديماً و حديثاً حتّٰى نهاية القرن التاسع عشر و علوم السنسكرية وآدابها، وعلوم المسلمين وآدابهم".(٣)

٤ـ الترجمة والتلخيص بالأردية لكتاب

تاريخ بريطانيا القديمة للمستر أستوب.

٥ـ التربة الوطنية

وترجم إقبال هذا الكتاب إلى الأردية، في نطاق عمله بالكلية الشرقية في جامعة البنجاب، والكتاب أصلا باللغة الإنجليزية من تأليف المستر ووكر Mr. Walker.

٦ـ أردو كورس (منهج دراسة الأردية)

ألفه إقبال بالاشتراك مع الحكيم أحمد شجاع لتعليم الأردية بالمدارس المتوسطة و نشرت الأجزاء الثلاثة في لاهور سنة ١٩٢٤م. (٤)

١ـ انظر: عزام، عبدالوهاب ، الدكتور : محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ، ص ١٦٥.

٢ـ أحمد معوض، الدكتور: علامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص٢٢٦.

٣ـ نفس المرجع، ص٢٢٨.

٤ـ نفس المرجع، ص٢٢٧.

٧ـ آئينه عجم (مرأة العجم)

ومختارات من الشعر والنثر الفارسي جمعها إقبال لطلبة الثانوية ونشر الكتاب في لاهور سنة١٩٢٨م.(١)

٨ـ تطور الميتافيزيقا في فارس

وهذا الكتاب، رسالة إقبال بالانكليزية، قدمها إلى جامعة ميونخ لنيل شهادة الدكتوراة في الفلسفة وقد نشره لأول مرة سنة ١٩٠٨م، وقد ترجم إلى الأردية والفارسية والبنغالية.(٢)

٩ـ خواطر شاردة

ويحتوي هذا الكتاب على ١٢٥ خاطرة في موضوعات متنوعة في الأدب والشعر والتاريخ والفلسفة والإقتصاد والثقافة، جمعها ولده جاويد إقبال ونشرها بلاهور سنة ١٩٦١م. (٣)

١٠ـ مقالات وخطب إقبال بالإنكليزية والأردية

وقد كتبت وألقيت في مناسبات متعددة منها:

i ـ مبدأ الوحدانية الإلهية عند الشيخ عبد الكريم الجيلي مقالة نشرت سنة ١٩٠٠م.

ii ـ الإسلام كمثال خلقي و سياسي (محاضرة ألقاها في حفل جمعية حماية الإسلام السنوية ونشرتها سنة ١٩٠٩م).

iii ـ مسح إجتماعي للأمة الإسلامية (محاضرة ألقاها بجامعة عليكرة سنة ١٩٠٠م).

iv ـ الفكر السياسي في الإسلام مقالة بالإنكليزية نشرت في سنة ١٩١١م.

v ـ مقالات متعددة للرد على القاديانية نشرت في الثلاثينات من هذا القرن.

vi ـ خطب متعدد ألقاها في المؤتمر الشرقي الهندي بلاهور سنة ١٩٢٨م، وفي الدورة السنوية للرابطة الإسلامية لعموم الهند، في مدينة اله آباد سنة ١٩٣٠م و خطبة الرئاسة للمؤتمر الإسلامي بالهند ألقيت بلاهور في سنة ١٩٣٢م.

vii ـ أحاديث و بيانات سياسية قدمها بصفته عضواً في المجلس التشريعي للبنجاب خلال سنوات ١٩٢٦م ـ ١٩٣٠ وأحاديثه بمناسبة مؤتمر المائدة المستديرة الثاني والثالث المنعقدين بلندن خلال سنوات ١٩٣١م-١٩٣٢م.

وهو بياناته خلال الفترة الأخيرة من حياته، مقالة في الرد على مقترحات مولانا حسين أحمد المدني التي ظهرت تؤيد إتحاد الشعب الهندي على أساس الوطنية وحديث بمناسبةبدء العام

١ـ أحمد معوض، الدكتور: العلامة محمد إقبال، حياته وآثاره، ص٢٢٨.

٢ـ نفس المرجع، ص٢٢٩.

٣ـ نفس المرجع، ص ٢٣٠.

الـميـلادي الـجديد أذيع من محطة لاهور في أول يناير ١٩٣٨م إلى جانب مقالات كثيرة و أحاديث كثيرة جمعت بعد وفاته رحمة الله وهي:

☆ مضامين إقبال

للسيد تصدق حسين تاج، نشرت في حيدر آباد دكن في سنة ١٩٤٣م.

☆ حرفِ إقبال

للسيد لطيف أحمد شيرواني، نشرت بلاهور في سنة ١٩٤٨م.

☆ مقالاتِ إقبال

للسيد عبد الواحد معيني، نشرت بلاهور في سنة ١٩٦٣م.

☆ گفتارِ إقبال (حديث إقبال)

للسيد محمد رفيق أفضل، نشرت بلاهور عام ١٩٦٩م.

☆ أوراق كم كشته (الصفحات المفقودة)

للسيد رحيم بخش شاهين، نشرت بلاهور في سنة ١٩٧٥م.

☆ أحاديث إقبال و كتاباته و بياناته (بالإنكليزية)

لـلسيد لطيف أحمد شيرواني، وقد نشرت لأول مرة في سنة ١٩٤٤م بالاسم المستعار للسيد شيرواني "شاملو" ثم نشرت على الإضافة والتعديل في سنة ١٩٧٧م.

☆ أفكارِ إقبال وخواطره (بالإنكليزية)

للسيد شاهين حسين رزاقي، نشرت بلاهور عام ١٩٧٩م.

١١ـ رسائل إقبال

إن إقبـال كـان فـعـالا متـحـركاً كفاعل مع حركة المجتمع الفكرية والسياسية، كتب رسائل متـعددة تزيد على ألف رسالة إلى الأصدقاء والعلماء والمفكرين والأدباء والزعماء السياسيين وغيـرهـم إذ يـزيـد عدد ما أرسلهم إقبال على مائة وخمسين شخصية، وتعبر هذه الرسائل عن شـخـصيتـه وفـلسفته في الحياة وقد جمعت هذه الرسائل ونشرت بعد وفاته رحمة الله عليه. وهي حسب ترتيب نشرها الزمني.

iـ شادِ إقبال

ونشـرت بـحيـدر آبـاد دكـن في سنة ١٩٤٣م، ورتبها الدكتور محي الدين القادري، تحوي تسعاً وأربعين رسالة وجهها إقبال إلى صديقه السير كشن برشاد شاد.

iiـ رسائل إقبال إلى جناح

وتضم ١٣ رسالة بالإنجليزية. وجهها إقبال إلى القائد محمد على جناح خلال الفتـرة ما بين

مايو ١٩٣٦م ونوفمبر ١٩٣٧م، وقد نشرت لأول مرة في سنة ١٩٤٣م.

iii- إقبال نامه

ورتبها الشيخ عطاء الله ونشرت بلاهور في سنة ١٩٤٥م (الجزء الأول) وتتضمن ٢٦٧ رسالة موجهة إلى أشخاص متعددين.

iv- رسائل إقبال إلى السيدة عطية فيضى

ونشرت بدهلي في سنة ١٩٤٥م. وتحتوي على عشر رسائل بالإنكليزية.

v- إقبال نامه (الجزء الثاني)

ونشرت بلاهور في سنة ١٩٥١م، وتحتوي على ١٨٧ رسالة موجهة إلى أشخاص متعددين.

vi- رسائل إقبال إلى خان نياز الدين خان

ونشرت بلاهور في سنة ١٩٥٤م، و تضم ٧٩ رسالة، وخان من أصحاب العلم والثروة في بلدة جالندهر.

vii- رسائل إقبال إلى السيد نذير نيازي

ونشرت بكراتشي سنة ١٩٥٧م، تضم ١٧٩ رسالة، ونذير نيازي صديق إقبال وأستاذ سابق في الجامعة الملية بدهلي.

viii- أنوارِ إقبال

وتضم ١٨٥ رسالة، نشرت بكراتشي ١٩٦٧م.

ix- رسائل إقبال وكتاباته (بالإنكليزية)

وتضم ٤٣ رسالة نشرت بكراتشي سنة ١٩٦٧م.

x- رسائل إقبال إلى السيد الكرامي

وتضم ٩٠ رسالة من إقبال إلى صديقه الشاعر الفارسي مولانا غلام قادر كرامي نشرت بكراتشي١٩٦٩م.

xi- نوادرِ إقبال

وتضم٠ ٥ رسالة ونشرت في سنة ١٩٧٥م.

xii- خطوطِ إقبال

وتضم ١١١ رسالة ونشرت بلاهور في سنة ١٩٧٦م.

xiii- روح مكاتيب إقبال

وجمعها ورتبها محمد عبد الله قريشي، وضم ١٢٣٣ رسالة.(١)

هذه هي مجموعات رسائل إقبال التي كشفت حتى الأن، وأغلب هذه الرسائل موجزة مختصرة، عدا الرسائل الشخصية والعلمية والفكرية وهي مكتوبة باللغة سهلة ميسرة الفهم، وإقبال رحمة الله، فضلا عن هذه المؤلفات الشعريه والنثرية كان يفكر في تأليف كتب عدة وفي موضوعات متعددة، نوه عنها في رسائله الكثيرة وعزم إقبال على تأليف هذه الكتب دلالة على صدق إسلامه وحبه في الإصلاح العالم الإسلامي، ومن هذه المؤلفات وأهمها:

١ـشروح للقرآن الكريم　　　٢ـتاريخ الفقه الإسلامى وتجديده

٣ـتاريخ التصوف　　　٤ـمستقبل الإسلام

٥ـنقد نصوص الحكم لابن عربي　　　٦ـسيرة القلب والفكر

٧ـتاريخ الأدب الأردي" (٢)

ونجد منها أن كان إقبال محب العلم والأدب، يؤمن أن الأدب موهبة كبيرة من مواهب الله، وقوة عظيمة، يحدث به صاحبه الانقلاب في المجتمع، ويضرب به الأوضاع الفاسدة، فلا بد أن يكون في قلم الأديب والشاعر التأثير الذي كان في عصا مُوسىٰ، وأن يؤدي رسالته في العالم.

ويرى الدكتور محمد إقبال:

"أن نظام التعليم الحديث قد أخفق في أداء رسالته وأخفق في إنتاج جيل جديد بحسن الإنتفاع معلوماته، ويحسن استعمال مادته العلمية وثروته الثقافية ويضع كل شئ في محله، ويعيش حياة سعيدة مطمئنة، ويسخر التجارة والكهرباء، ويسخر الطاقة الذرية في الزمن الأخير ولا يملك نفسه وقوته، ويطير في الهواء كالطير، ويسبح في البحار كالسمك ولا يحسن أن يمشي على الأرض، وما ذلك إلا لأن التعليم قد اختل ميزانه، وفسد مزاجه".(٣)

ولهذا يتأكد إقبال على حصول تعليم الديني مع تعليم المادي لاستفادة من بركات وسعادات الإسلام وبهذه الفكر نال إقبال مقام السمو والعلو وكسب شهرة دائمة، وقام بخدمة المجتمع بشعره ونثره.

١ـ انظر: الهاشمي، رفيع الدين: خطوط إقبال، مقدمة الكتاب. وعبد الله قريشي: روح مكاتيب إقبال، ص مقدمة الكتاب. وسيّد أعظمي: إقبال دانائى راز (معارف الإسرار) ص١٢٦ـ١٢٧)

٢ـ انظر: محمد منور، بروفيسور، تعريب: أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: حياة إقبال، ص٢ـ٧.

- وانظر: حياة إقبال، مجلّة إقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢م،ص١٤ـ١٩.
- وانظر: عزام: عبدالوهاب، پيام مشرق، ص١٠.
- وانظر: عبد الرحمٰن، خليل الرحمٰن: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية. ص١٢٨.
- وانظر: زينت فردوس ، مولانا غلام رسول مهر بحثيت اقبال شناس، مقاله ايم فل : اسلام آباد باكستان: الاقباليات: الجامعة المفتوحة لعلامة إقبال، ٢٠٠١م.

٣ـ الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: روائع إقبال، ص٤٦،٤٩.

- وانظر: علوي، امجد سليم: مولانا غلام رسول مهر. لاهور ، باكستان(اقباليات)، ١٩٨٨م.

الفصل الرابع

العوامل التي كوّنت شخصية محمد إقبال

ظهـرت شخصية إقبال كعالم بارع وشاعر عظيم ومفكر بديع، ولكن كانت عدة عوامل التى أدت دورها في تكوين إقبال، فينبغي لنا أن نذكر العوامل والشخصيات التي كونت شخصيته.

أولاً: القرآن الكريم

أمـا الأستـاذ الـعظيم الذي يرجع إليه الفضل في تكوين شخصيته وعقليته، فهو أستاذ كريم لا يـخـلـو منه بيت من بيوت المسلمين، وقد وصل هذا المهتدي اليه بشق النفس وعلى جسرمن الجهاد والتـعب، كان سرور محمد إقبال باكتشاف هذا العالم الجديد من المعاني والحقائق أعظم من سرور "كولمبس" لما اكتشف العالم الجديد ونزل على شاطئه.

لـقـد كانت قراءة محمد إقبال للقرآن قراءة تختلف عن قراءة الناس ولهذه القـراءة الخاصة فضل كبير في تذوقه للقرآن، وأثر به فكره وثقافته. ويقول إقبال:

"ويـرجع الفضل في كل ما أنشد من شعر ونثر، فكان كل من أنوار القرآن". وعند ما زار إقبال أفغانستان أهدى للملك "نادر شاه" نسخة من القرآن وقد مها اليه قائلا:

"إن هـذا الـكتـاب رأس مال أهل الحق، في ضميره الحياة، وفيه نهاية كل بداية وبقوته كان علي فاتح خيبـر، فبـكـى الـملك وقال: لقد اتى على نادر خان زمان وماله أنيس سوي القرآن، وهو الذي فتحت قوته كل باب".(١)

ويقول الشيخ أبو الحسن علي الندوي:

"ولـم يـزل مـحـمـد إقبـال إلـى آخـر عهـده بـالدنيا يغوص في بحر القرآن، ويطير في أجوائه ويـجـوب فـي آفـاقـه، فيـخـرج بـعلم جديد إيمان جديد وإشراق جديد، وقوة جديدة وكلما تقدمت دراستـه واتسـعـت آفـاقـه، أزداد إيـمـانا بأن القرآن هو الكتاب الخالد والعلم الأبدي وأساس السعادة ومفتاح الأقفال المعقدة وجواب الأسئلة المحيرة، وأنه دستور الحياة".(٢)

ويبيـن إقبـال أهـمية الـقرآن ويؤمن أن لانجاة المؤمن إلا بالقرآن ويجب على المسلم أن يتلو القرآن بالقلب والفهم لاستفاد من بركاته وسعادته، ولكنّه حزين على حالة مسلم اليوم هو الذي ينسى مقصد حياته وتراث أجداده وغفل عن تلاوة القرآن وتفهيمه وصار كسلان ويعيش حياة المترفين.

١- الندوى، أبو الحسن علي الحسني، مولانا: روائع إقبال، ص٤٣-٤٤.

- انظر:محمد اقبال، العلامة: مثنوي "مسافر".

٢- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مولانا: روائع إقبال، ص٤٢-٤٣.

ويقول إقبال في مقطوعة شعرية:

"وإنك أيها المسلم لاتزال أسيراً للمتزعمين للدين، والمحتكرين للعلم، ولا تستمد حياتك من حكمة القرآن رأسا، إن الكتاب الذي هو مصدر حياتك ومنبع قوتك، لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة فتقرأ عليك سورة يٰسين لتموت بسهولة فو اعجباً، قد أصبح الكتاب الذي أنزل ليمنحك القوة والحياة يتلى الأن لتموت براحة وسهولة".(١)

وكانت مكانة القرآن عند إقبال جداً، حتى وصف بالشاعر القرآني وذلك لسببين:

أولهما: أنه استسلم فلسفته كلها من القرآن الكريم، وقد أشار سمير عبد الحميد إلى ذلك بقوله: "إن كل ما يفكر فيه إقبال، كان يفكر بعقل القرآن، وكل ما كان يراه، كان يراه بعين القرآن".(٢)

وفلسفة إقبال حول الذات الإنسانية، استنبطها من القرآن الكريم، إذ أن كثيرا من الآيات، تذكرا لذات الإنسانية في كينونتها وحريتها، و ثوابها وعقابها ونموها الروحي والعقلي.

ويقول إقبال هناك أمور ثلاثة واضحة كل الوضوح في القرآن".(٣)

١- إن الانسان قد أصطفاه الله

﴿ثُمَّ اجْتَبَاه رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدٰى﴾ (٤)

٢- إن الانسان بالرغم من أخطائه جميعًا أريد أن يكون خليفة الله في أرضه.

﴿وإذْقَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ اِنِّي جَاعِلٌ فِىْ الأَرْضِ خَلِيْفَةً﴾(٥)

﴿وَهُوَ الَّذِىْ جَعَلَكُمْ خِلَٓئِفَ الارْضِ﴾(٦)

٣- إن الإنسان أمين على شخصية حرة أخذ تبعتها على عاتقه.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الاَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوٰتِ وَالاَرْضِ وَالْجِبَالِ فَاَبَيْنَ اَنْ يَّحْمِلْنَهَا وَاَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوْماً جَهُوْلاً﴾(٧)

وفلسفة إقبال في الإنسان الكامل أخذها من القرآن، قال الله تعالى:

١- أنظر: سمير ، عبدالحميد إبراهيم، الدكتور :المقطوعة الشعرية من ديوان أرمغان حجاز.

٢- ابراهيم سمير عبدالحميد ،الأستاذ : إقبال و ديوان أرمغان حجاز، ص مقدمة الديوان.

٣- محمد اقبال ، علامه : الترجمة العربية : عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص١٩.

٤- سورة طه، الآية :١٢٢.

٥- سورة البقرة، الآية: ٣٠

٦- سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

٧- سورة الاحزاب، الآية: ٧٢.

﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ﴾.(١)

وقال اللّٰه تعالىٰ في موضع أخر:

﴿إِنَّا لَقَادِرُوْنَ عَلى انْ نُّبَدِّلَ خَيراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِيْنَ﴾(٢)

وهكذا نرى أن كلام إقبال كله ماخوذ من القرآن الكريم.

ثانياً: السنة النبوية

ويرجع محمد إقبال الفضل في تكوين شخصيته، وتماسكه أمام المادة ومغرياتها وتيار الحضارة الغربية الجارف إلى الاتصال الروحي بالنبي ﷺ، وحب العميق له، وقد كان شديد الإيمان بالإسلام و رسالته، قوي العاطفة، شديد الإخلاص والإجلال لرسول اللّٰه ﷺ، متقانيًا في حبه، مقتنعاً بأن الإسلام هو الدين الخالد الذي لا تسعد الإنسانية إلا به، وأن النبي ﷺ هو خاتم الرسل، والبصير بالسبل، وإمام الكل.

و كما أن إقبال أخذ فلسفته من القرآن الكريم، فكذلك اقتبس كثيراً من أفكاره من السنة النبوية الشريفة، نورد منها على سبيل المثال للعصر.

نظرية إقبال عن الزمان، يورد الحديث الصحيح:

"لا تسبو الدهر فان اللّٰه هو الدهر"(٣)

ويقول إقبال في كتابه "تجديد التفكير الديني في الاسلام":

"وهذا الزمان السابح في صمت يبدو لأنظارنا البشرية في صورة تقلب الليل والنهار"(٤)

ويعده القرآن إحدي آيات اللّٰه الكبرى.

﴿يُقَلِّبُ اللّٰهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اِنّ فِيْ ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لاوُلِى الاَبْصَارِ﴾.(٥)

وهذا هو السبب في أن النبي قال:"لا تسبوا الدهر فان اللّٰه هو الدهر"

انظر هذا الحديث في شعر إقبال:

زندگی از دهر و دهر از زندگی است   لا تسبّو الدهر فرمانِ نبی است (٦)

الحياة الدهر يا من عرفا   "لا تسبوا الدهر" قول مصطفى (٧)

ولم يزل حب النبي ﷺ يزيد ويقوي بمرور الأيام، حتى كان في آخر عمره إذا ذكر النبي ﷺ في مجلسه أو ذكرت المدينة، فاضت عينه، ولم يملك دموعه، وقد ألهمه هذا الحب العميق، معان شعرية عجيبة، منها قوله، وهو يخاطب اللّٰه سبحانه و تعالىٰ:

١- سورة ال عمران، الآية: ١١٠.

٢- سورة المعارج، الآية: ٤٠-٤١.

٣- رواه مسلم عن أبي هريرة، ورواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بلفظ: "يقول اللّٰه تعالىٰ: "يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر، بيدي الليل والنهار"، وروى بألفاظ مختلفة عن أبي داؤد والحاكم والبيهقي.

٤- الترجمة العربية: عباس محمود : تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص٢٠.

٥- سورة النور، الآية: ٤٤.

٦- كليات إقبال(فارسي) اسرار خودي، ص١٧٠.

٧- الترجمة العربية: عزام عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص١٧٥.

"أنـت غـنـي عـن الـعـالـمـيـن وأنـا عبدك الفقير، فأقبل معذرتي يوم الحشر، وإن كان لابدمن حسـابـي، فـأرجوك يا رب أن تحاسبني بنجوة من المصطفى ﷺ فاني استحيي أن انتسب إليه وأكون في أمته، وأقترف هذه الذنوب والمعاصي."(١)

وكان محمد إقبال كثر الإعتداد بهذا الإيمان، شديد الاعتماد عليه، يعتقد أنه هو قوته وميزته، وذخره و ثـروتـه، وأن أعـظـم مـقـدار مـن الـعـلـم والعقل، وأكبر كمية من المعلومات والمحفوظات لاتساوي هذا الإيمان البسيط، يقول في بيت:

"إن الـفـقـيـر المتمرد على المجتمع(يشير إلى نفسه) لا يملك إلا كلمتين صغيرتين، قد تغلغلتا فـي احشائه وملكتا عليه فكره وعقيدته، وهما: لا اله إلا الله، محمد رسول الله. وهناك علماء و فقهاء، الواحد منهم يملك ثروة ضخمة من كلمات اللغة الحجازية، ولكنه قارون لا ينتفع بكنوزه".(٢)

وهكذا كلام إقبال مملوءة من أمثال النوادر من القرآن الكريم والحديث النبوي.

ثالثاً: المصادر الغربية

ومـكـث إقبـال بضعة عوام من عمره فى أوربا، فدرس علومها بقلب المفتوح والعيون، و كان إقبـال حـاضـر الـبـديهة و حـريـصـاً على العلم، فتأثر من شخصياتها وعلومها، وسعى أطفأ عطشه للعلم حتى المقدور، نذكر الأن مصادره للعلم والشخصيات من الذين يتأثر به واحداً واحداً.

الفلسفة اليونانية

إن إطـلاع إقبـال على الفلسفة الغربية، وجذورها الأولى في الفلسفة اليونانية أمر لاشك فيه، ولا غـرابة في ذلك، لأن طالب الفلسفة لابدله وأن يطلع على تاريخ الفلسفة في جميع العصور وأن يطلع على جـمـيـع الـحدود الفلسفية في الكون والإنسان والحياة، ولكن هذا لايدعو إلى إلقول بتأثر إقبال بالفلسفة اليونانية، وإن تشابه بعض التعابير، أو الافكار عند فيلسوفين، ليس دليلا على تأثر أحدهما بالأخر.

فقد رأى البعض:

أن هناك شبه بين الإنسان الكامل(٣) عند إقبال والانسان الكامل عند أرسطاليس.(٤)

١- الندوي،ابو الحسن علي الحسني:روائع إقبال، ص٣٧.

٢- نفس المرجع: ص٣٨.

٣- الانسان الكامل عند إقبال هو الذي متصف بوصف "خودى".

٤- هـو الـفـيـلسـوف الـيـونـانـية وعـصره من ٣٨٤ ق م إلى ٣٢٢ق م. وعند ارسطو طاليس: الانسان الكامل يقال له Superman لا يـخـتـلـف كثيـر ا مـن الانـسـان الـكـامـل لإقبـال. ومـن شـارحي ارسطاليـس كانوا "نكولاس (Nicolus) (الـقـرن الأول ق م) بـدمشق و افروديـسـيـاس(Aphrodisios) الـگـزانـدر (ت ٢٠٠م) تهيمثيس (Themistins) (القرن السابع ق م) جان فلوبونس(John philoponus) و سمپليپس(simplicious) القرن السابع ق م)

وذلك من خلال تشابه بعض العبارات بينهما: فمثلا يقول أرسطاليس:

"أنه يجب أن يكون (أى الانسان الكامل) في خدمة الناس ورغم هذا يكون خجلاً حين تؤدي إليه خدمة".(١)

ويقول إقبال:

"الحذر من منة الغير الحذر"(٢)

ويقول أرسطاليس:

"ان شجاعته ورزينه مرضية، صوته عميق حديثه معروف".(٣)

ويقول إقبال:

"رقيق في حديثه قوي في عمله".(٤)

هذه هي العبارات التي تشير إلى تأثر إقبال بأرسطاليس عند من درس إقبال وهي لاتدل لا في قريب ولا بعيد إلى ذلك، مع العلم أن إقبال اقتبس تصوره يعنى "الانسان الكامل" من التصور الإسلامي و يشير دائماً إلى أن المسلم هو الانسان الكامل.

وإن صفات الشجاعة والرضانة والصوت الجميل ورقة الحديث وقوة العمل، أشار إليها الرسول في أحاديث كثيرة.(٥)

١- جوته (Goethe Johannwalfgang Van) ١٧٤٩-١٨٣٢م

أعجب إقبال بجوته. الشاعر ألماني، وبأفكاره بعد مطالعة ديوانه "ديوان الغرب" الذي ألفه قبل مائة عام من نشر إقبال لديوانه "پيامِ مشرق" أى "رسالة الشرق".(٦) إذ أن جوته فضل القلب على العقل، و حاول التنسيق بين أفكار الشرق وأفكار الغرب ، ونقد الغرب الذي فقد قلبه وروحانيته وانسانيته، وانغمس في المادة ومدح الشرق وروحانية ومافيه من أخلاق إنسانية، ودعا شعوب الشرق بعدم الانخداع بالغرب، وبمعرفة :

﴿وللّٰهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾(٧)

وبعد مطالعة لديوان جوته ينظم ديوانه "پيامِ مشرق" في جواب ديوان الشاعر ألماني جوته

١- النجار، قطب الدين فهيم : محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي وتأثره وتأثيره، ص١٠١.

٢- كليات اقبال(فارسى)اسرار خودي، ص٧٠.واشارة إلى قصة عمر حين سقطت درته من يده وهو راكب فنزل ليأخذها ولم يرض أن يناوله إيّاها أحد.

٣- النجار، قطب الدين فهيم : محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي وتأثره وتأثيره، ص١٠١.

٤- كليات إقبال (الاردية) ضرب كليم ، ص٨٨٩.

- الترجمة العربية : عزام عبدالوهاب ، الدكتور : ضرب كليم، ص٤٣. اشاره إلى هذا الشعر:

مع الصّحب لين كمسّ الحرير | بعيد من المحك المؤمن
حديد إذا ما طغى باطل | جرى لدى المعرك المؤمن

٥- قال رسول اللّٰهﷺ: أحسن الناس اسلامًا أحسنهم خلقا، رواه الطبراني وأحمد و ابو يعلي ورجاله ثقات، وقال: "ان اللّٰه رفيق يحب الرفق" رواه مسلم، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

٦- ترجمه عزام عبد الوهاب الدكتور:"پيامِ مشرق" رسالة الشرق.

٧- سورة البقرة: ١١٥.

ويؤكد كثيراً من أفكاره، وكتب في مقدمته النثرية:

نظمت "پيام مشرق" لأجيب به الديوان الغربي لفيلسوف الحياة الألماني جوته الذي يقول فيه:

"هذه باقه من القصائد يرسلها المغرب إلى المشرق" و يتبين من هذا الديوان أن المغرب ضاق بروحانيته الضعيفة الباردة فتطلع إلى الاقتباس من صور الشرق(١) ويظهر من هذا الديوان أيضا أن إقبال قرأقصة "فاوست لجوته" أيضا وقد أشار للقصة في مقطوعة له في "پيام مشرق، عنوانها "جلال وجوته" وكتب في الحاشية" شاعر ألمان جوته صاحب القصة المعروفة "فاوست" وفي هذه القصة بيّن الشاعر درجات تطور الإنسان في إطار من رواية قديمة عن العهد الذي كان بين الدكتور فاوست والشيطان، وقد بلغ فيها الفن درجة لا يد ركها الخيال".(٢)

ولكن هل تأثر إقبال في ديوانه "جاويد نامه" فاوست". فيقول راشد الحيدرى في مقاله "محمد إقبال و الثقافة ألمانية":

"وكان تأثير فاوست" في روح إقبال أعمق مما كان تأثير كتاب من الأدب الأوروبي وظن أن هذا الكتاب الشهير. يصور المثل الأسمي للهمم الروحية التي تختص بها الملة ألمانية وأنه أقرب إلى الروحانية من الإنجيل، والواقع أن إقبال لم يتأثر "فاوست" من حيث المضمون أو الموضوع، سوي بعض المشاهد من حيث القالب الغني فقط."(٣)

ونحن مع الدكتور محمد سعيد جمال الدين حينما يقول:

"والواقع أننا إذا أمعنا النظر في هذا القول فسنجد الحيدرى يقول:

"إن إقبال تأثر عن طريق جوته بالنبيﷺ وهذا رأى غير مقبول فمن المعروف أن تأثر إقبال بالنبيﷺ هو تأثر مباشرو أن جوته نفسه تأثر في كثير من آرائه بالأدب الإسلامي، فالفكرة إسلامية وليست أجنبية، ولا يستقيم أن نقول أن إقبال استقصى أفكاراً اسلامية من مصادر غربية".(٤)

٢- ليبنتز (٥)

وكان رياضيا وعالما من الطراز الأول، قال بالجوهر الفرد أو الموناد أو الجوهر الروحي(٦) يرى الدكتور مهدى علام:

"أن إقبال يوافق ليبنتز عند ما قال "بالموناد" أو الجوهر الروحي، وأن كل موجودحي، وليس

١- پيام مشرق، ص١، وقد ترجمها عبدالوهاب عزام إلى العربية، رسالة الشرق.

٢- الترجمة العربية : عزام عبدالوهاب ، الدكتور: پيام مشرق، ص٢٤٦.

٣- نشر في مجلة "فكروفن" العدد الثاني العام الأول ١٩٦٣، ص٢٤-٣٤.

٤- جمال الدين محمد سعيد، الدكتور: رسالة الخلود أو جاويد نامه ص٤٨ .

٥- جوتفريد فلهلم، فيلسوف ألماني، ١٦٤٦-١٧١٦م.

٦- يوسف أكرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٢٣-١٢٤.

بيـن المـوجـودات من تفاوت في الحياة إلابالدرجة تبعا لمبدأ الاتصال الذي يستبعد الانتقال الفجائي، وهذا التفاوت بالدرجة هو بحسب درجة تميز الإدراك والدرجات أربع:

مطلق الحي، أى ما يسمي جمالاً، والنبات، فالحيوان، فالإنسان".(١)

ويقول إقبال:

كيف تـنشأ النفس في داخل النظام الزماني والمكاني، إن تعاليم القرآن واضحة كل الوضوح في هذا المعني، إذ يقول:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.(٢)

ويقول إقبال:

"وهـذا "الـخـلـق الآخـر" لـلإنسـان يتـكـامل على أساس الجسم المادي، وهو مجموعة من وحدات روحية، بواسطتها تؤثر في دوماً روح أعمق فتمكنى من بناء وحدة من التجربة منسقة.(٣)

ويقول إقبال أيضاً:

"مـصرفًا المادة" هي طائفة من نفوس أوذرات دنيا تتوالد عنها نفس أوذات أعلى رتبة، عند ما يبلغ ارتباط هذه الأنفس وتفاعلها درجة معينة من التناسق".(٤)

ويـقـول الـدكتـور "مهـدى عـلام" يبـدو فـي هذا القول، تأثيرًا ليبنتز، في إقبال قويًا، فالجوهر الـفـردأو "الـمـونـاد" عند "لـيبنتز" قوة متجهة إلى الفعل بذاتها حاملة على التلقائية أو هي حياة ونزوع ولهـا ضـرب مـن الإدراك(٥) والـذى أراه أن إقبال أخذ نظريته هذه من القرآن، وليس من "ليبنتز" وقد التـقـى مـعـه فـي تـفسير المادة فقط، مع العلم أن "لينبتز" أخذ بعض أرائه من النصرانية، وأصول الدين الـنـصـرانـي إلهـى وليس وثني، ونلتقي النصرانية مع الإسلام في أصول الدين، أما الآيات القرآنيه التي تشير إلى وجود الروح والإدراك في المادة، أو أن المادة مؤلفة من ذرات روحية، فيمكن أن نذكر منها ما يلى: قال الله تعالىٰ:

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾(٦)

١- محمد إقبال علامة، الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص١١٩.

٢- سورة المؤمنون، الآية: ١٢-١٤.

٣- محمد إقبال علامه، الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص١١٩.

٤- نفس المرجع.

٥- محمد إقبال علامة، الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص١٢١.

٦- سورة البقرة، الآية: ٧٤.

وقال الله تعالىٰ:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُورًا﴾(١)

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾(٢)

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾(٣)

٣- نيتشة (فريد ريک نيتشة) ١٨٤٤م-١٩٠٠م

هو فيلسوف ألماني، وهو أديب مطبوع حشر في زمرة الفلاسفة لأنه فكر و كتب في الإنسان، وأخذ أركان مذهبه من شو بنهور ونظريته العود الأيوبي معروفة في الثقافة اليونانية.(٤)

ورأى بعض الباحثين أنه متأثر إلى حد كبير بنيتشة في نظريته عن الإنسان الأعلى "سوبرمان" ويقول آخر.(٥)

إن كل من تعمق في دراسة فكر إقبال نجد أثر نيتشة على فكره، كما أن إقبال كان يرد اسمه حتى عام ١٩١٨م، أما إقبال فتأثر بنيتشة في نظرية الإنسان الكامل، فقد رد هو بنفسه على هذا القول في رسالته إلى نيكلسون، فيقول:

"ولقد علمت من الخطاب الذي كتبه إلى شفيع(٦) ماسرني وأثلج صدري فقد لاقت ترجمة أسرار خودي الانكليزية رواجًا وترجيًا، إلا أن بعض الإنكليز قد أساؤوا الفهم وقالوا بتشا به أفكاري وأفكار نيتشة، فهناك فرق بيّن نظريتي عن الإنسان الكامل وأفكار نيتشة عن "السوبرمان" إلا أنه لسوء الفهم خلط البعض بينهما، وجعلو هما نظرية واحدة، لقد كتبت مقالاً قبل عشرين سنة عن "الإنسان الكامل" ويؤمها لم أكن سمعت عن نيتشة ولم أرمؤلفاته، ولقد أضفت هذا المقال إلى بحثي المقدم للدكتوراة "فلسفة عجم وعنوانهٗ تطور ماوراء الطبيعة في إيران".(٧)

"الانسان الكامل" عند إقبال تختلف عن الإنسان الأعلىٰ أو السوبرمان عند نيتشة، فالإنسان الكامل عند إقبال يشرحه الأستاذ الندوي في كتابه الرائع "روائع إقبال" فيقول:

"إن الدكتور محمد إقبال يتمني للإسلام جيلًا جديداً، شبابه طاهر نقي ضربه مرجع قوي،

١- سورة الاسراء، الآية: ٤٤.

٢- سورة الرعد، الآية: ١٣.

٣- سورة الانبياء، الآية: ٧٩.

٤- يوسف أكرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٣٨٥-٣٩١.

٥- هو الدكتور ظ، انصاري في "إقبال كی تلاش" (في بحث إقبال) ص٦٢-٦٣.

٦- الأستاذ محمد شفيع، كان عميد الكلية الشرقية بلاهور.

٧- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال، سيرته وفلسفته وشعره ص٧١.

يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل، هذا مع الأعداء وذاك مع الأولياء، آمالة قليله، ومقاصده جليلة، يجمع بين جلال إيمان الصديق وقوة علي، فقر أبي زر، وصدق سلمان، يصطاد الأسود و يباري الملائكة، ويتحدي الكفر والباطل".(١)

وهذه الصفات كلها مقتبسه من القرآن وسنة النبيﷺ وسيرته الصحابة رضي الله عنهم.(٢)

ويقول الندوي:

"إن محمد إقبال يحدثنا في شعره بأن وجد الإنسان المنشود، وعرفه اتصل به، تفني في شعره بإنسانية وشخصية، إن الإنسان الكامل الذي وجده إقبال، فوجد فيه ما كان ينشده من معاني الإنسانية والقوة والحياء والجمال والكمال هو المسلم، فهو الضالة المنشودة والصورة الكاملة للانسانية".(٣)

فأين هذا من الصورة التي يرسمها نيتشة للإنسان الأعلى (السوبرمان) فهو يحب الخطر والاضطراب والصداقة والقدرة والذكاء وبالنسبة للمقاصد الخلقية، يحب الحرية والعمل، وهو معجب بنفسه معتز بكرامته، ولكن بدون مبدأ أخلاقي، وإنسان نيتشة لا يعلم بقوانين المساواة والعدل ولا يعرف معني الرحمة والشفقة، فضلًا عن إلحاده بالله تعالى، أما فلسفة الذاتية عند إقبال فهي فلسفة إسلامية خالصة، وأنها ليست مقتسبة من نيتشة ولا من غيره، كما بيّن ذلك إقبال في رسالته إلى نيكلسون(٤) بل إنه يعترض على نيتشة في كثير من آرائه، يقول إقبال:

"أرى أن الحقيقة هي مجموعة الشخصيات أو الذاتيات وأن تأليفها الإجتماعي ينشأ من الجلاد، ومن هذا الجلاد(٥) ينشأ الانتظام والائتلاف آخر، هذا الجلاد ضروري للبقاء الشخصي، وهو أعلى درجات الحياة، نيتشة ينكر البقاء الشخصي، وأخطأ في هذه نتيجة في تصور الزمان أو الدهر، هو لم يبحث في مسألة الزمان من الجانب الإنساني، وأنا على خلافه أعتقد أن البقاء الشخصي

١- الندوى، أبو الحسن علي الحسني، مولانا: روائع إقبال: ص٦٤، أنظر أيضاً عزام، عبدالوهاب، الدكتور: ديوان الاسرار والرموز، دراسة تحليلية سمير عبدالحميد ابراهيم . الطبعة الأولى ، لاهور : مطبعة المكتبة العلمية شارع مدرسة البنات . ١٩٧٨م ص٢٤-٢٥.

٢- أحمد معوض، الدكتور: العلامه محمد إقبال، حياته وآثاره ص٣٩١-٣٩٢.

٣- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، مولانا: روائع إقبال، ص٦٤-٦٥.

٤- رينولد ألين نيكلسون، مستشرق الإنجليزي، عالم بالتصوف الإسلامي تعلم فى كمبردج وغيرها، ودرس العربية والفارسية، واشترك في نشر "تذكرة الأولياء" "للعطار" و "اللمع" للسراج، و "ترجمان الأشراق، مقالات في التصوف لابن عربي، وله كتب بالانكليزية، منها "تاريخ الأداب العربية" و متصوفو الإسلام" و "دراسات في التصوف الإسلامي" ترجمه إلى العربية ابو العلا عفيفى ونشريها، وترجمات من الشعر والنثر عن العربية والفارسية، وكان عصره، ١٨٦٨م إلى ١٩٤٥م.

٥- الجلاد، من جلد: أى الصلابة.

أعظم الأمال ولابد له من الجد والجهد الكاملين، لهذا دعوت إلى الحركة والجد والكدح وكل ضروب العمل، بل الحرب، حتى تستحكم الذات ولهذا نهيت كل النهي عن جمود الصوفية وسكون الرهبان".(١)

وكذلك خالف إقبال نيتشة في نظرية "العود الأبدي" التي نادي بها الأخير، يقول إقبال: "بعد أن عرض النظرية، هذا هو مذهب نيتشة في العود الأبدي، فما هو إلا نوع من الألية أكثر جموداً، لا يقوم على حقيقة قام الدليل عليها "العود الأبدي".(٢)

ويقول نيتشة:

"إن مجموع القوي الموجودة في الكون ثابت محدد لايزيد ولا ينقص ومادام متناهيا فإن مجموع الأحوال والتراكيب والتعبيرات والتطورات التي تحدث في هذه القوي ولو أنه هائل ولا يمكن تقديره عمليا، إلا أنه لابد وأن يكون متناهيًا ومحدداً، ولما كان الزمان لانهائياً غير محدد فلابد أن تأتي لحظة من لحظاته، هما كان من طول المدة السابقة عليها والتي مدت فيها الأحداث الكونية الممكنة كلها، فيها يعود كل تركيب سبق وجوده من قبل".(٣)

وخلاصة رأي إقبال في نيتشة، نجده في جوابه لأحد المتسائلين، وذلك لما أصدر إقبال ديوانه "بال جبريل" أى "جناح جبريل" قال له قائل:

وإني قرأت تصنيف نيتشة للمرة الثالثة ويخيل إلى أنني أقرأه من جديد، فهو طريف الفكرة عميقها قريب إلى الإسلام في بعض أصول تفكره ولعل أحدا لم يقدم إليه الإسلام في عرض سليم وتفكير صحيح، ولجهله بعبادي القرآن ألحد في فلسفته، ولعله نفر من المسيحية لأنه وجد فيها أن العمل الواهن الضعيف هو ابن الله، ورأى أن الأخلاق في المسيحية تبدو في صورة الضعف. فقال إقبال:

"ولقد أصبت اللباب وأدركت الصواب ولهذا السبب قلت عن نيتشة أن قلبه مؤمن وعقله كافر".(٤)

٣- برغسون (هنرى برغسون) ١٨٥٩-١٩٤٢م

هو فيلسوف الفرنسيي ويتفق إقبال مع برغسون في نقطتين:

الأولى: وتتعلق بالمعرفة وهي أن الحقائق لا يصلها الإنسان إلا عن طريق الإلهام او الحدث أو البداهة وهو المعرفة المباشرة.

١- محمد إقبال، علامه: ديوان الأسرار والرموز، ص٢٥.

٢- محمد إقبال ، علامة ، الترجمة العربية: عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص١٣١.

٣- انظر: نيتشة لعبد الرحمن بدوى، ص٢٥١-٢٥٢.

٤- علامه إقبال: بال جبريل: جناح جبرائيل ص: مقدمة الديوان.

والثانية: في مفهوم الزمن، وأنه حقيقة مستقلة أما النقطة الأولى والمتعلقة بالحدس كطريق للمعرفة، فقد سبق الغزالي وجلال الدين الرومي، برغسون في هذا، وحتى الفيلسوف ألماني كنط(١) له أثر عظيم في الفلسفة الحديثة أو الأخلاق أمتاز مذهبه بنقد العقل وبيان قصوره وهو القائل "شيئان يملأني اعجابا:

السماء ذات النجوم فوق رأسي والقانون الخلقي في نفسي(٢)

قال بعدم استطاعة العقل الوصول إلى الحقائق بما ورآء الطبعية، يقول إقبال:

"وعلى أنه لا سبيل إلى انكار أن الدعوة التي نهض لها الغزالي تكاد تكون دعوة للتبشير بمبدأ جديد مثلها في ذلك مثل الدعوة التي قام بها كنط في ألمانيا في القرن الثامن عشر.(٣)

ثم يقول:

"هذه الدعوة تتجلى بقصور العقل الإنساني في الوصول إلى الحقائق الدينية، فهدم بذلك ما بناء أصحاب المذهب العقلي من قبل، وصدق عليه القول بأنه من أجل نعم الله على وطن".(٤)

ويتفق إقبال مع برغسون بأن الحدس والعقل، ليساطريقين متضادين إلى المعرفة بل هما يكملان بعضها البعض، يقول إقبال:

"وليس هناك من سبب يدعو إلى الظن بأن الفكر والبداهة متضادان بالضرورة فهما ينبعان من أصل واحد، وكل منهما يكمل الآخر، فأحدهما يدرك الحقيقة جزءاً جزءاً والآخر يدركها في جملتها، كلاهما يفتقر إلى الآخر لتجديد قواه، وكلاهما شهود نفس الحقيقة التي تنكشف الكل منهما على نحوه يتلائم ووظيفته في الحياة، وفي الحق أن الداهة، كما يقول برغسون، ليست إلا ضربًا عاليًا من التفكير".(٥)

أما مسألة الزمان وإتفق إقبال مع برغسون في تصوره، ويقول إقبال في رسالته إلى نيكلسون، عن تصور برغسون:

"إن الزمان ليس خطاً ممتداً إلى غيرنهاية يتحتم علينا المرور به، فهذا التصور للزمان غير صحيح، فالزمان الخالص لا يدخل فيه تصور الطول، أي لا نستطيع قياسه بمقياس الليل والنهار".(٦)

ولكن إقبال يختلف مع برغسون في القول بزمان مستمر لكل وقت وهذا الرأي قريب جداً

١- كنط: ١٧٢٤-١٨٠٤م.

٢- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٩٥-٢٤٥.

٣- محمد إقبال علامة، الترجمة العربية : عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الإسلام، ص١١.

٤- نفس المرجع: ص١١.

٥- محمد إقبال، علامة، الترجمة العربية : عباس محمود: تجديد التفكير الديني في الاسلام، ص٧.

٦- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفة وشعره، ص٨٢.

من الدهرية.(١) لكن إقبال وجد ضرورة إثبات الارتقاء في كل شئي يقول:

"لا يبقي أى شئي ولا يستقر على صورة واحدة، إن تركيب مزاج الزمان إنما هو من ذوق الجدة"(٢)ومن نقاط الخلاف أيضا:

"أن برغسون يتوقف عند فكرة أن الذات دائماً في تطور وتقلب متواصل، وليس لها هدف وغاية، فإنها إذا نصب أمامها هدف وغاية ينتهي دورها عند الوصول إلى تلك الغاية، بينما يرى إقبال أنه لابد من وجود الهدف والغاية داخل الذات، يعني تربيتها وتقويتها بالمعرفة والعشق والطاعة والانضباط بالشريعة، وأخيراً بتمكينها من خلافة الله في الارض".(٣)

وفي مقطوعة لإقبال في ديوانه "ضربِ كليم" يخاطب سيداً مصابا بالفلسفة مستنكراً منه ذلك، فيقول:

لو لم تول ذاتك النسيانا — لم تحملن زنا ر (برجسانا)
فكيف صاح تحكم الحياة — وكيف يجتاز الزمان (الذات)
في عصي فلسفة الأشياء — قد مزجت بطينتي ومائي
أحاط إقبال بها تفصيلاً — وإن يكن عرفانه قليلاً
عاقبة العقل إلى شتات — فلسفة بعد من الحياة" (٤)

هكذا نأخذ أن محمد إقبال تخرج في مدرستين، أماالمدرسة الأولى، فهي مدرسة الثقافة العصرية والدراسات الغربية، فلم يزل يتقلب في فصولها ودروسها ما بين الهند وانجلتراو ألمانيا، ويقرأ على اساتذتها البارعين ويرتوي من مناهلها حتى أصبح من أفذاذ الشرق الإسلامي في ثقافته الغربية، أخذ من علوم الغرب وثقافته وحضارته، من فلسفة واجتماع، وأخلاق واقتصاد وسياسة ومدنية غاية ما يمكن لغربي متخصص، فضلًا عن شرقي متطفل، وبلغ بدراسة إلى أحشاء الفلسفة القديمة والجديدة، هذا إلى توسع في الآداب الإنجليزية وألمانية والشعر الغربي في مختلف ادواره وعصوره ودراسته الفكر الغربي في مختلف أطواره ومراحل حياته.

لووقف إقبال عند هذه المدرسة واقتصر على ثقافتها ودراستها لما زاد على أن يكون أستاذاً كبيراً في الفلسفة أو علم الإقتصاد أوفي الأدب أوفي التاريخ، أو مؤلفاً كبيراً، أو محاضراً بارعا في

١- الدهرية: نحلة تعتقد بدوام الدهر ولا تؤمن بيوم القيامة.

٢- محمد إقبال، علامة: اقبال و ديوان أرمغانِ حجاز، ص٤٩-٥٠.

٣- عبد الرحمٰن، خليل الرحمن: محمد إقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص١٥٥، ١٦١-١٦٨.

٤- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: ضرب كليم، ص١٠.

- وانظر: نونسوي، طاهر، السيد: اقبال اور مشاهير (الأردية)، ص١٨٩-١٩٨.

العلوم العصرية، أو أديبا، أو شاعراً مجيداً، أو محاميا ناجحًا في مهنته، أو قاضياً في محكمة أو وزير في دولة، ونفوذه في العقول والقلوب، يرجع إلى المدرسة الثانية التي تخرج فيها.

البواعث الأخرى

ويقول أبو الحسن علي الحسني الندوي في هذا الصدد:

"أنها مدرسة ماخاب من تعلم فيها، وما ضاع من تخرّج منها، أنها مدرسة لم تخرج إلا أئمة الفن المجتهدين، وواضعي العلوم المبتكرين، وقادة الفكر والإصلاح المجددين، الذين يشغلون المدارس ورجالها بتفهم ما قالوا، ودراسة ما كتبوا، وشرح ما خلّفوا، وتعليل ما ألفوا، وتأييد ما أثبتوا، وتفصيل ما أجملوا، فيتكوّن من كلمتهم كتاب، ومن كتابهم مكتبة، إنها مدرسة ما تعلّم التاريخ بل تلد التاريخ، وما تشرح الفكرة بل تضع الفكره، وما تنتخب الآثار بل تنتج الآثار، أنها مدرسة توجد في كل مكان وزمان، وهي أقدم مدرسة على وجه الأرض، أنها مدرسة داخلية تولد مع الإنسان، ويحملها الإنسان معه في كل مكان، هي مدرسة القلب والوجدان، هي مدرسة تشرف عليها التربية الألهية وتمدها القوة الروحية، قد تخرج محمد إقبال في هذه المدرسة، كما تخرج كثير من الرجال الموهوبين، وحدث عنها كثيراً في شعره، ورد إليها الفضل في تكوين سيرته و عقليته وأخلاقه وشخصيته، وصرح مرارًا بأنه يدين لهذه المدرسة مالا يدين للمدرسة الخارجية، وإنه لولا هذه المدرسة و تربيتها لما ظهرت شخصيته، ولما اشتعلت مواهبه، ولا اتضحت رسالته، ولا تفتحت قريحته. وقد حدّث عن معلمي هذه المدرسة وأساتذتها كثيراً وذكر فضلهم عليه".(١)

إقامته في أوربا

ويبين عبدالوهاب عزام إقامته فى أوربا:

"وكان إقبال في أوربا ذلك الحين كثير التحدث عن الإسلام وثقافته وحضارته وألقى محاضرات في الإسلام نشرتها الصحف الكبيرة، وقد دلت آراؤه وشعره من بعد، أنه لم يُعجب بحضارة أوربا، ولم يخل عليه تمويهها ولا أبرق عليه لألاؤها".(٢)

"وفي أثناء ذلك، توسع إقبال في قرأته عن نيتشة(٣) وهيجل(٤) وشوبنهاور(٥) وغيرهم

١- الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع إقبال ص٢٤.

٢- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته و فلسفته وشعره، ص٢٩-٣٠.

٣- ١٨٤٤م-١٩٠٠م.

٤- جارج وليهم فريدك هيجل الفيلسوف ألماني ١٧٧٠م-١٨٣١م.

٥- الفيلسوف ألماني ١٧٨٨م-١٨٦٠م.

وقارن بينهم وبين فلاسفة الشرق، أمثال ابن سينا(١) وابنِ رشد(٢) وابنِ عربي(٣) و جلال الدين الرومي(٤) والشيرازي(٥) وغيرهم من الفلاسفة والمتصوفين، ولقد أصبح إقبال بعد ذلك ضليعًا في الفلسفة وعلم الأخلاق، دارسًا للقانون أعمق دراسة، وقد أعانه ذلك على بحث تاريخ الثورات الكبرىٰ، كالثورة الفرنسية ، وعرف عن كثب حضارة الغرب الحديثة، وعرف مقوماتها ودوافعها وأهدافها، وأدرك عيوبها ومآخذها، وتيقن أنها نهضة مادية رائعة، لكنها نهضة عقلية لا قلب لها، ولا روح فيها".(٦)

ويقول إقبال عن دراسته فى أوربا:

"وكنت كطائر يقع على شبكة فيقرض الحبال، ويأخذ الحَب ويطير بسلام، يعلم اللّٰه أني رحلت في هذه العلوم واكتويت بنارها، من غيرأن أرزا في عقيدتي وخلقي وصلتي بك، وقد جلست في نارها شجاعة، وخرجت منها بسلامة كما كان شأن إبراهيم عليه السلام مع نار نمرود، لقد بقيت هذه المدة ذا هلًا عن نفسي، جاهلاً لشخصيتي، حتى لما وقع بصري عليّ لم أعرف نفسي، لقد اقتطفت من علوم الغرب شيئاً كثيرًا، وتناولت من خمرة حانته كأسا دهاقًا، ياله من صداع اشتريته، ولقد عشت بين علمائه وفلاسفته، وبين غيره الحسان، يالها من فترة صدعت رأسي، وكدرت بالي، ذلك لأني نشأت في حضانة الحب والإيمان، خلاَيُنا سبني ولا يملأ فراغ نفسي إلا العاطفة والحنان".(٧)

ثم يقول إقبال عن الحضارة الغربية:

"إن عينه بصيرة ولكنها جافة لا تدمع لقد زهدت في صحبته لأنه علم ولاهمٌ، وأرض مقدسة ولا زمزم".(٨)

والأن ماهي النتيجة التي وصل إليها إقبال' قال للغربيين:

١- الفيلسوف الفرس، ٩٨٠م - ١٠٣٧م.

٢- الفيلسوف العربية، ١١٢٦م - ١١٩٨م.

٣- عبدالوهاب بن العربي بن يوسف الفاسى، ابو الفضل، أديب من القضاة، مولده ووفاته بفاس، ١٦٠٠م - ١٦٦٨م.

٤- أبو الحسن على بن العباس بن جريج، المعروف ابن الرومى، ٨٣٦-٨٩٦م.

٥- عبدالحادي بن إسماعيل الشيرازى، ١٨٨٨م - ١٩٦٢م.

٦- الكيلانى، نجيب، الدكتور: اقبال الشاعرالثائر، ص٣١-٣٢.

- انظر: نيازي، نذير، السيد: دانائے راز (الاردية)، (المعارف الاسرار)، ص٢٩٤-٢٩٥.

- انظر: المحفوظ،حازم محمد أحمد عبدالرحيم : الحكيم الأمة و شاعر الاسلام علامة محمد إقبال،ص٥٣-٥٥.

٧- الجوهري، عبداللطيف: مع إقبال شاعر الوحدة الاسلامية، الطبعة الأولى ، مصر : مكتبة النور، ٥ شارع الأهرام ، اوكسى ، ١٩٨٦مص١١٤.

٨- نفس المرجع ، ص ١١٥.

"إن حـضـارتـكـم سـوف تـقـتـل نـفـسـهـا بـخـنـجـرهـا

إن الـعـش لا يثبـت عـلـى غـصـن لطيف ضعيف مضطرب (١)

لأنهـا حـضارة كافرة القلب ضائعة الروح، وموازين القوي المادية هذه في تغيير و تبدل دائم، فهـي إن كـانـت المغرب اليوم ولو أراد الغرب للبشرية خيراً، للتلافي ما وقع فيه من أغلاط، في وسائله وأهـدافه وسياسته. ولـدى إقبـال الـحـضـارة الشرقية خير من الحضارة الغربية بسبب خصائصها غير محدودة.

١- الكيلاني ، نجيب ، الدكتور : إقبال الشاعر الثائر ، ص ٣٣.

الفصل الخامس

اتصاله بالشعب ووفاته

اتصاله بالشعب

لقد عاش إقبال منذ بدأ حياته إلى نهايته لوطنه ولأصحاب وطنه، وكان خفق قلبه على حزن المسلمين وأحوالهم وفاضت عيونه بالدموع دائماً، وأنشد شعراً لشباب وطنه ودعاهم إلى التحرير وسعى حطم اغلال العبودية بشعره وهكذا اتصل إقبال بشعب وطنه.

ويقول سيد تفضل علي في هذا الصدد:

"لقد ظهر إقبال وعاش في فترة تدهور من التاريخ الإسلامي، وقد أحزنته هذه الحقيقة، كما حزن في نفسه تدهور أحوال المسلمين الذين شيدوا في فجرحياتهم الامبرا طوريات الواسعة، وقدموا للعالم رجالا عظاما أدهشوه بأفكارهم الجديدة وقوة شخصياتهم، وقد رأى إقبال في أحوالهم الحاضرة نقيضا يبعث على خيبة الأمل، ومن هنا نشأ اهتمامه بمستقبل مسلمي العالم أجمع ومسلمي الهند بوجه خاص، وكان إقبال بوصفه مفكرا سياسيا أول مسلم هندي يعلم بدولة إسلامية، وهي الفكرة التي اعتبرها الكثير من فكره غير عملية بعيدة عن الواقع".(١)

و رأى إقبال المسلمين ضعفاء مستضعفين تركوا العمل والسعي وتخلفوا عن ركب التمدن، بل يئسوا من الرقي والتمدن، ومن هنا كانت دعوته إلى العمل والأخذ من الرقي ومدنية العصر مايناسب، ولم يخضع إقبال فقط لظروف زمانه، ولكنه أيضا كان له القدرة على التحكم في هذه الظروف بل وتحريكها كيفما شاء، فكان بشعره وأفكاره و ببصيرته من أهم العوامل المعركة للمجتمع الهندي في زمانه، فقد كان مصورا رائعاو صادقا لأحاسيسه، وما يمر به المجتمع الهندي أنذاك من اضطرابات وتناقضات أحس قواد الأمة إزاء ها بضرورة البحث عن الجديد وظهر عدم صلاحية الأقدار القديمة للمجتمع، وكانت هذه ضرورة فالبحث عن الجديد يمد جزوره ليصل إلى كل مجالات الحياة. وإقبال عاد شحنات كبيرة من المعارف والتجارب وبدأت حياته تتبلور داخل خبراته الواسعة في أوربا ومن خلال دراساته الشاملة عن الحضارة الغربية ومقوماتها ومحاسنها وعيوبها، بدأ إيقاظ شعور المسلمين ليبحث فيهم روحا جديدة ويستعدهم لحمل رسالتهم الخالدة ويبدأ إقبال يدعو، بل إن من أهم معالم رسالته الدعوة إلى الإعتماد على النفس، كان إقبال يحس أن أكبر داء الشرق عامة وداء المسلمين خاصة، كان فقد ان عزة النفس وضياع علو الهمة، فأصبح الرضا بالمذلة شعارهم والصبر على الهوان من طبعهم لذلك يخاطبهم:

"اعرف حقيقتك أيها الزارع لأنك أنت الحب وأنت المزرعة وأنت الماء وأنت المحصول،

١- تفضل علي، السيد: إقبال، رائد من رواد الحركة الإسلامية، القاهرة:قسم الصحافة والاستقلات سفارة الباكستان. ص١١-١٢.

هـل يـرتـعـش قلبك من خوف الطوفان مع إنك أنت الربان وأنت البحر وأنت السفينة وأنت الساحل، وأسفاه على جهلك لأنك أصبحت محتاجاً الى الساقي".(١)

وقـد أبرز شخصية إقبال في البداية كشاب متحمس للهند وأهل الهند، ثم تغير فكره تدريجياً واختلف تـصـوره لـلقومية شيئاً فشيئاً بدراسة العميقة للإسلام والفلسفة الغربية والشرقية على السواء، واستنتج في نهاية الأمر أنه لابديل الاسلام، ولقد عاصر إقبال من المفكرين والشعراء من تناول قضية الـمجتمـع الإسـلامـي وتـراجـع الحضارة الإسلامية من شبه القارة الهندية، كما عاصر مجموعة من الـمـفـكـريـن سـاعـدوه بـلاشك فـي تـكوين أفكاره وبلورة تصوراته وكان من هؤلاء الرجال: الشيخ "عبدالقادر" والشاعر "أكبر اله آبادى(من الهند)" والشاعر "حالي(من الهند)".

ويقول، د، امجد حسين:

"أن إقبـال تـميز عن "اكبر اله آبادى في أنه لـم يكتف بنقد الحضارة الغربية فقط وعن "حالي" فـي أنـه لـم يـنبهـر بـالحضارة الغربية، ولم ينفر من الحضارة الشرقية ونستطيع أن نلمس هذا الفرق في أشـعـارهـم جـمـيـعـاً، كـمـا أيـد الـلّٰه إقبال بأساتذة كبارا من الشرق والغرب مثل "مير حسن" والسير "أرنولد" الذين أثروه تأثيرا ظهر فيما بعد في أشعاره وفلسفته".(٢)

وكـان الإنـكـلـيـز منذ أن وطئت أقدامهم البلاد الهندية في القرن السابع عشر وقبل أن يهدموا صرح الأمبـراطـورية الإسـلامية سنة ١٨٥٧م يعتمدون على الهنادكة في تيسيرسياستهم لأنهم كانوا يـعـلـمـون بـأن الـمسـلـمـين لن يخلصوا لهم لأنهم سلبوهم ملكهم، ولكن الهنادكة كانوا مخلصين لـلإنـكـلـيـز وكـانـت كل سياستهم تدور حول الاستيلاء على الهند مباشرة أو تحت حكم الإنكليزي، وقـد أخدع كثير من المسلمين في بادئ الأمر بالمؤتمر الهندي وانضموا إليه لأنهم ظنوا بأن الهنادكة يـعـملون للوطن وليس للهند وكية، ولكن العلامة إقبال أدرك بعين بصيرة وبماله من معرفة بما تنطوي عـليـه الـديـانة الـهـنـدوكية مـن عداء للإنسانية، بأنه من المستحيل أن يعمل الفريقان معاً لخدمة الهند ومـصـالح أهلها كلهم من غير تفريق بين دين وآخر، ولذا فإنه كان من دعاة خلق دولة اسلامية وأخرىٰ هندوكية، وقد فهم بعض زعماء المسلمين والمتأخرين هذه الحقيقة، واتفقوا برأي العلامة اقبال، وفي مـؤتـمر اله آباد الذي انعقد سنة ١٩٣٠م تحت رياسة العلامة إقبال، قال في خطبته الافتتاحية بضرورة إقامة دولة إسلامية وأخرىٰ هند وكية، وأصر على ذلك:

"لأن لكل من الفريقين آداباً وأخلاقاً وعادات وعقائد تختلف عن الفريق الآخر، وأن الهنادكة عـلـى الـرغـم من أنهم كانوا يعيشون في ظل الأمبراطورية المغولية وغيرها من الممالك الإسلامية التي ظهـرت فـي الـهـنـد عيشة سعيدة يلقون فيها كل احترام ومحبة وتكريم من قبل المسلمين، فأنهم كانوا

١- ابراهيم، سمير عبدالحميد، الدكتور: إقبال وديوان أرمخان حجاز، ص١٦٥-١٦٦.

٢- أحمد أمجد حسين، دكتور، وإبراهيم أحمد إبراهيم، دكتور: محمد إقبال شاعرمشرق،ص٦-٧.

حاقدين على المسلمين لأنهم انتزعوا منهم ملايين الهنادكة الذين اعتنقوا الإسلام طائعين مختارين".(١)

وقد تأثر كثير من الزعماء بأقوال إقبال، فأصبحوا يفكرون عن إنشاء دولة مستقلة لمسلمي الهند.

قال إقبال في خطبته بلندن حينما تولى في مؤتمر المائدة المستديرة رياسة اجتماعه السنوية سنة ١٩٣٢م.

"أنا لا أقبل الوطنية كما تعرفها أوربا، وليس أنكاري أياها خوفا من أن تضر بمصالح المسلمين في الهند ولكن أنكرها لأني أرى فيها بذور المادية الملحدة، وهي عندي أعظم خطر على الإنسانية في عصرنا، لاريب أن الوطنية لها مكانها وأثرها في حياة الإنسان الأخلاقية ولكن العبرة في الحقيقة بأيمان الإنسان وثقافته وسننه التاريخية، وهذه هي في رأي الأشياء التي تستحق أن يعيش لها الإنسان ويموت من أجلها لا بقعة الأرض التي اتصلت بها روح الانسان اتفاقاً".(٢)

وكتب إقبال إلى محمد على جناح الملقب بالقائد الأعظم رئيس الرابطة الإسلامية سنة ١٩٣٧م، فقال:

"أن خير وسيلة إلى الإسلام في الهند في هذه الأحوال أن تقسم البلاد على قواعد جنسية ودينية ولغوية".(٣)

وكان إقبال أول من دعا إلى أن تقسم الهند فيكون للمسلمين بهاموطن يخص لهم، إذ رأى محالا أن يعيش سكان الهند جماعة واحدة أو جماعتين معاوتنين.

تصوير للشاب المسلم عند إقبال

وتصوير الشباب المسلمين عند إقبال كان واضحاً، ويؤقن إقبال أن الشباب كانوا قوة الوطن ورأس المال لقومهم وسبباً لاجتماع العالم الإسلامي في صف واحد، فينبغي لهم أن يتصفا بالخصائص المتنوعة.

ويبين إقبال خصائص الشاب المسلم قائلا :

"هو طاهر نقي وضربه موجع قوي، إذ كانت الحرب فهو في صولته كأسد الثرى، وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمى، يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل، هذا مع الأعداء وذاك مع الأولياء، إذ تكلم كان رقيقا، وإذا جدّ في الطلب كان شديداً حفياً، وكان في حالتي الحرب والصلح عفيفاً نزيهاً، آماله قليلة، ومقاصده جليلة، غني القلب في الفقر، فقير الجسم والبيت في الغنى،

١- حقي، إحسان، الدكتور: نداء إقبال، مؤتمر إقبال بدمشق،الطبعة الأولى، دمشق : دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٨٦م. ص٦٤-٦٥.

٢- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص٣٨-٣٩.

٣- تونسوي، طاهر: حيات اقبال (الأردية) (حياة اقبال)، ص٢٢-٢٣. وانظر:أغا يمين، الدكتور: اقبال اور نژادنو (الأردية)، مجموعة مقالات. الطبعة الأولى، لاهور، باكستان: ظفر سنز برنترز، كوبر رود، ١٩٨٦م. ص٢٩-٣٠.

غيـور فـي العسر رؤوف كريم عند اليسر، يظمأ أن ابدى له الماء منة، ويموت جوعاً أن رأى في الرزق ذلة، إذ كـان بين الأصدقاء كان حريراً في النعومة، وإن كان بين الأعداء كان حديداً في الصلابة، كان طلاوندي، تتفتح به الأزهار وترف به الأشجار، وكان طوفاناً تصطرح به الأمواج وترتعد له البحار، إذا عارض في سيره صخوراً وجبالاً، كان شلالاً، وان مرفي طريقه بحدائق، كان ماءاً سلسالاً". (١)

ويبين صفاته مزيداً قائلا:

"يـجـمـع بيـن جـلال ايـمان الصدق وقوة على، وفقر أبي ذر وصدق سلمان، يقينه بين أوهام الـعـصر، كـمصباح الراهب في ظلمات الصحراء، يعرف في محيطة بحكمته وفراسته وبأذان السحر، الشهـادة فـي سبيـل اللّٰه أحب إليه من الحكومات والغنائم يقتنص النجوم، ويصطاد الأسود، ويباري الـمـلائـكة، ويتحدى الكفرو الباطل أينما كانا، يرفع قيمته ويزيد في سعره، حتى لايستطيع أن يشتريه غير ربه، شغلته مآربه الجليلة، وحياة الجد والجهاد عن زينة الجسم والتأنق في اللباس، وشعر بانسانية، فترفع عن تقليد الطاووس في لونه، والعندليب في حسن صوته". (٢)

هذه صورة الشاب المسلم عند إقبال الذي يكون متصفاً بثروة "خودى" (الذاتية) وعرفاناً كاملاً.

وصية اقبال للشاب المسلم

وكـان إقبـال متـفـكـرا عـن الشـاب الـسلـم المعاصر الذي قد أنسى مقاصده وآماله ومنصب أجداده وصار كسولاً، لا يحسن إقبال تصوير الشاب المسلم هذا، فيقول مخاطب لهم:

أنسيـت عهـداً كـنـت نـجم سمائـه	مـن قبـل أن تـجـد الـنـجـوم مدارا
أنسيـــــت أنك مـــــن ســــلالة أمة	داســـت قـــوافـلهـــا أريـكة دارا
عـرب الـصـحـارى شـمسهـا وغمامها	آســاد غــابتهــا حــداة جمـالهـا
وهبـوا الشـعـوب بـعـدلهـم مـدنية	لـم تشرق الـدنيـا بـغير جمـالهـا
نهـضـوا فـكـانـوا لـلـعصور كواكبا	مـلـكوا فـكـانـوا لـلنوال بحـارا
الـفـقـر فـخـري مـن حـديـث بيـنهـم	قـد كـان عـنـوانـا لهـم وشـعـارا
لـو أن شـعــري كـان ريشة مبدع	لـم يُغـن وصف مـصور أو شـاعر
كيف انتسبـت لهـم وأيـن ورثتهـم	ليـكون مجد الأمس مجد الحاضر
فـكـنـوزنـا فـي أرضهـم ربّـح لهـم	وخســـــارة نشقى بها في أرضنا
هيـا سـراعـاً يـا شبـاب الـى العُلىٰ	حتـى يـرد الـعـزم سابـق عزّنا" (٣)

١- الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع اقبال، ص٦٤.

٢- نفس المرجع، ص٦٥.

٣- سعيد احمد، أمجد حسين، الدكتور، وإبراهيم، محمد إبراهيم، الدكتور: محمد إقبال شاعر مشرق، الطبعة الأولى، مصر. القاهرة:سفارة جمهورية الباكستان ١٩٩٧مص ٧١-٧٢.

هـكـذا نـرى أن كـل آمـال إقبـال ارتبط من الشاب المسلم وهو يتقين أن هو الشاب المسلم الـذي قـدر أن يتـغير مقدر بنفسه ومقدر قومه بقوة جهد عقله، لونال المنصب الأولىٰ الذي كانوا حاز أجـدادهـم وهـو يـمـكـن فـقـط بإيقاظ شعور الشاب المسلم، وقام إقبال بهذه مسؤلية، وأتم واجباته بأحسن طريق في حياته واتصل الشاب وأيقظ فهم الدين والقوم والقوة والعزة فيهم بشعره.

حياة اقبال في نظرة واحدة

"ولد في سيالكوت	١٨٧٦م
ذهب إلى لاهور لإكمال دراسته	١٨٩٠م
نال شهادة B.A	١٨٩٧م
نال شهادة M.A	١٨٩٩م
ذهب إلى لندن	١٩٠٥م
نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة	
من جامعة ميونيخ	١٩٠٨م
رجع من لندن فعمل محاميا في لاهور	١٩٠٨م
انتخب عضوا في الجمعية التشريعة في بنجاب	١٩٢٧م
انتخب رئيس الرابطة الإسلامية	١٩٣٠م
ذهب إلى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن	١٩٣١م
والي المؤتمر الاسلامي في بيت المقدس	١٩٣٢م"(١)

سيرة إقبال

لـقـد كـان إقبال رجلا تقيا ومحب العلم والأدب، وعاش للجمال والحق والخير، كان قيثاره علوية تهتف لبني الانسان في كل أمة، لأنه مسلم، "والمسلم عند إقبال صاحب إيقاظ و الفهم ويقول: "الـمسـلـم كـالـشـمـس يتـوهـج ضوؤها الساطع حيث طلعت...... وحاجة الكون إليه ليست أقل من حـاجتـه إلـى الـمـاء والـنـور والحرارة، إن المسلم جسمه من تراب لكن قلبه من نور...... والمسلم في الـحـقيـقة عـالـمية لا تـعـرف حدوده الطين والأرض، ليست دجلة والنيل إلا أمواجا صغيرة في بحره المتلاطم، وكل ما كان لله من أرض وبلاد فهو بلده ووطنه".(٢)

ومن أخلاق إقبال ما وصفه به صديقه الأستاذ "إحسان حقي الشامي" (٣)بقوله:

١- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: رسالة الشرق، ص١٧.

٢- اظهر، ظهور أحمد، الدكتور: إقبال العرب على دراسات إقبال، ص١٠١-١٠٢.

٣- إحسان حقي: كاتب إسلامي من سورية عاش من فترة طويلة في باكستان.

"وكان محمد إقبال لطيف المعشر، متواضعاً، أنيساً، هادئاً، قليل الكلام، وإذا تكلم تكلم بهدوء وبصوت منخفض، ولم أره في يوم من الأيام ثائرا أو غاضباً، مهما كانت الأحوال، بل كان يتلقى كل شيئ وكأنه عادي، لا يمكن أن يكون غير ما كان، وكان الداخل عليه إذا كان لا يعرفه لايميزه عن غيره من جلسائه بشيئ لما كان يتحلى به من بساطة وهدوء".(١)

وكان إقبال رجلا متواضعاً، زاهدا، غير مقبل على الدنيا ولا تهمه المناصب ولو طلبها لوصل فيها إلى أعلىٰ المناصب، وكان لا يملك إلا بذلة واحدة يتعاهدها بالإصلاح إذا أصابها تمزق ويكتفي من اليوم برغيفين رقيقين ولا يتناول العشاء إلا قليلاً، وكان عمله بالمحاماة، يقتصر على تأمين قوته فقط ولا يأخذ أجراً غالياً على مرافعاته، وكان لا يقبل المساعدة من أحد حتى أنه رفض مساعدة شهرية من آغا خان(٢) تقرر ٥٠٠ روبية معتذرا بعدم حاجته إليها.

هكذا لا يحب إقبال أن يساعده أحداً إلا الله وهذه هي الصفة يريد إقبال أن يغرس في نفوس المسلمين.

ويقول اقبال:

ليس غير الله يرجوا المسلم — وهو للناس جميعاً سلم

لا تبثن شكاة أحداً — لاتمدن إلى الخلق يدا

بالشعيرا قنع تقيل حيدراً — "مرحباً فاقتله وافتح "خبيراً (٣)

لاترم رزق لئيم ينغص — يوسف أنت فأني ترخص (٤)

خفف الزاد، طريق وعر — ش ومت حراعداك الغرر

اجعل أقلل من الدنيا الشعار (٥) — وتعش حرابها كل الفخار (٦)

وهكذا فإن إقبال كان عالماً عاملا، لايكتفي بالكلام، وسلوكه، لا يتناقض مع مبادئه التي يؤمن بها، وعاش كأنه بقية من السلف الذين عاشوا لدينهم، ولم تغرهم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها.

١- الاعظمي، محمد حسن، الشعلان، الصاوي علي، الشيخ: الأعلام الخمسة للعشر الاسلامي. القاهرة: دار احياء الكتب العربية. بدون التاريخ،ص١٣٧.

٢- وهو سلطان شاه محمد، آغا خان، ولد في نوفمبر ١٨٧٧، وكان أمام طائفة الإسماعيلية وعضو الرابطة الاسلامية وتلقب "راية بنو امية" من دولة شام فى سنة ١٩٠١، ونال لقب" وردة أحمر" و "وردة الأبيض" من حكومة اندونيشيا وتوفى سنة ١٩٥٧م وقبره في مصر.

٣- مرحب: أحد رؤساء اليهود في خيبر، قتله على بن أبي طالب فى خيبر. تقيل: تشبه حيدر: على رضي الله عنه.

٤- يشير إلى يوسف عليه السلام الذي يرفع عن المناصب والمال في سبيل ايمانه ودينه.

٥- يريد به ما يروى عن عمرؓ قوله: أقلل من الدنيا تعش حراً.

٦- الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي، ص١٣٨.

التلقّب بـ"سير"

في سنة ١٩٢٢م، لما اشتهر كتابه "أسرار خودي" في أوربا (١). قدم لاهور صحفيٌ انكليزي ساح في الشرق وسمع صيت إقبال الأدبي في أوربا وآسيا. فأشار على حكومة بنجاب أن تمنح الشاعر الكبير لقب "سير" فدعي إقبال الى دار حاكم بنجاب الإنكليزي لأول مرة، وقد حكي أحد أصدقائه مرزا جلال الدين:

"أنه لم يرغب في إجابة الدعوة وأنه ألح عليه وحمله في عربته إلى دار الحاكم، ثم اقترحت له ألقاب أقل من رتبة سير فأباها، ثم عرض عليه لقب "سير" فرغب عنه ولكن أحد كبار أصدقائه النواب السير ذو الفقار علي خان(٢) أصر على قبوله، فقبل على شرط أن يمنح أستاذه مير حسن لقب "شمس العلماء" عند ما سئل الإقبال ما ذا صنّف أستاذه، فقال اقبال أنا (إقبال) بنفسه تصنيف أستاذه". (٣)

وقد أخذ بعض الناس إقبال بقبول هذا اللقب من الانكليز و اذاعوا عنه أقاويل، ونشرت بعض الصحف نظما ونثرا فيهما هزو بالشاعر الثائر داعية الحرية، وما كان بقبول هذ اللقب أثر ما في نفس الشاعر الفيلسوف وعمله وما زال طيلة حياته ينفث شعره في النفوس حياة وقوة ودعوة إلى الحرية وايقاظا للمسلمين خاصة، وتبصيرالهم بمكانهم في هذا العالم ومكانتهم في تاريخ.

مرض إقبال ووفاته

في سنة ١٩٣٥م توفيت زوجة اقبال، قرين حياته، الزوجة الصالحة التي قاسمته كفاحه وآلامه، فأحزنه موتها كثيرا، ثم أصيب بعلة القلب التي استمرت تنقص من قوة جسمه تدريجا، ولكنها لا تنال من عقله وروحه شيئاً، فلم ينقطع عن التفكير والبيان ونظم الشعر حتى الأيام الأخيرة

١- ترجمها (أسرار خودي) بروفيسور نكلسون باللغة الانكليزية ونقاد المعروف مستر اے، ايم فارستر علق على الاخبار بالتفصيل. هذه الكتاب في مجلة الأدبية" أتهيتم، وبروفيسور دكنسن من كمبردج علق على الأخبار هذه الصيت الإقبال في جريدة "نيشى ويكلى".

٢- ولد ذوالفقار على خان فى لاهور سنة ١٨٧٦م، وكان زعيم مخلص، كتب كتاب على شخصيته ونظرياة إقبال باللغة الإنكليزية. توفى ٢٦ مايو ١٩٣٣م، وقبره في سالير كوتله.

٣- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص٤١-٤٢.

- انظر: الندوي، عبدالسلام، مولانا: إقبال كامل(الأردية)، ص٢٦-٢٧.
- انظر: روزنامه امروز (الجريدة اليوميه "امروز") ٧ نوفمبر ١٩٨٨.
- انظر: س ـ الف ـ واحد: فكر اقبال كا تعارف (الأردية) أفكار اقبال وأراؤه، ص٢٣-٢٤.
- انظر: عبدالرحمن، خليل الرحمن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص٥٨-٥٩.

من عمره(١)واشتدت عليه العلة في الشهور الأخيرة من حياته وقد أشار إقبال إلى أمراضه في المكاتبته المختلفة كتب الى الاصدقاء(٢) ويظهربهم أن أصيب إقبال بمرض في الكلي عام ١٩٢٨م بسبب تكون الحصى في كليته، فأرادأن يذهب إلى أوروبا للعلاج ولكن اقترح عليه أحد أصدقائه أن يأخذ العلاج على طريق الطب اليونانى القديم، كما أشار عليه بعض الأصدقاء ه أن يختار لعلاجه الطبيب عبدالوهاب الأنصاري المعروف بالحكيم نابينا صاحب (الطبيب الأعمى) وكان الحكيم نابينا مقيما في الدهلي، فذهب إقبال إليه وأخذ علاجه حتى شفي من ذلك المرض، ولم يتكرر إلا قبيل وفاته في عام ١٩٣٧م ولكن أصابه مرض النقرس إثر ذلك، حتى لم يقدر على المحاماة وكان يتابع القضايا المتعلقة به في المحكمة حتى توقف عنها في عام ١٩٣٤م إذ أصيب بخفوت صوته وتضاؤله حتى أصبح كلامه همسا.

ويبين عبد السلام الندوي طبيعية اقبال في كتابه كذلك:

"ذهب إقبال إلى المسجد الشاهي (الملكي) بلاهور لأداء صلاة العيد في صباح العاشر من يناير ١٩٣٤م في الملابس الخفيفة، وكان الطقس بارداً ورطباً للغاية، فأصابه البرد، إضافة إلى ذلك أنه أكل قدرامن حلوى الشعرية باللبن بعد أن رجع من الصلوة، فأصيب بالسعال والزكام الشديد ضبّح صوته واشتدت مرضه، و دعاه صديقه السير راس مسعود وزير التعليم في ولاية بهوبال يومذاك، فذهب إقبال إليه وأقام عنده خلال فترات متفرقة وهي يناير مارس ١٩٣٥م ويوليو أغسطس من نفس العام ومارس إبريل ١٩٣٦م، ولكن لم يعد إليه صوته بالعلاج الكهربائى أيضاً".(٣)

وبدأ إقبال يشتكى من ضيق النفس وسرعته في نهاية عام ١٩٣٦م فجربّ كافة أنواع العلاج المحلي والغربي، وظل تحت الرعاية التامة للطبيب نابينا والطبيب محمد حسن القريشي كما أنه أخذ علاجا عند غيرهما من الأطباء البارعين ولكن لم تثمر جهودهم واشتدت المرض في إبريل.

ويكتب أبو الحسن الندوي في هذا الصدد:

"وكان الشاعر يشتكي أدواء يغلبها وتغلبه، وانحرفت صحته أخيرا، وظل أياما طويلة رهين الفراش، ولم يزل لسانه يفيض بالشعر، ويملي الكتب، والمقالات ويقابل الأصدقاء والزوار والعواد ويحادثهم في الشئوون الإسلامية والعلمية ومما نشر له في هذه الأيام، مقالة مستفيضة في الرد على

١- الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع اقبال ص٢٤-٢٥.

٢- انظر:الطرازي:عبدالله مبشر، الدكتور: الشاعر الاسلامي الكبير:مجلة اقباليات (عربي) العدد الأول ١٩٩٢م، ص١١٦-١١٧.

٣- الندوي، عبدالسلام، مولانا: اقبال كامل (الاردية)، ص٤٥-٤٩.

- وانظر: نداء اقبال مؤتمر اقبال بدمشق، كلمة ترحيب، مكتبة الاسد، ص١٤-١٥.

القومية، تناقلتها الصحف وتحدث بها الناس، ومما قال قبل وفاته بأيام، جنة لارباب السمم، وجنة للعباد و الزهاد، قل للمسلم الهندي أبشر، فان في سبيل الله جنة أيضاً".(١)

وما زالت مرض إقبال تشتد يوما فيوماً وكان يقترب إلى الموت وهو متقد الفكر، قوي القلب، يصوغ عقله كلمات يوقظ بها النفوس النائمة، وينثر قلبه شراراً ليشعل به القلوب الهامدة وكان يعني بنظم كتابه "أرمغانِ حجاز" هدية الحجاز، وكان قلب الشاعر يهفوا إلى الحجاز وقد تمنى خاتمة كتابه "رموز بي خودي" أن يموت في الحجاز، ومما نظمه في أشهرة الأخيرة.

نشان مرد مومن با تو گويم جو مرگ آيد تبسم برلب اوست
(آية المومن أن يلقى الردي باسم الثغر سرورا و رضا) (٢)

وروي عن راجه حسن، وكان مع إقبال ليلة وفاته، أنه اقبال رحمه الله أنشد قبل موته بنحوعشر دقائق:

سرود رفته باز آيد كه نايد نسيمى از حجاز آيه كه نايد
سر آمد روزگار ايں فقيرى دگر دانای راز آيد كه نايد (٣)
أيرجع من نعيمي ما تولّى ومن أرض الحجاز الريح ؟ كلا
وهذا العمريالهفي تقضى فهلا عاد من من أحببت هلّا (٤)

وبلغ مرض إقبال مبلغ الخطر في التاسع عشر من ذلك الشهر، وقال و هو يجود بنفسه:

"أنا لاأخشي الموت، أنا مسلم، ومن شأن المسلم أن يستقبل الموت مبتسما".(٥)

وكان ذلك آخر برهان إقامه على صدق الإسلام وإيمان المسلم ويقينه.

ولفظ نفسه الأخير في حجر خادمه القديم علي بخش، وفاضت روحه في صباح الحادي والعشرين منه قبيل طلوع الشمس وظل خادمه علي بخش مستقيظا معه تلك الليلة فسمعه يقول:

"اللهم ههنا أحس بالألم وأشار إلى قلبه ثم أغمض عينيه مبتسما متوجها إلى القبلة حتى لفظ أنفاسه الأخيرة من الساعة الخامسة والربع صباحا وغربت هذه الشمس التي ملأت القلوب حرارة

١ـ الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع اقبال، ص٢١.

٢ـ ماخوذ من الترجمة العربية : عزام، عبدالوهاب، الدكتور: رسالة الشرق، ص:٥.مقدمة الكتاب.

ـ وانظر:عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته و فلسفته وشعره، ص ٤٣-٤٤.

٣ـ كليات أقبال(فارسي) ارمغان حجاز ، ص٢٤.

٤ـ الترجمة العربية : المصري، د.حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص٤٢٧.

٥ـ الندوي، أبو الحسن علي الحسني: روائع اقبال، ص٢١.

ونوراً قبل أن تطلع شمس ٢١ ابريل ١٩٣٨".(١)انا لله و انا اليه راجعون.

تدفين إقبال

وكانت عيون المسلمين مملوء ابا لحزن على وفاة شاعرهم القومي، ونعرف أن كانت كل عين مملوءة بدموع في ١٩٣٨م و وجع الفراق كان يظهر من وجوه الناس، وسار مركب الجنازة في الساعة الخامسة من شارع علامه إقبال، قبل أن يسير مركب الجنازة ألقى ركن حاكم بنجاب مستر كرامت الله على جسده رداء الأزهار، وقدسد سرير بالقصب الكبيرة، لكي يمكن لكثير من الناس أن يضعوا أكتا فهم بسرير الميت، أمام الجنازة كان علم الرابطة الإسلامية، ووراءه كان الآف من الناس عويل على ميته، بلغ الجنازة من شارع السكة الحديدية إلى الكلية الاسلامية. (للأطفال) ولكن بعد خمسة عشر دقيقة نقلت من الكلية الإسلامية إلى المسجد الملكي بسبب الازدحام الكبير، حيث يصلي عليه الناس. بدأ التدفين في الساعة الثامنة وانتهى في الساعة العاشرة، وعاش إقبال حياة المسلم وعند وفاته استقبل الموت راضيا مسروراً بالإيمان القوي.

والحرف الأخير لفظه حكيم الأمة ومحب رسول "إقبال" كان "الله" وبعد وفاة إقبال وصل أخوه الكبير عطا محمد إلى المسجد الملكي وكان يبكي ويقول:

"أريد أن أرى وجهه إقبال، لماذا كان إقبال قال لي مرة" عند ما يموت الرجل المؤمن، يرقص ابتسام على وجهه، أنا أريد أن أرى ذاك الإبتسام على وجهه. ويروي خالد نظير صوفي عن والده:

"وكان اقبال مستريحًا على سرير الميت كأنه ينام، وكانت عيونه مغلقة بلين والابتسام الخفيف كان موجوداً على شفته".(٢)

عمره

وتوفى إقبال وعمره بالتوقيت الهجرى:

١- أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: إقبال العرب على دراسات اقبال، ص ١٠٥.

- انظر:عزام، عبدالوهاب، الدكتور:پيام مشرق، ص١٧.

- انظر:السيد جمال الدين، محمد سعيد، الدكتور: رسالة الخلود (جاويد نامه) ،ص٤.

- انظر: س ـالف ـواحد: فكرِ اقبال كا تعارف (الاردية) افكار اقبال و آراءه، ص٣٣-٣٤.

- وانظر: روزنامه امروز (الجريدة اليومية، امروز) ٧ نوفمبر ١٩٨٠م.

- وانظر: عبدالرحمن ، خليل الرحمن: إقبال وموقفه من الحضارة الغربية،ص١٠٦.

٢- انظر:رضوان أحمد ساگر: علامه اقبال كا سفرِ آخرت (الأردية) (رحلة اقبال إلى الآخرة)، روزنامة امروز، الجريدة اليومية "امروز" ٢٢ ابريل ١٩٩١م.

سبعًا و ستين سنة و شهرا و ستة و عشرين يومًا.

والحساب الشمسى، خمسا و ستين سنة و شهراً و تسعة و عشرين يومًا".(١)

ضريح محمد إقبال

ويقول عبد الوهاب عزام:

"واختيرت لدفنه بقعة من الساحة الخارجية للجامع الملكي بلاهور الذي شيده الملك اورنك زيب عالمكير(ت١١١٨هـ /١٧٠٧م) فدفن في تلك البقعة بموافقة حكومة البنجاب الرسمية على ذلك، اتخذت هذه الخزانة لهذا الكنز، بل اتخذ هذا الصوان لهذا الكتاب الخالد".(٢)

ثم يقول:

"وقد أهدى ملك أفغانستان ألواحا من أثمن الرخام لبناء ضريحه، وعلى الضريح صفائح من المرمر، وقد كتب على شاهده أن محمد نادر شاه ملك الأفغان أمر بضع هذا الضريح اعترافامنه ومن الأمة الأفغانيه بفضل الشاعر إن في هذا الضريح الثاوي في حضانة المسجد الكبير، الذي بناه محيي الدين اورنك زيب، الذي بلغت دولة المسلمين في عهده أوج عزتها، والقائم على مقربة من الآثار الرائعة التي خلّفها ملوك المسلمين في قلعة لاهور الهائلة، إن في هذا الضريح لوحيا لا يفتر، وذكرى لا تنقطع من حاضر المسلمين وماضيهم، ومن معالي الإسلام وشعر إقبال، وأن شعر إقبال ليُجلّى لقارئه حضارة الإسلام وتاريخه، في صور رائعة هائلة، ويفسر هذه الآثار المحيطة به تفسيرا جميلا جليلا، وأن من يقرأ شعر إقبال يستأنف في الإسلام وتاريخه نظرا، ويجد فيه تفكيرا".(٣)

وقال الدكتور عبدالوهاب عزام بعض الأبيات عربية لضريح إقبال وقد وعد أوصياء إقبال أن يضعوها في جدارحجرة الضريح حين يتم بناؤها و هذه هي الأبيات:

عربي يهدي لروضك زهرا ذا فخار بروضه واعتزاز

كلمات تضمنت كل معنى من ديارالإسلام في إيجاز

بلسان القرآن خطت فقيها نفحات التنزيل والاعجاز

فاقبلها على ضآلة قدري فهي في الحق ارمغان حجاز" (٤)

١- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد اقبال سيرته و فلسفة و شعره، ص: ٤٣-٤٤.

- وانظر: الشيخ الولى: محمد اقبال شاعر الإسلام: مجلة إقباليات (عربى) العدد الأول: ١٩٩٢م. ص١٧٩-١٨٠.

٢- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص٤٥.

٣- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص٤٦.

٤- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: بيام مشرق، ص ٦-٧.

صدى نعيه في الهند

حين انتشر نبأ وفاة اقبال في أرجاء الهند، عطلت دواوين الحكومة وأغلق التجار محلاتهم و تقاطر الناس زرافات و مشوا إلى بيت الراجل الفقية"جاويد منزل".(١) بدأ قادتها وزعماؤها من المسلمين والهندوس ينعونه على السواء، بما فقدوا المرشد الهادي وافتقدوا الدليل الحادي ،وبما حرموا هذا الينبوع الشرابل النهر الهدار، وقد رددت هذه الحسرة مقالاتهم، ورسائلهم وأشعارهم وشارك المسلمين غيرهم في الأسى عليه وأكبار فقده، وقراء العربية أكثرهم، لايعرفون كبراء الهند وأدباء ها، فأثبت هنا طرفا من أقوالهم، وقدكان نبأ وفاة إقبال صاعقة وقعت على رأس الشاعرالهندي العظيم "طاغور" فما كان منه إلاأن يعبرعن ألمه الشديدلعالم يقوله:

"تركت وفاة إقبال في أدبنا خلايشبه جرحاً مهلكاً ولن يشفى هذا الجرح الابعد زمن طويل غير محدد، إن مكانة الهند في العالم غير مكنية، فموت شاعر عالمي كإقبال مصيبة لا تحتملها البلاد، ومما قال طاغور".

لاريب عندي أن ما ناله شعر إقبال من قبول وصيت يرجع الى ما فيه من نورالأدب الخالد وعظمته ويؤسفني أن بعض النقاد وضع أدبي وأدب إقبال في ميزان المنافسة وجهد وا أن يشيعوا أغلاطهم في هذا الشأن وهذاعمل لايليق بالأدب الفسيح الذي يخاطب النوع الأنساني كله لأن في ساحة الأدب العالي يقوم الشعراء وأولوالفن في صف من الأخوة الإنسانية، ويقيني أني و محمد اقبال عاملان للصدق و الجمال والأدب، وبوفاة إقبال هذا الجرح لن يملأ إلا بعد مدة مديدة، وكان شعره من نورانية الأدب الخالد وعظمتة ".(٢)

قال القائد محمد علي جناح

كتب محمد على جنا ح(ت١٩٤٨م) إلى ابن إقبال بعد وفاته:

"ولقد كان إقبال شاعرا منقطع النظير، طبق صيته الأفاق،وستبقي كلماته ومساعيه لأمته وبلده حية أبدا،وإن وفاته اليوم خسارة كبيرة للهند عامة و للمسلمين خاصة، وكان لي صديقاو مرشدا وفيلسوفا، وكان في أحلك الساعات التي مرت بالرابطة الإسلامية راسخا كالصخره، لم

١- هي دار صغيرة، محتوية على طبقة واحدة، يلج داخلها إلى فناء صغير وإلى شمال كان حجرة إقبال، وكان ينام فيها ويكتب شعره ويمضى كثيرا من وقته.

٢- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سير تة وفلسفة و شعره من ٤٦-٤٧.

- وانظر:الفلوجي، مهدي جمود: إقبال شاعر ومفكرا، ص ٥٩-٦١.

- وانظر:مجموعه من الكلمات والخطب والمحاضرات التي ألقيت بمنا سبة الذكرى المؤية لميلاد العلامة محمداقبال.

يزلزل لخطة واحدة قط". (١)

وقال مولاناأبو الكلام آزاد(٢)

"ان وفـــــاة إقبال لتثيرفينا أشد الحزن فإن الهند الحديثة لم تستطع أنتاج شاعر أردي عظيم مثلـه، ولشعـره الـفارسي أيضا مكانة خاصة في الأدب الفارسي الحديث ، وإن وفاة لخسارة للشرق بأكلمه وليست للهند فقط، وبالنسبة لي شخصيا فانني فقدت صديقا قديما من أعز أصدقائي". (٣)

١ـ عبدالرحمن، خليل الرحمن: اقبال و موقفه من الحضارة الغربية، ص ١٠٨-١٠٩.

٢ـ وكـان اسـمـه مـحـي الدين أحمد، وكان وطنه دهلي، ولد فى نوفمبر ١٨٨٨م في مكة، وتوفى ١٩٥٨م. اعطاه عبدالـواحـد خـان لـقـب "آزاد" بعد الكتابة نظمه الأول، وتصنيفه كثيرة مثلاً ترجمان القرآن (مجلدتان) البيان، البـصـائـر، غبـار خـاطـر، نظامات، تذكرة، جامع الشواهد، مكاتيب، اسلام اور آزادى (اسلام والحرية) حضرت يوسف، اصحاب كهف، كاروان إقبال ومقالات آزاد وغيره.

٣ـ نداء إقبال مؤتمرإقبال بدمشق : كلمة ترحيب، مكتبة الأسد ، ص ١٤ـ١٥.

ـ وانظر: الشيخ الولي:محمد اقبال شاعرالأسلام: مجلة اقباليات (عربي) العددالأوال١٩٩٢، ص١٨.

الباب الثالث
الموضوعات المدح النبوي عند شوقي و إقبال

الفصل الأول: نبذه عن المدح النبوي عبر العصور

الفصل الثاني: البيئة والأحوال التي دفعت شوقي وإقبال إلى المدح النبوي

الفصل الثالث: الموضوعات التي تناولها شوقي وإقبال في المدح النبوي

الفصل الرابع: الخصائص اللغوية والبلاغية في مدحهما للنبي صلى الله عليه وسلم الصورة والخيال والعاطفة والموسيقي وغير ذلك

الفصل الأول

نبذه عن المدح النبوي عبر العصور

قبل أن نستعرض نبذة عن المدح عبرالعصور، علينا أن نبحث ما هو المدح النبوي و آثاره فيتاريخ الإسلام و في المذاهب الآخرى السماوية و غير السماوية واهتمام الناس ـ مسلمين أو غير مسلمين سواءـ إلى هذا النوع الأدبي أي المدح النبوي عبر العصور.

ماهو المدح

يقول الدكتور عمر فروخ:

"المدح هو فن من فنون الشعر، كان الجاهليون يمدحون بالمكارم التي كانوا يفخرون بها". (١)

وقال الدكتور شوقي ضيف:

"المدح في الجاهلية كان ضربين:

الأول: مديحاً للشكر والإعجاب، يغلب على أهل البادية كما نرى عند امرئ القيس وعند زهير بن أبي سلمى.

والثاني: مديحاً للتكسب يغلب على أهل الحضر وساكني الحضراء والمترددين على الحضر، كما نرى عند النابغة والأعشى". (٢)

وأنواع الشعر في الجاهلية كانت ثلاثه:

١ـ غنائي أو وجداني

٢ـ قصصي

٣ـ تمثيلى

الشعر الغنائي أو الوجداني

وهو أن يستمد الشاعرمن طبعه وينقل عن قلبه ويعبر عن شعوره.

١ـ فروخ عمر، الدكتور: تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار العلم للملايين، بدون التاريخ. ٨٣/١.

٢ـ ضيف شوقى، الدكتور، تاريخ الأدب العربي، ص ٤٠.

الشعر القصصي

وهو نظم الوقائع الحربية والمفاخرا لقومية في شكل قصة، كالإلياذة والشاهنامة.

الشعر التمثيلي

وهو أن يعمد الشاعر إلى واقعة فيتصور الأشخاص الذين جرت على أيديهم وينطق كلامهم بما يناسبه من الأقوال، وينسب إليهم مايلائمه من الأفعال". (١)

والغنائي أسبق هذه الأنواع إلى الظهور، لأن الشعر أصله الغناء كما علمت، والإنسان إنما يشعر بنفسه قبل أن يشعر بغيره، ويتغنى بعواطفه قبل أن يتغنى بعواطف سواه.

ويقول الدكتور شوقي ضيف في هذا الصدد:

"تعود العرب منذ العصر الجاهلي أن ينو هوا في أشعارهم بأشرافهم وذوي النباهة منهم يتحدثون عن خصالهم النبيلة من الكرم والشجاعة والحلم والوفاء وحماية الجار كان يعد السيد فيهم كاملا إذا تغنى نباهته و مناقبه غير شاعر و مضوا على هذه السنة في الإسلام، فكل سيد فيهم وذي مكانة يود لويحظى بشاعريشيد به يسير الركبان بذكره".(٢)

و كان العرب لا يمدحون إلا مستحقاًبه ويكتسبون به الثروه والشهرة.

ويقول أحمد حسن الزيات:

وكانت غاية الماد حين من قدماء الشعراء في الجاهلية إما شكر الممدوح لحسن صنعيه وإما التباهي بمناقبه والافتخار بانتماء إليه". (٣)

وفي رأي الاسكندري:

والمدح هو الثناء على ذي شان بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعدل والصفة والشجاعة وأن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه وتعدادمحاسنه الخلقية كالجمال ولبسطة

١ـ الزيات ، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي ـ ص٢٧ وانظر: أحمد الهاشمي: جواهر الأدب ـ ص٣٩١ـ٣٩٤. وانظر: طه حسين ، الدكتور: في الشعر الجاهلي، ط: القاهرة.

٢ـ ضيف شوقي، الدكتور: تاريخ الأدب العربي ـ ص ٤٠ .وانظر : الرافعي ، مصطفى صادق: تاريخ آداب العرب. ط:القاهرة.

٣ـ الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، ص٦٥ .وانظر ابن سلام : طبقات الشعراء . ط: القاهرة.

الجسم والعلم". (١)

وكان الشعراء يبالغون في مدح الممدوحين قبل الإسلام فلما جاء الإسلام ومنع الشعراء أن يبالغوا في المدح والثناء وعين حدود المدح ونهى عن الكذب والغلوفي الشعر كما قال النبي ﷺ.

"ولا تطروني كما أطرت النصارىٰ ابنِ مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله". (٢)

حقيقة المدائح النبوية

لو ألقينا نظرة على تاريخ الأدب العربي لبرز لنا أنه ما اهتم الشعراء من القد ماء والمحدثين أي اهتماماً كثيراً بصنف هذا الفن الشريف فى اللغة العربية بل كانوا يميلون إلى الرثاء والوصف والنسيب.

ويقول الدكتور زكى مبارك في هذا الصدد:

والمدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب بالصدق والإخلاص، وأكثر المدائح النبوية قيل بعد وفاة رسول ﷺ، وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء، ولكنه في رسول الله ﷺ يسمى مدحاً، كأنهم لحظوا أن رسول الله موصول الحياة، وأنهم يخاطبو نه كما يخاطبون الأحياء، وقد يمكن القول بأن الثناء على الميت لايسمى رثاء إلا إذا قيل في أعقاب الموت، ولذلك نراهم يقولون: قال حسان بن ثابت يرثي النبي ﷺ ليفرقوا بين حالين من الثناء: ماكان في حياة (رسول) وما كان بعد موت(ﷺ) بخلاف مايقع من شاعر ولد بعد وفاة النبي ﷺ، فإن ثناؤه عليه مديح لارثاء، لأنه لاموجب للتفرقة بين حال وحال، ولأن الرثاء يقصد به إعلان التحزن والتضجع، على حين لا يراد بالمدائح النبوية إلا التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل". (٣)

وهكذا بدأ المادحون المدح النبوي بصدق القلب ومطهر الخيال والفكر، لأن شخصية النبي جديرة أن تمدح به .

١- الاسكندري أحمد، العلامة: تاريخ الأدب العربي وتاريخه، مصر: دار المعارف . ١٣٣٥هـ/١٩١٦م .ص٤٨.

٢- مشكوٰة المصابيح: ٥٩٣/٢ .وانظر: أحمد بن محمد بن حنبل، الامام: المسند. دار المعارف ١٩٤٦م،١٦٣/١.

٣- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي، مصر : مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٩٣٥م ص١٨.

وقال الله تعالىٰ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١)

ويقول أحمد بهجت في كتابه:

"ولقد كان جوهر دعوات الأنبياء السابقين هو الاسلام، وكان عنوان رسالته هو الإسلام، فتأمل أنت أى اعجاز أن يكون العنوان جوهرا، ذلك هو محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب، ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وسيد أبناء آدم، وعبد الله و رسوله، ورحمة الله المهداة المبشر". (٢)

السيرة المحمدية سيرة تاريخية

الوصف الخاص الذي يتصف به سيدنا و نبينا محمد ﷺ ولم يحصل عليه غيره أنه كانت سيرته سيرة تاريخية ، أما غيره من الأنبياء، فلم تختم النبوة بأحدمنهم، ولم تكن سيرتهم خالدة، بل ولا محفوظة، وقد أرسلوا إلى أممهم خاصة، وإلى زمن خاص لأجل مسمى، ثم نسيت تلك السيرة وامحّت بكرّ لليالي ومرور الأيام. إن الله أرسل من الأنبياء عشرين ألفا ومائة ألف، فكم نبيا منهم نعرف أسماء هم؟ هل نعرف عن سيرتهم كثيرا أوقليلاً؟ أما محمد ﷺ فكان عظمته عندالله كثيراً، وخلق الله العالم لمحبوبه ﷺ.

وروى عن شريح بن يونس أنه قال:

إن اللّه تعالىٰ يحب اسم أحمد ومحمد، وعن ابن عباس، قال: على باب الجنة مكتوب أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولُ الله، وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوبا محمد تقي، وسيد امين.

وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه إذا كان يوم القيامة نادى مناد من يكرم اسم محمد، فليدخل الجنة لكرامة اسمه ﷺ". (٣)

١- سورة الانبياء، الآية : ١٠٧

٢- بهجت، أحمد : أنبياء الله، ص ٣٧١.

٣- النبهاني، يوسف بن اسماعيل، الشيخ :جواهر البحار في فضائل النبي المختار. مصر : مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م. ٤٢/١.

- وانظر: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، النيسا بوري: الجامع الصحيح . كتاب الفضائل ، باب: فضل اسم النبي . الطبعة الأولى ، بيروت : دار احياء الكتب العربية ١٣٧٣هـ/١٩٥٥م. ٦٠/٧.

وهكذا يظهر عظمة سيدنا محمدﷺ عند الله ، إن اللّٰه بدأ هذا الكون مع اسمه وأكمل دينه علـى حبيبه سيدنا محمد ﷺ. ونجدذكـر مـحـمـدﷺ في أديانِ العالـم.وهناك مذاهب عديدة في الدنيا، وهي تنقسم إلى قسمين:

وهي الأديان السامية والأديان اللاسامية.

وبـعـد دراسة هـذه الأديـان نـصـل إلـى النتيجة أن لا نعرف عن أحوال حياة هؤلاء المبلغين بـالتـفـصيل وكثير منهم لا يعرف الناس من حقائق أحوالهم إلا أسماء هم، وهم لا يحظون في كتب التـاريـخ بـمكانة، وإنما تعد سيرتهم من علم الأساطير و خرافات الوثنية، و مع ذلك فإن سيرة أولئك الرجال توجد من التاريخ، بل لا يعرف التاريخ ازمنتهم، فضلاً عن أن تتعين في الزمن قرونهم أوتعرف مـن قـرونهـم سـنوات حياتهم، ولكن سيرة محمد ﷺ محفوظة كاملة لا في الكتب الإسلامية، بل نـأخـذ ذكـره أيـضـاً فـي الـكتب المقدسة وكتب الأديان الأخرى.والقرآن الحكيم كله في المدح النبوي . الآن ننظر مدحه صلى اللّٰه عليه وسلم في القرآن الحكيم.

مدح محمد ﷺ في القرآن الحكيم

أخبـر الـلّٰـه تعالىٰ في كتابه العرب، أنه بعث إليهم رسولا من انفسهم يعرفون فضله ومكانته، ويتحققون صدقه وأمانته، عزيزا عليه ما يهوي بهم في الهوان، حريصا على دخولهم إلى دار الايمان، شريف النسب فيهم، رؤوفا رحيما بمؤمنيهم، وقرن طاعته بطاعته في قوله تعالىٰ:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ﴾(١)

واطـلـع فـي أفـق التـوفـيـق نـجمه، ورحمة للعالمين به فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا اَرْسَلْنٰكَ اِلَّا رَحْمَةً لِلْعٰـلَمِيْنَ﴾(٢) فمن أصابه شئي من رحمته فقد فاز، وسماه فيه نورا، بقوله تعالىٰ:﴿يٰۤا اَيُّهَا النَّبِی اِنَّا اَرْسَلْنٰكَ شَاهِدًا وَّمُبَشِّرًا وَّ نَذِيْراً، وَدَاعِياً اِلَی اللّٰهِ بِاذْنِهٖ وَ سِرَاجاً مُنِيْراً﴾(٣)

و شرح بالرسالة صدره، ووضع عنه وزره الذي انقض ظهره، ورفع بذكره معه في الشهادتين

١- سورة النساء، الآية : ٨٠.

٢- سورة الأنبياء، الآية : ١٠٧.

٣- سورة الأحزاب، الآية:٤٥.

ذكره، وأظهر دينه على الدين كله وعظم أمره، ونعته في أم الكتاب بالصراط المستقيم وآتَاهُ سبعاً مِنَ المَثَانِي(١)، وأكرمه بمنزلة محكمة المباني.

"آتاه سبعا شمس آياتها — اضحت بآفاق المدى واضحة
فيها معان سرها غامض — يعرفها ذوا الصفة الرابحة
سور كتاب اللّه ماحله — أعظم منها سورة صالحة
تختم بالخير لقرائها — وهي الأبواب الرضى فاتحة" (٢)

وبعثه حرزا للاميين، ووضع كتاب الأبرار به في عليين، ورفعه إلى المحل الأسنى، وقربه منه فكان قاب قوسين أو أدنى، ونزه لسانه عن النطق بهواه، وفؤاده عن الكذب فيما رآه، وزكى جملته الجميلة وعصمها من الآفات، ولم يقسم بحياة أحد في قوله لعمرك من الخلق سواه، وأيده بأظهر البراهين وابهر المعجزات، واراده من تلك الرسل بقوله ورفع بعضهم درجات وأبعد العذاب عن أهل مكة، فقال تعالىٰ:﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾(٣) وأمر الدين هم فى حلية الإيمان به مجلون، إن يصلوا ويسلموا عليه بقوله تعالىٰ:﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾(٤) و﴿أَعْطَاهُ الْكَوْثَرَ﴾(٥)، ورد على عدوه بقوله:﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾(٦)، وظهره من الأقذار والأدناس، وبين علمته في قوله تعالىٰ،﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(٧)

"وحماه ممن كان يقصد ضره — بيد له مغلولة ولسان
ورعاه من نظر العيون بعينه — وكفاه شرطوا رق الحدثان
امده بحراسة وعناية — محفوفة باللطف والاحسان

١- سورة الحجر، الآية٨٧.
٢- النبهاني ، يوسف بن إسماعيل ، الشيخ : جواهر البحار في فضائل النبي المختار ، ٣/٩٩.
٣- سورة الانفال، الآية : ٣٣.
٤- سورة الأحزاب ، الآية : ٥٦.
٥- سورة الكوثر ، الآية : ١.
٦- سورة الكوثر، الآية : ٣.
٧- سورة المائدة ، الآية:٦٧.

وهـو الـجـديـر بـأن يعظم قدره عـنـد الـقـدير مدبر الأكوان" (١)

وأحسـن مخاطبته في سورة نون، و وعده فيها باجرغير ممنوع ولا ممنون، واثنى عليه ثناء، وبالغ في التمجيد والتأكيد بقوله تعالىٰ:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٢)واتحفه تبارك اسمه في سورة الفتح، بجزيل الصلات الواصلات والمنح، من ظهور وغلبته، وعلو شرائع شريعته و كلمته، وخضوع من تـرفـع مـن أعدائه ولكبر، وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، واتمام النعمة عليه، وإرسال الهداية عـليـه، ونـصـره النصر العزيز، ونصب حال من حوله على التميز، وانزال السكينة على قلب من تابعه، ورضاه ممن تحت الشجرة من الصحابة، وكم له (ﷺ) من معارف معروفة ومآثر ماثورة.

"شهـد الـكتاب بأن أحمد مرسل من صاحب الملكوت جل جلاله
كـم آية فيهـا اسـمـه يتلى و كم آخـرىٰ بهـا اوصـافـه وخلالـه
والـلّٰـه اقسـم صـادقـا بـخيـاتـه فـي مـحـكم شرح الصدور مقاله
سبـحـان مـن اولاه انـواع الـولا وأنـا لـه مـالا يـرام منـالـه
ازكـى الـصـلاة عليه من رب العلا ابـدا وخـصـص بـالـتحية آلـه" (٣)

ونـصـره بـالـرعب مسيرة شهر، وجعل له الأرض مسجد وطهورا، واحل له الغنائم، ودفع به الـعـظـائـم، وبـعـثـه إلـى الـنـاس كافة، وارسله بين يدى الساعة،وصرف عن الأذى وكتب اسمه على الـعـرش وعلى مواضع من الجنة، واعطاه أن لا تجوع امته ولاتغلب، وايده بالبراعة واللسن، وركب فيه كل خلق حسن.

"تبـارك مـن حـمـاه ومـن حبـاه بـحسـن الـخـلـق والخلق العظيم
واغـنــى أهـل مـلتـه بـدرٍ أتـى مـن بـحـر مـنـطـقـه نـظيـم
وصيـره لـمـن يـرجـوه كهـفـا وعـرفـه بـاصـحـاب الـرقيـم
وسـدد قـولـه وبـه هـدانـا جـميعـا لـلـصـراط المستقيم" (٤)

١ـ النبهـاني ، يـوسف بـن إسماعيل، الشيخ: جواهر البحار في فضائل النبي المختار، ص١٠٠ .وانظر: التهانوي، اشرف علي، مولانا: حبيب خدا . الطبعة الثانية ، لاهور: باكستان ، ١٣٦٨هـ/١٩٤٥م.

٢ـ سورة القلم ، الآية: ٤ .

٣ـ النبهاني ، يوسف بن اسماعيل، الشيخ : جواهر البحار في فضائل النبي المختار، ص١٠٠.

٤ـ نفس المرجع،ص٩٧، ١٠ـ١٧

وآتاه جوامع الكلم وخواتمه، وحث على إتباع سنته وجماعته، واظهر دينه على سائر الأديان واطلعه على جميع المعارف، وحماه من العيوب والنقائص، وغفرله الماضي والمستقبل إذا المحبوب لا يؤخذ بالذنوب.

"هو الحبيب الذي انوار طلعته | تخفى إذا عاينتها الشمس والقمر
هو الامام الذي مذآن طالعه | سر الزمان به واستبشر البشر
قد خص بالخلة المأنوس معهدها | وبالمحبة ممن امره قدر
لاغروان عادبالغفران مغتبطا | إن الذنوب من المحبوب تغتفر" (١)

ويقول سيد سليمان الندوى:

"لا ريب أن جميع الأنبياء كانوا شهداء ودعاة ومبشرين و منذرين، بيدأن هذه الصفات لم تكن سواسية في جميع الرسل، بل كان بعضها فى بعضهم أظهر من أخواتها، فكان يعقوب وإسحاق وإسماعيل عليهم الاسلام قد غلبت عليهم صفة الشهادة وكانوا شهداء الحق، وغلبت على إبراهيم و عيسٰى صفة التبشير فكانا مبشرين، ومن الأنبياء من غلب عليه وصفه الانذار لمن خالف الحق وجحده فكانوا منذرين كنوح و موسٰى وهود و شعيب، ومنهم من غلب عليه صفة الدعوة إلى الحق وامتازبها أكثر مما امتاز بسائر النعوت الأخرىٰ كيوسف ويونس عليهم الصلاة والاسلام جميعا، وأما من كان جامعا لهذه الصفات كلها واتصف بها جميعا فكان مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا و كانت حياته ملأى بهذه النعوت والشؤن و سيرته ممتازة بهذه الخصال والخلال، فهو النبي الجامع محمد لأنه بعث ليختم الله به النبيين والنبوة، فأعطى الرسالة الأخيرة يبلغها إلى البشر كافة، فجاء بالشريعة الكاملة التي لا يحتاج البشر معها إلى غيرها، ولم تنزل من السماء إلى الأرض شريعة على قلب بشر بعد هذه الشريعة، فكانت نفس محمد جامع لجميع الأخلاق العالية وقد بعث ليتم مكارم الأخلاق". (٢)

وذكر الله تعالىٰ حبيبه ﷺ في كتابه العزيز بأسماء عديدة ويبين مناصبه الجليلة الذين لاحظ

١- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: جواهر البحار في فضائل النبي المختار، ٣/٩٨-٩٩.
- وانظر: الحاج، مفتي أحمد يار خان: شان حبيب الرحمن من آيات القرآن. كراتشي، باكستان: ازهر بك دبو، بدون التاريخ.
٢- الندوي، سليمان، السيد: رسالة المحمدية، الطبعة الثانية. دمشق: مكتبة دار الفتح ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م. ص٤٢-٤٤.

لأحد إلا سواه، ولن نبالغ قط إذاً نقول أن كل قرآن في مدح محمد ﷺ .

اسماء النبي و كناه و ألقابه ﷺ

ينادي اللّٰه أنبياء ه في القرآن الكريم باسماء هم كما يقول:

﴿يٰآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾(١)

﴿وَنَادَيْنَاهُ اَنْ يّٰاَبْرٰهِيْمُ﴾(٢)

﴿يا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هٰذَا﴾(٣)

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِيْنِكَ يَا مُوْسٰى﴾(٤)

﴿يا ذَكَرِيَّا اِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾(٥)

﴿يا يَحْيٰ خُذ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾(٦)

﴿يا عِيْسٰى اِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ اِلَيَّ﴾(٧)

﴿ولـكـن لم ينادي في القرآن كله النبي الكريم "يا محمد صلى اللّٰه عليه وسلم" بل يخاطبه باسمائه خصوصية، كمثل، يٰاَيُّهَا الرَّسُوْلُ﴾ (٨)

﴿يَا اَيُّهَا النَّبِيّ﴾(٩)

﴿يَا اَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ (١٠)

﴿يَا اَيُّهَا الْمُدَثِّرُ﴾ (١١)

١- سورة البقرة ، الآية :٣٥.

٢- سورةالصافات ، الآية:١٠٤.

٣- سورة هود، الآية:٧٦.

٤- سورة طه، الآية: ١٧.

٥- سورة مريم، الآية: ٧.

٦- سورة مريم، الآية: ١٢.

٧- سورة ال عمران، الآية: ٥٥.

٨- سورة المائدة، الآية: ٦٧.

٩- سورة الأنفال، الآية: ٦٤.

١٠- سورة المزمل، الآية: ١.

١١- سورة المدثر، الآية: ١

إن اللّٰـه تـعـالىٰ قـد سـمـى نبيـه مـحمداً باسماء كثيرة في القرآن العظيم وغيره من الكتب السـمـاوية وعلى السنة أنبيائه عليهم الصلاة والسلام وفي أحاديث رسولُ اللّٰه و فيما اطلقته عـلـى أمته مما اشتهر وتلقى القبول ، وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمّى لاسيما وهي أوصاف مدح دالة على ذلك بمعا ميها.

وقـد كتب علامة يوسف النبهاني (ت١٣٥٠هـ) في كتابه "حجة اللّٰه على العالمين" "اسماء الـنبي (ﷺ) التي مـذكـــورة في الكتب السماوية كمثل ماذ ماذ (طيب طيب) فارقليط (فـاروق حـق و بـاطل) منحمنّا (محمدّ) الحمطايا (حامي الحرم) أخوناج (صحيح سلام) قدمايا (سابق الأول) وآخرايا (آخر الانبياء).

نـحـن نـذكـر بـعـض أسـمـاء النبيّ الواردة في القرآن الحكيم كمثل مُحَمَّدٌ(١) أَحْمَدُ (٢) اَلْـمُـزَمِّـلُ (٣) اَلْمُدَثِّرُ (٤) اَلْبَشِيْرُ (٥) اَلنَّذِيْرُ (٦) اَلدَّاعِيُ (٧) اَلصَّاحِبُ (٨) اَلنَّبِيُّ الْأُمِيٌّ (٩) اَلسِّرَاجُ

١- سورة ال عمران، الآية: ١٤٤، سورة الأحزاب، الآية: ٤٠، سورة محمد، الآية: ٢، سورة الفتح، الآية: ٢٩.

٢- سورة الصف، الآية: ٦

٣- سورة المزمل، الآية: ١

٤- سورة المدثر، الآية: ١

٥- سورة البقره، الآية: ١١٩، سورة الاعراف، الآية: ١٨٨، سورة هود، الآية: ٢،سورة سبا، الآية: ٢٨، سورة فاطر، الآية:٢٤

٦- سـورة البقرة، الآية: ١١٩، سورة الأعراف، الآية: ١٨٤، ١٨٨، سورة هود، الآية: ٢، ١٢، ٢٥،سورة الحجر، الآية: ٨٩، سورة الحج، الآية: ٤٩، سورةالشعراء، الآية: ١١٠، سورة العنكبوت، الآية: ٥٠، سورة فاطر، الآية: ٢٣، ٢٤، سورة الاحقاف، الآية: ٩، سورة الذاريات، الآية: ٥٠ـ٥١، سورة الملك، الآية: ٢٦، سورة الاسراء، الآية: ١٠٥، سورة الفرقان، الآية: ١،سورة الأحزاب، الآية: ٤٥، سورة سبا، الآية: ٢٨، سورة الفتح، الآية: ٨

٧- سورة الأحزاب، الآية: ٤٦،

٨- سورة النجم، الآية: ٢

٩- سورة الأعراف، الآية: ١٥٧،١٥٨

اَلْـمُنِيْـرُ (١) اَلشَّـاهِدُ (٢) اَلْمُبَشِّرُ (٣) اَلْمُعَلِّمُ(٤) اَلْمُزَكِّي (٥) اَلتَّالِيُ (٦) اَلرَّؤُوْفُ (٧) اَلرَّحِيْمُ (٨) رَحْـمَةٌ لِّلْعَالَمِيْنَ (٩) اَلْمُجْتَبٰى (١٠) اَلنُّوْرُ (١١) اَلْمُنْذَرُ (١٢) طٰهٰ (١٣) اَلشَّهِيْدُ(١٤) يٰسِيْنُ (١٥) اَلصَّادِقُ (١٦).

وأسـمـاء رسـول الله وألقابه كثيرة، فمن أسمائه محمد و أحمد، وهما اسمان مخصوصان بـالـطـالـع الاسـعـد، منع الله تعالىٰ أن يسمي بهما قبل زمانه أحد من الناس، لئلا يدخل على القلوب الـضـعيـفة شك و التبـاس وهـو أحـمـد الـحامدين والمحمودين وأكثر الناس حمدا وهو حامل لواء الحمد يوم يحشر المتقين إلى الرحمن، ومنها الماحي والحاشر، والمقدس والطاهر، فالما حي الذي يمحى الكفر بكلمة، والحاشر الذي يحشر الناس على قدمه والنجم الثاقب والمصلح والعاقب، وهو الـذي لانبي بعده، والشاهد والمبشر والنذير، والداعي إلى الله باذنه والسراج المنير، والمقفى والقثم والقثوم وهذا الاسم الأخير في آل بيته معلوم:

١- سورة الأحزاب، الآية: ٤٦

٢- سورة الأحزاب، الآية: ٤٥، سورة الفتح، الآية: ٨، سورة المزمل، الآية: ١٥

٣- سورة الأحزاب، الآية: ٤٥، سورة الاسراء، الآية: ١٠٥، سورة الفرقان، الآية: ٥٦، سورة الفتح، الآية: ٨، سورة الصف، الآية: ٦

٤- سورة ال عمران، الآية: ١٦٤، سورة الجمعة، الآية: ٢

٥- سورة ال عمران، الآية: ١٤٦، الجمعة، الآية: ٢

٦- سورة ال عمران، الآية: ١٦٤

٧- سورة التوبة، الآية: ١٢٨

٨- سورة التوبة، الآية: ١٢٨

٩- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧

١٠- سورة ال عمران، الآية: ١٧٩

١١- سورة المائدة، الآية: ١٥

١٢- سورة الرعد، الآية: ٧، سورة ق، الآية: ٢، سورة النازعات، الآية: ٤٥

١٣- سورة طه، الآية: ١

١٤- سورة الحج، الآية: ٧٨

١٥- سورة يٰسٓ، الآية: ١

١٦- سورة الزمر، الآية: ٣٣

"يـا سيـد أسـماوه قـدسـمـت　　وفـي مـعـانيـه تـحـارالـحـلـوم
ومـن حـوت ازهـارألـقـابـه　　نشـر شـذى تـطـوي عـليـه الـرقـوم
انـت الـذي انـوارا عـلامـه　　تهـدي إلـى الـحـكـمـة اهـل الـعلوم
ومـن لـه فـضـل آيـاديـه لا　　تحصي وهل تحصي دراري النجوم" (١)

ومـن أسـمـائه المدثر والمزمل والمختار والمتوكل، والرؤوف الرحيم، والصراط المستقيم، والحق المبين والصادق الأمين، فالحق هو المحقق صدقه وأمره والمبين الذي تبين مابعثه به من جلّ ذكـره، وطـه و يـسٓ، ورحـمـة لـلعـالـميـن، وسيـد الـمـرسلين، وخاتم النبيين وإمام المتقين وقائد الـغرا الـمـحجلين ونعمة الله على الخلائق، وعبد الله المعبد للطرائق ونبي الراحة والرحمة، ورسول التوبة وهـي إشـارة إلى مابعث به من القتال وما امر به ردع المشركين بحد النصال، وخليل الرحمن وحبيـب الـمـلك الـديـان، ومقيم السنة وروح الحق، والشفيع المشفع في الخلق، وصاحب الوسيلة والدرجة الرفعية والفضيلة، والحوض المورد، والمقام المحمود، والبراق والمعراج، والهراوة والتاج، وما المراد به تاج ملك موّه بالذهب، بل العمامة لأن العمائم تيجان العرب:

"بك يـا رسـولُ الله يا علم الهدى　　تتشـرف الألـقـاب والاسـمـاء
وبيـمـن طـالـعك السعيد قدومـه　　ذهـب الـظـلام وآيـت الاضـواء
وبـنـصـر نـصـلك سـر كـل موحد　　وبـعـز عـزمك ذلـت الأعـداء
سقيـا لامتك التي طـابـت لهم　　يـقـبيهـم بيـن الـورى الاشيـاء (٢)

وهـو عـليـه الـسـلام ذوالجة والسلطان، والعلامة والبرهان، ورب اللواء والقضيب، وراكب الـنـاقة والـنـجيـب، وسيـد ولـد آدم، والـمهيـمـن، والفاتح والخاتم والمصطفىٰ والمجتبىٰ والكريم، وابـوالـقـاسـم و أبـو ابـراهيـم، والنبي الامي والهادي والنور، والعروة الوثقى التي من تمسك بهانال الـغبـطة والسرور، والبارقليط وهو الذي يفرق بين الحق والباطل، وحمطايا حامي الحرم بالمرهفات والـذوابـل، انهـا اسـماء على مسمى جليل وألقاب علت بذي فضل اثير وقد راثيلى، فمنها ماورد في

١- النبهاني، يوسف بن اسماعيل ،الشيخ: جواهر البحار في فضائل البني المختار٣/١١٤

٢- نفس المرجع : ص١١٥.

حديثه الصحيح، ومنها ما ذكر في القرآن الكريم باللفظ والتصريح، ومنها ماجاء في التوراة والأنجيل، ومنها ما عرف من الكتب البعيد عهدها من التنزيل، ومنها ما سماه الله به من اسمائه الحسنىٰ وفي ذلك مافيه من التعظيم الاسمى والتشريف الاسنى:

"أسماؤه سماته مطومة عند الرواة وعرفه معروف
وخلاله مأثورة وخصاله مسطورة و جلاله موصوف
أكرم به سمحا عطاف نواله ابدا على قصاده معطوف
براً امينا صادقا صدقاته ألمن عنها والاذى معروف
من عليه تحية مكية بفناء طيبة طيبها معكوف" (١)

وهكذا رأينا مدح محمد ﷺ في القرآن الحكيم، الأن ينبغي لنا أن نلاحظ مدح محمد (ﷺ) في لغة الشعر لكي نثبت أهميته من الزمن المتعددة، نحن الأن نستعرض نبذة المدح النبوي عبر الصور.

نبذة المدح النبوي عبر العصور

أوليات الشعر في مدح النبي ﷺ

كان عمه أبو طالب اول من قال الشعر في مدح النبي وهو عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم من قريش، اشتهر بأسم أبي طالب ولد ٨٥ ق هـ و توفى ٣ ق هـ، وبعد النبوة حين قام قريش على عداوة الرسول الكريم، جمع أبو طالب حميته و نصرته لابن أخيه وقال الشعر في مدح النبي الكريم (ﷺ) وذكر فى اشعاره خصائص أسرته (بنى هاشم)۔

نقل ابن هشام في كتابه "سيرة النبي"۔ ستة أبيات بهذه القصيدة، ويقال عن هذه القصيدة. هي أول قصيدة في تاريخ مدح النبي ﷺ۔ بأن لم نجد قبل هذه القصيدة، أي بيت في المدح النبوي ﷺ.

ويقول في مدح النبي ﷺ:

"إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرّها وصميمها

١۔ النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: جواهر البحار في فضائل النبي المختار۔ ١١٦/٣

فـإن حـصلت أشراف عبد منافها ... فـفـي هـاشـم أشـرافهـا وقد يمها

وإن فـخـرت يـومـا فـإن محمداً ... هو المصطفىٰ من سرها وكريمها"

وفي الأبيات الأربعة التالية لهذه القصيدة يشير إلى قريش:

"تـداعـت قـريش غُثّها وسمينها ... عـلينا، فلم تظفر وطاشت حلومها

وكـنــا قـديـمـا لانـقـرظـلامة ... إذا مـاثـنـوا صـعـر الخدود نقيمها

ونـحـمى حماها كل يوم كريهة ... ونضرب عن احجارها من يرومها

بـنـا انتـعـش العود الذواء وإنما ... بـأكـنـا فـنـا تندي وتنمي أرومها" (١)

ونـجـد كثيـراً مـن الأبيات لأبى طالب دفاعاً عن محمد ﷺ وبالأخص، القصيدة الطويلة، التي مطلعها:

"ولـمــا رأيــت الـقوم لاودّفيهم ... وقـد قطعوا كل العرى والوسائل" (٢)

وتشتـمـل هذه القصيدة على خمسة وتسعين بيتاً، ومن أجود شعر أبي طالب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، يقول:

"وأبيـض يسـقـى الـغمام بوجهه ... ثـمـال اليتـامٰى عصمة للأرامل" (٣)

وقال زكريا بن يحيٰ الطائي في الجزء المنسوب إليه المشهور۔

حدثني عمر بن أبي زحر بن حصين عن جد، حميد بن منهب قال:

قـال جـدي خـريـم بـن أوس: هـاجـرت إلـى رسـول اللّـه، فقدمت عليه منصرفه من تبوك، فـأسـلـمـت، فسـمـعت عبد مناف بن عبد المطلب يقول: يا رسول الله إني أريد أن امتدحك، فقال رسول الله، قل فأنشأ يقول:

"مـن قبلها طبت في الظلال وفي ... مستـودع حيـث يخصف الواق

ثــم هبـطــت البـلاد لا بشـر أز ... ت ولا مــضــغة ولا عـــلـــق

بـل نـطـفة تـركـب السـفين وقد ... الـجــم نسـراً وأهـلـه الـغرق

---

١ ابن هشام: سيرة النبي. بيروت: ١٩٦٩م. ١/١٥٦.

٢۔ نـفـس الـمـرجـع، ص٢٠١، وانـظـر: لـلسهيـلـى: روض الأنف مع سيرة ابن هشام. ملتان، باكستان: المكتبة الفاروقية. ١٣٧٧هـ/١٩٧٥م. ص١٧٣.

٣۔ سيرة ابن هشام، ١/٢١٣، وانظر: الروض الانف، ٢/٥٥، وانظر: البداية والنهاية، ٣/٤٢٢.

تـنـقـل مـن صـلـب إلـى رحـم	إذا مـضـى عـالـم بـداطبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خنـدف عليـاء تـحتهـا النطق
وأنـت لـمـا ولدت أشرقـت الا	رض وضـأت بـنـورك الأفـق
فـنحـن في ذلك الضياء وفى الـ	نـور و سبـل الـرشـاد نحترق" (١)

قصيدة الاعشٰى في مدح النبي ﷺ

هـو أبـو بـصير ميمون بن قيس بن جندل، المعروف "الأعشٰى" ولد في "منفوحة" (إحدى قـرية مـن يـمامة) ونبغ في الشعر في صحبة خاله مسيب بن علس" عند ما سمع عن النبوة المحمدية (ﷺ) قال قصيدة في المدح النبوي ﷺ.

ويقول أحمد الحوفي عن هذه القصيدة:

"وربـما كانت قصيدة الاعشى، إن صحت، من أوليات القصائد في مدح النبوي ﷺ، لأنها صـورة من مدائح العصر الجاهلي، وليس بها مما يتصل بالإسلام إلا التقوىٰ وتحريم الميتة وعبادة الأصنام، كقوله يخاطب ناقته بعد مقدمة القصيدة:

فـأليـث لا أرثـي لهـا مـن كـلالة	ولا مـن حـفى حتى تزور محمدا
متـى ما تناخي عند باب ابن هاشم	تـريـحـي و تـلقى من فواضله يدا
نبـي يـرى مـالا تـرون فـذكـره	أنـحار، لعمري، في البلاد وأنجدا
لـه صدقـات مـا تـغـب ونـائل	وليـس عـطـاء اليوم مـانعـه غدا
أجـدك لـم تسـمـح وصاة محمدا	نبـي الا لة حيـن اوصـى وأشهـد
إذا أنـت لـم تـرحـل بزاد من التقى	ولا قيت بعد الموت من قد تزودا
نـدمـت عـلـى ألا تـكـون كمثلـه	وإنك لـم تـرصـد لما كان راصدا
فـايـاك والـميتـات لا تـأكلفهـا	ولا تـأخذن سهما حديدا لتفصدا

١- ابـن هـشـام: السيـرة النبوية، ١/١٩٥ انظر: ابن كثير، الحافظ: البداية والنهاية- كتاب سيرة رسول باب- ذكر نسبه الشريف و طيـب أصلـه المنيف- الطبعة الأولى . لاهور، باكستان : المكتبة القدوسية . أهل الحديث ماركيت اردو بازار. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.ص٢٥٢-٢٥٩.

وذا النسب المنصوب لا تنسكنه   ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا" (١)

وبعد نقل هذه القصيدة يعلق عليها الدكتور زكي مبارك بقوله:

"ولكن هذا ليس من المدائح النبوية: أي ليس من الفن الذي ندرسه في هذا الكتاب، لأن الأعشى لم يقل هذا الشعر وهو صادق النية في مدح رسول (ﷺ) وإنما كانت محاولة أرادبها التقرب من نبي الإسلام، وآية ذلك أنه انصرف حين صرفته قريش، ولو كان صادقا ما تحول. فقد حدثوا أن قريشا رصدوه على طريقه، حين بلغهم خبره وسألوه أين يريد؟ فأخبرهم أنه يريد محمداً ليسلم، فأفهموه أنه ينهاه عن الزنا والقمار والربا والخمر، فقال: لقد تركني الزنا وما تركته، وأبدى زهادته في القمار، رجاء أن يصيب من النبي صلى الله عليه وسلم عوضاً منه، وقال عن الربا: مادنت ولا ادّنت، وأبدى جزعه عند ذكر الخمر وقال: أولا! أرجع إلى صبابة قد بقيت لي في المهراس فأشربها، فقال له أبوسفيان:

هل لك في خير مما همت به؟ قال وما هو؟

قال: نحن الآن في هدنة فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنتك هذه، وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفا، وإن ظهر علينا أتيته، فقال ما أكره ذلك، وجمع له أبوسفيان من قريش مائة ناقة، فأخذها وانطلق إلى بلده، فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله".(٢)

وهذه القصة تدل على أن مدحه (لرسول الله) لم يكن إلا محاولة كسائر محاولات الشعراء الذين يكتسبون بالمديح، وليست قصيدته أثرعاطفة دينية قوية حتى تلحق بالمدائح النبوية.

فكان نموذجاً للمدح النبوي في عهد الجاهلية.

١- الحوفي، أحمد، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص ٧٢، ٧٣ وانظر: فهمي: ماهر حسن، الدكتور: شوقي شعره الإسلامي: ص ١٠٠-١٠١ وانظر: ديوان الأعشى الكبير: ص١٣٥-١٣٧

٢- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي- ص١٩-٢٠ وانظر: الندوي: عبد الله عباس: عربي ميس نعتيه كلام (المدائح في الأدب العربي)- ص٥١-٥٣ وانظر: الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص٧٤، ٧٦.

المدح النبوي ﷺ في عصر النبوة

لـمـا أضـاء ت بـقـعة الأرض بنور الإسلام .قام عدة من الشعراء بمدح النبي وقال الشعر في المدح النبوي ﷺ۔ الآن نستعرض بعض منها۔

مدح عبد الله بن رواحة للنبي الكريم ﷺ

كـان عبـد الـلّه بن رواحة بن ثعلبه الخزرجى الانصاري(ت٨هـ) أحد أولئك اثنى عشر نقيباً الـذيـن قـدمـوا مـن الـمدينة المنورة إلى مكة المكرمة، وبايعوا على يد الرسول الكريم، وبعد الهجرة خدموا الرسول الكريم، كان شاعراً وبذل جميع مواهبه الشعرية لخدمة الإسلام سأله مرة، ماذا تصنع عـنـد مـاتحب أن تقول الشعر؟ فقال، أفكر جداً ثم أقول الشعر، بعد هذا قال عدة من الأشعار، وكان مقطعه:

فثبـت الـلّـه مـا أتـاك من حسن　　　تثبيت موسٰى و نصراً كالذي نصروا

فأعجب النبي الكريم بهذا الشعر فقال:"وإيّاك فثبت اللّٰه.(١)

شهـد عبـد اللّٰه بـن رواحة بـدراً وأحـد والـخندق والحديبية وخيبر، واستشهد في غـــزوة الـمـوتة، وكـان يـقول في كل حرب:يا نفسي إلا تقتلي تموتي.وعند ما طاف الرسول الكريم عمرة القضاء قال عبد اللّٰه بن رواحة هذا الشعر:

"يـا رب لـو لا انـت مـا اهتدينـا　　　ولا تــصــدقــنــا ولا صلينـــا

فـــانـــزلـــن سـكـيـنة عــلـيـنـا　　　وثبـــت الأقـــدام أن لاقيـنـــا

إن الـــذيـــن قـــد بـغـــوا عـلـيـنـا　　　إذا ارادوا فتـــنة أبيــــنـــــا" (٢)

وقال في موضع آخر:

"روحـي الفداء لمن اخلاقه شهدت　　　بـــأنـــه خيـــر مـولـود من البشـر

١۔ ابن عبدالبر ، أبو عمر يوسف بن عبداللّٰه، حافظ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٣٥٥/١. وانظر: ابن الأثير، عزالدين علي الجزري، الحافظ : اسد الغاية في معرفة الصحابة ، ١٥٧/٣.

٢۔ الندوي، عبد اللّٰه بن عباس: عربي ميں نعتيه كلام (المدائح النبوية في الأدب العربي) ص٨٦۔٨٨.

عـمـت فـضـائله كل العباد كما عـمّ البـرية ضوء الشمس والقمر
لـولـم يـكـن فيـه آيـات مبيـنة كـانـت بديهته تُغني عن الخبر" (١)

شعر عبد اللّٰه بن الزبعرى في مدح النبي ﷺ

كـان عبد اللّٰه بن الزبعرى (ت١٥ هـ) من قبيلة "بنى سهم" من القريش وكان عدواً للإسلام في بـداية أمره، وكان من أشعر الناس على رسول اللّٰه وعلى أصحابه بلسانه وبنفسه، واتفق الناقدون كـلهـم بـأنـه مـن أشـعـر شعراء قريش، وكان حاذقا جداً في الهجاء وكان يعارض بحسان بن ثابت بشعـره"(٢) نـوّراللّٰه قـلبـه بـنـور الإسـلام يـوم فتـح مـكة، ثـم قـال في مدح الرسول أبياتاً بصورة الأزهار.فيقول:

"فـاليـوم آمـن بـالنـبي مـحمد قـلبي ومـحـظئى هذه محروم
فـاغـفر فدى لك ولدى كلاهما زلـلـى فـانك راحـم مـرحـوم
وعـليك مـن سمة المليك علامة نـورا غـرّو خـاتـم مـختـوم
ولـقـد شهدت بأن دينك صادق حـق وأنك في الـعبـاد جسيم
والـلّٰـه يشهـد أن أحـمد مصطفىٰ متـقبـل فـي الـصـالحين كريـم" (٣)

وقد اعترف في أبياته بما وقع فيه من هجاء النبي صلى اللّٰه عليه وسلم فقال معتذراً إليه:

يـا رسـول الـمليك إنّ لسـانـي راتـق مـا فتـقـت إذ أنـا بـور
إذا أجاري الشيطان في سنن الغّي ومـن مـال ميـلـه مثبـور
أمـن الـلـحـم والـعـظام بما قلت فـنـفسـى الشهـيد أنـت الغذيـر
أن مـا جـئتـنـا بـه حـق صدق سـاطـع نـوره مُـضـئي مـنيـر
جـئتـنـا بـاليـقين والبر والصدق وفـي الـصـدق واليـقيـن سـرور
أذهـب الـلّٰـه ضـلة الـجهل عنّـا وأتـانـا الـرّخـاء والـميسـور" (٤)

١- النبهاني، يوسف بن إسماعيل: المجموعة النبهانية.بيروت ، لبنان : المطبعة الأدبية. بدون التاريخ.١/٦٤.

٢- هو شاعر رسول ﷺ، وقام عند رسول اللّٰه وأجاب هجو القريش في حب رسول اللّٰه.

٣- سيرة ابن هشام، ٤/٤١.

٤- النبهاني، يوسف بن إسماعيل: المجموعة النبهانية، ١/٦٨.

شعر أبي سفيان بن الحارث في مدح النبي ﷺ

كان أبو سفيان بن الحارث(ت ٢٠هـ) من بني هاشم وابن عم للنبي الكريم ﷺ، هو كان رجلا وجيهاً وهو أخ النبي في الرضاعة لما ظهر نور الإسلام صارعدوا لرسول الله ﷺ، وكان شاعراً كاملا، فقال الشعر في هجاء النبي ﷺ، وكان مباعدا للإسلام شديداً على من دخل فيه، فقال الرسول الكريم لحسان بن ثابت، أجب عنه.

فقال حسان:

ألا أبلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء (١)

فسكت أبو سفيان وقدم إلى النبي الكريم يوم فتح مكة ودخل في الإسلام وقال في مدح النبي ﷺ:

"لعمرك أني يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد

لكا لمظلم الحيران أظلم ليله ... فهذا أواني حين أهدى فأهتدى

هداني هاد غير نفسي ودلني ... على اللّه من طرّدته كلّ مطرد

أصدّوا أناى جاهداً عن محمدٍ ... وأدعى وإن لم أنتسب من محمد" (٢)

وقال على وفاة الرسول الكريم رثاءً:

ارقت وبات الليلى لايزول ... وليل أفي المصيبة فيه طول

فقد عظمت مصيبتنا وجلّت ... عشيتة قيل قد قبض الرسول

فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبريل

نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحي إليه وما يقول

ويهدينا فلا نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل

فلم نرى مثله في الناس حيّا ... وليس له من الموتى عديل

وفي حزن شديد قال مخاطباً فاطمة بنت رسول الله ﷺ:

١- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ص ٣٩٤.

٢- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، ١/٥٧.

أفـاطـم أن جـذعـت فذاك عذر | وإن لـم تـحـزنـي فهـو السبيـل
فـقبـر أبيك سيـد كـل قبـر | وفيـه سيـد الـنـاس الـرسـول" (١)

قصيدة كعب بن زهير في مدح النبي ﷺ

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى(ت ٢٦هـ)، أحد فحول المخضرمين ومادحي النبي الكريم.

يقول الدكتور أحمد الحوفي:

وإذا كـان الشك يـعتـور مـدحة الأعشـى، فـإن مـدحة كـعـب بن زهيـر لـرسول اللّه لا يـعتـورهاشك، وقد بدأها كعب بغزل تقليدي تشوق فيه إلى محبوبته، ووصف محاسنها، ثم وصف الـنـاقة التـي يـود أن تـنـقـلـه إليهـا، ثم انتقل إلى الاعتذار للنبي (ﷺ)، وطلب العفو منه عما اقترب، ومـدحـه، وفـي مـدحـه مـلامـح جديدة لـم يكن الشعراء يمدحون بمثلها في الجاهلية، كحديثه عن القرآن الكريم وعن هداية النبيﷺ للناس وتأييده من ربه". (٢)

ويقول كعب في مدحه:

"أنبـئـتُ أن رسـول الـلّه اوعدني | والـعـفـو عند رسولُ اللّه مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن | فيهـا مـواعيـظ و تـفـصيـل
لا تـأخـذنـي بـأقوال الوشاة ولم | أذنـب ولو كثرت عني الأقاويل
لـقـد أقـوم مـقـامـا لـو يقوم بـه | أرى وأسـمـع مـالو يسمع الفيل
لـظـل يـرعـد ألا أن يـكـون لـه | مـن الـرسـول بـإذن الـلّـه تنويل
حتـى وضـعـت يميني لا أنا زعه | فـي كف ذي نقمات قيله القيل
لـذاك أهيـب عـنـدي إذا أكـلمـه | وقيـل إنك مـنسـوب و مسئول
إن الـرسـول لـنـور يستضـاء بـه | مهـنـد مـن سيوف اللّه مسلول" (٣)

١- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، ١/٥٧.

٢- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص٧٣.

٣- نفس المرجع: ص٧٤.

مكانة شعر كعب لرسول الله ﷺ

ويقول زكي مبارك في الأدب العربي عن مكانة واهمية مدح كعب في تاريخ المدح النبوي:

"وقصيدة (بانت سعاد) التي قالها كعب بن زهير في مدح رسولّ اللّٰه، فإنها لم تنظم إلا في سبيل النجاة من القتل وحديث ذلك، أن كعباً خرج هو و أخوه بجير إلى رسولُ اللّٰه حتى بلغ أبرق العزاف، فقال كعب لبجير: الحق الرجل، وأنا مقيم ههنا، فانظر ما يقول لك؟ فقدم بجير على رسول اللّٰه، فسمع منه وأسلم، وبلغ ذلك كعبا فقال:

مــن مبلـغ عنـي بـجيـرا رسـالة   فهـل لك فيما قلت بالخيف هل لكا
سـقيـت بـكـأس عـند آل محمد   فـانهـلك الـمـأمون منها وعلّكا
وخـالفت أسباب الهدىٰ واتبعته   عـلـى أيّ شيءٍ ويب غيرك دلّكا
عـلـى خـلـق لم تلف أمّا ولا أباً   عـليـه ولـم تـدرك عـليـه أخالكا
فـإن أنـت لم تفعل فلست بأسف   ولا قـائـل إمّـا عثرت لـعـالكا" (١)

وبعث بها إلى بجير، فكره أن يكتمها رسول اللّٰه فأنشده إياها، ثم قال بجير لكعب:

"مـن مبلـغ كعبا فهل لك في التي   تـلـوم عـليهـا بـاطلا وهي أحزم
إلى اللّٰه لا العزى ولا اللات وحده   فتـنـجـو إذا كان النجاة وتسلم
لـدى يـوم لاينجو وليس بمفلتٍ   من الناس إلا طاهر القلب مُسلم
فـديـن زهيـر وهـو لا شـيء دينه   وديـن أبـي سـلمٰى عليّ محرّم" (٢)

فـلـما بلغ الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عـدوّه، فقالوا: هو مقتول ـ فإما لم يجد من شئ بدّا قال قصيدته التي يمدح فيها رسولُ اللّٰه، ثم خرج حتـى قـدم المدينة، فنزل على رجل من جهينه، وغدابه إلى رسولُ اللّٰه حين صلى الصبح، فصلى معه، ثم أشارله إلى رسولُ اللّٰه فقال:

هـذا رسولُ اللّٰه، قم إليه فاستأمنه، فقام حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول اللّٰه

١ـ زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي، ص ٢٠.

٢ـ نفس المرجع .

لا يعرفه، فقال: يا رسول اللّٰه! إن كعب بن زهير قد جاء يستأ من منك تائبا مسلما، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتُك به، فقال رسُول اللّٰه: نعم، فقال! أنا، يا رسول اللّٰه، كعب بن زهيرا ثم أنشده القصيدة:

"بانت سعاد فقلبي اليوم متبول — متيم إثرها لم يغد مكبول
نبئتُ أن رسُول اللّٰه أوعدني — والعفو عند رسولُ اللّٰه مبذول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن — فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة، ولم — أذنب ولو كثرت في الأقاويل" (١)

فلما بلغ قوله:

"إن الرسول لنور يستضاء به — وصارم من سيوف اللّٰه مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم — ببطن مكة لما أسلموا، زولوا
زالوا، فما زال أنكاس ولا كشف — يوم اللقاء ولا سود معازيل (٢)

فنظر رسول اللّٰه إلى من عنده من قريش، كأنه يوحي إليهم أن يسمعهم، حتى قال:

"يمشون مشى الجمال البهم يعصمهم — ضرب إذا عدّد السود التنّابيل (٣)

يعرض بالأنصار، لغلظتهم كانت عليه، فأنكرت قريش عليه وقالوا: لم تمدحنا إذا هجوتهم، فقال:

"من سرّه شريف الحياة فلا يزل — في مقنب من صالحي الأنصار (٤)
"الباذلين نفوسهم لبنيهم — يوم الهياج وسطوة الجبار
يتطهرون، كأنه تُسُك لهم — بدماءِ من علقوا من الكفار (٥)

١- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي، ص٢١

٢- الانكاس: جمع نكس وهو الضعيف الذليل .الكشف: الذين لا يحسنون حمل الترس في المبارزة. المعازيل:جمع معزال وهو من لا سلاح معه .

٣- يعصمهم: يحميهم ويمنعهم، التنابيل: القصار، ورواية الديوان الجمال الزهر جمع أزهر وهو الأبيض- عدد: فروحين . انظر: طه حسين، أحمد أمين: المنتخب من الأد ب العربي، ١/٣٧- ٤٥ .
وانظر: مر زباني، أبي عبد اللّٰه محمد بن عمران بن موسى-
تحقيق: عبد الستار أحمد فراج: معجم الشعراء- ص٢٢٨-٢٣١

٤- المقنب: ألف وأقل، ورواية الديوان، كرم الحياة.

٥- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي- ص٢٢ .

فكساه النبي بردة، اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم، وهي التي يلبسها الخلفاء في العيدين، زعم ذلك أبان بن عثمان بن عفان" .(١)

لا قت قصيدة "بانت سعاد" روا جاو قبولاً.

ينقل القاضي محي الدين بن عبد الظاهر في موضع آخر.

" قدقال كعب في النبي قصيدة   وقلنا، عسى في مدحه نتشارك
فإن شملنا بالجوائز رحمة   كرحمة كعب فهو كعب مبارك" (٢)

ويقول شمس الدين النواجي قصيدته على وزن بانت سعاد في ٨٥٩هـ يقول في اخير هذه القصيدة:

"كعب له في مديح المصطفٰى قدم   مسباقة وبخير الخلق تفضيل
وروضة ابن زهير طاب مغرمها   فزهاها بندى كفيه مطلول
وإن نسجت على منوال بردته   طراز مدح، له بالدّر تكليل
فإنه كان مفتاحا لباب هدى   لنا به في ديار الخلد تاهيل
إن لم افز بقبول في متابعتي   بانت سعاد فقلبى اليوم متبول" (٣)

يقول دكتور زكي مبارك:

"قصيدة كعب بن زهير قبولاً جداً في دوائر الصوفية والمشائخ. سمعت الصوفي الشيخ كان يفتح مجالسه من هذه القصيدة ابداً، لما سئل عن سببه، فقال، في منامه سئلت من رسول اللّٰه

١- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي- ص٢٢.

٢- ابن قتيبة، أبي محمد عبد اللّٰه بن مسلم: الشعر والشعراء.بيروت، لبنان: دار الثقافة للنشر والتوزيع . بدون التاريخ. ١/٨٩-٩١.

وانظر: أحمد الهاشمي: جواهر الأدب- ص٣٩١- ٣٩٤

وانظر: روزنامه مشرق (الجريدة اليوميه- مشرق) ٢٩ ابريل ١٩٨٨م تحت عنوان: "نعتيه ادب كى تاريخ، حضرت كعب بن زهير پهلے نعت گو شاعر تهے" (تاريخ الأدب المدح، كان كعب بن زهير الأول المادح)

وانظر: ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص٨٣- ٨٦

٣- الندوي: عبد اللّٰه عباس: عربي ميں نعتيه كلام (المدائح في الأدب العربي)، ص٦٥-٦٧.

ﷺ عن حقيقة قصيدة الكعب، فقال رسول الله ﷺ أحبها، ولأن من ذاك اليوم من عاداتي أقرأ هذه القصدة ليلاً مرة". (١)

مدح العباس بن مرداس

كان عباس بن مرداس (ت٣٥هـ) من العرب ومن قبيلة بني سليم.

وقال العباس في مدح النبي ﷺ:

"ألا من مبلغ نحيلان عني — وسوف إفال يأتيه الجنير
بأن محمد عبد رسول — لرب لا يضل ولا يحور
وجدناه نبيا مثل موسى — فكل فتى يخايره مخيو" (٢)

ثم يقول:

يا خاتم النباء إنك مرمل — بالحق كل هدى السبيل هداكا
إن الإله بنى عليك محبة — في خلقه ومحمدا سمّاك
رأيتك يا خير البرية كلها — نشرت كتابا جاء بالحق معلما
ونوّرت بالبرهان أمرامدمسّا — وأطفأت بالبرهان ناراً مضرّما
نبي أتانا بعد عيسى بناطق — من الحق فيه الفضل منه كذالكا
رأيتك يا خير البرية كلها — توسّطتَ في القربى من المجد مالكا
أمينا على الفرقان أول شافع — وأخر مبعوث يجيب الملائكا
فأنت المصطفىٰ من قريش إذا سمعت — غلاصمها تبغى القدوم الغوالكا
إن الذي ورث النبوة والهدى — بعد ابن مريم من قريش مهتد
أودي فما روكان يعبد مرة — قبل الكتاب إلى النبي محمد" (٣)

١- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي، ص٨٥.

٢- سيرة ابن هشام: ٤/٨١.

٣- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية. ١/٧٤ وانظر: سيرة ابن هشام:٤/٥١.

شعر كعب بن مالك في مدح النبي ﷺ

وكعب بن مالك (ت٠٥هـ)أحد الصحابة من الثلاثة الذين خلّفوا من غزوة التبوك،وذكرهم الله سبحانه وتعالىٰ في القران الحكيم.

لم نجد كثيراً من المدائح منه ولكن قصيدة قرأهافي حضرة النبي الكريم، عند ما ذهب النبي الكريم من حنين إلى الطائف، وسمع هذه القصيدة، فقال:"لقد شكرك الله تعالىٰ على قولك هذا ياكعب" لاحظ بضعة من الأبيات لهذه القصيدة:

"فينا الرسول شهاب ثم يتبعه — نور مضى له فضل على الشهب
الحق منطقه، والعدل سيرته — فمن يحببه إليه ينج من ثبب
نجد المقدم مافي الهم معتزم — حين القلوب على رجف من الرعب
يمضى ويذمرنا عن غير معصيته — كأنه البدر لم يطبع على الكذب
بدالنا فاتبعناه نصدقه — وكذبوه، فكنا اسعد العرب" (١)

ويقول في مكان آخر:

"نطيع نبينا ونطيع ربا — هو الرحمن كان بنارؤفا
فإن تلقوا إلينا السلم نقبل — ونجعلكم لنا عضداً وريفا
وإن تابوا نجاهدكم ونصبر — ولايك أمرنا رعشا ضعيفا
بكل مهندٍ لين صقيل — نسوقم بها سوقا عنيفا
لامر اللّه والإسلام حتى — يقوم الدين معتدلا حنفيا
وتنسى اللات والعزى وودّ — ونسلبها القلائد والشنوفا
فامسوا قد أقرّوا واطمأنّوا — ومن لم يمتنع يقبل خسوفا" (٢)

شعر حسان بن ثابت في مدح النبي الكريم ﷺ

هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري(ت٥٤هـ)، ويكني أبا الوليد وأبا الحسام، وأمه

١- الندوي، عبد الله عباس: عربي ميں نعتيه كلام (المدائح في الأدب العربي) ، ص٩٨-١٠٠

٢- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية،١/٦٦.

الـفُـريـعة من الخزرج، وهومتقدم الإسلام في عهد الجاهلية، إلا أنه لـم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم مشهداً، لأنه كان جباناً، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه وكان يضرب بلسانه روثة أنفه.(١)

"ولما هاجر النبي الكريم ﷺ إلى المدينة وأسلم الأنصار أسلم معهم ودافع عنه بلسانه كما دافـع عـنـه قومه الأنصار بسيوفهم، وعاش حسان بعد رسول الله مُحبّباً إلى خلفائه مرضيًّا عنه وعمّر قـريبـا مـن ١٢٠ سـنة، وبـقـى أكثر حياته متمتعاً بشعوره وبعقله، حتى وهن جسمه في أو اخر عمره وكفّ بصره، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٧هـ". (٢)

شعره

وكـان حسـان شـاعـر أهـل الـمـدر فـي الـجاهلية وشاعر اليمانية في الإسلام، ولم يكن في أصحاب رسول الله ولا في أعدائه عند دعوته إلى الله أشعر منه، ولذلك رمى مشركي مكة من لسانه بـالدّاهية التي لـم يكن لهم قبل بها فأوجعهم وأخر سهم من غير فحش ولا هُجر ولـما أذن له النبي في هجائهم، قال له كيف تهجوهم وأنا منهم.

قال:

"أسلّك منهـم كـمـا تُسَلُّ الشعّـــرة مـــن العجين".(٣) وكان رسول الله ينصب له منبراً بالمسجد ويسمع هجاء ه في أعدائه،ويقول: "أجب عني اللّهم أيدك بروح القدس".(٤)

فقال قصيدة في المدح النبوي في رد أبي سفيان بن حارث، فيقول:

"هـجـوت مـحمدا فأحببت عنه ... وعـــنـد الـلّـــه فـي ذاك الـجزاء

من مثل قوله:

وجبـــريـــل اميـــن الـلّـــه فينـــا ... وروح الـقـدس ليـس لـه كفاء

١- ابن قيتبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء،١/٢٢٣.

٢- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب،ص٣٩٣.

٣- أخرجه البخاري في صحيح البخاري، في كتاب المناقب ، باب: من أحب أن يسب نسبه ،رقم الحديث:١٤٠٥، ٢/١٨٢.

٤- أخرجه مسلم في صحيح مسلم ، كتاب : فضائل الصحابة، باب: فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه،٧/٤٥.

ثم يقول في يوم بدر:

فينـا الـرسـول وفيـنا الحق نتبعه   حتى الممات ونصر غير محدود

مستعصمين بحبل(١) غير منجذم   مستـحكم من حبال اللّٰه ممدود" (٢)

فإنه كثير المدائح لرسول اللّٰه ولصحابته، والصبغة الإسلامية في مدائحه أوضح وأكثر ألوانا، كقوله:

"أغـرّ عـليـه لـلنبـــوة خـاتم   مـن الـلّٰـه مشهود يلوح ويشهد

وضـم الا له اسم النبي إلى اسمه   إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

وشـق لـه مـن اسـمـه ليـجـلـه   فذو العرش محمود وهذا محمد

نبـي أتـانـا بـعد يـأس وفتـــرة   من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فـأمسى سـراجا مستنيراوها ديا   يـلوح كما لاح الصقيل المهند

وأنــذرنـــا نـــارا وبشّــر جـنةً   وعـلـمنـا الإسلام فاللّٰه نحمد" (٣)

ولـه مراث في الرسول الكريم تتضح فيها المعاني الإسلامية اتضاحاً على نحو ما وجدنا في مرثيته التي رواها أبو زيد الأنصاري والتي يقول فيها:

"ومـا فـقـد الماضون مثل محمدٍ   ولا مثلــه حتـى الـقيـامة يُفقد" (٤)

وقد ختم مراثيه لرسول اللّٰه بالأمل في جواره، يقول:

"وليـس هـوانـي نـازعا عن ثنائه   لـعـلـى بـه في جنة الخلد أخلد

مع المصطفىٰ أرجو بذاك جواره   وفي ينل ذاك اليوم أسعى وأجهد" (٥)

وختم بعضها بالصلوٰة عليه:

"صـلـى الا له ومن يحفُّ بعرشه   والـطيبـون على المبارك أحمد" (٦)

١ـ وهو يشير إلى قوله تعالىٰ: (واعصتموا بحبل اللّٰه جميعا)

٢ـ انظر: النبهاني، يوسف بن إسماعيل،الشيخ: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية،١/٦٠.

٣ـ ديوان حسان بن ثابت:ص٧٨ـ٧٩ .وانظر: النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ : المجموعة النبهاية في المدائح النبوية،١/٦٠ـ٦١.

٤ـ ضيف، شوقي، الدكتور: تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص٧٧ـ٨٣.

٥ـ حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت. بيروت: دار بيروت للطباع والنشر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م. ص٩٧.

٦ـ نفس المرجع:ص٩٩.

النابغة الجعدي في مدح النبي ﷺ

أبو ليلىٰ حسان بن عبد الله بن قيس الجعدي العامري(ت٥٨هـ)(١)

أحـد الـقـدماء المعمرين والشعراء المخضرمين، ووصّاف الخيل المشهورين قال الشعر في الجاهلية ـ ثم أجبل دهرا، ثم نبغ في الشعر عند ظهور الإسلام وبعده، ولذلك سُمّي النابغة، وهو ممّن فكّر في الجاهلية، وأنكر الخمر وما تفعل بالعقل، وهجر الأزلام والأوثان، وذكر دين إبراهيم، وصام واستغفر، ووفد على رسول الله ﷺ.

وعـاش طـويـلا فـي الإسـلام، فأقام زمنا مهاجرا حتى أيام عثمانؓ، فأحس بضعف في نفسه، فـاستـأذن عثـمـان فـي الـرجـوع إلـى البـادية فأذن له، ومات بأصبهان سنة ٥٨هـ، بعد أن عمّر مائة وثمانين سنة.

شعره

كـان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والإسلام، وله في الفخر والهجاء والمديح والرثاء، ومن أشرفه قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم وهي:

"أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتـلـو كتـابـا كـالمجرّة نيّرا

أقيـم على التقوى وأرضى بنعلها ... وكنت من النار المخوفة أحذرا

ومنها في الفخر:

بـلـغـنـا السماء مجدنا وحدودنا ... وانـا لـنـرجـوا فوق ذلك مظهرا

ولا خيـر فـي حـلم إذا لـم تكن له ... بـوادر تـحـمـي صفوة أن يكدّرا

ولا خيـر فـي جهل إذا لـم يكن له ... حـليـم إذا ما أورد الأمر أصدرا" (٢)

ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء ......البيت) قال له:

فـأيـن الـمـظهـر يا أبا ليلىٰ؟ قال الجنة، قال له إن شاء الله، ولما أتم قصيدته، قال له الرسول،

١- اختلف المؤرخون في اسمه، هل هو عبد الله ابن قيس أو قيس بن عبد الله أو حبان بن قيس.

٢- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ص٣٩٣ـ٤٠٧.

أجدت لا يفضض اللّٰه فاك- فأتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفضت من فيه سنٌ". (١)

الكميت في مدح النبي ﷺ

وهـو الـكـميـت بـن زيد، من بنى أسد(ت ٦٠ هـ)، ويكنى أبا المستهل، كان أشعر شعراء الشيـعة الهـاشـمية، نشـأ بـالكوفة بين قومه بنى أسد إحدى قبائل العرب، وعرف الأدب والرواية، وعـلـم أنسـاب الـعرب وأيـامهـا بـمـدارس الـعلم والأخذ عن الأعراب، وكان له جدّتان أدركتا الـجـاهـلية تـقصان عليه أخبارها وأشعار أهلها، قال الكميت الشعر وهو صغير وكان لا يذيعه ولا يـكتسب بـه، ويكتفي بحرفته تعليم صبيان الكوفة بالمسجد، ولما حصف شعره وقوي أثره، ولا سيـمـا قـصائدة التي أعلن فيها تشيّعه لبني هاشم وآل علي، فقال قصائده البليغة المطولة المسماة "بالهاشميات".

ويقول فيها:

"بـنـي هـاشـم رهـط النبي فأنني ... بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

خـفضت لهم منّى الجناح مؤدة ... إلى كنف عطفاه أهل ومرحب

ومـالـى إلا آل أحـمـد شيعة ... ومالى إلا مذهب الحق مذهب

بـأى كتـاب أم بـائة سـنة ... يُرى حبّهم عار اعليّ ويُحسب" (٢)

ويقول الكميت في قصيدته:

"أسـرة الصادق الحديث أبي القـ ... اسم فـرع الـقـدامـس القدام

خيـر حـي وميـت مـن بـنى آ ... دم طـرّا مـأمـومهـم والإمـام

خيـر مستـرضـع وخير فـطيـم ... وجـنيـن أقـرّ فـي الأرحـام

غـلام ونـاشـئـاً ثـم كهـلا ... خيـر كهـلا ونـاشـئ وغـلام

١- ابن قيتبة، أبي محمد عبد اللّٰه بن مسلم: الشعر والشعراء، ١/٢٠٨-٢٠٩. انظر: الحوفي، أحمد، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي- ص٧٤-٧٥- وانظر: شوقي ضيف، الدكتور: تاريخ الأدب العربي، عصرالإسلامي. القاهرة: دار المعارف ١١٩ كورينش النيل. ١٩٦٣م.ص١٠٠-١٠٤.

٢- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ص٤٠٩.

لـوفـدى الـحُـي ميتافلت، نفسي ونبـــي الـــفـدا لتلك الـعـظـام" (١)

المدح النبوي في عصر خلفاء الراشدين

أمـا أصـحـاب رسول الله فكانت صلاتهم بالنبي ﷺ قوية محكمة جداً وعند ما ننظر على حيـــاة خلفاء راشدين، فنجد ما كانوا شعراء رسميا، ولكن قالوا عدة من الأبيات في حب النبي ﷺ وهذه نموذج مملوءة بحبهم للنبي ﷺ ، وفي السطور القادمة نستعرض أشعارهم.

سيدنا أبو بكر الصديق

كـان أبـو بـكـر (ت١٣هـ)سابق الإسلام، مصدق رسالة محمد ﷺ ، والرفيق الوفي ، كان حبه بـالـنبـي الـكـريـم حبـا شديداً، ويظهر مشاعره في لسان الشعر، روي شعر منه في كتب التاريخ والسير والأدب. (٢)

قال على وفاة رسول الله ﷺ:

يـا عيـن فـابكـى ولا تسأمـى وحـق البـكـــاء عـلـى السيـد

فـصـلـى الـمـليك ولـيُّ العباد ورب البـلاد عـلـــى أحـمـد

فـكيف الـحيـــاة لفقدا الجيب وزيـن الـمـعـــاشـر في المشهد

فـليـت الـمـمـــات لـنـــا كـلـنـا فـكـنـــا جـميـعـاً مـع المهتدي (٣)

أعتيـق ويـحك أن حبك قد ثوىٔ وبـقيـت مـنـفـرداً وأنت حسير

يـاليتـنـي من قبل مهلك صاحبي غيبـت فـي حـدث عليّ صخور (٤)

ليـت الـقيـامة قـامت بعد مهلكه ولا نـرى بـعـده مـالا ولا ولدا

١- فهـمـي، مـاهـر حـسـن، الـدكتور: شعره الإسلامي،ص١٠٢. وانظر: الحوفي أحمد، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي- ص٧٦. وانظر: شوقي ضيف، الدكتور: تاريخ الأدب العربي، عصره الإسلامي،ص٣١٥-٣١٩.

٢- طبقـات الشـافعية الكبرىٰ، طبقات ابن سعد، كتاب العمده وغيره، وفي عصر جديد "اشعار أبي بكر، لأمين الله وثير.

٣- ابن سعد : طبقات ابن سعد.بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر دار صادر بيروت . ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م/٢/ ٣١٩.

٤- نفس المرجع ،٢/ ٣٢٠.

كـم لـي بـعـدك مـن هـمّ يُنصبُّي — إذا تـذكـرت انّـى لا اراك أبـدا

كان المصفاء في الأخلاق قد علموا — وفـي العفاف فلم نعدل به أحد (١)

أجـدّك مـا لـعيـنك لا تـنـام — كـأن جـفـونهـا فيهـا كـلام (٢)

ثم يقول:

أميـن مـصطـفـىٰ لـلـخير يدعوا — كـضـرر البـدر زايـلة الـظـلام (٣)

مدح عمر الفاروق رضي اللّٰه تعالىٰ عنه

كـان عـمـر الـفـاروق (ت٢٤هـ) أحـد مـن الناس الذين يفهمون الشعر ، وكان ناقدا جيدا، له نظرات عميقة في نقد الشعر وتفضيل بعض الشعراء على بعض، وروي بعض من الآبيات منه كما يلي:

نبـي صـدق اتيـنـا بالحق من ثقة — وافـي الامـانة مـا في عوده خور

فـأمسـى رسول اللّٰه قد عزّ نصره — وأمسـى عـداه مـن قتيل وشـارد

ويظهر مشاعره في الرثاء كذلك:

ما زلت مذ وضعوا فراش محمد — كيـمـا يُـمـرَّض خـائفـا أتوجَّعُ (٤)

مدح عثمان بن عفان(ت٣٥هـ)

نـجـد كتب الاشعار تخلو من أشعاره، ولكن رتّب عبد الستار المنور الملتاني مجموعة باسم"ديوان غني" في شبه القاره (الهندية)وفي هذه المجموعة نجد شعره، تشتمل هذه المجموعة على أربعة وثمانين شعراً، ولكن هذه المجموعة لا يخلو عن الشبهات ولا يمكن لنا أن نعتمد على هذه المجموعة.

يذكر يوسف بن إسماعيل البنهاني شعراً واحدا منه،والذي قاله على وفاة رسوله الكريم ﷺ:

فيـا عيـنـي ابـكـى ولا تسـامي — وحـق البـكـاء عـلى السيـد (٥)

١- طبقات ابن سعد،٢/ ٣٢٠.

٢- النبهاني ، يوسف بن إسماعيل :المجموعة البنهانية في مدائح النبوية،١/ ٤٨.

٣- السبكى، ابو نصر عبد الوهاب:طبقات الشافعية الكبرىٰ،٤/ ١٦١.

٤- النبهاني، يوسف بن إسماعيل: المجموعة البنهانية في المدائح النبوية۔ ١/ ٤٨.

٥- نفس المرجع.

مدح على بن أبي طالب(ت ٤٠هـ)

فصاحة اللسان وبلاغة الكلام من الخصائص الحسنة لسيدنا علي رضي اللّٰه عنه، وخطباته أكمل النموذج بنثره البليغ، نسب إليه كثير من الشعر وطبع ديوان كامل باسم "ديوان علي" نقل صاحب "سيرة ابن هشام" عدة من الأشعارباسمه ولكن ما اعتمد صاحب السيرة بنفسه على سنده، ويقول:"ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها". (١)

انظر بضعة الأبيات من ديوانه:

وقيت بنفسى خير من مطئ الحصىٰ　　ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
اردت بـه نـصـر الا لـه تبتلا　　واضمرته حتى أو سد في قبر (٢)
فأمسى رسول اللّٰه قد غنّى نصره　　وكان رسول اللّٰه ﷺ أرسل بالعدل
فجاء بفرقان من اللّٰه منزل　　مبينة آياته لذوى العقل (٣)
فأصبح أحمد فينا عزيزا　　عزيز المقامة والموقف (٤)
الهى بحق الهاشمي وآله　　وحرمة ابرارهم لك خُشع
الهى فانشرني على دين أحمد　　منيبا تقيا قانتا لك أخضع
ولا تحرمني يا الهى وسيدي　　شفاعته الكبرىٰ فذاك المشفع
وصلّ عليه ما دعاك مؤحد　　وناجاك اخيار ببابك ركع (٥)

مخدرات الإسلام

ونجد كثيراً من النساء في عصر النبي ﷺ يظهرن مشاعر هن وعقيدتهن في المدائح النبوية وينبغي لنا أن نبتدأ مدائح هؤلاء النساء بالسيدة آمنة، لأنه ظهر هذا القمر المنير ﷺ في مهدها.

١- سيرة ابن هشام، ٢/ ٣٧٣.

٢- ديوان سيدنا عليؓ، ص٥٤. وسيرة ابن هشام، ٢/ ٣٧٣.

٣- ديوان سيدنا عليؓ .كانبور: المطبع المجيدي. ١٣٤١هـ.ص٩٦.

٤- سيرة ابن هشام، ٣/١٠٢.

٥- ديوان بديع البيان، لعلي عليه السلام مع بالترجمة الأردية، لأبي الحسنات قطب الدين أحمد،ص١١٥.

سيدة آمنة رضي الله عنها

كانت السيدة آمنة بنت وهب(ت٤٥ ق هـ) من بني زهرة من قريش، تزوجها السيد عبد الله بن عبد المطلب ولكن صارت أرملة في شبابها،و أعطاها الله تعالىٰ الطفل المبارك، وذهبت إلى المدينة لزيارة قبر زوجها، ولما رجعت من مدينة ووصلت "أبواء" نظرت إلى طفلها وقالت:

بـارك فيك الـلّـه مـن غـلام　　　يـا ابـن الـذي من حومة الحمام

فـانـت مبـعـوث إلى الانـام　　　تبـعـت فـي الـحـل وفي الحرام

تبعـث فـي التـحـقيق والإسلام　　　ديـن أبيك البـرابـراهـام" (١)

ولمّا فوضت ابنها إلى سيده حليمة السعدية قالت:

أعيـذه بـالـلّـه ذى الـجـلال　　　مـن شـر مـا مرّ على الجبـال

حتـى أراه حـامـل الـحـلال　　　ويـفـعـل الـعـرف إلى الموالى

وغيـرهـم مـن حشـوة الرجال (٢)

السيدة حليمة السعدية (ت بعد ٨هـ)

كانت أمه الرضاعي، وقالت في ترنيمة الأم للصبي.

يـا رب إذا اعـطيتـه فـأبقـه　　　وأعـلـه إلـى الـعلا وأرقـه

وادحض أباطيل العدا بحقه (٣)

السيدة شيما بنت الحارث،

كانت شيما بنت الحارث (ت بعد ٨هـ)أخته من الرضاعة ، وقالت بالسرور:

يـا رب أبـق لـنـا مـحـمـداً　　　حتـى نـراه يـا فـعـا وامـروا

ثـم نـراه سيـدا مسـوّدا　　　واكتـب اعـاديـه مـعـا والحمد

وأعـطـه غيـراً يـدوم أبـداً (٤)

١- السيوطي، أمام جلال الدين عبد الرحمٰن: الخصائص الكبرىٰ. بيروت : دار الكتب العلمية ١٣٢٠هـ ، حيدر آباد ، دكن ، دهلي :المطبع المحتسباني. ١٣٧٨هـ . ٧٩/١.

٢- طبقات ابن سعد،١/ ١١١.

٣- الخصائص الكبرىٰ،١/ ٥٩. وانظر: النبهاني : حجة الله على العالمين.لائل بور : المكتبة النورية الرضوية. بدون التاريخ.ص٢٦٠.

٤- ابن حجر عسقلاني، شهاب الدين أحمد: الاصابة في تميز الصحابة_ ص٤/ ٣٣٦.وانظر: البنهاني: حجة الله على العالمين،ص ٢٦٠.

أروى بنت عبد المطلب

وعمته أروى بنت عبد المطلب (ت نحو ١٥هـ) أنشدت في مدح النبيﷺ:

ألا يا رسول الله كنت رجاء نا وكنت بنا براً ولم تك جافيا
وكنت بنا رؤوفا رحيما نبينا لبيك عليك اليوم من كان باكيا
افاطم صلى الله رب محمد على حدث أمسى يثرب ثاويا
فداء لرسول الله أمي وخالتي وعمي ونفسي قصرة ثم خاليا (١)

عاتكة بنت عبدالمطلب

وكانت عاتكه بنت عبد المطلب عمته الأخرى التي قالت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

يا عين فانهملى بالدمع واجتهدي للمصطفى دون خلق الله، بالنور
من فقد أزهر ضافي الخلق ذي فخر صاف من العيب والعاهات والزّور
أنى لك الويلات! مثل محمد في كل نائبة مزب ومشهد
ام من لوحي الله يترك بيننا في كل مُمسى ليلة أو في غد
أعينيّ جودا بالدموع السواجلد على المصطفىٰ بالنور من آل هاشم
على الطاهر الميمون ذي الحليم والندىٰ وذى الفضل والدّاعى لخير التراجم
أعينيّ ما ذا، بعد ما قد فجحتما به تبكيان الدهر من ولد آدم (٢)
أقاكم بما جاء النبيّون قبله وما ابن اخي البر الصدوق شاعر (٣)

صفية بنت عبدالمطلب

وكانت صفية بنت عبد المطلب (ت ٢٠هـ) عمة الرسول وأم زبير بن العوام وهي الاخت الشقيقة للسيد حمزة رضي الله عنه.(٤)

١- طبقات ابن سعد،٢/ ٣٢٥،٣٢٦. ولكن نجد هذ الشعر باسم سيده صفية بنت عبد المطلب فى "الاستيعاب" ص١/ ٢١ وفي" الظريف الأديب"، الظريف شيخ عبد الأول بن على الجونفوزى ص١٣٦، ولعل هذا صحيح.

٢- طبقات ابن سعد، ٢/ ٣٢٦_ ٣٢٧.

٣- نفس المرجع.

٤- ابن سعد: الطبقات الكبرى،٨/ ٤١،٤٢. والإصابة، ٤/٣٣٩،٤٣٠، وأسد الغابة،٥/ ٤٩٢،٤٩٣.

قالت رثاء على وفاة الرسول الكريم:

ليت شعري، وكيف أمسى صحيحاً ... بعد أن بينا بالرسول القريب

أعظم الناس في البرية حقا ... بسيد الناس حبه في القلوب

فأوحشت الأرض من فقده ... وأى البريّة لا ينكب

وتبكى الأباطح من فقده ... وتبكيه مكة والأخشب

أعينيّ جوداً بدمع سجم ... يبادر غربا بما منهدم

على صفوة الله رب العباد ... ورب السماء وبادى النسم (١)

ثم تقول:

ثمال المعدمين وكل جار ... ومأوى كل مضطهر غريب

فاما تمس في جدت مقيما ... فقد ما عشت ذاكرم وطيب

فاتح، خاتم، رحيم، رؤوف ... صادق الفيل طسب الأثواب

طيب العود والغربية والتسليم ... محض الأنساب وارى الزفاد (٢)

سيدة فاطمة الزهراء

كانت سيدة فاطمة الزهراء (ت١١هـ) بنت رسول الله ﷺ وسيدة نساء أهل الجنة، أم الحسنين، زوج علي، وكانت عاشت بعد وفاة الرسول الكريم ستة شهور فقط وقضت تلك الشهور في الخزن، وظهر هذا الحزن في أشعارها:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... وغاب مضرغبت عنا الوحي والكتب (٣)

فليت قبلك كان الموت صادفنا ... بما نعيت وحالت دونك الكتب

اغبرّ افاق السماء وكورّت ... شمس النهار وأظلم العصران

والأرض من بعد النبي كيئبة ... أسفا عليه كثيرة الأحزان

١- ابن سعد: طبقات الكبرى، ٢/ ٣٣٣،٣٣٢.

٢- نفس المرجع،٢/ ٣٢٨، ٣٣٠.

٣- ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد اندلسى: العقد الفريد،٢/ ١٥٣، ١٥٤.

يـا خـاتـم الـرسـل المبارك وجهـه　　صـلّـى عـليك مـنـزّل الـقـرآن (١)

فـإن كـنـت عـنـي في التراب مغيبا　　فما كنت عن قلبي الحزين بغائب (٢)

أمســى نـجـدى لـلـدمـوع وسوم　　اسـفـا عـليك وفـي الفؤاد كلام

والـصبر يحسن في المواطن كلها　　الا عـليك فـــانّـــه مـذمـوم

لا عتـب فـي حـزنـي عليك لوانـه　　كـان البـكـاء لـمـقـلـتي يدوم (٣)

ونال البيتان التاليان شهرة بالغة حيث تقول:

مـا ذا عـلـى مـن شـمّ تربة أحمد　　أن لا يشـمّ مـدى الـزمان غواليا

صبّـت عـلـى مـصـائـب لوانهـا　　صُبـت عـلـى الأيـام صـرن لياليا (٤)

المدح النبوي في العصرين الأموي والعباسي

وبـعـد استعراض نموذج المدائح النبوية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وما بعد عند ما نـنظر إلى العهدين الأموي والعباسي، نجد أن هذا العصر،هو الذي اشتهر بترويج الحضارة الإسلامية وثقافة الإسلام وعلومه وفنونه، إلا أننا نجد قليلا من الماد حين في هذا العصر، فنحن الأن نتكلم عن هؤلاء المادحين واحداً واحداً.

الفرزدق في المدح النبوي ﷺ

وهـو أبـو فراس همام بن غالب تميمى(ت ١١٠هـ)، ولد في بصره، وعاش حياته الابتدائية هناك، وتربى في مهد العلم والأدب حتى صارت طبيعته معتدلة للشعر، وقال الشعر في المدح النبوي ﷺ.

ويقول الدكتور زكي مبارك في هذا الصدد:

"أن مـدح الـفـرزدق هو بداية الصدق في المدائح النبوية، ذلك بأن مدائح حسان وقعت في أيـام كـان مـدح الـنبي فيها ينفع الشاعر ولا يضره، أما مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأهله في أيام

١- ديوان سيدنا عليؓ، ص٦. ولكن نسب هذا الشعر إليه الكميت من زيد الأسدى "فى" العمدة، ص٢/ ٢٣.

٢- نفس المرجع، ص١٩.

٣- النبهاني، يوسف بن إسماعيل: حجة الله على العالمين،ص٧١٢.

٤- معين كاشفي، ملا: مدارج النبوة في مدارج الفترة . سكهر ، باكستان : مكتبة نورية رضوية و كتورية ماركيت و مطبعة سراجي منشي نولكشور ، لكهنو، ١٩٢٦م. ص٤/ ٢٨٦.

الفرزدق، فكان باباً من الشريفتح للمادحين، لأن تلك المدائح ما كانت تروق خلفاء بنى أميه، وكيف تروقهم وهي تزكية لخصوم اولئك الخلفاء؟ إن أقوى حجة عند خصوم بني أمية كانت قرابتهم من رسول الله، فلا بدع أن يكون مدح رسول الله تنويها بشأن اولئك المعارضين. الم تر كيف غضب هشام وسجن الفرذدق؟

ثم يقول:

ومضى هذا أن السياسة كانت بدأت تستقل عن الدين بعض الاستقلال فمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في نظر خلفاء بني أمية كان ضرباً من التمدد، وتعليل ذاك سهل، فموقف على بن حسين من بنى أميه شبيه بموقف خلفه الشريف الرضى من بنى العباس، والشريف هو الذي يقول:

ردوا تراث محمد ردوا   ليس القضيب لكم ولا البرد

وتراث محمد كان أهم ما فيه ولاية أمر المسلمين، وقد انتزعت من آل البيت انتزعها بنوأمية ثم بنو العباس، نقول هذا النس أثر الشجاعة الصوفية عند الفرزدق حين مدح على بن الحسين في حضرة هشام بن عبد الملك وقوله حين رفض العطية .

"مدحته للّه تعالىٰ لا للعطاء"

يذكر بالكميت، وقد دخل عليه جعفر بن محمد بعطاء وكسوة فقال:

"والله ما أحبكم للدنيا، ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه، ولكني احبكم للأخرة، فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها وأما المال فلا أقبله"ـ (١)

ويقول في المدح النبوي ﷺ:

هو جنة للمؤمنين ورحمة   قد عمّ كل موحد رضوانه

أو ليس لى في الغيب زورة أحمد   فنزيله قد فُرّجت أحزانه

طوبى لمن هو مؤمن بمحمد   قد صحّ ما بين الورى إيمانه

من أين لى بالشعر مدحك في الورى   والله خصّك بالثناء قرآنه

١- زكي مبارك ، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي،ص٤٨، ٥٠ .

لـكـن بـمـدحك قـد يـفـوز متيـم ‏ ‏ ‏ ‏ بـالـحـبّ متبـول الحشا ولهانه

بـالـمـدح يـرجو أن تكون شفيعه ‏ ‏ ‏ ‏ فـاحسـن لـعبـد سـاء ه عصيانـه

واحـكـم لـه يـا مـصطفىٰ برضا إذا ‏ ‏ ‏ ‏ يـوم الـقيـامة قـد عـلت ميزانـه

صـلّـى عـليك الـلّـه والأملاك مـا ‏ ‏ ‏ ‏ قـد فاح من روض الرّبا ريحانه" (١)

الإمام أبو حنيفة

وهـو الـنعمان بن ثابت(ت ١٥٠هـ) الذي أسس الفقه الحنفي، وكان من التابعين، بأنه رأى كثيرا مـن الـصحـابة ونسـب إليـه كثيـر مـن الـكتب، وقصيدته المدحية واحـدة باسم، "القصيدة النعمانية" وطبعت في سنة ١٢٦٨هـ من مطبع حجر آستانه۔

وطبعـت هـذه الـقـصيدة مراراً، وقد رتب في سنة ١٢٦٥هـ باسم"مجموعة القصائد" من استنبول، فأدخلها في هذه المجموعة، ونجد كثيراً من الفضائل والشمائل النبوية في هذه القصيدة:

يـا سيـد الـسادات جـئتك قاصدا ‏ ‏ ‏ ‏ أرجـو رضـاك واحتـمى بحماك

والـلّـه يـا خيـر الـخلائق انّ لي ‏ ‏ ‏ ‏ قـلبـا مشـوقـا لا يـروم سـواك

أنـت الـذي لـولاك مـا خلق امرء ‏ ‏ ‏ ‏ كلّا ولا خـلـق الـورىٰ لـولاك

أنـت الـذي لـمّـا تـوسّـل آدم ‏ ‏ ‏ ‏ مـن زلة بك فـاز وهـو أبـاك

لك مـعجزات اعجزت كل الورى ‏ ‏ ‏ ‏ وفـضـائـل جـلّـت فليس تحاكا

قـد فـقـلـت يـا طـه جميع الأنبيـاء ‏ ‏ ‏ ‏ طـرّا فسبحـان الذي أسواكـا

والـلّـه يـا يـسّ مثلك لـم يكن ‏ ‏ ‏ ‏ فـي الـعـالـميـن وحق من نبّـاك

يـا أكـرم الـثقـلـين يـا كنز الورىٰ ‏ ‏ ‏ ‏ جُـرلـى بجورك وارضني برضاك

أنـا طـامـع بالجود منك ولم يكن ‏ ‏ ‏ ‏ لأبـى حـنيـفة فـي لانـام سواك" (٢)

١ـ طـه وادي، الـدكتور: الشـعـر والشعراء المجهولون. الـطبـعة الثالثة، الـقـاهـرة: دار المعارف ١١٩ كورنيش النيل.١٩٩٥م. ص٣٢٥ـ٣٢٦.

٢ـ اسـحـاق قـريشـي، الـدكتور:المدائح النبوية في باكستان وهند. رسالة الدكتوراه، جامعة بنجاب، باكستان، ١٩٧٩م.ص١٩٠.

محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي القطرب (ت٢٠٦هـ)

وهو مؤلف القصيدة المدحية "المثلّث" التي تشتمل على سبعة وعشرين شعراً، ونقلها ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ) في "معجم الأدباء"، ونجد فيها ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم.

إليك، رسول اللّه، مناتحية — وصلّى عليك العابد المتهجّد
فأنت رسول اللّه هاد ومهتدٍ — نبي هدى للأنبياء مؤيد
فلا يقبل التوحيد الّا بذكره — ليقرنه، عند النداء الموحد
مطهر التركيب من كل آفه — مباركة الافعال ما مثلها يد
تسلّم أحجار عليه فصيحه — إذا ما خلا في حاجة يتضرّد
حليم، رحيم يسّن متواضع — سخي حي عابد متزهد
وكان رسول اللّه خوف صفاتنا — يقصر فيه عن يقول فيهد" (١)

أبو العتاهية

وهو أبو اسحاق إسماعيل بن القاسم(ت٢١١هـ)، الشاعر المعروف في العهد العباسي، وكان موضوع شعره "الزهد والتقوىٰ" وهو شاعر قادر الكلام، وكما يقول:

"لو شئت أن أجعل كلامي كله في شعر واحد، لفعلت". (٢)

وكان من خصائصه، أنه عرض هدية فنه في المدح النبويﷺ،بأنه يشعر أن ذات النبي رحيم كريم وينبغي لنا أن نمدحه.

فيقول:

"مرسل لو يوزن الناس به — في التقى والبر شالوا ورجع
فرسول اللّه أولى بالعلى — ورسول اللّه أولى بالمدح" (٣)

١- الندوي، عباس، سيد: عربي ميں نعتية كلام (الأردية)(المدح النبوية في الأدب العربي)،ص١٣٢-١٣٥.

٢- الندوى عباس، سيد: عربي ميں نعتيه كلام (الأردية) (المدح النبوي في الأدب العربي)،ص١٢٨.

- وانظر: طه حسين : تاريخ الأدب العربي ، ص١٢٣-١٢٧.

٣- الندوى عباس، سيد: عربي ميں نعتيه كلام (الأردية) (المدح النبوية في الأدب العربي)،ص١٢٨.

وكان أبو العتاهية منفرداً في تجديد الفكر وابتكار المعنى.

علــى رسـول اللّــه مـنـي السلام — مــا كـــان إلا رحـمـة لـلأنــام

أحيــا بــه الــلّــه قـلـوبـا كـمـا — أحيا موات الأرض صوب الضمام

انظر كيفيته الإسلام على ضريح النبي المبارك.

سـلام عـلـى قبـر الـنبـي مـحـمـد — نبي الهدى والمصطفىٰ والموئد

نبـي هـدانـا الـلّـه بـعـد ضـلالـه — بـه لـم نـكـن لولا هداه لنهتدى" (١)

الصنوبري في مدح النبي ﷺ

هـو أحـمـد بـن مـحـمـد بن الحسين بن مرار الضبي الحلي الأنطاكي ، أبو بكر، اشتهر باسم الصنوبري(ت ٣٣٤هـ).

ويقول في مدح النبي ﷺ:

سيـــــرا إذاً لـــــن تسيـــــرا — عيــــراً تـنـــاقـــل عيـــرا

مـــحـــمّـــلات ظهـــوراً — ومـــوقـــرات نـــذورا

زورا بيثــــرب قبــــرا — وبــــالــعــراق قبــورا

زورا الـــــنبــــيّ وزورا — وحيّـــــه والـــوزيـــرا

زور الشـمــوس شـمــوس الـــ — أيــــــام زورا البـــدورا

مـحـمـداً وعـليـاً وشبراً وشبيـرا — صلّى الا له على من أتى بشيراً نذيراً

ومـــن مـضــى خــاتـم الرســـ — ل والســـراج الــمـنيـــراً" (٢)

أبو العلاء المعري (ت٤٤٩هـ)

يقول أحمد الحوفي عنه:

"وأمـا أبـو الـعـلاء الـمـعـري فـقـد عرض أبياته في الدعوة إلى الحق والخير، وإلى التوحيد الـخـالـص، وفـرضـهـا عبـادات ونـوافـل، وحثهـا عـلـى طهـارة الجسم والملبس ونهيها عن قذف

١- اسحاق قريشي، الدكتور: المدائح النبوية في باكستان وهند،ص ١٩٠.

٢- الضبي، أحمد بن محمد بن الحسن: ديوان الصنوبري.بيروت ، لبنان : دار الثقافة . ١٩٧٠م.ص٩٣-٩٦.

المحصنات وعن الخمر:

"دعاكم إلى خير الأمور محمد   وليس العوالي في القضا كالشوافل
حذاكم على تعظيم من خلق الضُحىٰ   وشهب الدجى من طالعات وآفل" (١)

من بديع النظم لابنِ الحيان في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

"هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأموى بالولاء، أبومروان(ت٤٦٩هـ)، كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس، أفصح الناس بالتكلم فيه، وأحسنهم تنسيقاً له". (٢)

قال الشعر في المدح النبوي ﷺ في صورة تخميس:

تاج النبوة خاتم الأنبياء   صفوا الصريح خلاصة العلياء
نجل الذبيح سلالة العلماء   بشرى المسيح دعاء ابراهيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

أوصاف سيدنا النبي الهادي   مانا لها أحد من الأمجاد
فالرسل في هدى وفي ارشاد   قد سلموا النبيا تسليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

البدر شق له ليظهر صدقه   والشمس قد وقفت تعظيم حقه
والمزن أرسل إذ توسل ودقه   فاخضر ما قد كان قبل هشيما
صلوا عليه وسلموا تسليما (٣)

الشقراطيسى (ت٤٩٦هـ)

ويقول أبو عبد الله بن أبي زكريا الشقراطيسي المغربي:

خير البرية من بدو ومن كفر   واكرم الخلق من خاف ومنتعل
ألست أكرم من عيشي على قدم   من البرية فوق السهل والجبل" (٤)

١- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي،ص٧٦.
٢- الزركلى، خير الدين: الأعلام، ٢/٢٨٩.
٣- المقري: نفح الطيب. بيروت ، لبنان : دار الكتب العربي . بدون التاريخ . ٤/٤٤٢_٤٤٣.
٤- النبهاني، يوسف بن إسماعيل_ المجموعة النبهانيه. ٣/١٩٨

هذه القصيدة تشتمل على خمسة وثلاثين ومئة شعرٍ.

الأبيوردي

أبو المظفر محمد بن أحمد الأموي الأبيوردي(ت٥٠٧هـ)، كان أديباً، شاعراً ومؤرخاً شهيراً، والأبيور أحدى مدن خراسان، التي تقع بين سرخس و نساء، فيه ولد الأبيوردي، صنّف عدة من الكتب، ومنها تاريخ أبيورد، تاريخ نساء، وديوان الشعر. ويشتمل هذا الديوان على ثلاثة أجزاءٍ.

الأول "النجديات" الثاني" العراقيات" والثلاثة "الوجديات".

توجد في شكل المخطوطات، طبعت مقطعات الأبيوردي في سنة ١٢٧٧ هـ من القاهرة، وطبع ديوان في سنة ١٢١٧هـ من نسان.

نظم الأبيوردي قصيدة لامية على معارضة "بانت سعاد" وذكر الشمائل النبوية باختصار:

تحكى شمائله في طيبها زهراً   يفوح والروّض موهوم ومشمول

فمن احبهم نال النجاة بهم   ومن أبى حبهم فالسيف مسلول" (١)

الزمخشري

محمود بن عمر، ابو القاسم الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، ولدفي زمخشر مدينة "خراسان" في سنة ٤٦٧هـ، وتوفي في جرجانية "خوارزم"- أقام الزمخشري فيمكة طول المدة، ولذا لقب بـ"جار اللّه" كان تصنيفه الكشاف" فيالتفسير، "المعضل" في النحو "المستقى" في الأمثال وغيرها، وكان الزمحشري حاذقا في اللغة العربية وكان يعرف الأدب العربي جيداً.

ويقول في مدح النبي ﷺ:

يهوي إلى قبر النبي محمد   خبّيا كمارقّ الظلم النافر

للّه ميت بالمدينة قبره   قصر مشيد والقصور مقابر (٢)

نظم على معارضة بانت سعاد ويقول:

والحق فالحق ما جاء الرسول به   سيف على هام أهل الشرك مسلول

١- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ : المجموعة النبهانيه،٣/٣١، ٣٣.

٢- اسحاق قريشي، الدكتور، المدائح النبوية في باكستان وهند، ص١٩٣.

فـالـلّـه مـالا قة صـلـب ولارحـم إلا على الطهر والأنجاب مجبول

مـحـمد أن تصنف أدنى خصائصه فيـا لهـا قـصة فـى شرحها طول

هـو الـذي أن يـخـالـح فـي نبوتـه ريب فما القول بالتوحيد مقبول

يا خاتم الرسل انّ الطول منك على واجى الشفاعة يوم الحشر مأمول" (١)

على بن محمد الصمداني الخوارزمي (ت نحو ٥٦٠هـ)

كـان ملقباًب "حجة الأفاضل وفخر المشائخ، كنيته أبا الحسن، يقول شعراً جيداً،نظم على معارضة قصيدة "كعب بن زهير" .

هـدى إلـى ديـن إبراهيـم أمتـه وكـلهـم بـعقال الشرك معقول

وكـل اصـحـابـه أهوى وأمنحهم وُدّى وصيفضهم في الدين مدخول (٢)

الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني (ت ١ ٥٦هـ)

نسب إليه كثير من الشعر و بعض القصائد، قال قصيدة لامية، ويقول فيها:

وكـل ولـي لـه قـدم وإنـي عـلى قدم النبـي بـدر الكمـال

نبـي هـاشـمي، مـكـي حجـازي وهـو جـدي بـه نـلـت الموالى

وعبـد الـقـادر الـمشهـود اسـمـى وجـدّى صاحب العين الكمال" (٣)

وقال فى القصيدة الأخرىٰ:

أفـلـت شـمـوس الأولين وشمسنا أبـداً عـلى فلك العلىٰ لا تغرب" (٤)

المدح النبوي في العصر التركي

اتجه كثير من الشعراء إلى المدائح النبوية في هذا العصر، وذلك لأنه أثرت الحروب الصليبية عـلى قـلـوب الشاعر و أذهانهم، وكانوا يعرفون تهديم هذه الحروب ، فنجد آثار هذه الحروب في

١- اسحاق قريشي، الدكتور، المدائح النبوية في باكستان وهند،ص١٩٣.

٢- نفس المرجع.

٣- النبهاني، يوسف بن إسماعيل: المجموعة النبهانية ، ١٩٨/٣.

٤- نفس المرجع.

أشعارهم، بعد اغتصاب بيت المقدس، نشأ فيهم الحب لمقاماتهم المقدسة ونشأ الحب العميق للرسول الكريم ﷺ.فالأن نذكر أشهر هؤلاء الشعراء.

الإمام البوصيرى

هو محمد بن سعيد (ت٦٩٤هـ) بن حماد بن محسن بن أبى سرور بن حبان بن عبد الله بن ملاك الصّنهاجى.

أنشد البوصيرى قصيدة اشتهرت بقصيدة البردة.وذكر سبب نظمها وهو قد أصيب بفالج أقعده، فدعا إلى الله وتشفع، فلما كان في نومه رأى النبيﷺ، فمسح وجهه بيده المباركة وألقى عليه بردة، فانتبه فإذا هو قد شفى من مرضه، فنظمها، وسماها لذلك بالبردة، تيمناً وتبركاً، فأنشدها الناس كذلك تيمناً وتبركاً:

نبي كامل الأوصاف تمّت ... محاسنه فقيل له الحبيب
يفرج ذكره الكربات عنا ... إذا انزلت بساحتنا الكروب
مدائحه تزيد القلب شوقا ... إليه كأنها حليٌ وطيب
كأن حديثه زهر نضير ... وحامل زهرة غصن رطيب
و تستهدي القلوب النور منه ... كما استهدي من البحر القليب
بدت للناس منه شموس علم ... طوالع ماتزول ولا تغيب
وآداب النبوة معجزات ... فكيف ينالها الرجل الأديب
وإن محمد الرسول حق ... حسيب فى نبوته نسيب
أمين، صادق، برّ، تقي ... عليم، ماجد، هاد وهوب
لا تقنطي يا نفس إنّ توسلي ... بالمصطفى المختار ليس يُغيب
صلّى عليه اللّه إنّ صلاته ... فرض على كل الأنام مرتّب
أمدائح لي فيك أم تسبيح ... لولاك ما غفرا الذنوب مديح
لولا النبيّ محمد وعلومه ... لم يعرف التحسين والتقبيح
واقبل رسولُ اللّه عذر مقصرٍ ... هو إن قبلت بمدحك الممدوح

فـاكـحـل بـطـيف مـنه طرفاً جفنه　　　بـدمـوعـه حتى يـراه قـريـح" (١)

أبو ترى

مجد الدين أبو عبد اللّٰه محمد بن الرشيد أبي بكر البغدادى، المعروف بأبي ترى (ت٦٦٢هـ) كان واعظاً معروفاً ـ اختار الطرق البديعة في المدائح النبويه، فنظم قصيدة تشتمل على واحد وعشرين شعراً بحروف الهجاء كلها إلا ألف المقصورة. ويقال له "الوترى" واشتهرت مجموعته بـ"القصائد الوترية" و طبع من مصر في سنه ١٣١١هـ، نظم بعض المتعقدين تخميس على قصائده، مثل تخميس الوترية في مدح خير البرية لمحد البغدادي(ت٦٦٢هـ) تخميس على الأزرعي (ت٧٢١هـ) تخميس محمد الوراق (ت٧٥٧هـ) وتخميس يوسف الروندى". (٢)

ويقول:

"بـمبـحتـه كـل الـنبيـن بشـرت　　　ولا مـرسـل إلا لـه كان يخطب
بتـوراة موسٰى نعته وصفاته　　　وانجيل عيسٰى في المدائح يُطيب" (٣)

ابن نباته المصري

كان ابن نباته المصري، جمال الدين محمد بن محمد، ولد فى سنة ٦٨٦هـ وتوفى في سنة ٧٦٨هـ، وهو العالم والصوفي والأديب في عصره وقال الشعر في المدح النبوي بالعقيدة.

فيقول:

وإن محـمداً لـحبيـب انـس　　　وجـن هـم لـنـعـليـه فـداء
نبـي تـحـمـل الأنبـاء عنـه　　　جمال الشمس يجلوها الضحاء
وأيـن الشمـس منـه سنا ولولا　　　سـنـاه مـا الـم بهـا بهـاء
ولـولا لـمـا حـجـت وعـجـت　　　وفـود البيـت ضـاق بهـا الفضاء
اعـدلـى يـا رجـاء زمـان قـرب　　　بـروضتـه اعـدلـى يـا رجـاء

١- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية، ص ٣٥-٣٧، ٤١-٤٤، ٤٧، ٥٥، ٥٧، ٥٨.

٢- كحالة ، عمر رضا : معجم المؤلفين، ٩/ ١١٤.

٣- النبهاني، يوسف بن اسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية، ١/ ٤٧.

ولثـم حـصـى لتـربتـه ذكـي — كـان شـذاه فـي نـفسـي كـبـاء
صـفـى الـلّـه يـا ازكـى البـرايـا — بـحبك فـي عـقـائـد فـا الصفـاء
عـليك مـن الـمـليك بـكـل وقـت — صـلاة فى الجنان لـهـا أدا" (١)

الشيخ عبد الرحيم البرعي

هو عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعى اليماني(ت ٨٠٣هـ)، كان شاعرا متصوفاً، له ديوان شعر مطبوع، وأكثرها في المدائح النبوية.

يقول في المدح النبوي:

وفـي اكـنـاف طيّبـه هـاشـمـي — يـصـرف بـالسماحة حيث شاء
أمـام الـمـرسلين ومنتقـاهـم — حـوى الـخيـرات ختما وابتداء
تـنـاهـي فـخـر كـل اخى فخار — ولـن تـلـقـى لـمـفخـره انتهـاء
نبـي مـا رأتـه الشمـس إلا — وغـضـت عـن مـحـا سنه حياء
عـظيـم أن تـواضـع عـن عـلـو — كبيـر ليـس يـرضـى الكبـريـاء
رسـول الـلّـه اعـلـى الـنـاس قدراً — وأكـرمهـم وأرحبهـم فـنـاء
ومـن لـي أن أزورك بـعـد بـعدٍ — صبـاحـاً يـا مـحـمـد أو مساحا
عـليك صـلاة ربك مـاتبـارك — صبـا نـجـد نسيـمـا أورخـاء" (٢)

ثم يقول:

مـحـمـد سيـد السادات من وطئت — حـجب العلا ليلة المعراج لعلاه
مهـذب الـخـلـق والأخلاق بهجة — تـريك عـن حسنه عنوان حسناه
ومثلـه مـارأت عيـن ولا سمعت — أذن ولا نطقت به في الكون أخواه
يـا سيـدى يـا رسول الله خذبيدي — فـي كـل هول من الأهوال ألقاه
والعفوأ وسع من تقصير من قعدت — بـه الـذنـوب فـلم تنهض مطاياه (٣)

١- الندوي، عباس ،عبد الله: عربي ميس نعتية كلام(المدائح النبوية في الأدب العربي)،ص٢٠١-٢٠٤

٢- نفس المرجع ، ص١٩١- ١٩٤.

٣- البرعى، عبد الرحيم بن أحمد: ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية. مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ١١ يونيو ١٩٥٠م. ص٣٨، ٣٩، ٤٤

ويقول في موضع آخر:

سور المثاني من حروف ثنائه ... ومحامد الأسماء من أسمائه

والرسل تحشر تحت ظل لوائه ... يوم المعاد و يستجير المجرم

فبحقه صلوا عليه وسلموا (١)

عبد الرحمن بن خلدون

هو عبد الرحمن بن خلدون(ت٨٠٨هـ) ، مصنف "مقدمة التاريخ" وقلبه كان مملوءاً بالحب النبوي، فيقول في المدح النبوي:

فتؤم من أكناف يثرب مأمنا ... يكفيك ماتخشاه من تثريب

حيث النبوة أيها مجلوة ... تتلو من الآثار كل غريب

سر غريب كيف يحجبه الثرىٰ ... ماكان سر اللّٰه بالمحجوب

يا سيد الرسل الكرام! ضراعة ... تقضى منّى نفسي وتذهب حولي

عاقت ذنوبي عن جنابك والمنى ... فيها تعللني بكل كذوب

هب لي شفاعتك التي أرجوبها ... صفحاً جميلاً عن قبيح ذنوبي

اني دعوتك واثقا باجابتي ... يا خير مدعو وخير مجيب

قصرت في مدحي فإن يك طيبا ... فيما لذكرك من اريح الطيب

ماذا عسى يبغي المطيل وقدحوى ... في مدحك القران كل مطيب" (٢)

شعر أبي نواس في المدح النبوي

هو الحسن بن هاني (ت٨١٠هـ) من اليمن،ومن خير شعره ما قال في محمد الأمين رثاءً صلى اللّٰه عليه وسلم :

طوى الموت ما بيني و بين محمد ... وليس لما تطوي المنّيةُ ناشر

و كنت عليه أحذر الموت وحده ... فلم يبق لي شيئى عليه أحاذر

١- البرعى، عبد الرحيم بن أحمد: ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية، ص٤٦.

٢- الندوي، عبد اللّٰه عباس: عربي ميں نعتيه كلام(المدائح النبوية في الأدب العربي)، ص ٢٢١ ، ٢٢٣، ٢٢٤.

لـئـن عـمـرت دور بـمـن لا تحبّـه | لـقد عمرت ممن تحبُّ المقابر" (١)

الإمام الشهاب أحمد المقري

هو أحمد بن محمد المقري (ت بعد ٨٤٧هـ) شهاب الدين المغربي المالكي.

ويقول في المدح النبوي:

تـحية الـلّــه وطيـب الســلام | عـلـى رسـول اللّـه خيـر الانـام
عـلـى الـذي فتح بـاب الهـدى | وقـال لـلـنـاس ادخـلوا بالسلام
بـدر الهـدى، بـحر النـدى والسدى | ومـا عسـى أن يتـنـاهى الكلام
تـحية تهـزأ أنـفـاسهـا | بالمسك لاأرضى بمسك الختام
تـخـصـه مـنـي ولا تـنـثـني | عـن اهـلـه الـصيد السراة الكرام
وقـدرهـم ارفـع لـكـنـنـي | لـم الف أعـلـى نـفطـه من كرام (٢)

ثم يقول:

يـقـولـون لـي لـمـا ركبت بطـالتي | ركـوب فتـى جم الغواية معتدي
أعـنـدك شـيء تـرتـجني أن تنـالـه | فـنلت نعم عندي شفاعة أحمد" (٣)

ابن حجر العسقلاني

شيخ الإسلام، الحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) كتب مخطوطة في المدائح النبوية۔ وهي موجودة في دار الكتب المصرية.

و كـانـت طبـعـت من استنبول وتوجد فيها مدائحه مملوءة بالحزن وبحب النبي صلى الله عليه وسلم .

وإن قـنـطـت مـن الـعصيان نفس | فـبـاب مـحـمـد بـاب الـرجـاء
نبـي خـص بـالتـقـديـم قـدمـا | وآدم بـعـد فـي طيـن و مـاء

١- ابن قتيبه، أبي محمد عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، ٢/٦٩٨.

٢- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: جواهر البحارني فضائل النبي المختار،٣/٢٧٢.

٣- نفس المرجع: ص٢٧٣.

كـريـم بـالـحيـا مـن راحتيـه | يـجـود وفـي الـمحيا بـالحيـاء
نبـي الـلّـه يـا خيـر البـرايـا | بـجـاهك أتـقـى فـصـل القضاء
وأرجـو يـا كـريـم الـعـفـو عـمـا | جـنتـه يـداى يـا رب الـحيـاء
ومـن بـمـدحك ابـن زهيـر كعـب | لـمثـلـي منك جـائـزة الثناء
فـإن احـزن فـمـدحك لي سروري | وان اقـنـط فـحـمدك لي رجائي
عـليك سـلام رب الـنـاس يتـلـوا | صـلاة في الصباح وفي المساء (١)

العصر الحديث

العـصـر الـحـديث الذي يبداء من ١٢١٣هـ/١٧٩٧م ، ونجد كثيراً من الشعرا الذين مالوا ونظموا القصائد المتنوعة في مدح النبي . والآن نذكر أشهرهؤلاء.

عبد الحليم اللوجي الدمشقي

وهـو مـصـطـفـى بـن عبـد الرحيم، أبوادعون اللوجى(ت١٢١٧هـ)، الشاعر المعروف من دمشق، نقل العلامة النبهاني خمسة وأربعين شعرا منه في قافيه القاف،يقول:

سيـد الـمـرسـلـين ضـاق الخنـاق | فـأغثنـا فـالأمـر مـا لايطاق
قـد وهتـنـا مـن الـليـالي خطوب | ذات بـأس قـدمرّ منهـا المذاق
وغـدونـا مـن الهـمـوم سـكـارى | سـاء نـا الإصطبـاح والاغتبـاق
فتـدالك بـفـضـل جـاهك أسـرا | فـأعسـى أن يسُـرَّهـا الإنطلاق (٢)

عمر اليافي

ولـد عـمـر بن محمد البصري اليافي(ت١٢٣٣هـ)، أبو الوفا قطب الدين يا فا في فلسطين، أقام مدة طويلة في غزة وتوفي في دمشق، ألف كثيرا من الكتب، وكان له ديوان ومنه:

يـا مـلا ذالـورىٰ وخيـر عيـاد | ورجـاء لـكـل دانٍ قـصِّـي

١- الندوي، عبد اللّٰه عباس: عربي ميں نعتيه كلام(المدائح النبوية في الأدب العربي)، ص٢٢٧، ٢٢٩، ٢٢٩-٢٣٠.

٢- إسحاق قريشي، الدكتور: المدائح النبوية في باكستان وهند، ص٢٣٧.

حـاش لـلّــه أن أكـون مـضـامـا   بـعـد مـا جـئـت لـلـمـقـام العلى
يـا رسـول الا لــه عـونـا على دهر   زمـانــي بــرتـحــه السـمّـهـري (١)

عبد الباقي آفندي

وهـو عبـد البـاقـي بـن سـليمان العمري الفاروقي(ت١٢٧٨هـ)، كان شاعرا و مؤرخا، وله ديـوان بـاسـم "التـريـاق الـفـاروقي" ألف كثيرا من الكتب، قال عدة من القصائد في مدح أهل البيت باسم "قصائد في مدح اهل البيت".

بـحبهتــه كـنـت نـورا تُـضـئـى   كـمــا ضــاء تـاج على مفـرق
ولــو لاك مــا رفـعك فـوقـنــا   يـدالـلّــه فسطــاط استبــرق
ولا نشــرت كـف ذات البــروج   وخــانـيـر فـي لـوحهــا الأزرق
خيــالا وقــا قــط لـم يسبـق   ويـاسـابـقـا قـط لـم يـلـحـق
فـكـان هبـو طـا فـي عيـن الصعود   فـلا زلـت سـخـرراً تـرتـقـى (٢)

حازم القرطاجني

هـو حـازم بـن مـحـمـد بـن مـحـمـد بـن خلف بن حازم الانصاري القرطاجني أبو الحسن (ت١٢٨٥هـ) ولد سنة ثمان وستمائة". (٣)

قال في المدح النبوي:

نبــي هـدىً قـد قـال لـلـكـفـر نـوره   الا أيهـا الـليـل الطويل الا أنجل
لـقـد نـزلـت فـي الأرض ملة هدية   نزول اليماني ذي العياب المحمّل
فـصلـى عـليـه اللّه مـا لاح بـارق   كـلـمـح اليـدين في حبيٍّ مكلل
حكى طيب ذكراهم ومرٌّ كفاحهم   مـداك عـروس أوصلّاية حـنظل
لأمـداح خيـر الـخلق قلبي قد صبا   وليس صباي عن هوا ها بمنسل

١- النبهاني، يوسف بن اسماعيل: المجموعة النبهانية- ٣٤٩/١

٢- إسحاق قريشي، الدكتور: المدائح النبوية في باكستان وهند، ص٢٣٨.

٣- القرطاجني، حازم: ديوان حازم القرطاجني- تحقيق: عثمان الكعاك، مقدمة الديوان. بيروت، لبنان : دار الثقافة. ١٩٦٤م.

وكن في مديح المصطفى كمديح | يقلـبّ كفيّـه بخيط موصّل
وأمل بـه الأخرى ودنياك دع فقد | تـمتعـت من لهوٍبها غير معجل (١)

محمود سامي البارودي باشا

هو محمود سامي بن حسن بك حسني باشا البارودي(ت١٣٢٢هـ)- ولد في قاهرة سنة ١٢٥٥هـ، وعاش حياته في الترف، قال الشعر في المدح النبوي:

"محمد" خاتم الرسل الذى خضعت | لـه البرية مـن عـرب و من عجم
سمير و حى ومجنى حكمة وندى | بسمـاحة وقرى عافٍ ورِيّ ظم
قـد أبلـغ الـوحـي عنـه قبل بعثته | مسـامع الرّسل قولا غير منكسم
فـذاك دعـــوة إبراهيم (٢) خالقه | وسرُّ ما قاله عيسٰى (٣) من القدم
أكــرم بـــه وبـــآبـاء مـحـجلّة | جـاء ت به غرة في الأعصر الدُّهم
قـد كـان فـي مـلكوت الله مدّخرا | لـدعـوة كان فيها صاحب العلم
نـــور تـنـقـل فـى الألـوان سـاطـع | تـنـقـل البدر من صلب إلى رحم (٤)

زكي مبارك

وكـان زكـي مبـارك (ت١٣٧١هـ) في أول عهده يكيل الشعر بالمكيال، فكانت القصيدة مـن شعـره تـصل أحيانا إلى ثلثمائة بيت، وهو يرى نفسه أذكى الناس وأقوى الناس، وكانت نتيجة هـذا الـفتـون أن رأى الشعـرأصـفـر مـن أن تـقف عـنده همته الطاغية، فأقبل على الدراسات الأدبية والـفـلسـفية ولـم يـعـد يـنظم الشعرإلا إذا جاشت النفس وفاض القلب، بحيث لا يستطيع الفرار من شيطان القوافي والأوزان". (٥)

١- القرطاجني، حازم: ديوان حازم القرطاجني- تحقيق: عثمان الكعاك، مقدمة الديوان، ص٩٠-٩٦.

٢- يشير إلى قوله تعالىٰ ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾(سورة البقرة ، الآية:١٢٩)

٣- يشير إلى قوله جل ذكره ﴿مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (سورة الصف، الآية:٦)

٤- أحمد الهاشمي: جواهر الأدب- ص٥٠٠

٥- زكي مبارك: ديوان زكي مبارك، ص١١-١٤.

ويقول في المدح النبوى:

الشمس تشرق من ضياء ك والبدر يطلع من سناك

وجمال فدك والحبيبا ن وما تقشت على لمالك

وعيونك النجل الحسا ن وما تلوح به يداك

للوعد منك وإن مطا تَ ألذ من جدوى سواك

وأراك مولاى الرحيـ يم وإن نأى عني جداك

وحباك تحنان القلو ب إلى التفاتك أوخطاك

فأرى جمالك في صبا حك يا حبيب وفي مساك

قلبي لك المهد الوثيـ رفلو حللت به حماك

إما نزلتَ به نزر تَ على البقية من رجاك

إن عزّني دهري وكا دت لي الليالي في هواك

ذودتها صبر الكريـ يم وحلمه حتى آراك

فالروح مرجعها إليـ ك فهل يُظلها رضاك (١)

عبد الحميد الخطيب

وهو عبد الحميد بن أحمد بن عبد اللطيف الخطيب(ت ١٣٨١هـ)، متأدب متفقه، مولده بمكة، كان أبوه يعرف بالمنكباوي، نسبة إلى منكا بو (من بلاد جاوى). له نظم كثير لم يكن معروفا به في صباه، وكتب مطبوعة، منها "الإمام الملك العادل" جزأن في سيرة الملك عبد العزيز آل سعود، و"تفسير الخطيب المكي" أربعة أجزاء منه، و "مناجاة اللّٰه" جزأن و "سيرةسيدولد آدم" منظومة تائية و "أسمى الرسالات" في الدعوة الإسلامية". (٢)

ويقول في المدح النبوي:

رسول اللّٰه يا من قدحباه إله العرش بالنعم الجسام

١- زكي مبارك: ديوان زكي مبارك. الطبعة الأولى. القاهرة: مكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي، مطبعة حجازي بحوار قسم الجمالية. ١٩٣٣م. ص٧٥-٧٩.

٢- الزركلى، خير الدين: أعلام،٣/٢٨٤، ٢٨٥.

وأتاه النبوة قبل منح الـ ... لحياة لأدم رأس الأنام
وسوده على كل البرايا ... ورفعه إلى أعلى مقام
وخاتم رسله للناس جمعاً ... وأول شافع يوم الزحام
فأصبح رحمة وغدا بشيرا ... وأمسى منذرا شر انتقام
وأكرمه فأوجب خفض صوت ... لديه وأن نبالغ في احتشام
فلا ندعوه دعوتنا لبعض ... ولا خلف الجدار بلا احترام
ولا نأتي بما يؤذيه حتى ... ولو بالكيدأولغوا الكلام
وقال عليه صلّوا يا عبادي ... وزيدوا في التحية والسلام
وبشير من أتاه وهو حي ... يرجى العفو من رب الأنام
بأن اللّٰه تواب رحيم ... سيبلغه لذا كل المرام (١)

ثم يقول:

عليك سلام اللّٰه يا سيد الورىٰ ... ومن قدره عند الإله عظيم
ومن خصه المولى باسراء جسمه ... إلى سدرة فوق السماء تقيم
إلى موضع جبريل أمسك دونه ... وقال مقامي هاهنا معلوم
وبلغت ماحملته من رسالة ... إلى الناس طراً و الإله عليم (٢)

مدح النبي في بلاد شبه القارة الهندية

علاقة شبه القارة الهندية بالإسلام قديمة، وقد ذكر رسول اللّٰه شبه القارة (الهند) في كثير من أقواله .(٣) وبشّر الرسول بالنجاة من النار من يغزو بلاد الهند (٤)وكان لهذا القول من النبي الكريم أثر

١- الخطيب، عبد الحميد، السيد: في حب اللّٰه ورسوله (مجموعه قصائد).الطبعة الرابعة . مصر: مطابع دار الكتاب العربي. ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م. ص٢٦-٢٧

٢- الخطيب، عبد الحميد، السيد: في حب اللّٰه ورسوله (مجموعه قصائد)، ص٩.

٣- وقد دخل خالد بن الوليد على رسول اللّٰه ومعه وفد من قبيلة بنى حارث من نجران وكان الرسول لا يعرفهم وعند ما راهم قال: من هولاء القوم الذين كأنهم رجال الهند- (سيرة ابن هشام، ١٦٤/٤)

٤- وفي رواية عن ﮔوبان قال، قال رسول اللّٰه عصابتان من أمتي أحرزهما اللّٰه من النار، عصابة تغزوا الهند وعصابة تكون مع عيسٰى ابن مريم عند يوم القيامة(سنن النسائي ، كتاب الجهاد، باب غزوة الهند ، ٦٣/٢)

كبير على نفوس متبعيه.

وكانوا يتمنون أن يكونوا من الوفد المرسل إلى الهند وقال أبو هريرة:

"وعدنا رسول الله غزو الهند، فإن أدركتها أنفق فيها نفسي ومالي وأن أقتل كنت من أفضل الشهداء وإن أرجع فأنا أبوهريرة .(١)

وكان أهل الهند بفطرتهم يحبون الشعر. ويقول أستاذ أحمد حسن الزيات في كتابه:

الهنود أمة قديمة والطبقة العليا منهم إخوان الفرس واليونان وقد نظموا ودّونوا الأخبار شعرا من قديم الزمان". (٢)

المدح النبوي في العصر الغزنويين والسلاطين

إن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها وهي أن اللغة عند ما تؤثر في بئية أجنبية ، لاتتطور تطورا سريعا وهي تسير خطوة بعد خطوة وفي آخر مراحل هذا التطور بالتي وبدأت علاقات أهل الهند مع الملل الأخرى تنموبعد هجوم ملك محمود الغزنوي على الهند وعرفت اللغة الفارسية بأنها لغة الفاتحين ولكن لانجد نموذجا كثيرا في كلتا اللغتين العربيةوالفارسية إلى العهد الغزنوي.

لقد أفلت شمس حكم الأسرة الغزنية في سنة ٦٠٢ هـ وسيطر كثير من الأسر على الهند إلى ٩٣٣هـ، وهذا العصر يقال عصر السلاطين، ومن حيث المجموع كان المجتمع الإسلامي ينعم برخاء ومن ثم كثير من العلماء والصوفية من العرب والعجم سافروا إلى الهند وبدأ الأدب الديني يتطور في الهند، وخاصة الشعر، ومن الشعراء الذين ذاع صيتهم الشيخ فخر الدين العراقي (ت٦٨٨هـ) والشيخ أبو الفتح ركن الدين الملتاني (ت٧٣٤هـ) والقاضي عبد المقتدر التهانيسرى (ت٧٩١هـ) والشيخ أحمد التهانيسرى (ت٨٢٠هـ) والشيخ بدرالدين الدماميني (ت٨٢٧هـ) والشيخ أبو الفتح جونپورى (ت٨٥٨هـ) وأمير خسرو (ت٨٢٥هـ).

ونذكر أشهر الشعراء هذا العصر:

١- السنن النسائي : كتاب الجهاد ، باب غزوة الهند .الطبعة الأولى . بيروت : دار الجبل . ١٤١١هـ / ١٩٩١م. ص ٦٣.

٢- الزيات، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي،١/٢٤٥

الشيخ أحمد التهانيسرى

وكان الشيخ أحمد بن محمد التها نيسرى(ت٨٢٠هـ) أحدا شعراء الهند، ولد في الدهلي، نظم كثيرا من القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

وليس في الدين والدنيا وآخرتي سوى جناب رسول الله معتمدي
ربّ الندى والجدى، والصالحات معا طفلا وكهلا وفي شبّ وفي مرد
بالعلم مكتنف بالحلم متصف باللطف ملتحف بالبر مُتّسد
بالفقر مفتخر بالزهد مشتهر بالشكر متزز بالحمد منجرد
خطاب مفصلة وضاح مكرمة دفاع مظلمة من كل مضطهد
العدل سيرته والفضل طينته فى البذل شيمته في الوجد والوبد (١)

ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم في موضع آخر قائلا:

محمد خير خلق الله قاطبة هو الذي جل عن مثل وعن مثل
له المزايا بلا نقص ولا شبه له العطايا بلا من ولا بدل (٢)

المدح النبوي في العصر المغولي

وفي عام ٩٣٢هـ أفل نجم حكم السلاطين وقامت الحكومة المغولية، ولا حظ لهم في ترويج الشعر والأدب، وقلما نجد جهوداً فردية تعمل على ترويج الأدب وتشجيع الأدباء.

ولا نجد في مدح الرسول شعراً إلا عند الصوفية والعلماء، لأن جلّ الشعراء كانوا يمدحون الملوك للتكسب فقط، وبعد وفاة الملك اورنك زيب عالمكير، عند ما بدأ اضمحلال حكم المغول قال الشعراء الشعر في مدح الرسول، ولكن يمكن لنا أن نقول أن معظم الشعراء المداحين لهذا العصر يعدون من طبقة العلماء والصوفية ومنهم الشيخ جنيد السنديلوي (ت١٠٤٨هـ) والشيخ أحمد بن محمد الجوهري (ت١٠٦٩هـ) والشيخ حامد الجمالي (ت٩٤٢هـ) والشيخ أبو الفيض فيضى (ت١٠٠٤هـ) والشيخ عبد الحق محدث الدهلوي (ت١٠٥٢هـ).

١- الندوي، عبد الله عباس: عربي ميں نعتيه كلام(المدائح النبوية في الأدب العربي)، ص٢٥٩.

٢- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: المجموعة النبهانية، ٢/٢١٥.

وأثر الشيخ حامد الجمالي قلوب الناس بأسلوبه الجميل، وقد نال بيته التالي شهرة واسعة يخاطب فيه الرسول، ويقول:

موسى زهوش رفت بيك پرتو جمال   توعين ذات في نگرى درتبسمى

(وقد طار صواب موسى بسبب جلوة جمال الله فقط ولكنك تشاهد ذاته تعالىٰ عين المشاهدة مبتسما) (١)

وكذلك قال الشيخ عبد الحق محدث الدهلوي في مدح الرسول:

خسف القمر بجماله   عجز البشر بكماله

نطق العجز بجلاله   صلّوا عليه وسلموا (٢)

ونقدم الأن النموذج لبعض الشعراء من هذا العصر.

الشاه ولي اللّٰه الدهلوي

كان اسمه أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي(ت١١٧٦هـ)، الشاه ولي اللّٰه وله اليد الطولى في علوم القرآن والحديث والشعر خاصة في مدح النبي، وألف حجة اللّٰه البالغة، وإزالة الخفاء وغيرهما من الكتب.

والقصيدة البائية للشاه ولي اللّٰه في مدح النبي نالت شهرة في الناس:

فلست ارى الا الحبيب محمداً   رسول اللّٰه الخلق جمّ المناقب

ومعتصم المكروب في كل غمرة   ومنتجع الغفران من كل تائب

سلالة اسمعيل والعرق نازع   وأشرف بيت من لؤى بن غالب

بشارة عيسٰى والذى عنه عبّروا   لشدّة بأس بالضحوك المحارب

وأحسن خلق اللّٰه خلقا وخلقة   وانفعهم للناس عند النوائب (٣)

١- توصيف أحمد: مدح النبي في شعر إقبال. رسالة الماجستير، جامعة بنجاب، باكستان، ١٩٩٩م.ص٣٢-٣٣.

٢- نفس المرجع: ص٤١.

٣- الندوي، عبد اللّٰه عباس: عربي ميں نعتيه كلام(المدائح النبوية في الأدب العربي)، ص٢٤٦ ـ ٢٥١

غلام على آزاد البلگرامي

وكان غلام علي آزاد البلگرامي(ت ١٢٠٠هـ) عالما كبيرا وشاعرا مبتكرا، وكان يحب المصطفى حبا جما، وله دواوين عدة باللغات العربية والفارسية والأردية، وكان يلقب بـ"حسان الهند" نظم ديوان" السبع السيّارة" ونحن ننقل عدة ابيات من الباب الثالث بهذه القصيدة، التي نظم في ذى القعدة ١١٨٧هـ.

قلبي حمام، بالمدينة، طائر — لكن جسمي موثق في مصيد
قالت بطرفاء الفلاة حمامه — لم تمرحين وتفخرين، فأرشدي

ويقول في موضع آخر:

أوماترين مكانتي — قد كان منّا منبر لمحمد
غوث الورىٰ، غيث الندىٰ، غرض المنٰى — كهف الدرامل ملجاء المسترقد
كحل العيون غبار نعل المصطفٰى — وشراكها متمسك المستنجد
انّ الذين عيونهم مجلوة — متمسّكون بحبله المستحصد
عطف النبي على العفاة كرامة — نجنى الجنا من غصنه المتخوّد
أسنٰى رسول اللّٰه مرتبة الهدٰى — راقت جلالته مقام السؤدد (١)

مدح النبي في العصر الحديث (١٢٧٤هـ حتى الأن)

يبدأ العصر الحديث في تاريخ مدح الرسول من حرب الحرية في ١٨٥٧م، وبعد هذا العصر في تاريخ مسلمي شبه القارة الهندية عصر الانتفاضة الشعبيّة وقد اثرت هذه الانتفاضات الشعبيه في مدح الرسول الذي يشتمل حوالي قرنا من الزمان.

ويقول، دكتور رياض مجيد:

"ولقد استخدم المادحون ذكر سيرة الرسول لإصلاح الأحوال، وجعلوا رسالته وسيرته

١- الندوي، عبد اللّٰه عباس: عربي ميں نعتيه كلام(المدائح النبوية في الأدب العربي)، ص٢٦٢-٢٦٦.

وسيلة لموضوع مداحهم بدلا من معجزاته وجماله".(١)

ومن الشعراء البارزين في ذلك العصر القائد المحنّك في حرب الحريّة، فضل حق خير آبادى (ت١٨٦١م). الذي كان يقرض الشعر بالعربية، ومولانا الطاف حسين حالى (ت١٩١٤م) مولانا شبلى نعماني (ت١٩١٤م) والعلامة إقبال (ت١٩٣٨م) ومولانا ظفر على خان (ت١٩٥٦م) وحفيظ جالندهري (ت١٩٨٢م) وغيرهم ومن العلماء والصوفية، مولانا أحمد رضا خان (ت١٩٢١م) ومفتى غلام سرور لاهوري (ت١٨٩٠م).

١- رياض مجيد، الدكتور: عصر حاضر کے نعت گو، ص٣٩٨.

- وانظر: أحمد توفيق، الدكتور: الصلاة والسلام. لاهور، باكستان: مكتبة جديد بريس، فاطمه جناح رود، بدون التاريخ. وانظر: فرمان فتح بوري، الدكتور: اردو کی نعتیه شاعری. لاهور، باكستان: آئینه ادب جوك، ١٩٧٤م. وانظر: شفيع، شيخ محمد، مولانا: نفحات. كراتشي، باكستان ١٣٩٢هـ. وانظر: جلوآنوي، غلام محمد: مديحة النبي. فيصل آباد، باكستان: محمد يار وتو كتب خانه، ١٢٨١هـ/١٩٧٨م.

الفصل الثاني

البيئة والأحوال التي دفعت شوقي وإقبال إلى المدح النبوي

بيئة شوقي وأحواله

إذا نظرنا إلى بيئة شوقي وأحواله فنجد أن قبل ولادته كانت مصر التي هجمت عليها الفرنسيون في سنة ١٧٩٨م بعيدة عن الاحتكاك بدول أورباء خلاما كان من مرور بعض التجار والمتأجر بأرضها في ذهابهم وعودتهم بين الغرب والشرق، وكانت بحكم خضوعها لاستبداد المماليك، تحت سيادة تركيا. تسود فيها الدسائس ويعمل كل من أمرائها لما يجر إليه النفع، فلما جاء الفرنسيون إلى مصر، وتغلغلوا فيها، وسارت مع حملة الجنود حملة العلماء رأى المصريون مظهرا جديداً من مظاهر الحياة لم يكن لهم في تاريخهم الأخير به نظير. وكان من بينهم الأطباء والمهندسون والصناع والقواد، ومن بينهم قام رفاعة بك رافع وتلاميذه يحيون عهد الأدب العربي في مصر، ولكنها كانت حياة تحيط بها ظلمات ماض طويل، لذلك كان سريان نورها ضئيلا قصير المدى، لكنها مع ذلك كانت بدءاً له مابعده، فلما كان عهد إسماعيل سارت في سبيل النضج والقوة، ثم كانت الثورة العرابية وما تلاها من الحوادث مثار الشاعرية أكابر الشعراء من أمثال:

سامي باشا البارودي(١)وإسماعيل باشاصبري(٢) ووحيا لخيال شبان كان روح الشعراء أخذا بنفوسهم، متهيأ ليفيض منها ما ينفخ في الأدب العربي روحا وقوة، وكانت الفترة التي انقضت مابين الحملة الفرنسية في مصر ١٧٩٨م واحتلال الانكليز إياها على أثر الثورة العرابية في سنة ١٨٨١م فتـــرة تقلبات سياسية عجت بين الشرق والغرب والمسلمين والنصارىٰ، كانت تركيا من قبل ذلك في عهد تدهور، فضعف تركيا هو الذي دفع محمد على إلى غزوها، فأما المسلمون في

١- هو محمود السامى باشا البارودي بن حسن بك حسني، ولد في القاهرة سنة ١٢٥٥هـ، كان الشاعر مجيداً ونموذج شعره في فخر، حماسة ووصف جيداً، كتابه "مختارات البارودى" ينقسم في أربعة أجزاء وقد طبعت مجموعة شعره في مجلدين من مصر، وقد توفي سنة ١٣٢٢هـ .

٢- ولد هذا الشاعر على شاطئى النيل في سنة ١٨٤٥م، وشبّ في مهد العلم والأدب، يقول شعر بنفسه وينقّح كلام الأخرىٰ، كان بيته مركز الشعراء فى ذلك العصر، ولكن اصيب بمرض القلب ومات بسبب هذا في سنة ١٩٢٣م.

أقطار الأرض فلم يشتد حقدهم على محمد على، ذلك بأن الدول الأوروبية كافة وروسيا خاصة، كانت لاتفتأتشن الغارة على الأتراك وتزيدهم ضعفا على ضعفهم وهذا الضعف والاضمحلال الذي اصيبت الدولة التركية به هو الذي جعل المسلمين لا يحقدون على محمد على حين غزا الأتراك مسكين.

وبقول الشاعر:

"فإن كنت ماكولا فكن أنت آكلى والا فأدركني ولما أمزق" (١)

على أن الحرب التي شبت نارها بين روسيا وتركيا في سنة ١٨٧٧م، ولقد كان المصريون إلى ذلك العهد يعطفون على تركيا عطف غيرهم من المسلمين، ولكنهم كانوا أبداً يفكرون في استقلالهم عنها ويريدون تحقيقه، ولم يكن الأمل في ذلك بعيداً بعد الفرمان الذي استصدره إسماعيل باشا في سنة ١٨٧٣م واستقل فيه بإدارة الدولة، لذلك كان عطفهم على تركيا منبعثا عن شعور ديني بحت لا أثر للتبعية السياسية فيه، فلما حطمت انكلترا اشتد المصريون عطفهم على تركيا، وثبت عندهم اليقين بأن الدول النصرانية تطارد دول الإسلام، وقويت فيهم النزعة الدينية، وكان من ذلك ما زاد النشاط في بعث الحضارة الإسلامية والأدب العربي في مصر، فوجد شوقي هذه العوامل السياسية والاجتماعية، وشوقي خلق شاعرا، والشاعر يتأثر أضعاف ما يتأثر سائر الناس، لذلك لكل هذه العوامل أثرباد في شعره وفي حياته.

أما شخصية الشوقي فيقول محمد حسين هيكل في مقدمة الشوقيات:

"نجد فيه رجلين، أحدهما مؤمن عامر النفس بالإيمان، مسلم يقدس أخوة المسلمين، ويجعل من دولة الخلافة قدسا تفيض عليه شئونه وحوادثه وحى الشعر والهامه، حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها، محافظ في اللغة يرى العربية تتسع لكل صـــورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال. والآخر رجل دنيا يرى في المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها."(٢)

أما شعره فقد تأثر من الشعر القديم مثلاً:

١- هيكل، محمد حسين: مقدمة الديوان (الشوقيات)

٢- هيكل، محمد حسين: مقدمة الديوان (الشوقيات)

أبـو نـواس(١)، والبتـحـري(٢)، وأبـي تـمـام (٣)، والمتبني(٤)، والمعري(٥)، والشريف الرضي(٦).

وأكبر ظـنـي أن شـوقـي تـأثـر من المعري كثيراً، وإن كان المعري قد طرق في شعره أبوابا لـم يـطـرقهـا عـربـي فـي فـلسـفة الـحيـاة والاجتماع و معاملة الحيوان. وقد نظم الحكم والسياسة والاشتـراع والتـديـن، فـصـدف شـوقـي عن طريق المعري في ذلك كما رغب عن تكلفه في قوافي لزومياته إذليس من سجايا صاحبنا التعمق في الفلسفة ولا التكلف إلى هذا الحد.

ويقول أحمد عبيد :

"وقال شوقي الشعر في كل الأغراض عدا المجون والتزهيد في الدنيا والهجاء، فـأمـا الـمـجون والتزهيد في الدنيا، فإن روح العصر واستكانة الشرق يصدان عنهما، أما الهجاء فلم تطب نفس شوقي السمحة أن تورد شعره في هذا المورد البشع".(٧)

وحث هذان العاملان شوقي على مدح الرسول الكريم:

فالعامل الأول: أثر الشعراء القدماء في شاعريته.

١- هـو أبـوعـلـي الحسن بن هاني بن عبد الاول حكمي، كنيته الاولى كانت ابو على ولكن اكتسب شهرة بكنية أبـي نـواس، ولـد فـي سـنة ١٤٥هــ وتـوفـى سنة ١٩٩هـ.(أحمد الاسكندري ، أحمد أمين:المفصل في تاريخ الأدب العربي . القاهرة : ١٩٣٦م ، ١/١٧٧.

٢- هـو أبـو عبـاده وليـد بـن عبـدالله طـائى البحتري، ولد فى سنة ٢٠٦هـ على مبنج (مقام بين حلب وفرات) هو فصيح فى لغة العربية، لقاء بأبي تمام، ثم ظل حياته مع أبي تمام، نال شهرة بشعره، وتوفى سنة ٢٨٤هـ)

٣- هـو حبيـب بـن اوس طـائـى، ولد في قرية جاسم (دمشق) في سنة ١٨٨هـ، نال شهرة حتى لم اكتسب الشاعر الآخر بشعره درهما واحداً في حياته، توفى فى سنة ٢٣١هـ)

٤- هـو أبـو طيـب أحـمـد بـن حسيـن متنبي، ولد في كوفة سنة ٣٠٣هـ في بيت مفلس ولكن كان ذكيا وفصيح اللسان منذطفولته، كان يحب منصب والثروة. وادّعى بنبوة في حياة سيدنا محمدﷺ وقتل في سنة ٣٥٤هـ)

٥- اسـمـه أحـمد بن عبدالله بن سليمان تنوخي، ولد في معرة سنة ٣٥٣هـ، كان نجيب الطرفين، وحكيما،وهو كان فى سنة اربعة في عمره حتى ضاعت عينه اليسرى بمرض حصبة وتأثر به عينه اليمنٰى، ماكان يمكن له أن يتميز بين الالوان الا اللون الأحمر، تعلم اللغة العربية ويكون حاذ قافيه، بعد وفاة ابويه اختار حياة العزلة، وتوفى فى سنة ٤٤٩هـ)

٦- هـو أبـو الـحسن محمد بن الحسين موسوي، ولد في بغداد سنة ٣٥٩هـ كان حاذقًا في علم الفقه وعلم الفرائض، وقـال شـعراً في عشرين من عمره، كتب كتابا على موضوع "معانى القرآن" ورتب كتاب "نهج البلاغه" فيه كلام اميـر الـمـومـنين سيدنا على بن ابي طالب، وكان رجلا متقيا وصالحاً . وتوفى فى سنة ٤٠٤هـ ودفن في بيته فى كرخ.(ماخوذ من الزيات ، أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي)

٧- أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين، شاعر النيل وأمير الشعراء، ص٣١٦-٣٢٢.

والعامل الثاني: الأحوال في عصره.

فقد عرف شوقي النجاة من كل النوائب مضمرة في أن ندعو الرسول الكريم بكل إخلاص وبحب عميق ونزين أشعارنا بذكره الحميد.

ولما ننظر ديوانه نجد أن شوقي كان أحسن نظماً وأجود شعراً في المدح النبوي وينظم عن حياة النبي وأخلاقه وسيرته المحمودة.

بيئة إقبال وأحواله

وعندما بلغ إقبال سنه فوجد أن مسلمى الهند وأفغانستان ـ في أسوء حال ـ وأنهم يعيشون تحت سيطرة الغربيين لاكلام لهم في رياستهم ومدتهم. وسعى مسلموا الهند لتحرير وطنهم في حرب التحرير التي تسبّبت في ١٨٥٧م، ولكن كل محاولتهم تكون فاشلة، وبعد هذا الحرب أخذ الأنجليزيون الثار منهم، وأغلقوا سبل الحياة عليهم.

ويقول الدكتور سمير عبدالحميد في هذا الصدد:

"بدأ الإنجليز بكل الوسائل غرس الأفكار الخبيثة في روح المسلمين، وحين فشلوا اتجهوا إلى التضيق عليهم في الرزق ونزع ملكية أراضيهم وتسليمها إلى الهنادكة، أما عن الأمراء المسلمين فقد تاهوا في الدنيا اللهو واللعب وعملوا على إرضاء الإنجليز بشتى الطرق، ويقابل هؤلاء جماعة الصوفية الذين عكفوا على صوامعهم تاركين الدنيا وما فيها ومن فيها ـ أما عن الشعراء ـ فقد حافظوا على تقاليدهم القديمة في قرض الشعر وبقى كل منهم تابع تحت ظلال زلف ليلاه".(١)

اتجه إقبال لمطالعة أحوال قومه في سنة ١٩٠٥م. وسافر إقبال إلى أوربا لدراسة علياء في القانون في ١٩٠٥م فرأى بعيونه أحوال الشعوب الحية، وأخذ يوازنها بأحوال قومه المسلمين، الذين يذهبون كل عام للحج ويؤدون كل ما من شانه أن يقربهم من الله، ومع هذاهم يعيشون حياة العبيدين، وأهل أروبا رغم كفرهم يسودون العالم، ففكر إقبال فيه كثيراً ويرجع إلى الهند سنة١٩٠٨م ويبدأ في التفتيش والبحث عن أسباب إنحطاط المسلمين وتأخرهم ـ وأدرك أن سبب انحطاط المسلمين بعدهم عن دين الإسلام والقرآن الحكيم وخلّو قلوبهم من حب الرسولﷺ.

١ـ ابراهيم، سمير عبدالحميد، الدكتور: ديوان الأسرار والرموز، ص٥،٤.

فـأكد إقبال لتحصيل علوم القرآن الحديث واللغة العربية مهمة جداً لفهـم القرآن والحديث، فـننظر أن أشعاره وأفكاره وكلماته وحياته كلها لخدمة الاسلام، وكان اقبال يحب الاسلام والعرب واللغة العربية.

فهـو قـد درس الـعـربية والـفـارسية على يد أستاذه الأول سيد مير حسن، أستاذ اللغة العربية والـفـارسية فـي سيالكوت. وكان يحب أن ينظم الشعر في اللغة العربية كي يتكلم مع إخوانه العرب خـلال نـظـمـه. ويـنـقل أفكاره لهم وبلسانهم فنجده في ديوان (أرمغانِ حجاز) أي (هدية الحجاز) يدعوالله عزوجل أن يهبه النطق العربي ليظهر به أسرار الفكر.

ويقول إقبال مناجيا ربه جل وعلا:

لـقـد فتـحت الحياة على يمين المسلم	وبـنـيـت لـه حـكـمة الأسـس والـغـد
فـاعـط هـذا الـعـجـمـي الـنطق العربي	لكي يستطيع أن يظهر بجلاء أسرار الفكر" (١)

وإن كـان إقبـال هنديا ولكن تعمق العربية لأنه كان نشأ في بيئة إسلامية. فكان يحبّ اقبال اللغة العربية لأنها هي لغة القرآن والحديث ولغة ملايين اخوانه العرب.

"فيتـحـدث إقبال عن الناقة وعن السبيل والصحراء، وأوراق النخيل ويشرب والناقة، القافلة، زمام، المقام، الخيمة".(٢)

وكـان تـعـلـم العربية ليس لدراسة الشعر والتاريخ فقط بل تعلم العربية للاستفادة من مصادر الـديـن الـمبيـن وسيرة الرسول الكريم. وقرء إقبال الشعر الجاهلي والإسلامي سواء. ونجد اشارات إلى امرء القيس (٣) وزهير بن أبي سلمى (٤) وعمر بن كلثوم(٥) في نظمه .

وكـذلك شعـر الـعـصـر الإسـلامـي كـمثـل كـعـب بـن زهيـر(٦) وقيـس بن الملوح(٧)

١- إبراهيم عبدالحميد سمير، الدكتور: ديوان أرمغانِ حجاز، ص٨٤.

٢- نفس المرجع.

٣- هو امرؤ القيس، هو حندج بن حجر الكندي، من فحول شعراء الجاهلية ومن أصحاب المعلقات.

٤- هو ربيعة بن رباح مزني، شاعر جاهلي، اشتهر بالمديح والحكمة، توفي قبل البعثة النبوية، وهو من أصحاب المعلقات.

٥- هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي، سادقومه، وتوفى في الأواخر ٦م وهو من أصحاب المعلقات.

٦- هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، أحد فحول المخضرمين ومادح النبي ﷺ وقال قصيدته التي اشتهرت بالبردة، توفي سنة ٢٤هـ

٧- قيس بن الملوح، اشتهر بشعر الغزل العذري، عاش في الإسلامي الأول.

والمتنبي(١) والمعري (٢) والبوصيري(٣) وغيرهم ونعرض للقارى الكريم نماذج من شعر إقبال التي تأثر فيها بالشعر العربي عامة.

يقول زهير بن أبى سلمٰى في معلقته:

"ومن لايذد عن حوضه بسلاحه　　　يهدم ومن لايظلم الناس يظلم (٤)

فيقول إقبال في ديوانه (الأن ...... ماذا نصنع يا أمم الشرق) ناصحًا العرب للتخلص من عبودية الغرب وسيطرته:

از فريب او اگر خواهى امان　　　استرانش راز حوض خود بران (٥)

اضرب خيامك في دنيا وجودك لا　　　تقف بها عند اسم الدار والدمن

وادفع بناقيتك الميدان أسبق من　　　ريح الصحارى وأنقذ وحدة الوطن (٦)

ويقول كعب بن زهير في مطلع قصيدته التي أنشأها أمام رسول الله:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول　　　متيم إثرها لم يغد مكبول

ثم يقول:

إن الرسول لنور يستضاء به　　　مهند من سيوف الله مسلول (٧)

يشير إقبال إلى هذه القصيدة في ديوانه الأسرار والرموز:

پيش پيغمبر چو كعب پاك زاد　　　هديه آورد از بانت سعاد

درثنايش گوهر شب تاب شب سفت　　　سيف مسلول از سيوف الهند گفت (٨)

كعب الشاعر في خير العباد　　　أنشد المدحة من بانت سعاد

١- المتبني، هو أبو طالب أحمد بن الحسين الكوفي، الشاعر الحكيم وصاحب الأمثال السائره، ولد سنة٣٠٣هـ وقتل عام ٣٥٤هـ.

٢- المعري، هو أبو العلاء احمد بن عبدالله بن سليمان المعري التنوخي، الشاعر الفيلسوف، ولد عام ٣١٣هـ وتوفى سنة ٤٠٩هـ.

٣- البوصيري: هو شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنياجى البوصيري صاحب البردة والهمزية، توفى سنة ٩٦٥هـ.

٤- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي ،ص١٨.

٥- كليات إقبال(فارسى) :پس چه بايد كرد اى اقوام شرق ، ص٧٨.

٦- الترجمة العربية: المصري ، صاوي شعلان : والأن ......ماذا نضع يا أمم الشرق. الطبعة الأولى . القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة.٢٠٠٢م. ص٣٨٤.

٧- زكي مبارك، الدكتور: المدائح النبوية في الأدب العربي ،ص٢١.

٨- كليات إقبال (فارسي) : رموز بے خودي، ص٢٥١-٢٥٢.

نـظـم الـدر مـنيـراً فـي ثـنـاه   مـن سيـوف الله سيفًـا قـد دعـاه (١)

وإقبال في ديوانه (الأسرار والرموز) أيضا يمدح الأدب العربي ويدعو إلى التمسك بالإسلام

فيقول:

فـكـر صـالـح در ادب مـي بـايـدت   رجعتـے سوے عـرب مي بايدت

دل بـه سـلـمـائے عـرب بـايد سپرد   تـادمـد صبـح حجاز از شام كرد (٢)

مـن بـفـكـر صـالـح فـي الأدب   إرجـعـن يـا صـاح شـطر العرب

سلـيمـى الـعرب يـاصـاح اعشقـا   لتـرى صبـح الـحـجـاز ائتـلقـا (٣)

ويورد إقبال بيتاً من البردة للبوصيرى:

لـمـا دعـا الله داعينـا لـطاعتـه   بـأكـرم الـرسـل كنا أكرم الأمم

ويذكر في مقدمة قصيدة (الرسالة) فيها هذين البيتين:

پس خـدا بر ما شريعت ختم كرد   بـر رسـول مـا رسالت ختم كرد

رونـق از مـا مـحـفـل ايّـام را   او رسـل را ختـم ومـا اقـوام را (٤)

ختـم الله عـلـيـنـا شـرعتـه   وعـلـى الـمـرسـل فينـا بعثـه

مـحـفـل الأيـام مـنـايسـم   ختـم الـرسـل لنـا والأمـم" (٥)

وفي صورة أخرىٰ يبين إقبال حالة المسلمين، وعدم نهوضهم بالعمل، ليصلوا إلى هدفهم وذلك حبهم بالنبي بصورة قيس التائه في الصحراء يبحث عن ليلى، يقول:

قيـس اگـر آواره در صـحـراستے   مـدعـايـش مـحـمـل ليلاستے

تـابـود شهـر آشـنـا ليـلاے مـا   بـر نـمـي خيـزد بـصـحـرا پاے ما

١- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار نفى الذات .الطبعة الأولى. دمشق ، بيروت: دار ابن كثير. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. ص ٢٠٨.

٢- كليات اقبال(فارسي) إسرارخودي، ص١٠٣-١٠٤.

٣- الترجمة العربية: عزام عبدالوهاب : اسرار أثبات الذات ، ص١٥٢.

٤- كليات إقبال(فارسي) ، رموز بے خودي ، ص ٢٣٠.

٥- الترجمة العربية : عزام عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار نفي الذات ، ص ٣٠٣.

- وانظر : النجار ، فهيمي قطب الدين ، الشاعر الإسلامي محمد إقبال والشعر العربي "الجندي المسلم"،ص٩٧.

همچو جان مقصود پنهان در عمل — كيف وكم ازوے پذير دهر عمل (١)

"طاف قيس بن الصحارى ولها — قاصداً ليلاه يرجو وصلها

ما اقتفينا في الصحارى أثرا — منذليلانا أقامت في القرىٰ

إنما المقصود روح العمل — كيفه والكم منه تجتلي" (٢)

ثم يصور إقبال صورة المسلم العاجز، وقد ملأ قلبه باليأس، بينما غيره بلغوا أهدافهم في التقدم والرقي، مستخدمًا نفس الصورة السابقة، فيقول:

همرهانت پے به منزل برده اند — ليلى مضى ز محمل برده اند (٣)

بلغ السعي الرفاق المنزلا — أنزلوا ليلى وحطوا المحملا" (٤)

ويقول إقبال في ديوانه الأخير (أرمغانِ حجاز) أي (هدية الحجاز) قصيدة بعنوان: (شعراء العرب) حين دعا إقبال شعراء العرب، بعد أن اطلع على شعرهم ودواوينهم وأدبهم، أن يوجهوا شعرهم لخدمة الإسلام والمسلمين، وأن يبعثوا الروح والجهاد من جديد في العالم الإسلامي، كي يستيقظ من غفلته، ويقول:

بگو از من نواخوان عرب را — بهاے كم نهادم لعل لب را

توهم بگذار آن صورت نگارى — مجو غير از خمير خويش يارى

بباغ ما برآوردى پروبال — مسلمان را بده سوزے كه دارى

بده با خاك اوآن سوزو تابے — كه زا پد از شب او آفتابے

نوا اك زن كه از فيض تو او را — دگر بخشند ذوق انقلابے (٥)

وقل للشاعر العربي عني — لياقوت الشفاه البخس منّي

أترسم صورة لا يا عزيز — لتعمل ما يحبذه الضمير

١- كليات إقبال (فارسي) رموز بے خودي، ص٣٠٢.

٢- الترجمه العربية : عزام عبدالوهاب ، الدكتور: اسرار نفي الذات، ص٢٢٥.

- وانظر: النجار ، فهيمي قطب الدين ، الشاعر الإسلامي محمد إقبال والشعر العربي "الجندي المسلم" ،ص٩٨.

٣- كليات إقبال(فارسي) ، رموزبے خودي، ص٣١٦.

٤- انظر: الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب، الدكتور: اسرار نفي الذات ، ص٢٣٠ . النجار ، فهيمي قطب الدين ، الشاعر الإسلامي محمد إقبال والشعر العربي "الجندي المسلم" ،ص٩٨.

٥- كليات إقبال (فارسي) ، رموز بے خودي، ص١٥٦- ١٦٠.

وروضتنا خفقت بها جناحا　　　حنيفا خص بالقبس المنير

لتمنع ذاته نوراً وناراً　　　ليصبح ليله الداجى نهارا

وذاك اللحن فلتعزف بفيض　　　فذلك ذوق تبديل أثارا (١)

فهذا هو شاعرنا الكبير محمد إقبال الذي أحب العرب لأنهم قوم النبي، وأحب لغتهم وأدبهم وشعرهم، ويتغنى إقبال بأرض الحجاز، منبت الوحي، وأرض الجهاد الأول، مبينا حنينه إليها، فيقول:

"أشوا قنا نحو الحجاز تطلعت　　　كحنين مغترب إلى الأوطان

إن الطيور وإن قفصت جناها　　　تنمو بفطرتها إلى الطيران" (٢)

فهكذا ديوان إقبال كله مملوء من أشعار في حب النبيصلى الله عليه وسلم، يحث إقبال فيها إلى استيقاظ المسلمين و شعره كله يدلنا أن ينبغي لنا أن نجعل حب النبي صلى الله عليه وسلم جزء من حياتنا و فيه نجاة وشفاء من كل داء المجتمع والقلب والروح وعافية من كل شرور ووساوس من الشياطين.

١- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص٤٦٧-٤٦٨.

٢- شعلان، الصاوي علي، الشيخ، والاعظمي، محمد حسن، الأعلام الخمسة للشعر الإسلامي.

- وانظر :النجار، فهيم قطب الدين، الشاعر الإسلامي محمد إقبال والشعر العربي "الجندي المسلم"، ص١٧٩-١٨٣.

- وانظر: المصري، د. حسين مجيب: اقبال والعالم العربي، مصر: مكتبة الانجلوية، ١٩٧٦م.

- وانظر: بى، اے، ڈار: كلام إقبال پر عربى ادب كے اثرات، اقبال ريويو، لاهور، باكستان. اقبال اكادمى، ج٩، ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م.

- وانظر: أظهر، ظهور أحمد، الدكتور: إقبال عرب شعراء كى نظر ميں. لاهور، باكستان: مطبعة المكتبة العلمية، ٣٠نوفمبر ١٩٧٧م.

الفصل الثالث

الموضوعات التي تناولها شوقي وإقبال في المدح النبوي

كما ذكرنا قبل أن شوقي كان رجلاً دينياً وكان قلبه مملوءاً بحب النبي ﷺ ، فقد قال عدة من الأشعار في مدح النبي ﷺ ، وهكذا نجد خمساً من قصائده في مدحه وهي مزينة بثروة الحكمة والذكاء ، وعندما نطالع هذه القصائد نحس حبه العميق وصلته الوثيقة بشخصية محمد ﷺ .

الآن نحن نعرض تعريفاً موجزا لهذه القصائد فيما يلي :

١ـ نهج البردة

وتشتمل هذه القصيدة على مائة وتسعين بيتاً ومطلعها :

"ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم" (١)

وقد نظمها تذكاراً لحج الخديوي العباس الثاني سنة ١٣٢٧هـ/١٩١٠م .(٢)

وجدير بالملاحظة أنه لم يشر في القصيدة إلى الخديوي ولا إلى حجه قط.

٢ـ ذكرى المولد

وتشتمل هذه القصيدة على تسعة وتسعين بيتاً وقد قالها سنة ١٣٢٨هـ/١٩١١م .و التي مطلعها :

"بـــه ســحــر يتيـمــه كـلا جـفـنيك يـعـلـمــه" (٣)

٣ـ ذكرى المولد

ونظمه شوقي قصيدة أخرى بهذا الاسم في سنة ١٣٣١هـ/١٩١٤م . والتي مطلعها:

"سلوا قلبي غـــداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا" (٤)

١ـ الشوقيات : ١/١٩٠.

٢ـ نشرت بالمؤيد في ١٤ المحرم الحرام سنة ١٣٢٨هـ و ٢٦ من يناير سنة ١٩١٠م.

٣ـ الشوقيات : ١/٣٨.وأنظر :أظهر، ظهور أحمد ، الدكتور : أحمد شوقي كى نعتيه شاعرى ، (ماهنامه شام وسحر) نعت نمبر ص٢٨٧.

٤ـ نشرت بمجلة الزهور في يونية سنة ١٩١٢م ، ثم بجريدة عكاظ في مارس ١٩١٧م بالعدد ٤٤ من السنة الرابعة، ثم بكتيب (كرمة بن هاني) مع نهج البردة والهمزية النبوية المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٣م . (الشوقيات ، ١/٦٨)

٤ـ الهمزية النبوية

وتشتمل هذه القصيدة على مائة و إحدى وثلاثين بيتا ، والتي مطلعها:

"ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء" (١)

ونظمها سنة ١٣٣٤هـ /١٩١٧م ، وقد ذكر بها سيرة النبي ﷺ بطريق احسن ، وقد نقلها على نهج البوصيري .

٥ـ أرجوزة طويلة

وأنشد شوقي أرجوزة طويلة باسم "دول العرب وعظماء الإسلام" خلال نفيه إلى الأندلس.

وتشتمل هذه القصيدة على ستة وعشرين و سبع مائة وألف بيت، ومطلعها :

"الحمد لله القديم الباقي ذي العرش والسبع العلا الطباق" (٢)

وقد بين فيها سيرة النبي و خَلْقَهُ وَ خُلُقه بالتفصيل.

موضوعات مدح شوقي

ويمكن لنا أن نقسم موضوعاته المدحية تحت العناوين التالية .

١ـ الأوصاف الخَلقية ٢ـ الأوصاف الخُلقية .

٣ـ الأوصاف الدعوية /النبوية.

والأن نتكلم عن هذه الخصائص النبوية فرداً فرداً في شعره .

١ـ الأوصاف الخَلقية

وقبل أن يبين شوقي أوصافه (ﷺ) الخَلقية ، يصورما سجله التاريخ من مظالم نارت بها الإنسانية قبيل بعثة النبي، والمفاسد الشائعة في الشرق والغرب ، فالحكام كانوا طغاة ، ورجال الدين بغاة. والأغنياء قليلون يستعبدون الفقراء وهم كثيرون. والشعوب تئن من الحكم المطلق ، ومن

١ـ الشوقيات ، ٣٤/١.

ـ وانظر: "أحمد الحوفي ، الدكتور ، الإسلام في شعر شوقي ، ص ٨٣. وانظر:

Iqbal Review, The portrait of Ahmad Showqi, Editor, Prof Muhammad Munawwar, p 117, vol 28, April-june1982.No1.

ـ وانظر: ايم اے ،فيوض الرحمن، ايم: ترجمة الهمزية النبوية : امير الشعراء أحمد شوقي.لاهور باكستان:المكتبة العلمية . بدون التاريخ

٢ـ شوقي ، أحمد بك : دول العرب وعظماء الإسلام ، ص "مقدمة النظم".

الجوار المهلك، ومن تسخيرها كما تسخر الماشية .والأخلاق مجرحة والفضائل في جائحة، والأيان عقائد مزعزعة وكهانة ووساطة وألغاز و وثنية تنفى عن الإنسان ميزة العقل والفكر والرشد وسلامة الوجدان .

ولقد عرض شوقي لهذا (١) في تصوير شعري، إذ جعل الشرق والغرب في ظلمات مطبقة وفي جهالة مهلكة، وفي ضلالة عامة وفي حيرة في معرفة الخالق، فهو إنسان في رأي قوم ونجم أو كوكب في رأي قوم، ويقول في عقيدة آخرين:

أظلم الشرق بعد قيصر والغر ... ب وعمّ البرية الإدجاء

فالورى في ضلاله متماد ... يفتك الجهل فيه والجهلاء

عرف الله ضلة فهو شخص ... أو شهاب أو صخرة صماء

وتولى على النفوس هدى الأو ... ثان حتى انتهت له الأهواء (٢)

إلى أن قال :

جاء للناس والسرائد فوضى ... لم يؤلف شتاتهن لواء

وحمى الله مستباح وشرع الل ... ـه والحق والصواب وراء (٣)

فأنزل الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كرحمة وبركة لكل الإنسانية . فشخصية النبي هي سبب خلق الكائنات ولهذا فإن أول شيً في الخلق كان شمائله، إلا أن بداية المديح كانت منذ أن شرّف النبي العالم بمولده ﷺ وحسب تقاليد العرب بدأت التهاني والمباركات تسمع في كل مكان، ويسأل أحد الحاضرين فيعقيقته ﷺ عن اسم المولد فيجيبه جدّه عبدالمطلب قائلا: محمداً ﷺ، فيندهش أهل المجلس وينظر كل منهم إلى الآخر في الحيرة، لقد أدهشهم وحيّرهم هذا الاسم الفذ القليل التداول (٤). ولما سئل جده عن سبب هذه التسمية الفريدة أجاب في لهجة موافقة :

١- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعرشوقي، ص ٢٨١- ٢٨٤.

- وانظر: امام علي : مناهل الأدب العربي، مختارات من أحمد شوقي، بيروت: مكتبة صادر المكتبة العلمية . بدون التاريخ.

٢- الشوقيات، ٢٩/١.

٣- الشوقيات، ٣٠/١.

٤- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ: الأنوار المحمدية من المواهب اللدينية . المطبعة الأدبية، بيروت ١٣١٢هـ . ص١٣٨.

"أردت أن يحمده من السماء ويحمده الناس في الأرض ."(١)

ويقول شوقي في اسمه المبارك :

محمد صفوة الباري ورحمته وبغية الله من خلق ومن نسم (٢)

إن بيان الصفات ووصف الملامح الشخصية الخلقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أحب الموضوعات إلى قلوب شعراء المديح ، وقد أثار ذلك ما يوجد في القرآن الكريم وكتب الحديث والسيرة من إشارات وتوضيحات وذكر البعض جمال النبي وحسنه ولرواية أم معبد الخزاعية (٣) أهمية كبيرة في هذا المجال ، وقد استفاد منها جميع شعراء المديح .

ولقد نظم الشعراء جميعاً تلك الروايات التي تبين العظمة النبوية والتي وصفت فيها الصفات النبوية العظمية ، وقد ذكر رسول الله بنفسه حيثيته المفردة والمتميزة عدة مرات ، وهناك خمس مميزات نجد لها ذكراً في أكثر كتب الحديث والتي تعلن عظمة النبي والمكانة الرفعية وهي:

"نصرت بالرعب شهرا يرعب منى العدو مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً و طهوراً فأيما رجل من أمتى ادركته العلا فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبل واعطيت الشفاعة فكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة" .(٤)

ويقول شوقي عن هذا الموضوع:

يا خير من جاء الوجود، تحية من مرسلين إلى الهدى بك جاء وا

بيت النبيين الذي لا يلتقى إلا الحنائف فيه والحنفاء (٥)

١- الخصائص الكبرى ، ١/٧٨ ، ٧٩.

٢- الشوقيات : ١/١٩٥.

٣- الاستيعاب ، ٢/٧٧٤ -٧٧٥.

٤- صحيح البخاري ، كتاب الصلوة ، باب: قول النبي : جعلت لي الأرض مسجد وطهوراً .الطبعة الرابعة . دمشق، بيروت : ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.١/٦٢.

- وفي كتاب تيمم ، رقم الحديث:٢١٧، ١/٥٧.

٥- الحنيف : الصحيح العقيدة إلى الإسلام وكل من كان على دين إبراهيم عليه السلام يقال له الحنيف، والجمع حنفاء والمؤنث حنيفة ، وجمعها حنائف .

خير الأبــــوة حــازهم لك (آدم) دون الآنـــام ، وأحـــرزت حــواء
هــم أدركـوا عــزّ الـنبــوة وانتهت فيهـا إليك الـــعــــــزة القعساء
خـلـقـت لبيتك ، وهـو مـخلوق لهـا إن الـعـظـائـم كـفـؤهـا الـعظمـاء
بك بشّــر اللّه السـمـــاء فـزينـت وتــضـوّعـت مسكـابك الـغبـراء (١)

ويـظهـر شـوقـي عـقيدته ومحبته لمحمد صلى اللّه عليه وسلم بكل جوانب ، ويفضله على سـائـر الأنبيـاء عليهم الصلوات والسلام . فنجد جاذبية خاصة في آدابه صلّى اللّه عليه وسلم وأقواله وأفعاله وأحكامه وإرشاداته .

ولا ريـب أن إطـاعة رسول اللّه فرض على كل مسلم ، فالمحبة روح الطاعة ، والطاعة بغيرها جسم بلا روح ، لأن عواطف المحبة تمنح الطاعة والوقار والطاعة ثمرة الإيمان . التي لا تدرك بغير المحبة .

كما قال النبي صلى اللّه عليه وسلم :

﴿فوالذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ولده﴾.(٢)

وكما قال :

﴿لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين﴾ .(٣)

ولاريـب حـب النبي صلى اللّه عليه وسلّم دبّ في جسد الشوقي وجذوره عميقة ، واقتضاء هـذا المحبة أن يثبت شوقي عظمة النبي بطرق مختلفة ، ويبين في هذا الصدد القصة التي تتعلق بسفر الـنبي صـلـى اللّه عـليـه وسـلم في صباه مع عمه إلى الشام ، فمثلاً يذكر شوقي لقاء ه صلى اللّه عليه وسلـم ببـحيرا الراهب ، الذي أخبر بنبوته قبل أو انها ، ثم يذكر الشاعر المكان العظيم الذي نزل فيه أول الـوحـي وهـو غـار حـراء ، وروح الـقـدس الذي جاء بالوحي ، وهكذا يريد شوقي أن يلقن قراء قصيدته تأييد النبوة بالأدلة الواضحة منذ صباه .

وهو يقول :

لـمـــا رآه بـحيـرا(٤) قـال : نـعـرفـه بـمـا حـفـظـنـا من الأسماء والسيم

١- الشوقيات : ٣٤/١.

٢- صحيح البخاري، كتاب الإيمان،باب : حب الرسول ، رقم الحديث:١٤، ١٧/١.

٣- صحيح البخاري كتاب الإيمان ، حب الرسول ، رقم الحديث:١٥، ١٧/١ .

٤- بحيرا ، بفتح الباء وكسر الحاء : الراهب النصراني المشهور .

سائل حراء، وروح القدس: هل علما   مصون سرّ عن الإدراك منكتم (١)

ثم يبين محبة أصحاب الأديان الأخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول:

محبة لرسول الله أشربها   قعائد الدير(٢) والرهبان في القمم (٣)

وبعد هذا ينثر قلمه اللولوء النادر عن شخصيته.

ويقول عن جمال النبي:

أما الجمال، فانت شمس سمائه   وملاحة (الصديق) منك أياء

والحسن من كرم الوجوه، وخيره   ما أوتي القوّاد والزعماء (٤)

وفي موضع آخر يقول:

البدر دونك في حسن وفي شرف   والبحر دونك في خير وفي كرم

شم الجبال إذا طاولتها انخفضت   والأنجم الذهر ما واسمتها تسم (٥)

فشوقي يجعله في البيت الأول فوق البدر حسنا وشرفا وفوق البحر خيرا وكرما، ويجعله في البيت الثاني أسمى من الجبال الشم قدرا، وأروع من النجوم الزهر حسنا، ويفوق جماله على جمال يوسف عليه السلام، حتى إن جمال يوسف بالنسبة إليه شعاع منه وقال إنّ جمال الوجوه تكريم، وخير جمالها ما يمنحه الله القادة، لأنهم يجتذبون به أتباعهم. ونجد أحاديث مختلفة في في جمال النبي (٦) وأنه في جماله كالبدر و وجهه منير ولامع.

١- الشوقيات، ١/١٩٥.

٢- قعائد الدين: ملازموه من متنسكة النصارى، والقمم: جمع قمة: وهي أعلى الرأس من كل شيئ، والمراد بها هنا أعالي الجبل.

٣- الشوقيات، ١/١٩٦.

٤- الشوقيات، ١/٣٥.

٥- الشوقيات: ١/٢٠٠.

٦- من ذلك ما ورد عن أبي هريرة أنه قال: مارأيت شيأ أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري في وجهه. (جامع الترمذي: أبواب المناقب، ٢/٢٢٨)

- سئل البراء، أكان وجه النبي مثل السيف؟، فقال: لا بل مثل القمر (صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب:صفة النبي، ١/٥٠٢).

- فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف (أسد الغابة: ١/٣٣)

- هو أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم واملحهم من قريب (الاستيعاب: ٢/٧٧٤)

وكان النبي صلّى الله عليه وسلم نعمة الله على الناس وهو أشد حياء من الناس وحياءه كالعذراء والبتولة .

ويقول شوقي عن حياءه :

نعم اليتيم بدت مخايل فضله　　　واليتم رزق بعضه وذكاء

في المهد يُستسقى الحيا برجائه　　　وبقصده تستدفع الباساء (١)

يقول في موضع آخر:

أنت الجمال بها ، وأنت المجتلى　　　والكف ، والمرآة ، والحسناء

الله هيّأ من حظيرة وقدسه　　　نزلاً لذاتك لم يجزه علاء (٢)

وهذا من فضائل النبي وصفاته الخلقية أن الله خلقه من قبل تخليق آدم وبعثه من آخر المرسلين وأكمل دينه الإسلام على بعثته ، فهو سيد المرسلين وأحسن الخالقين وأسوته أسوة حسنة لكل الإنسانية إلى يوم القيامة بدون تخصيص مسلم أو غير مسلم ، وهدايته كالنور في ظلمة هالكة. ووجوده كرحمة وسعادة بين المسلمين وغير المسلمين .

ويثبت شوقي فضيلته هذا قائلا:

فالطف لأجل رسول العالمين بنا　　　ولا تزد قومه خسفاً ولا تُسم

يارب، أحسنت بدء المسلمين به　　　فتمم الفضل ، وامنح حسن مختتم (٣)

وأتم الله نعمته في صورة محمد ﷺ . ويقال له سيد البشر ، ورحمة للعالمين ، ولا مثيل له في كل حال ، ونجد هذه الحقيقة ثابتة في كتب الأحاديث. (٤)

١- الشوقيات : ٣٥/١.

- ونجد في كتب الحديث : كان النبي أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفنا في وجهه. الصحيح المسلم : كتاب الفضائل ، باب كثرة حيائه ، ٢٥٥/٢)

٢- الشوقيات، ٣٩/١.

٣- الشوقيات : ٢٠٨/١.

٤- من ذلك ما ورد أنه قال: أنا سيد البشرولا فخر ، أنا أفصح العرب (العقد الفريد ، ٥٨/٢).

- أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا (صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب صفة النبي ،٥٠٢/١)

- بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين (سيرة النبي لابن هشام ،٨/٢)

٢ ـ أوصافه الخُلقية

ولـقد كان من واجب مادحي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يشيدوا بأخلاقه العظيمة ، لأنـه الـمثل الأعلى في الأخلاق لجميع الناس في سلم وحرب وفي رضاء وغضب وفي سر و جهرو في فرح وحزن وفي يسر وعسرو في رخاء وشدة كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)

وكان النبي بشرا يأكل ويشرب ، ويصحو وينام ، ويفرح ويحزن ، ولكنه الإنسان الكامل المتميز بأخلاقه السامية إلى أوج لم يدركه بشر، وقد أشاد شوقي بأخلاق النبي في عدة قصائد.

فيبدأ شعر الشمائل ببيت بذكر فيه أمانة النبي وصدقه هكذا:

بسـوى الأمانة في الصبا والصدق لم يـعـرفـه أهـل الـصـدق والأمـنـاء (٢)

ثم ينتقل بعده إلى مدح جملة الشمائل والصفات .

فيقول :

يـا مـن لـه أخـلاق مـا تهوى العلا مـنهـا ومـا يـتـعـشـق الـكـبـراء

لـو لـم تـقـم ديـنـا لقـامت وحدهـا ديـنـا تـضـئـي بـنـوره الأنـاء

زانتك فـي الـخـلـق الـعـظيم شمائل يـغـرى بهـنّ ويُـولـع الـكـرمـاء (٣)

يقول على النجدي في كتابه:

"وشـوقـي يـقـصـر إعـجابه على الأخلاق ، ولكنه بعد لا يقصر عليها حديثه ، بل يضيف إليها بعض الأوصاف الذاتية أيضا ، فإذا هي فروع لا تقوم كما قامت قسيمتها على أصول ، ثم يأخذ الشاعر بـعـد ذلك في عرض الشمائل والأوصاف ، ويصور ما يأتي به من الشمائل والصفات ، كل في بيت أو شـطـر مـن بيت ، يـصـورهـا تارة بقياسها إلى شئ أو تشبيهابه . وتارة بإثبات الفضل لها على مثال من أمثلتها العالية، وتـارة باطلاق معانيها أو تقييدها بأسمى الحالات ، أو وصفها بأبلغ الأوصاف" .(٤)

١ـ سورة القلم ، الآية: ٤.

٢ـ الشوقيات : ١/٣٥.

وأصدق الناس لهجة (سيرة النبي لابن هشام : ٢/٩).

٣ـ الشوقيات : ١/٣٥.

٤ـ علي النجدي ناصف : الدين والاخلاق في شعر شوقي، ص١٢٧.

ومن ذلك :

وإذا سخوت بلغت بالجود المدى   وفعلت مالا تفعل الإنواء
وإذا عفوت فقادرا ومقدرا   لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم وأب   هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة   في الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك في مرضاته   ورضا الكثير تحلم ورياء
وإذا خطبت فللمنا برهزة   تعرو الندى وللقلوب بكاء (١)

ونلاحظ أن بعض المقاييس التي تخيرها هنا للحكم والتقدير، هي من نوع القوالب اللفظية المأثورة، ولا يخفى أنها لا تحسن أداء المعني في كل الأحيان. وذلك كالأنواع في تقدير سخائه حيث يقول:

إذا سخوت بلغت بالجود المدى   وفعلت مالا تفعل الأنواء

ولدى شوقي جوده عليه الصلاة والسلام أكثر وأعظم ويفضل جود النبي على المطر.(٢)

ثم يذكر عفو النبي ﷺ ويقول عفوك ظاهر مبين، حتى الجهلاً يعترفون بعفوك وانت تعفو حين تكون قادراً على الانتقام ويكون العدو تحت سيفك، كما قال يوم الفتح :

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾(٣)

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٤)

وقال الله سبحانه وتعالى في مقام آخر : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(٥)

وقوله :

فإذا رحمت فانك أم وأب   هذان في الدنيا هما الرحماء

فقد قاس رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم برحمة الوالدين، وهو المقياس المفضل المألوف لا يمكن لأحد أن ينكره أو يجهل مكانه، فمن لم يجده من نفسه عاطفة، رأه من حوله

١ـ الشوقيات : ٣٦/١.وانظر: علي النجدي ناصف : الدين والاخلاق في شعر شوقي، ص١٢٨.

٢ـ نقوش : ٢٦٤/١٠.

٣ـ سورة يوسف، الآية: ٩٢، وانظر: مباركفورى، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، ص٣٩٩.

٤ـ سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٥ـ سورة التوبة، الآية: ٤.

عـمـلاء، والشاعر يقصر الرحمة في الدنيا على هذا النبع ، ويجعل إليه منتهاها ، فلا ملتمس لها إلا منه ولا كمال لها إلا فيه .

ويقول علي النجدي في هذا الصدد:

"وربما خطر بالبال أن تخالف المبتدأ و الخبر في الشطر الأخير من البيت . يغض من قيمته، أو يـزحزحه شيئاً عن مكانته من الإحسان ، لكن الواقع أن هذا التخالف هو سر البراعة فيه ، أو سرها الـجـديـد بـالتنويه قبل سواه ، فمعناه أن رحمة الوالدين تسع الأشقياء في الأرض فهما كان عددهم كبيـرا ، لأنهـمـا بـعطفان على الأبناء طبعاً ، ويعطفان على أشباهم رقة وتأثرا ، وإذا لا ينبغي أن يؤخذ مـأخـذ النزوج في الحكم والأخبار ، فليس ينبغي أن يكون المعول في ذلك على العدد وحده ولكن على القيمة والأثر معه أو عليها من قبله " .(١)

ثـم يذكر غضب النبي فهو للحق دائما ولحماية الدين والدفاع عن الحق ، فيقول إنها حرب مشروعة ، ويعقب على هذا الرأي بحكمة متعارف على صدقها هي أن السموم تعطى دواء في بعض الأحيـان ، ومـعـنـى هذا أن الحرب التي اضطر إليها النبي كانت علا جا لا مندوحة عنه ليبرئ أعداء الإسلام من أمراضهم .

ثم يذكر شوقي شمائله الأخرى :

وإذا بـنيـت فـخيـر زوج عشـــرة   وإذا ابتـــنيــــت فــدونك الأبـــاء
وإذا صـحـبـت رأى الـوفـاء مـجسما   فـي بـردك الأصـحـاب والـخلطـاء
وإذا أخـذت الـعـهـد أو أعـطيـنـه   فـــجـــميــع عهـدك ذمة و وفـــاء
وإذا مشيـت إلـى الـعدا فـغـضنفر   وإذا جـــريـــت فـــانك الـنـكبـاء
وتـــمـد حـلـمك لـلسفيـه مـداريا   حتـى يـضيـق بـعـرضك السفهـاء (٢)

ويـذكـر هـنا شوقي شجاعة النبي ، فهو كالغضنفر في تقديرشجاعته وهيبته ، وكانت العرب يـفتـخرون بشجاعتهم وبسالتهم وثباتهم في الحرب ضد العدو ، وانهم لايخافون من الموت ، حتى كانت الحرب تمرمائة عام أو أكثر من ذلك .

وقال ابن عمر رضي الله عنه :

١- عـلـي الـنـجـدي الـنـاصف ، الـدكـتـور : الدين والأخلاق في شعر شوقي ، ص ١٢٤- ١٢٩ .وانظر: الريحاني، الأستاذ: العربية وشاعرها الأكبر. مصر: مطبعة المعارف ومكتبها ١٣٧٤هـ/١٩٢٨م.

٢- الشوقيات: ٣٦/١.

"مارأيت اشجع ولا انجد، ولا أسخى من رسول الله ولا أجود ".(١)

ويقول أحمد شوقي إنه عليه الصلاة والسلام أشجع الناس ، ومن شجاعته أنه عندما ينزل على ماء و قبض عليه ، فليس يمكن لأحد من الملوك والقياصرأن يحصلوا منه شربة أو كأسا من الماء لشربهم ، وهكذا إذا جاء أحد تحت لوائه فليس لأعداء ه أن يقتلوه :

وإذا حميت الماء لم يورد ، ولو	أن القياصر والملوك ظماء
وإذا اجرت فانت بيت الله لم	يدخل عليه المستجير عداء
وإذا ملكت النفس قمت ببرها	وان ماملكت يداك الشاء (٢)

يقول أحمد الحوفي :

وكان النبي خطيبا مفرداً عظيم الثائر في قلوب سامعيه ، وكان قاضيا عادلا لا يرتاب المحتكون إليه في عدالة حكمه ، وكان عظيم الحفاوة مما يحمي ، وعظيم الرعاية لمن يجير ، وكان المثل الأعلى في رعاية حق الإنسان في الحياة والكرامة ، فإذا امتلك عبداً أو أسيرا بره ورعاه ، وكان رحيما لأصدقائه ، وكان أعظم الناس وفاءً بعهوده ودعوده ، وكان أعظم الناس هيبة في النفوس، وقد أشاد شوقي بأخلاق النبي في نهج البردة ، فوصفه بالكرم والعلاء والبأس ، إعجاب الأبطال به حتى وإن كانوا من أعدائه ، ثم ذكر يتمه ، ورعاية الله له ، وهدايته للناس ، وتعليمه إياهم ، وتحريرهم من أغلال الجهل ،و وازن بين إحياء عيسى عليه السلام ميتا وبين إحياء محمد عليه السلام أجيالًا من رقاً و الجهالة ، وقال إن الجهل موت وإيقاظ الجهال معجزة كإحياء الموتى".(٣)

تهفو إليك وإن أدميت حبتها	في الحرب ،أفئدة الأبطال والبهم
محبة الله ألقاها وهيبته	على ابن آمنة في كل مصطدم
كان وجهك تحت النقع بدرجي	يضئ ملتثما أو غير ملتثم
بدر تطلع في بدر فغرته	كغرة النصر تجلوداجى الظلم (٤)

ثم يقول :

أخوك عيسى دعاميتا فقام له	وأنت أحييت أجيالا من الزمم
والجهل موت فإن أوتيت معجزة	فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم (٥)

١- النبهاني ، يوسف بن إسماعيل، الشيخ : جواهر البحار ، ١٣١/٣.

٢- الشوقيات : ٣٦/١.

٣- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي ، ص٢٨٠.

٤- الشوقيات : ٢٠٠/١.

٥- الشوقيات : ٢٠١/١.

يقول أحمد الحوفي :

"على أننا نخالف شوقي في تنويهه بالمحاسن الجسدية ، ونرى أن قوله (بدر تطلع في بدر) . تخصيص لحال النبي في موقعة بعينها لامبرر له إلا حرصه على الناس .

أما قوله (كأن وجهك تحت النقع) فهو تصدير للبطولة في أعلى درجاتها ، لأنه وصف وجه النبي بالإشراق والإستبشار و التطلق حيث تعبس الوجوه وتكفهر".(١)

الأوصاف الدعوية /النبوية

يذكر شوقي أوصافه (ﷺ) النبوية والدعوية بأسلوب جيد . ويبين كيف دعا الناس إلى دين الإسلام . وهناك يثبت عظمته النبوية أيضاً، فيقول:

أشرف المرسلين ، آيته النط　　ق مبينا ، وقومه الفصحاء
وأتته العقول منقادة اللب　　ولبى الأعوان والنصراء
جاء للناس ، والسرائر فوضى　　لم يؤلف شتاتهن لواء
فلجبريل جيئة ، ورواح　　وهبوط إلى الثرى ، وارتقاء
يحسب الأفق في جناحيه نور　　سلبته النجوم والجوزاء
تلك أي الفرقان ، أرسلها الل　　له ضياء يهدى به من يشاء
نسخت سنة النبين والرس　　ل، كما ينسخ الضياء الضياء (٢)

فقد أرسله الله سبحانه وتعالى لنشر أحكام الدين ، وكان هذا العمل صعباً جداً ، كل العرب كانوا مستغرقين في ظلام الكفر وعباده الأصنام ، ولا يمكن لهم أن يتركوا دينهم الذي كانوا عليه بسهولة، وكان رسول الله يفهم هذه الحقيقة ، فيبدأ دعوته من أسرته فدعاهم إلى دين الحق ، ولكن بضعة منهم أجابوا إلى دعوته . يقول شوقي:

لما دعوت الناس لبّى عاقل　　وأصمّ منك الجاهلين نداء
أبو الخروج إليك من أوهامهم　　والناس في أوهامهم سجناء
ومن العقول جداول وجلامد　　ومن النفوس حرائر وإماء (٣)

وكثير منهم رفضوا دينه وقاموا على عدائه. ولايمكن لهم أن يسمعوا كلاماً ضدأصنامهم ،

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي، ص ٢٨١ .

٢- الشوقيات، ١/ ٣٠.

٣- الشوقيات: ١/٣٨.

وكانوا يمنعون الأخرين أن يسمعوا كلام رسول الله ، وقالوا إنه ترك دين أجداده ، وهو ناقص العقل فقالوا له ساحر و مجنون ، (نعوذ بالله) .

ويبين شوقي كيفيتهم تلك قائلا :

أزري بـمـنـطـق أهـلـه وبيـانهـم وحـي يـقـصـر دونـه البلـغـاء

حسـدوا ، فـقـالـوا: شاعر ، أو ساحر ومـن الـحسـود يـكـون الاستهـزاء (١)

فـآمـن بـه قـليل من الناس وكانوا مستضعفين في المجتمع ولما رأوا خصائص دين الإسلام مثلاً أخوة ومساواة بين الأمراء والضعفاء ، فآمنوا به بقوة القلب وبقوة الإيمان .

هـل كـان حـول مـحـمـد من قومـه إلا صبّـي واحـد ونسـاء

فـدعـا ، فـلبـى فـي الـقـبـائل عصبة مستـضـعـفـون ، قـلائـل أنـضـاء (٢)

ولـكـن لا يـبـالـي الـنبي ﷺ أقوالهم وما فترت عزيمته ، وكان يتوكل على الله وعلى ثبات همته ، وصبر على كل ايذاء أعداه ، وتحمل كل النوائب . وبلّغ رسالة الإسلام بالعزم والتوكل، فأيده الله وجعل دينه غالباً على كل الأديان العالمية .

تامل أبيات شوقي :

نبـي البـر ، بيـنـه سبيـلا وسنّ خـلالـه ، وهـدى الشعـابـا

تـفـرق بـعـد عيسـى الـنـاس فيـه فـلـمـا جـاء كـان لهـم متـابـا

وشـافـي الـنـفـس مـن نزعـات شر كشـاف مـن طبـائـعهـا الـذئـابـا

وكـان بيـانـه لـلـهـدى سبـلا وكـانـت خيـلـه لـلـحق غـابـا (٣)

والأن نستعرض موضوعات الشوقي الأخرى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

تشتمل قصائده المدحية على الموضوعات التالية:

الإسلام دين القوة والمجد

وتيـقـن شـوقـي أن ديـن الإسلام دين القوة والمجد ، يحب العمل والعاملين ، ويحثهم على الـجـد والسـعـى ، ودعـا النبي ﷺ الناس إلى العمل واهداهم ببيانه إلى الحق والخير ، وكان بجيشه

١- الشوقيات: ١/٣٧.

٢- الشوقيات : ١/٤٠.

٣- الشوقيات: ١/٧١.

يذود عن الحق وعلم المسلمين طرقا لحصول المجد والقوة وجميع حياة سيدنا محمدﷺ كانت لنشر الإسلام وثروة المسلمين، لأن تجارب الحياة تنادي أن السيادة لاتدرك إلا بقوة، ولهذا يؤكد شوقي على المسلمين أن يصبغوا أنفسهم بصبغة الله ويتبعوا سبيل رسول الله بكل إخلاص لكي يزوّدوا أنفسهم بقوة الجهد والمجد والعزة .

فيقول:

وكان بيانه للهدى سبلا ... كانت خيله للحق طلبا
وعلّمنا بناء المجد حتى ... أخذنا امرة الأرض اغتصابا
وما نيل المطالب بالتمنى ... ولكن توخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال ... إذا الإقدام كان لهم ركابا (١)

ولهذا لم يأل شوقي جهدا في توجيه المسلمين وإسداء النصائح لهم، وحثهم على الأخذ بأسباب العزة والمجد .فقال لهم:

"إن دينكم رفع منار الحضارة فاهتدى بها العالم مائة السينين، وإن أجدادكم العرب الأمجاد أقاموا بالإسلام دولة عظيمة، وزانوها بالقوة والعزة والعلم والحضارة والعدل والخلق الكريم، يريد بهذا أن يستحثهم على استعادة ماضيهم المشرق وتاريخهم العريق".(٢)

ثم ينبه المسلمين إلى أن دينهم دين العمل ويضيف إلى ذلك أمثالا من تاريخ المسلمين أنفسهم حينما كانت لهم السيادة على العالم، ليتبين أن عزتهم موصولة بتدينهم الحق، كما كانت عزة أسلافهم موصولة بتدينهم الحق .

قال في قصيدته "مرحبا بالهلال":

أمم الهلال مقالة من صادق ... والصدق أليق بالرجال مقالا
من عادة الإسلام يرفع عاملا ... ويسوّد المقدام والفعالا
ظلمته ألسنة تواخذه بكم ... وظلمتوه مفرطين كُسالى
هذا هلالكم تكفل بالهدى ... هل تعلمون مع الهلال ضلالاء
سرت الحضارة حقبة في ضوئه ... ومشى الزمان بنوره مختالا

١- الشوقيات: ٧٣/١.

٢- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص ١٧٠.

وبنى له العرب الأجاود دولة　　كالشمس عرشا والنجوم رجالا
رفعوا له فوق السِّماك دعائما　　من علمهم ومن البيان طوالا
الله جل ثناؤه بلسانهم　　خلق البيان وعلّم الامثالا
وتخيّر الأخلاق أحسنها لهم　　ومكارم الأخلاق منه تعالى
كالرسل عزما والملائك رحمة　　والأسد بأسا والغيوث نوالا
عدلوا فكانوا الغيث وقعاً كلما　　ذهبوا يمينا في الورى وشمالا (١)

ويثبت شوقي في هذه الأبيات أن العزة والعظمة والمجد والكرامة لا يمكن منالها إلا بالسعي والجهد والكسب.

يقول ماهر حسن فهمي:

"فأراد شوقي أن يحث المسلمين مشيرا إلى هدى النبي الكريم وأن يتخلقوا بخلق النبي الكريم. فذكرهم بأن الرسول شيدلهم حصناًمنيعا من الأخلاق ،فلما تجافوا عن حصنهم تهدم ، فصاروا عزلا ضعافا، ثم عقب على هذا بحكمة وثيقة الصلة بالفكرة ، هي أن الأخلاق منبع القوي ، وذخرالعزة ومصدر المهابة ، يريد أن الأخلاق من شجاعة وحمية وإباء وإيثار وصبر ، هي التي تحقق النصر والمجد والتفوق للأفراد والجماعات ، وهي التي تميز أمة على أمة ، وتعلو بفرد على فرد".(٢) فيقول:

سألت الله في أبناء ديني　　فإن تكن الوسيلة إلى أجابا
وما للمسلمين سواك حصن　　إذا ما الضُرُّ مسَّهُم ونابا
كأن النحس حين جرى عليهم　　أطار بكل مملكة غرابا
ولو حفظوا سبيلك كان نورا　　وكان من النحوس لهم حجابا
بنيت لهم من الأخلاق ركنا　　فخانوا الركن فانهدم اضطرابا
وكان جنابهم فيها مهيبا　　وللأخلاق أجدر أن تهابا (٣)

وكان لا يطيق أن يتقطع جزء من أرض المسلمين ، أو يحتل حمى من وطنهم الكبير ، ولعله كان يخشى أن تئول الحركة الصهيونية إلى ما آلت إليه من عدوان على حقوق العرب والمسلمين في فلسطين ، فقال سنة ١٩٣١م قصيدة في رثاء مولانا محمد علي الزعيم الهندي المسلم الذي

١- الشوقيات : ١/٢٢٤.
٢- الفهمي، ماهر حسن ، الدكتور: شوقي شعره الإسلامي، ص ١٥٠.
٣- الشوقيات : ١/٢٢.

دفن بالقدس ، افتتحها بتقرير أن بيت المقدس بلد للمسلمين وليس لأحد أن ينازعهم مفاتيح بابه :

بيت على أرض الهدى وسمائه الحق حائطه وأسّس بنائه
الفتح من أعلامه والطهر من أوصافه والقدس من أسمائه
تحنو مناكبه على شعب الهدى وتطل سدّته على سينائه
من ذا ينازعنا مقالد بابه وجلال سُدَّته وطهر فنائه
ومحمد صلى على جنباته واستقبل السَّمحات في أرجائه (١)

وكان كثيرا ما يصل بالدين نصائحه المتصلة بالعمل والجد والتفوق كنهيه العمال عن المسكرات ، لأنها رجس ، وأمرهم باتقان العمل ، لأن الاتقان يكسب ثوابا من الله ويرضى الناس ويطمئنهم ، وأمرهم بالاستقامة عامة لأنها تفتح أبواب الرزق ، فيقول:

إن للمتقين عند الله والناس ثوابا أتقنوا يحببكم الله ويرفعكم جنابا
واستقيموا يفتح الله لكم بابا صبابا واهجرو الخمر تطيعوا الله أو ترضوا الكتابا
إنها رجس فطوبى لامرئ كف وتابا ترعش الأيدي ومن يرعش من الصناع خابا (٢)

فهكذا يحاول شوقي لاستيقاظ المسلمين من سباتهم العميق ويريد أن يزينوا أنفسهم بالأوصاف الحميدة لنيل قوة المجد والعزة بين الأقوام .

٢- تضرع ودعاء

ونجد كثيرا من أبيات شوقي مملوءة بالخشوع والخضوع ويؤقن بنصرة الله في كل نوائب. فقد افتتح قصيدته (كبار الحوادث في وادي النيل) التي ألقاها في المؤتمر الدولي بجنيف سنة ١٨٩٤م بوصف عام للسفينة والبحر والموج ، ثم تضرع إلى الله أن يكتب السلامة لركاب السفينة.

فيقول:

همت الفلك ، واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء
ضرب البحر ذو العباب حواليـ ـها سماء قد أكبرتها السماء (٣)

ورأي شوقي في خياله أن الأمواج قد انقطعت ارتفاعها . وأن هديرها دعاء ، وأن هدوءها

١- الشوقيات : ١٢/٣.

٢- الشوقيات: ٩٥/١.

٣- الشوقيات: ١٧/١.

وانبساط مائها سجود وخشوع ، وأن البحار كلها كتاب حافل بتمجيد الله والإقرار بالآئه .

قال شوقي:

رب إن شئـت فـالـفـضـاء مضيق ... وإذا شئـت فـالـمـضيق فـضـاء
فـاجـعـل البـحر عصمة وابعث الرحـ ... مة فيهـا الـريـاح الأنـواء (١)
أنـت أنـس لـنـا إذا بـعـد الأنـ ... س وأنـت الـحيـاة والإحياء
يـتـولـى البـحـار مهـمـا ادلهـمّـت ... مـنك فـي كـل جـانـب لالاء (٢)
وإذا مـا عـلـت فـذاك قيـام ... وإذا مـا رغـت فـذاك دعـاء (٣)
فـإذا راعهـا جـلالك خـرّت ... هيبة فهـي والبسـاط سـواء
والـعـريـض الـطـويل منهـا كتـاب ... لك فيـه تـحية وثـنـاء (٤)

ثـم يـحمده الله على بعثة نبيه (ﷺ) ، بأن وجوده سبب هداية للبشر ورحمة للعالمين ،وهو الذي كشف الظلام الظاهر والخفي وطهر عقول ونفوس البشر من العقائد الفاسدة .

فيقول:

سبـحـانك الـلهـم خيـر مـعـلـم ... عـلـمـت بـالـقـلم القرون الاولـى
أخـرجـت هـذا الـعـقـل من ظلماتـه ... وهـديتـه الـنـور الـمبين سبيـلا
أرسـلـت بـالتـوراة موسـى مـرشدا ... وابـن البتـول فـعـلّـم الإنـجيـلا
وفـجـرت ينبـوع البيـان مـحـمـدا ... فسقـى الـحـديـث ونـاول التنزيلاً (٥)

فـدعـا شـوقي سبحان الله وتعالى بكل إخلاص والخشوع والخضوع ، فتأمل الفاظ دعائه فتجد فيها هيبة الله وجلاله .

فقال في الدعاء الذي سماه "دُعاء الصلاة العامة"

"الـلّهـم قـاهـر الـقيـاصر، ومذل الجبابر ، وناصر من لاله ناصر ، ركن الضعيف ومادة قواة ، ومـلهم القوي خشيته وتقواه ، ومن لا يحكم بين عباده سواه. هذه كنانتك فزع إليك بنوها ، وهرع

١ـ الأنوار : جمع نور والمراد المطر .
٢ـ ادلهمت : أظلمت ، لألاء : لمعان ونور .
٣ـ رغت : صوتت وضبحت
٤ـ الشوقيات : ١/١٧ـ١٨.
٥ـ الشوقيات : ١/٢١٩.

إليك ساكنوها هلالاً وصلياً ، بعيدا وقريبا ، شبانا وشيبا ، نجيبة ونجيبا ، مستبقين كنائسك المكرمة التي رفعتها لقدسك أعتابا ،ميمين مساجدك المعظمة التي شرعتها لكرمك أبوابا، نسألك فيها بعيسى روح الحق ، وبمحمد نبي الصدق ، وبموسى الهارب من الرق ، كما نسألك بالشهر الأبر والصائميه ، وليلة الأغر والقائميه ، وبهذه الصلاة العامة من أقباط الوادي ومسلميه ، أن تعزنا بالعتق إلا من ولائك ، ولا تذلنا بالرق لغير آلائك، ولا تحملنا على غير حكمك واستعلائك" . (١)

٣ـ التوسل والاستشفاع

ويبدأ شوقي بتوسله ، أو على حد تعبيره دعاء ه بحديث رائق عذب ، يتوجه به إلى الرسول الكريم ، فيناديه ، ويذكر بعض خصائصه ، ويكبر بره بأمته ، وحد به عليها ، وايثاره لها:

يامن له عز الشفاعة وحده ... وهو المنزة ماله شفعاء

عرش القيامة أنت تحت لوائه ... والحوض أنت حياله السّقاء

تروي وتسقى الصالحين ثوابهم ... والصالحات ذخائر وجزاء

المثل هذا ذقت في الدنيا الطوى ... وانشقّ من خلق عليك رداء (٢)

ثم يتوسل إلى النبي بمدحه ، وعرفانه لفضله على الناس ، وحسن بلائه في النهوض بهم وإسعاد حياتهم ، ملتمسا أن يكون جزاء ه على ذلك شفاعة مقبولة عندالله : فيقول :

لي في مديحك يارسول الله عرائس ... تيمّن فيك وشاقهنّ جلاء

هن الحسان فإن قبلت تكرما ... فهو رهن شفاعة حسناء

أنت الذي نظم البرية دينه ... ماذا يقول وينظم الشعراء

المصلحون أصابع جمعت يدا ... هي أنت بل أنت يد البيضاء (٣)

ثم يذكر قومه ، فيأسى لحا لهم ، ويشكو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما أصابهم من تفرق الكلمة وإجداب النفوس، ومتابعة الهوى ، والإخلاد إلى الدعة ، والاعراض عن الدين وعن الاهتداء بهدية المبين ، ثم يدعولهم أن بتداركهم الله بلطفه ، ويههي لهم من أمرهم صلاحا ورشدا.

فيقول:

١ـ أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٥٢ـ ٥٣.

٢ـ الشوقيات: ١/ ٤١.

٣ـ نفس المرجع.

مـاجئـت بـابك مـادحـا بل داعيا ... ومـن الـمـديح تـضـرع ودعـاء
أدعـوك عـن قـومـي الضعاف لأزمة ... فـي مثـلهـا يـلـقـى عـليك رجـاء
أدرى رسـول الله أن نـفـوسهـم ... ركبـت هـواهـا والـقـلـوب هـواء
متـفـككـون فـمـا تـضـم نفوسهم ... ثـقة ولا جـمـع الـقـلـوب صفـاء
رقـدوا وغـرّهـم نـعيـم بـاطـل ... ونـعيـم قـوم فـي الـقيـود بـلاء
ظـلـموا شـريعتك التي نـلتـا بهـا ... مـالـم ينـل فـي (رومة) الـفـقهـاء
مشـت الـحضارة في سناها واهتدى ... فـي الـديـن والـدنيـا بهـا السعداء (١)

فشـوقـي بسبـب مـواهبـه ، ورسـوخ ملكة الشعر عنده ، يجعل من نفسه لسانا لقومه يصف للرسول الكريم داء قومه ، ويسأل لهم الدواء ووسعة النظرة .

ويقول :

صـلـى عـليك الله ما صحب الدّجى ... حـادو حـنّـت فـي الـفـلا وجـنـاء
واستـقبـل الـرضـوان في غـرفـاتهم ... بـجـنـان عـدن آلك السُّـمـحـاء
خيـر الـوسـائـل : مـن يقع منهم على ... سبـب إليك فـحسبـي الـزهـراء (٢)

هـكـذا جـعـل شوقي وسيلة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم لشفاء أمراض قومه و لحل مشكلاتهم بلسان شعره بالايمان القوي.

٤ـ العاطفة الصادقة

وكـان شـوقـي مـؤمـناً بالله ، محباً لرسوله ، معتزاً بالإسلام، فخوراً بمجد المسلمين، فكان الشعر الديني الذي قرضه شوقي نابعا من العاطفة ، وهذه العاطفة الصادقة نبيلة سامية ، لأنها موصولة بـالـخـالـق سبـحـانـه وتـعالى ، ومتصلة بالنبي ﷺ وبمجد الإسلام والمسلمين ، وكان يحب النبي ويـحـب شمائله، ويفرح بانتصاره ويسخط على أعدائه ، ويفخر بالشريعة الإسلامية ،ويباهي بمجد الـمسـلـميـن وعـدلهـم وعلمهم وحضارتهم. ويأسى لضعفهم بعد القوة. وبهذا تدور العاطفة حول الـحـب والإجـلال والإعـجـاب والـفرح والحزن والفخر ، وهي كلها متصلة بالدين ، ثم إن عاطفته

١ـ الشوقيات : ١/٤١.

٢ـ نفس المرجع.

الصادقة السامية تتصف بالقوة .

يقول أحمد الحوفي :

"وكان شوقي صادقا في حبه لرسول الله ، وصادقا في إعجابه بالشريعة الإسلامية ، وكان عظيم الإعجاب ببطولة المسلمين وحضارتهم وعدلهم وشديد الأسى مما نزل بالمسلمين من ضعف وتخاذل ، وقد تناول في نهج البردة هذا كله ، كما تناوله في قصائد أخرى".(١)

ويقول في ذكرى المولد التي مطلعها :

به سحر يتيمه   كلا جفنيك يعلمه (٢)

وفي الثانية التي مطلعها :

سلوا قلبي غداة سلا وتابا   لعلّ على الجمال له عتابا (٣)

ويقول الدكتور أحمد الحوفي عن عاطفة شوقي :

"وماذا يقول في قصائده الإسلامية الكثيرة التي ابتهل فيها إلى الله ، وأشاد بالإسلام ، وازدهي بالفتوح الإسلامية ، وناصر الخلافة العثمانية على أنها الجامعة الإسلامية ، وبكاها لما أفلت شمسها بكاء الحزين المفجوع ، فكان شعره الديني بصدقه في حبه للنبي ، واجلاله لشريعته ، وفخاره بالإسلام".(٤)

٥- حب النبي صلى الله عليه وسلم

لا ريب أن غاية ومحرك قصائده المدحية وهو حب ذات النبي صلى الله عليه وسلم وشوقي كان رجلاً مؤمناً، وكان إيمانه صادقاً أدى إلى اعتراف رفعة النبي صلى الله عليه وسلم وعظمته بقلبه وعقله.

فيقول:

ظلموا شريعتك التي نلنابها   مالم ينل في رومة الفقهاء (٥)

إن سر العظمة وعزة المسلمين في اتباع شريعة المحمدية.

فكان مدائح شوقي كانت نتيجة لهذه العقيدة وقوة الإيمان برسول الله .

١- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص٢٦٣.

٢- الشوقيات :١٣٨.

٣- الشوقيات : ٦٨/١.

٤- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٢٣- ٢٢٤. وانظر : فهمي ، ماهر حسن ، الدكتور : شوقي شعره الإسلامي ، ص ١٨٤- ١٨٧.

٥- الشوقيات : ٤٣/١.

ويقول محمد حسين هيكل في مقدمة الشوقيات :

"وبحسبك أن تقرأ الهمزية النبوية ونهج البردة ، وقصيدته الهمزية النبوية التي مطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

لترى في غير ابهام أنه انما أملت هذه القصائد قوة غلبت طبع الشاعر ، هي قوة الإيمان".(١)

٦ـ الحصول على المجد والكرامة

وقال شوقي عدة من الشعر لحصول التظاهر والتفاخر والعزة ، وهذه من المحركات لشاعريته، يقول:

مدحت المالكين فزدت قدراً فحين مدحتك اقتدت السحابا (٢)

ويبحث دكتور شوقي ضيف عن ميل شعر ديني لشوقي ويقول:

وفي كثير من جوانب شعر شوقي يتردد هذا اللحن الديني وما يتصل به من تمجيد الإسلام . ويشعر الإنسان في غير موقف في عاطفته ولكن ينبغي أن لا نبالغ في حكمنا على شوقي وعقيدته فندفع عن الاشادة بقوة إيمانه، وشدة اعتصامه بدينه وقد كان يُغني الجماعة الإسلامية بهذا ونحوه".(٣)

وبهذه قوته الإيمانى نال شهرة والكرامة والعزة في المجتمع الإسلامي.

٧ـ اعترافه بالتقصير وسؤاله للشفاعة

عاش شوقي حياة لهو ولعب ولكنه كان يؤمن بالقيم الإسلامية ، فهكذا بدأ نزاع في قلبه بين العمل والنظرية، فحاول شوقي إنهاء هذا النزاع ، فقال الشعر في مدح النبي واعترف تقصيره وتسيل دموع الندامة عن عينيه .

فيقول:

يا ويلتاه نفسي راعها ودها مسودة الصحف في مبيّضة اللم (٤)

وبعد هذا الاعتراف ينظر إلى رحمة الله وشفاعة رسول الله بعيون الأمل ويؤقن بنصرتهما ، ومع هذا التصور ينتهي نزاع قلبه .

١ـ محمد حسين هيكل : مقدمة الديوان (الشوقيات : ص١٣،١٤).

٢ـ الشوقيات: ٧٢/١.

٣ـ شوقي ضيف ، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث ، ص ١٣٩.

٤ـ الشوقيات : ١٩٣/١.

ويقول :

أن جـل ذنبـي عـن الـغـفران لي امل — فـي الله يـجـعـلـنـي فـي خيـر معتصم

الـقـى رجـائـي إذا عـز الـمجير على — مـفـرج الـكـرب فـي الـدارين والغمم

إذا خـفـضـت جـنـاح الذل اسـألـه — عـزا الشـفـاعة لـم أسـأل سوى امم (١)

٨- فضائل النبي ﷺ

ويـذكـر شـوقـي فـضـائـل الـنبي وعظمته في مدائحه ، كمثل شفاعته الكبرى ، حوضِ كوثر وغيره، كمايقول :

وصـاحـب الحوض يوم الرسل سائلة — متـى الـورود؟ وجبـريـل الأميـن ظمى (٢)

ثم يقول موضع الآخر :

يـــامــن لـــه عـز الشـفـاعة وحـده — وهــو الـمـنـزّه مــالــه شـفـعـاء

عـرش الـقيـامة أنـت تحـت لوائـه — والـحـوض أنـت حيالـه السّقـاء (٣)

٩- الاستغفارلذنوبه

وإذا كـان شـوقـي قـد اقـتـرف ذنـوبـا ، فـإنه لم يقترفها عناداً أو جحداً ، بل اقترفها نزقا وغفلة مشـوبة بـالتغافل ، ولابد أن صاحب العقيدة القوية يرجع على نفسه باللوم ، تائبا إلى الله مما اجترح . وهكذا فعل شوقي فإنه أقبل على الله معترفا بما اقترف ، خائفا من العقاب ، راجيا الستر والغفران، لأنه كان يستر ذنوبه عن الناس فلا يعلمها الا الله وهو غفار الذنوب .

فيقول :

قــدمــت بين يـدي نـفـسـا أذنبـت — وأتيـــت بيـــن الـخــوف والإقــرار

وجـعـلـت أستر عـن سواك ذنوبهـا — حتــى عييــت فــمـن لــي بستّــار (٤)

ومن ذلك مناجاته نفسه ، وتوجيهها إلى التقوى ، وأساه على ما اجترح من ذنوب في قوله:

يـا نـفـس دنيـاك تخفي كل مبكية — وإن بـدالك مـنهـا حسن مبتسم

١- الشوقيات: ١/١٩٤.

٢- نفس المرجع : ١/١٩٥.

٣- نفس المرجع: ١/٤١ .

٤- نفس المرجع : ٤/٩٢.

ففي بتقواك فاها كلما ضحكت ... كما يفض أذى الرقشاء بالشرم (١)

١٠ـ إتباع الأسوة الحسنة في القضاء والقدر

وقد كان شوقي مؤمنا بقضاء الله وقدره يجد في الإذعان له راحة للنفس من بلا بلها، وينادي بأن المؤمن لا يتسخط ولا يتبرم بما نزل به، فإن الإسلام يأمر بالعمل والجد والحيطة فإذا جاء القضاء، بغير ما يؤمل المسلم فعليه أن يرضى ويصبر. ولأنه لا يعلم حكمة الله فيه. لإن الجزع لا يرد مافات، ولأن الله حكمة في قضائه لا ندركها.

وقال شوقي:

سبحان من لا عزالاعزه ... يبقى ولم يك ملكه ليزولا
لا تستطيع النفس في ملكوته ... الا رضا بقضائه وقبولا
الخير فيما اختاره لعباده ... لا يظلم الله العباد فتيلا
وإذا أراد الله أمراً لم تجد ... لقضائه رداً ولا تبديلا (٢)

وهو دائما راض بقضاء الله، داع إلى الرضا به، مقر بعجز البشر عن رده وباستعصاء سره عليهم.

فيقول:

ما تقول في قدر ... بعض سنّه الأبد
وهو في الحياة على ... كل خطوة رصد
يعثر الأنام به ... إن سعوا وإن قعدوا
ينزل الرجال على ... حكمه وإن جحدوا
القضاء نقضت لها ... عقدة بدت عقد
أتعبت معالجها ... واستراح معتقد (٣)

وكان إيمان شوقي بقضاء الله وقدره عميق الأثرفي نفسه، وكان رضاه به واضحاً في آرائه، لهذا جزع من إقدام بعض الشبان على الانتحار، وصور جزعه في قصيدة طويلة هداهم فيها إلى الحق، وأعاد إليهم الثقة والأمل، وبيّن لهم ما في الانتحار من معصية الله، وثكل للوالدين، واسخاط للناس،

١ـ الشوقيات: ٢٤٢/١.
٢ـ الشوقيات: ٢١٧/١.
٣ـ الشوقيات:٦٤/٣.

وخسارة للوطن .

ويقول :

قاتل النفس ،ولو كانت له   أسخط الله ولم يرض البشر
ساحة العيش إلى الله الذي   جعل الورد باذن والصدر (١)
لا تموت النفس إلا باسمه   قام بالموت عليها وقهر (٢)

فهكذا يدرس الاعتقاد بالله وقضاء ه وقدره واتباع سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي احتمل كل نوائب ولكنه لم يشك أبدا وعاش حياة معتدلة ، فينبغي لنا أن نتبع الأسوة الحسنة لرسول الله صلى الله عليه وسلّم.

١١ـ الدعوة إلى العلم

وكان شوقي يؤمن أن العلم هو السبيل إلى الرقي وضمآن إلى التقدم . وبما أن دور العلم في تقدم قوم ما لا ينكر أي ذي عقل سليم ، يهمه أهمية كبيرة . ويبين شخصية محمد صلى الله عليه وسلم كمعلم كامل ويقول إن الله أنعم عليه ووهبه منصب العلم والنبوة ، وبقوة العلم قد نوّر كل العالم وهلك ظلام الجهل . فيقول :

آمنت بالعلم الذي أنت نوره   ومنك أياديه ومنك مناقبه
تؤامن من خوف به كلّ غالب   على أمره في الأرض والداء غالبه
فأمنت بالله الذي عزّ شأنه   وآمنت بالعلم الذي عزّ طالبه (٣)

ثم يقول في موضع الآخر :

سبحانك اللّهم خير معلم   علّمتَ بالقلم القرون الأولى
أخرجت هذا العقل من ظلماته   وهديته النور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم تارة   صدئ الحديد ، وتارة مصقولا (٤)

١ـ المراد بالورد والصدر ، الحياة والموت.

٢ـ الشوقيات : ١/١٥٤.

٣ـ الشوقيات : ١/٨٧.

٤ـ طبع السيف : صاغه ، وصدئ الحديد: أي غير مجلو ولا مصقول.

أرسلت بالتوراة موسى مرشدا ... وابن البتول فعلّم الإنجيلا (١)
وفجرت ينبوع البيان محمدا ... فسقى الحديث، وناول التنزيلا (٢)
علمت يونانا ومصر، فزالتا ... عن كل شمس ما تريد أفولا (٣)

في ضوء هذه الأبيات نجد أن شخصية النبي صلّى الله عليه وسلّم عند شوقي كالشمس في سماء العلم والحكمة. فيلزم على كل انسان أن يطلب العلم لإضاء حياته.

١٢- خير الأنبياء

وكان شخصية النبي عليه الصلاة والسلام خير الأنبياء قاطبة لأنه من خيرتهم نسلا منذ آدم وحواء، فلما كان صفوتهم وكان خاتمتهم صار خيرهم، وفي رأي بعض المتصوفة المغرقين في شطحاتهم وخيالهم أن النبي بغية الله من العالم والغاية المقصودة منه، وقد تأثر شوقي بهذه الفكرة فرددها كما تأثر بها البوصيري وكررها، وقال إنه صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة.

يقول شوقي:

محمد صفوة الباري ورحمته ... وبغية الله من خلق ومن نسم
وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة ... متى الورود وجبريل الأمين ظمي
فاق البدور وفاق الأنبياء فكم ... بالخلق والخلق من حسن ومن عظم (٤)

وقال شوقي:

يا خير من جاء الوجود تحية ... من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا
بيت النبيين الذي لا يلتقي ... إلا الحنائف فيه والحنفاء
خير الأبوة حازهم لك آدم ... دون الأنام وأحرزت حواء
هم أدركوا عز النبوة وانتهت ... فيها إليك العزة والقعساء
خلقت لبيتك وهو مخلوق لها ... إن العظائم كفؤها العظماء (٥)

١- البتول :لقب السيدة مريم عليها السلام.
٢- التنزيل : القرآن الكريم.
٣- الشوقيات : ١/١٨٠-١٨١.
٤- الشوقيات: ١/٢٣٦.
٥- الشوقيات: ١/٣٤.

ويتصل بهذا التفضيل عراقة النبي وشرف أرومته، فهو من الذروة من قريش، وهي ذروة العرب وقد شرفت به فازدادت علاء .

ويقول :

قد أخطأ النجم ما نالت أبوته　　　من سؤدد بازخ في مظهر سنم

نموا إليه فزادوا في الورى شرفا　　　ورب أصلٍ لفرع في الفخار نمي

حواه في سبحات الطهر قبلهم　　　نوران قاما مقام الصلب والرّحم (١)

فيبين شوقي تصوير محاسن الممدوح بالقول الجميل تصويرا كاشفا مميزا، يجلى شخصيته وخصائص نفسه في وضوح لا يشوبه إبهام ولا لبس.

ويقول :

الله قسّم بين الناس رزقهم　　　وأنت خيّرت في الارزاق والقسم

إن قلت في الأمر لا أوقلت فيه نعم　　　فخيرة الله لا منك أو نعم (٢)

ونجد في "نهج البردة" أن شوقي يستشفع إلى الرسول الأكرم قبل المدح ويسترحمه، وبعد ذلك يبدأ المدح من الشعر الثامن والأربعين ويفضّله على سائر الأنبياء ويقر بأنه هوصاحب منزلة الكرامة والشرف في الدنيا والآخرة .

فيقول:

وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة　　　متى الورود؟ وجبريل الأمين ظمى

سناؤه وسناه الشمس طالعة　　　فالجرم في فلك، والضوء في علم (٣)

ويذكر شوقي عن الشمائل كذلك :

البدر دونك في حسن وفي شرف　　　والبحر دونك في خير وفي كرم

١- الشوقيات : ٢٣٦/١.

٢- نفس المرجع.

٣- الشوقيات: ١٩٥/١.

شم الجبال إذا طاولتها انخفضت   والأنجم الزهر ماوا استمتها تسم

والليث دونك بأسا عند وثبته   إذا مشيت إلى شاكي السلاح كمى (١)

وقال في موضع الآخر :

يا أفصح الناطقين المناد قاطبة   حديثك الشهد عند الذائق الفهم

حليت من عطل جيد البيان به   في كل منتثر في حسن منتظم (٢)

وهكذا نجد عدة الاشعاره المدحية ، التي تشير حبه العميق لخير الأنام ، فعواطف الحب كانت تموج في قلبه ، فقد ذكر أجمل ذكر فضائله ومحامده وجعله وسيلة لبيان عظمته وكماله.

الموضوعات التي تناولها إقبال في المدح النبوي

كان إقبال محب الرسول منذ طفولته وقد قال عدة أبيات في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما وجدنا قصائده مختص بمدح النبي كقصائد الشوقي ، ولكن مع هذا ما وجدنا قصائده تخلو من حب النبي وشعور الإسلام ،و كان قلب الشاعر يخفق بذكر النبي. وحب النبي كان يجري كالدم في روحه وجسده . ولهذا كان كل شعره مملوءا بحب النبي وبمدح النبي ، فقد تناول الموضوعات التالية في قصائده المدحية .

ولشعر إقبال ثلاث نواحٍ وهي :

١ـ الأولى ، هي الذاتية /معرفة الذات .

٢ـ والثانية: هي الشعبية

٣ـ والثالثة: هي وصف النبي

في السطور القادمة نستعرض هذه النواحي بالتفصيل :

١ـ الشوقيات: ١/٢٠٠.

٢ـ الشوقيات : ١/١٩٧.

١- الناحية الأولى: خودی (معرفة الذات)

وتعني تأثراته وكيفياته مثل:

شوق تیرا گر نہ ہو میری نماز کا امام میرا قیام بھی حجاب میرا سجود بھی حجاب (١)

إن لم تكن نُصب عيني في الصلاة فلا قامت على الزّور في محرابها قدمي (٢)

وكان إقبال يرى النظرة الذاتية مهماً جداً لحياة الإنسان لأنها هي قوة الإيمان. وهي سبب معرفة النفس التي هي درج السلّم للمعرفة الإلهية، ولما يفقد الإنسان هذه النعمة فكأنه ميت لديه.

يقول إقبال:

خودی ہے زندہ تو ہے موت اک مقام حیات کہ عشق موت سے کرتا ہے امتحانِ ثبات
خودی ہے زندہ تو دریا ہے بے کرا نہ تیرا تیرے فراق میں مضطر ہے موج نیل و فرات
خودی ہے مردہ تو مانند کاہ پیش نسیم خودی ہے زندہ تو سلطانِ جملہ موجودات (٣)

(لو أن معرفة الذات حية، فالموت مقام في الحياة لأن العشق يختبر ثباتها الموت
لو تكن الذات حيّة، فبحرك لا شاطئ له وموج النيل والفرات يتوق لأن يندمج معك
لو تكن الذات ميتة فهي كأعواد القش أمام النسيم لو تكن الذات حيّة فهي سلطان كل الموجودات (٤)

ثم يلقي إقبال ضوءا مزيدا على أهمية الذاتية أو الخودي، ويؤكد على نيل الصفة الذاتية في شعره.

ثم يقول:

خودی را از وجودِ حق وجودے خودی را از نمود حق نمودے
نمیدانم کہ این تا بندہ گوہر کُجا بودے اگر دریا نبودے (٥)

وجود الله أكسبها الوجودا فكانت مظهرا جاز الحدودا
أزاها جوهراً من جوف بحر سواه بمثله من لن يجودا (٦)

١- كليات إقبال (الاردية) بال جبريل: ص٧٢٦.
٢- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبريل، ص ٥٠٢.
٣- كليات إقبال (الاردية) ارمغان حجاز، ص١١٠٤.
٤- الترجمة العربية: المصري، د.حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ٥٢٦.
٥- كليات إقبال، فارسي: ارمغان حجاز، ص٢٣٤.
٦- الترجمة العربية: المصري، د.حسين مجيب: هدية الحجاز، ص٤٨٩.

فلسفة الذات أو فلسفة الخودي

يؤكد إقبال على الإهتمام بالذات في شعره، وكان إقبال بنفسه مستغرقاً في الاعتداد بذاته. وعنده بدون معرفة الذات لا يمكن لنا أن نعرف الله سبحانه وتعالى ونمدح رسولنا صلى الله عليه وسلم، ويرى إقبال أن السبب الكبير لانحطاط المسلمين وضعفهم هو نسيان وإهمال أو عدم معرفة ذاتهم و يظن إقبال منكر الذات أكبر من منكر التوحيد كفراً.

فيقول:

منكر حق نزد ملا كافر است   منكر خود نزد من كافر تر است (١)

منكر الله لدى شيخ كفر   منكر الذات لديَّ منه شر (٢)

أي أن منكر الذات أشد كفرا وأكثر شرا من منكر الله. وعند إقبال سبب كل نوائب الكون هو فقدان الخودي .أي عدم الاعتداد بالذات والنفس.

فيقول:

خودی کی موت سے مغرب کا اندروں بے نور   خودی کی موت سے مشرق ہے مبتلائے جذام

خودی کی موت سے روح عرب ہے بے تب وتاب   بدن عراق و عجم کا ہے بے عروق و نظام

خودی کی موت سے ہندی شکستہ بال وپر   قفس ہوا ہے حلال اور آشیانہ حرام (٣)

من ممات الذات في الغرب ظلام   وبموت الذات في الشرق جذام

من ممات الذات في العرب خمود   ولدى العجم عروق وعظام

من ممات الذات في الهند جناح   هيض في الأقفاص والعش حرام (٤)

فيؤكد إقبال على تقوية الذات و على تربية الذات ويذكر شروطاً لذلك، ومن المفيد أن نذكر هذه الشروط الثلاثة. وهي الإطاعة، وضبط النفس، والنيابة الإلهية.

١- كليات إقبال فارسي: جاويد نامه، ص ٣٨٠.

- وانظر: سليم اختر، الدكتور: إقباليات كے نقوش (الأردية). الطبعة الأولى، لاهور، باكستان: ابراهيم سنز برنترز، ١٩٧٧م. ص ٢٤٧-٢٤٨.

٢- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ٣٢٩.

٣- كليات إقبال (الأردية)، ضرب كليم، ص ٩٤٣.

٤- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: ضرب كليم، ص ٦٨.

١ـ الشرط الأول

هو الإطاعة والانقياد لأوامر الله سبحانه ، والعمل على تنفيذ ما أمر به ، والانتهاء عما نهى عنه، لأنه هو الخالق الأعظم ، الذي يدري كنه تكويننا وسر خلقنا، ودقائق طبعيتنا وخفايا سلوكنا ومشاعرنا وعواطفنا ، وشتان بين قدرة المخلوق الضعيف الواهي وعظمة الخالق القوي الجبار .

يقول إقبال :

"ولا شك أن طاعة الإنسان لربه إذا كانت عن عقيدة ثابتة وإيمان راسخ ، فهي تملأ القلب سعادة ونورا ، فلو تصورنا مجتمعنا شأن كل افراده طاعة الله ، والعمل في حدود شرائعه وأحكامه ، فسنجد أن مثل هذا المجتمع لن يحدث فيه تصادم المنافع الخاصة وتصارع المكاسب الفردية ، بل سيكون مجتمعا متفاهما متوائما يعيش في ظل المودة والسلام ".(١)

ويقول إقبال في هذا الصدد :

خدمت ومحنت شعار اشتراست — صبر و استقلال كار اشتراست
گام او در راه كم غوغا ستے — كاروان را زورق صحراستے
نقش پايش قسمت هر بيشهٔ — كم خور و كم خواب ومحنت پيشه
مست زير بار محمل مى رود — پاے كوباں سوے منزل مى رود
سرخود از كيفيت رفتار خويش — در سفر صابر ترا ز اسوار خويش (٢)

ألفة الكدِّ شعار الجمل — شيمة الصبّر وقار الجمل
صامت الأخفاف يمشي ماضيا — ذورقا في البيد يسري هاديا
نقشت وجه الصحارى أرجله — شارد النوم قليلا أكله
ثملا يختال المحمل — راقصا يقدم شطر المنزل
في المدى من راكبيه أصبر — هائم بالسير عجبا يخطر (٣)

وعرض إقبال "اطاعة" بمثل الجمل ، والجمل مجسم صبر واستقامة وخدمة وجهد ، يسافر في قفر ولا يبالي بمآكله وراحته ، يأكل قليلا ويجتهد كثيرا ، بل يقضي عدة أيام بدون أكل طعامه

١ـ الكيلاني ، نجيب ، الدكتور : إقبال الشاعر الثائر ، ص ٧٠.

٢ـ كليات إقبال(فارسى) اسرار خودى ، ص ١٠٦.

٣ـ الترجمة العربية : عزام عبدالوهاب : الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص ١٥٣.

ويطيع سيده في أحوال الخير والشر ، ويظن إقبال أن في المرحلة الإبتدائية للتربية الذاتية ينبغي للإنسان أن يزيّن نفسه بهذه الأوصاف .

ثم ينصح إقبال الأمة الإسلامية باختيار صفة إطاعة الله ورسوله . ويحث على هذا قائلا:

در اطاعت كوش اے غفلت شعار — مى شود از جبر پيدا اختيار
ناكس از فرمان پذيرى كس شود — آتش از باشد ز طغيان خس شود
بازاے آزاد دستور قديم — زينت پاكن همان زنجير سيم
شكوه سنج سختئ آئين مشو — از حدود مصطفى بيرون مرو (١)
اجهدن في طاعة يا ذا الخسار — فمن الجبر سيبدو الاختيار
بامتثال الأمر يعلو من رسب — وهوى الطّاغي ولو كان اللهب
ارجعن يا حُرّ دستور قديم — زينن رجلك بالقيد الوسيم
شدة في شرعنا لاتشكون — وحدود المصطفى لا تعدون (٢)

٢- الشرط الثاني

وهو ضبط النفس و هو وثيق الصلة بالشرط الأول. وبغير هذا الشرط ، ضبط نفس ، يحدث التنافر والتضارب بين صفات الذات ومقوماتها فتكون النتيجة سئية . وفكر إقبال في معنى الحديث النبوي الذي خاطب فيه الرسول أصحابه حينما عادوا من الحرب.

"رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، قالوا : وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ! قال: "جهاد بالنفس " (٣).

ولضبط النفس يجب علينا أن نسيطر على الشهوات وهوى النفس ، ولهذا الأمر يلزمنا أن.

١- نعتصم بسيف لا اله الا الله بالقوة .

٢- نقوي قلوبنا بنور الصلاة .

٣- ونخلص من تنعم الجسد بنصر الصوم .

١- كليات إقبال (فارسى) : اسرار خودي ، ص ١٠٧ .

٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ،الدكتور : أسرار أثبات الذات، ص ١٥٣- ١٥٤ .

٣- أخرجه الترمذي في جامعه : كتاب فتن : باب١٢ ، وأخرجه النسائي في سننه: كتاب الزكاة ، باب٤٩، وأخرجه ابن ماجه في سننه : كتاب الجهاد ، باب فتن ٢٠ .

٤- ونقطع جذر تصور الوطنية بنصر الحج وندرس درس الهجرة .

٥- ونقطع حب الثروة بالزكوة .

وبهذه العناصر نجد قوة ضبط النفس ".(١)

انظر هذه الحقيقة في شعر إقبال :

لا اله باشد صدف گوهر نماز	قلب مسلم راحج اصغر نماز
در كف مسلم مثال خنجر است	قاتل فحشاو بغى ومنكر است
روزه برجوع وعطش شبخون زند	خيبر تن پرورى را بشكند
مومنان را فطرت افروز است حج	هجرت آموز وطن سوز است حج
حب دولت را فنا سازد زكوة	هم مساوات آشنا سازد زكوة (٢)
درة التوحيد ، فاحفظها الصلاة	حجك الأصغر ، فاعرفها الصلاة
في يد المسلم هذا الخنجر	يُقتل الفحش به والمنكر
يفتك الصوم بجوع وصدى	ضابطا بالقسط هذا الجسدا
وينير الحج قلب المؤمن	هجرة الأهل به والوطن
بالزكاة العابد المال اذّكر	علّمت حبّ المساواة البشر (٣)

٣- الشرط الثالث

هو نيابة الله في الأرض ، ونيابة الله لا تعني الحلول محله سبحانه لأن ذلك يستلزم خلو المحل وانعدام شاغله أولا ، كما يقول الفلاسفة ، وإنما يعني بنيابة الله القوة التنفيذية التي تتولى إجراء حدود الله وشريعته . أحكام القرآن ، وهذه القوة التنفيذية تتحلى بالعدل والرحمة وبعد النظر والإيمان العميق وتتجلى في الذات الكاملة القوية ، ويصور إقبال الذات في هذه المرحلة تصويرا دقيقا فيقول:

"إن الذات أنذاك ستكون خالدة باقية وليست كلمات النجوم الفانية ، وإن محضرها وغيبتها

١- زيب النساء سرويا : كلام إقبال ميں انبياء كرام كا تذكره ، حضرت محمد إقبال كى نظر ميں(الاردية)، (تذكرة الأنبياء الكرام في كلام النبي ، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في عيون إقبال) ،ص٣٢٩.

٢- كليات إقبال (فارسى) اسرار خودي ، ص ١١٢.

٣- الترجمة العربية ، عزام عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص ١٥٥.

كلاهما خير بركة ، وأنها برئية من العبودية والرق لغير الله ، فتصبح الذات سيدة الإنس والجن، ولا غرابة في ذلك ، فهي مكان النيابة لله عزوجل ".(١)

فيقول:

رأيت الكواكب لمحات نور ... وذاتك بالعشق وهن خلود

تعالى ضميرك عن كل لون ... فعفت من اللون كل القيود

وغيبة(ذاتك) ذكر وفكر ... ومحضرها شعرها والنشيد

إذا أضمت الروح آلام رق ... ففنك عبد رهين سجود

وإن عرفت قدرها كنت حقا ... على الإنس والجن رب الجنود (٢)

"فهي مرحلة يكون الإنسان فيها سيطرا على العالم، مسخرا قوى الكون، نافخا الحياة في كل شيئ ، مجدداً شباب كل هرم ، يهب الحياة بأعجاز العمل ، ويجدد مقاييس الأعمال ، ويرد العالم إلى الأخاء والإسلام " .(٣)

ويبين إقبال "الذاتية " في مثنوي مسافر بالتفصيل .

ويقول:

هل تعلم سر دين المصطفى؟ ... هو أن كشف أسرار النفس هو الملك ذاته

ما الدين؟ اسرارك ... فالحياة بدون معرفة النفس موت

المسلم الذي يعرف نفسه ... هو الذي يجتبيها من وسط الدنيا

أنه مطلع على ضمير الكون ... وهو سيف ، "لاموجود إلا الله "

صيحاته في المكان والامكان ... وتصل الأفلاك السبعة في فضائه

وما دام قلبه سرا من أسرار الله تعالى ... فمن الظلم أن يجهل نفسه

الرجل الحي من فرغ داخله عما سوى الله ... لأن له سراجا داخل وجوده من الذاتية

هو ثابت القدم في صراع الخير والشر ... لأن ذكره سيف ، وفكره درع

ميلاد صبحه من صوته الذي ينبعث من روحه ... وليس من نور الشمس المشرق

١ـ الكيلاني ، نجيب ، الدكتور : إقبال الشاعر الثائر ، ص ٧٢.

٢ـ نفس المرجع.

٣ـ عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ، ص٨٤.

فطرته بلا جهات في عالم الجهات   وهو الحرم، ويطوف حول الكائنات
الشمس ذرة من غبار طريقه   والكتاب شاهد على عروجه
تفكر قليلا في القرآن والسنة   وارجع البصر كرتين إلى نفسك أيها الجاهل
وتعرف إلى مقام الذوق والشوق   وصد القمر والشمس ولو كنت ذرة
إعرف حقيقة هذا العالم الموجود   وارفع من صوتك في عالمك
تقوم الحياة على أساس الأمل   فاعرف نفسك من آمالك
لأن الأمل يحرك السمع والبصر والفؤاد   ويجعل حفنة التراب روضة شقائق
لأن الأمل يجعل الطين إنسانا   ويجعل منا صحر ما للأسرار
وعندما تتطاير ذرة من ترابنا   يهب الذرة عرض الفلك
لقد بنى إبراهيم الكعبة   وجعل التراب ذهبا بنظرة منه
فعمر "بالذاتية" بذلك   واجعل ترابك ذهبا" (١)

فيؤكد إقبال على معرفة النفس وإذا يعرف الإنسان قوة النفس فيغلب الكون، وقد عرف إقبال نفسه بعد دراسة عميقة السنائى (٢)، و عطار(٣)، والرومي (٤) وابن عربي (٥) من الصوفية، وهيگل (٦)، وشوبنهار (٧) ونيتشي (٨) من حكماء الغرب،

١- محمد إقبال: من مثنويات "المسافر"، الترجمة العربية: عبدالفتاح فرح، يوسف ومنصور، محمد علاؤ الدين. الطبعة الأولى. القاهرة: المجلس الاعلى للثقافية. ٢٠٠٢م. ص ٨١- ٨٥.

٢- طبيب السنائي، كان اسمه مجدود وكنيته أبو المجد، ولد ٤٦٤هـ/١٠٧١م وتوفى ٥٤٥هـ/١١٥٠م في غزنة.

٣- هو، عطار، فريد الدين محمد بن إبراهيم، الشاعر الصوفي باللغة الفارسية. لم نعرف تاريخ مولده ووفاته حتماً ولكن أغلب الظن، انه ولد سنة ٥١٣هـ/١١١٩م وقتل علي أيدي مغول سنة ٦٢٦هـ/١٢٣٠م في نيشابور.

٤- هو أبو الحسن علي بن عباس بن جريح، المعروف بابن الرومي، وكان عهده ٢٢١هـ- ٢٨٣هـ/٨٣٦م- ٨٩٦م.

٥- هو عبدالوهاب بن العربي بن يوسف الفأسي، أبو الفضل، مولده ووفاته بفاس وكان عهده ١٠٠٩هـ- ١٠٧٩هـ/١٦٠٠م- ١٦٦٨م.

٦- هو جارج ويلم فريدرك هيگل، هو فلسفي من المانيا وكان عهده ١٧٧٠م- ١٨٣١م.

٧- هو آرتهر شوبنهار، فلسفي ألماني، وكان عهده ١٧٨٨م- ١٨٦٠م.

٨- هو فريدرك نتيشے، فلسفي ألماني، وكان عهده ١٨٤٤م- ١٩٠٠م.

وخاقاني (١) وبيدل (٢) من الشعراء الفارسية (٣).

ولـكـنه تأثر كثيرا بابن العربي من الصوفية، ونيتشي من الفلاسفة، وبيدل من الشعراء، ثم بعد دراسة القرآن الحكيم دراسة عميقة، عرف إقبال نفسه وصار إقبال "الإقبال" ونال مقام السمو والعلو في مجتمعه، ولهذا يؤكد على حصول معرفة النفس.

معني الفقر عند إقبال

عـاش سيـدنـا مـحمد صلى الله عليه وسلم حياة الفقر ولكن ما كان ذلك الفقر حياة الضعف والـعسـرة، بل حياة العزة والحشمة بقوة الذات ومعرفة النفس، ولهذا يبين إقبال في كلامه اصطلاح "الفقر" فيقول:

جـز بـقـرآن ضـخـمي روباهي است　　فـقـر قـرآن اصـل شـاهنشـاهي است

فـقــر قــرآن ؟ اختـلاط ذكـر وفكـر　　فـكــر را كــامـل نـديـدم جـز بذكـر (٤)

يـصبـح الـثـعـلـب ذيّـاك الأسـد　　دون قـــرآن ومـــلك مـــا استـنـد

فـقــره مـلك وذكـــر ثـم فـكـــر　　واهـب الـفـكـر الـكـمـال كـان ذكر (٥)

والفقر عنده هو اصطلاح مترادف للتوحيد، يقول إقبال:

خـودى كــا سـر نهـان لا الـه الاالله　　خـودى هـے تيغ فسـان، لاالـه الا الله (٦)

مستـرفـي الـذات مـعـنى بـعيـد　　ســــره لاالـــــــه الا الله

سيف الـذات قــاطـع غيـر نـاب　　شــــحــــذه لاالــــــه إلا الله (٧)

١- هو افضل الدين بديل خاقاني شيرواني، لقبه كان "حسان لعجم" ولد في قرية شيروان عند آذر بائيجان سنة١١٢٦م وتوفى سنة ١١٩٨م.

- ديوانه يشتمل على قصائد والمقطعات والرثاء والتصوف وغير كذلك.

٢- هـو عبـدالـقـادر، اشتهـر بـاسم بيدل، ولد سنة ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م في پٹنه (احدى المدن من الهند) في الأسرة الدينية، وتوفى سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م في دهلي (الهند)

٣- وقار معين، سيد :إقبال شناسي اور نيا زونگار (الأردية) .لاهور، باكستان: ظفر سنز برنترز شمع بلازه، ١٩٨٨م. ص ١٧-١٨.

٤- كليات إقبال، فارسى، جاويد نامه، ص ١٥٠.

- وانظر أيضاً: سمير، عبدالحميد إبراهيم: ديوان الأسرار والرموز، ص ٣٦.

٥- الترجمة العربية، المصري ،د. حسين مجيب : رسالة الخلود، ص ٢١٤.

٦- كليات إقبال (الاردية)، ضرب كليم، ص ٨٤١.

- وانظر: عبدالحميد إبراهيم، سمير: ديوان الأسرار والرموز ،ص ٣٧.

٧- الترجمة العربية : عزام، عبدالوهاب، الدكتور : ضرب كليم، ص ٢٣.

ثم يقول :

چڑھتی ہے جب فقر کی شان پہ تیغ خودی　　اک سپاہی کی ضرب کرتی ہے کارسپاہ (١)

نظـــرة النفـى للقلندر سيف　　طبعتـــه الـذات التـي يقتضيهـا

واحد من جنودهـا الحق يغني　　عـن جيـوش تخـاف وهـم الفنـاء (٢)

بعد قراء ة هذين البيتين والربط بينهما يتأكد لنا أن التوحيد والفقر مصطلح واحد .

يقول إقبال :

لا الــه سـرمايـهٔ اسـرار مـا　　رشتـــه اش شيـرازهٔ افكـارمـا (٣)

لا الــه السـر فـي أسـرارنـا　　"لا الـه" السـمط من أفكـارنـا (٤)

الفقر لدى إقبال علم معرفة الأسرار والقوة ، وصاحب الفقر لا يخاف من الطاغوت وأصطدام الكفر، وجميع أعماله تدور حول لا إله ، وبسيف إلا ألله يفتح خيبر ويعلن كلمة الحق عند فرعون ونمرود، يشرح إقبال "الفقر" ومقامه هكذا :

فقر ذوق وشوق وتسليم ورضا است　　ما امينيم اين متاع مصطفى است

فقـر بـر كروبيان شبخون زند　　بـر نواميـس جهـان شبخون زند

بـر مقـام ديگـر اندازد تـرا　　از زجـاج الـماس مى سـازد ترا (٥)

حـالـه ذوق و شـوق ورضـا　　ثـم تسـليم لـمـا الله قضـى

يـالـه كـنـزا بـه العيـش صفـا　　فهـو ميـراث النبـي المصطفى

ليلـه المظلم للمجد سراج　　يصنـع الجوهـر من أدنى زجاج

يقهر المؤمن ناموس(٦) الفلك　　فهـو إنسـان وفـي النـور ملك

فلقـد تنقـل دنيـاك إلـى　　حـالة أسـمـى وشـأن أفضـلا (٧)

١ـ كليات اقبال ، (الاردية) ، بال جبريل ، ص ٦٦٩.

٢ـ الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ ، جناح جبريل ، ص ٤٦٤ .

٣ـ كليات إقبال(فارسي) رموز بے خودى،ص ٢١٠ .وانظر: سمير ، عبدالحميد إبراهيم : ديوان الأسرار والرموز ، ص ٣٨.

٤ـ الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: رموز نفى الذات ، ص١٩٥ .

٥ـ كليات إقبال (فارسى) پس چه بايد كرد اقوام شرق ، ص ٢٦ .

٦ـ ناموس: القانون أو الشريعة .

٧ـ الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان : الأن ـ ماذا نصنع يا امم الشرق ، ص ٣٥٨.

ويتـولـد الـفـقر بقوة العشق الإلهي وعشق النبي، والمؤمن يفنى نفسه في ذات الإله كما يفنى قطرة الماء نفسه في البحر ، ثم يفرق إقبال بين فقر المؤمن وفقر الكافر قائلا:

فـقر مومن چيست ؟ تسخير جهات بـنـده از تـأثيـر او مـولاصفـات
فـقـر كافر خلوت دشت و درا است فـقـر مـومـن لـرزهٔ بحـر و بـراسـت (١)
فـقـرنـا مـعـنـاه تسخيـر الجهـات واحتسـاب لـجـميـع الـكـائـنـات
يـرفـع الـمـؤمـن فـوق الشبهـات مـظهـرا أعـلـى لـقـدسـي الصفـات
فـقـر أهـل الـكـفـر هـدم لـلـفـطـر ومـجـافـاة لعمران البشر (٢)

الناحية الثانية: الشعبية

ويـذكر إقبال في هذا القسم أحوال الأمة بصدد مداولة الأيام ومنها : الرقي والذل إلى صفات القوة والنهضة حسب ازدياد حبهم للرسول صلّى اللّٰه عليه وسلّم .

وكـان إقبـال رقيـق الـقـلـب وذكـي الفهم، والشأب المسلم وشعبيته كانت مهمة جداً عنده والجزء الخاص لشعره.

وننظر في السطور القادمة هذه الموضوعات.

إقبال ووحدة الأمة الإسلامية

وكـان إقبـال يـحـب الأمة الإسلامية ، ويـريد أن يصير المسلمون أمة واحدة . فالمسلم عند إقبـال كـالـصـقـر درويـش الطيور ، قد يتخذ عشاً يأوى إليه ولكنه يطير في الأعالي وينتقل بين القمم ويتملك الأفاق الواسعة دون أن تملكه ، فهو عبداللّٰه وحده .

ويقول حازم محمد المحفوظ:

"ولـدى إقبـال لا تناقض بين الوطنية الصادقة والأخوة الإسلامية الشاملة ، فالإنسان بفطرته ينزع إلى حب مسقط رأسه حبا جماً ، ولقد كان إقبال بنفسه محب الوطن صادقا ، فهو أحد من الرجال الذين بـنـوا وطنهم وكتبوا تاريخهم ، ورأى إقبال رؤية الباكستان بعينه ، التي رسم خريطتها ونشر فكرتها وقاد حـركتهـا بين القائدين في إخلاص وإقدار ، ولكن ذلك لم يشغله عن هموم أمته الكبيرة وجودها العالمي ورسالته الإنسانية ، تلك هي النقطة الأولى .

١- كليات إقبال (فارسى) : پس چه بايد كرد اے اقوام شرق، ص٤٠.

٢- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان : الآن ....ماذا نصنع يا أمم الشرق ، ص٣٦٠.

والثانية أن الأساس الذي تقوم عليه الوحدة الإسلامية عند إقبال هو الشريعة الإسلامية التي تخاطب الإنسان من حيث هو الإنسان ، لا تفرقه الأصول العرقية العنصرية ولا المشاغل الوطنية أو القومية ولا الفوارق اللسانية أو الثقافية".(١)

كما قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَّقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَاللّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٢)

وكما قال نبي الإسلام:

"المسلم أخوا المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة".(٣)

ومن ثم فإن هذه الشريعة هي النظام الوحيد القادر على تحقيق وحدة البشرية وصياغة الشخصية السوية وبناء الحضارة الحقيقة .

ويقول إقبال :

ختم الله إليك الأمما | بك حقا كل بدء ختما
كم تقي فيك كالرسول منيب | وجريح القلب رفاء القلوب
لك طرف بالنصارى سحرا | وعن الكعبة أبعدت السُرّى
يامن الأفلاك من هبوتها | من رنا الكون إلى طلعتها
سرت كالموج دعوب السفر | أين تبغين مراد النظر
كفراش في لظى الحب اصبري | وخذي عشك بين الشرر
أحكمي العشق بروح قد صفا | جدّدي العهد بحب المصطفى (٤)

١- المحفوظ،حازم محمد أحمد إبراهيم: الحكيم الأمة وشاعر الإسلام محمد إقبال، ص٦٢.

٢- سورة الحجرات ، الآية : ١٣.

٣- صحيح البخاري ،باب المظالم ، رقم الحديث :٣ ، وباب الإكراه ، رقم الحديث : ٧.

- صحيح مسلم : باب البر ، رقم الحديث :٣٢، ٥٨ ، ٥٩.

- صحيح أبو داؤد : باب الإيمان ، رقم الحديث : ٧ ، وباب الإمارة : رقم الحديث : ٣٦ ، وباب الأدب : رقم الحديث : ٣٨.

- صحيح الترمذي : باب الحدود ، رقم الحديث : ٣ ، باب البر برقم الحديث : ١٨.

- صحيح ابن ماجه : باب التجارات ، رقم الحديث : ٤٥ ، باب الكفارات ، رقم الحديث:١٤.

٤- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : ديوان الأسرار والرموز ، ص ٧٧، ٧٨.

وفـي قـصيدة "برلمان إبليس " في آخر ديوانه "ارمغان حجاز " أي هدية الحجاز ، يتنبأ بفشل كـل الأنـظـمة الأخـرى ويـعبـر عـن تـخوف رئيس الشياطين على نظامه الإبليسي الشرير من الشريعة الإسلامية ومن أمة الإسلام.

"إن كـنـت خـائفا (على لسان إبليس) فإنني أخاف أنه لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة فـي رمـادهـا (أي فـي رمـاد هذه الأمة المسلمة) ولا يزال منها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، وتسيـل دمـوعهـم على خدودهم سحرا ، أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجوراً ، وأنها فتـنـت بـالـمـال وشـغـفـت بـجـمـعه كغيرها من الأمم ولكنني أخاف أن قوارع العصر وهزاته ستوقد مضجها، وتوقظها وتوجها إلى شريعة محمد صلى اللهعليه وسلم " .(١)

والثـالثة : إن شـــــرارة الحياة ، كما اسماها "إقبال " التي تحفظ على هذه الأمة و وجودها وتشعـل بـمـحبة محمد صلى الله عليه وسلم ، قد آمن "إقبال " طول حياته أن سر الأسرار في الحياة الإسـلامية عـلـى الـصعيد الفردي والصعيد الجماعي ، هو محبة المصطفى وكان كثيرا ما يردد ، "أن أنوار أوربا ومدينتها لـم تخلب لبى أو تعشى بصري لأني اكتحلت باسم المدينة ". (٢)

لـقـد عـاش إقبـال طـول حياته متغردا بترنيمة محبة المصطفى والشوق إلى مدينته ، لقد طفح الـكـأس بـه فـي آخر حياته ، حتى إنه كلما ذكرت "المدينة " فاضت عيناه وانهمرتا بالدموع ، وكما تخيل معراج النبي في جاويد نامه أو رسالة الخلود.

"فـإنـه رحـل إلـى الـحـجـاز ويتخيل نفسه مسافراً بين مكة والمدينة ، شرفهما الله ، تهوى به الـعيـس ويسيـر بـه الـركـب على رمال كل ذرة من ذراتها حب يخفق "بمجد " فيطلب من السائق أن يـمشـي رويـدا ، ويـرفق بهذه القلوب الخفاقة ، ثم يتحدث إقبال بين يدى "الرسول " عن نفسه ، وعن بلاده ، وعن أمته ، ويطلب منه صلى الله عليه وسلم الكرم والشفاعة للأمة الإسلامية "(٣)

ولـكـن ما أمكن لإقبال أن ينظر مدينة الرسول بعيون الحقيقة ، وكل أمنياته لزيارة مدينة النبي

١- المحفوظ ، حازم محمد أحمد إبراهيم : الحكيم الأمة وشاعر الإسلام علامة محمد إقبال ، ص٦٤ ، ٦٥.

٢- المحفوظ ، حازم محمد أحمد عبدالرحيم : الحكيم الأمة وشاعر الإسلام علامة محمد إقبال، ص ٦٦.

٣- نفس المرجع.

تسيل مع دموعه .(١)

ولكن كان قلب إقبال مسكناً لمحمد صلى الله عليه وسلم وحبه كان متاع حياته ، فينادى المسلم في قصيدته إلى الأمة في "ارمغان حجاز" .

"وثق فؤادك بالهدى واسلك سبيل "المصطفى" اقطع منازل سفرك بخطر جديد وكبر في هذا الفضاء الأزرق ، لو أردت مقامك في هذا العالم ، فوثق قلبك بالحق واسلك سبيل المصطفى".(٢)

وجوهر الوحدة الإسلامية الرابعة والأخيرة في نظر "إقبال" هو التوحيد ، الثقافي والروحي في الأساس ، فيؤكد إقبال على هذا و يقر حفظ التوحيد ونشره مقصد الأمة الإسلامية .

فيقول:

كلمة التوحيد منك المقصد — أنت للتكبير فيها توجد
دينه فيه الحياة الخالدة — لا تراها عن هداه حائدة
أيها التالي الكتاب المنزل — تسمّون ، لا تقعدن عن عمل
هو أحيا سنة من أزرا — محدثا فيها إلا ها للورى
أيها الشارب من كأس الخليل — يا حميّ النفس من طاس الخليل
سيف "لا موجود إلا هو" خذ — وبه الأصنام هذى فاجذذ
في ظلام الدهر أشرق للملا — وانشرن حقا عليك اكتملا
خجلتا لك في اليوم العسير — حينما يسألك الهادي البشير
قد أخذت الحق عني مادهاك — لم تبلغه بحق لسواك (٣)

١- جاويد ، خادم علي: علامة إقبال باوجود خواهش كے حج نه كرسكے (ماحج إقبال على الرغم أمنيته) روزنامه (الجريدة اليومية)امروز ٩ يونيو ١٩٩١م .

- وانظر: الندوي ، مولانا أبو الحسن ، روائع إقبال ، ص ١٧- ٢١.

- وانظر: محمد ظريف ايم اے ، قاضي : إقبال قرآن كى روشنى ميں (إقبال في ضوء القرآن)، ج٢/١٣- ١٤.

٢- المحفوظ ، حازم محمد أحمد عبدالرحيم : الحكيم الأمة وشاعر الإسلام علامة محمد إقبال ، ص٦٨.

٣- سمير ،عبدالحميد ابراهيم: ديوان الأسرار والرموز، ص ١٢٨- ١٢٩.

الوحدة المتكاملة

أكـد إقبـال عـلـى أهمية "الوحدة الكاملة" وضرورتها في كلامه ويريد ها في أكمل صورة ، نجد صبغة هذه الوحدة في كلامه بصورة أحسن . يقول :

شوق میری لے میں ہے شوق میری مے میں ہے　　نغمہ اللہ ہو میری رگ و پے میں ہے (١)

صـلاة الحب على شفتي (وعلى خديك تورّده)، الـفتـنـة وجهك يـوقـد هـا وأنـا أشـرح ماتوقدوه توحيد الله لنانور وحياة القلب توحدوه . (٢)

مـادام الـمسـلـم يرفع هتاف التوحيد هذا لا يمكن لأحد أن يمحو وجوده من قرطاس الحياة بـأنـه خـليـفة الله ونائبه وبهذا الدرس التوحيدي يريد إقبال حطم اصنام قلوبنا وأذهاننا ويظن إقبال أن وحدة الملة لا بد منها لرقي المسلمين.فيقول:

فـرد را ربـط جماعت رحمت است　　جـوهـر اور اكـمـال از ملـت است
تـاتـوانـی بـاجـمـاعـت يار بـاش　　رونـق هـنـگـامـۂ احـرار بـاش
حـرز جـان كـن گفتـۂ خير البشر　　هسـت شيـطـان از جـمـاعـت دورتر
فـرد و قـوم آئينـه يك ديـگـرانـد　　سلك وگوهر ، كهكشان ، واختراند
فـرد تـا انـدر جـمـاعـت گم شود　　قـطـره وسعـت طـلـب قلـزم شود
فـرد ميـگـرد ز مـلـت احـتـرام　　مـلـت از افـراد مـى يـابـد نـظـام (٣)
رحـمة لـلـفـرد حـجـر الأمة　　كـامـل جـوهـره فـي الـمـلة
فـالزمن الـجـمـع جهدا المستطاع　　فـي ذرا الاحـرا ركـن مثل الشعـاع
واحـفـظـن مـا قالـه خير البشر　　كـل شيـطـان مـن الـجـمـع نـفـر
فـردنـا مـرآتـه أمتـه　　وكـذا مـرآتـهـا صـورتـه
وهـمـا سـلك نـظـام ودرد　　أو نـجـوم تتـجـلـى فـي النهـر
قيـمة الأفـراد جـدوي الـمـلـة　　ومـن الأفـراد نـظـم الأمة (٤)

١ـ　كليات إقبال (الاردية)،بال جبريل ، ص١٠٧.
ـ　وانظر: سليم اختر ، الدكتور : إقباليات كے نقوش (الأردية) (نقوش إقباليات) ص ٢٤٧.
٢ـ　الترجمة العربية ، زهير ظاظا ، الأستاذ ، بال جبريل ، ص ٤٧٩.
٣ـ　كليات اقبال (فارسى) ، رموز بے خودى ، ص ١٩٨.
٤ـ　الترجمة العربية ، عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص ١٩٠.

وكرّر إقبال رسالة اتحاد بين المسلمين في كلامه مراراً وخاصة في أشعاره الابتدائية مثل شكوه، وجواب شكوه، وخضر راه، وشمع وشاعر، طلوع الإسلام وغيره.

وكان رسالة إقبال لمسلمي العالم كله.

ایک ہوں مسلم حرم کی پاسبانی کے لیے　　نیل کے ساحل سے لے کر تابخاک کاشغر (١)

و"ينبغي أن يكون المسلمون في صف واحد لحفاظة الحرم من شواطئ النيل إلى أرض كاشغر.

إقبال والرجل المؤمن

الرجل المؤمن الذي يحلي نفسه بالطاعة وضبط النفس والنيابة إلهية، والرجل المؤمن لدى إقبال هو صاحب الإرادة والاختيار، والذي يغلب الدنيا ولا تغلبه، ويقهر الوجود ولا يقهره، ولا يهاب الموت بل يبتسم له، إنه المؤمن الذي يسخر الكائنات ويخضع له الوجود، ويملك الكثير من عرض الدنيا، لكنه لايستهويه أو يستعبده بل هو مع ملكيته للدنيا طليق منها، حرمن قيودها، وهو ما يعبر عنه بالفقير أو القلندر.

ويقول:

"ومثل هذا المؤمن الكامل يظل يصعد في مدارج السمو والرفعة، محاولا أن يتصف بصفات الله، ومحاولا التقرب بصفاته الربانية إلى الذات المطلقة ـ ذات الخالق الأعظم، عندئذ إذا نطق هذا المؤمن الكامل، الذي يشق طريقه اللانهائي إلى الكمال، إذا نطق فبالصدق وإذا أتى عملا كان صوابا، وإذا حكم حكما كان عدلا وحقا". (٢)

فيتغنى إقبال بعزيمة المسلم، فيقول:

ہو حلقہ یاراں تو بریشم کی طرح نرم　　رزم حق و باطل ہو تو فولاد ہے مومن

افلاک سے ہے اس کی حریفانہ کشاکش　　خاکی ہے مگر خاک سے آزاد ہے مومن (٣)

مع الصّحب لين كمسِّ الحرير　　بعيد من المحك، المؤمن

حديد إذا ما طغى باطل　　جرئ لدى المعرك، المؤمن

من الطين لكن على الطين يسمو　　ويأبى على الفلك، المؤمن (٤)

١ـ كليات إقبال (الاردية) بانك درا، ص٤٦٩.

٢ـ الكيلاني، نجيب، الدكتور: إقبال الشاعر الثائر، ص٢٣.

٣ـ كليات إقبال(الاردية) ضربِ كليم ،ص٨٨٩.

٤ـ الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور، صرب كليم، ص٤٣٠.

ويعبر عن قوة الإيمان في ،" شعارالمؤمن " فيقول:

لم أحن رأسي خاشعا إلا لمن　　　بيمينه الأحياء والأفناء
فقري لخلاقي غني عن خلقه　　　فأنا الغني وأن غدوت فقيرا
وأرى فناء العيش خير اللفتى　　　من أن يعيش على الغناء أسيرا (١)

ثم يقول:

محكما كالجبال عش ، لا ضعيفا　　　واهن النار طائشا كالهشيم (٢)

ونجد إقبال كثيرا ما يخاطب المسلم الحق ، الذي آمن بربه وعرف حق المعرفة ، يطلب منه اليقظة والوعي والصحومن نومه الطويل وعدم الخوف ، لأن الله تعالى قال:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣)

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا، وأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِيْنَ﴾ (٤)

وقال تعالى:

﴿قُلْنَا لَاتَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ (٥)

ويبين إقبال هذه الحقيقة ويقول :

قلبه من لاتخف قلب سليم　　　حين يمضي نحوه فرعون كليم
ورده لاتحزنوا في المأرق　　　أنتم الأعلون "تاج المفرق" (٦)

وأن الأمة المسلمة لاتخاف الموت :

لا تخاف الموت هذه الامة　　　نحن نزلنا لديها حجة (٧)

ويشرح الأستاذ أبو الحسن الندوي فكرة إقبال للرجل المؤمن .تحت عنوان :

١- الكيلاني ، نجيب ، الدكتور: إقبال الشاعر الثائر ، ص٧٣.

٢- عثمان امين ، الدكتور : إقبال ، رسالة محمد إقبال .القاهرة : قسم الصحافة والإستقلامات . سفارة باكستان . ١٩٥٦م . ص ٧٦.

٣- سورة يونس ، الآية : ٦٣.

٤- سورة آل عمران، الآية : ١٣٩.

٥- سورة طه ، الآية : ٦٨.

٦- سمير ،عبدالحميد : ديوان الأسرار والرموز ، ص ١٠٨.

٧- نفس المرجع.

"تصوير للشباب المسلم" .

"إن الدكتور محمد إقبال يتمنى للإسلام جيلا جديدا، شبابه طاهر نقي وضربه موجع قوي ، إذا كانت الحرب فهو في صولته كأسد الثرى وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمى ، يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل ، هذا مع الأعداء و ذاك مع الأولياء ، إذا تكلم كان رقيقا رفيقا، وإذا جدّ في الطلب كان شديدا حفيا ، وكان في حالتي الحرب والصلح عفيفا ، آماله قليلة ، ومقاصده جليلة ، غني القلب في الفقر ، فقير الجسم والبيت في الغنى ، غيور في العُسر، رؤوف كريم عند اليسر، يظمأ أن أبدى له الماء منة ، ويموت جوعا إن رأى في الرزق ذلة ، إذ كان بين الأصدقاء كان حريرا في النعومة وإن كان بين الأعداء كان حديدا في الصلابة ، كان طلاوندي ، تتفتح به الأزهار وترف به الأشجار ، وكان طوفانا تصطرع به الأمواج وترتعد له البحار ، إذا عارض في سيرة صخورا وجبالا ، كان شلالا ، وإن مرفي طريقه بحدائق ، كان مساء سلسالا ".(١)

ثم يقول:

"يجمع بين جلال إيمان الصديق وقوة علي ، وفقر أبي ذر ، وصدق سلمان ، يقينه بين أوهام العصر كمصباح الراهب في ظلمات الصحراء ، يعرف في محيطة بحكمته وفراسته وبأذان السحر، الشهادة في سبيل الله ، أحب إليه من الحكومات والغنائم . يقتنص النجوم ، يصطاد الأسود ، ويباري الملائكة . ويتحدى الكفر والباطل أينما كان ، يرفع قيمته ويزيد في سعره ، حتى لايستطيع أن يشتريه غير ربه، شغلته مآربه الجليلة وحياة الجد والجهاد . عن زينة الجسم والتأنق في اللباس ، وشعر بانسانية ، فترفع عن تقليد الطاووس في لونه ، والعندليب في حسن صوته ".(٢)

ويقول في موضع آخر:

"أيها المؤمن كن مثل أنسام الصبا تحمل العبير دون أن تجشم نفسها حمل الأوراق والأعواد والحطب . إن كنت بحرا فكن في صراع مع الحاضرة والبادية وإن كنت ظلاً فخد مكانك على قيمة أوراق الورود وكن على يقين من أن سر الحق لا يحتجب عن أهل الحق .

إن المؤمن كقطرة الطل حين قوي شوقها إلى الظهور فحلت عقدتها بيدها واستقرت بقوة ذاتيها في ضمير نفسها ثم حملت متاعها وارتحلت من خلوة الافلاك إلى بطون الأصداف تختص بها

١- الندوي ، أبو الحسن علي ، السيد : روائع إقبال ، ص ٦٦ .

٢- الندوي ، أبو الحسن علي ، السيد : روائع إقبال ، ص٦٨ .

ولكنها تنفست لحظة في أحضان السحر إلى أن استقرت في براعم النوار المتفتح للحياة ".(١)

ويقول إقبال:

كن مثل إبراهيم في الإيمان	حتى تزيل معابد الأوثان
الشعب بني عزة بكفاحه	ليشيد مجدا ثابت الأركان
ولقد يظن به الجنون إذا أبدى	يوما تمرده على الطغيان
مافوق أرض الله شعب ظافر	ببلوغ آمال ونيل أماني
إلا إذا عقل الجنون وإنما	يحلو جنون الحب للأوطان
المؤمن المقدام يمضى قاهرا	بالعزة والإقدام دون تواني
وإذا ارتضى للذل أمسى كافرا	بالله أو بكرامة الأوطان
لا يترك الدنيا تعيش وشعبه	فيها قتيل الذل والحرمان
العطر مستتر ويسرى ظاهرا	كن أنت مثل العطر في البستان
لاتخد عنك في الربى ألوانها	كن خاليا فيها من الألوان
قد ضل أهل القصر عن أرواحهم	لم يهتدوا إلا إلى الأبدان
فالدين إرضاء الدخيل وليس	مرضاة الاله الواحد الديان
لا تصحب في شرب كاسات المنى	إلا وفيا صادق الوجدان
لا ترجوا في ندماء غدر نشوة	ولو أن فيهم قيصر الرومان (٢)

فالمؤمن لا يخاف إلا من الله ومن يعش في حظيرة لا اله إلا الله يتحرر من كل قيد وكل هوى. حتى يصيررضي الله إليه من كل شئي . بأركان الإسلام يأخذ مؤمن القوة والمجد ، لأن كلمة التوحيد التي يفنى فيها صدف جوهرها الصلاة ، والصلاة هي الحج الأصغر وهي في يمين المؤمن بمثابة الخنجر يقاوم به شيطان الفحشاء والمنكر .

أما الصوم فهجوم خاطف على تحكم الجوع وغيره من رغبات النفس أنه يحطم حدة الشهوات ، والحج يقوى صلات والروابط بين العبد والمعبود والمجتمع أيضاً وينقطع كل تفرقة بينهم . (٣)

١ـ شعلان ، صاوي علي: إيوان إقبال : مختارات من شعره ، ص ٤ .

٢ـ شعلان ، صاوي علي : إيوان إقبال : مختارات من شعره ، ص ٥.

٣ـ نفس المرجع.

أما الزكاة فتحرق الطمع وحب المال وتعلم المساواة وتمنح المؤمن قوة ونورا من ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (١)

ويبين إقبال صفات المؤمن الحق ويقول :

المؤمن الحق كان الله غايته — والله كان لديه السمع والبصرا

والأن أضحى آله المال كعبته — وخوفه الموت أفناه وما شعرا

يا مؤمنا بلقاء الله مالك في ذعر — من الموت قد اشبهت من كفرا

قد عاد قلبك ميتا بين أضلعه — كأنه في حنايا الصدر قد قبرا

من كان يحسب أن الموت هاوية — وأنه عدم يستاصل البشرا

فنار آماله ينحط عنصرها — إلى التراب ويلقى الموت محتقرا (٢)

وكان إقبال رجلا مومنا وصفات المؤمن هذه مأخوذة من القرآن الكريم، وفيما يلي بعض الآيات التي تعبر عن التصور الأساسي لفكرة الخلافة الإلهية وصفات الخليفة .

﴿وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّيْ جَاعِلٌ فِيْ الأَرْضِ خَلِيْفَةً﴾(٣)

﴿مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُوْنَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيْمَاهُمْ فِيْ وُجُوْهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُوْدِ﴾ (٤)

﴿اَلَّذِيْنَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِيْ الأَرْضِ أَقَامُوْا الصَّلاةَ وَاٰتُوا الزَّكوةَ وَأَمَرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾(٥)

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِيْ الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (٦)

﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ﴾ (٧)

١- سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

٢- شعلان، صاوي علي : إيوان إقبال : مختارات من شعره، ص ١٢٣.

٣- سورة البقرة، الآية: ٣٠.

٤- سورة الفتح، الآية : ٢٩.

٥- سورة الحج، الآية : ٤١.

٦- سورة النور، الآية: ٥٥.

٧- سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١)

﴿وللّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُوْلِهِ وَلِلْمُؤمِنِينَ وَلٰكِنَّ الْمُنافِقِينَ لَايَعْلَمُوْنَ﴾ (٢)

﴿تُؤْمِنُوْنَ بِاللَّهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌلَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ﴾.(٣)

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ .(٤)

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِيْنَ﴾ (٥)

يقول نصير الدين :

"فتبين بتوضيح هذا أن رسالة إقبال هي في الحقيقة رسالة القرآن ، فيعتقد إقبال أن المسلم هو غاية هذا الكون ، خلق العالم له وخلق هولله ، وهو خليفة الله في أرضه ، خلق لأجله العالم ، وعلّمه الاسماء وحكّمه في الأرض ، وأورثه خيراتها وخزائنها، وألقى إليه بمقاليدها ، ويقتنع بأن العالم خلق له ، ويجاهد ويجتهد لتطبيق هذه العقيدة ، وتحقيق هذه الفكرة "(٦).

فيقول إقبال:

"ان المسلم حي خالد ، لأنه يحمل رسالة خالدة ، و يحتضن أمانة خالدة ، ويعيش لغاية خالدة، ويرى محمد إقبال أن المسلم موج من أمواج بحر الإسلام الخضم ، يأتي موج ويذهب موج، وتتراحى الأمواج في أحضان البحر ، وتتلاشى في وجوده ، والبحر لا يتغير ، فالبحر امتداد دائم ، وتسلسل قائم لأجزاء متغيرة ، كبحرالحياة وبحر الوجود ، تتبدل أمواجه ، وهم أفراد البشر ولا يتبدل كيانه " .(٧)

فيقول إقبال:

المؤمنون على عنا ... ية ربهم يتوكلون
لا خوف يفزعهم ولا ... هم في الحوادث يحزنون

١- سورة المائدة ، الآية : ٥٦.
٢- سورة منافقون ، الآية: ٨.
٣- سورة الصف ، الآية : ١١.
٤- سورة البينة ، الآية: ٨.
٥- سورة البقرة ، الآية: ١٥٣.
٦- نصير الدين سلطان أحمد: علامة إقبال شاعر الإسلام .مقاله الماجستير ، جامعة بنجاب ، باكستان ، أغسطس ١٩٨٥م. ص ٦١.
٧- نفس المرجع ، ص ٦٢.

لا مــــرّ أضــعــفهــم عــلــى　　　"فــرعــون" يــجتــز الـرؤوسـا
لأراك فـــي الإفـــصـــاح "هـــا　　　رونـا" وفـي الايـمـان "مـوسـى"
هــو مــصــطـفــى نـور الـرجـا　　　ء وســالــب كــنــز الأمــل
الــمــؤمــن الــوثــاب تــعــ　　　ـصــمــه مــن الهــول السـكـيـنـة
تــلــقــاه عــنــد شـبــابــه　　　هــرمــا قــد انــحـطـت قــواه
فـي الـسلـم قبل الحرب مسـ　　　ـلـوب الشـجـاعـة حـائـر
أعــداؤكــم يــخشــون سيــ　　　ـف يــقــنــيـكــم قبـل السيـوف
ومــرامهـم أن تسـرعـوا　　　بــالــخــوف مــن قبــل الحتـوف
حتـى تـروا نـظـراتهـم　　　مثـل الـخـنـاجـر فـي الـصـدور
وهــنــاك يــقتـطـفـونكـم　　　مــن أرضــكــم قـطـف الـزهـور (١)

وبعد استعراض تصوير المسلم الحي الخالد، يصور إقبال لنا تصوير المسلم في العصر الحديث الذي لا يعرف أسرار دينه ومعارفه، وهو مشغول في اللهو واللعب ولا يبالي بالأخرين في المجتمع إلا بنفسه، يجمع الدنيا وينسى الآخرة، وبحر قلبه يخلو من تلاطم العشق وأمواج العمل، ويتأسف إقبال على هذا المسلم الشاب ويقول بالحزن:

مسلمـان تـا بساحل آرميداست　　　خجل از بحرو از خود نا اميداست
جز ايں مرد فقيرے درد منـدے　　　جراحت هائے پنهانش كه ديداست
گه سنت او را كه آيد بوے يارے　　　كه دادا و را اميد نو بهـارے
چو آں سوز كهن رفت از دم او　　　كه زد بر نيستان او شرارے (٢)
عـلـى شـط يـطـول بـه الـوقـوف　　　فـعـن عـمـل وعـن أمـل عـزوف
لـمـن غـيـرى أنـا الـمسكـين حقـا　　　عـلـى أسـراره كـان الـوقـوف
ومـن مـنـاه لـلـمـحـبـوب عـطـرا　　　وهـذاك الـربـيـع يـرفُّ زهـرا
تـنـاسـى قـولـه قيلـت فـمـنـدا　　　عـلـى قـصبـائـه بـالـنـار مـرا (٣)

١ـ سعيد أحمد أمجد حسين، الدكتور، وإبراهيم محمد إبراهيم، الدكتور: شاعر الشرق محمد إقبال، ص١٩٩ـ٢٠٠.

٢ـ كليات إقبال (فارسى): ارمغانِ حجاز، ص١١٠.

٣ـ الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز، ص٤٥٢.

ويفقد مسلم اليوم عظمة أسلافه ومقام أجداده ، وهو يهبط من السماء إلى الأرض بسبب بعده عن الدين والكتاب والسنة النبوية صلى الله عليه وسلم فكان مثل الشمس وصار الآن مثقالى الرمل ، وينظر بعيونه الخالية إلى عظمته الفاقدة ويريد أن ينالها ولكن لا يعرف ماذا يصنع لينلها ، ويدرك إقبال كيفيته هذه ويعرض طلبه إلى حضرة الرسول أن ينصره في كيفية هذه اليأس. فيقول:

مسلمان آن فقير كج كلاهے — رميد از سينهٔ او سوز آهے
دلش نالد ! چرانالد ؟ نداند — نگاهے يارسول الله نگاهے (١)

ويبدى المسلم المحبوب فقره — يُصعِّد مثل حرّ النار زفره
شكامنه الفواد وليس يدري — فهبنا يارسول الله نظره (٢)

وإقبال بنفسه لم ييئس من المؤمن ويفهم أن مسلم اليوم ينام نوم الغفلة والكسل وانه ينسى غاية حياته ، ولكنه يؤقن اليقين الكامل أن في الحقيقة المسلم كالأسد وعندما استيقظ من نومه العميق استيطر على كل العالم وأزال ظلام الكفر كله ، فان غاية حياة المسلم إعلاء كلمة التوحيد وتنفيذ أحكامه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحويل المجتمع إلى مجتمع إسلامي.

فيقول إقبال مخاطبا للشأب المسلم :

اے كه بانا ديده پيمان بستهٔ — همچو سيل از قيد ساحل رستهٔ
هستى حاضر كند تفسر غيب — مى شود ديباچهٔ تسخير غيب
هر كه محسوسات را تسخير كرد — عالمے از ذره تعمير كرد
كوه وصحرا دشت ودريا بحرو بر — تختهٔ تعليم ارباب نظر
اے كه از تاثير افيون خفته — عالم اسباب راوون گفته
خيز و واكن ديده مخمور را — دون مخوان اين عالم مجبور را
غايتش توسيع ذات مسلم است — امتحان ممكنات مسلم است
مى زند شمشير دوران برتنت — تابه بينى هست خون اندرتنت
سينه را از سنگ زورے ريش كن — امتحان استخوان خويش كن
حق جهان را قسمت نيكان شمرد — جلوه اش بادیدهٔ مومن سپرد

١- كليات إقبال (فارسي) ارمغان حجاز ، ص ٥٦.

٢- الترجمة العربية : المصري ،د.حسين مجيب :هدية الحجاز ، ص ٤٣٩.

تــاز تسـخيـر قــوائے اين نـظـام — ذوفـنــو نيهــائے تـو گـرد وتـمــام
نــائــب حـق در جهــان آدم شـود — بـر عنــاصـر حـكـم او مـحكم شود
تـنـگـى ات پهـنـا پذيـرد در جهـان — كــار تــو انــدام گـيـردد جهـــان
خـويـش را بـر پشـت باد اسوار كن — يـعـنـى اين جـمّــازه را مــا هـار كن
دسـت رنـگين كن زخون كوهسار — جـوئـے آب گــوهـر از دريــا بـر آر
تـابـش از خـورشيـد عـالمتاب گير — بــرق طــاق افــروز ازسيـلاب گـيـر
ثــابــت وسيـــاره گـردون وطـن — آن خــداونـــدان اقـــوام كـهـــن
چشـم خـود بـكشــا و در اشيـانگر — نشــــه زيــر پــردهٔ صهبــانـگــر (١)
مـؤمـنـــا بــالـغيـب غيـر الـغـافـل — كــارهــا كــالسيـل قيـد الســاحـل
ذلك الــحـــاضـر تـفسيـر الـغيـوب — وهــو مــفـتـاح لستسخيـر الـغيـوب
مـن يسـخـر عــالـم الـحس سمـا — ومــن الـــــذرة يـخـرج عـالـمـا
كـل مــافـي الـكـون مـن بحـر وبـر — لــوح تـعـليـم لأربـــاب الـنـظـر
أيهـــا الـنــائـم طـالـت غـفـلتـه — عـــالـم الـحــسِّ جـفتـه هـمتـه
قــم وفتـح بـصـراً قـد سـكـراً — لا تـحـقِّـر عـــالـمـا قـد حقـرا
إنــــه تـــوسيـع ذات الـمسـلـم — وامتــحـــان لـصـفـــات المسلم
هـــو يـبـلـــوك بسيف الــزمـــن — لتــــرى أن دمــــاً فــــي البــدن
إضـرب الـصـدر بـقهـر القـــوة — اختبـــر عـظـمك في ذي الـصّـدمة
جـعـل الـحق الـدنى لـلخيـرين — وجــلاهـــا لـعيـون الـمـؤمـنـين
يبتـغي فـي الـكـون تسخيـر القوى — لتـــرى فيـــه بـــأعـلـى مستـوى
نــــائــــب الـحــق ، بـحـق آدم — حـكـمــه في الأرض مــاض حـاكـم (٢)
لك مـــن ضيــقك ، مـنهــا سـعـة — ولأعــــمـــــالك فيهــــا فسـحة
صهـــــــوة الـــريح اعلونها آمرا — ألـــجـــمـــن هـــذا الجـواد النّــافـرا
شــق قــلــب الـطـور عـن جـوهـره — شــق مـــوج البـحـــر عـــن دربّــه

١- كليات إقبال ، (فارسى) رموز بے خودى ، ص ٣١٢، ٣١٣.

٢- يعني أن الإنسان خليفة الله في الأرض بالحق ، وحكمه فيها نافذ .

من شعاع الشمس ناراً فاقبس ومن السيل برقا فاخلس (١)
كلها يا صاح عبدان لكا وماء سخرت من أجلكا
افتح العين وأنعم نظرا أبصرن في الراح معنى مضمرا (٢)

ويريد إقبال من الشأب المسلم أن يغوص في بحر الإسلام ويبحث منه لولؤحب النبي صلى الله عليه وسلم ويزين نفسه بأحكامه وبأطواره ، ويعيش حياته على نهج الإسلام ، فيقول:

قلب را از صبغة الله رنگ ده عشق را ناموس و نام وننگ ده
طبع مسلم از محبت قاهر است مسلم از عاشق نباشد كافر است
تابع حق ديدنش ناديدنش خورد نش نوشيدنش خوابيدنش
در رضايش مرضئ حق گم شود اين سخن كے باور مردم شود
خيمه در ميدان الا الله ذدست درجهان شاهد على الناس آمدست
شاهد حالش نبى انس وجان شاهدے صادق ترين شاهدان
قال را بگذار و باب حال زن نور حق بر ظلمت اعمال زن
در قبائے خسروى درويش زى ديده بيدارد خدا انديش زى
قرب حق ازهر عمل مقصود دار تاز تو گردد جلالش آشكار (٣)
صبغة الله أنرفي قلبكا والهوى والصيت دع في حُبّكا
إنما المسلم بالحب قهر مسلم لاحب فيه قد كفر
غض بالحق ، وبالحق نظر وله في الحق نوم وسهر
في رضاه لرضا الحق فناء كيف يرضى الناس هذا الادّعاء (٤)
في رُبى التوحيد أرسى العمدا وعلى الناس جميعا شهدا
وعليه يشهد الداعي الأمين شاهد أصدق كل الشاهدين
فدع القال إلى الحال الجلي وأضئ بالحق ليل العمل

١- استخرج الكهرباء من سيل الماء .

٢- الترجمة العربية :عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموزنفي الذات ،ص٢٢٨-٢٢٩.

- وانظر :اله آبادي ، بهار : تفسير إقبال ، ص ٤٨ - ٥٦.

٣- كليات إقبال (فارسى) ، اسرار خودي ، ص١٥١،١٥٢.

٤- الحق : الله تعالى ، يبلغ المؤمن درجة يفني فيها رضا الحق في رضاه ، أي يكون رضاه رضاء الحق .

وكـن الـدرويـش فـي زيّ الأمير ذاكـراً لله يـقـظـان الـضـمير

واقصدن الحق في كل الفعال يسطعن فيك من الحق جلال (١)

فقد نرى في ضوء كلام إقبال أن الرجل المسلم متصف بصفات الوفاء والأيثار والإخلاص والحق، هو مثال الخير والتضحية والحسن الكامل، هو رحمة الله على الأرض لكل إنسان ضعيفاً كان أو قوياً وبهذه الأوصاف حاز الإنسان منصب خليفة الله على الأرض.

دعوة الأمة إلى حبّ النبي صلى الله عليه وسلم

وفي الرباعيات التالية يدعو إقبال الأمة الإسلامية إلى حبّ النبي صلى الله عليه وسلم وإتباع سنته.

بمنزل كوش ما تندمه نو درين نيلى فضا هر دم فزون شو

مقام خويش اگر خواهى درين دير بحق دل بندو راهِ مصطفى او (٢)

اقطع منازل سفرك كقمر جديد واكبر في هذا الفضاء الأزرق

لو أردت مقامك في هذا العالم فأوثق قلبك بالحق واسلك سبيل المصطفى (٣)

ثم يقول:

كشودم پرده را از روے تقدير مشو نوميد و راهِ مصطفى گير

اگر باور ندارى آنچه گفتم زدين بگريز ومرگ كافرے مير (٤)

كشفت الستر عن وجه المصائر بنهج المصطفى سر يا مسافر (٥)

ومما قلت إن أضمرتَ شكا فمت يا من شككت وأنت كافر (٦)

ويوضح إقبال أنه لما نسى المسلمون سنة رسول الله، ونبذوا أحكامه من حياتهم، تحولت الخلافة إلى الملوكية.

فيقول:

١- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: أسرار أثبات الذات، ص١٦٧.

٢- كليات إقبال(فارسى): ارمغان حجاز، ص ١٢٤.

٣- الترجمة العربية: سمير، عبدالحميد إبراهيم: هدية الحجاز، ص ٢٩٥.

٤- كليات إقبال (فارسى): ارمغان حجاز، ص ١٢٨.

٥- النهج: الطريق. وإن أريد بالكلام خلاف ظاهره، فالمسافر في الاصطلاح هو من سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات فعبر من الدنيا إلى الآخرة.

٦- الترجمة العربية: المصري، د.حسين مجيب. هدية الحجاز، ص ٤٦٠.

عرب خود را به نور مصطفى سوخت   چراغ مردهٔ مشرق بر افروخت
وليكن آن خلافت راه گم كرد   كه اول مومنان را شاهى آموخت (١)

بنور للنبي القلب أضرم   أنار بشرقه ما كان أظلم (٢)
ولكن الخلافة وسط تيه   فهذا المؤمنين الملك علم (٣)

ويشير إقبال هنا إلى النقطة الثمينة أن الرسول واسطة بين الله والمخلوق ومن عرف حقيقته عرف ربه ولا يمنعه شئي من الوصول إلى الله .

مسلمان راهمين عرفان وادراك   كه در خود فاش بيند رمز لولاك
خدا اندر قياس مانه گنجد   شناس آن را كه گويد ما عرفناك (٤)

وعرفان و ادراك لمسلم   وعينيه "بلولا" الذات يقعم (٥)
سما ربي سُموّا عن قياس   بقائل "ما عرفنا(٦) النفس أكرم (٧)

فيثبت إقبال أن حب النبي صلى الله عليه وسلم هو السبيل الواحد للفوز والمجد في الدنيا وللعزة والكرامة في الآخرة .

الناحية الثالثة : وصف النبي

يذكر إقبال في هذه الناحية أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم ومحامده وشعر إقبال مملوء بالحكم والبصيرة وفلسفة الحياة، ليست في شعره تأثرات وقتية بل شعره يقص لنا التدنى أو العروج للأمة الإسلامية وجهود الحركات الإسلامية للنهضة. وهذه هي الصفات العظمية التي لاتوجد في الشعر الأردي فحسب بل في الشعر العربي والفارسي أيضاً .

يقلّ في شعر إقبال المدح المتداول ولكنه يركز على السيرة الذاتية للرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته وتذكير المسلمين بايفائهم لعهودهم بالرسول صلى الله عليه وسلم .

١- كليات إقبال (فارسى): ارمغان حجاز ، ص ١٧٢ .
٢- يقصد العربي .
٣- الترجمة العربية :المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ٤٧٢ .
٤- كلياتِ اقبال (فارسى) : ارمغان حجاز ، ص٢٧٦ .
٥- التلميح إلى (لولاك لما خلقت الأفلاك) هكذا في الأصل.
٦- الإشارة إلى (ما عرفناك حق معرفتك) هكذا في الأصل .
٧- الترجمة العربية : المصري، د.حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ٤٩٩ .

والأن نستعرض شخصية النبي صلّى الله عليه وسلّم وصفاته في شعر إقبال.

مقصود إيجاد الخلائق

ومقصود إيجاد الخلائق لدى إقبال هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل العالم الإنساني يدور حول هذا المحور وهو يوفق بين مدح الرسول وأحوال الأمة الإسلامية، هو يعرض عن الأساليب القديمة في مدح الرسول ويبتكر صوراً جديدة في الثناء على النبي والتي بدأها أساساً الشاعر الهندي الكبير الطاف حسين حالى (ت ١٩١٤م) إلا أن إقبال وصل في الحسن والإبداع لهذا الأسلوب مبلغ الذروة.

ونجد نماذج لهذا الأسلوب خاصة في المنظومات "ذوق وشوق" "بلال" "حضور رسالتماب ميں" "صديق" وغيرها. ويذكر إقبال أحيانا وقائع من التاريخ الإسلامي وإلى جانب آخر يذكر سير أصحابه خصوصا سيدنا بلال ويقارن بينه وبين الإسكندر والقيصر ويثبت أن حب الرسول أفضل من السلطة والمناصب.

فيقول:

مردم چشم زمین یعنی وہ کالی دنیا　　وہ تمہارے شہدا پالنے والی دنیا
گرمی مہر کی پروردہ ہلالی دنیا　　عشق والے جسے کہتے ہیں بلالی دنیا
تپش اندوز ہے اس نام سے پارے کی طرح　　غوطہ زن نور میں ہے آنکھ کے تارے کی طرح (١)

ورفع الذكر للمختار رفع　　لقدرك نحو غايات الكمال
فكن إنسان عين الكون وشهد　　مقامك عاليا فوق المعالي
بخنجر عزمك الوتّاب لاحت　　على الأعلام أنوار الهلال
نداؤك في العناصر مستجاب　　إذا دوّى بصوت من بلال
وعقلك في الخطوب أجل درع　　وعشقك خير سيف للنِّضال (٢)

ويرق قلب إقبال بذكر محمد صلى الله عليه وسلم. وروحه وعيونه مضطربة لرؤيته، فيطلب من رسول الله في شعره نظرة الالتفات ويطلبه روح العشق البلالي قائلا:

١- كليات إقبال (الأردية): بانگِ درا، ص ٣٦١.

٢- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان: صلصلة الجرس، ص١٠٩.

اے چو جاں اندر وجود عالمی — جان ما باشی وازما می رمی

نغمه از فیض تو درعود حیات — موت در راه تو محسود حیات

باز تسکین دل ناشاد شو — باز اندر سینه ها آباد شو

از مقدر شکوه ها داریم ما — نرخ تو بالاؤنا داریم ما

از تهید ستان رُخ زیبا میوش — عشق سلمانؓ وبلالؓ ارزان فروش

چشم بیخواب و دل بیتاب ده — باز مارا فطرتِ سیماب ده (١)

أنت في الكون كروح مستسر — روحنا أنت ، ومنّا تستتر

منك فيه نغمة عود الحياة — في هواك ، الموت محسود الحياة

عد فسكّن ذي القلوب البائسة — عد فعمّر ذي الصدور اليائسه

إننا نشكو تصاريف القضاء — أنت تغلي السّعر والأيدي خلاء

عن فقير لا تحجب ذا الجمال — عشق سلمان امتحنا وبلال

عين سهد لفؤاد قلق — امنحنّا واضطراب الزئبق (٢)

ولانجد في هذه المنظومات الأسلوب الصريح في المدح ولكن يستخرج ذلك من ذكر مآثر وبطولة الرسول وأصحابه وهذا الأسلوب أبلغ من غيره من الأساليب في التأثير الفعلي على الناس، ولا يسع كل شاعر أن يأتي بمثل هذا الأسلوب وفي بعض الأحيان نجده يمدح الرسول بالطريقة التي مدحه بها ربه في القرآن .

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٣)

ويبين إقبال هذه الحقيقة كذلك :

معنى ديدار آن آخر زمان — حكم او بر خويشتن كردن روان

در جهان زى چون رسول انس وجان — تا چو او باشى قبول انس وجان

باز خود را بيں ، هميں ديدار اوست — سنت او سرّے از اسرار اوست (٤)

١- كليات إقبال (فارسی) أسرار خودي ، ص١٧٨.

٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص١٧٧.

٣- سورة النساء ، الآية : ٨٠.

٤- كليات إقبال (فارسی) جاويد نامه ، ص ٢٤٢ .

هـذه الـرُّوية مـعـنـاهـا الـنبي　　يـحـكـم الـنـفـس ، بـذا وهو الرضي
أنـت فـي دنيـاك عـش مثل الرسول　　ومـن الـخـلـق ستـحـظى بـالـقبـول
ذاتك انـظـر إنّ هـذا رويتـه　　سـرّه الـسـر الـعـظـيـم سـنّتـه (١)

وتبـدأ فـلـسـفة إقبـال بـمسئلة أفضلية الإنسان وهو يرى في هذا الجسد المصنوع من التراب الممكنات المحيّرة وهو يستند في فهمه بطبعية هذا الإنسان بهذه الآية، قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِيْ أَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ﴾ (٢)

وهـو يـظهـر تـحيّـر الملائكة أمام طبعية هذا الإنسان وحتى عندما يصل إلى المصطفى ، يرى الـكـرسي والعرش في متناوله، وبعد التحليل من هذه الناحية نرى أن شعر إقبال كله تفسير للحياة التي بدت السموٰت خاضعة أمام علوها ، ويوضح إقبال هذه النقطة في بيان فلسفة الذات :

خودی کی جلوتوں میں مصطفائی　　خودی کی خلوتوں میں کبریائی
زمین و آسمان و کرسی و عرش　　خودی کی زد میں ہے ساری خدائی (٣)

إنهـا الـذات عـنـد مـا تتجـلى　　تـنـعـم الـنـاس فـي ظـلال النبـوة
إنهـا نـفسهـا حـجـاب إلـه　　عـنـد مـا تـأخـذ الـكـتـاب بقـوة
تـصـل الـذات قـاب قـوسيـن لـكن　　لاتـرى نـفسهـا بـعـرش وكـرسـي (٤)

ويقول نصير الدين :

"وهـذا الأسـلـوب الذي اختار إقبال في شعره غريب وغيرمألوف، عند ما نرى شعره من هذه الناحية يبدو أن شكله الفلسفي غارق في الثناء على الرسول ، حيث تدوم مكانة إقبال بشعره ونرى أن خصوصية أسلوبه في مدح الرسول تعطيه مرتبة المجتهد ، وهذا الأسلوب لايحظى به الشعر العربي أو الـفـارسي ومن ثم تكون مكانة إقبال بين الشعراء متفردة ، وهدفه من المدح هو إظهار عظمة الرسول ﷺ وإيـضـاح أهـمية وضـرورة بعثه للناس ومن هذه الناحية يكون شعر إقبال كله يستحق أن يوصف بـمدح الرسول وبالأسلوب الذي يجعل مقصد النبوة وعظمة الرسالة موضوع شعره. وشئي آخر يميز إقبـال عـن الشـعراء الآخرين هو أنه لا ينحصر فقط في بيان الجمال والمعجزات وفضيلة الرسول على

١- الترجمة العربية : المصري ، د.حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ٢٦٣ .
٢- سورة التين ، الآية : ٤ .
٣- كليات إقبال (الاردية) بال جبريل ، ص ٦٨٠.
٤- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ ، جناح جبريل ، ص ٤٦٦ .

الأنبياء الآخرين، بل هو يضع أمامه خصائص النبوة وأكثر من هذا أنه يحمل في قلبه مشاعر الحب الخالص لرسول الله وهذا هو الشئي الذي نفخ روح الحياة في شعره".(١)

خصائص نبوته صلّى الله عليه وسلّم

ولاريب أنه بعث الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وخاتم النبيين ومقامه بين الأنبياء كالقمر بين الكواكب وزين الله الأرض والسموات بوجود نبيه صلى الله عليه وسلم ويقول إقبال في هذا الصدد:

اے ظهور تو شباب زندگی — جلوه ات تعبير خواب زندگی
شش جهت روشن ز تاب روئے تو — ترك وتاجيك وعرب هندوے تو
در جهان شمع حيات افروختي — بندگان را خواجگی آموختی (٢)

نضّرت منك محيّاها الحياة — ورأت تعبير رؤياها الحياة
الجهات الست نور يسطع — منك، والأقوام جمعا تبع
أنت اشعلت مصابيح الحياه — وحبوت الناس من رقّ نجاه (٣)

ويقول إقبال أن الشر والضرر والظلمة تتحول إلى الخير و النفع والنور بسبب اخلاق النبي الكريم ويسلك كل إنسان بدون الامتياز في خيط واحد وينمحي آثار الظلم والاستعبداد وتغلق أبواب التفاخر بالحسب والنسب ويقوى الضعفاء. فذكر إقبال هذه الظواهر الحسنة في شعره:

مذهب او قاطع ملك ونسب — از قريش ومنكر از افضل عرب
در نگاه او يكے بالا وپست — باغلام خويش بريك خوان نشست
قدر احرار عرب نشناخته — با كلفتان حبش در ساخته
احمران با اسودان آميختند — آبروے دودمانے ريختند (٤)

في قريش بتّ أصلا للنسب — يا الذين منكر فضل العرب
الوضيع كالرفيع عنده — للخوان فهو يدعو عبده
ما درى فضلا لأحرار العرب — ودّ أحباش غلاظ قد خطب

١- نصير الدين سلطان أحمد: علامة إقبال شاعر الإسلام، ص٧٢.

٢- كليات إقبال (فارسي) : رموز بے خودى ، ص ٣٦٠.

٣- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموزنفي الذات ، ص ٢٤٤.

٤- كليات اقبال(فارسى) ، جاويد نامه : ص ١٠٢.

ولحمر القوم بالسود اجتماع   يا لعمري عزُّنا هذا مضاع (١)

وداس النبي الكريم العبودية تحت أقدامه وبدله من قوة العزة والأمن وحطم أصنام الباطل وحرّر الإنسان من عبودية الإنسان وكان هذا إحسانا عظيماً على الإنسان. ويقول إقبال:

بود انسان در جهان انسان پرست   ناکس ونابود مند وزيردست
سطوت کسری وقیصر رهزنش   بندها دردست و پا و گردنش
از غلامی فطرت او دون شده   نغمه ها اندر نئے او خون شده
تا امینے حق بحقداران سپرد   بندگان را مسند خاقان سپرد
شعله ها از مرده خاکستر کشاد   کوهکن را پایهٔ پرویز داد
اعتبار کار بندان رافزود   خواجگی از کار فرمایان ربود
قوت اوهر کهن پیکر شکست   نوع انسان را حصارِ تازه بست
تازه جان اندر تن آدم دمید   بنده را بازاز خداوندان خرید
زادن او مرگ دنیائے کهن   مرگِ آتش خانهٔ ودیر شمن (٢)
عبدالإنسان أصنام البشر   فهو في عدم وذلٍّ محتقر
قيصر العسف وكسرى قيّدا   منه جيدا ثم رجلا ويدا
أضعف الرق لديه الهمما   لحنه في عوده سال دما
وأمينا بعث المولى به   سلّم الحق إلى أصحابه
بث في برد الرماد الشعلا   فعلى برويزفرهاد علا (٣)
سلب السلطان حزب الآمرين   فسما بالحق قدر العاملين
عزمه هدّ قديمات الصُّور   وبنى حصناً جديدا للبشر
بث روحاً حيَّت الموتى بها   وافتدى الأعبد من أربابها
مولد مات به العصر القديم   وبيوت النار والوثن حطيم (٤)

١- الترجمةالعربية : المصري ،د.حسين مجيب: رسالة الخلود ، ص١٨٢.

٢- كليات إقبال (فارسى) : رموزبے خودى ، ص ٢٣٣- ٢٣٤.

٣- برويز ملك عظيم من ملوك الفرس ، وفرهاد مهندس فارسى له مع برويز وجاريته شيرين رائعة في الأدب الفارسي.

٤- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرارنفي الذات ، ص٢٠٤.

ويبين إقبال في صدد خصائص النبي صلّى الله عليه وسلّم نقطة مهمة للحياة وهو اكتساب الرزق في المجتمع بيده وبقوة العمل ،ويحب إقبال من الطيور الصقر الذي لايقبل لحم الميتة ويصيده بيده وبالسعى ، فهكذا إقبال لايحب الرجل الذي لا يكتسب رزقه بقوته وجهده ولا يرفع قدمه إلى ميدان العمل وهو الكسول وينظر إلى مائدة الأخرين ويبيع حميته بقطعة من الطعام .

وعند إقبال لا منزلة لمن لا يكد نفسه لكسب قوته في المجتمع الإسلامي لأن مؤسس المجتمع الإسلامي أي النبي الكريم نفسه يؤمن على كسب بيده كما راه عاملاً في غزوة الأحزاب وغيرها من الغزوات.وقبل البعثة كان يعمل أيضا بيده، ويحب العمل، واكتساب القليل بالجهد والسعي خير من اكتساب الكثير بغيرحمية ، ويبين إقبال هذه الفلسفة كذلك :

گرچه باشي تنگ روز وتنگ بخت — درره سيل بلا افگنده رخت
رزق خويش از نعمت ديگر مجو — موج آب چشمهٔ خاور مجو
تانباشي پيش پيغمبر خجل — روز فرداے كه باشد جان گسل
ماه را روزى رسد از خوان مهر — داغ بر دل دار داز احسان مهر
همت از حق خواه وباگردون ستيز — آبروے ملت بيضا مريز
آنكه خاشاك بتان از كعبه رُفت — مرد كاسب راحبيب الله گفت
وائے بر منت پذير خوان غير — گردنش خم گشتهٔ احسان غير
خويش را از برق لطف غير سوخت — باپشيزے مايهٔ غيرت فروخت
اے خنك آں تشنه كاندر آفتاب — مى نخواهد از خضر يك جام آب
قلزم زنبيل سيل آتش است — گر زدست خود رسد شبنم خوش است
چوں حباب از غيرت مردانه باش — هم به بحر اندر رنگوں پيمانه باش (١)
إن يكن في الرزق والجدِّ عناء — وطغي حولك سيل من بلاء
لا ترم في الأرض رزقا بالبكاء — لا ترجّ الماء من عين ذكاء (٢)
احذر الخزي أمام المصطفى — يوم يخزى كل ساع ما وفى

١- كليات إقبال (فارسى) : إسرار خودى : ص٧٢.

٢- لا تسأل الماء ولو من عين الشمس.

مـن سـمـاط الشـمـس يقتات القمر　　فـعـليـه وسـم نـعـمـاهـا ظهـر (١)
جـاهـد الأيـام والله استعـن　　مـاء وجـه الـملّة البيضـاء صـن
علّم الـنـاس الـصـدوق الـصـائب　　أن حبيـب الله سبـاع كـاسـب (٢)
ويـح مـن يـحـمـل ذلّ الـنـعـمـة　　خـافـض الـرأس لثـقـل الـمـنة
أرهـق الـنـفـس بـوقـر الـذلة　　بـنـقـيـر بـاع تـاج الـعـزة
مـرحبـا بـالـظـامـئ الضحيـان لا　　يسـأل الـخـضـر شرا بـا فـي الـفـلا (٣)
زاد فـي الـعـسـر مـضـاه حـدُّه　　هـو يـقـظـان وغـاف جـدّه (٤)
كـن حبـابـا(٥) مـن عـطـاء يـنـفـر　　فـارغ الـكـأس ببـحـر يـزخـر (٦)

ثـم يمثّل إقبال شجاعة النبي بكل افتخار ، وهوالذي قام في بحر العداوة والبغض والعناد بقوة الإيـمـان واليـقيـن وتـحـمـل كل الإيذاء من السباب والفحش والمقاطعة من الكفار بطلق الوجه ولم تهـافت قدمه من صراط المستقيم .وما تمنى لهم الشر حتى عندما تمكن له فتح مكة فما أخذهم على شرهـم وايـذاء هـم التي كـانـوا يـعـامـلون بها النبي الكريم وأصحابه الكرام . وعلّم أمته درس الصبر والاستقامة في أحوال غير الملائمة بقوة الإيمان . ويقول إقبال في هذا الصدد :

اے كـه در زنـدان غـم بـاشـی اسير　　از نبـي تـعـليـم لا تـحـزن بـگيـر (٧)
ايـن سبق صـديـق را صـديـق كـرد　　سر خـوش از پيـمـانـهٔ تـحقيق كرد
از رضـا مسـلـم مثال كـوكب است　　در ره هستـی تبسـم بـرلـب است
گـر خـدا داری زغـم آزاد شـو　　از خيـال بيـش وكـم آزاد شـو

١ـ السّمة التي على وجه القمر سمة اجتدائه نور الشمس .

٢ـ إشارة إلى الأثر : الكاسب حبيب الله .

٣ـ لايطلب من الخضر شربة ماء ، وعند الخضر ماء الحياة كما في القصص .

٤ـ همته يقظانة وإن كان جده نائما.

٥ـ يتخيل الشعراء حباب الماء كأسا فارغة وهي في البحر ، فضرب الشاعر الحباب مثلاً في العفة والإباء.

٦ـ الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: أسرار أثبات الذات . ص١٤٢ .

٧ـ إشـاره إلـى مـاحـكـى الـقـرآن الـكـريـم مـن قـول الرسول لأبي بكر في الغار : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.(سورة التوبة:٤٠)

قـوت ايـمـان حيـات افـزايـدت — ورد لا خـوف عـليهـم بـايـدت (١)

چـون كـليمـے سوئے فـرعونے رود — قـلـب او ازلا تـخف مـحكـم شود (٢)

بيـم غيـرالله عـمـل را دشمن است — كـاروان زنـدگـى را رهـزن اسـت

عـزم مـحكـم ممكنات انديش ازو — هـمـت عـالـى تـامـل كيـش ازو

دشـمـنـت ترسـان اگـر بينـد ترا — از خيـابـانـت چوگـل چينـد ترا

بيـم چـون بـنـداسـت اندرپـاے مـا — ورنـه صـد سيـل است در دريـائے مـا

لا بــه ومـكــارى وكيـن ودروغ — ايـن هـمـه از خـوف مى گيرد فروغ

هـر كـه رمـزمـصطفى فهميده است — شـرك را در خـوف مـضمر ديده است (٣)

يـاسـجيـن الـغم أبـصر واسـمع — مـن رسـول الله "لاتـحـزن" وعي

ذلك الـنُّـصـح سـرى في قـلبـه — فـغـدا الـصّـديـق صـديـقـا بـه

نـمـا الـمسـلـم مثـل الـكـواكـب — بـاسـم فـي سـعـيـه والـدّأب

حـرِّر الـنـفـس مـن الـغـم ودع — إن عـرفـت الله أنـحـلال الـطـمـع

قـوة الإيـمـان تحيى فاعلمن — ورد"لاخـوف عـليهـم" فـاقـرآن

قـلبـه مـن "لاتـخف " قـلـب سليم — حيـن يـمـضـي نـحـو فـرعـون كليم

خـوف غيـرالله قتـل الـعـمـل — وهـو لـلأحيـاء قـطـع السبـل

وبـه الـعـزم يـخـاف الـغيـرا — وتـرى الـمـقـدام مـنـه حـذرا

إن تـجـلّـى لـعـدو خـوفـكـمـا — هـان كـالـورد ، عـليـه قـطـفـكـا

غـلّبـا الـخـوف ، وكـم في بحـرنـا — مـن عبـاب مـائـج فـي دهـرنـا

يـزهـر الـخـبّ بـه والـمـلـق — ونـفـاق الـقـلـب مـنـه يـورق

كـل مـن يـفـقـد سـرّ الـمـصـطفـى — يـجـد الإشـراك فـي الـخـوف اختفى (٤)

١- إشارة إلى الآية : ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا يَحْزَنُونَ﴾ .(البقرة ٣٨)

٢- إشـارة إلى قصة موسى وفرعون وقول الخالق عن موسى : ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾(سورة طه : ٦٨)

٣- كليات إقبال (فارسي) رموزے خودي (ص٢١٦، ٢١٧)

٤- الترجمة العربية : عزام، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار نفي الذات ، ص ١٩٧- ١٩٩.

وبالإضافة إلى الصلوة والتسليم من متبعيه خالق الكون والحياة وملائكته له يصلون عليه كما جاء في القرآن :

﴿إِنَّ اللّٰهَ وَالْمَلاٰئِكَةُ يُصَلُّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَآيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا ، صَلُّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوْا تَسْلِيْمَا﴾.(١)

وينبغي لنا أن نتبع أسوته الحسنة في حياتنا بكل الخلوص . فلو خلت قلوبنا من هذا الخلوص وفيها أثـرات الحب لغيره، فصلاتنا وسجودنا غير مفيدة وغير مثمرة، ولا يمكن لنا أن نقف أمام النبي يوم القيامة ، فيجب علينا أن نطهر قلوبنا وأذهاننا عن كل حبّ من سواه .

ويؤكد إقبال على اختيار الخلوص ويقول :

تا غلامم در غلامى زاده ام   ز آستان كعبه دور افتاده ام
چون بنام مصطفى خوانم درود   از خجالت آب ميگردد وجود
عشق مى گويد كه اے محكوم غير   سينۀ تو از بتان مانند دير
تا ندارى از محمد رنگ وبو   از درود خود ميالانام او (٢)
قد بلوت الرق منذ الابتداء   لم يكن مهدي في أرض الحرم
من رسول الله يعروني الحياء   حين يدعو باسمه الغالي فمي
لك قلب ومع القلب ضمير   أم غدا صدرك للأصنام ديرا
أنت للغاصب محكوم أسير   تحت حكم الغيرلن تصنع خيرا
تدعى الحبّ لخير الأنبياء   أكذب الأقوال مالم يبدُ فعلا
وإذ لم يتبع القول اقتداء   لم يكن للحُبّ أو للقرب أهلاً (٣)

عشق النبي

ويستخدم إقبال كلمة العشق كثيراً في شعره ، ننظر ماذا يقصد إقبال بكلمة العشق .

يقول الدكتور نجيب الكيلاني :

"إن العشق في مفهومه المطلق هو الشئ الذي يقوي الذات وينميها، ويدفعها إلى الكمال

١- سورة الأحزاب : الآية : ٥٦.

٢- كليات إقبال (فارسى) ، مثنوي : پس چه بايد كرد اے اقوام شرق : ص ٧٠.

٣- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان : والأن ......ماذانصنع ؟ يا أمم الشرق ، ص٣٧٦.

الخالد، والعشق معناه جذبك لشئي وطلبك إياه ، لتجعله جزءاً من نفسك ، وأسمى صور هذا "العشق" وأعلاها" . (١)

"ولقد دلّ على أن هذا العشق بمفهومه الحق يدعنا نؤمن أيضا بمذهبه في (الفردية) لأنه يعتقد أن العشق يجعل الطالب فريدا والمطلوب فريد أيضا، فكيف ذلك ؟ إنك إذا طلبت أو عشقت شيئاً وتمنيته فإن غيره لا يرضيك ، لذلك فإن ما تطلبه وتقصده فهو فريد في ذاته ، إذ أن غيره لن يقوم مقامه في اشباعك وارضائك".(٢)

والعشق هو الذي يثير الرغبة في الكائنات، ويوقظ فيها جمرة الحياة ، فتحس بنعمتها وجمالها وروعتها ، وغاية العشق تقوية الذات ورقيها ، واليسير بها قدما نحو الحرية والكمال الخالد.

ويقول إقبال:

عشق کی گرمی سے ہے معرکۂ کائنات — علم مقام صفات عشق تماشائے ذات
عشق سکون وثبات عشق حیات وممات — علم ہے پیدا سوال ، عشق ہے پنہاں جواب
عشق کے ہیں معجزات سلطنت وفقر ودین — عشق کے ادنی غلام صاحب تاج ونگین
عشق مکان ومکین ، عشق زمان وزمین — عشق سراپا یقین ، اور یقین فتح باب (٣)

من لهيب العشق ثارت — ثورة في الكائنات
وشهود الذات للعشـ — ق ، وللعلم الصفات
ومن العشق ثبات — وحياة وممات
علمنا سئول جلي — عشقنا خافي الجواب
معجزات العشق ملك — زانه فقر ودين
وعبيد العشق أدناهم — له عرش مكين
ومن العشق زمان — ومكان ومكين (٤)
إنما العشق يقين — وبه يفتح باب (٥)

١- نجيب الكيلاني ، الدكتور : إقبال الشاعر الثائر ، ص ٦٢.
٢- نفس المرجع .
٣- كليات اقبال(الاردية) ، ضرب كليم ، ص ١٥٨.
٤- هو من يحل في المكان ، وهو لا يستعمل في اللغة العربية كثيرا .
٥- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : ضرب كليم ، ص ٢٧.
- وانظر : نجيب الكيلاني ، الدكتور : إقبال الشاعر الثائر ، ص ٦٥- ٦٦.

فـالـعشـق لازم لـلـفوز والفلاح في الحياة ، فكان إقبال عاشقا للرسول ، حقا لم يكتب مدائح تـقـلـيـدية فـي وصف الـنبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن في مؤلفاته المتأخرة قصيدة من وحى قصيدة البـردة لـلبوصيري ، إذألم به مرض ، وكان إقبال في زيارة لإمارة بهوبال في الهند ، في الليلة الثالثة من شهـر أبريل سنة ١٩٣٦م ، رأي السيد أحمد خان (١) في منامه . وشكى له أحوال المسلمين ، فأشار عـليـه بـأن يـرفـع شكواه إلى الله ، عزوجل ، متشفعا في قبول دعوته لأمته بمديح المصطفى صلى الله عـليـه وسـلـم، ولـمـا قام إقبال من النوم وجد نفسه تفيض بمشاعر المحبة للرسول الكريم فجاد طبعه بـقـصيدة في المديح النبوي تشبّه فيها بالشاعر العربي ، شرف الدين البوصيري (٢) ويطلب فيها شفاء لأمته الإسلامية ".(٣)

فالرسول صلى الله عليه وسلم عنده اهم آية وتحلّ لروح الإسلام ، ويقول إقبال :

"يـمـكـن أن تـنـكر الله لكنك لا تستطيع أن تنكر الرسول " (٤)فالرسول هو الذي قدم الإسلام وفسـر مـا تلقاه من وحي ، ويذهب إقبال مراراً وتكراراً إلى أن الرسول كان الإنسان المثالي ، أما شخصية الرسول فهي محورية في فكر إقبال في مجموعه ، وكتب في عام ١٩١٢م في جواب الشكوى.

"أضئى العالم الذي طال اظلامه باسم محمد المنير " (٥)

وهو أكثر دواوينه اهتماما بالسياسة وأكثرها توجها نحو القرآن حيث يقول:

"حب الرسول يجري كالدم في عروق الأمة " (٦)

وفـي كتـاب "أسـرار خودي " ذكر الشاعر مقومات حياة الأمة الإسلامية والدعائم التي تقوم عـليهـا، فـذكـر مـنهـا اتصالها الدائم بنبيها صلى الله عليه وسلم ، ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اندفع الشاعر بمدحه . فقال أبياتا لا تزال تعد من غرر المدائح النبوية والأبيات الوجدانية .

١- السيد أحمد خان (١٨١٧-١٨٩٨م) أحد دعـاة الإصلاح الإسلامي في الهند ، ومؤسس جامعة على كره.

٢- البوصيري ، هو محمد بن سعيد بن حماد الدلاسي (٦٠٨ هـ- ٦٩٥هـ) .

٣- كليات إقبال (فارسي) درحضور رسالت مآب،ص٩٢.

٤- كليات إقبال(فارسي) اسرار خودي، ص١٣٠.

مى توانى منكر يزدان شدن　　　منكر از شان نبى نتوان شدن

٥- أنـمـا رى شـمـل : أسـرار الـعشـق المبدع ، في كتابات محمد إقبال المحاضرة الخامسة في سلسلة محاضرات، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .لندن : متحف فيكتوريا وألبرت الملكي. ١١نومبر ١٩٩٦م. ص ١٩.

٦- نفس المرجع.

ويقول :

"إن قلب المسلم عامر بحب المصطفى ﷺ ، وهو أصل شرفنا ، ومصدر فخرنا في هذا العالم، أن هذا السيد الذي داست أمته تاج كسرىٰ ، كان يرقد على الحصير ، أن هذا السيد الذي نام عبيده على أسرة الملوك كان يبيت ليالي لا يكتحل بنوم ، لقد لبث في غار حراء ليالي ذوات العدد، فكان أن وجدت أمة ، ووجد دستور ،ووجدت دولة ، إذا كان في الصلاة فعيناه تهملان دمعا ، وإذا كان في الحرب فيسفه يقطر دماً ، لقد فتح باب الدنيا بمفتاح الدين ، لم تلد مثله أم ولم تنجب مثله الإنسانية ، الذي فتح على الأعداء باب الرحمة ، وقال لا تثريب عليكم اليوم " . (١)

وحب إقبال للنبي صلى الله عليه وسلم يزيد ويقوى مع الأيام ، حتى كان في آخر عمره إذا جرى ذكر النبي في مجلسه أو ذكرت المدينة ، فاضت عينه ، ولم يملك دمعه وقد ألهمه هذا الحب العميق ، معان شعرية عجيبة ، منها قوله ، وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى :

"أنت غني عن العالمين وأنا عبدك الفقير ، فأقبل معذرتي يوم الحشر ، وإن كان لا بد من حسابي ، فأرجوك يارب أن تحاسبني بنجوة من المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فإني استحيي أن انتسب إليه وأكون في أمته ، واقترف هذه الذنوب والمعاصي " .(٢)

وكان محمد إقبال كثير الاعتداد بهذا الإيمان ، شديد الاعتماد عليه ، يعتقد أنه هو قوته وميزته ، وذخره وثروته ، وأن أعظم مقدار من العلم والعقل ،و أكبر كمية من المعلومات والمحفوظات لا تساوي هذا الإيمان البسيط ، يقول في بيت :

"إن الفقير المتمرد على المجتمع ، يشير إلى نفسه لا يملك إلا كلمتين صغيرتين ، قد تغلغلتا
في أحشائه وملكنا عليه فكره وعقيدته وهما : لا اله إلا الله ، محمد رسول الله "

وهنالك علماء وفقهاء ، الواحد منهم يملك ثروة ضخمة من كلمات اللغة الحجازية، ولكنه قارون لا ينتفع بكنوزه ".(٣)

وفي التصوف كان "جلال الدين الرومي "شيخ إقبال (٤) فكان شيخه العظيم ، علمه أسرار

١- الندوي ، أبو الحسن علي الحسني : روائع إقبال ، ص ٣٦ .وانظر: المحفوظ، حازم محمد أحمد: اقبال شاعر الإسلام. القاهرة : دار البيان للطباعة والنشر ، ١٩٩٩م.

٢- الندوي ، أبو الحسن علي الحسني : روائع إقبال ، ص ٣٧.

٣- الغوري ، عبدالماجد : ديوان محمد إقبال، شكوى ومناجاة.الطبعة الأولى ، دمشق ، بيروت: دار ابن كثير . ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. ص٣٩٦-٣٩٧.

٤- هو أبو الحسن علي بن العباس ابن جريح ، المعروف باسم ابن الرومي ، الشاعر في العهد العباسي ، ولد ٢٢١هـ وتوفى ٢٨٣هـ في بغداد .

الـذات ، ولـم يـقتـصـر عـليهـا بل علمه اسرار العشق ، "العشق أن تصبح حياتك سير اعلى الجمر" هو القـــوة التي تدفع الناس إلى دين الحق ، يعرف إقبال جيدا أن ذلك العشق المشتعل يتجلى في دعاء الإنسـان ، لـكن الصلاة والدعاء لا يقومان من أجل الفرد ، فالفرد قد يدعوالله كما يشاء ، وليس له أن يشـكـو إذا لـم يستجب الله لدعائه ، فالمهم أن الإنسان في اتصاله بما هو إلهي في مناجاته ، في تقربه مـن الإله الحي لا بد أن يتغير ، فالصلاة تحقق الفائدة عند ما يمنح الله الإنسان الفرصة ليعمل مع الله ، ويتقبل إرادة الله ، فتصبح هي إرادته ، وعندئذ فقط يمكنه أن يغير العالم بدعائه وصلواته.

ويشبه إقبال العشق بالنبي المصطفى ، والعقل الجاف هو أبولهب العقل الماكر من الشيطان ، أمـا الـحب ، العشق فمن آدم ، وله بيت أجمل يحسن قراء ة من المسلمين فهمه "العلم ابن الكتاب أما الـعشق فهـو أم الـكتاب " وتعني عبارة " العشق أم الكتاب " أن العشق أساس كل شئ هو الدافع وراء كل وحي أو كشف .يقول :

"العقل هو السؤال المكشوف والعشق هو الجواب المخفي " (١)

ولـم يكف إقبال عن وصف هذا العشق في صور بديعة وباذخة ، وفي الأبيات التالية خير تعبير عن سر هذا العشق الحري :

بے خطر کود پڑا آتشِ نمرود میں عشق　　عقل ہے محوِ تماشائے لب بام ابھی (٢)

"العشق يقفز في نارا النمرود بلا تردد ، والعقل مازال ينظر من أعلى السقف" .

فـالـعقل يتأني ، ولا يجزؤ على افناء نفسه في لهب الحب ، لكن العشق لا يبالي ، لأنه يعلم أن الطريق الصحيح هو الفناء في ناراله الحق تعالى:

وفـي أبيـات أخـرى يستـخـدم مـجـازاً شهيرا من الشعر الفارسي الكلاسيكي ، صورة الملك الفاتح محمود الغزنوي ، الذي فتح معبد الأوثان في سومنات بالهند ، ويقول:

جمله عالم ساجد ومسجود عشق　　سومنات عقل را محمود عشق(٣)

سجد العالم للعشق الجليل　　هو محمود(٤)لأصنام العقول(٥)

١- أنماري شمل : أسرار العشق المبدع ، ص٣٣. وانظر: الندوي ،صلاح الدين محمد شمس الدين ، الاتجاه الإسلامية في شعرمحمد إقبال، قدم له ، المصري، د. حسين مجيب . الطبعة الأولى.مصر: الدارالسلفية ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٢- كليات إقبال: بانكِ درا ، ص٤٩٥.

٣- كليات إقبال (فارسي) اسرار خودي، ص١٦٤ .وانظر: أنماري شمل : أسرار العشق المبدع ، ص ٣٥.

٤- السلطان محمود الغزنوي ، فاتح الهند الملقب مكسر الأصنام ، يعني : أن العشق كمحمود ، والعقول كالأصنام.

٥- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص١٧٢.

عند إقبال بناء العشق المحمدي على عناصر خمسة وهي :

١- الإخلاص ، ٢- الثقة ، ٣- العمل، ٤- الفقر ، ٥- حضور القلب

الأن نلقي نظرة على هذه العناصر .

١ - الإخلاص

هو الجزء الأول لتصور العشق و يبين إقبال صفة الإخلاص ويقول :

صدق خلیل بھی ہے عشق صبر حسین بھی ہے عشق
معرکہ ظلم وجور میں بدر وحنین بھی ہے عشق (١)

بـالحـب قـدّم ابـراهيـم واحـده وابن الحسين على كف الحسين رُمي
فسل حنينا و بدراً عن حروبهما كم ضرّج الحب فيهما من فؤاد كمي (٢)

ولـم يبدا العشق بدون الإخلاص ، ويتقاضى الخلوص أن نبذل كل متاع حياتنا على رضا محبوبنا صلى الله عليه وسلّم .

٢ - الثقة

وعند إقبال العنصر الثاني لتصور العشق هو :"الثقة" وقد نال سيدنا إبراهيم عليه السلام ثـروة الثـقـة واليقين بقوة العشق وفاز مقام العلو بعد النجاح في مجال العشق .

ويقارن إقبال بين العشق والعقل في مقام واحد.ويفضل العشق على العقل وبناء العشق على اليقين والثقة .

وعند إقبال اليقين والثقة كيفية النفس والذهن ، وبها يحول الأمر المحال إلى أمر ممكن وتنحل كل المسائل ، وأطلق إقبال على هذا اليقين اسم التقدير الإلهي . فيقول :

تیرے دریا میں طوفاں کیوں نہیں ہے خودی تیری مسلماں کیوں نہیں ہے
عبث ہے شکوہ تقدیر یزداں تو خود تقدیر یزداں کیوں نہیں ہے (٣)

١- كليات اقبال (الاردية) بال جبريل : ص ٧٢٥.

٢- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ : جناح جبريل ، ص ٥٠٠.

- وانظر : روزنامه نوائے وقت ، ٩ دسمبر ١٩٩٦م ، تحت عنوان : طاهر القادري ، الدكتور : إقبال اور تصور عشق (إقبال و تصور عشق)

٣- كليات اقبال(الاردية)، ارمغان حجاز ، ص ١١١٤.

لـمـاذا لا يـحتـاج الـطوفـان بحرك   لاذا لا تــكـــون ذاتك مســلـــمة

عبـث تـلك الشكـوى من تقدير الله   لــمـــاذا لا تـكـون أنــت قـدر الله (١)

٣ـ العمل

ولـدى إقبـال بـنـاء الـعـلم على ريب وبناء العمل على يقين ، ويبين العلم العهد الماضي، بينما العشق اسم التخليق لعهد الغد ، محل العلم "العقل" ومحل العمل "العشق" .

ويراعى العقل النفع والضر ، بينما العشق يستغنى عنه ، يقول إقبال :

عشق دم جبریل ، عشق دل مصطفیٰ   عشق خدا کا رسول ، عشق خدا کا کلام (٢)

ما الحب ؟ ماهو ؟ إنه وثبات أوقات الصّفا   في نفحة الوحي الأمين على فؤاد المصطفى (٣)

٤ـ الفقر

ولدى إقبال العشق هو الفقر ، وينقد إقبال منكري الفقر الذين يفهمون العلم وسيلة لحصول المعارف فقط.

فيقول:

علم کا مقصود ہے پاکی عقل وخرد   فقر کا مقصود ہے عفت قلب ونگاہ

علم فقیہ وحکیم ، فقر مسیح وکلیم   علم ہے جویائے راہ فقر ہے دانائے راہ (٤)

هــي تـرمـي لـصـقـل عـقـل وفـكـر   وهـــو يـرمـــي لـصـوغ عيـن وقـلـب

هـــو درب بـــذاتـــــه مستــقـــل   وهـــي بـــحــث عـلـى مـجـرد درب

هـو عـنـد الـصّعـاب عيسى وموسى   وهـــي لـــلنـــاس فيـلسـوف وقــاض

هـو لـلسـرّو الـــبـصـــيـرة روح   وهـي ليســت سـوى أقـاويل مـاض (٥)

ثم يقول:

فـقر ذوق وشوق وتسليم رضا است   مـا امينـيم ، ايـن متـاع مصطفى است (٦)

١ـ الترجمة العربية : سمير عبدالحميد إبراهيم، الدكتور :هدية الحجاز،ص ٥٣٣.

٢ـ كليات إقبال(الاردية) بال جبريل ، ص ٦٩٩.

٣ـ الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ ، جناح جبريل ، ص ٤٧٨.

٤ـ كليات إقبال (الاردية) بال جبريل ، ص ٦٦٩.

٥ـ الترجمة العربية : زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبريل ، ص٤٦٤.

٦ـ كليات اقبال (فارسى) : پس چه بايد كردای اقوام شرق ، ص ٣٦.

ـ وانظر روزنامه نوائے وقت :الجريدة اليومية ، نداء الوقت ، ٩ دسمبر ١٩٩٦م .

حـــالــــه ذوق و شــوق ورضـــا ثــم تسـليـم لـمـــا الله قـضــى
يـــالــــه كـنـزا بـه الـعيـش صـفـا فـهـو ميـراث الـنبـي الـمـصـطفى (١)

ثم يقول:

فقر کے ہیں معجزات تاج وسریر وسپاہ فقر ہے میروں کا میر، فقر ہے شاہوں کا شاہ (٢)
ليـس يـقـوى عـلـى الـقـلندر دهـر قـلبــه تـحـت عـرشـه مستقره
سـره ليـــس فــي الـعـلـوم ولـكـن عــلــمـه بـالـتـجـرد الـحـق سـره (٣)

فـالـفـقـر عند إقبال ليس باسم ترك الملابس ، وترك الزوجة واختيار الرهبانية ، بل هذا سكينة القلوب وسبب الافتخار لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

٥ـ حضور القلب

ويبين إقبال هذه الصفة ويقول :

عقل گو آستان سے دور نہیں اس کی تقدیر میں حضور نہیں
دل بینا بھی کر خدا سے طلب آنکھ کا نور دل کا نور نہیں
بے حضوری ہے تیری موت کا راز زندہ ہو تو بے حضور نہیں (٤)
رُغـم أن الـعـقـل لا يمنعه قرب وبعد إنــه والـحـق، مـا أهـل لـلـحضرة بعد
اسـال الله تعالى والتمس عينا لقلبك إنهـا أثـمـن مـا تكسبه من فضل ربّك
أنـا لا أنـكـر أن الـعـلـم للنفـس حبور هـو فـردوس ولـكـن فارغ ما فيه حور (٥)

عـند إقبال يتألف العشق بهذه خمسة عناصر . فيعطى البشر حياة لا تعرف الموت ، بل يكون الموت بنفسه له رسالة الحياة الأبدية .

فيقول إقبال :

"أن شـخـصية مـحمد صلى الله عليه وسلم كالبحر بدون الشواطئ وكل موجودات مملوءة بامواجها ، فيجب عليك أن تروى نفسك من هذا البحر لكي تلقى حياة الجديد".(٦)

١ـ الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان، الشيخ: والآن...... ماذا نضع ؟ يا أمم الشرق ، ص٣٥٨.
٢ـ كليات إقبال (الأردية) ، بال جبريل ، ص ٦٦٩.
٣ـ الترجمه العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ ، جناح جبريل ، ص ٤٦٤.
٤ـ كليات إقبال(الاردية) ، بال جبريل ، ص ٦٠٧.
٥ـ الترجمة العربية : زهير ظاظا، الأستاذ : جناح جبريل ، ص ٤٤٠.
٦ـ نوائے وقت (نداء الوقت) ١٤ يناير ١٩٩٥م .تحت عنوان "القادري ، محمد طاهر ، الدكتور : إقبال اور پیغام عشق رسول (إقبال ورسالة العشق محمد صلى الله عليه وسلم)

وعـنـد إقبـال عشـق النبي سر الدين و وسيلة الدنيا وبدونه لا مقام للانسان لافي الدنيا ولا في الدين ، فيقول إقبال :

"أيـنـمـا تـجـد في الدنيا اللون و الرائحة والحسن والجدة ، فتنور بعشق المصطفى وكن أسير حبه" .(١)

فيؤكد إقبال على طاعة الله وطاعة الرسول . فكلاهما في منزلة واحدة . كما قال الله تعالى:

﴿مَنْ يُطِعُ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ .(٢)

ويرى إقبال أن طاعة الله والرسول الشرط الأول لتقوية الذات ، كما قال الله تعالى في القرآن الحكيم : ﴿اطِيْعُوا اللَّهَ وَالرَّسُوْلَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ﴾ (٣)

أرشـدنـا إقبـال إلـى محبة الرسول وكتب كثيرا عن عشق الرسول وتعلم إقبال عشق النبي من القرآن الحكيم .

قال الله تعالى :

﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوْنِىْ يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٤)

وحـب إقبال لرسول الله كان حبا صادقا ولهذا يحب من أحب الرسول بقلبه ويذكرهم بكل سرور وافتخار . وفيها قصتان .

الأولـى : قصة غازي علم الدين ، هو الذي نال عقوبة الموت من المحكمة على قتل راجپال ، وهو الذي نشر الكتاب بوقاحة في عظمة الرسول صلّى الله عليه وسلّم . فكانت تاثرات إقبال واضحة في هذه القصة فقال هذه الكلمة مرارا :

كـنا مشغولين في أقوال فقط وولد النجار تفوق علينا ونال منزلة الشهادة في حب النبي صلى الله عليه وسلم ". (٥)

ثـم يـذكـر قـصة غـازي عبدالقيوم ، الذي كان من كراتشي ، وقتل "نتهو رام" من حيدر آباد سـنـدهـ وطبع كتـاب بـاسـم "هسـٹـری آف إسلام" (تـاريخ الإسلام) واستخدم فيهـا كلمـات

١- الفاروقي ، محمد طاهر ، الدكتور : اقبال اور محبت رسول (الأردوية) .الطبعة الثانية ، لاهور ، باكستان: طيب إقبال برنترز ١٩٩٥م. ص ٦ ، ١٢-١٣.

٢- سورة النساء ، الآية : ٨٠.

٣- سورة آل عمران، الآية: ١٣٢ . وانظر :سورة النور، الآية: ٥٦.

٤- سورة آل عمران، الآية: ٣١.

٥- وحيد الدين ، السيد : روزگار فقير (الأردية) ،٢/ ٣٠.

غير الملائمة لشخصية النبي صلى الله عليه وسلم وشتم فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فقتله عبدالقيوم بضروب السكينة الحادة ، فنال عقوبة الموت ، فجاء وفد من المسلمين عند إقبال لكي يستخدم اختياراته بتخفيف عقوبة عبدالقيوم ، فسكت إقبال لدقيقة ثم قال :

"ماذا يقول عبدالقيوم ، أهو يريد تخفيفاً في عقوبته ؟ فقال الوفد ، لا، بل هو يقول ، "أنا مطمئن بما فعلت ، وبهذا العمل تمنيت الشهادة واشتريت الجنة" ، عند ما سمع إقبال هذا ،تغير وجهه فقال: إذاً يقول ، يشتري الشهادة والجنة ، ولماذا أنا أكون حائلا بينه وبين الشهادة، هو سعيد، وهذه رحمة الله ويختص الله بها من يشاء ، ثم سالت الدموع من عيونه ".(١)

وتأثر إقبال بهاتين القصتين ويبين تاثراته في ثلاثة أبيات ، التي طبعت في "ضرب كليم" بعنوان "لاهور و كراتشي" .

ويقول :

نظر اللہ پہ رکھتا ہے مسلمان غیور — موت کیا شے ہے فقط عالم معنیٰ کا سفر
ان شہیدوں کی دیت اہل کلیسا سے نہ مانگ — قدر و قیمت میں ہے خون جن کا حرم سے بڑھ کر
آہ ! اے مرد مسلمان تجھے کیا یاد نہیں — حرف لاتدع مع اللہ الھا آخر (٢)

قد تولى الله عبد — مسلم ما آمرا
هو بالموت إلى عا — لم روح سافرا
كيف تفدون شهيدا — لخلود آثرا
دمه من حرم أعلى — وأغلى جوهرا
آه للمسلم غفلان — نيسا ما درى
سرّ (لا تدع مع الله — إلهـا آخر) (٣)

يقول الدكتور رفيع الدين الهاشمي :

١ـ وحيد الدين ، السيد: روزگار فقير ، ٢/٣١-٣٢.

٢ـ كليات اقبال (الاردية) ، ضرب كليم ، ص ٩٠٧.

ـ وانظر: وحيد الدين ، السيد :روز گار فقير ، ٢/٣٨- ٣٩.

ـ سورة الشعراء ، الآية : ٢١٣.

٣ـ الترجمة العربية ، عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : ضرب كليم ، ص ٥٠.

"عـنـد إقبال في المجتمع الإسلامي اسم محمد صلّى الله عليه وسلّم اسم أعظم، الذي يفتح قـفـل الـقـلوب، ويتغير الفشل إلى الفلاح والنجاة والظلمة في النور والحياة الصعبة إلى الحياة السهلة والسكينة". (١)

ويقول إقبال:

سيـد كـل صـاحـب أم الـكتـاب   يـرد گيهـا بـر ضـميـرش بـے حجاب (٢)
(سيـد الـكونين وصاحب أم الكتاب   وكل حجاب مكشوف على ضميره)

أي أنه يشاهد بالبصيرة كل ما في السموت والأرض. ثم يقول في مدح النبي:

هر كه عشق مصطفى سامان اوست   بـحـرو بـر در گـوشـه دامـان اوست (٣)
(كل من يكون متاعه عشق المصطفى   يـكـون البـر والبـحر في طرف ذيله)

ويتقين إقبال أن حياة الملة ومحور الكون وطمانينة الروح بفضل عشق المصطفى.

فيقول:

زانكه ملت را حيات از عشق اوست   بـرگ وسـاز كـائـنات از عشق اوست (٤)
(حيـــــاة الـمـلة بسبب عشقه   وبهـــاء الـكـون بسبب عشقـــه)

وينصح إقبال الأمة الإسلامية قائلا:

سـوز صـديـق وعـلـى از حق طلب   ذره عشـــق نبـــي از حـــق طـلـــب (٥)
"اطـلـب من الله حرقة الصديق وعلى   واطـلـب مـــن الله ذرة عشق النبي"

ثم يقول:

روح را جــز عشــق او آرام نيست   عشـق او رو زيست كو را شام نيست (٦)
"لا يشـعـر الروح الراحة بدون عشقه   وعشقه كالنهار لا يسيطر عليه الليل"

ويحب إقبال أرض حجاز بأنها مدينة النبي ويريد إقبال أن يعيش حياته في مدينة النبي ويقرّ عيونه بمناظرها.

١- الهاشمي، رفيع الدين، الدكتور: علامة إقبال اور مير حجاز (الأردية). مصر: دار السلفية. بدون التاريخ. ص ١٧.

٢- كليات إقبال (فارسى) پيام مشرق، ص ٢٤.

٣- نفس المرجع، ص ٢٦.

٤- نفس المرجع، ص ٢٨.

٥- نفس المرجع، ص ٢٦.

٦- نفس المرجع، ص ٢٨.

وهنا يحضر إقبال على ضريح المصطفى ويطلب منه كرمه وفضله بعد ذكر حرمانه .

فيقول:

بهر دهليز تو از هندوستان آورده ام سجدۀ شوقی که خون کردید در سیمائی من (١)

إليك جئت في سجود وجد سيماه فوق جبهتي تفور (٢)

ثم يقول :

قوت عشق سے ہر پست کو بالا کردے دہر میں اسم محمد سے اُجالا کردے (٣)

فباسم محمد شمس البرايا أقيمت خيمة الفلك المنير (٤)

ويقول في موضع آخر :

کی محمد سے وفا تو نے تو ہم تیرے ہیں یہ جہاں چیز ہے کیا لوح وقلم تیرے ہیں (٥)

فيامن هبّ للإسلام يدعو وأيقظ صدق غيرته الوفاء

سترفع قدرك الأقدار حتى تشاهد أن ساعدك القضاء

وقيل لك احتكم دنيا وآخرى وشانك والخلود كما تشاء (٦)

ويؤقن إقبال أن في رحي الظلم والبغي ، لا يجد مومن سلاحا إلا حب النبي ، يذودبه عن نفسه ويرد به كيد عداه .

وفي قصائده يتحدث إقبال عن صفات النبي ويتمنى أن يتحلى المؤمنون بها . فيقول:

عزم وتسليم و رضا آموزدش در جهان مثل چراغ افروزش

من نميدانم چه افسوس ميكند روح را در تن دگرگون مى كند

صحبت او هر خزف را در كند حكمت او هر تهى را پُر كند (٧)

وحبه يعمرا الصدور الخوالي بقلوب جديدة الايمان

١- كليات إقبال (فارسي): پيام مشرق ، ص ٣٤٢.

٢- الترجمة العربية : عزام عبدالوهاب ، الدكتور : رسالة الشرق ، ص ٣٢٠.

٣- كليات إقبال (الأردية): بانك درا ، ص ٣٦٠.

٤- المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ : صلصلة الجرس ، ص ١٠٩.

٥- كليات إقبال(الأردية) ، بانك درا :ص ٣٦٢.

٦- المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ : بانك درا ، ص ١١٠.

٧- كليات إقبال (فارسى) : پس چه بايد كرد اى اقوام شرق ، ص ٢٢.

درسه العزم والرضا المحض والتسليم منه في السر والإعلان
كسراج يشق قلب الديا جير باهر الضوء ساطع البرهان
يصبغ الروح في الجسوم بلون غير كل الرسوم والالوان (١)

وهكذا نرى أن حياة إقبال كانت مملوءة لعشق النبي منذ طفولته إلى وفاته ، ويقول أحد كبار نقاد العرب (٢) إذا كان حسان شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم فإن محمد إقبال ، شاعر الرسالة .

ولكن يقول السعيد جمال الدين :

"نقول أن "محمد إقبال" لم يكن شاعر الرسالة فحسب ، بل كان كحسان رضي الله عنه شاعر الرسول أيضاً ، فكان إقبال بذلك شاعر الرسول والرسالة في عصرنا الحديث".(٣)

١- الترجمة العربية : شعلان، صاوي على ، الشيخ : الأن...... ماذا نصنع يا أمم الشرق ، ص٣٤٩.

٢- هو الأستاذ أحمد حسن الزيات و ألقى هذه الكلمة بجامعة القاهرة ، سنة ١٩٥٦م .

٣- جمال الدين السعيد وسعيد أحمد ، أمجد حسين : نخبة من آراء مفكري العرب حول محمد إقبال ، ص٦٣ .

- وانظرإقبال وعشق النبي في كتب التالية :
- صديقي ، شمس الدين، الدكتور،وجعفري، مرتضى اختر، الدكتور: مجله خيابان دانائے راز ،١٩ اكتوبر١٩٧٧م، بشاور،ص٢٦٤-٢٨٨ .وانظر: سليم اختر، الدكتور، إقباليات کے نقوش (الأردية) ، ص ٦٧٥-٦٨٦.
- منظور جاويد خان ، الدكتور ، كلام إقبال اور عشقِ رسول (الأردية) روزنامه (الجريدة) امروز ٢٠ نومبر ١٩٨٨م .
- حافظ لدهيانوي ، عشق رسول مقبول اور علامه اقبال ، نوائے وقت (نداء الوقت) ٢٤ اکتوبر، ١٩٩٦م .
- اصغر يعقوب ، ذكر إقبال ، ص ٤٢، ٤٥، ٤٧.
- عابد علوي عابد ، السيد ، شعر إقبال ، ص ٢٠٧- ٢١٠.
- شمس تبريز خان ، مولانا (نقوش إقبال (الترجمة الأردية) ، روائع إقبال ، لأبو الحسن علي ندوي، سيد مولانا) ص ٢٨، ٢٩.
- مقصود أحمد ، حب رسول اور تصور مومن (الأردية) روزنامه (الجريدة امروز) ٢٠ مايو ١٩٩٠م .
- عبدالحميد إبراهيم ، سمير : أرمغان حجاز ، ص ٢٩٩.
- عبدالحميد إبراهيم ، سمير ، ديوان الأسرار والرموز ، ص ٣٤.
- سعيد بدر : عشق رسالتماب اور إقبال (الأردية) روزنامه (الجريدة)امروز ، ٢١اكتوبر ١٩٨٨م .
- أنور سديد ، الدكتور : إقبال شناسى اور أدبى دنيا ، ص ١٣٩-١٤٨.
- صديقي ، إفتخار أحمد ، الدكتور : عروج إقبال ، شخصيت اور فكروفن كے ارتقاء كا دور بلور جائزه (الأردية) ص ١٤٠-١٤٣.
- أحمد گيلانی ، خورشيد ، علامة إقبال جن كا سرمايه هستى تها ، فقط عشق رسول ، ص ٣٠٩- ٣١٤، من مجموعه مقالات بين الأقوامي فكر إقبال سيمينار ، ٧، ٨، نومبر ١٩٩٦م . وانظر :رسائل إقبال إلى الاصدقاء ، تحت موضوع حب رسول. بنام غلام ميران شاه ، إقبال نامه ، ١/٢٢٢ .بنام سر راس مسعود ، إقبال نامه ، ١/٣٨٢ .بنام مولانا اكبر اله آبادي ، إقبال نامه ،٢/ ٦٨ . وبنام صالح محمد ، إقبال نامه ،٢/٣٩٧ .معين الرحمن، سيد، الدكتور : جهان إقبال ، ص ٩٠.
- رحيم بخش شاهين ، الدكتور : علامة إقبال سيرت وپيام (الأردية) الجريدة امروز ٢٨ يونيو ١٩٩١م .
- إقبال اور عشقِ رسول ، عشق رسول إقبال کی شاعری كا محور هے (أساس كلام إقبال على عشق الرسول) روزنامه الشرق ، ١٠ يونيو ١٩٩١م.
- خادم حسين ، تجمل حسين : إقبال کی نثری تحريروں ميں عشق رسول کی ضياباريان (الاردية) ضياء عشق النبي في نثر إقبال) ، ص ٥٥٤- ٥٥٩. مجلة الكلية الشرقية بجامعة بنجاب ، جشن إقبال نمبر ١٩٧٧م .
- تحسين فراقي ، الدكتور : علامه إقبال اور ثناء خواجه ، ص ١٠٥ إلى ١٢٥.

حقيقة "عبده" أم حقيقة محمدية صلّى الله عليه وسلّم

ويبين إقبال "الحقيقة المحمدية" صلى الله عليه وسلم بلسان الحلاج (١) الذي تحدث عن الحقيقة المحمدية قبل أحد عشر قرنا قريباً في تأليف رسالة الخلود فقد أشار الحلاج إلى المعراج النبوي وتحدث عن أوصافه ونوره الذي خلق قبل كافة الموجودات .

فقال :

"همته سبقت الهمم ووجوده سبق العدم ، واسمه سبق القلم ، لأنه كان قبل الأمم ، ما كان في الآفاق وراء الآفاق . وهو سيد البرية الذي اسمه أحمد ، ونعته أوحد" .(٢)

ثم يسأل زنده رود أي إقبال ، ماسر هذا الجوهر المسمى المصطفى ، أهو إنسان أم جوهر في الوجود؟ ذلك الذي نادراً ما يأتي إلى الوجود ؟

ويرد عليه الحلاج قائلا:

"إن الدنيا لتحنى الجبين أمامه ، لقد سماه الله نفسه عبده"

وعبده فهو إنسان وجوهر في نفس الوقت ، وأن جوهر ليس عربيا ولا عجميا، هو إنسان وما زال أقدم من الانسان" .(٣)

في شعر إقبال :

پيش او گيتى جبين فرسوده است	خويش را خود عبده فرموده است
عبده از فهم تو بالاتر است	زانكه او هم آدم وهم جوهر است
جوهر او نے عرب نے اعجم است	آدم است وهم ز آدم اقدم است

١- هو الحسين بن منصور أبو مغيث ، كان من عظام فلاسفة الإسلام ، وكبار الصوفيين الزهاد، أصله من البيضاء بفارس،عاش في خلوات الصوفية لا سيما مع الجنيد وسهل التستري ، اتهم بالزندقة والقول بالحلول، فحكم عليه ، وسجن ثمان سنوات ثم عذّب وصلب عام ٣٠٩هـ /٩٢٢م ، له كتب كثيرة ، لم يبق منها "إلا" كتاب الطواسين " في شرح مذهبه الذي أنشأ في التصوف ، وأثار حوله الجدل ، فقدمه البعض وكفّره أخرون. (الغوري، عبدالماجد ، السيد: ديوان محمد إقبال).

٢- محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : رسالة الخلود (جاويد نامه) ص ٢٣١.

٣- نفس المرجع

عبـده صـورت گـر تـقـديـر هـا　　　انـدر و ويـرانـه هـا تـعمير هـا (١)

عـفّـر الـعـالـم خـدّا عـنـده　　　نـفسـه سـمّـى الـنبـيّ عبـده"

عبـده فهـمـا لـديك تبهـر　　　إنـه الإنسـان وهـو الـجـوهـر

ليـس مـن عـرب وليـس الاعجما　　　آدم بـل كـان مـنـه الاقـدمـا

عبـده قـد شـكّـلـت هـذا الـقـدر　　　بـالـفيـافـى الـخـصب منهـا قد ظهر (٢)

ثم يذكر إقبال على لسان الحلاج بعض صفات الذات الالهية على "عبده" فهو يقول :

عبـده هـم جـانـفـزا هم جانستان　　　عبـده هـم شيشـه هـم سنگ گـران

عبـد ديـگـر عبـده چيـزے دگـر　　　مـاسـراپـا انتـظـار را ومنتـظـر

عبـده دهر است و دهر از عبده است　　　مـاهـمـه رنـگيم او بے رنگ و بوست

عبـده بـا ابتـدا بے انتهـا ست　　　عبـده را صبـح و شـام مـا كجـاست

كـس ز سـرّ عبـده آگـاه نيست　　　عبـده جـز سـر الا اللّٰه نيسـت (٣)

أحيـت الأرواح وهـي تـقتـل　　　والـزجـاج ، وهـي صـخـر يثـقـل

غيـر عبـد "عبـده" فـلـتـعتبـر　　　ولهـا طـال انتـظـار الـمـنتظـر

عبـده الـدهـر وكـان الـدهـر مـنهـا　　　كـلّـنـالـون وينـاى اللـون عنهـا

ولهـا البـدء ومـن غيـر انتهـاء　　　مـالـديهـا مثـل صبـح أو مسـاء

مـادرى الإنسـان قـط سـرّهـا　　　سـر الا اللّٰه كـان ذكـرهـا (٤)

"فـعبـده مشكل ومصور للأقدار ، فيه الصحارى والخرائب ، وفيه الأماكن المزدهرة العامرة ، وعبـده يـحـي الـروح ويـأخـذهـا ، عبـده زجاج وهو حجر ثقيل ، فهو المحي والمميت ، وهو مظهر الـرحـمة الالهية (زجـاج) كما أنه مظهر للغضب الإلهي (حجر ثقيل) العبد شئ وعبده شئ آخر ، أما عبده فقد كان اللّٰه ذاته تعالى شأنه ، ينتظر عندما دعاه ليلة الاسراء والمعراج لرؤيته ، ويستطرد الحلاج في نسبته بعض الصفات الإلهية إلى عبده قائلا : عبده هو الدهر والدهر من عبده ، إننا كلنالون وهو

١- كليات اقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص ٢٣٨.

٢- الترجمة العربية : المصري ، د.حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٦٢.

٣- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص ٢٤٠.

٤- الترجمة العربية ، المصري ،د.حسين مجيب: رسالة الخلود ، ص ٢٦٢.

بلالون ورائحة.

وعبده ذو بداية ولا نهاية له ، وعبده ذو بداية لأنه مخلوق ، ولا نهاية له لأنه متحرر من قيود الزمان والمكان ، إنه ليس مثلنا مكبلا بأغلال الزمان والمكان. و"عبده " ليس سوى سر الاالله " أن سره هو لا اله الا الله ، أنه سر إلهى ، ومعرفته معرفة الله ذاته ".(١)

ثم يصل هنا إلى مرحلة التصريح .

فيقول :

لا الــــه تيــغ و دم او عبــده	فـاش تـر خـواهـى بگـو هـو عبـده
عبـده چـنـد وچگـون كـائـنـات	عبـده راز درونِ كـائـنـات
مـدعـا پيدانگـردد زين دو بيت	تـا نـه بينى از مقـام مـا رميت
بگـزراز گـفـت وشنود اے زنده رود	غـرق شد انـدر وجـود اے زنده رود (٢)
لا الـــه السيف وهـي حـدّه	ولتـصـرّح ولتـقـل هـو عبـده
عبـده كـنـه جـميع الكـائنـات	عبـده فيهـا مـعـان مـغـلـقـات
ولهـذا الشعـر معنـى مـا فهمت	قبـل فهـم قـول ربـي مـا رميـت
دعك مـن هـذا الكـلام زنـده رود	امـض وليـغـرقك ذيّـاك الـوجـود (٣)

كما يذكر الله تعالى في القرآن الحكيم :

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾(٤)

ويقول سعيد جمال الدين في هذا الصدد:

"ويمكننا أن نقول أن إقبال حاول أن يجري بعض التعديل على مذهب الحلاج في هذا الصدد، فقد نسب الحلاج إلى نفسه جميع الصفات الإلهيته عدا صفة الألوهية والربوبية ، وهو يناجى ربه "لا فرق بيني وبينك إلا الالهية والربوبية" ولكن إقبال يعمد بين مذهب غالب في رحمة للعالمين باعتباره غاية التخليق وخاتم النبيين ، وبين أنا الحق عند الحلاج باعتباره تجليا للذات الإلهية نفسها بأغلب صفاتها في نفس إنسانية .

١- محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور ، رسالة الخلود ،ص٢٣٣.

٢- كليات اقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص ٢٤٠.

٣- الترجمه العربية: المصري ، د.حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٦٢-٢٦٣.

٤- سورة الانفال ، الآية : ١٧. أي لم تقتلوهم ببدربقوتكم ولكن الله قتلهم بنصره اياكم ...... وما رميت يا محمد عين القوم إذ رميت بالحصى ، فان كفاً من الحصى لا يمكن أن تملأ عيون الجيش العظيم أن كان الرامي من البشر ، ولكن الله رمى ليقهر الكافرين.

ويخرج منها بنظرية عبده هذه التي شرحها على لسان الحلاج ويبين الحلاج "الحقيقة المحمدية" كما ورد في كتاب أخبار الحلاج :

أأنت أم أنا هذا في الهين — حاشاك حاشاك من اثبات اثنين
فأين وجهك عني حيث كنت أرى — فقد تبين ذاتي حيث لا أيني
وأين وجهك مقصود بناظرتي — في باطن القلب أم في ناظر العين
بيني وبينك أني يزاحمني — فارفع بأنيك أيني من البين

فيقول في شرح هذا الأبيات "لا يسلم لاحد معناها إلا لرسول الله استحقاقا ، ولى تبعا".(١) وهذه هي حقيقة العبد لدى إقبال .

في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

لقد عاش الدكتور محمد إقبال شاعر الإسلام وفيلسوف عصره مدة حياته في حب النبي ، والأشواق إلى مدينته ، وتغني بهما في شعره الخالد وتمسك إقبال بسنة المصطفى بكل حياته و وجد أنه يعصم الإنسان من الزلل.

ويقول في بعض أشعاره :

"لم يستطع بريق العلوم الغربية أن يبهر لُبىّ ويعشى بصري ، وذلك لأني اكتحلت بأثمد المدينة المنورة ".

ويقول:

"مكثت في أتون التعليم الغربي ، وخرجت كما خرج إبراهيم من نار النمرود" .(٢)

ويقول :

"لم يزل ولا يزال فراعنة العصر يرصدونني ، ويكمنون لي ، ولكني لا أخافهم ، فأنا أحمل اليد البيضاء...... لا تصبحوا إذا اقتنعت النجوم وانقادت لي الصعاب ، فأنني من أتباع ذلك السيد العظيم الذي تشرفت بوطأته الحصباء ، فصارت أعلى قدراً من النجوم ، وجرى في إثره الغبار، فصار أعبق من العبير".(٣)

فقد طفح الكأس في حب النبي في آخر حياته ، فكان كلما ذكرت المدينة فاضت عينه

١- محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : رسالة الخلود (جاويد نامه) ص ٢٣٤.

٢- جمال الدين ، محمد السعيد أحمد ، أمجد حسين : نخبة من آراء مفكري العرب حول محمد إقبال. القاهرة : سفارة باكستانية . بدون التاريخ . ص٦١ .

٣- نفس المرجع ، ص ٦٢.

- وانظر : الندوي ، أبو الحسن ، العلامة : روائع إقبال ، ص ٢٥.

وانهمرت الدموع ولكن مع هذا الحب لم يقدر له الحج وزيارة الرسول بجسمه الضعيف الذي كان من زمان يعاني الأمراض والأسقام . ولكنه رحل إلى الحجاز لرفعة فكره وشعره العذب وقلبه الجنون، وحلّق في أجواء الحجاز، وتحدث إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بما شاء قلبه وحبه ، وأخلاصه ووفاء ه ، وتحدث إليه عن نفسه وعن عصره ، وعن أمته ، وعن مجتمعه .

ويقول الندوي في هذا الصدد:

وقد فاضت في هذا الحديث قريحة الشاعر، وانفجرت المعاني ، والحقائق التي كان الشاعر يغالبها ويمسك بزمامها ، فكان شعره في النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه من أبلغ أشعاره وأقواها ، وكان حشاشه نفسه ، وكان تصويرا لعصره ، وتقريرا عن أمته ، وتعبيرا عن عواطفه " .(١)

ويتخيل إقبال أنه سافر إلى مكة والمدينة ثم يخاطبه إلى رسوله الكريم ويقول :

گرد تو گردد حریم کائنات — از تو خواهم یك نگاه التفات
ذکر وفکر و علم و عرفانم توئی — کشتی ودریا وطوفانم توئی
آهوئے زار وزبون وناتوان — کس به فتراکم نه بست اندر جهان
کار ایں بیمار نتوان برد پیش — من چو طفلاں نالم از داروے خویش
چون بصیری از تو می خواهم کشود — تا بمن باز آید آن روزے که بود
مهر تو بر عاصیان افزون تر است — در خطابخشی چو مهر ما در است
اے وجود تو جهان را نوبهار — پر تو خود را دریغ از من مدار
خود بدانی قدر تن از جاں بود — قدر جان از پر تو جانان بود
تا زغیر الله ندارم هیچ امید — یا مرا شمشیر گرداں یا کلید
تیشه ام را تیز تر گرداں که من — محنتے دارم فزون از کوهکن
بندهٔ را کو نخواهد ساز و برك — زندگانی بے حضور خواجه مرك (٢)
يا من تطوف الكائنات حول حرمه — أرجوا منك نظـــــــرة التفات
أنت في ذكري وفكري وعلمي وعرفاني — وأنت سفينتي وبحري وطغاني
فما أشبهني بغزال عاجز ضعيف — لكنه لم يقع في شرك أحد من العالمين

١- الندوي ، أبو الحسن علي الحسن : روائع إقبال ، ص ١١٧-١١٨ .

٢- كليات إقبال (فارسى) پس چه بايد كرد اى اقوام شرق ، ص٩٦-٩٨ .

وعلاج هذا المريض صعب للغاية   لأنني كالطفل أتألم من الدواء

فأريد منك حلّ هذه المشكلة مثل البوصيري   حتى أرجع إلى سيرتي الأولى

رباه إن عفوك أوسع من ذنوب العاصين   بل أكثر من رحمة الأم

يا رسول الله إن وجودك ربيع للعالم   فلا تحرمنا من ضياء نورك

حياة الجسم من الروح   وحياة الروح من نور الحبيب

فما دام ليس لي في غير الله أمل   فإما أن يجعلني سيفا للحق أو مفتاحا للخير

فأعط فأسي حداحادا   إذا إن محنتي أشد من صخور الجبال

أن العبد الذي لا يريد من الدنيا متاعا   حياته بغير حبك موت" (١)

الحضور في حضرة الرسول

وعندما يصل إقبال في تصوراته ديار حبيبه يخاطب صاحب الرسالة قائلا:

بچشم من نگه آوردهٔ تُست   فروغ لااله آورده تست

دو چارم كن به صبح من رآنى   شبم را تاب مه آوارهٔ تست (٢)

حبوت العين بالبصر البصير   وقوله "لاإله" كفيض نور

وفجراً فلتهب من "من رآني(٣)   فليلى منك ذوالبدر المنيرا (٤)

جهان از عشق وعشق از سينهٔ تست   سرورش ازمے ديرينهٔ تُست

١- محمد إقبال : من مثنويات : "والأن ماذا نصنع يا أمم الشرق : الترجمة العربية: يوسف عبدالفتاح فرح ، ص ٧١-٧٢.

- وانظر: تحسين فراقي ، الدكتور : علامة إقبال اور ثنائے خواجه ، تحت عنوان : جستجو" (الأردية) ، ص ١٣٠- ١٤١.

٢- كليات إقبال(فارسى) ارمغان حجاز ، ص ١٠٠.

٣- اشارة إلى القول جاء فيه (مَنْ رَآنِيْ فَقَدْ رَأى اللّه) كذا في الأصل .

٤- الترجمة العربية: المصري ،د. حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ٤٥٠.

جــز ایـں چیــزے نـمیدانم ز جبریل — کــه او یك جـوهـر از آئینــه تست (١)

ومــن عشــق لـنـا الـدنيا بـصـدرك — وتــفــرح فــرحــه نشوى بـصـدرك

فــمــن جبــريــل؟ إنـي لسـت أدري — أأبـدت جـوهــراً مـــــرآة صدرك (٢)

ويـريـد إقبال أن يستمر في مخاطبته بالرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه يفكر أن هذا المقام أرق من العرش يستلزم أدبه ، فيطرق رأسه ويعرض عرضه قائلا:

زبــان مــا غــريبــان از نگـاهيسـت — حـديـث درد مـنـدان اشك وآهيست

كشادم چشم و بر بستم لب خويش — سـخـن انـدر طـريـق مــا گـنـاهيست (٣)

غــريــب ، لـــي لســان وهــو نـظـره — وذوألـــم تـــكـــلـــمـــه بـعبـــره

فــمـي أو صـدتُ ، بـالـعينـين أرنـو — فشـــرعـــي لا يــجـيــز الـقـول مـرّه (٤)

الأن يفكر إقبال في طلب روئية حبيبه وهو متيقن بقبول طلبه :

دریــں وادی زمــــانــی جـاودانـی — زخـــاكـــش بـے صـور رويـد معـانـی

حــكيـمــان باكليماں دوش بر دوش — كـه ايـن جـاكـس نـگـويد ولن ترانی (٥)

بـــواديـــنـــا خــلــود لـلـزمـــان — بـلاصــورنـــمـت فيـه الـمـعـانـي

حـــكيـــم دائـــمـــاً آخـى كـليمـا — لسـان ســاكـت عـن (لـن تـرانـى) (٦)

هنا يفيض الشاعر بمكنون صدره مخاطبا رفيقه في السفر :

بيــا اے هـــم نــفــس بـاهـم بنـاليـم — مــن و تــو كشتــهٔ شـانِ جـمــاليـم

دو حــرفــے بــر مــراد دل بـگـوئيـم — بيــاے خـواجــه چشـمــاں را بمــاليم (٧)

أنيـــس الــروح بـادلـنـى شـكـاتي — وقـل مثلـى "بـذي حسـن ممـاتـى"

١- كليات إقبال (فارسى) ارمغان حجاز ، ص ١٠٤ .

٢- الترجمة العربية :المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ٤٥٠ .

٣- كليات إقبال (فارسى) ارمغان حجاز ، ص٨٤.

٤- الترجمة العربية : المصري ، د.حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص٤٤٦ .

٥- كليات إقبال (فارسى)ارمغان حجاز ، ص٥٦ .

٦- أراد إقبال قوله تعالى سورة الاعراف، الآية:١٤٣ ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى .... وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الترجمة العربية: المصري،د.حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ٤٣٩ .

٧- كليات إقبال (فارسى) ارمغان حجاز ، ص ٥٤ .

لـنـمسـح مـوضـع القدمين " فاهمس "بـــأجـفـــان رقـــاق دا معـــات (١)

والشـاعـر هـنـا بشدة لوعة الحب يأخذ في كنس ديار الحيب بأهدا به وكذلك يدعوا الملك عبدالعزيز آل سعود الذي كان سلطان الحجاز آنذاك إلى حب المصطفى قائلاً :

تـوهـم آں مے بگیر از ساغر دوست کـه بـاشـی تـا ابد اندر بـردوسـت
سـجـودے نیسـت اے عبـدالـعزیزایں بـروبـم از مـژه خـاك درِ دوسـت (٢)

إليك الـرّاح مـن كـأس الـحيب لتسـكـن دائـمـا قـلـب الـحبيـب
آيـا هـذا (الـمليك) (٣) أذا سجود لتـكـنـس مـقـلتـي دار الـحبيـب (٤)

ويـقـول الشاعر في حضـرة سيد العالمين وأراد أن يهديه شيأً ولكن مايجد هدية تليق إهداء ها إلى الرسول إلا القلب المضطرب على أحوال المسلمين:

دمیـد آں لا الـه از مشست غبـارم کـه خـونـش مـي تـرا ود از کنـارم
قبـولـش کـن زراه دل نـوازی کـه مـن غیـر از دلے چیزے نـدارم (٥)

وهـذي زهـرة نبـتـت بُترجي بـدت فـي حـمـرة من ذوب قلبي
تـقبّـلهـا ، بهـذا الـقـلـب رفـقـا فـلـي قـلـب ، وهـذا الـقـلـب حبسي (٦)

ثم يذكر مرضه المعنوي القديم :

فـقیـرم از تـو خـواهم هر چه خواهم دل کـو هـے خـراش از بـرك کـاهـم
مـرادرس حـکـیـمـاں در دسـر داد کـه مـن پـروردۂ فیـض نـگـاهـم (٧)

فـقيـر فـلتـحـقـق لـي رجـائـي هيشـمـي اجعلـه قلبـا في الفضـاء
سـئـمـتُ الـدرس يـلـقيـه حـكـيم فـلـي مـن نـظـرتـي فيـض الـذكـاء (٨)

١- الترجمة العربية :المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ٤٣٨.

٢- كليات إقبال (فارسي) ، ارمغان حجاز ، ص ١١٦.

٣- في الأصل اسم أحد الملوك.

٤- الترجمة العربية : المصري ، د.حسين مجيب : هدية الحجاز،ص ٤٥٣، ٤٥٤.

٥- كليات إقبال(فارسی) ارمغان حجاز ، ص١٠٦.

٦- الترجمة العربية :المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز ،ص ٤٥١.

٧- كليات اقبال (فارسی) ارمغان حجاز ، ص ٩٠.

٨- الترجمة العربية:المصري، د. حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ٤٤٧.

ويطلب إقبال من رسول الله نظرة سخية تزيل ما بداخله من زيغ الحضارة الغربية الزائعة:

نــه بــاملا نــه بــاصوفى نشينــم ... تــو ميدانــى كــه مــن آنــم ، نــه اينم
نــويــس " الله" بــر لــوح دل مــن ... كــه هــم خــود راهــم او را فــاش بينم (١)
انــا صــوفــي والــمــلا أجــافي ... وتــعــلــم مــن أكــوان بــلا خــلاف (٢)
عــلى صفـحات قلبي "الله "فاكتب ... لأشهــده وذاتــي بــالشــغــاف (٣)

وكذلك يطلب إقبال لابنه جاويد أن يشمله الرسول بنظرة منه :

ز شــوق آمــوختــم آن هــاؤ هــوے ... كــه از سنــگے كشــايــد آبــجــوئے
هــميں يك آرزو دارم كــه جــاويــد ... ز عشــق تــو بــگيــرد رنگ و بــوے (٤)
مــن الأشــواق ثــائــرتي لتنــظــر ... فــللانهــار مــن حــجــر تــفــجــر
وليــت ابــنــي بــعشقك في دوام ... يُــزيَّــن بــالتــلــوُّن والتــعــطــر (٥)

ومــن هــنــا يأخذ إقبال في وصف حال المسلمين ، فالمسلم لم يبق في دمه الحرارة ولا الوهج وقلبه أسير بزخارف الأشياء وباب القلب مغلق و وجهه وعيناه خاليتان من النورو السرور كما يذكر أن الملوك كلهم بدون صفات الامير.

هــنوز ايں چرخ نيلى كج خرام است ... هــنــوز ايــں كاروان دور از مقام است
زكــار بــے نــظــام اوچــه گــويم ... تــو مــى دانــى كه ملت بــے امام است (٦)
جــرى فــلك عــلــى غيــر الــمــرام ... شــكاة الــركــب من بعد المقام
أفــي هــذا كــلام ليــت شــعــري ... وهــذا الشــعــب كــان بــلا إمــام (٧)
تــب و تــاب دل از سوز غم تست ... نــواے مــن ز تــاثيــر دوم تست

١- كليات إقبال (فارسى) ارمغان حجاز ، ص ٩٢.

٢- الـمـلا : كـلـمة تـركية مـأخوذة عن العربية (مولى). وهي بمعنى الشيخ والمعلم والقاض . والشاعر يطلقها على الشيخ والفقيه وغير الصوفي .

٣- الترجمة العربية :المصري؛ د.حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ٤٤٨.

٤- كليات إقبال (فارسى) ، ارمغان حجاز : ص ١١٤.

٥- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ٤٥٣.

٦- كليات إقبال(فارسى) ارمغان حجاز ، ص ٦٠.

٧- الترجمة العربية: المصري؛ د. حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ٤٤٠.

بنـا لـم زانكـه انـدر كشـور هـند نـديـدم بـنـدهٔ كـو محـرم تُسـت (١)
عـذابك منـه كـم ذقـت الـعـذابـا بك الألـحـان لـي كـانـت عـذابـا
حـزيـن، مـا رأت عينـاي يومـا بـأرض الهـنـد قـط لك الـصحـابـا (٢)

ويرشد إقبال إلى تعاليم الإسلام كي يجد المسلمون منزلة رفيعة في العالم :

فـقيران تـا بـمسـجد صف كشيدند گـريـبـان شهـنشـاهـان دريـدنـد
چـو آن آتـش درونِ سينـه افسـرد مسلـمـانـان بـدرگـاهـان خزيدند (٣)
فـقيـر ركـعة لله صـلـى طـغـاة أو بـغـاة من أذلا
وتـلك الـنـار إن خـمـدت بـصـدر إلـى عتبـات مـن ظـلـموا تـولـى (٤)

ثم يقول:

دل مـلا گـرفتـار غـمـے نيسـت نـگاهـے هست در حشپش، غمـے نيست
ازان بـگـريـختـم از مكـتـب او كـه در ريگ حـجـازش زمزمـے نيست (٥)
فـي قـلـب لـمـلا الـغـم حلّا وهـل بـالـدمـع بـل الـعيـن بلّا
أولـي مـن مـجـالسـه فـراراً أزيـن حـجـازه بـالبـئـر؟ كـلا (٦)

ثم يقول:

بـآن بـالـے كـه نـجشيـدى پـريدم بسـوز نـغـمـه هـائـے خـود تپيدم
مسـلـمـانـے كـه مـرگ از وے بلـرزد جهـان گـرديـدم وأورانـديـدم (٧)
وتـمـنـحني جنـا حـاكـي أطيـرا وألـحـانـي خـفـقـت بهـا سعيـرا (٨)

١- كليات إقبال (فارسى) : ارمغان حجاز ، ص٥٨.
٢- الترجمة العربية :المصري، د.حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ٤٣٩.
٣- كليات إقبال (فارسى) : ارمغان حجاز ، ص٧٢.
٤- الترجمة العربية : المصري ، د . حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ٤٤٣.
٥- كليات إقبال (فارسى) : ارمغان حجاز ، ص ٩٢.
٦- الترجمة العربية :المصري، د.حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ٤٤٨.
٧- كليات إقبال (فارسى) : ارمغان حجاز ، ص ٧٦.
٨- السعير : النار .

فهـل مـن مسـلـم يـخشـاه مـوت   أطـلـت ، ومـا وجـدت ، أنـا المسيرا (١)

فهـكـذا يـعـرض إقبال حاله وحالة المسلمين في حضرة رسول الله ويطلب منه دواء لكل داء المسلمين .

هـكـذا نـرى أن كـل حياة إقبال مضت في حب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان حبه حبا واثـقـاو غـلـيـظـا ولـكن مع ذلك لـم يقدر أن يرى بيت حبيبه وشوارعه بعيون الحقيقة والشعور ، وكـانـت كيـفية إقبال كالسمك التي أبعد عن البحر وكانت مضطربة لاتصال البحر ، وتوفى إقبال في هذه الكيفية بعيون الشوق وبقلب الحزين وبأماني غير كامل .

١- الترجمة العربية : المصري، د.حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ٤٤٤ .

الفصل الرابع

الخصائص اللغوية والبلاغية في مدحهما للنبي ﷺ، الصورة والخيال والعاطفة والموسيقى وغيرذلك

الخصائص اللغوية و البلاغية في مدحهما للنبي ﷺ

بعد استعراض نموذج كلام شوقي وإقبال و كيفيتهما في مدح الرسول ﷺ، نتحدث الأن عن الخصائص اللغوية و البلاغية في كلامهما ، ليتبين لنا بكل تصريح ، من هو الفائق من الجهة الفنية على الآخر. فنتكلم عن خصائص كلام الشوقي في المدح النبوي صلى الله عليه أولا .

خصائصه الفنية

أما خصائص شوقي الفنية فهي منقسمة إلى نوعين عظيمين:

"الف : الخصائص التقليدية . ب: والخصائص الأصيلة .

أما الخصائص التقليدية فهي التي تظهر عموماً في قصائده التي عارض بها "المشهورات" في الشعر العربي . كنهج البردة . و"الهمزية النبوية " على معارضة للبوصيري.

فإذا نظرنا معارضاته تبين لنا أن شوقي يطبع على غرار الشاعر الذي يعارض قصائده في الوزن والقافية وفي الألفاظ و التراكيب وفي المعاني والأغراض وفي الديباجة . ولقد كان يتقدم شوقي ذلك الشاعر في المعنى ويتأخر عنه في اللفظ .

على أن لشوقي في شعره الغنائي و الروائي وفي نثره (في الترسل والرواية) خصائص أصيلة مطبوعة بشخصيته وجارية على سليقته ومعروفة بها بأسلوبه.(١)

خصائصه المعنوية

لم يكن شوقي غواصاً في المعاني كأبي تمام وابن الرومي ، ولم يكن شاعرا و جدانيا خالصاً كعمر ابن أبي ربيعة وأبي فراس وإنما كان كما قال هو عن نفسه :

رُبّ جار تلفتت مصر توليه   له سؤال الكريم عن جيرانه

بعثتني معزيا بماقي   وطني أو مهنأ بلسانه

١- انظر: عمر فروخ ، الدكتور : كلمة في أحمد شوقي . الطبعة الثانية ، بيروت: مكتبة منيمنة ، المعرض، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ص١١-١٢.

كــان شعــري الـغنــاء في فـرح الشـر ق وكـــان الـعـــزاء فـي أحــزانــه (١)

ويقول عمر فروخ:

"فهـو شـاعـر مـصـور "مـا " حوله و معبر عن شعور "من" حوله يتناول المعاني القريبة البارزة الشائعة يكسوها روحا نبيلا وديباجة جميلة ، فشعر شوقي قريب من النفوس لأن أغراضه ومعانيه قريبة مـن الـنـفوس . إن أمجاد الشرق وفتوح العرب وسناء الإسلام ، كل هذه خلعت على شعر شوقي بهاء وجذبت إليه القلوب".(٢)

وننظر الأن أشهر خصائصه المعنوية :

١- ارستقراطية في الشعر

وكان شوقي ارستقراطي النزعة في شعره ، ينظر إلى الدنيا من عال ، ولم ينحدر يوما ما بشعره إلى أرضاء الدهما ، مع أن شعره كان يرضيهم من غير أن يفقهوه تماما.

٢- شاعر مطبوع

ولا شك فـي أن شوقي شاعر مطبوع كعمرو أبي نواس والبحتري وابن الرومي ، أجاد في كل فن طرقه سواء أطال فيه أم لم يطل .

٣- سعة الإطلاع

ومـع أنـه كـان شاعراً مطبوعاً فإنه لم يهمل الإطلاع على كل مايراه في دهره ، فإذا أراد النظم في موضوع ما استعد لذلك بدراسة واسعة .

٤- طول النفس

وشوقي ميّال إلى إطالة القصائد في جلاء الموضوعات التاريخية خاصة ، فإن قصيدته الكبرى "دول الإسـلام " تشبـه أن تـكـون مـلحمة ، ثم أن قصيدته "كبار الحوادث في وادي النيل".(٣) تبلغ مائتين وتسعين بيتاً ، وقصيدته "نهج البردة " (٤). نحو مائتي بيت .

٥- لباقته

ومـع أن شوقي كان كثير الاعتداد بنفسه بادي الرأي في الحياة باتجاهه الديني والقومي، فأنه كـان لبـقاً في تصريف أغراضه : مدح أناساً ولـم يغضب خصومهم ، ومدح الإسلام وانتقد المسلمين،

١- عمر فروخ ، الدكتور : كلمة في أحمد شوقي ، ص١٣.

٢- نفس المرجع.

٣- الشوقيات ، ١/١- ٢٠.

٤- الشوقيات ، ١/٢٤٠-٢٥٨.

وأجاد وصف المسيح وعاتب بعض المسيحين، وقال في الشعر الديني وفي الخمر على السواء فلم يستأمنه أحد، وأغلب الظن أن شوقي بلغ في حياته مرتبة أقر له بها الناس، وانقلبت أحقادهم نحوه إعجابا وإذعانا لشاعريته .

٦- العنصر الغربي

وأجاد شوقي التركية والفرنسية وأكثر من الاطلاع على ما فيهما من أدب أصيل أو منقول إليهما، وفي شعر شوقي موازنات كثيرة بين الأدبين العربي والغربي من حيث المعاني والأسلوب.(١)

خصائصه اللفظية

وكان شوقي في الحقيقة فناناً ذا مرتبة عالية في مدائحه، ويصوغ معانيه تحت حاجة فنه ووقته، وينتج فيها العظمة كفاية بقدر الوقة واللطافة على الموضع المناسب، ويلهب أسلوبه بالعمق والشعور، وهو متبرع في استعمال الكلمات، ويزين شعره بتشكيله وبتشبيه البديع على درجة عالية. وهكذا نالت مدائحه مقاماً مرموقا في المجال الفنية، حتى قال شوقي ضيف عن نهج البردة:

"أما البردة فقد خفق لها قلب العالم الإسلامي كله " .(٢)

فيقول شوقي شعرا في المدح النبوي بأسلوب جيداً.

لي في مديحك يا رسول عرائس ... تيّمن فيك وشاقهن جلاء

هن الحسان وإن قبلت تكرماً ... فمهورهن شفاعة حسناء (٣)

لا يبين شوقي أحوال حياته (صلى الله عليه وسلم) وصفاته من جهة تاريخية فقط بل يثبت عظمته ورفعته بلسان الشعر، كما يقول في واقعة المعراج:

تغشى الغيوب من العوالم كلما ... طويت سماء قلّدتك سماء

في كل منطقة حواشي نورها ... نون وأنت النقطة الزهراء

الله هيأ من حظيرة قدسه ... نزلا لذاتك لم يجزه علاء (٤)

والآن نذكر خصائصه اللفظية فيما يلي :

١- انظر: عمر فروخ، الدكتور: كلمة في أحمد شوقي، ص١٣- ١٥.

٢- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر الحديث، ص١٣٨.

٣- الشوقيات: ٤٣/١.

٤- الشوقيات: ٤١/١

التعبير عن العواطف

يقول أحمد الحوفي:

أول مـا يتـميز به الأدب القوي الصادق وهو تعبير عن العاطفة أو العواطف التي تجيش بنفس الأديـب ، والأدب الـذي لا ينبع من العواطف أدب زائف ، يعوزه الصدق الشعوري ، وتعوزه الحرارة، وقد يروق بهرجه وطلاؤه ، ولكنه لا يبهر النفس ولا يستشير المشاعر ، فكان شعره الديني الذي قرضه نـابعا من عاطفته ، كان عاطفته صادقة ، لأن شوقي . كما تبين من حياته . متدين ، مؤمن بالله ، محب لـرسـوله ، معتز بالإسلام ، فخوز بمجد المسلمين ، أسيف على فقدانهم ماكان لهم من عزة وسلطان، تواق إلى استرجاع ماضيهم العظيم .

ولم يكن في بيئته أو وظيفته أو حياته ما يضطره إلى أن ينهج هذا النهج وهذه العاطفة الصادقة نبيـلة سـامية ، لأنها موصولة بالخالق سبحانه وتعالى، ومتصلة بالنبي ومرتبطة بالشريعة ومجد الإسلام والمسلمين ، ذلك أنه يبتهل إلى الله ، ويخضع لقدرته ، ويرجو عفوه ، ويستغفر من ذنبه، ويحب النبي، ويعجب بشمائله ، ويفرح بانتصاره ، ويسخط على أعدائه ، ويفخر بالشريعة الإسلامية، ويباهي بمجد الـمسلمين وعدلهم وعلمهم وحضارتهم ، ويأسى لضعفهم بعدالقوة وبهذا تدور العاطفة حول الحب والإجلال والإعجاب والفرح والحزن والفخر ، وهي كلها متصلة بالدين .

ثـم إن عـاطـفتـه الـصادقة السامية تتصف بالقوة ، ومن مظاهر قوتها أنها تهيج في نفس القراء أصـداء لهـا، وأنها ثابتة في النص كله ، وإذ كانت درجة حدتها تختلف من مقطع إلى آخر أو من بيت إلى بيت فإن هذا الاختلاف لا يشعر القارى ، بأن العاطفة تتواري أو تغيض".(١)

عاطفة شوقي وأثر الشعراء القدماء فيها

ولـقد يتصل بقوة العاطفة ، مانجده من صور خيالية آثرها شوقي في تعبيره عن عاطفته . ولقد يـخـطر بالبال في هذا المجال أن شوقي قد حاكى البوصيري بنهج البردة ، فقد شهد على نفسه مرات بأنه اقتدى به واحتذاه ، ونفى أنه قصد المعارضة والمباراة .

ويقول الدكتور أحمد الحوفي:

"والـحق أنه لا يصح الحكم على عاطفته بالزيف ؟ اعتمادا على أنه حاكى البوصيري في نهج البـــــردة ، ونظر إليه في الهمزية، لأنه لم يحاكه في حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإعجابه به ، وإنـمـا حـاكاه في وزن قصيدته وفي رويها ، إذ أن شوقي كان متدينا عامرا لقلب بدينه ، وكان صادقا فـي حبـه لـرسـول الله صـلـى الله عـليـه وسلم ، وصادقا في إعجابه بالشريعة الإسلامية ، وكان عظيم

١ـ أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص٢٦٢.

الإعـجـاب ببـطولة المسلمين وحضارتهم وعدلهم وكان شديد الأسى ممانزل بالمسلمين من ضعف وتـخـاذل، وقد تناول في نهج البردة هذا كله، كما تناوله في قصائده أخرى. فهو إذا يستوحى نفسه ويستمد من قلبه". (١)

وإن جـاز لأحـد أن يتهم شوقي باصطناع العاطفة في نهج البردة لأنه اقتدى بالبوصيري، أو جاز اتهامه بالتكلف في الهمزية لأنه نظر إلى همزية البوصيري، فماذا يقول في ذكرى المولد التي مطلعها :

بــــه ســـحـــر يتيـــمـــه   كـــلا جـــفـــنيك يـــعـــلـــمـــه (٢)

وفي الثانية التي مطلعها :

سـلـوا قـلـبـي غـــداة سـلا و تـــابـا   لـعـل عـلـى الـجـمـال لـه عتـابـا (٣)

ومـا ذا يقول في قصائده الإسلامية الكثيرة التي ابتهل فيها إلى الله، وأشاد بالإسلام، وازدهي بالفتوح الإسلامية. وناصر الخلافة العثمانية على أنها الجامعة الإسلامية.

ويقول الدكتور أحمد الحوفي في هذا الصدد:

"أليس من الجائز أن شوقي حينما هم بمدح رسول الله خطرت له بردة البوصيري فقرأها، ثم أنشأ قـصيـدته على شاكلتها، فكانت عاطفته أسبق من عزيمته على محاكاة الشكل؟ وأيا كان الأمر فـإن مشابهة شوقي للبوصيري لا تنهض دليلا على اصطناع شوقي لعاطفته لم تكن تعمر قلبه، لأن في شعره الديني ما يشهد بصدقه في حبه للنبي، وإجلاله لشريعته، وفخاره بالإسلام.

وعلى كل حال نحن نعترف بأن شوقي لم يعن في شعره بتصوير نفسه ذلك أن شعره خال من الأحـاسيـس، والعواطف الذاتية. إن شعره يتحول إلى ما يشبه المرّد. ويصبح شيئا جافا خاليا من كل ميـض وبـريـق لـلفن كأنه الصحراء الهامدة، وفي شعر شوقي في تاريخ مصرو ما شمل من العواطف والأخيلة".(٤)

ويقول الدكتور شوقي ضيف :

"إن شـعـره في تاريخ مصر ترالتاريخ يتحول إلى شعر وفن وقصيدته "كبار الحوادث في وادي

١- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص٢٦٣.

٢- الشوقيات: ١٣٨/٢.

٣- الشوقيات: ٦٨/١.

٤- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ٢٦٤.

النيل" هي آية شعره الأولى المنزلة، فقد صور فيها عصر بناة الأهرام وخلفائهم تصويراً مبدعاً، إذ تحدث حديث المؤرخ الذي ينفعل مع التاريخ وقد ذهب يصرخ، (١).

وبنينا فلم نخلّ لبانٍ   وعلونا فلم يجزنا علاء
وملكنا فالما لكون عبيد   والبرايا بأسرهم أسراء (٢)

وتعرّض لما أذاعه مؤرخو اليونان عن استبداد الفراعنة بشعبهم في بناء الأهرام، ورخص حججهم ونقض أدلتهم متحمساً، ثم خطا نحو عصر الرعاة المظلم ،فتأسف وتحسر قائلا:

لبثت مصرفي الظلام إلى أن   قيل مات الصباح والأضواء
لم يكن ذاك من عمًى، كل عين   حجب الليل ضوءها عمياء (٣)

ثم يقول شوقي ضيف:

"ولم تلبث أضواء الفجرأن انتشرت، فظهر رميسس، ثم دخلت مصرفي الظلام ثانية لعهد الفرس وقمبيز، واستنقذها الإسكند واحتّط الإسكندرية، وكانت دولة البطالسة ثم احتلال الرومان، وكل ذلك يجسّمه شوقي وكأنه مثّال، فالتاريخ يعاد خلقه، يعيده خيال موسيقار مبدع وهولا ينسى دخول موسى وعيسى مصر ولا دخول الإسلام، فيقف وقفة طويلة عند الأديان، وينطلق في مصر الإسلامية، فيختار أروع عصوربها، وهو عصر الأيوبيين وصلاح الدين، ويعرض لعصر العثمانيين وحملة نابليين".(٤)

ويقول شوقي:

علمت كل دولة قد تولت   أننا سمُّها وأنا الوباء (٥)

ويتحدث عن الأسرة العلوية وعن سعيد وموافقته على مشروع ويلبس في حضر قناة السويس ليصل البحرين الأحمر والأبيض، ويقول:

جمع الزاخرين كرها فلا كا   نا ولا كان ذلك الالتقاء
أحمّر عند أبيض للبرايا   حصّة القطر منهما سوداء (٦)

وهذه الملحمة التي كتبها شوقي والتي تعد امّ ديوانه لتعلى اسمه في سماء مصر الحديثة، ولم

١- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث، ص٥١-٥٥.
٢- الشوقيات: ١/١٨.
٣- الشوقيات: ١/٢٠.
٤- شوقي ضيف، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث:ص٥٦.
٥- الشوقيات: ١/٣٣.
٦- نفس المرجع.

يقتصر شوقي على هذا اليتيمة النادرة ، فقد كتب قصيدة في "النيل" طبقت شهرتها الخافقين ، وتغنيها في عصر الحاضر أم كلثوم فيشدو بها الشيوخ والأطفال في مصر ، وهو يستهلها على هذا النمط الرفيع:

من أي عهد في القرى تتدفق ... وبأي كف في المدائن تغدق

ومن السماء نزلت أم فجرت من ... عليا الجنان جداولا تترقرق (١)

يقول شوقي ضيف:

"ويزاوج مزاوجة رائعه بين مكوّنات فنه من موسيقى و خيال وعاطفة وطنية ، ويتغنى غناء ه الفخم الذي يشبه أروع الشبه "بسمفونيات" بيتهو فن ، فالقصيدة سمفونية كبيرة ، يعرف فيها تاريخ الفراعين وما شادوا من أهرام ، أصلها ثابت في الأرض ، وفرعها سامق في السماء ، ويشدو بمواكب نصرهم ، وكيف كانت تأتي جيوشهم بملوك الأرض مقرّنين مصفّدين ، ويتحدث حديثا معجباً عن عروس النيل وعبادة آسيس وحج المصريين القدماء إلى آلهتهم وقبورهم ، وحضارتهم البازخة ، ولا ينسى تابوت موسى وقصة يوسف و إخوته ومريم وعيسى ونزول الإسلام في الوادي ، فكل ذلك يرسمه في لوحته الكبيرة ، حتى يعطي النيل شخصيته المعنوية بجانب شخصيته الحسية.

وكما كان شعر شوقي يمتاز بالخيال الرائع والموسيقى الدفاقة ، فإنه يتصف كذلك بالعاطفة الرقيقة والإحساس المرهف ، ويتجلى ذلك في شعره الذي نظمه في ابنته"أمينة " وفي هرّته الصغيرة ، كما يتجلى في شوقه وحنينه إلى وطنه الذي بثه في شوقه وحنينه إلى وطنه الذي بثه في قصائده بمنفاه من مثل قوله في سينيته ".(٢)

وسلا مصر هل سلا القلب عنها ... أوأسا جرحه الزمان المؤسيّ

وطني لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتني إليه في الخلد نفسي

شهد الله لم يغب عن جفوني ... شخصه ساعةً ولم بخل حسى (٣)

أسلوبه

عكف على الشوقي النماذج العباسية الحية عند أبي نواس والبحترى وأبي تمام والمتنبي

١- الشوقيات : ٢/٦٥.

٢- شوقي ضيف ، الدكتور : الأدب العربي المعاصر في مصر ، ص١١٦.

٣- الشوقيات: ٢/٦٥.

والشريف الرضى وأبي فراس وأمثالهم ، وكان إعجابه شديدا بالبحتري والمتنبي خاصة ، وسرعان ما اهتدى إلى أسلوبه ، وهو أسلوب يسلك نفس الدروب التي سلكها البارودي من قبله ، أسلوب كما يقوم على الاحتذاء للقوالب العباسية ، ولا يجد صاحبه حرجاً في أن يعارض أصحابها ، بل يعلن ذلك إعلاناً كما كان يعلنه سلفه فتلك أمارة الإجادة الفنية ، وهي إجاده تقوم على بعث الصياغة القديمة وإحيائها.

ويقول شوقي ضيف في هذا الصدد:

"وعلى هذا النحو استطاع شوقي أن يكوّن لنفسه أسلوبا أصيلا ، أسلوباً لايتحرر من القديم ، ولكن في الوقت نفسه يعبر عن الشاعر وعصره وكل ما يريد من معان وأفكار وهو أسلوب يقوم على الجزالة والرصانة والمتانة والقوة ،بحيث تؤلف الكلمات ما يشبه البناء الضخم الشاهق ، وهو في ذلك يقترب من ذوق البارودي بأكثر ممّا كان يقترب حافظ ، فقد كان بحكم نشأته في الشعب يميل أكثر منهما إلى لغته فكان يستخدم في كثير من شعره لغة الصحف السهلة ، أما شوقي والبارودي جميعاً فكان يميلان إلى تقليد العباسين، وكان لذلك أكثر منه محافظة على التقاليد الفنية الموروثة ".(١)

وقد بلغ من حب شوقي للترك أنه كان يعتبرهم مجموعة فضائل لا تشوبها نقيصة ، على أن شوقيا...... وأن كان شاعراً مصرياً ، وشاعر العرب ، وشاعر المسلمين. وكان فيه الازدواج بين حب الحياة ومتاعها والإيمان ونعيمه له ذاتيته التي لا تخفى ، فهو شاعر الحكمة العامة ، وهو شاعر اللغة العربية السليمة ، وإنك لتعجب أكثر الأحيان حين ترى عنوان قصيدة من قصائده ثم لا تجد في القصيدة غير أبيات معدودة تدخل في موضوع العنوان ، بينا سائرها حكمة أو غزل أو وصف أو ما شاء لشوقي هواه ، وما أحسب شاعرا بالغ في ذلك ما بالغ شوقي ، مثال ذلك قصائده مثل : لجان التموين ، والانقلاب العثماني (٢) و بين الحجاب والسفور .(٣)

ويوجد في غير هذه القصائد الثلاث ما يظهر منه مثله قشيطان شوقي أشد حرصا على متاعه بالشعر للشعر منه بموضوع خاص ، أما القصائد التي يملك موضوعها أبياتها جميعا فهي القصائد التي ملك موضوعها شوقيا ، فأنساه نفسه ، بما كان له في هذا الموضوع من لذة ومتاع ، وما أفاضه

١- شوقي ضيف ، الدكتور : الأدب العربي المعاصر في مصر، ص١١٤- ١١٥.

٢- مقدمة الشوقيات :١/١٥ ، ومن ديوانه : ١/١١٩.

٣- نفس المرجع: ص١٧٦.

على شاعريته من وحي والهام .

الأخيلة والصور والمعاني

وقد يكون غلو شوقي أكثر وضوحا في جانب اللغة منه في جانب المعاني ، فهو بمعانيه وصوره وخيالاته يحيط مما في الغرب بكل ما يصيغه الطبع الشرقي وترضاه الحضارة الشرقية، أما لغته فتعتمد على البعث القديم من الألفاظ التي نساها الناس وصاروا لا يحبونها لأنهم لا يعرفونها، ولعل سر ذلك عند شوقي أن البعث وسيلة من وسائل التجديد ، بل لقد يكون البعث أكد وسائل التجديد نتيجة ما يوجد من أرباب اللغة ، ممن يفيضون على الألفاظ القديمة روحا تكفل حياتها ، والبعث لها إلى جانب ذلك من المزايا أنه يصل ما بين مدنية دراسة ومدنية وليدة ، يجب أن تتصل بها اتصال كل خلف بسلفه .

ويقول دكتور أحمد الحوفي:

" ومن ذا ترى من أرباب اللغة قديراً قدرة لشوقي على أن يبعث في الألفاظ القديمة روحاً تكفل لحياتها في الحاضر وتفيض عليها من ثوب الشعر ما يجعلها تتسع لما لم تكن تتسع له من قبل من المعاني والأخيلة والصور . واللغة العربية هي حتى اليوم لغة التفاهم بين سبعين مليوناً من أهل هذا الشرق العربي ، وهي حيّة وستبقى أبداً حيّة ، ولكن كل حياتها يحتاج إلى أن يبعث الله لها أمثال شوقي ليزيدوا تلك الحياة قوة وروعة وجمالاً .(١)

التشبيه

نجد تشبيهات كثيرة في كلام شوقي وأما تشبيهاته فبعضها جيد رائع ، لأن شوقي لم يقمه على تشابه في المظهر بل أقامه على تشابه المشبه والمشبه به في وقعهما على النفس وأثرهما في الشعور .

وينال مادة لتشبيهاته من الفطرة ومنها يحب جبال والشمس والقمر والكواكب والبحور، كقوله في وصف الحديث النبوي :

أما حديثك في العقول فمشرع　　　والعلم والحكم الغوالي والماء (٢)

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص٢٧٣- ٢٧٩ .

٢- الشوقيات : ١/٣٧ .

ذلك أن الظمآن يستطيب مشرع الماء، بل يجد فيه حياته وكذلك المسلمون يستطيبون الحديث النبوي، ويجدون فيه رشادهم وإنقاذهم من الضلال، وإذا كان المشرع يقدم لوارديه ماء يحي، فإن الحديث النبوي يكفل لوارديه حياة العقل والوجدان، وبعض التشبيه قديم مطروق كقوله:

وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر   وإذا جريت فإنك النكباء (١)

ثم يقول:

"كان وجهك تحت النقع بدر دجى". (٢)

ثم يقول:

سناءه وسناه الشمس طالعة   فالحرم في فلك والضوء في العلم (٣)

ويذكر اللولوء والجواهرات لبيئة الثراء.

حليت من عطل جيد البيان به   في كل منتشر في حسن منتظم (٤)

ذكرت باليتم في القرآن تكرمة   وقيمة اللؤلوء المكنون في الثيم (٥)

ويستعمل شوقي الفنون الجميلة في تشبيهاته لبديع الفكر والقوة، فيما يأتي:

الف: ولأوضح المشبه بطريق احسن ولقوة في التشبيه يأتي أكثر مشبه به من الأحد. كما يقول:

والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم   كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلم (٦)

لمّا خطرت بدلا لتفوا بيدهم   كالشهب بالبدر او كالجند بالعلم (٧)

ب: وبعد الذكر التشبيه الكامل يزيد فيها هكذا أن يتغير معنى التشبيه وهذا التوسيع أعطاه الحسن الجذاب والجدة بالذي دهش القاري.

١- الشوقيات: ٣٦/١.

٢- الشوقيات: ٢٤١/١.

٣- نفس المرجع، ٢٤٦/١.

٤- الشوقيات: ص٣٨.

٥- الشوقيات: ص٢٤١.

٦- الشوقيات: ص٢٣٨.

٧- الشوقيات: ص٢٣٩.

كما يقول :

المصلحون اصابع جمعت يداً هي أنت بل أنت اليد البيضاء (١)

ج: يشبه حالة مختصة المشبه بحالته الأخرى ومختلفة . كمايقول :

والراى لم ينض المهند دونه كالسيف لم تضرب به الآراء" (٢)

الاستعارة

وأما الاستعارة ، فكثيرة . قوله في وصف الحديث النبوي .

كما يقول :

جرت الفصاحة من ينابيع النهّى من دوحه وتفجر الإنشاء (٣)

وقوله في وصف الشريعة :

مشت الحضارة في سناها واهتدى في الدين والدنيا بها السعداء (٤)

وكل استعاره من هذه مبنية على تشبيه جيد ، ومن الكناية قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

وإذا خطبت فالمنابر هزّة تعرو النّدّى وللقلوب بكاء

وإذا صحبت رأى الوفا مجسّما في بردك الأصحاب والخلفاء (٥)

وقوله في وصف النبي بالتقدم على الأنبياء السابقين .

ويقول :

نظمت أسامى الرسل فهي صحيفة في اللوح واسم محمد طغراء

اسم الجلالة في بديع حروفه ألف هنالك واسم طه الباء (٦)

١- الشوقيات: ٤٣/١ .

٢- الشوقيات: ٣٨/١ .

- وانظر : أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص٢٨١ .

٣- الشوقيات: ٣٦/١ .

٤- الشوقيات: ٤١/١ ، وانظر : أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص٢٨٢ .

٥- الشوقيات : ٣٦/١ .

٦- الشوقيات : ٣٤/١ .

ولكن الصورة قد تجئ مفككة غير منسجمة الأجزاء .

كقوله في وصف الحديث النبوي:

أمـــا حـديثك فـي الـعقـول فـمشرع   والـعـلـم والـحـكـم الـغـوالـى الـمـاء

جـرت الـفـصـاحة مـن يـنـابيع النّهـى   مـن دوحــــه وتـفـجّـر الإنشـاء

فـي بـحـره لـلسـابـحين بـه عـلـى   أدب الـحـــــيـاة وعلمهـا إرسـاء

أتــت الـدهــور عــلــى سلافتـه ولـم   تـفــن السُّـلاف ولا سـلا الـنـدمـاء (١)

ويقول أحمد الحوفي عن فكر شوقي كذلك:

"فـالحديث النبوي مورد للعلم والحكمة ، ثم دوحة ، ثم ينبوع ، ثم بحر ، ثم خمر ، وفي هذا خـلـط فـي الـصــــورة وبعد عن الملاءمة ، ولو أنه صوره بواحد من هذه وأكمل الصورة بما يلائمها لجاء ت منسقة مكتملة ، وقد تجئ غير مقبولة ، كقوله :

الــعــرش تــحتك سُـدَّة وقـوائـمهــا   ومـنـــاكـب الـروح الأميـن وطـاء (٢)

فهذا تصوير فيه غموض ومجاوزة للحد ، لأن موضع العرش تحت النبي صلى الله عليه وسلم غير مفهوم ، ولأن العرش ليس له باب وأعمدة ، ثم كيف يستساغ أن يقف النبي صلى الله عليه وسلم عـلـى مـنـاكـب جبريل؟ إن هذه صورة لا تليق بالحامل ولا بالمحمول .... ومثل قوله في وصف الحديث النبوي :

أتــت الـدهــور عــلـى سلافتـه ولـم   تـفــن السلاف ولا سـلا الـنـدمـاء (٣)

لأنـه لا يـليـق تـصـويـر الـحـديـث الـنبوي وسلطان بلاغته بالخمر ، ولا يصح تصوير دراسية والـمـعـجبيـن بما تضمن من روعة وهداية وتشريع بشاربى الخمر ، لأن المقام أجل ولأن الخمر حرام في الإسلام ، إلا إذا أراد الخمر الصوفية وهي رمز للوجد عند الصوفي .

وكـان طبيـعة شـعـر شوقي جامدة وتجري على عمود الشعر العربي من حيث كثرة الأخيلة ، وتـحـويـل صورها إلى أصداف من التشبيهات والاستعارات وهي أصداف قد تلمع ، وملأت قصيدته بالتشبيهات والاستعارات المادية هي "الربيع و وادئ النيل" وبجمال في التصور" .(٤)

١- الشوقيات : ٣٧/١.

٢- الشوقيات: ٣٩/١.

٣- الشوقيات : ٣٧/١.

٤- انظر : أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي، ص٢٨٣.

الألفاظ والتراكيب

قال الحوفي :

"شوقي بارع في انتقاء الألفاظ ملائمة للعاطفة موائمة للفكرة ، ومن هنا كثرت في شعره الديني مفردات مستقاه من الدين أو موصولة به .

ومن هذه الكلمات : الهدى ، الروح ، الملأ ، العرش ،السدرة ، الوحي ، الملائكة، الرسل، اللوح ، القلم ، الحنائف ، النبوة ، الفرقان ، التوراة ، الأنجيل ، التوحيد ، الشفاعة ، الشريعة، الرضوان.

أما التركيب فإن طابعة العام الجزاله والفخامة ".(١)

ولم يشذ من هذا الحكم إلا قصيدته في ذكرى المولد التي مطلعها :

به سحر يتيمه كلا جفنيك يعلمه (٢)

فإن عبارتها رقيقة غاية الرقة ، واستعمال كلمة "حظيرة " في قوله :

الله هيأمن حظيرة قدسه نزلا لذاتك لم يجزه علاء (٣)

وقوله :

والعرش يزهو و الحظيرة تزدهي والمنتهى والسدرة العصماء (٤)

ويقول أحمد الحوفي :

"لأن الحظيرة جرين التمر والمحيط بالشئ خشبا أو نصبا ومكان الغنم وإن جاء في معانيها المعجمية "حظيرة القدس هي الجنة " (٥)

وكان شوقي يعد شاعر معروفا ونجد الإسلام في شعره ، ولكن التقليد قد غلب على أكثر شعره .

ويقول الزيات في هذا الصدد :

وكان شوقي صاحب قوة الوصف والتصوير وعنده الخيال الخصب ودقة المعاني وتنوع

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨٦ .

٢- الشوقيات : ١٣٨/٢ .

٣- الشوقيات: ٣٩/١ .

٤- نفس المرجع : ٣٤/١ .

٥- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعرشوقي ، ص ٢٨٦ .

الأغـراض ، ولـه أيـضـا صـلاحية حسن اختيار الألفاظ وتأليفها ما يرفعه إلى أريكة الشعر السامية ، وله تأثير واضح في شعراء معاصريه ومقام أرفع غير مستنكرة ".(١)

الجناس

وقال الحوفي :

"وكـان شـوقـي يـحـفـل بالجرس ، ويؤثر التعبير المتميز بموسيقاه وانسجام مفرداته وتلاحق رنـاتها ، ومن هنا كثر الجناس في شعره ، على أنه قلما كان يعتسف التجنيس أو يترصد له متغاضيا عن جودة الفكر أو العبارة "(٢)

من الجناس قوله:

وإذا بـنيـت فـخـيـر زوج عشرة ... وإذا ابتـنيـت فـدونك الآبـاء (٣)

وقوله:

قـد نـال بـالهـادي الـكـريم وبـالهدى ... مـالـم تـنـل مـن سـؤددسيـنـا (٤)

وقوله :

وجـد الـزعـاف مـن الـسـموم لأجلها ... كـالشّهـد ثـم تتـابـع الشهـداء (٥)

الطباق

وكـان شـوقـي يـحتـفـي بتـوضيـع فكرته ، وكان يعنى بجلاء عاطفته ، ومن وسائله إلى ذلك مقارنة الشئ بغيره ، وموازنة النقيض بنقيضه ، ومن هنا كثرة الطباق في شعره ، وقلما جاء طباقه متكلفا أو مزدولا ومن أمثله ذلك قوله:

وإذا أخـذت الـعـهـد أو أعـطيتـه ... فـجـميـع عهـدك ذمة و وفـاء (٦)

١- الزيات ، أحمد حسن : تاريخ الأدب العربي ، ص ٣٧٠.

٢- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٨٦، ٢٨٧.

٣- الشوقيات : ٣٦/١.

٤- نفس المرجع : ٣٧/١.

٥- نفس المرجع: ٣٨/١.

٦- نفس المرجع: ٣٦/١.

وقوله :

لـمـا دعـوت الـنـاس لبّـى عـاقـل　　وأصـم مـنك الـجـاهـلين نـداء (١)

وقوله:

كـانـت لـجـنـد الله فيهـا شـدة　　فـي أثـرهـا لـلعـالـمين رخـاء (٢)

حسن النسق

شـوقـي بـارع في استعمال الفاء في عطف كلمات كثيرة يرتب بعضها على بعض ، وقد كان شوقي صاحب افتنان في حسن النسق بعامة .

كقوله :

قـل لبـان بـنـى فشـاد فـخـال　　لـم يـجـز مـصرفي الـزمان بـنـاء

وقوله:

وقيـل الثـغـرة فـاتـأدت فـأرست　　فـكـانـت مـن ثـراك الـطهـر قـامـا

وقوله :

نـظـرة فابتـسامـه فـسـلام　　فـكـلام فـمـوعـد فـلـقـاء (٣)

الترصيع

أمـا الـترصيـع هـو الـسجـع في البيـت الـواحد ، وهو ضرب من الإيقاع الصوتي والانسجام الـمـوسيقـى ، وقد عده البلاغيون أعلى أنواع السجع ، لأن التتابع في الكلمات ورنين مقاطعها يطبع الـتعبيـر بـطـابع صوتى رنان يستطيبه السمع وتستحليه النفس ، ولا شك أنه يزيد الشعر موسيقى ، لأن الأصـوات تتـكـرر فـي البيـت مضافة إلى تكرار القافية والوزن ، فتجعله شبيها بفاصلة موسيقية متعددة النغم .

ويقول أحمد الحوفي :

و"إن التـرصيـع يـكتسب جماله من قدرته ومن طواعيته ، فإذا كثر أو تكلفه الشاعر ثقل ، لأن

١ـ الشوقيات : ١/٣٨.

٢ـ الشوقيات : ١/٣٨.

٣ـ أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٩١.

الإسـراف فـي التـجـانس قبيح في الموسيقى والشعر . لذلك كان قدامة بن جعفر على حق في قوله إن التـرصيع يحسن إذا اتفق له في البيت موضع يليق به ، وإنه معيب إذا تواتر واتصل في الأبيات، لأنه دال عـلى التعـمـد والتكلف ، و وافقه أبو الهلال في هذا الرأى ، وقال إن القدماء ارتكبوا هذا فبانت على أبياتهم سمة التعسف ، وقلما عمد شوقي إلى الترصيع " .(١)

الموسيقى في شعره

كـانـت الموسيقى أروع خصال شعر شوقي الفنيّة فلا نستمع إلى شئي من شعره حتى نعرفه و ثبتـت فـي نـفسـنا نغماته التي تتوالى نغمه حلوة بجانب نغمة حلوة ، وبلا أي غلو نستطيع أن نقول أن شـعـره يؤلف أروع ألحان عرفت في عصر الحديث ، إذ يعتصر من الألفاظ والأساليب خير ما فيها من ألحان، نسعفه في ذلك فطرة موسيقية رائعة .

وهذا الحفلة الموسيقية في شعره تسندها عنده خصلة التصوير البارع ، ويعرف كيف يفيد من كنوز التشبيهات والاستعارات .

ويقول شوقي ضيف:

"وخلق شوقي موسيقياً ، له إذن لا تباري في سماع الألفاظ وتأليف الألحان الشعرية ، ولو أنه لـم يتـجـه إلـى الشـعـر لـكان مغنياً أو موسيقاراً من الطراز الأول ، وإذ كان معجباً بالغناء والمغنين من جهة، وكـان شـعـره نفسه حلاوة موسيقية ساحرة من جهة ثانية ، فتألف الفنان . وجاء شوقي والشعر الـمـصـري ينتقل عند محمود سامي البارودي (٢) من فلك الجمود والركود إلى فلك التحرر والتعبير الصادق ، فكان كالشجرة الطيبة تنبت في الأرض الكريمة .

فتثبـت فيهـا جـذورهـا ، وتخرج منها ساقها وأغصانها ، وتستوي أوراقها وأزهارها وثمارها، وكـأن الـقدر ساق البارودي ليكون رائد الطريق لشوقي ، فلم يلبث حين فتح عينيه على الوجود الفني أن رأى مصاحبه يضيء ، فسار على هديه واحتذى على أمثلته ونماذجه .

وكـان البـارودي قـد خـلـع عـن شـعره كل العقد التي كان يجعل فيها الشعراء من قبله أمثال

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص٢٩١- ٢٩٢.

- وانظر: شوقي ضيف ، الدكتور : فصول في الشعر ونقده.الطبعة الثالثة . مصر : دار المعارف . بدون التاريخ.ص٣٣٨.

٢- كان شاعراً شهيراً مصرياً في آخر القرن التاسع عشر .

الدرويش والخشاب ومن حوله أمثال الساعاتى وعلى الليثى ، ونفخ فيه روحاً جديدة من الأصالة، وأزال عنه كل ما يعوقه من أعشاب البديع، فانفجر النبع، وتدفق الشعر والفن. وكلنا نعرف كيف أن البارودي رجع بالشعر إلى أساليبه القديمة الرصينة ، وكيف أخرجه من حيز المعاني المحفوظة التي ترصّ رصّا إلى فسحة واسعة من التعبير عن العواطف والعصر وحوادثه النفسية ، فكان بذلك رائد نهضتنا الشعرية الحديثة".(١)

ثم يقول:

"وتخرج شوقي في شعره وعلى ديوانه ، فلم ينحرف إلى بديعيات ولا إلى مبالغات ، بل اتخذ مذهب أستاذه في صبّ قواليه ونحت تراكيبه ، وهي في جملتها تتألف من الألفاظ الجزلة المتبيّنة ، وقد انفتحت أمامه آفاق وعوالم جديدة ، إذ أتقن الفرنسية ودرس القانون وسرّح الطرف في مجال الضرب ، ومع ذلك كله ظلت قوالبه من بداية شعره إلى نهايته فخمة ، كأنها أهرام وطنه ، أو كأنها فخور هذه الأهرام ، وتصفح ديوانه "الشوقيات" فستجد الكثرة من قصائده كأنها قصور مشيدة ، فهي بناء ضخم يشدُّ بعضه بعضاً .

وهو بناء مصقول ، ليس فيه نبو ولا شذوذ ، أحكمت ألفاظه ، أو أحكمت صخوره ، أبدع إحكام، بل قد يكون التعبير بالبناء عن قصائد شوقي مضلا ، إلا إذا مهمنا كلمة البناء على أنها العمل الفني الكبير ، على نحو ما يعبر الموسيقيون عن "سيمفونية" خاصة بموسيقار شهير ، بأنها عمارة بازخة".(٢)

فالموسيقى غالباً رنانة ضخمة حلوة ، إذ كان شوقي يعرف دائما كيف يستخرج من ألفاظ اللغة كل ما تملك من رنين أو جرس ، أو بعبارة أدق كل ممكناتها الموسيقية، وكانت تسعفه في ذلك ثقافة واسعة باللغة ، حتى ليحكى كاتبه أنه كان يحفظ مواد كاملة من المعاجم اللغوية. والأداء الموسيقى الباهر حقاً هو أروع الخصال في شاعريته ، إذ استطاع أن يستخرج من قيثارة الشعر العربي أرصنّ وأرقّ ما تحمل في باطنها من أنغام وألحان.

القافية

ويقول أحمد الحوفي:

ولعلّ أهم عناصر الموسيقى في الشعر هو القافية ، وإن ترى أن شوقي قد تباعد في شعره كله

١- شوقي ضيف ، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث ، ص ٤٦ .

٢- نفس المرجع ، ص٤٧ .

عن الحروف التي لا تلائم القافية ، لأنها ثقيلة على اللسان والأذن ، أو لأنها خالية من الرنين، وهي الخاء والصاد والغين والثاء والذال والزاى والشين والطاء والظاء . وإذا كان نظر الفحول من الشعراء قد تكلفوا هذه القوافي إظهار البراعتهم اللغوية واقتدارهم على الصّعب الذي تحاشاه أكثر الشعراء فإن شوقي قد سلم من هذا التورط الذي لا طائل من ورائه ، ثم إنه إلى ذلك بارع في الملاء مة بين شطرى البيت بحيث يستدعى أوله آخره ويعائق عجزه صدره ومن هنا جاء ت قوافيه متمكنة لا قلق فيها ولا حشو ولا اعتساف ولا شك أن مرد هذا التمكن إلى سلامة فطرته وصفاء قريحته ورهانة حسه وثرائه اللغوي واقتداره على التعبير و ولعه بالتجويد وكلفه بالجرس والتغنيم من ذلك قوله :

ولد الهدى فالكائنات ضياء　　　وفم الزمان تبسم وثناء (١)

فالشطران متكاملان أنما تكامل ، لأن الفرحة بمولد النبي ﷺ عمت فشملت الكائنات والزمن .

وقوله يصف ارتفاع الأمواج بأنه قيام الله ، ويصف هديرها بأنه دعاء :

فإذا ما علت فذاك قيام　　　وإذا ما رغت فذاك دعاء (٢)

لأن القيام للعبادة والدعاء متناسبان مترابطان ، وقوله في التضجع على أدرنة لما استولى عليها البلغار:

يا أخت أندلس عليك سلام　　　هوت الخلافة عنك والإسلام (٣)

ففي الشطر الأول وداع حزين ، وفي الشطر الثاني بيان للفاجعة وفقدان أدرنة التي ودعها ، وقوله في ضرورة الحرب التي لا مفرمنها :

الحرب في حق لديك شريعة　　　ومن السموم الناقعات دواء (٤)

لأنه جعل الحرب الحامية للعقيدة وللحقيقة قانونا مشروعا لحماية البشر من الضلال والشرك وتطهير قلوبهم من الأباطيل ، وعقب على هذا بأن السموم المهلكة يتخذ الدواء منها أحيانا".(٥)

١- الشوقيات : ١/٣٤.
٢- الشوقيات : ١/١٧.
٣- الشوقيات: ١/٢٣٠.
٤- الشوقيات: ١/٣٨.
٥- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي، ص٢٨٥ .

العروبة في شعر شوقي

يقول الدكتور أحمد الحوفي:

"ما كاد القرن التاسع عشر يتنفس صباحه حتى جعلت حماسة العرب إلى الوحدة تتأجج، وشرع أدباء هم يدعون إلى الوحدة، ويتلهفون على تحقيقها بعد أن انفصمت عرى الخلافة العثمانية، وسارع العرب إلى مجاهدة المحتلين، ليتحرروا من أوهاق الاحتلال البغيض.

ولقد طالما جلجل شعراء العصر الحديث بالعروبة من الخليج إلى المحيط، حاملين على الاستعمار الذي خرّب العمران، وقوّض البنيان، وقعد بالعرب عن مجاراة الزمن، ونفث في قوامهم سموم الضعف والانقسام، وكاد ينسيهم ماضيهم المجيد وعزتهم الموروثة.

وتنبه شوقي إلى أن اللغة أقوى رابطة في روابط القومية. وأعظم سبب في جمع شمل الأمة، ونصح لهم أن يتعلموا اللغة العربية، ويصطنعوها لغة ثانية لهم، ليتقربوا إلى العرب بوسيلة أخرى مع قرب الدين، قال في سنة ١٩٠١م.

شمل اللغات لدى الأقوام ملتئم والضاد فينا بشمل غير ملتئم

فقرّبوا بيننا فيها وبينكم فإنها أوثق الأسباب والذمم (١)

ثم يرد مزيد قائلاً:

"ولم يكن شوقي خياليا في دعوته الترك إلى أن يستعربوا، أو إلى أن يتعلموا اللغة العربية ليتدانوا إلى العرب، لأنهم كانوا في عهدهم الأول يتعلمون اللغة العربية، ويتكلمون بها ويضعون مؤلفات فيها، مثل الفيروز آبادي و أبي السعود، وملا خسرو والجامي وحاجي خليفة وابن كمال باشا. هكذا شعره كان مفيدا جداً لروابط بين أقوام مختلفة".(٢)

التعبير بالتصوير

وتنحصر عظمته الفنية على نبوغه في ذكر تصوير ما حوله. وهو حاذق على تقديم تصوير تحليلي(Analytical) و على تصوير غير تحليلي (Synthetical) وهو يسرد منظر ما بكل الوضوع وجزياته في يبرز من جزو صورة كاملة.

يقول شوقي في قصة معراج:

تغشى الغيوب من العوالم حكما طويت سماء قلدتك سماء

في كل منطقة حواشي نورها نون وانت النطقة الزهراء

١- أحمد الحوفي، الدكتور: أضواء على الأدب الحديث، ص ٧ - ٨.

٢- نفس المرجع.

أنت الجمال بها وانت المجتلى　　والكف والمرأة والحسناء
الله هيّأ من حظيرة قدسه　　نزلا لذاتك لم يجزه علاء
العرش تحتك سدة قوائماً　　ومناكب الروح الأمين وطاء (١)

وكان شوقي أحسن تصويرا تركيبياً ، كأنه يعرف كيف يضمّ مناظر مختلفة إلى منظر واحد، يظهر نبوغه ذاك الوقت لما يركّب بضعة مناظر من عالم الحس والشعور وبضعة من العالم السماوي. ولكن بقوة الفكر ادغم شوقي كل المناظر في هيئة الحس والشعور .حيث رسم حركة الورى وزينته على ولادة رسول الكريم ﷺ هكذا.

اثنى المسيح عليه خلف سمائه　　وتهللت واهتزت العذراء
الحق عالى الركن فيه مظفر　　في الملك لا يعلو عليه لواء
ذعرت عروش الظالمين وزلزلت　　وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم　　خمدت ذوائبها وغاض الماء
والأى تترى والخوارق رحمة　　جبريل روّاح بها غداء (٢)

غزارة التخيل والفكر

ويصنع شوقي تصوير الحقيقة بالألوان الجميلة على ستار الخيال بقوة التخيل وهو حاذق فيه .

ويقول شوقي ضيف :

"صور و اشباح متحركة تفد عليك من كل جانب ، وكأنها تريد أن تأخذ عليك كل طرقك حتى تعلن اعجابك بصاحبها ." (٣)

ويخلّق شوقي منظراً جميلاً لإظهار عظمة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ويقول:

ولد الهدى فالكائنات ضياء　　وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملاء الملائك حوله　　للدين والدنيا به بشراء
والعرش يزهو والحظيرة تزدهي　　والمنتهى والسدرة العصماء

١- الشوقيات : ٤١/١.

٢- الشوقيات : ٣٧/١.

٣- شوقي ضيف ، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث ، ص ٤٩.

وحـديـقة الـفـرقـان ضـاحـكة الـربـى	بـالـتـرجـمـان شـذية غـنـاء
والـوحـي يـقـطـر سـلسلاً مـن سـلسلٍ	والـلـوح والـقـلـم البـديـع رواء
نـظـمـت اسـامـى الـرسل فهي صحيفة	فـي الـلـوح واسـم مـحـمـد طـغـراء
اسـم الـجـلالة فـي بـديـع حـروفـه	الف هـنـالك واسـم طـه البـاء (١)

ويقول شوقي ضيف في هذا الصدد :

"إن الإنسان ليخيل إليه إنه لم تكن تفوته (أي شوقي) لفتة أو حركة لشيئ أو لصورة إلا اخترنها في ذاكرته ، ودعاها في حافظته ليلقى بها عند الحاجة رسماً أو لوحة باهرة".(٢)

ثم يقول :

"فإنك تراه صورة كاملة ، وكان خيال شوقي على هذه الشاكلة الطائرة التي تضم شيئاً بعيداً بعد شيئ بعيد ، وهو لذلك خيال متألق ففيه هبات السماء ، واشعاعات الشعر التي ترجعنا من دنيانا الحسية إلى دنيا حالمة واهمة ، وكان يعرف كيف يذيع ذلك حتى في داخل الحقائق نفسها".(٣)

إيجاز واطناب

ومدائح شوقي أمثلة جيدة الايجاز و الاطناب ، ويبين معاني كثيرة في الفاظ قليلة ، وشعره الواحد يحمل حقائق وصوراً عديدة ويحس القارئ نبوغه وبديع فكره ومهاراته خلال مطالعة شعره .

كمايقول:

بك بشـر اللّه السـمـاء فـزيـنـت	وتـضـوعـت سـكـابك الـغـراء
اثـنـى الـمسيـح عـليـه خـلف سمائه	وتهـلـلـت و اقـفـرت الـعـذراء (٤)

ثم يقول:

أمـا حـديثك فـي الـعـقـول فـمشرع	والـعـلـم والـحـكـم الـغـواى الـمـاء
هـو صبـغة الـفـرقـان نـفـحـه قـدسـه	والسيـن مـن سـوراتـه والـراء (٥)

١- الشوقيات : ١/٣٤. وانظر: شوقي ضيف ، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث ، ص ٤٩.

٢- شوقي ضيف ، الدكتور: شوقي شاعر العصر الحديث : ص٥٢.

٣- نفس المرجع.

٤- الشوقيات : ١/٣٦، ٣٧.

٥- نفس المرجع : ١/٣٩.

صنائع وبدائع

وقد زين شوقي شعره بالصنائع والبدائع اللفظية وقد استعمل أقسام الابهام باللطافة خاصة .

كما يقول في شعره :

بدر تطلع في بدر فغرته كغرة النصر تجلوداجى الظلم (١)

ثم يقول :

ذكرت باليتم في القرآن تكرمه وقيمة اللؤلوء المكنون في اليتم (٢)

هذا مثال جيد لحسن التعليل ،و نجد بعض أمثال الإبهام فيما يلي:

الخيل تأبى غير أحمد حامياً ومها اذ ذكر اسم خيلاء (٣)

يوحى إليك الفوز في ظلماته متتابعا تحلى به الظلماء (٤)

وقد لاحظنا خصائص كلام شوقي في الصفحات السابقة . والآن نبين خصائص كلام إقال بالإجمال.

خصائص شعر إقبال

أسلوبه

وكان إقبال شاعرا منفردا في تاريخ المسلمين كله . وأنشد أيضاً في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كشعراء الإسلام الذين سبقوه ويظهر في شعره ولوعة حبه للرسول وكذلك قلقه الشديد لما آل إليه أمر الأمة وكذلك مؤثرات الحضارة الأروبية ، وتصوراتهم لمفهوم الوطنية الضالة ومستعمرات المسلمين وتدهور أحوال الأمة الإسلامية ومخاطبته للرسول ﷺ عن هذه الأحوال .

ويقول صادق نسيم عن شعر إقبال:

"خلال حديثه عن الفلسفة والأدلة الكلامية عند ما يصل إلى ذكر الرسول ينسى نفسه"(٥)

وفي عشق النبي يقول مخاطبا للإنسان ،مثل :

١- الشوقيات : ١/٢٤١.

٢- الشوقيات : ١/٢٤١.

٣- نفس المرجع، ١/٤١.

٤- نفس المرجع، ١/٣٩.

٥- الجريدة الشهرية ، أدبيات ، أبريل ١٩٨٠ ، ص ٢٤ .تحت عنوان : إقبال منفرد نعت گو ، لصادق نسيم.

قوتِ عشق سے ہر پست کو بالا کردے　　دھر میں اسم محمد سے اجالا کردے (١)

فبـاسـم مـحـمـد شـمـس البـرايـا　　أقيـمـت خيـمـة الـفـلـك الـمـنيـر (٢)

وكذلك بالفارسية:

بـه مـصـطفى به رسان خويش را كه دين همه اوست　　اگـر بـه او نـه رسيـدى تمـام بولهبـى اسـت (٣)

(عليك أن تصل بنفسك إلى النبي فإن الدين كله　　فإن لم تصل إليه، فكل هذا يعد، من أعمال أبي لهب) (٤)

التحليل الفني للأسلوب

ومـن الـمـعـروف أن الـعاطفة هي التي تشرح لنا خواص الصورة الأدبية الصالحة للتعبير عنها وإثارتها، وأول ما يبدوا من ذلك أن لغة العاطفة يجب أن تكون مألوفة جزالة بعيدة عن المصطلحات الـعلمية والكلمات الغريبة ما دامت الدراسة العلمية أو التحليلية لا يوجد في بحث الإحساس الأدبي ولا بـد أن يـكـون الـقـصـد إلـى العواطف عن طريقه غير مباشرة أي افتراضية رمزية والرباعيات التالية تعطي تفسير:

زمـن هـنـگـامـهٔ ده اين جهـان را　　دگـر گـون كـن زميـن وآسـمـان را

ز خـاك مـا دگـر آدم بـر انگـيـز　　بـكـش ايـن بـندهٔ سـود وزيـان را (٥)

أثـر دنيـاك خـذ مـنـي الـمثيـرا　　بهـا التـغيـر فـاجعلـه الـكبيـرا

لك الإنسـان فـخـلـق من ثـراهـا　　أبـر مـن كـان لـلـمـال الأسيـرا (٦)

ثم يقول:

نـگـاه تـو عتـاب آلـود تـا چـنـد　　بتـان حـاضـر وموجـود تـا چـنـد

١- كليات إقبال(الأردية) بانك درا، ص ٣٦٠.

٢- الترجمة العربية، المصري، صاوي شعلان، صلصلة الجرس، ص ١٠٩.

٣- كليات اقبال (الأردية) ارمغان حجاز، ص ١١٤٠. (شعر هذا بلسان الفارسية).

٤- الترجمة العربية: المصري، د.حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ٥٤٤.

٥- كليات إقبال(فارسى) ارمغان حجاز، ص ١٨.

٦- الترجمة العربية: المصري، د.حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ٣٢٥.

دريــن بتـــخـــانـــه اولاد ابـــراهـيــم نــمك پــروردهٔ نــمــرود تــا چـنـد (١)

إلام بــعيـــن عتبك أنـــت تــنــظـر وأصـــنـــام لـــديك إلام تــحـضـر

لأبـــنـــاء الــخــليـــل رأيــت دارا ونـــمـــرود يــربُّهــم ويــكــفــر (٢)

ثـم إن الـعـبـــارة تخـتـلف بإختلاف العاطفة فإذا كانت عاطفة متوسطة أو قصيدة تعبر عن الإعـجـاب بـالـوردة ، احتاجت إلى سهولة العبارة وجمال الصورو الإيجاز الكافي وإذا كانت عميقة خـالدة تتصل بأصول الحياة وطبائع الناس إقتضت تعبيرا جزلا شديدا وصورا محكمة قد تكون تمثيلا أو كنايات أو مطابقة أو نحوها وقد تعوزها بساطة القول وتعدد الصور الخيالية لطرافتها وحاجتها إلى الإسهـاب ، ويتمثل هذا في قصيدة إقبال التي قالها في رثائه لصديقه مسعودفهي تمتاز بفخامة وعظمة الأسـلـوب الأدائـي ثـم الـمـوسيـقـى ونـغمة الشعر ،فبناء القصيدة يمتاز بالاصالة فهي تنمو من خلال الأسـلـوب والبيـان الذي يرتفع فوق مستوي المقالة العادية فهناك التنوع الخصب في الأسلوب الذي يشـمـل التـعبيـرات الأليـفة التي تسير جنبا إلى جنب مع التأملات الفلسفية ولكن الأسلوب يظل رائعا باستمرار ، والواقع أن جمال الأسلوب يجعل القصيدة إحدى روائع المرثيات في اللغة الأردية ، فإقبال قد أعطانا أجود ما يمكن أن يعطى .

الصورة الأدبية

ويقول سمير عبدالحميد:

والـصـــورة الأدبية مرتبطة بالمعاني اللغوية للألفاظ ويرتبط بها الموسيقى ومعانيها المجازية وحسن تأليفها معا بحيث يكون من ذلك كله تأثيران .

أحدهما معنوي عاطفي والثاني موسيقى :

ويعين في قوة العاطفة وسرعة تأثيرها وهذا يسمى حسن النظم أو جمال الأسلوب ، والعاطفة تـخـتـلف بـإخـتـلاف الأدبـاء . ويتبع ذلك اختلاف الصورة الأدبية التي تؤدي هذه العواطف فالشعراء يتبـادلـون الشـئ الواحد معجبين به ولكن سبب الإعجاب أو مستواه مختلف بينهم . فإذا بصور أدبية متبـايـنة لـلشـعـور الـواحـد فـي أصـله المتعدد بتعدد المشتركين فيه ، وهاهو إقبال يتحدث عن فكرة الموت.

١- كليات إقبال (فارسى) ارمغان حجاز ، ص ٢٤ .

٢- الترجمة العربية: المصري ،د.حسين مجيب : هدية المجاز ، ص ٤٢٧ .

سرود رفته باز آيد كه نايد   نسيمے از حجاز آيد كه نايد؟
سر آمد روزگار ايں فقيرے   دگر دانائے راز آيد كه نايد؟ (١)

أيرجع من نعيمي ما تولّى   ومن أرض الحجاز الريح؟ كلا
وهذا العمر يا لهفي تقضى   فهلّا عاد من أحببت هلا؟ (٢)

ثم يقول إقبال :

چه خوش صحرا كه شامش صبح خنداست   شبش كوتاه و روز او بلند است
قدم اے راهرو آهسته ترنه   چو ما هر ذرهٔ او دردمنداست (٣)

مساء مثل فجر قد تبسم   تمطّى صبحها والليل أظلم
تمهّل إن خطوتَ على رمال   كقلبي كلها قلب تألم (٤)

ومن هنا نصل إلى نتيجة أن هناك شدة ارتباط بين المادة والصورة أو بين اللفظ والمعنى أو بين الفكرة والعاطفة من ناحية ، والخيال واللفظ من ناحية ثانية وأن أي تغيير في المادة تستتبع نظيره في الصورة والعكس صحيح وأن الأدب القوي الخالد يقوم على صدق الشعور وصحة التفكير ثم الرغبة الصادقة في نقلهما إلى القراء كما هي والقدرة البيانية المتجلية في الصورة الأدبية وكلما كانت الصور الأدبية رائعة كلما استطاع الشاعر أن يجسد الأفكار و تشعر بالمعنويات كأنها محسوسات نكاد نلمسها كما أنه يستطيع في سهولة ويسر أن ينطلق من المحسوسات إلى المعنويات وأن يمزج بين الطبعية والحياة والنفس الإنسانية في صورة متكاملة تجمع عمق التأمل إلى روعة التصوير".(٥)

ويقول إقبال :

نم اشك است در چشم سياهش   ولم سوز دز آه صبح گاهش
همان مے كو ضميرم را بر افروخت   پيا پے ريز و از موج نگاهش (٦)

ترقرق دمعها سود العيون   ومن زفراتها كانت شجوني

١- كليات إقبال ، (فارسى) ارمغان حجاز ، ص ٢٤.
٢- الترجمة العربية : المصري ، د.حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ٤٢٧.
٣- كليات إقبال (فارسى) ارمغان حجاز : ص ٥٠.
٤- الترجمة العربية: المصري ، د.حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ٤٣٦.
٥- سمير ، عبدالحميد ابراهيم : ارمغانِ حجاز ، ص٩٤.
٦- كليات إقبال (فارسى) ، ارمغان حجاز ، ص ٤٨.

مـدام اضـرمـت في الـقـلـب نـارا   بـنـظـرتهـا كـمـوج يحتـويـنـي (١)

الوزن والقافية والموسيقى

ويقول عبدالوهاب عزام عن موسيقى إقبال:

"وميدان الشاعر ليس هو اللفظ من حيث أنه صوت أو أصوات اصطلح على معناها وإنما مجالاته في تركيب هذه الأصوات بحيث تنسجم وتتوافق انسجاما وتوافقاً لا يأتي من طبعية اللفظ كما أن مجالاته في ارتباطات هذه المعاني لأنه لا مجال لإبداع الفن في اللفظ نفسه، ويتجلى أثر الإحساس الموسيقى في شعر إقبال في التوسع في الأوزان المناسبة، وأوزان شعر إقبال هي الأوزان الفارسية كلها وهي أوزان أخذها شعراء الفرس عن الأوزان العربية وتصرفوا فيها و زادوا عليها، والقوافي الفارسية كذلك، أما عن أنواع القوافي ففيها الرباعيات وهي تحتل الجزء الأعظم من أرمغان حجاز . فالجزء الفارسي جميعه عدا بعض القطع التي ذكرها ضمن النظم الأردي، نظم على طريقة بعدد الرباعيات، أو في دواوين إقبال جميعها .

لا بد من نغمة ربيبة الجنون، هي حريق في شغاف القلب، إن في الألحان لمقاما تسمع فيه بغير لفظ الكلام، والنغمة المضيئة هي سراج الفطرة في كل ظلام، معناها يخلق كل صورة، وكل ناغم بغيرها جثة هامدة، ونغماته شرار نار خامدة ".(٢)

البلاغة والفصاحة

ومن أهم الخصائص المشاهدة في شعر إقبال هو بلاغته وفصاحته المشبوبة بالعاطفة الواضحة الجليلة دون مجهود، فهو في هذا يصل إلى قمة علوية، بالإضافة إلى الإتساق اللحني في اللغة مهما كان الموضوع يطرقه، ونشاهد نفس تدفق الافكار المغلضة باللغة الجميلة بحيث يجد الفرد صعوبة في أن يفرق .

هل هذا هو روعة الفكر نفسه أم روعة التعبير، أي منهما هو مصدر البهجة والروعة، وبصرف النظر عن القيمة العظيمة لفكره فإن شعر إقبال نال الشهرة نتيجة للألفاظ المنتقاة والخيال الحي المشرق المضحم بالحيوية، فقد نجح إقبال نجاحا ملحوظا في إعطاء فلسفته أداء شعريا، وقوة

١- الترجمة العربية : المصري : د. حسين مجيب : هدية الحجاز، ص ٤٣٦ .

٢- عزام، عبدالوهاب، الدكتور: محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، ص ١٥٥-١٥٦ .

وجـدة خيـالـه ، تـعتبر مأثره لفصاحته وبلاغته الفريدة و وفرة الموسيقى، نشاهدها في كل بيت كتبه كـمـا نشاهد الغنى والفتنة حتى في مثنوياته فإن فصاحته وبلاغته تقدم روعة وجمالا متدفقا. وقد قرر أحـد أصـدقـاء إقبال أن إقبال كان حين ترد عليه حالة التأليف فإن تدفق الشعر يبدو متواصلا مستمرا ، وهذه التلقائية كانت نتيجة لسجية الشعرية وتوجد البلاغة الرائعة في كل ما كتب بل أن وهج وحرارة الإلهام لهم يتفاعل أبدا .

وينقل سمير قول د. يوسف حسين في كتابه:

و"إن كـلام إقبـال يـمثـل أمـام أعينـنـا جـوهـرا البلاغة في المعاني والألفاظ فقد قدم الصور الـمـجـردة بروعة فائقة في قالب الحياة والحركة واختار شكل الإستعارة لأفكاره وصوره المحسوسة فـكثيرا من الشعراء كتبوا الكثير من الأشعار فيما يتعلق بزوال الحسن إلا أن إقبال قد كشف النقاب في مـنـظـومتـه "حـقيقت حسن " عن الجوهر الأبدي للكائنات بطريقة نادرة فريدة ومن ناحية المحاسن اللفظية والمعنوية تعد من أحسن منظوماته " .(١)

خدا سے حسن نے ایک روز یہ سوال کیا	جہاں میں کیوں نہ تو نے مجھے لازوال کیا
ملا جواب کہ تصویر خانہ ہے دنیا	شب دراز عدم کا فسانہ ہے دنیا (٢)
سـأل الـجـمـال الله ذات يـوم	لـمـاذا لـم تـخـلـدني في هذه الدنيا
فـأجـاب الله : هـذه الـدنيـا كـالمرسم	إنهـا اسـطـورة ليل العدم الطويل (٣)

"ولأن هـذه الـدنيا خلقت من ألوان التغير فالجميل هو ذلك الشيئ الذي حقيقة الزوال ، كان الـقـمـر فـي مكان قريب فسمع هذه المحادثة ، وأشاع هذا بين الفلك وسمعته نجمة السحر وبعد أن سمع نجم السحر هذا الكلام ، قاله للندى فعرف كاتم أسرار الأرض كلام الفلك فترقرقت الدموع في الأزهـار مـن رسـالة الندى ودما قلب البرعم الصغير من الغم، وذهب الربيع من البستان باكيا والشباب الذي جاء منشرحا خرج متألما ".(٤)

فالشاعر يشير في هذا النظم إلى أن الحياة خاضعة للتغير والتبدل وكذلك الحسن والشباب أيضاً لايستغـنـي عـن الـتـغيـر ، فـالزمان خالقهم وهو مستعد أيضاً لإزالتهم وهذا ناتج عن تصور إقبال لحقيقة الـذات الـمتـعـلـقة بالزمان . فالذات عبارة عن التغير الدائم والتغير الملئ بأسرار العمل قابل للحدوث في الزمان لكنه يبقى في الداخل إلى الأبد لأنه يكون ما فوق الزمان ، وبسبب التغير تنال الذات سموها .

١- سمير ، عبدالحميد ، إبراهيم :ارمغان حجاز ، ص٩٦.

٢- كليات إقبال(الاردية) : بانك درا ،ص١٩٢.

٣- الترجمة العربية : سمير ، عبدالحميد إبراهيم : ارمغان حجاز ، ص٩٦.

٤- نفس المرجع.

وفي شعر إقبال نماذج عمدة للصور الشعرية يضع فيها الحياة الساكنة وهي تتوق إلى الإضطراب والنشاط و يعبر عن خيال رائع لم يطرقه أحد من قبل كما أنه في عرضه للمنظر يعطى صورة الفطرة من سرّ الالفاظ وفي منظومته "كشمير" نظم شعرا جسد به الحقيقة أمام الأعين فاستعمل بدقة الوزن والبحر المناسب للمضمون.

يقول سمير عبدالحميد :

"أن إقبال ملك التشبيه وأردنا مثالا لذلك فلنره في منظومته "جگنو" ... وكذلك في "بزم أنجم" وقد استخدم إقبال في الإستعارة والكناية ألفاظا خاصة للقادة السياسيين مثل : خاك باز، مورومگس ، إبليس كے فرزند (ابن الابليس) وارث جنكيز و پرويز ، ثم لفظ خودي ودلالته وقد ذكر المرحوم ظهير الدين علوي (١)، أمثله لذلك في كتاب خيابانِ اقبال.(٢) ونكتفي هنا فقط بالإشارة إليه.

ابتكارات إقبال في الشعر

التجديد في التعبيرات الشعرية

أ- الشعر الفارسي

يقول سمير عبدالحميد:

ومظهر الحدة شئي ملحوظ في شعر إقبال على الرغم من أنه لم يكن حقيقة ضد مقاومة التمسك بالتقاليد فهو يستخدم كلمات خاصة واصطلاحات ليعبر عن أفكاره الأصيلة ، بعض هذه الإصطلاحات ابتكرها وبعضها استخرجها من القديم فأحالها إلى حالة جديدة تماما، وعبارات إقبال أيضا تمثل حجر الأساس لقنطرة الإلهام الشعري ولأن نزع حجر الأساس بسبب السقوط المفاجئ للقنطرة الداخلية لذا فلو حاولنا استبدال الكلمة الأساسية أو الإصطلاح الأساسي بآخر، فإن التعبير الفني ينهاروا التعبير بالنسبة للتجربة الشعرية يعتمد على الكلمات والمصطلحات التي تشكل جوهر الفكرة ذاتها وعلى سبيل المثال ، فإن كلمة "قلندر" أنه هي المحور الذي يرتكز عليه سحر وهذا البيت:

١- العميد السابق لجامعة على كره .

٢- سمير ، عبدالحميد ، إبراهيم : ارمغان حجاز ، ص٩٨.

"مررت "بالبيت" من الخارج لكني قلت كل ما في البيت
كيف أن قلندراً مثلي قد قال مالم يقال من قبل"

فكلمة "قلندر" عند إقبال ترمز إلى الرجل الذي يتحدى التقاليد والشكليات وإقبال يجعل هذا البوهيمي ممثلا في الناظر الذي يمكن أن يعرف أسرار البيت دون الدخول فيه وتعبيره هذا يفرض بنفسه وزنه وأهميته، هذا من ناحية الفكرة إلا أن كلمة قلندرأنه تعطى سحراً جديداً وتهب الشعر حياة حقيقة".(١)

الشعر الأردي

وأما ناحية الشعر الأردي فإن لغة إقبال في شعره الأردي صافية نظيفة سهلة . وهذه السلاسة والنقاء أوجدت في فنه الحسن والجاذبية ، خلق إقبال اصطلاحات جديدة في اللغة تماما كما فعل في الفارسية كما اتسع الأدب الأردي بما أدخله من استعارات وتشبيهات حديثة ، فصور الطبعية في شعره الأردي ونظم عن "الهملايا" وصور الفراشة والبلبل وغيرها حيث يوجد قوة التصوير سواء من ناحية الخيال والفكر أو البيان والإبداع بالتشبيهات والاستعارات الرقيقة .

يقول سمير عبدالحميد :

وأدخل إقبال المضامين القديمة في إستعمالات حديثة وذلك في المضامين الدينية مثل كافرى ، دين داري، پيران حرم ، مقدر ، عرش برين ، ملت بيضاء ، طواف ، حج ، زكاة ، روزه ، نماز، أذان، جماعت، حرم ، توحيد ، جهاد ، يد بيضاء ، مسيح ، جمال ، جلال ، نور كليم ، خليل ، معجزة، وحي، زنار ، مصحف ، جبريل وغيرها .

وهذا بالإضافة إلى آلاف المصطلحات الجديدة التي استحدثها إقبال مثل :

حدى خوان ، افتراق بولهبى ، شيوه هائى خانقاهى ، بازيچه تأويل. رسم وراه، خانقهى ، سرور أزلي ، حضرت يزدان ، فطرت أحرار ، قباپوش وكلمة داري ، مجاهدانه حرارت ، علم لاهوتي، شيخ كليسا ، نمازبي قيام ، محروم يقين ، گلبانگ أنا الحق ، رسم شبيري، بوئى رهباني، مسيح بے صليب ، فقر و راهبي وغيرها.

أما المصطلحات الفلسفية فقد استحدثها إقبال لشرح المسائل الفلسفيته في أشعاره ومن بينها :

١- انظر: سمير ، عبدالحميد ، إبراهيم : ارمغان حجاز ، ص٨٦.

معركة بود ونبود ، نظام هست وبود ، طلسم شش جهت ، زمان ومكان، صفات ذات حق ، عين ذات حادث ، قديم ، قلب ونظر ، عرفان ، لازماني ، وحدت أفكار وكردار ، مشاهدة، ثبات ، بقاء، فناء ، نقش گرحادثات، غياب وحضور ، مقام كبرياء ، طلب صادق ، انداز آفاقى ، مقامات ، آه وفغان، نشاط رحيل ، فكر حكيمانه ، گرمئ أفكار ، انديشه بے باك وغيره .

وبيّن المصطلحات السياسية :

دست دولت آفرين ، أعضائي مجالس ، مجلس شورى ، دهريت ، سلطاني ، سياست افرنگ ، جوابگى خوئى غلامي، ملوكيت پرويز ، أمير قافله وغيرها.

ومن بين المصطلحات المتنوعة:

لاله كارى ، طلسم سامري، تقدير أمم ، خاراشگافي ، قنديل رهباني، آهنگ ، فقر غيور ، ضرب كليم ، بال جبريل ، شراب زندگى ، حياتِ زندي، سرود بربط هستي ، جدت ، خاتم هستي، آئينه دار هستي ، ذوق آگهى مست ، شراب تقدير ، ذوق تبسم ، كشاكش پيهم ، ذوق جستجو، لذت خودي ، صبح دوام ، زندگى جهان ، ضربت روزگار ، فيض شعور ، تقدير حواس ، ذوق فردا، لذتِ امروز ، تسخير جهات. كاروانِ زند، نشاط رحيل ، رسم شاهبازي، طائر لاهوتي، لذتِ يكتائي، كوكب تقدير ، سهرنهاني وجود ، تقاضائے وجود ، آئين مكافاتِ عمل ، داغ آرزو ، تقويم حيات، عيار ممكنات وغيرها ".(١)

ومن الجدير بالذكر هنا أن اللغة الفارسية كانت منبعا رائعا للكلمات والمصطلحات للتعبير عن أفكاره ، ويقال أن هذا أحد الأسباب التي جعلته يبدأ الكتابة بالفارسية .

التجديد في القوالب الشعرية

يقول سمير عبدالحميد في هذا الصدد:

"وأنواع المقاطع الشعرية المستخدمة في النظم الفارسي والأردي قياسية بشكل عام إلا أن إقبال نتيجة لحاجته إلى أنواع أكثر في إيقاعات النظم فقد استحدث عدة أشكال جديدة من القطع الشعرية .

ومثال تجديد إقبال هذا نراه في منظوماته "زيور" فمع اللازمة (العبارة التي تتكرر على نحو موصول في القطعة) "انهض من السبات العميق " فإنها تحتوي قطع تتكون كل واحدة منها ستة أبيات.

١- سمير ، عبدالحميد إبراهيم : ارمغان حجاز ، ص٨٩-٩٠.

والأربعة الأولى بنفس القافية ونفس الوزن . والبيت الخامس له وزن أطول والسادس له وزن أقصر وكل من البيت الخامس والسادس يتطابق في القافية مع الأبيات الأولى وتتكرر في كل قطعة.

وفي منظومته "سرودِ انجم" فإن كل قطعة تتكون من خمسة أبيات . الأربعة الأولى بنفس القافية وفي نفس الوزن لكن البيت الخامس فيوزن مختلف ولا يتطابق في القافية مع الأبيات الأخرى. ويتكرر هذا مع نهاية كل قطعة .

وفي منظومة "إنقلاب " تتكون القطعة من أربعة أبيات في القطعة الأولى، فإن الأبيات الأربعة الأولى تتطابق في القافية، ولكن في بقية القطع ، فإن الثلاثة أبيات الأخيرة فقط تكون متطابقة في القافية .

والكتابة عن هذا الموضوع لا يمكن أن تستوعب كل ما جدده إقبال إلا أن هذه الإشارة كافية لإيضاح هذه الخاصية في فن إقبال الشعري والنغمة الختامية الملائمة لأشكال القطع الشعرية تحتاج إلى إستقصاء للأسباب أكثر تفصيلا من هذا وعلى سبيل المثال في منظومة "سرود انجم" تنساب القافية متدفقة لتبين الهدؤلا الحركات السريعة للنجوم الإ أنه في منظومته "انقلاب" نرى القافية متواثبة والنغمة الختامية متمهلة متريثة ناعمة لتصور الوصل التدريجي للثورة .

وأكثر منظوماتها في بحر الرمل المثمن المحذوف "فاعلاتن فاعلاتن فاعلن" والمنظومات الأربعة الأولى في بانك درا ، هماله ، گل رنگين ، عهد طفلى ومرزا غالب . في هذا البحر كما أن هناك عدة منظومات من منظومات الدور الأول في هذا البحر وهي:

خفتگان خاك استفسار ، سيّدكى لوح تربت پر ، رفعت اى بزم جهان ، ناله فراق و داغ ، وفي الجزء الثاني من بانك درا نجد أربعة منظومات وفي الجزء الثالث تسع عشرة منظومة في هذا البحر ومنها:

شمع اور شاعر ، والده مرحومه كى ياد ميں ، خضر راه، وهي من المنظومات الذائعة وكذلك منظومة " جبريل وإبليس " وهي النظم الثامن لبال جبريل ، وفي منظومات بالِ جبريل يوضح إقبال بعض جوانب فكره المليئة بالجذبات حيث يستلزم التوازن وحسن ترتيب " الأوتاد والأسباب" وفي أركان النظم فيخلق هذا نغمة رائعة سهلة سلسلة بتوازن الأركان وروعة الأداء مما يدفع القارئ إلى الأنسياب في التجربة الفكرية جنبا إلى جنب مع التجربة الشعرية للشاعر ومن هنا دقق إقبال في

ترتيب أركان البحر ليخلق الأداء الرائع والتوازن بالإضافة إلى النغمة والإنسجام ويعد هذا من الخصائص المشتركة لبحوره المحببة ، وأعجب إقبال كثيراً ببحر الرمل المثمن المخبون المقطوع "فاعلاتن فاعلاتن فعلاتن فعلاتن فعلن" وهذا الوزن هو وزن الكثير من الغزليات والمنظومات الشهيرة خاصة في الأردية فبالإضافة إلى "شكوى وجواب شكوى" نجد عدة منظومات في القسم الأول ، والثاني والثالث لبانك درا ، إذ أن هذا الوزن يصلح لأداء مختلف سلسلة الأفكار بطريقة تمتاز بدرجة كبيرة من الترنم كما أن لهذا الوزن قدرة على آداء المضامين الغزليه".(١)

التجديد في الخيال

والخيال هو الموهبة الطبعيته الخاصة بالشعراء ، فخيال الشاعر من ناحية يعبر عن الفكرة العقلية والروحية في شكل معين ومن ناحية أخرى مع المعنى الأسمي الذي يراه. ومن هنا فإن كل الشعراء بالضرورة يمتلكون الخيال والفرق بينهم هو - فقط - في مسألة الدرجة ، وإقبال كفنان قد وهب أرفع القوي التخيلية سواء في إبتداع المعاني أو الخواطر تماماً مثل التأويل والتفسير، فالشعراء في جميع اللغات قد كتبوا عن "الواحدة" لكن معالجة إقبال لهذا الموضوع مملؤة بمثل هذا العنصر المشير للشفقة الذي لا يخطئ أبدا في تحريك العاطفة الحية في أي قارئ وفي إثارتها:

"ذهبت إلى شاطئ البحر وقلت للموج المضطرب ... انك دائما في احتياج أي مشكلة لديك
توجد آلاف اللاتي اللامعة في جيبك ... لكن هل تملك مثلي جوهر القلب في صدرك
إضطرب وهرب بعيدا عن الشاطئ ولم يقل شيئاً ... وأخذت نفسي إلى حضرة الله ومررت بالشمس والقمر" (٢)

وقلت :

"لا توجد ذرة في دنياك تعرفني ... العالم خال من القلب وقبضة غباري هذه هي كل القلب
إن الروضة جذابة لكنها لا تناسب أغنيتي ... جاء ت الإبتسامة على شفتيه لكنه لم ينطق شيئ" (٣)

فالخيال متنوع مما يخدم في تقوية التأثير العاطفي المركز وانسجام الخيالات ،يؤكد عن طريق حقيقة أنها جميعها ناتجة عن نفس الشعور الكامن في الشاعر لكن الخيال التفسيري والذي تفوق فيه إقبال، يدرك القيمة أو المغزي الروحي فيقدم موضوعه عن طريق تقديم صفات تكمن فيها

١- سمير ، عبدالحميد ابراهيم: ديوان ارمغان حجاز،ص ٩١.

٢- الترجمة العربية :سمير، عبدالحميد ،إبراهيم : ديوان ارمغان حجاز ، ص ٩٢.

٣- الترجمة العربية : سمير،عبدالحميد ، إبراهيم : ديوان أرمغان حجاز ، ص ٩٣.

القيمة الروحية وعلى سبيل المثال يقول في قطعة بعنوان "الندى".

"في قميص الذهر الجميل توجد إبرة الشوكة
مع أن هناك شوك إلا أنه محروس من الرفقاء
مع كل هذا العشق المسعور
هو في حضن الصديق
ووجوده من الربيع . (١)

فعن طريق عرض صفات الشوكة يشير الشاعر في الإنسان الشجاعة التي تمكنه من مواجهة الصعاب والآم الحياة ، وفوق هذا فإن الحياة تكون ناقصة دون ذلك ، والعلاقة بين الخيال والعاطفة علاقة متلاصقة جدا ولذا فإن العاطفة العميقة ترق الخيال والمنظر الخيالى يرقق العاطفة ومن هنا فإن الدرجة العالية للخيال تتطابق عامة مع تطور العواطف وأن قوة المخيلة العالية عند إقبال تدل على أن عواطفه عميقة لكنها سليمة ومضبوطة .

رومانية وكلاسيكية

ولا يخلو كلام إقبال من رومانية وكلاسيكية ، هما جزو لاينفك لشعره . ومجلة "مخزن" مهم جدا في تحريكة الرومانية لشعر الأردي ، تأثر هذه مجلة كثيرا من الشعراء وكان إقبال أحد منهم، ونجد رومانية في منظوماته " ايك آرزو" و"هماله"

أكثر منظوماته في الدور الثانية لشاعريته حاملة هذه الخصائص ومنها "محبت" "حقيقت حسن" و "ايك شام" نموذجاً جيداً لتصور الرومانية . أما جهة الفنية فميلانه إلى التغزل .

التشبيهات الجمالية في شعر إقبال

ونجد التشبيهات الجمالية في شعر إقبال منترة وفكره الديني أيضا مملوء بحسن التشبيهات كما نراه في شعره . وكان إقبال يحب الجمال والحسن في الكلام نثرا أو شعراً ونجد في شعره ميزه إقبال هذه صراحة وواضحة كما نرى فيما يلي :

عروج آدم خاکی سے انجم سہمے جاتے ہیں   کہ یہ ٹوٹا ہوا تارا مہ کامل نہ بن جائے (٢)

١- سمير ، عبدالحميد إبراهيم : ديوان أرمغان حجاز،ص٩٤.

٢- كليات اقبال (الأردية) بال جبريل : ص٥٤٦.

آدم الأرض في صعود غريب | ولهذا النجوم طرّا تمور
ربما صار للسموات بدراً | ربما عاد نجمه المكسور (١)
مٹا دیا میرے ساقی نے عالم من و تو | پلا کے مجھ کو مے لا الہ إلا هو (٢)
ساقي ما حصل الذي أبغيه | الذات عالمها متى نلغيه
القلب منشغل بما عاطيته | عمّن يغنيه ومن يسقيه (٣)

ثم يقول:

ہر کوئی مست مے ذوق تن آسانی ہے | تم مسلماں ہو یہ انداز مسلمانی ہے؟
حیدری فقر ہے نے دولت عثمانی ہے | تم کو اسلاف سے کیا نسبت روحانی ہے
وہ زمانے میں معزز تھے مسلماں ہوکر | اور تم خوار ہوئے تارک قرآں ہوکر (٤)

لأي مآثر القوم انتسبتم؟ | متكتسبوا فخار المسلمينا
فأين مقام ذي النورين(٥) منكم | ودولة عزّه دنيا ودينا
وفقر علي الأواب هلا | ربحتم فيه كنز الفاتحينا
أقمتم في الذنوب وفي الخطايا | وتغتابون حتى الصالحينا
وهم ستروا عيوب الخلق فضلا | وإن كانوا أبر المتقينا (٦)

أنظر إلى هذا الشعر:

یہ مال و دولت دنیا، یہ رشتہ وپیوند | بتان وہم وگماں، لا الہ الا اللہ (٧)
مال دنياك والبنون خداع | كله لا اله إلا الله
هي أصنام واهم قد براها | وهمه لا اله إلا الله (٨)

نجد عديدة تشبيهات في هذا الصدد، ولكن نكتفي على هذه.

١- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبريل، ص ٤١١.
٢- كليات اقبال (الأردية) بال جريل، ص ٥٥٢.
٣- الترجمه العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبريل، ص ٤١٣.
٤- كليات اقبال: (الأردية) بانكِ درا، ص٣٥٦.
٥- هو لقب الخليفة الراشد سيد عثمان بن عفان رضي الله عنه.
٦- الترجمة العربية: المصري، صاوى شعلان، صلصلة الجرس، ص ١٠٦.
٧- كليات اقبال: (الأردية) ضرب كليم: ص ٨٤١.
٨- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: ضرب كليم، ص ٢٣.

استعارة

وقد استخدم إقبال الاستعارة حيث نرى إقبال يترك استخدام التشبيه، والاستعارة أكثر استخداماً في شعر إقبال من التشبيه كما يظهر من الأبيات التالية:

حدیث بندۂ مومن دل آویز — جگر پُر خون، نفس روشن، نگہ تیز
میسر ہو کسے دیدار اُس کا — کہ ہے وہ رونقِ محفل کم آمیز (١)

حديث العبد المؤمن يتعلق بالقلب — الكبد ملئي بالدم، النفس مضيئة، النظرة حادة
كيف تتسير روية المؤمن الذي يضئي المحفل — فهو لا يختلط بنا إلا قليلا" (٢)

ہو حلقۂ یاراں تو بریشم کی طرح نرم — رزمِ حق و باطل ہو تو فولاد ہے مومن (٣)

مع الصّحب لين كمس الحرير — بعيد من المحكِّ، المومن (٤)
حديد إذا ما طغى باطل — جريٌ لدى المعرك، المومن (٥)

قہاری و غفاری و قدوسی و جبروت — یہ چار عناصر ہوں تو بنتا ہے مسلمان (٦)

فيه قدسية إلى جبروت — ومن القهر فيه والغفران
إن تؤلّف هذي العناصر كان — المسلم المتعلى على الحدثان (٧)

ثم يقول في وصف المؤمن:

یہ راز کسی کو نہیں معلوم کہ مومن — قاری نظر آتا ہے، حقیقت میں ہے قرآن (٨)

لست تدري بسرِّه فتراه — قارئاً وهو صورة القرآن (٩)

تازہ میرے ضمیر میں معرکہ کہن ہوا — عشق تمام مصطفیٰ، عقل تمام بولہب (١٠)

١- كليات إقبال (الأردية) ارمغان حجاز، ص١١٢.
٢- الترجمة العربية: المصري، دكتور حسين مجيب: هدية الحجاز، ص ٥٣٢.
٣- كليات اقبال (الأردية): ضرب كليم، ص ٨٨٩.
٤- القافية مردوفة بكلمة "المؤمن" والرويّ الكاف التي قبلها.
٥- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: ضرب كليم، ص ٤٣.
٦- كليات اقبال(الأردية): ضرب كليم، ص ٩١٣.
٧- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: ضرب كليم، ص ٥٣.
٨- كليات إقبال (الأردية): ضرب كليم: ص٩١٣.
٩- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب،الدكتور، ضرب كليم، ص٥٣.
١٠- كليات إقبال (الأردية): بال جبريل: ص٧٢٧.

الـفـكـر مـن حيـث تـأتيـه أبـو لهـب　　وكـلّـه كـلّـه مـكـر مـن الأمـم

والـحـبِّ حيـث يـكـون الـمصطفى يده　　وكـلّـه كـلّـه مـن مـقـلتيـه نُـمي (١)

عجمی خم ہے تو کیا ، نے تو مجازی ہے میری　　نغمہ ہندی ہے تو کیا، لے تو حجازی ہے میری (٢)

أنـا أعـجـمـي الـدن لـكـن خـمـرتـي　　صـنـع الـحـجـاز وكـرمهـا الفينـان

إن كـان لـي نـغـم الهـنـود ولـحـنهـم　　لـكـن هـذا الـصـوت مـن عـدنـان (٣)

وهكذا لاحظنا أن يستعمل شوقي تشبيهات واستعارات في شعره بكمال جيد.

وبعد مطالعة ميزات كلامهما (شوقي وإقبال) نصل إلى النتيجة أن إقبال و شوقي كانا أجود الشعراء وكلاهما استخدما الاصطلاحات الجديدة في كلامها . هما بارعان في مجال الشعر، ولهذا يقال أحدهما (شوقي) أمير الشعراء ويقال آخرهما (إقبال) شاعر الإسلام.

١ـ　الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ : جناح جبريل ، ص ٥٠٢.

٢ـ　كليات إقبال (الأردية) : بانگِ درا ، ص ٢٩٩.

٣ـ　الترجمة العربية : المصري صاوي شعلان : صلصلة الجرس ، ص ١٠٠.

الباب الرابع

المقارنة بين المديح النبوي لشوقي والمديح النبوي لإقبال

الفصل الأول: ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني: البعثة النبوية والوحي الرباني

الفصل الثالث: الخوارق والمعجزات

الفصل الرابع: الهجرة النبوية وتأسيس الدولة الإسلامية

الفصل الخامس: غزوات وجهاد النبي صلّى الله عليه وسلّم

الفصل السادس: أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله

الفصل السابع: الإسلام وخصائصه

الفصل الثامن: القرآن الحكيم والحديث النبوي والسنة النبوية

الفصل الأول

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

ولقد أنعم الله علينا إذا بعث فينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت ولادته سعيدة ومباركة، وهو سرور الكونين، سيد الثقلين . نبي الحرمين ، وهو رحمة للعالمين ، كما جاء في القرآن الحكيم .

﴿وما ارسَلْنٰكَ اِلَّا رحمةً لِلْعَلَمِيْنَ﴾(١)

ولد النبي صلى الله عليه بمكة اشرف البلاد ، وأكرمها على الله سبحانه وعلى العباد، ومن بحر بحرتها ظهرت درته اليتمية، وفي افق سمائها طلعت شمس طلعته الوسميه ، و بركاتها نامية وموارد فضائلها طامية وهو دعوة أبيه إبراهيم وبشارة عيسى عليه السلام والتسليم، وصفوة سلالة قريش وصميمها ونخبة بني هاشم راحلها ومقيمها ، وأشرف العرب بدواً وحضراً ، وأفضلهم بيتاً وأعزهم نفراً ، من قبل أبيه ذي النسب الزاكي نور نضرته ، وجهة أمه ذات الحسب الزاهر ضوء زهرته" .(٢)

واختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم واتفق كثير من علماء الإسلام على أنه ولد في عام الفيل ، وحكي الاتفاق عليه ، والمشهور أنه بعده بخمسين يوماً وقيل : بأربعين وقيل : بعشر سنين وقيل : غيرذلك .

ثم لدى الجمهور أنه ولد في شهر ربيع الأول : فقيل : ثانية، وقيل: ثامنة ، وانتصر له كثيرون، قيل: وهو اختيار أكثر المحدثين ، وقيل: عاشرة ، وقيل : ثاني عشرة ، وهو المشهور وقيل غير ذلك".(٣)

وروي في حديث مسلم : أنه ولد يوم الاثنين ، (٤) وهو صريح في أنه ولد نهاراً أي عقب

١- سورة الانبياء، الآية:١٠٧.

٢- النبهاني ، يوسف بن اسماعيل :جواهر البحار . ٣/١٠٠، ١٠٢.

٣- انظرمولده في "سيرة ابن هشام ،١/١٧١، وطبقات ابن سعد ، ١/١٠٠ . وتاريخ الطبري ، ٢/١٥٥، وسيرة ابن كثير، ١/١٩٧، والبداية والنهاية ، ٢/٢٥٩، زاد المعاد ،١/٧٦.

٤- أخرجه مسلم ، في الجامع الصحيح: كتاب الصيام : باب، انتخاب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخمسين . ٣/١٦٦

الفجر كما ورد في رواية ضعيفة (١) وقال البدر الزركشي. (٢) أنه ولد نهاراً.

وصف ولادة رسول الكريم عند شوقي وإقبال

صور شوقي مولد النبي صلى الله عليه وسلم بما يستحقه من تعظيم وتبجيل وجمال وجلال، لأنه خير بشرى للانسانية الذين ما زالوا على الصراط المستقيم، نبذوا الحق والعدل والخير، فالكائنات كانت مسرورة بمولده صارت ضياء، وهذا أبلغ من صيرورتها مضئية، والزمان بمولده صار ابتساما، وهذا أبلغ من صيرورته مبتسما ومثنيا، وجبريل والملائكة في بهجة يبشرون به الدين والدنيا، والعرش والسماوات في عيد، والقرآن الكريم معد للإيحاء به، وهو في جماله و تنوعه وخيره للبشر كحديقة متفتحة الورد والزهر عبقه الرائحة، والوحي يقطر عذبا من عذب، واللوح المحفوظ يفيض حسنا وبهاء على ولادة خير الرسل.

ويقول الدكتور أحمد الحوفي في هذا الصدد:

"وقد صور شوقي هذا بأن أسماء الرسل في اللوح المحفوظ صحيفة واسم النبي محمد (ﷺ) طغراء في هذه الصحيفة لكنا لانستجيد قوله أن اسم الله تعالى هناك ألف، واسم محمد باء، يريد بهذا التصوير أن يسمو بقدر النبي على أقدار الأنبياء، لأن هذا التصوير قد يوهم التسامي بالنبي عن البشرية وتقريبه من العظمة الألهية، إذ كانت الباء بعد ألف في الترتيب الهجائي.

١- هي رواية، نقلها القسطلاني في المواهب. بيروت: المكتب الاسلامي، ١٣٧٣هـ/١٩٩١م.١/٢٧١، والشافي في سبيل الهدى. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٣م.١/٤١٠، وابن عساكر في تاريخه، ١/٢٥٤.

٢- هو أبو عبدالله، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي الشافعي المتوفى سنة ٧٩٤هـ

- وراجع لقول الزركشي: شرح المواهب، ١/١٣٥.
- انظر: للتفصيل المزيد الكتب التالية.
- سميع عاطف الزين: قصص الانبياء في القرآن الكريم المختار من مجمع البيان الحديث، خاتم النبين محمد صلى الله عليه وسلم. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة. ١٩٨٢م. ٨/١٧٠-١٨٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ١٠٠-١٠٢.
- وانظر: عزيز ملك: تذكار نبي، قرآني آيات كى روشنى ميں (ذكر النبي، في ضوء آيات القرآنية)، ص ١٩، ٢٠، ٢٥.
- ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل، الامام، السيرة البنوة. بيروت، لبنان: دار احياء التراث العربي، بدون التاريخ. ١/١٨٣، ١٨٤، ١٩٨، ٢٠٦-٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١-٢١٦.
- البيهقي: دلائل النبوة. القاهرة: دار النصر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ١٣ شارع سعد الله بالدرب الاحمر. ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م. ١/٦٣، ٦٤ - ٦٦، ٦٨، ٦٩.
- منير البعلبكي: حياة محمد و رسالته. الطبعة الثانية. بيروت: دار العلم للملايين. ١٩٦٧م. ص ٥٤-٥٥.
- محمد إسماعيل إبراهيم: الصلوات على النبي. الطبعة الثامنة. مصر: مطبعة الاعتماد؛ ١٣٧٠هـ/١٩٥١م. ص١٢١.
- حسب ارشاد: مولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم. لاهور، باكستان: ملك دين محمد تاجر كتب، السوق الكاشميري. ١٩٢٦م. ص٩.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد قدم له: طه عبدالرؤوف، أعلام النبوة، ص ١٩٠-١٩١.
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي: العلل المتناهية في الاحاديث الواهية. ١/١٦٥-١٦٦.

ثم يقول:

ويبين شوقي تصوير البهجة بمولد النبي في قصيدته، فقال إن الله بشر به السماء فأزينت، وأنعم به علـى الأرض فتعطرت، وأنه استهل جميل القسمات، بشيراً بنصرة الحق وهداية البشر وتجميلهم بمكارم الأخلاق، وقال إنه ولد وعلى وجهه الكريم نور النبوة وعلامة من جده إبراهيم، وأن السيد المسيح أثنى عليه والسيدة مريم فرحت به، وأن يوم مولده فخر الزمان ونصرة للحق ويظهر أن شوقي تأثر هنا ببعض سابقيه من مؤرخي السيرة ومن ما دحي رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ تحدثوا عن مولده هذا الحديث وأشباهه وما نلوهم في ذلك الخيال الذي لا يكاد يخلو من ألوانه مولد عظيم ".(١)

وقال شوقي:

ولد الهدى فالكائنات ضياء … وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله … للدين والدنيا به بشراء
والعرش يزهو الحظيرة تزدهي … والمنتهى والسدرة العصماء
وحديقة الفرقان ضاحكة الربا … بالترجمان شذية غناء
والوحي يقطر سلسلا من سلسل … واللوح والقلم البديع رواء
نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة … في اللوح واسم محمد طغراء
اسم الجلالة في بديع حروفه … ألف هنالك واسم طه الباء (٢)

يقول النجدي ناصف عن هذه الاشعار:

"يأخذ شوقي مولود النبي حادثا كونيا فذا، وفرح له كل شيئ في الأرض والسماء، ويصور تصوراته بالفن العالي، بل نفحات من التصوير الملهم، لا نرى عند غيره شبيها لها في هذا المقام. أنظر قوله:

ولد الهدى فالكائنات ضياء … وفم الزمان تبسم وثناء

ويبدأ شوقي قصيدته بالفكر البديع والخاطر الأجود. ولن يكون لها نظير في الآخرين أبد الزمان، فهو مولد الهدى الذي ليس كمثله هدى، الهدى الذي سطع على الكائنات، فإذا هي ضياء متلألي، ليشع النور ويبدد الظلام. فلا حيره ولا ضلال، الهدى الذي جعل من فم الزمان تبسما وثناء فلا يرى إلا مبتسما، ولا يسمع إلا مثنيا، فلم يبق التبسم والثناء منذ ذلك اليوم حالين عارفتين من أحواله، تقومان به حينا، وتفارقانه حينا آخر، ولكنها تلازمانه إلى غير زوال، كأنهما قوامه ومادة وجوده، ثم نلاحظ مرة أخرى هذين البيتين أيضاً:

نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة … في اللوح واسم محمد طغراء

١- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص١٠١.

٢- الشوقيات: ٢١/١.

اسم الجلالة في بديع حروفه ألف هنالك واسم محمد طه الباء

ونرى هذه الصورة البديعة وتظهر بها كرامة النبي ومنزلته عند ربه ومقامه بين الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين . ونلاحظ في البيت الأخير إلى حسن التناسب بين الألف والباء ، حتى ما يكاد السامع يصل إلى كلمة (ألف) أول الشطر الأخير دون أن يدرك في غير تردد أن نهاية هي كلمة(الباء) بل لا يكاد يتحذر على كثير أن يأتوا بهذا الشطر كله في غير تلبث ولا خلاف ثم انظر إلى لطف الإشـــارة فيه بكلمة (هنالك) فالحديث الآن عن مغيب مكنون ، لاتدركه الأذهان إلا تخيلا، فليس أصلح لتوجيهها إليه ، وابتعائها لمثله من هذه الإشارة المستطيلة الغامضة يشاربها إلى أبعد بعيد، إلا أن كلمة الحظيرة في قوله:

والعرش يزهو والحظيرة تزدهي والمنتهى والســـدرة العصماء

كلمة غثة نازلة فضلا عن أنها لا معنى لها ولا حاجة إليها ، وكلمة الترجمان في قوله:

وحديقة الفرقان ضاحكة الربا بالترجمان شذية غناء

قد أضعفت تشبيه الفرقان بالحديقة ، وقللت من قيمته ، فضاحكة الربا، وتشذية وغناء ، من خصائص المشبه به ، وحشدها ، معه على هذه الصورة حقيق أن يمثله للنفس تمثيلا واضحا. وأن يطيل ملازمتها له ، واشتغالها به ، فتنسى معه المشبه جمله أو تكاد".(١)

ثم يقول:

"غير أن ذكر الترجمان في أثناء هذه الخصائص حقيق أن يقطع على النفس خيالها ويصدها شيئاً عن متعة الاسترسال فيه والإصابة منه حتى النهاية ، لغرابته في هذا الموضع بحكم ملاء مته للمشبه وصلته به ، فكان ينبغي أن يغفل الشاعر ذكره ، أو أن يتبدل منه لفظا آخر يكون بالمشبه به أشبه ، وإليه أميل" .(٢)

ولا حظنا تصور شوقي عند ولادته صلى الله عليه وسلم ، الأن نلاحظ ولادته صلى الله عليه وسلم لدى إقبال.

فلم نعرف في آداب الشعوب الإسلامية في العصر الحديث شاعراً عبّر عن محبته العميقة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بأساليب شتى وطرائق متنوعة ، كما عبر الشاعر الإسلامي الكبير محمد إقبال.

"فما من ديوان من دواوين هذا الشاعر يخلو من أثر لهذا الحب العميق ، هو حب فريد في نوعه ، عميق في مدلوله ، يأخذ بجمجا مع القلوب" .(٣)

ولكن محمد إقبال ليس له ديوان خاص في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نجد له قصائد طويلة كما نجد عند شوقي بل نجد الأبيات المدحية في شعره متفرقة .

١- علي النجدي ناصف : الدين والأخلاق في شعر شوقي،ص١٠٨.

٢- نفس المرجع .

٣- محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور وامجد حسين سعيد الله ، الدكتور: نخبة من آراء مفكرى العرب حول محمد إقبال ،ص ٥٦.

وإقبال شاعر متفرد في تاريخ مديح الرسول صلى الله عليه وسلم وتفرده هذا بسبب موضوعاته ومضامينه التي اختارها لمدح الرسول وشعره كله يدور حول حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن تلك الأبيات فيها يذكر أو يخاطب أو يستغيث الرسول، معراج شعره. ويظهر في شعره ولوعة حبه للرسول وكذلك قلقه الشديد لما آل إليه أمر الأمة وكذلك مؤثرات الحضارة الأروبية ، وتصوراتهم لمفهوم الوطنية الضالة، ومستعمرات المسلمين وتدهور أحوال الأمة الإسلامية.

ويقول شفيع منصور عن شعر إقبال:

"وخلال حديثه عن الفلسفة والأدلة الكلاميّة عندما يصل إلى ذكر الرسول ينسى نفسه".(١)

ومقصود إيجاد الخلائق عند إقبال هو الرسول صلى الله عليه وسلم وكل العالم الإنساني يدور حول هذا المحور ،و ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم موجب بركة وسعادة ، وقبل ولادته كان العرب كله في فضاء المنافرة والبغضاء وكانت في القبائل عداوة شديدة بينهم ولكن النبي رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم جعلهم أسوة مودة وشفقة واختار لهم صبغة التوحيد والرسالة وصاروا نفس واحدة على أساس كلمة طيبه لا اله الا الله محمد رسول الله ونسوا اختلافتهم من الحسب والنسب واللون والوطن، وهذا ليس أقل من معجزة ظهرت بيد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

فيقول إقبال في ولادة الرسول الكريم.

مرد حق از آسمان افتد چو برق	هيزم او شهر ودشت غرب وشرق
ماهنوز اندر ظلام كائنات	او شريك اهتمام كائنات (٢)
رجل الله يلوح مثل برق	حطبا يجعل من غرب وشرق
نحن كنا في ظلام الكائنات	و هو ذو حذق بحل المعضلات (٣)

تأمل هذا الشعر ، كيف يصور إقبال ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشبه بالبرق التي تكشف كل ظلام الكون وتنثر النور ، ثم ناداه (صلى الله عليه وسلم) إقبال باسم رجل الحق . ووجود الكون بسببه، وقد بعثه الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين و سراجاً منيراً وهو الذي يطفئ بنوره ظلمة الكفر والجور والضلالة .

وهذا فكر إقبال متشابه بفكر شوقي ، ولكن تصورات إقبال أبدع من شوقي ، بأن لدى شوقي عند ولادة الرسول الكريم تصير الكائنات منورة ومبتسمة، ولكن عند إقبال وجوده بنفسه كالبرق وضياء الكون في لمحة واحدة .

١- صادق نسيم : اقبال منفرد نعت گو ، (إقبال مادح منفرد) ماهنامه ادبيات ، ص٢٤، ابريل ١٩٨٠م.

٢- كليات إقبال (فارسي)جاويد نامه : ص٢٠٥ .

٣- الترجمة العربية ، المصري ، د.حسين مجيب: رسالة الخلود ، ص ٣٣٣.

وقال شوقي عن شرف نسب النبي عليه السلام :

خيـر الأبــــوة حـــــازهم لك آدم		دون الأنـــــام وأحـــرزت حـــواء
هـم أدركـوا عــز النبـــــوة وانتهـت		فيهــا إليك الـــعـــــزة القعسـاء
خـلـقـت لبيتك وهـو مـخـلـوق لهــا		إن العـظـائـم كـفـؤهــا الـعـظـمـاء (١)

فتحدث شوقي طويلا عن مولده عليه السلام قبل أن يتحدث عن نسبه الشريف، والترتيب الطبيعي يقتضيه فيما أرى ، أن يقدم ما آخر ويؤخر ما قدم ، وهو كذلك يداخل مراحل الموضوع بعضها في بعض.

ويقول النجدي ناصف :

"فإذا هي مختلطة متشابكة ، ولا يتبين لشي منها كيان ، ولا تقوم حدود ، فقد بدأ القصيدة بالمولد وآثاره ثم تركهما إلى أبوته ، غير أنه لم يمض أمامه إلى هدفه في اطراد ، بل عاد بعد أبيات".(٢)

ويقول في قصيدة أخرى:

أشــرق الــنـور فــي الـعــوالـم لـمـــا		بشــرتهـــا بـــأحــمـــد الأنبيـــاء
بــــاليتيـــم الأمـــي والبشـــر الـمـــو		حـــي إليـــه الـعـلـــوم والأســمـــاء
قـــــــوة الله إن تـــولّت ضـعـــيـفـا		تــعبـــت فــي مــراســه الأقــويـــاء
أشــرف الـمــرسـلـيــن آيتـــه النـط		ق مبينـــا وقـــومـــه الـفـصحـــاء
لــم يـفـــه بـــالـنـوابغ الـغـر حتـى		سبـق الـخـلـق نـحـوه البـلـغـــاء
وآتتــه الـعـقـــول مـنـقــاده اللـــــ		ب ولّـــى الأعـــوان والـنـصـــراء (٣)

وهنا نجد شوقي أبرع في تصوير البهجة ، لأنه أضفى السرور على الكون كله ، وجعل الدهر فرحا ضاحكاً ، وتصوير جبريل والملائكة مستبشرين بالمولد مبشرين به ، وصور العرش والحظيرة وسدرة المنتهى في زهو ، ثم تخيل السماء مزدانة ، والأرض عبقة، وتخيل وجه النبي مشرقا بنور الحق ورونق النبوة وجعل مولد نصرة للحق وإعلاء له .

ويقول إقبال عن شرف نسب النبي عليه السلام :

او كــلـيـــم و او مسيـــح او خـــلـيـــل		او مــحـــمـــد او كتــاب او جبـريـل
آفتـــــاب كـــــائـــنـــــات اهــل دل		از شـــعـــــا ع او حيـــات اهــل دل (٤)

١- الشوقيات: ١/٣٤.

٢- علي النجدي ناصف : الدين والأخلاق في شعر شوقي: ص ١١٦.

٣- الشوقيات : ١/١٤.

٤- كليات إقبال (فارسى)جاويد نامه : ص٣٨٨.

والـكـليـم(١) والـمسيـح والـخليل(٢) والـمـحـمـد والـكـتـاب(٣)، جبريل
إن أهـل الـقـلـب شـمـس الـكـائنـات نـورهـا وهـاب هـاتيك الـحيـاة (٤)
سـر ديـن مـصـطـفـئ گـويـم تيـرا هـم بـقـبـر انـدر دعـاگـويـم تيـرا (٥)
لشـرحـت ديـن خيـر الأنبيـاء واطـلـت لك فـي قبـري دعـائـي (٦)

تامل هذه الألفاظ:

وه دانائے سبل ختم الرسل مولائے کل جس نے غبار راه کو بخشا فروغ وادئ سینا (٧)
هـو سيـد الانبيـاء هـو خـاتـم الـرسـل هـو شـعـلـه الـسـاري في هذه السبل
هـو مـركـب من نور يمشى أمام الركب أعـطى جنون الطور لغبار هذا الدرب (٨)

ثم يقول:

نگاه عشق و مستی میں وہی اول وہی آخر وہی قرآن وہی فرقان وہی یسین وہی طہ (٩)
هـو أول الـمـيـدان هـو آخـر الـدرب فـي أعيـن الـسـكران من نشوة الحب
هـو رحـمـة الـقـرآن لـلـنـاس أعطـاهـا هـو سيـدي يـاسيـن هو مـالكي طـه (١٠)

ونـجـد فـي هـذه الاشـعـار، يفضل إقبال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء بـطريق أحسن، وهو حبيب الله، وهو سر الدين، ويهدي كل الناس إلى سواء السبيل، كتابه (القرآن) الكتاب الآخر من الكتب السماوية، ويكمل دين الإسلام بنبوته. وتفخر كل الموجودات على بعثته، هو وسيلة النور في طرق المظلمة. ثم يقول عنه (صلى الله عليه وسلم) إقبال بأنه الفرقان، يسين وطه، وهـي ميـزتـه التـي لـم ينلها سواه في الورى والخلاصة أننا نرى تصويراً جيداً لمقام وشرف النبي عند إقبال بأسلوب جيد.

١- الكليم: موسى عليه السلام.
٢- الخليل: ابراهيم عليه السلام.
٣- الكتاب هنا: هو القرآن الكريم.
٤- الترجمة العربية: المصري ،د.حسين محجب: رسالة الخلود، ص ٣٣٣.
٥- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه، ص ٣٨٨.
٦- الترجمة العربية: المصري، د.حسين محجب: رسالة الخلود، ص٣٣٥.
٧- محمد اقبال، علامة: بال جبريل، ص ٣٩.
٨- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبريل ،ص ٤٢٤.
٩- محمد اقبال، علامة: بال جبريل، ص ٣٩.
١٠- الترجمة العربية: زهير ظاظا، الأستاذ: جناح جبريل ،ص ٤٢٤.

الخوارق التي ظهرت عند ولادته

وتوجد اخبار شتى في كتب السيرة عن الخوارق التي ظهرت عند ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد لهج بها كثير من الشعراء الذين مدحوا الرسول ، واحتفى بها البوصيري، وسار شوقي على نهجه، لأنه حاكاه في "نهج البردة " ونرجح أنه نظر إليه في الهمزية النبوية .

فلا عجب إذا في أن يختص شوقي بعض الخوارق بالتنويه ، كما اختص بعض بشائر المولد، من هذه الخوارق تصدع شرفات ايوان كسرى (١) كأنما كان مولد النبي نذيرا بتقويض صروح الاستبداد والوثنية والفساد.

ويقول شوقي ضيف:

"وقد صور شوقي ذلك بأن البشارة بمولد النبي سرت في الشرق والغرب مؤذنة بمشرق الحق والخير والعدل والتوحيد الخالص في دياجير الضلال والشر والعسف والشرك، فهي إذا نور يشق الظلمات ، وتخيل ايوان كسرى أناسي تدرك وتعي وتقدر ما سينزل بها من ضربات الحق لامن معاول الهدم ، فقال إنها ريعت لمولد الرسول ، وما من شك في أن معاول الحق أشد تقويضا، وأبقى أثرا و أقسى نكاية من معاول الهدم ، لأن معاول الهدم قد تقوض باليا ليقوم في مكانه جديد، وقد تهدم قبيحا ليحل بدله جميل ، ولكن الذي تقوضه معاول الحق لا بقاء له ولا قيامة ، وإذا كانت شرفات الإيوان قد ريعت فإن الإيوان كله قد ريع ، وسكان الإيوان قد أحسوا بالفزع كما أحسن به الطغاة جميعاً من عرب ومن عجم". (٢)

ويقول شوقي:

سرت بشائر بالهادي ومولده ... في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم
تخطفت مهج الطاغين من عرب ... وطيرت أنفس الباغين من عجم
ريعت لها شرف الايوان فانصدعت ... من صدمة الحق لا من صدمة القدم (٣)

وتحدث عن خمود نار المجوس ، وعن جفاف الماء في بحيرة ساوة وعن الخوارق بعامة، فقال:

ذعرت عروش الظالمين فزلزلت ... وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم ... خمدت ذوائبها وغاض الماء

١- قصر عظيم بالمدائن ، هو الذي بكاه البحتري في سينيته ، وليس لتصدع شرفاته ذكر في سيرة ابن هشام لكنه ورد في تاريخ الطبري (١٣١/٢) وذكر الحلبي في (انسان العيون) المعروف بالسيرة الحلبية أن ايوان كسرى انشق وسقط منه أربع عشرة شرفة (انسان العيون ،٧٨/١) وكذلك ذكر الزيني وحلان في السيرة النبوية على هامش انسان العيون،٤٧/١، وهما يشهدان بأبيات للبوصيري من الهمزية.

٢- ضيف ، شوقي: شوقي شاعر الحديث ، ص ١٣٧ .

٣- الشوقيات: ٢٤٧/١ .

والأى تتـــرى والـــخـــوارق جــمة　　　جبـــريـــل روّاح بهـــا غـــداء (١)

وتـحـدث عـمـا قيل من أنه عليه الصلاة والسلام ولد مرفوع الجبهة إلى السماء، وبين كتفيه خاتم النبوة.

ويقول شوقي:

بـــدا تستـــقبـــل الـــدنيـــا　　　بـــه خيـــرا تـــوسَّـمُـــه

يـــحـــمـــلّهـــا تهـــلـــلّـــه　　　ويـــحـــليهـــا تبسّـــمـــه

إلـــى الـــرحـــمـــن جبهتـــه　　　ونـــحـــو جـــلالـــه فـــمـــه

وفـــي كتـــفيـــه نـــور الـــحـــق　　　وضـــاح دروســـمـــه (٢)

وهـنـا نـلاحـظ أن شـوقـي صور البشائر بالمولد النبوي تعم الشرق والغرب في سرعة وبهجة وانتصار على الشرك والظلم والفساد، كأنها نور يبدد الظلمات، وعقب على هذا بأنها تخطف قلوب الطغاة والبغاة، وروعت شرفات الإيوان فانصدعت من خشية الحق وقوته، وهو في قوله (يعت لها شرف الإيوان) يتمثله إنسانا يرتعد خوفا، ويدل على شدة فزع من في الإيوان، وكذلك قوله (ذعرت عروش الظالمين) فيه تشخيص وفيه دلالة على ذعر الملوك وجزعهم.

أما إقبال فيذكر خوارق النبي صلى الله عليه وسلم عند ولادته فيما يلي:

ســوختـــي لات و مـــنـــات كهنـــه را　　　تـــازه كـــردى كـــائنـــات كهنـــه را

در جهـــان ذكـــر وفـــكـــر انـــس وجـــان　　　تـــوصـــلـــوت صبـــح، تـــو بـــانك اذان (٣)

يا من هدمت اللات والعزى وحررت الحرم　　　وبـنـيـت أعـلـى أمة تهدي بسيرتها الأمم

ذكر الاله ويقظة الوجدان في إنس وجان　　　من فيض وحيك يا صلاة الصبح يا صوت الاذان (٤)

وقبـل ولادتـه كـان الـعـرب مشـغـولـين في عبادة الأصنام، ولكن مع ظهوره (صلى الله عليه وسلم) جاء الحق وهدمت الأصنام الباطلة في جوف الكعبة، كما لا يمكن للنور والظلمة الإقامة معاً، هـكـذا نـور الـحق اغتصب ظلمة الكفر، ويظهر إقبال وجوده (صلى الله عليه وسلم) كشمعة الهداية والـقـمـر المنير، والشمس المتقدة ونوّرت منها كل الدنيا وطلاب الهداية يتقربون إليه ولقد قضي على من صدّ عن الهدى أو اختار الظلم والضلالة.

١- الشوقيات: ١/٣٥.

٢- انظر: الحوفي، أحمد: الإسلام في شعر شوقي، ص١٠٠.

- وانظر: الضيف، شوقي: شوقي شاعر العصر الحديث، ص١٣٧-١٣٨.

٣- محمد إقبال: علامة: مثنوي پس چه بايد كر داے اقوام شرق. (در حضور رسالتماب)، ص٣١.

٤- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان، الشيخ، والآن. ماذا نصنع يا أمم الشرق، ص٤٠١.

ثم يقول :

آية كـائـنـات كـا معنى ديرياب تو نكلے تيرى تلاش ميں قافله هائے رنگ و بو (١)

فـي آية الـخـلـق أنـت السـر لا أحـد ولـو تـجـليـت مـا أبـقيت من عصم

لأجـل مـعـنـاك مـا تـلـقـى ومـا لقيت قـوافـل الـقـوم فـي الـوديـان والأكـم (٢)

ثم يقول:

لوح بھی تو قلم بھی تو، تیرا وجود الکتاب
گنبد آبگینہ رنگ تیرے محیط میں حباب
عالم آب و خاک میں تیرے ظہور سے فروغ
زرّہ ریگ کو دیا تو نے طلوع آفتاب
شوکت سنجر(٣) وسلیم(٤) تیرے جلال کی نمو
فقر جنید(٥) وبایزید(٦) تیرا جمال بے نقاب(٧)

الـلـوح أنـت ومـا فـي الـلـوح من قدر وكـل مـا فيـه مـن سـطـر ومن كلم

لـو تـنـطـق الـقبة الـزرقـاء مـا كـذبـت بـأنهـا ذرة فـي بحـرك الـعـرم

لك الـجـلال الـذي لـم تبـق روعتـه مـن مـلك سـنـجـار إلا عبـرة الندم

لـولا جـمـالك مـاذاق الـجـنـيـد نـوى ولا أهيـل عـلـى طيـفـور بـالتُّهَـم (٨)

ويثبت إقبال بطريق أحسن أن بهجة الورى بسبب تخليق محمد ﷺ ، ويؤكد على أن نمدح رسولنا لا بلساننا فقط بل بقلبنا و بعميق روحنا ، ويجب علينا أن نتبع أسوته الحسنة في كل مجالات حياتنا، ويلزم علينا أن نختار صحبة الأبرار والكبار لتعمير الروح والوجدان ، وهذا فيمكن لنا أن نقطف أزهار الطمانينية من حديقة حياتنا.

١- كليات إقبال(فارسى) بال جبريل ، ص ١١٦.

٢- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ : جناح جبريل ، ص ٥٠١.

٣- سنجر : ملك ايران من أسرة سلجوقية .

٤- سليم : ملك التركية (ت ١٥١٢م) وهو سلطان سليم الأول من التركية .

٥- جنيد: صوفي عظيم ، وهو من بغداد (ت٩١٩م)

٦- بايزيد : صوفي عظيم ، المعروف بايزيد بسطامي (ت٨٧٥م)

٧- محمد إقبال ، علامة : بال جبريل ، ص ١١٦.

- وانظر: روزنامه نوائے وقت (الجريدة اليومية ، نداء الوقت) تحت عنوان ، محمد شريف بقا: ميلاد النبي اقبال كى نظر ميں (مولود النبي في عيون اقبال ، ٤ نوفمبر ، ١٩٨٨م).

٨- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ : جناح جبريل ، ص ٥٠٢.

وفي سلسلة اتباع رسول صلى الله عليه وسلم ينقل لنا إقبال مثال با يزيد بسطامي ، وهو الذي انكر أكل البطيخ طيلة حياته، وذلك لأنه لا يعرف كيف أكله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول إقبال :

كـــامـــل بســـطـــام در تـــقـــليـــد فـــرد   اجتنـــاب از خـــوردن خـــربوزه كـــرد (١)

اجتنب بسطام من أكل البطيخ لأنه لا يعرف كما أكله نبينا صلى الله عليه وسلم.

ولهذا يهتم إقبال باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وحبه حباً جماً . (٢)

١- كليات إقبال (فارسى) اسرارو رموز ،ص٦٨.

٢- عبدالواحد معيني ايم اے ، سيد ،و عبدالله قريشى: مقالات إقبال .الطبعة الثانية ، لاهور : طفيل آرت برنترز سركلر رود ، ١٩٨٢م ص ٢٣٦- ٢٤٥.

الفصل الثاني

البعثة النبوية والوحي الرباني

بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس لهدايتهم ولكي يرشدوهم إلى الصراط المستقيم الذي يرشد إلى الجنة فأعطى البعض منهم الكتب والصحائف وفضل بعضهم على بعض .

وأول إنسان وهو آدم عليه السلام على الأرض كان نبياً أولاً وبعث في كل أمة النبي أو الرسول كما جاء في القرآن.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(١)

وآخر الأنبياء هو نبينامحمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله إلى كافة الناس إلى يوم القيامة . ونجد ذكره في الكتب السماوية السابقة كما يظهر من قول عيسى عليه السلام .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ : يَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ . إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ، وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَّأتِيْ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(٢)

وها هو القرآن الكريم ، بعد قرون في سلسلة الزمان، يحفظ تلك البشارة مصدقا لها ولحاملها، تماماً كما نطق بها عن ربه العزيز الجليل ، وعلى لسانه ،لسان السيد المسيح بالذات.

ولقد تحققت البشارة عندما بعث الله ، من قلب الجزيرة العربية ، محمد بن عبدالله رسولاً بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويشفى الناس من أمراضهم النفسية والاجتماعية ، وليزيل عن عقولهم أوهام المعتقدات البالية، ويقتلع من قلوبهم أدران الوثنية الزائفة، وموضحاً السبل القويمة التي تمكن الإنسان من التكامل الذي يوصله إلى أعلى المراتب الإنسانية. فيفوز بالسعادة في حياته الدنيا ، ويضمن حسن العاقبة في حياته الآخر.

وهذه هي البشارة التي بشربها عيسى بن مريم عليه السلام للانسانية رسول الله ، ولكن لم يكن اختياره هو بالذات لهذا التكليف من دون سائر النبيين والمرسلين. وهذه البشارة دلالة مميزة وأساسها على ثلاثة دلائل وهي:

١ـ "الأولى : هي أن حامل البشارة قد تميز بخاصته لم تعرف لغيره من سائر بني آدم على الإطلاق ، سواء كانوا رُسل الله إلى الأرض.

١ـ سورةالرعد، الآية:٧.

٢ـ سورة الصف ، الآية:٦.

٢- والثانية: هي أن البشـــارة لم تتناول شأنا معيّناً من شئوون الكون، ولاحفلت بأمر محدد من أمور الناس والخلائق ، بل اقتصرت على مشيئة الله بأن يختم رسله الكرام، برسول يكلفه بحمل شريعة تشمل كل الشؤون ، من بداية خلق الكون إلى نهايته وتحتوى جميع المسائل التي تعرض للبشر، وسائر الأمور المتعلقة بحياة الناس وطرق عيشهم .

٣- أما الدلالة الثالثة فهي : أن البشارة قد جاء ت في صورة إعلام وبمثابة تبشير وإنذار . إذن فالبشـــارة لا تقتصر على أمة واحدة ، ولا شعب معين بل هي تخاطب جميع المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها ، لأن الرسول المبشربه سيكون رسول للإنسانية بكاملها ".(١)

هذه هي بعض دلالات البشارة ومزاياها ، والله علام الغيوب ،وهو الذي يعلم السر وأخفى، أن محمد بن عبدالله ، سيكون ذلك الإنسان الذي لا يحفل بشئ إلا إذا كان حقا ، ولا يأبه لأمر إلا إذا كان خيراً ، ولاسلك طريقاإلا إذا كان قويماً ، ولا يأتي عملاً إلا إذا كان صوابا، فكان الجدير بخلائقه الإنسانية الكاملة أن يكون المعد لحمل الرسالة المتكاملة ، وهكذا خطّت في اللوح المحفوظ نبوته ، وكرّست عندالله كرامته ، وكانت في التنزيل من التوراة والإنجيل بشارته ، تلك هي الحقيقة التي كانت في علم الله منذ الأزل ، فاختار محمد صلى الله عليه وسلم لرسالته الكريمة.

يروى الإمام مسلم بسنده عن رسول الله ، أنه قال:

"إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشا. واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ".(٢)

لقد اصطفاه الله من بني هاشم ، ليحمل الرسالة الكبرى الرسالة العامة الخاتمة ، رسالة الإسلام.

البعثة النبوية والوحي الرباني عند شوقي و إقبال

تبتله بغار حرا و بعثته

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف في غار حراء ليخلو إلى نفسه ، ويفكر في حالته ، متشوقا أن يهديه ربه إلى الدين القويم ، وكان بهذا يبرأ من دين قومه ، وينطبع على الطهر الذي يسبق الرسالة العظمى ويؤهله لها.

قال شوقي: إن غار حرا كان الموضع الذي اختاره النبي للتبتل ، ولكن الغار وجبريل الذي ينزل بالقرآن الكريم لم يكونا يعلمان شيئاً من ذلك السر العظيم الذي لم يعلمه إلا الله تعالى، وهو إعداد النبي للرسالة ، وكان النبي ينتقل بين منزله في مكة وبين الغار ، ويخطو خطوات لم يكن يدري

١- سميح عاطف الزين : قصص الأنبياء في القرآن الكريم المختار من مجمع البيان الحديث ، خاتم النبيين محمد.٨/٧-٩.

٢- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري، الجامع الصحيح : كتاب الفضائل ، باب فصل نسب النبي وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ،٥٨/٧.وانظر:الملطاوي،حسن كامل : رسول الله في القرآن الكريم ، ص ٧-٨.

أحد ما وراء ها من شرف لبطحاء مكة ، وكان النبي يقضي ليله في الغار وحيدا ، ولكنه في أنس أنيس وطمأنينة تشرح صدره و تسعد نفسه كأنما يناجي جبريل ويسامره ،لأنه كان يشعر أن الله اجتباه، وأثره بالمحبة والهداية . ويقول:

سائل حرا و روح القدس هل علما ... مصون سرّ عن الإدراك منكتم

كم جئية وذهاب شرفت بهما ... بطحاء مكة في الإصباح والغسم

و وحشة لابن عبدالله بينهما أشد ... هي من الانس بالأحباب والهشم

يسامر الوحي فيها قبل مهبطه ... ومن يبشر بسيما الخير يتسم (١)

ثم بدأ الوحي ، وبدأت الرسالة ، ونزل جبريل على النبي بقوله تعالى:

﴿اِقْرَا بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ...... عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢)

وهو إيذان لم يسبق إلى رسول من قبل ، فعلم النبي أنه قد اختير للرسالة ، وأن الله قد ناط به إعلان التوحيد ، فصدع بأمر ربه ، وشرع يدعو قومه إلى عبادة الرحمن ،وترددت دعواته المطهرة في أرجاء مكة وفي أسماع قريش .

ولم يكن من السهل على قريش أن تستجيب للإسلام الذي يسفه عقولها ، ويلغى أوثانها، ويبطل كثيرا من عاداتها ونظمها ، ويحارب مادرج عليه السادة من أثرة واستعباد للضعفاء ، فحارت في أمرها كما يقول شوقي ، ودفعتها حيرتها إلى أن تفرقت في السهل والجبل ، وجعل الناس يتساءلون عن النبي الذي وصم كبارهم وشبابهم بالجنون لأنهم يعبدون أصناما ينحتونها بأيديهم ويغفلون عن عبادة الخالق القادر ، وكذبه أكثرهم واتهموه بأنه شاعر أو مجنون أو ساحر.

وهم بتكذيبهم يناقضون أنفسهم ،لأنهم ما عرفوا عن محمد إلا أنه صادق ، وما عرفوه إلا أمينا منذ كان صغير السن ، حتى إنهم لقبوه الأمين .(٣)

١- الشوقيات: ١/٢٣٦.

- وانظر: أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص١٠١-١٠٢.

٢- سورة علق : ١-٤.

٣- كانت قبائل قريش قد جرأت الكعبة وهدمتها ثم جمعت محارة لبنائها وجعلوا ينبونها حتى بلغ البناء موضع الركن ، الحجر الأسود ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن تستأثر برفعه ، وكادوا يقتتلون ، وقضوا على ذلك أربع ليال أو خمسا ، ثم اجتمعوا وتشاوروا وتناقضوا فاتفقوا على تحكيم أول من يدخل من باب المسجد ، فكان أول داخل عليهم رسول الله ، فلما رأوه ، قالوا هذا الذي رضينا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه ، قال لهم: هلم إلى ثوبا ، فأتى به ، فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده ، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعا ، ففعلوا حتى إذا بلوا به موضعه وضعه بيده ، ثم بنى عليه ، وكان ذلك قبل البعثة بثماني عشرة سنة (سيرة ابن هشام، ١/٢٠٩، وتاريخ الطبري ، ٢/٢٠١).

قال الشوقي :

ونودي اقرأ تعالى الله قائلها　　لم تتصل قبل من قيلت له بفم

هناك أذن للرحمن فامتلأت　　أسماع مكة من قدسية النغم

فلا تسل عن قريش كيف حيرتها　　وكيف نضرتها في السهل والعلم

تساءلوا عن عظيم قد ألم بهم　　رمى المشايخ والولدان باللمم

يا جاهلين على الهادي ودعوته　　هل تجهلون مكان الصادق العلم (١)

ويقول أحمد الحوفي في هذا الصدد:

"ولكن وصف شوقي لقريش بالحيرة ، وبالنضرة في السهل والجبل ، دهشة من الدعوة واضطرابا من المفاجاة واستعظاما ما أصابهم لا يكفي في تصوير ما أصاب القوم من جزع وفزع ، لأنه على إجماله وايجازه يعوزه التصوير الذي يرسم الواقع ويجسمه ، وقد كان الواقع أشد من الحيرة، وأعنف من النضرة في السهل والجبل . ثم إن تساؤلهم عن أمر النبي بعد وصفهم بالحيرة والتفرق في السهل والجبل لا يلائم هذه الحيرة الشادهة لأن التساؤل فيه روية وتمهل وامتلاك للصواب، وكان الأولى أن يوصفوا بشئ آخر غير التساؤل".(٢)

وهكذا يصور شوقي تصويراً رائعاً بعثته ونبوته بأسلوب جيد وألفاظ مبتكرة ، ويعكس نبذة تاريخية لعهد النبي ، ويشرح وجهة نظر أهل العرب ويثبت عظمة النبي بالوثوق .

أما إقبال فيبين كيفية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل البعثة ويقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يعيش حياة المنفرد في غار حرا ، وكان مشغولاً في تدبر الكون وكانت نتيجة هذه حياة العزلة والتدبر، بعث الله جبريل عليه السلام إلى محمد رسول الله ، واصطفاه للرسالة والنبوة . وهكذا نوّرت غار حرا بنور الإسلام وبدأ سلسلة الوحي .

ويبين إقبال خلوة النبي صلى الله عليه وسلم في غار حرا كذلك :

مصطفى اندر حرا خلوت گزيد　　مدّتے جز خويشتن كس را نديد

نقش ما را در دلِ او ريختند　　ملتے از خلوتش انگيختند

مى توانى منكر يزدان شدن　　منكر از شان نبى نتوان شدن (٣)

مدة في الغار ظلّ المصطفى　　غير آثار لذاتٍ ما اقتضى

رسمنا قد أغرقوا في مهجته　　وأقاموا أمة من خلوته

١- الشوقيات : ٢٣٧/١.

٢- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ١٠٣، ١٠٤.

٣- كلياتِ إقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص ١٣٠.

وعلى إنكار ربٍّ إن قدرنا   كل فضل المصطفى حتما عرفنا (١)

ثم يقول:

حفظ هر نقش آفرين از خلوت است   خاتم او رانگيس از خلوت است (٢)

خلوة تحفظ كل من صنع   جوهراً في خاتم كانت لمع (٣)

وهذا خيال الإقبال يشابه خيال الشوقي ، هما يذكران في شعرهما غار حراء، لأنها المحور الأساسي للرسالة المحمدية صلى الله عليه وسلم.

ثم يذكر إقبال رحمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي تكبدّ العناء لراحة أمته، وفكّر في ذاته في الخلوة ، وفهم حقيقة الإنسان وأهميته ، ولنهضة أمته من الخمود إلى الرقى أعطاه الدستور الجديد ومن يتبع هذا الدستور سيفوز فوزاً عظيماً .

ويذكر إقبال هذا قائلا:

بوريا ممنون خواب راحتش   تاج كسرى زير پاے امتش

در شبستان حرا خلوت گزيد   قوم و آئين وحكومت آفريد

ماند شبها چشم او محروم نوم   تابه تخت خسروى خوابيد قوم (٤)

آثرت سحق حصير عفته   وعلت تيجان كسرى أمته

خلوات في حراء خلقا   أمة منها وحكما مشرقا

كم ليال قد قضاها ساهدا   فحبا الأمة ملكا خالدا (٥)

ما نجد هذا الفكر عند شوقي في الأسلوب ، بل يذكر شوقي بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم عداوة القريش بطرق مختلفة بالعموم كما ذكرنا من قبل ، يذكر إقبال أيضاً عداوة القريش وبغضهم وحسدهم معارضين دين الإسلام ومؤسسه صلى الله عليه وسلم ، ولكن يذكر إقبال كل هذا بأسلوب بديع وألفاظ عجيبة. ماذا يصنع دين الإسلام بدين الطاغوت ، اسمع بلسان أبي جهل (نائب الطاغوت) . وهو ينوح على تهدم دينه (الكفر) قائلا:

سينۀ ما از محمد داغ داغ   از دم او كعبه را گل شد چراغ

از هلاك قيصر وكسرى سرود   نوجوانان راز دست ما ربود

١- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٠٣ .

٢- كلياتِ إقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص ١٣٠ .

٣- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب: رسالة الخلود ، ص ٢٠٣ .

٤- كليات إقبال (فارسى) أسرار خودي، ص ٦٠ .

٥- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص ١٣٩ .

ساحر و اندر کلامش ساحری است — این دو حرف لا اله خود کافری است
تا بساط دین آبا در نورد — با خداوندان ما کرد آنچه کرد
پاش پاش از فربتش لات و منات — انتقام ازوے بگیراے کائنات
دل بغائب بست و از حاضر گست — نقش حاضر را فسون او شکست (١)
صدرنا نار تلظت من محمد — فسراج الكعبة الوضاء أحمد
ويهلك الروم أو كسرى تغنى — سلب الفتيان طُرّا من يدينا
ساحر والقول منه ساحر — وبقول "لا إله" كافر
وبساط دين آباء طوى — وأذاق ما عبدناه التوى
حطم اللات فكانت كالفتات — منه فلتقتص كل الكائنات
ناط منه القلب بالغيب الكنين — ومحا الحاضر بالسحر المبين (٢)

وهذا من حسن كلام الإقبال وخياله ، إنه يذكر خصائص الإسلام بلسان عدو الإسلام ، وهو يبين أن مكة أصبحت بلد الإسلام والتوحيد، وطهر بيت الله للطائفين والقائمين والركع والسجود ، وحرمت عبادة الأصنام والأوثان الجاهلية ، فلا اللات ، ولا مناة ، ولاهبل، ولا العزى، ولا أساف ، ولا نائلة (٣) وقام المؤذن على شرفات الحرم ينادي بأعلى صوته خمس مرات: أشهدأن لا اله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله " وذهبت نخوة الجاهلية ، وتعظمها بالآباء ، وأصبح الناس يعتقدون أنهم من آدم ، وآدم من تراب، فلا فضيلة لأحد على الآخر ، وبدأ الناس يتلون:

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوٓا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.(٤)

وشاهد أبو جهل تغييراً واضحاً في حديث الناس ، وآدابهم وعاداتهم، وأخلاقهم ، وسلوكهم، وعقيدتهم ، فلم ير عرفا جاهلياً ، أو نزعة عربية ، أو نصرةً قومية، يتعلق بها سيد بني مخزوم، ويقرُّ عيناً ، ورأى أن الحياة القديمة قد نسخت وأبطلت ، وأنشئ مجتمع جديد قام على أساس من العقيدة، والخلق ، والفضيلة ، والتقوى ، وتغيرت الموازين والقيم، وتغيرت عقول الناس ونفوسهم.

ولقد كان يرى في الدين "الجديد" الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الخطر والضرر

١ـ كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه : ص١٠٠.

٢ـ الترجمة العربية : المصري ، د.حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ١٨١ـ ١٨٢.

٣ـ كان أكثرها أصنام قريش ، والتي كانت لغيرها كانت قريش تعظمها ، راجع ابن هشام وابن الكلبي.

٤ـ سورة الحجرات ، الآية: ١٣.

على الدين الذي قام على تقديس القومية الضيقة ، والعصبية القرشية، والنظام الجاهلي الذي يقوم على النسب والوطن، وتفضيل الدم والعرق ، ويرى العالم كله في حدود "المملكة القرشية" التي قامت في مكة ، ولا يعني بخارج هذه الحدود.

إن دينه (محمد صلى الله عليه وسلم) حتف للوطنية والقومية ، إنه من قريش ، ولكنه لا يفضل حرّاً على عبد، وغنياً على فقير ، وعربيا على عجمي ، يجلس مع مولاه على مائدة واحدة ، ويأكل معه، لقد اختلط الأحرارالبيض بالعبيد السود وانمحى الفرق بين الغني والفقير.

ولا شك في أن هذه المؤاخاة بسبب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته . يبين إقبال فيوض الرسالة كذلك :

از رسالت در جهان تكوين ما　　　از رسالت دين ما آئين ما
آن كه شان اوست يهدي من يريد　　　از رسالت حلقه گرد ما كشيد
حلقهٔ ملت محيط افزاستے　　　مركز او وادئ بطحاستے
ما زحكم نسبت او ملّتيم　　　اهل عالم را پيام رحمتيم
از ميان بحر او خيزيم ما　　　مثل موج ازهم نميريزيم ما (١)
بالرسالات بدا تكويننا　　　شرعنا منها ومنها ديننا
ذاك من "يهدى إليه من يريد"　　　حلقة منها حوالينا يشيد (٢)
حلقة ذات محيط يعجز　　　ساحة البطحاء فيها مركز (٣)
نحن مما جمعتنا أمة　　　أرسلت للناس فيها الرحمة
موجنا في بحرها متصل　　　موجة من موجة لا تفصل (٤)

ويشرح خليل الرحمن في ضوء كتاب إقبال "تجديد التفكير الديني في الإسلام" معنى النبوة لدى إقبال قائلا:

"أن النبوة ضرب من الوعى الصوفي ينزع ما حصله النبي في مقام الشهود إلى مجاورة حدوده ، وتلمّس كل سانحة لتوجيه قوي الحياة الجمعية توجيهاً جديداً ، وتشكيلها في صورة متحدثة، فالمركز المتناهي من شخصية النبي صلى الله عليه وسلم يغوص أغواراً لا نهائيته لطيفو ثانية مفعما بقوة جديدة تقضى على القديم وتكشف عن توجيهات للحياة جديدة ، وهذا الاتصال بأصل

١- كليات إقبال (فارسى) رموزبے خودى، ص٢٢٨.

٢- إشارة إلى الآية : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ آيَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ سورة الحج ، الآية:١٦.

٣- بطحاء :مكة .

٤- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات، ص٢٠٢.

وجوده ليس خاصاً بالإنسان بأي حال من الأحوال ".(١)

ثم يقول:

"أن نبـي الإسـلام يبـدو أنـه يقـوم بيـن العالم القديم والعالم الحديث ، فهو من العالم القديم بـاعتبـار مـصـدر رسـالتـه، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها ، فللحياة في نظره مـصـادر أخـرى لـلمعرفة تلائم تجاهها الجديد ، ومولد الإسلام ، كما أرجوا أن أتمكن من أثباته لكم بعد قليل إثباتا تطمئنون إليه ، هو مولد العقل الإستدلالي، أن النبوة في الإسلام لتبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها " (٢).

ثـم يـوضـح إقبـال طبـعية الـوحي باعتباره الصلة القائمة بين الله والنبي صلى الله عليه وسلم، ويـرى أنـه ظـاهـــرة عامة من ظواهر الوجود ، فالظواهر البيولوجية والفيسولوجية في عالمي الحيوان والنبات إنما تستمد اتجاهها الخلاق ، والقرآن نفسه يستعمل الوحي لعوالم مختلفة ، كقوله تعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾(٣)

"وهـكذا يعتبر إقبال النبوة ظاهرة طبعيته أملتها المراحل التطورية للبشرية ، ففي طفولة البشرية كـانـت الـقـوي الـروحـانية تـتـطور أحيانا إلى ذروة الوحي النبوي لتوجيه الناس و تحقيق مصالحهم، فـالـنبـوة التي هي ثمرة القوي الروحانية الفطرية ، كانت وسيلة للاقتصاد في التفكير وتمييز النافع من الـضـار، غير أنه بنمو ملكة العقل والتفكير لدى الإنسان أخذت الحياة نفسها تعمل لكبت تلك القوي التـي لا تـعـتـمـد فـي مـعارضها على التفكير الاستدلالي ، وهكذا عرفت الإنسانية في تاريخها طورين عظيمين :

١ـ طوراً اعتمدت فيه على قواها الروحية ، ممثله في الوحي.

٢ـ طـورا نسـخ ذلك الـطـور السـابـق وتميز باعتمادها على القوي العقلية المنظمة ، ورسول الإسـلام صـلـة وصـل بين الطورين أو العالمين ، عالم الفطرة وعالم العقل ، فهو من عالم الفطرة باعتبار مـصـدر رسـالتـه وهـو الوحي ، وهو من العالم الحديث ، عالم العقل ، باعتبار مضمون رسالته يعني ما احتـوتـه رسـالة الإسـلام، والـنص القرآني من دعوة صريحة إلى استعمال العقل ، وحث على النظر في الكون ، بحيث اعتبرت هذه الدعوة فريضة دينية قائمة ".(٤)

١ـ محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الإسلام : ترجمة : عباس محمود ، ص ١٤٣.

٢ـ نفس المرجع ، ص١٤٤.

٣ـ سورة النحل ، الآية: ٦٨.

٤ـ محمد إقبال : تجديد التفكير الديني في الإسلام ، ترجمة : عباس محمود ، ص١٤٢ـ ١٤٤.

ـ وانظر : محمد الكتاني : محمد إقبال ، مفكراً إسلاميا ، ص ٧٣، ١٧١.

وهـكـذا يـنص إقبال على أن النبوة في الإسلام تبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى الغاء النبوة نفسها ، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمدا إلى الأبد على زمام يقاد منه ، وأن الإنسان لكي يحصل كمال معرفته لنفسه ، ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هـو ، وأن مـخـاطبة الـقـرآن لـلـعقل وحثه على التجربة على الدوام ، واصراره على أن النظر في الكون والـوقـوف عـلـى أخبـار الأولـيـن مـن مـصـادر الـمعرفة الإنسانية كل ذلك صور مختلفة لفكره انتهاء النبوة". (١)

مناقشة رأي إقبال في النبوة

ثم خليل الرحمن ينقد على رأى إقبال في النبوة ويبين بالبراهين كذلك :

وإذ انـظـرنـا فـي تـفسيـر إقبال للنبوة نظرة دقيقة، وجدنا أنه أخطأ في عديد من الأمور ، منها: أولا: أن الـنبـوة ليست ضرباً من الوعي الصوفي، كما توهم إقبال ، فإن الله تعالى يختار النبي من عباده ويـصـطـفيـه مـن بيـنهـم حسـب إرادته وحكمته. فإنه تعالى أعلم حيث يجعل رسالته ، فالنبوة موهبة ومكرمة وتكليف من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده ويحمّلها من يختاره منهم : كما يقول الله تعالى:

﴿اللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾(٢)

عـلـى خـلاف امر الوعي الصوفي فإنه يحصل عليه بممارسة الرياضة الصوفية كل من يجتهد في الحصول عليه ، فالنبوة مرتبة لا يمكن أن يتشرف بها أحد من اختياره و كسبه ورياضته ،ويقول الله تعالى:

﴿وأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾(٣)

والـوعـي الـصـوفـي يمكن الحصول عليه بالكسب والاجتهاد وإذا كانت الولاية بالمصطلح الـصوفي، ليس من الضروري الحصول عليها بالكسب والاجتهاد ، مع أنها أدنى رتبة من النبوة ، فليس كـل صـوفـي وليـا، كما أنه ليس كل ولي صوفيا، فكيف بالنبوة؟ ويوهم تفسير إقبال للنبوة المبين في "تـجـديد التفكير الديني" أنه يمكن التشرف بها بالكسب والاجتهاد وذلك خطأ واضح ، فإن الأنبياء قـد وهبوا النبوة مفاجأة ، مثل قصة سيدنا موسى عليه السلام ، فأنه لم يكن على معرفة أن الله تعالى قد اختـاره لـلنبوة حتى لحظة أن رأى نارا في طور سيناء ، و كلمه الله تعالى وأخبره باختياره نبيا، و كذلك سيـدنـا مـحمد لم يكن على معرفة من أنه سوف يختار للنبوة حتى إذا نزل عليه الروح الأمين في جبل حراء ، وألقى إليه رسالة الله تعالى ، يقول الله تعالى:

١- خليل الرحمن عبدالرحمن : محمد إقبال و موقفه من الحضارة الغربية . ص ١٨٢-١٨٣.

٢- سورة الشورى ، الآية: ١٣.

٣- سورة طه ، الآية:١٣.

١ـ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (١)

٢ـ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ ...... مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(٢)

وبعد نزول الوحي رجع الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم إلى البيت وهو خائف ، يقول: زملوني و دثروني ، فلو كان الوحي نوعا من وعي يتحصل بقطع المدارج الصوفية وسلوك المناهج الروحية المعتادة لدى الصوفية، لما حدثت تلك المفاجأة عند نزول الوحي في أول الأمر ، على سيدنا محمد وسيدنا موسى عليه السلام، ففي هذا التفسير انخدع إقبال بآراء الصوفية الذين يفسرون النبوة والولاية بتفاسير ليس لها برهان منزل من اللّٰه تعالى ، حتى قد اغتر بعضهم إلى حد أنه قال إننا معشر الصوفية أفضل من الأنبياء لأن اتصالنا باللّٰه تعالى مباشرو اتصال الأنبياء به تعالى يحتاج إلى واسطة وهي الملائكة.

ثانيا: أن إقبال لم يشرح في تفسيره كيفية نزول الوحي بواسطة الملائكة والروح الأمين، فإن الروح الأمين هو الذي يقوم بنقل الوحي إلى الأنبياء ، ولم يشر إقبال في تفسيره إلى هذه المسألة مطلقا.

ثالثا: يوهم تفسير إقبال كأن النبوة عمل خاص للنبي وله فيه رغباته وتصرفاته وليس ذلك حقا، فإن النبي مأمور بأوامر اللّٰه تعالى . فإنه تعالى يربيه للتجرد إليه والعمل من أجل مرضاته حتى لم تعد للنبي رغبة ذاتية ، ولو للهداية ، فقد قال تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(٣)

وقال:

﴿وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾(٤)

وقال:﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوا .... ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ . (٥)

وقال :

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٦)

والفارق الذي أوضحه إقبال بين عمل الصوفي وعمل النبي من أن عمل الصوفي يبقى فرديا و عمل الرسول ينتقل إلى المجتمع ، صحيح ولكن عمل الرسول ليس من عند نفسه ، فإن الرسول عاد خائفا حين نزل عليه الوحي في بدأ الأمر وقال دثروني وزملوني ولم يقل إني مارست هذه التجربة، فتعالوا ، أيها الناس ، وأوجدوها في حياتكم .

١ـ سورة الجمعة ،الآية: ٤ .

٢ـ سورة إبراهيم ، الآية: ١١ .

٣ـ سورة القصص ، الآية: ٥٦ .

٤ـ سورة الرعد ، الآية: ٤٠ .

٥ـ سورة القصص ، الآية : ٨٦.

٦ـ سورة آل عمران ، الآية: ١٢٨ .

رابعـا: لا شك فـي أن لـلـعقل دورا بالغا في بناء المجتمع وتوجيهه وتطوير العلوم والتجارب ولـكـن له مجال محدد وليس في استطاعته اقامة ميزان ثابت يميز به الحق من الباطل ، فدور العقل في الإسلام مـقـيـد بـالـوحـي والأمة والـمسـلـمة مسؤولة أن تحمل رسالة الإسلام في ضوء ذلك الوحي الـمـنـزل، وليس العقل في المنهج الإسلامي حرا طليقا في تصرفاته يحرم ما يشاء ويحلل ما يشاء كما يـوهـم تفسير إقبال هذا ، والواقع أن إقبال متأثر ومنخدع في رأيه أن العقل حل محل الوحي في العصر الـحـاضـر ، بأفكار الغربيين ، والواقع كذلك أن هذا الرأي لا يمثل وجهة نظرة الشاملة في هذا الشأن، فـإنـه قد أعطى القرآن الكريم حقه والسنة النبوية حقها في أكثر من موضع من دواوينه ومقالاته، فقال مثلا، فمن منظومته "رموز اللاذاتية"

"إن ديـن مـحـمـد مصطفى هو دين الحياة وشرعه شرح لنظام الحياة ، وإذا فقدت الأمة أسوة الرسول تفقد وجودها وبقاء ها .(١)

وقال كذلك ، تحت عنوان:

"إن الأمة لا تنتظم بدون شريعة وشريعة الأمة المحمدية القرآن الكريم:

از تـلاوت بـر تـو حق دارد كتـاب	تـو ازو كـامـے كـه مى خواهى بياب (٢)
لـكتـاب الله حـق فـاقـرآن	كـل مـا تبغيـه ، منـه فـاطلبن (٣)

وقال :

از يك آئيـنـى مسلـمـان زنـده است	پيـكـر مـلـت ز قرآن زنـده است
مـاهـمـه خـاك و دل آگـاه اوست	اعتـصـامش كن كه حبل الله اوست
چـون گهـر در رشتـهٔ او سفتـه شو	ورنـه مـانـنـد غبار آشفتـه شو (٤)
وحـدة الشـرع حـيـاة الأمة	فـمـن الـقـرآن روح الـمـلة
نـحـن طيـن وهـو قـلـب لا جـرم	هـو "حبل الله" من شاء اعتصم
فـانتـظـم فـي سلـكـه كـالدرر	أو غبـارا فـي الـريـاح انتشـر (٥)

١- عبدالرحمن ، خليل الرحمن : محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ، ص١٨٤- ١٨٥.
٢- كليات اقبال (فارسى) رموز بے خودى، ص٢٧٢.
٣- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ،الدكتور: رموز نفي الذات ،ص ٢١٦.
٤- كليات إقبال (فارسى) رموز بے خودى ، ص٢٧٨.
٥- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفى الذات ، ص٢١٧- ٢١٨.
- وانظر : خليل الرحمن عبدالرحمن : محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ، ص ١٨٢- ١٨٥.
- وانظر: عبدالحميد ابراهيم ، سمير : رسالة الخلود ، ص ١١٣- ١١٤.
- وانظر: قاضي محمد ظريف ، ايم اے : اقبال قرآن كى روشنى ميں (الأردية) ، ص٢٥٧- ٢٦٧.
- وانظر: كلام إقبال ميں انبياء كرام كا تذكره (حضرت محمد إقبال كى نظر ميں)(الأردية) ،ص٣١٢- ٣١٤.
- وانظر: استاد عزيز أحمد : أفكار إقبال أربع محاضرات حول الدكتور إقبال ، ص٢٩-٣٠.

جهود إقبال في الرد على القاديانية في مسألة ختم النبوة

وقام إقبال ببذل جهود جبارة في الرد على القاديانية القائلة بأن سلسلة النبوة لم تنته برسالة محمد ﷺ، ففي مايو ١٩٣٥م نشر إقبال مقالة في الرد على القاديانية، تحت عنوان "القاديانية والمسلمون" فقام الزعيم الهندوكي البانديت جواهر لال نهرو، يرد عليه مدافعاً عن القاديانية فكتب إقبال عدة مقالات بالإنجليزية في جواب نهرو، دافع فيها عن مسألة ختم النبوة برسالة محمد ببالغ حماسة وحكمه.

ويقول خليل الرحمن عن جهاد إقبال في ردّ القاديانية:

"ولصاحبنا (إقبال) مأثر جليلة أخرى في باب الدعوة الدينية والدفاع عن حرمة الدين المبين، لا تنسى أبد الدهر، ولو لم يكن من أعماله الجليلة الخالدة إلا هذه المأثرة العظيمة لكفته فخرا في الدنيا وذخرا في الآخرة، إلا وهو موقفه الجليل المشهور بازاء النحلة القاديانية الضالة المعضلة، في السنين الأخيرة من حياته. إن الزعيم جواهر لال نهرو وكتب مقالتين. ينكر فيها على الجمعيات المسلمة الدينية حركتها ضد القاديانية ويؤيد جانب القاديانية، وفي مثل هذه الأحوال انبرى المسلم المؤمن محمد إقبال للدفاع عن حظيرة الإسلام وردّ كيد القاديانية في نحورها، وتطهير الدين المبين من أرجاسها وأدناسها، فنشر تصريحات عديدة في الصحف، بين فيها مؤقف الإسلام بازاء هذه النحلة المارقة التي تؤمن بنبوة الغلام القادياني الكذاب، وكشف عن عورات القاديانيين وأمام اللثام عن خدماتهم للاستعمار البريطاني وتمسكهم بأذياله".(١)

ويشرح إقبال ختم نبوة صلى الله عليه وسلم في شعره:

پس خدا بر ما شریعت ختم کرد	بر رسول ما رسالت ختم کرد
رونق از ما محفل ایام را	او رسل را ختم وما اقوام را
خدمت ساقی گری باما گذاشت	داد ما را آخرین جامی که داشت
لا نبي بعدي از حسان خدا است	پردهٔ ناموس دین مصطفی است
حق تعالى نقش هر دعوى شكست	تا ابد اسلام را شیرازه بست
دل ز غیر الله مسلمان بر کند	نعره لا قوم بعدی می زند (٢)
ختم الله علينا شرعته	وعلى المرسل فينا بعثته
محفل الأيام منا يبسم	ختم الرسل بنا والأمم
خدمة السّاقي إلينا صرفا	جامه الآخر فينا خلّفا

١- خليل الرحمن عبدالرحمن: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، ص١٨٦- ١٨٧.

٢- كليات اقبال (فارسى) رموز بے خودى، ص ٢٣٠.

"لانبي بعد" فضل عرفا — إنه حرمة دين المصطفى
كل دعوى بعدها للأفن — أحكم الإسلام طول الزمن
ماسوى الحق قلاه المسلم — قائلا: "لاقوم بعدى" فاعلموا (١)

فيبين إقبال أن سلسلة النبوة ختمت على الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته آخر أمة، وشريعة الإسلام هداية للإنسان إلى يوم القيامة .

طواسين النبوة الأربعة عند إقبال(بوذا،ذردشت،المسيح،محمد ﷺ)

وقد كتب إقبال في "جاويد نامه " بحوثا حول هؤلاء المذاهب وبيّن رابطة تنتظم هؤلاء الأديان جميعا ويوضح مسألة الخير والشر في نظرة كل من هذه الأديان وفي الأخير يثبت عظمة الإسلام ونبيه على الأديان الأخرى وأنبياء هم.

الأن نحن نستعرض فكرة هذه الأديان في هذه الصدد:

هناك رأيان في وجود الخير والشر وبعض الأديان يدعي بكون الخير وحيدا وينكر وجود الشر ولكن البعض منها يؤمن لوجود الخير والشر في وقت واحد و لكن كلهم فشلوا إذ وقعوا في الإفراط والتفريط في وجود الخير والشر.

وفي رأي إقبال:

"إن ينقسم تاريخ الإنسان على وجه الأرض تقسيماً جديدا على أساس الرسالات السماوية، وذلك أن النبوة لها دور أساسي في توجيه التاريخ ، وكل دور تاريخي بارز ، أو بعبارة أخرى كل حضارة أصيلة في تاريخ الإنسان ، إنما تولد وتنمو في حضن نبي ﷺ ، ويحاول إقبال هنا تطبيق هذه الفكرة بتقسيم التاريخ الإنساني إلى عصور أربعة هي عصور: بوذا ، و ذرتشت ، ومسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم".(٢)

ويبدو أن إقبال لم يجعل نظرة هذه الأديان إلى قضية الخير والشر أساس هذا التقسيم ، لم تشغل فكر إقبال إلى هذا الحد ولكن الذي شغله حقا ذلك الخطأ في فهم الحياة. حتى عصر الرسالة المحمدية حيث اكتملت معرفة الإنسانية ، عن طريق الوحي الخاتم، بالحياة ودور الإنسان فيها.

وعند البوذية إن العالم كله شر ويدعي بوذا أن ما هو في الدنيا هو رجس ، فبقاء الإنسان أن لا يميل إليها ، ولا يشغل إليها ، وينبغي أن يختار البعد عنها والتحرر منها ، فمع هذا الفكر ظهرت الرهبانية ، وبدأ متبعوا بوذا يعيشون بعيدين عن الدنيا ومنفردين.

وجاء عصر الزر دشتية وكانوا يزعمون أن الخير والشر كلاهما موجودان في الدنيا ، وهكذا آمن الزردشتيون بالثنوية وبوجود إلهين ، فحدث بعض الرقى في فهم الإنسان للحياة حيث دعا

١- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص ٢٠٣.

٢- افتخار أعظمي : جاويد نامه (رسالة الخلود) ، ص ١١٠.

زردشت إلى نبذ الخمول والعزلة كما دعا إلى الحركة والتجمع ، لا إلى العزلة والزهد، لكن متبعي ذردشت اخطأوا في تهويلهم من شأن المشكلات التي يواجهها الإنسان لكي يصبح صالحا للحصول على الحياة النقية والصافية .

وهكذا بدأ صراع بين المادية والزهد ، وهكذا برز كثير من الحضارات في الدنيا وغابت. ثم جاء الحضارة المسيحية وذلك الوقت العالم كان يشتمل على وجود الخير والشر معاً. فعند المسيحية ، سرالفوز و فلاح العالم في هذا الأمر أن يؤمن بدين المسيح عليه السلام وهو دين الخير كاملا.

ولا شك أن المسيحية نجحت في تهذيب الحياة ولكنها همها على حياة الفرد فأصحبت عاجزة عن إدراك العلاقات الإنسانية والاجتماعية. وهكذا هذا التهذيب أيضا لم يصدق في قوله و ما وافق مقتضيات العصر .

فهكذا ثلاثة أديان فشلت في التطبيق بين الماده والروح و وقعت في غابة الإفراط والتفريط. ويبين إقبال ، بعد الذكر والبحث عن هذه الأديان عظمة الإسلام ويثبت ، كيف يحل الإسلام هذه المسألة أي وجود الخير والشر وتطبيقه ، وهو يقول :

"وجاء محمد صلى الله عليه وسلم فانتقلت المشكلة من هذا الطابع الميتافيزيقي البحث واتخذت شكلا واقعيا تمثل في معالجة الإسلام ، ولقد عالجت الشريعة المحمدية هذه القضايا بأسلوب من شأنه أن يشحذ ما لدى الإنسان من ملكات خلاقه مبدعه لكي يستطيع تسخير الكون باعتباره خليفة الله في أرضه ، ولكي يفوز في النهاية بالخلود والسعادة فيحقق الخير المنشود الذي بدا بعد التجارب الإنسانية السابقة بعيد الحقق ".(١)

فالدين الإسلامي دين كامل والهداية لكل قوم وهذا الدين دين رحمة وجاء به رحمة للعالمين كما يذكر إقبال:

نوع انسان را پيام آخرين   حامل او رحمة للعالمين (٢)

ذا بلاغ آخر للمرسلين   قد تلاه "رحمة للعالمين" (٣)

فقد أكمل الله دين الإسلام على محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال شريعته الشريعة الكاملة وفيها تعليمات الاديان كلها وفرض علينا أن نتبع شريعته في كل مجالات حياتنا ، لكى نفوز في الدنيا والآخرة ، ونكسب محبة الله ورسوله .

١- افتخار أعظمى : جاويد نامه (رسالة الخلود) ، ص ١١٧ .

٢- كليات إقبال (فارسى) رموز بے خودى، ص ٢٧٠.

٣- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب،الدكتور : رموز نفي الذات ، ص ٢١٥ .

ويقول إقبال في إتباع شريعة المحمدية ﷺ :

در شـريـعـت مـعـنـى ديگـر مـجـو غيـرضـو در بـاطـن گـوهـر مـجـو
ايـن گهـر را خـود خـدا گـوهر گراست ظـاهرش گوهر بطونش گوهر است
عـلـم حـق غيـر از شريعت هيچ نيست اصـل سنـت جز محبت هيچ نيست (١)
لا تـقـل فـي الشرع معنى مضمر ليـس إلا الـنـور تـحـوي الـدرر
جـوهـر أبـدع فـي الـقـادر جـوهـر بـاطـنـه والـظـاهـر
ليـس عـلـم الـحق غيـر الشـرعة ليـس غيـر الـحـبِّ أصـل السنة (٢)

وفـي ضوء هذه الأشعار نفهم أهمية وضرورة اتباع شريعة الإسلام وسنة النبي بطريق أحسن . وخلال مطالعة شعر إقبال نجد أنه يذكر بعض نواحي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي لم يذكر شوقي في شعره .

١- كليات إقبال (فارسى) رموز بے خودى ، ص ٢٧٨ .

٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص ٢١٨ .

الفصل الثالث

الخوارق والمعجزات

ذكر خوارق النبي والمعجزات في كلام شوقي وإقبال

قبل أن ننظر الخوارق والمعجزات في كلام شوقي وإقبال ، ننظر ماهي المعجزة وماهيئته: المعجزة عند جمهور العلماء من الأصول هي خرق العادة، التي تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم كدليل وحجة لتحقيق نبوته، لأن الأدلة العقلية لا تكاد تؤثر في الأفراد الذين يعتقدون في الظواهر فقط ، فظهور الخوارق والمعجزات تكون عوناً كبيراً في سبيل إثبات النبوة والاستسلام لها ، ولذلك كثير من الأنبياء والرسل قد أوتوا المعجزات حتى تتحقق عظمة نبوتهم ومثل الأنبياء الآخرين قصص الله نبينا صلى الله بمعجزات والخوارق. وهذه الخوارق تسمى بالمعجزات في المصطلع الديني وعددها في حياة النبي عليه التحيات والتسلميات بكثير ، ونجد ذكرها في كتب الحديث كلها.

وكان ذات محمد صلى الله عليه وسلم المعجزة الكبرى بنفسه ، ومن قبله أرسل الله تعالى أنبيائه رحمة لقومهم وزمانهم . وأرسله الله تعالى رحمة للعالمين ، جاء رحمة مطلقة لقومه وزمانه ، ولمن يجئ بعده من الأقوام والازمنة على تعاقب الأيام وتتالى الدهور ، كما جاء في القرآن الحكيم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(١)

ويقول أحمد بهجت في هذا الصدد:

"ولقد كان جوهر دعوات الأنبياء السابقين عليه هو الإسلام، وكان عنوان رسالته هو الإسلام، فتأمل أنت أي إعجاز أن يكون العنوان جوهرا، ذلك هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد. وسيد أبناء آدم، وعبدالله ورسوله ، ورحمة الله المهداة المبشر".(٢)

وحكمة الله تعالى أن يؤيد كل رسول بمعجزة أو معجزات تصدق دعواه ، وتثبت لقومه أنه مبعوث من الله ، ليؤمن به من يؤمن عن هوى وبينته واقتناع ، فقد بعث موسى عليه السلام إلى قوم برعوا في الكيمياء والسحر ، فأبطلت معجزاته سحرهم .

وقال الله تعالى في القرآن الحكيم :

﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَغُلِبُوا هُنَالِكَ

١- سورة الأنبياء ، الآية: ١٠٧.

٢- أحمد بهجت : أنبياء الله .الطبعة الثالثة ،القاهرة، بيروت: دار الشروق للطباعة والنشر ، ابريل ١٩٧٥م، ص٣٧١.

وَانقَلَبُوا صَغِرِينَ . وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سٰجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعٰلَمِينَ . رَبِّ مُوسٰى وَهٰرُونَ﴾(١)

وبعث عيسى إلى قومه بالخوارق والمعجزات ، يذكرالله تعالى معجزاته في الآيات التالية بلسانه:

﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّٰهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتٰى بِإِذْنِ اللّٰهِ﴾(٢)

فلما اجتبى الله محمدا للرسالة تطلع قومه إلى ضرب من هذه المعجزات المادية.

ويذكر الله تعالى شبهات قوم محمد صلّى الله عليه وسلّم وجوابه من الله تعالى بقوله هذا:

﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتّٰى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتٰبًا نَّقْرَؤُهُ ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾(٣)

ومعنى هذا صرفهم عن التحّدى المادي لأنه صار لا يلائم البشرية بعد أن تقدمت وتطوّرت وصلات جديرة صارت بإعجاز فكري ، عقلي بياني. وفي ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم يقول البيهقي في كتابه:

"وأنت إذا تأملت معجزاته وباهر آياته وكراماته عليه الصلاة والإسلام وجدتها شاملة للعلوى والسفلى والصّامت والناطق والساكن والمتحرك والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والأجل إلى غير ذلك ممّا لو عُدّ لطال كالرّمى بالشهب الثواقب ، ومنع الشياطين من استراق السمع، وتسليم الحجر والشجر عليه صلى الله عليه وسلم . وشهادتها له بالرسالة ومخاطبتها له بالسيّادة وحنين الجذع ، ونبع الماء من كفيه، وانشقاق القمر، ورد العين بعد العور، ونطق البعير والذئب ، وكالنور المتوارث من آدم إلى جبهة أبيه وما سوى ذلك من المعجزات التي تداولتها الرواة مما لو أعملنا انفسنا في حصرها نفسي المدي في ذكرها ، ولو بالغ الأولون والآخرون في احصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه الكريم من مواهبه صلى الله عليه وسلم" .(٤)

فمن معجزاته ماجاء به من القرآن المجيد ، كتاب أحكمت آياته، وفصلت كلماته ، وبهرت مطالعه، وزهرت مقاطعه ، وظهرت بدائعه ، وأضاءت ديباجة عبارته ، ورست قواعد إيجازه واعجازه، واعتدل حسن نظمه ، وزها فريد حكمه وحكمه، وحسن ترصيعه وترصيفه ، وخص بالبيان والبديع تأليفه ، وادهش النواظر بطلاوته وحرك الالسن بوصف حلاوته ، وسلب الالباب اسلوبه الغريب:

"كتاب يخص المؤمنين بوعده ويحيي قلوب العارفين بوعظه

١- سورة الأعراف ، الآية:١١٥-١٢٢.

٢- سورة آل عمران ، الآية: ٤٩.

٣- سورة بني إسرائيل ، الآية: ٩٣.

٤- البيهقي : دلائل النبوة ، ص٢٦٩-٢٧٠.

- وانظر: أحمد الحوفي ، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص١٠٤- ١٠٥.

ويهدي سناهدي لتالي حروفه ورا مقها بين الرقوم بلحظه
لقد حارت الأفكار من حسن نظما وسر معانيه وجوهر لفظه
فسقياً لمن يقفومنا هج حقه ورعيّا لعبد عد من أهل لحفظة" (١)

إن الله قد اعطاه المعجزات الخاصة التي لم تعط لأحد سواه ، كما قال الله تعالى:
﴿يَاَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا اَرْسَلْنٰكَ شَاهِداً وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِياً إِلَى اللّٰهِ بِإِذْنِهٖ وَسِرَاجاً مُنِيرًا﴾ (٢)
فقد جعل الله تعالى ذات رسول الكريم محبوبه وأعطاه كل الفضائل والصفات والمعجزات التي تختص به فقط.

ويلتزم شعراء في شعرهم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته ، ونجد شعر عديد في هذا الموضوع ، أما صاحبنا شوقي وإقبال فذكرا أيضا معجزات النبي صلى الله عليه وسلم في كلامهما.

فأشاد شوقي في قصيدته معجزات النبي مثلا:

تحدث عن نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم لارواء صحبه العطاش(٣) وعن تظليل السحابة له (٤)، وعن نسبح العنكبوت على فتحة غار ثور و تعيش الحمام على بابه لما اختبأ النبي صلى الله عليه وسلم بالغار هو و صديقه أبوبكر رضي الله عنه في هجرتهما من مكة إلى المدينة (٥). وتعقبتها قريش ، لكنها ضلت مكانهما ، وكتب الله لهما النجاة ، كما يذكر الله سبحانه

١- النبهاني : جواهر البحار ، ٣/١١٦-١١٨.
٢- سورة الأحزاب ، الآية: ٤٥-٤٦.
٣- لا يذكر ابن هشام عنه في كتابه "السيرة النبوية" في سيرة ابن هشام ولا الطبري في تاريخه لكنه مذكور في إحياء العلوم الدين للغزالي (٢/٣٤١) وبهامشه عن البزار و الطبراني من حديث ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر ، فشكا أصحابه العطش ، فقال : ائتوني بماء ، فأتوه بإناء فيه ماء ، فوضع يده في الماء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه .
٤- في سيرة ابن هشام وفي تاريخ الطبري: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع الركب إلى الشام قبل البعثة ، فلما نزلوا بصرة كان بها راهب اسمه بحيرة ، فنزلوا قريباً منه ، قال ابن هشام : "ويزعمون أن رسول الله في الركب حين اقبلوا وغمامة تظلله ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه ، فنظر بحيرة إلى الغمامة ، حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصانها على رسول الله حتى استظل بها فلما رأى بحيرة ذلك نزل من صومعته ثم أرسل إليهم وأولم لهم وسأل محمدا عن أمور من حاله في نومه وأمور كلها ، فوافقت إجابته ما عند بحيرة من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، فأخبر أبا طالب بأن ابن أخيه هذا سيكون له شأن عظيم ، وحذره اليهود لأنهم لو رأوه وعرفوا فيه ما عرف لبغوه شرا(ابن هشام ، ١/١٩١ ، والطبرى ،٢/١٩٥) وفي سيرة الزهري أنه حبر من يهود تيماء وفي المسعودي أنه من عبدالقيس واسمه سرجس (الروض الأنف ، ١/٢١٨)
٥- لا ذكر لهذا في سيرة ابن هشام وما ذكر الطبرى في كتابه عن هذه الواقعة ، لكنه في كتب متأخرة ، كالروض الأنف : ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبوبكر معه أنبت الله بابه شجرة حجبت عن الغار أعين الكفار ، وفي مسند البزار أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وأرسل حمامتين فوقفتا على فتحته ، وأن ذلك مما صدا المشركين عنه .(الروض الأنف ، ٢/٤)

وتعالى في القرآن الحكيم:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ، وَأَيَّدَه بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١)

وجاء في وصف أبي بكر للاختفاء في الغار قوله:

"كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، فرأيت آثار المشركين، فقلت يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه: يا أبابكر، ما ظنّك باثنين الله ثالثهما". (٢)

أما الغار فقد تحدث شوقي عنه بالعجب من العصبة المشركة التي اقتضت آثار النبي، وساء لهم كيف عموا عن آثاره الوضئية الدالة على ميسره؟ وكيف صموا عن سماع همسه المسيح المرتل للقرآن الكريم؟ وكيف ظنوا نسج العنكبوت على فتحة الغار قديما يحول بين الغار ومن يدخله؟ وظنوا الحمام الصغار طيرا كبيرا أقام منذ زمن بعيد؟.

يقول الدكتور أحمد الحوفي في هذه الصدد:

"ولقد عموا عن ذلك كله وصموا، فعادوا باللعنات، حتى لقد أنفت الأرض التي يمشون عليها من أن تطأها أقدامهم، فلعنتهم وعادوا بالخيبة الذليلة كأنهم باطل هزمه جلال الحق ولولا رعاية الله للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ما سلما من عصبة الشرك، ولولا حماية للنبي صلى الله عليه وسلم ما قام للإسلام صرح، فقد ادرع النبي وصاحبه بجناح الله، ومن يدرع بجناح الله يسلم". (٣)

ويقول شوقي:

"سل عصبة الشرك حول الغار سائمة ... لولا مطاردة المختار لم تسُم
هل أبصرو الأثر الوضاء أم سمعوا ... همس التسابيح والقرآن من أمم
وهل تمثّل نسج العنكبوت لهم ... كالغاب، والحائمات الزُّغب كالرّخم
فأدبروا وجوه الأرض تلعنهم ... كباطل من جلال الحق منهزم
لولا يدالله بالجارين ماسلما ... وعينه حول ركن الدين لم يقُم
تواريا بجناح الله واستترا ... ومن يضم جناح الله لا يُضم" (٤)

١- سورة التوبة، الآية: ٤٠.

٢- أخرجه مسلم بن الحجاج في الجامع الصحيح: كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق. الطبعة الأولى، بيروت:دار المعرفة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، رقم الحديث: ٣٠٩٦، ١١٠٣/٢.
وأنظر: أحمد الحوفي، الدكتور: إسلام في شعر شوقي، ص١١٨.

٣- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص١٢٠.

٤- الشوقيات: ١٩٩/١.

ونلاحظ هنا أن شوقي يبين هذه الواقعة بصورة حسنة والخيال البارع ، يصور صورة عصابة المشركين التي تطارد النبي دائرة تفتش في كل مقام ، ولكن فشلوا في تفتيشهم ، بل كان هذا مشية الله صاروا عمياًوما ادركوا وجود النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه، حتى ما سمعوا أصواتهم ، عندما وصلوا إلى وجه الغار و كان فيها رسول الله وصديقه ، ولكن رأوا نسج العنكبوت هنا و توهموه قديما ، وعشّش الحمام على وجه الغار، فعادوا خائبين خاسرين ملعونين . وحفظ الله رسوله من الكفار وشرهم .

ومن حفظه الله فلا يمكن لأحد أن يضره . وسافر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى مدينة بكل عافية و معجزة ويبين شوقي هذا بكل تصريح وبكل افتخار . ويثبت بالبراهين أن الرفعة للحق و الذلة للكفر دائماً.

وبعد ذكر هذه المعجزة تحدث شوقي عن معجزته الأخرى وهي نبع الماء من بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم وعن تظليل الغمامة .فيقول:

لما دعا الصحب يستقون من ظمأ فاضت يداه من السّنيم بالسّنم (١)

وظللته فصارت تستظل به غمامة جذبتها خيرة الديم" (٢)

ويقول أحمد الحوفي في هذا الصدد:

"وهنا نلاحظ حرص شوقي على التجنيس بين تسنيم وسنم ، ولا نوافقه على أن أجود المطر هو الذي جذب السحابة ، لأنه لا مطر بغير حساب ، وكان الصواب أن يقلب التعبير فيقول إن الغمامة حملت أجود المطر التي تنزل من السماء إلى الأرض كرحمة ويطفي عطش أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم"(٣)

ولا ريب فكر شوقي هذا جيد وبديع وأسلوبه يميزه عن الشعراء الآخرين من معاصريه. وشاعرنا إقبال كان عاشقا للرسول ، حقا لم يكتب مدائح تقليدية في وصف النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن في مؤلفاته المتأخرة قصيدة من وحى قصيدة البردة للبوصيري ، إذ ألم به مرض ، فرأى في منامه السيد أحمد خان(ت١٨٩٧م) المصلح الإسلامي في الهند . يذكره أن يتجه إلى الرسول ويطلب منه المدد، بالضبط كما وقع للبوصيري في القرن الثالث عشر الميلادي من شفاء ، فكتب البردة الرائعة "في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم " در حضور رسالت مآب "(٤) في مدح الرسول.

على أن إقبال لم يقتصر على ذلك ، فالرسول عنده أهم آية وتجَلّ لروح الإسلام ونجد عبارته واضحة في جاويد نامه : "يمكن أن تنكر الله لكنك لا تستطيع أن تنكر عظمة الرسول".

١- التسنيم : الامتلاء وماء بالجن يجري ، النسم : المراد المملوء، أي جاء ت يداه بماء كثير كأنه إناء من عين عميقة ممتلئة.
- الديم : جمع ديمة وهي المطر مدة في غير برق ولا رعد.
٢- الشوقيات: ١٩٦/١.
٣- أحمد الحوفي ، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص١٠٦ .
٤- كليات إقبال (فارسي) مثنوي پس چه بايد كرد اى اقوام شرق ، ص٩٢.

ويقول إقبال:

"مـي تـوانـى مـنـكـر يـزدان شـدن　　　مـنـكـر از شـان بني نتوان شدن" (١)

وعـلـى إنـكـار ربّ إن قـدرنـا　　　كلّ فضل المصطفى حتما عرفنا" (٢)

فـالـرسـول هو الذي قدم الإسلام وفسر ما تلقاه من وحي، ويذهب إقبال مراراً وتكراراً إلى أن الرسول كان الإنسان المثالي، وصفته: عبده (٣) كما ورد في القرآن.

وهـو صـلـى الله عليه وسلم حسب رأى إقبال الشخصية المثالية (هو كذلك عند المتصوفين التـقـليديين) ومن المهم أن ندرك أن حبه للرسول يشيع في كل إنتاجه، لذا ينبغي أن نظهر ذلك قبل أى جـانـب آخـر مـن جوانب أعماله، وبطبعية الحال ذكر إقبال شخصيات الأنبياء السابقين على محمد، وأثنى على إبراهيم إمام الموحدين والصادقين.

فيقول:

تـــارك آفـــل بـــراهـيـم خـلـيـل　　　انبيـاء را نـقـش پـائـے او دليل (٤)

آن خـــدائے لـــم يـــزل را آيتـــے　　　داشـــت در دل آرزوئـے مـلـتـے (٥)

جـوے اشك از چشم بيخوابش چكيد　　　تـــا پيـام طهـرا بيتـى شـنيـد (٦)

بهــر مـــا ويــرانــه آبــاد كــرد　　　طـائـفـان را خـانـهٔ بنيـاد كـرد (٧)

تـا نهـال تـب علينا(٨) غنچه بست　　　صـورت كـار بهار مـا نشسـت (٩)

تـــارك الآفـل، مـــن قبـل الـخـليـل　　　هـو لـلـرسـول على النهج دليل

إنـــــه لله فيــــنـــــا آية　　　رُبيــتْ فـي قـلبــه ذي الـمـلّةْ

"طهــرا بيتــي" إليـــه أنـــزلا　　　بـعـد سيـل مـن دمـوع شـيّـلا

قـفـــــرة مــــن أجلنا قد عمّرا　　　وبـنـى البيـت الّـذي قـد طهّـرا

تـب عـلـيـنـا نـضّرت زهـرتـهـا　　　فـنـمـتْ فـي أرضـنـا روضتهـا (١٠)

١- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه: ص١٣٠.

٢- الترجمة العربية: المصري، الدكتور حسين مجيب: رسالة الخلود، ص٢٠٢.

٣- سورة الأسراء، الآية: ١. وانظر: سورة النجم، الآية: ١٠.

٤- هذا تلميح لآية شريفة: ﴿لا أُحِبُّ الأفِلِينَ﴾(سورة الانعام، الآية: ٧٦)

٥- ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٢٨)

٦- ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(سورة البقرة، الآية:١٢٥)

٧- ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾(سورة ابراهيم، الآية: ٣٧)

٨- ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة البقرة، الآية:١٢٨)

٩- كليات اقبال (فارسى) رموز بے خودى، ص٢٢٦.

١٠- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: رموز نفي الذات، ص٢٠٦.

ونرى أنه سمى ديواناً آخر له باللغة الأردية ، ضرب الكليم ، فكما شق موسى الجبل ليخرج الماء من الصخر ، وكما ضرب بعصاه البحر الأحمر ليعبر شعبه . كان الشاعر يذهب إلى أننا بضربة قوية يمكننا بالتأكيد إنقاذ المؤمنين ، أو على الأقل نقترب من إنقاذ المسلمين في أيامنا هذه ، وفي نظره، كان موسى ذا اليد البيضاء أنموذجاً للنبي صلى الله عليه وسلم ذي المعجزات، ويظهر هو وإبراهيم كأسلاف نبي الإسلام.

كما يقول إقبال:

"بندۀ حق وارث پیغمبران　　　او نگنجد در جهان دیگران
تا جهانی دیگری پیدا کند　　　این جهان کهنه را برهم زند
پای او محکم بر زم خیر وشر　　　ذکر او شمیر وفکر او سپر" (١)

(الرجل الحق هو وارث الأنبياء ، لا يتبع أسوة غيره بأنه مؤسس العالم الجديد بعد تدمير العالم القديم هو مثابر في حرب الخير والشر ، وسلاحه في هذا الحرب ذكر وفكر)

وشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم هو محور فكر إقبال .

وكتب في عام ١٩١٢م في جواب الشكوى:

"أضئ العالم الذي طال إظلامه باسم محمد المنير".(٢)

على أننا نجد أروع وصف لدور الرسول في منظومته الثانية أسرار نفي الذات، وهو أكثر دواوينه اهتماما بالسياسة وأكثرها توجها نحو القرآن حيث يقول.

حب الرسول يجري كالدم في عروق الأمة ، وكان إقبال يشعر أن روحه موصولة بالنبي ، وكان على يقين أن الرسول هو المثل الأعلى للإنسان ، بصفته "عبده" فإن عبدالله ، حرو مقيد إلى الله في نفس الوقت . ووصف صفات "عبده " كذلك :

"لا اله تیغ و دم او عبده　　　فاش تر خواهی بگوهو عبده
عبده چند و چگون کائنات　　　عبده ، راز درون کائنات
مدعا پیدا نگردد زین دو بیت　　　تا نه بینی از مقام ما رمیت (٣)
لا اله السيف وهي حده　　　ولتصرّح ولتقل "هو عبده"
"عبده" كنه جميع الكائنات　　　"عبده" فيها معان مغلقات

١- كليات إقبال(فارسى) مثنوي مسافر ، ص ١١٠.

٢- كليات اقبال (الأردية) بانكِ درا (صلصلة الجرس) ، ص ٣٦٠.

٣- كليات إقبال(فارسى) جاويد نامه ، ص ٢٤٠.

ولهذا الشِّعر معنى ما فهمت   قبل فهم قول ربى "ما رميت" (١)

فهكذا نرى أن يأخذ إقبال صفات "عبده" كمعجزة النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي اصطبغ بصبغة الله ويهزم كل الشر والكفر بنفسه . ثم يذكر إقبال صفات محمد صلى الله عليه وسلم في جاويد نامه ، ويذكر سفره الروحاني إلى الأفلاك مع شيخه جلال الدين الرومي ، فيرد عليهم بأن اسمه"زنده رود" ويعنى "النهر الحي" نجده في قصيدة من قصائده المبكرة يصف محمداً بالنهر ، فهو نهر ذو قوة وجلال ، ويفصل الشاعر والفسلفي الألماني نيتشه(٢) هذه الصورة في أنشودة محمد صلى الله عليه وسلم ، كما يبدأ النهر من ينبوع صغير ، ويكبر ويتسع ،حتى ينتهي إلى المحيط العريض العظيم الذي يشمل الكل ، يمكننا تصور بداية النبي صلى الله عليه وسلم نبعاً صغيراً يتسع ويتسع ليشمل برسالته مزيدا من الناس والأقطار ليعود جميعاً إلى الله ، هكذا يحس إقبال أنه "يحاكى" النبي صلى الله عليه وسلم في كتاباته فهو ليس نبيا بطبعية الحال ، بل هو إنسان يسير في إثره بخطى لصيقة، وهذه الفكرة اذا حفظناها في ذاكرتنا تساعدنا على مزيد من الفهم لفكره .

تامل هذه الأشعار:

نوع انسان را بشير وهم نذير   هم سپاهى هم سپهگرهم امير
مدعائے علم الاسما ستے   سرّ سبحان الذي اسراستے
چون عنان گيرو بدست آن شهسوار   تيز تر گردد سمند روزگار
از قم او خيز داند رگو رتن   مرده جانها چون صنوبر در چمن
ذات او توجيه ذات عالم است   از جلال او نجات عالم است
جلوه ها خيز در نقش پاے او   صد كليم آوارهٔ سيناے او" (٣)
هو في الناس بشير ونذير   وهو جندي وراع وأمير
مقصد من "علّم الأسماء" هوه   سر "سبحان الذي أسرى" هواه
محضر من تحته طرف الزمان   حينما يمسك منه بالعنان (٤)
يبعث الأرواح منه قول "قم"   وهي إلى أبدانها مثل الرّمم

١- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (سورة الانفال، الآية :١٧)

- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ،ص ٢٦٢-٢٦٣.

٢- نيتشه : فيلسوف ألماني مستفيض الشهرة ، يُعد بحق من أهم قادة الفكر الذين كان لتفكيرهم أثر في العصر الحديث. وأكثر كتبه سيرورة كتاب بعنوان : "هكذا قال زردشت" وإن كان أشد ما كتب غموضا . وقد تناول المسيحية بالنقد ، واختلط عقله قبل وفاته عام ١٩٠٠م .

٣- كليات إقبال (فارسى) اسرار خودى ، ص ١١٦.

٤- يعدو تحته حصان الزمان ، أي يسير الزمان سريعاً إلى مقصده .

ذاتـــه تتبـع ذات الـعـــالـم　　سطـــوة فيـه نـجـاة العالم
سيـــره يـــخـضـر فـي بيـدائـــه　　كـم كـليـم هـام فـي سينـائـه" (١)

وننظر أن إقبال يجمع خصائص الانبياء في ذات محمد صلى الله عليه وسلم ويثبت أن سيدنا محـمد صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء والمثل الأعلى للإنسانية بكل جهات ، ويبين إقبال المعجزة الكبرى لرسول صلى الله عليه وسلم الاسراء والمعراج ، سنتكلم عن هذا الموضوع بالتفصيل في الصفحات الآتية ولكن بنسبة هذه القصة ينقل حكاية عن متصوف هندي عبدالقدوس الكنكوهي من منتصف القرن السادس عشر الميلادي ، التي نقلتها أنماري شمل في كتابها قائلة :

"محـمد النبي العربي عرج إلى أعلى مدارج السماوات ، ثم عاد، وأقسم بالله لو أنني وصلت إلى ذلك المقام ما كنت لأعود أبدا.(٢)

إن هـذا مـوقف متـصـوف كبير فهو يود البقاء في نعيم أبدى ، في حضرة الله . وألا يعود إلى العالم ، أما النبي فيعود ليحدث الناس عن تجربته في الجوار القريب من الله ، وليعلم الإنسانية ما تلقى من وحي الله وهـذا بـطـبـعية الـحال تطبيق مشير للاهتمام لمقولة في تاريخ الأديان تفرق بين الاتجاه الصوفي والاتجاه النبوي في الدين، كما يقول:

"تـا نبـوت حـكـم حـق جـارى كـنـد　　پشـت پـا بـر حـكـم سلطـان مـى زند
پـختـه سـاز و صـحبتـش هـر خـام را　　تـازه غـوغـاے دهـد ايـام را
درس او الله بـس بـاقـى هـوس　　تـا نيـفتـد مـردِ حق در بنـد كـس
از نـم او آتـش انـدر شـاخ تـاك　　در كف خـاك از دم او جـانِ پـاك
از نـگـاهـش فـرودیـس خيـز وذ دے　　درد هـر خـم تـلـخ تـر گـردد زمـے
مـن نـميـدانـم چـه افسـون ميـكـنـد　　روح را در تـن دگـر گـون ميـكـنـد
صـحبـت او هـر حـرف را در كـنـد　　حـكـمـت او هـر تهـى را پُـر كـنـد" (٣)

عـنـد مـا يـصـدع الـنبى بأمر الله جهراً في مسمع الأكوان　　يتـحدى بوحيه كلّ حكم لأمير في الأرض أو سلطان
تـذكّـى بـنـور صـحبتـه الـنـفـس ويهدي الرُشاد للحيران　　يـحدث الضّجّة الرهيبة في الأيام حتى تسير طوع الأماني
معلناً في الوجود لا رب غير الله يخشى ويُرتجى كلَّ آن　　كيف يرضى إذلال عبد لعبد و امتهان الإنسان للإنسان
قـطـرة من نداه تشعل ناراً في عروق الكروم والأغصان　　ويحلّي في قبضةٍ من تراث بعث روح اليقين والإيمان

١- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص١٥٦.

٢- أنـمـارى شـمـل : أسـرار الـعشـق الـمبدع ،في كتابات محمد إقبال، المحاضرة الخامسة في سلسلة محاضرات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، متحف فيكتوريا والبرت الملكي بلندن ، ١٩٩٦م ،ص ٢٠-٢٢.

٣- كليات اقبال(فارسى) پس چه بايد كرد اى اقوام شرق ، ص٢٢.

مـن جمود الشتاء يحيى ربيعاً باسم الروض ناضر الأفنان　　وثمال الرّاح المعتّق أشهى من رحيق مصفّق في الدنّان
قـــــدرة حارت النواظر فيها أي سر بها خفي المعاني　　يصبغ الروح في الجسوم بلون غير كل الرسوم والألوان
حـولت كيمياؤه الصدَّف البالي عقداً من الداري الحسان　　يتولى مل ء الفراغ بحزم يقهر المستحيل بالإمكان " (١)

ومـن الـمؤكد أن إقبال يمثل ما يسمي بالإتجاه النبوي صلى اللّٰه عليه وسلم ، كان سعيه أن يبشر الناس بمشاعره وتجربته . وفي سلسلة معجزات ذات النبي ، يذكر إقبال معجزته الأخرى بهذه الألفاظ :

آنـكـه مهتاب از سر انگشتش دونيم　　رحمت او عام و اخلاقش عظيم" (٢)
الـعـظيـم الـخـلـق مـن شـقّ الـقـمـر　　رحـمـة عـمّـت ونـورٌ لـلبشـر (٣)

ويقول في الموضع الآخر:

پـنـجـهٔ او پـنـجـهٔ حق مـي شـود　　ماه از انـگشـت او شق مى شود (٤)
در خـصـومـات جـهـان گردد حكم　　تـابـع فـرمـان او دارا وجـم"
يـدهـا مـن قـــوة الـــحـــق أثر　　فـإذا مـا أو مـات شق الـقـمـر
فـي خـصـومـات الورى أقوى حكم　　صـاغـر فـي حـكـمهـا داراً وجم (٥)

فهـكـذا يبين إقبال معجزات النبي صلى اللّٰه عليه وسلم بمناسبة ذاته وصفاته وأفعاله ، ويذكر بـعـض نـقـاط فـي سلسلة المعجزات التي لا نجد في كلام شوقي وهكذا ما نجد في شعر إقبال بعض النقاط التي يذكرها شوقي في ديوانه.

فهكذا يسعى إقبال وشوقي بتزيين كلامهما بذكر معجزات النبي صلى اللّٰه عليه وسلم حسب استطاعة قلمهما وفكرتهما ، ولا ريب أنهما بارعان في مجالاتهما ، وفي خلال ذكر معجزات النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قلوبهما مملوءة من حب النبي صلى اللّٰه عليه وسلم.

الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج هي المعجزة الكبرى من معجزات النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قبل أن نتكلم عن هـذا الـمـوضـوع بـالـتـفـصيـل ، يـنبغي لنا أن نعرف ما معنى المعجراج ، فنجد معنى المعراج في

١ـ الترجمة العربية: المصري ، صاوي شعلان، الشيخ : والآن ......ماذا نصنع ؟ يا أمم الشرق ، ص٣٤٨ـ ٣٤٩.
ـ وانظر أيضاً:صاوي شعلان ، الشيخ : ايوان اقبال : مختارات من شعره ، ص١٦ـ ١٨.
٢ـ كليات إقبال (فارسى) رموز بے خودى، ص ٢٩٠.
٣ـ الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفى الذات ، ص٢٢١.
٤ـ كليات إقبال (فارسى) أسرار والرموز، ص٧٦.
٥ـ دار و جمشيد من ملوك الفرس القدماء .
ـ الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص ١٤٣.

المعاجم العربية وهو كالآتي : المعراج : السُلّم وجمعه معاريج ومعارج، كمفاتيح ومفاتح ، وقيل : واحد المعارج معرج ، مثل مرقاة، فيقال على هذا معراج ، وجمعه معاريج كمفتاح وجمعه مفاتيح ، ومعرج وجمعه معارج كمفتح وجمعه مفاتح ، والمعارج المصاعد.(١)

وقوله تعالى:

﴿مِنَ اللّٰهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ (٢)

وقيل : أراد به معارج الملائكة ، وقيل ذي الفواصل العالية ، ويقال : عرج في السُلّم ، بفتح الراء يعرج ، بضمّها، إذا ارتقى ، وعرج يعرج أيضاً : إذا غمز من شئ أصابه ، فإذا هو أعرج ، يقال : عرج ، بكسر الراء ، يعرج ، بفتحها ، فإذا قيل كان للنبي صلى الله عليه وسلم معراج فمعناه: أنه عرج في السماء". (٣)

ذكر المعراج النبوي صلى الله عليه وسلم في القرآن والحديث

وقبل أن نستعرض ذكر معراج النبي صلى الله عليه وسلم في كلام شوقي وإقبال. ننظر ذكره في القرآن الحكيم والحديث النبوي صلى الله عليه وسلم ، لكي نفهم أهمية هذه الحادثة في الإسلام وعند المسلمين ، وقد جاء ذكر المعراج النبوي صلى الله عليه وسلم في آيات القرآن الحكيم مختلفة، فيما يلي :

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوٰى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوٰى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُّوْحٰى عَلَّمَهٗ شَدِيْدُ الْقُوٰى ذُوْ مِرَّةٍ فَاسْتَوٰى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلٰى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلّٰى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنٰى فَأَوْحٰى إِلٰى عَبْدِهٖ مَا أَوْحٰى وَمَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأٰى أَفَتُمٰرُوْنَهٗ عَلٰى مَا يَرٰى﴾(٤)

ويقول الله تعالى في سورة التكوير:

﴿إِنَّهٗ لَقَوْلُ رَسُوْلٍ كَرِيْمٍ ذِيْ قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِيْنٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِيْنٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُوْنٍ وَلَقَدْ رَاٰهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِيْنِ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِيْنٍ وَمَاهُوَ بِقَوْلِ شَيْطٰنٍ رَّجِيْمٍ﴾ (٥)

كما يسجل القرآن لقاء الرسول له مرة أخرى ، حيث يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ رَاٰهُ نَزْلَةً أُخْرٰى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهٰى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوٰى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشٰى مَا

١- لويس معلوف : المنجد ، للمطبعة الكاثوليكية ، بيروت. بدون التاريخ. وانظر : جبران مسعود : الرائد : الطبعة الثانية ، للطباعة والنشر : دار العلم للملايين ، بيروت:١٩٦٧م .

٢- سورة المعارج ، الآية: ٣.

٣- القشيري ، أبي قاسم عبدالكريم بن هوازن : كتاب المعراج : اخرجه وحققه : الدكتور على حسن عبدالقادر. الطبعة الأولى ، للطباعة والنشر دار الكتب الحديثة القاهرة،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ،ص٢٤-٢٥.

- وانظر: طاهر القادري ، الدكتور : فلسفة معراج النبي . الطبعة الحادية العاشرة، لاهور : منهاج القرآن بليكيشنز ، يوليو٢٠٠٦م

٤- سورة النجم ، الآية:١-١٣.

٥- سورة التكوير، الآية:١٩-٢٥.

زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰى لَقَدْ رَاٰى مِنْ اٰيٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى﴾(١)

كما جاء "الإسراء" من مكة إلى بيت المقدس موجزاً، كذلك في القرآن الكريم، حيث يقول تعالى:

﴿سُبْحٰنَ الَّذِىْ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِد الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَى الَّذِىْ بٰرَكْنَا حَوْلَهٗ لِنُرِيَهٗ مِنْ اٰيٰتِنَا اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾(٢)

ونجد البحث الطويل عن هذه الحادثة في كتب الحديث المختلفة، نذكر بعضهما ونستعرض هذه الحادثة العظيمة بالتفصيل:

﴿سُبْحٰنَ الَّذِىْ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَى الَّذِىْ بٰرَكْنَا حَوْلَهٗ لِنُرِيَهٗ مِنْ اٰيٰتِنَا اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾.

"قال الإمام أبو عبدالله البخاري، حدثني عبدالعزيز بن عبدالله حدثنا سليمان، هو ابن بلال، عن شريك بن عبدالله قال: سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله من مسجد الكعبة إنه جاء ه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه، وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أو لهم أيهم هو، فقال أوسطهم هو خيرهم، فقال أخرهم، خذ وا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته، حتى فرغ من صدره وجوفه، فغسله من ماء زمزم يده، حتى آنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشو إيمانا وحكمة فحشابه صدره، ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب باباً من أبوابها، فناداه أهل السماء من هذا؟ فقال: جبريل، قالوا ومن معك؟ قال معي محمد صلى الله عليه وسلّم، قالوا وقد بعث إليه؟ قال نعم، قالوا فمرحباً به وأهلا، يتبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم. فوجد في السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل، هذا أبوك آدم، فسلّم عليه، فسلّم عليه وردّ عليه آدم، فقال مرحباً وأهلاً يا نبي نعم الدين أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال، ما هذان النهران يا جبريل؟ قال، هذان النيل والفرات عنصرهما، ثم مضى به في السماء، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلوء، فضرب بيده، فإذا هو مسك أدفر فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي خبألك ربك، ثم عرج به إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل، فقيل من أنت؟ قال جبريل، قيل ومن معك، قال محمد صلى الله عليه وسلم، قيل او قد بعث إليه، قال بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا يا بني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا، فرحبابي ودعوا لي بخير

١- سورة النجم، الآية: ١٣-١٨.

٢- سورة بني إسرائيل، الآية: ١.

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بنا ودعالي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله ، فإذا أنا بادريس، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فذكر مثله فإذا أنا بهارون ، فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بموسى ، فرحب بي ودعا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فذكر مثله ، فإذا أنا بابراهيم مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال ، قال صلى اللّٰه عليه وسلم . فلما غشيها من امراللّٰه تعالى ما غشي تغيرت مما غشيها فما احد من خلق اللّٰه تعالى يستطيع أن ينعتها من حسنها ، فاوحي اللّٰه اليّ ما اوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلت إلى موسى ، فقال ، ما فرض ربك على امتك ، فقلت خمسين صلاة ، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فرجعت إلى ربي فقلت ، رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا ، فرجعت إلى موسى ، فقلت حط عني خمسا ، قال ، إن امتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك ، فاسأله التخفيف ، قال، فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى ، حتى قال تعالى، يا محمد صلى اللّٰه عليه وسلم انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسئية فلم يعملها ، لم تكتب شيئاً ، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة". (١)

"وفي حديث ابي هريرة وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فقال قائل منهم يا محمد ﷺ ، وهذا مالك خازن النار فسلّم عليه ، فالتفت فبدأني بالسلام، وفي حديث أبي هريرة، ثم سار حتى إلى بيت المقدس فنزل فربط فرسة أي البراق إلى صخرة فصلي مع الملائكة، فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل ، من هذا معك ، فقال هذا محمد رسول اللّٰه ، خاتم النبيين ، قالوا ، وقد أرسل إليه ، قال نعم ، قالوا حياه اللّٰه من اخ وخليفة ، فنعم الاخ ونعم الخليفة ، ثم لقوا رواح الانبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى و داؤد وسليمان عليهم الصلاة والسلام ، ثم ذكر كلام النبي صلى اللّٰه عليه وسلم ، فقال وأن محمدا صلى اللّٰه عليه وسلم اثنى على ربه ، فقال كلكم اثنى على ربه ، وانا اثنى علي ربي، الحمد للّٰه الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل عليّ الفرقان فيه تبيان لكل شئ وجعل امتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحاً وخاتماً، فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد صلى اللّٰه عليه وسلم ثم ذكر إنه عرج به إلى سماء الدنيا

١- أخرجه : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري : الجامع الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب:الاسراء برسول اللّٰه ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، ١/٩٩-١٠٦ .وانظر:النبهاني ، يوسف بن اسماعيل ، الشيخ : جواهر البحار في فضائل النبي المختار ، ١/١٥-١٧ .

ومن سماء إلى سماء نحوها تقدم ثم بعد ان ذكر صعوده إلى سدرة المنتهى و وصفها قال، فقال تبارك وتعالى له صلى الله عليه وسلم سل ، قال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكاً عظيماً وكلمت موسى تكليما واعطيت داؤد ملكاً عظيماً والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكاً عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين واعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والأنجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم، فلم يكن له عليها سبيل وقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا ، فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلنك إلى الناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت امتك لايجوزلهم خطبة حتى يشهد وإنك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً واعطيتك سبعاً من المثاني ،"وهي الفاتحة على الصحيح " ولم اعطيها نبياً قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش ولم اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما .

وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله ثلاثا ، أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات أي السيآت المهلكات".(١)

ذهب معظم السلف والمسلمين إلى أن الإسراء به صلى الله عليه وسلم إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وذكر العلماء أدلة ذلك والقائلين به ، ولكن هل هي الرؤية بعين رأسه أو بعين قلبه ورجح جوازها استدل لذلك بادلة كثيرة ، ونقل عن ابن عباس في ذلك قولين وقدم منهما رؤيته بعينه قال: ان الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمداً بالرؤية وحجته قوله تعالى : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَاٰى اَفَتَمَا رُوْنَهُ عَلٰى مَا يَرٰى (٢) وَلَقَدْ رَاٰهُ نَزْلَةً اُخْرٰى(٣)﴾ فالضمير على قوله رضي الله عنه راجع إلى الله تعالى.

"فعند أكثر العلماء أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء وإثبات هذا ليس إلا بالسماع منه صلى الله عليه وسلم وهو ممالا يشك فيه وانكار عائشة وقوعها أي الرؤية لم يكن لحديث روته ، ولو كان لحديث ذكرته بل احتجت بقوله تعالى ، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ﴾"(٤) المراد

١- البخاري ، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل ، العلامة : صحيح البخاري، كتاب الفضائل. باب: اسراء برسول صلى الله عليه وسلم ، ٣٢٦/٢-٣٢٨.

- وانظر : ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل ، الامام : تفسير ابن كثير ، ٣/٣-١٥.

- وانظر: السهيلي : السيرة النبوية لابن هشام ومع تفسير احاديث الروض الأنف ، ص٢٤٢-٢٤٤.

٢- سورة النجم ، الآية:١١-١٢.

٣- نفس المرجع ، الآية:١٣.

٤- سورة الانعام ، الآية:١٠٣.

بـالإدراك الإحـاطة إذ ذاته تعالى لا تحاط ولا يلزم من نفي الإحاطة نفي الرؤية بدونها.(١) ولا يمكن

١ـ هنا ثلاث جماعاة في الإسراء والمعراج .

- وقـد ذكـر ابـن اسحق عن عائشة ومعاوية ، انها كانت رؤيا حق وأن عائشة قالت لم نفقد بدنه وإنما عرج بروحه تلك الليلة ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه .

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِيْ أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾. (سورة بني اسرائيل ، الآية: ٦٠)

- وتـقـول الـجـمـاعة الثـانية قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة ويحتجون أيضا بحديث البخاري عن أنس بن مـالك ، قـال ليلة أسرى برسول الله من مسجد الكعبة أنه جاء ه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطم هو هذا وهو خير هم...... وقد ذكرنا هذا المثال قبل .

وقال أصحاب القول الثاني قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة وأنشد واللراعي يصف صائداً .

وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلبا كان جما بلا بله (النبهاني : المجموعة النبهانية)

وقـالـوا فـي بيان أنها كانت في اليقظة ، لأنه قال وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ولو كانت رؤيا نوم ما افتتـن بهـا الـنـاس حتـى ارتد كثيرا ممن أسلم وقال الكفار بزعم محمدا أنه أتى بيت المقدس ورجع إلى مكة ليلة والعير تطرد إليها شهرا مقبلة وشهرا مدبرة ولو كانت رؤيا نوم لم يستبعد أحد منهم.

- وذهبـت طـائـفة ثـالثة مـنهـم شيـخـنـا القاضي ابوبكر رحمه الله إلى تصديق المقالتين وتصحيح الحديثين . وإن الإسراء كان مرتين، مرة في نومه ومرة في يقظته ببدنه صلى الله عليه وسلم.

وقـال ابن هشام : وهذا القول هو الذي يصح وبه تتفق معاني الأخبار، ألا ترى أنه قال في حديث أنس الذي قدمنا ذكـره ، أتـاه ثـلاثة نفر قبل أن يوحى إليه ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة فرضت الصلوة وقيل كان قبل الهجرة بـعـام ولـذلك قـال فـي الـحديث فـارتـد كثير ممن كان قد أسلم ورواة الحديثين حفاظ فلا يستقيم الجمع بين الـروايتيـن إلا أن يـكون الإسراء مرتين وكذلك ذكر في حديث أنس أنه لقي ابراهيم في السماء السادسة وموسى فـي السابعة وفي أكثر الروايات الصحيحة أنه رأى ابراهيم عند البيت المعمور في السماء السابعة ولقي موسى في السـادسة وفي رواية ابن اسحق أتى بثلاثة آنية أحدهما ماء فقال قائل أن أخذ الماء غرق وغرقت أمته وفي إحدى روايـات البـخاري في الجامع الصحيح أنه أتى باناء فيه عسل ولم يذكر الماء والرواة إثبات ولا سبيل إلى تكذيب بـعـضـهـم ولا تـوهـيـنـهـم فـدل على صحة القول بأنه كان مرتين وعاد الاختلاف إلى أنه كان كله حقا ولكن في حالتين و وقتين مع ما يشهد له من ظاهرا القرآن ، فإن الله سبحانه يقول:

﴿ثُـمَّ دَنَـا فَتَـدَلّٰـى فَـكَـانَ قَـابَ قَـوْسَيْنِ أَوْ أَدنىٰ فَاوْحىٰ إِلىٰ عَبْدِهِ مٰا أَوْحىٰ "(سورة التكوير،الآية: ٢٠) ثم قال: ما كـذب الـفـؤاد ما رأى " فهذا نحو ما وقع في حديث أنس من قوله فيما يراه قلبه وعينه نائمة والفؤاد وهو القلب ، ثـم قـال "ولـقـد رآه نـزلة أخـرى " أي فـي نـزلة نـزلها جبريل إليه مرة فرآه في صورته التي هو عليها ﴿عِنْدَ سِدْرَةُ الْمُنْتَهٰى إِذْ يَغْشَى السِدْرَةَ مَا يَغْشٰى﴾(سورة النجم، الآية، ١٤، ١٦)قال يغشاها فراش من ذهب وفي رواية ينثر منها الـيـاقـوت وثمرها مثل قلال هجر، ثم قال ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرِ﴾ (سورة النجم ، الآية:١٧) ولم يقل الفؤاد كما قال في التي قبل هذه فدل على أنها رؤية عين بُصر في النزلة الأخرى ، وكذلك قال في أكثر الأحاديث أنه رأى عند سدرة الـمنتهى نهرين ظاهرين ونهرين باطنين وأخبره جبريل أن الظاهرين النيل والفرات وذكر في حديث أنس ، أنه رأى هـذين النهرين في السماء الدنيا وقال له الملك هما النيل والفرات أصلهما وعنصرهما ، فيحتمل أن يكون رأى في حـال اليـقـظة منبعهما ورأى في المرة الأولى النهر من دون أن يرى أصلهما. والله أعلم. قول رابع في الجمع بين الأقـوال ، قال كان الإسراء بجسده في اليقظة إلى بيت المقدس ، فكانت رؤيا عين ثم اسرى بروحه الى فوق سبع سموت ولذلك شنع الكفار قوله واتيت بيت المقدس في ليلتي هذه ولم يشنعوا قوله فيما سوٰى ذلك.

إنكار من قول سبحان الله تعالى في القرآن الحكيم . يقول:

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾

والعبد مجموع الجسد والروح ، وقد صدرت الآية بلفظ "سبحان" دال على قدرة الله تعالى، وتنزيهه عن العجز عن الإسراء بالنبي جسداً وروحاً ، ولو كان الإسراء بالروح وحدها ما كانت حاجة إلى تصدير الآية بتنزيهه عن العجز .

على أنه نسب إلى السيدة عائشة ، أن الإسراء كان بالروح لا بالجسد ، وهذا مردود بأن عائشة كانت وقت الإسراء صغيرة ، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوجها ".

يذكر النبهاني المعراج النبوي في أبياته كذلك:

"نبي قد سرى ليلا فسبحان الذي اسرى
نبي قد اراه الله من آياته الكبرى
نبي خص بالعليا ورتبته بها احرى
نبي جاء بالايما ن والإحسان والبشرى
نبي شاغ المقدا ر في الدينا وفي الأخرى
سلام الله موصول به ما دامت الشعرى" (١)

في ضوء هذا البحث نجد أن الإسراء والمعراج هي المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن مشركي مكة كانوا عاجزين عن فهم هذه الحقيقة ، واتخذتهم الحيرة كيف يمكن لمحمد ﷺ أن يسافر من الأرض إلى السماء ويسير إلى بيت المقدس وغيرها ويرى آيات الله ويعود في ليلة واحدة ، ولهذا كانوا في ريب عن هذه الحادثة ، الأن ننظر موقف المشركين عن هذه المعجزة وتصديق أبي بكر في هذه الحادثة في السطور الآتية .

موقف المشركين إزاء هذا الحدث المعجز وشهادة أبي بكر في المعراج

يبين الدكتور فتحي الدريني موقف المشركين عن هذه الحادثه في الألفاظ الآتية:

"على أن موقف المشركين حيال هذا الحدث المعجز الذي هو آية من آيات قدرته عزوجل، ينطوي على منطق بشرى ساذج متهافت ، بل كان في الواقع موقفا مزرياً ، إذ تراهم، في مما رأتهم ، يقيسون معجزة الخالق في الإسراء ، عجز منهم وحمقاً وجهالة ، بسرعة الابل في معهودهم ، وهو كما ترى ، إن دل على شئٍ فإنما يدل على قصر في النظر ، ومحدودية في الأفق ، وضحالة في الفكر ، وتدن في المستوى الثقافي والعلمي والفلسفي ، فضلا عن المستوى الروحي مما يناط به الاستدلال على عظم قدرة الخالق المدبر العلي القدير، وسائر صفاته التي ينطق بها مظاهر إبداع الخلق الالهي

١- النبهاني ، يوسف بن إسماعيل ، الشيخ ، ٣/١١١-١١٣.

في الكون والإنسان ، إذن كان حادث الإسراء بالرسول ، تكريماً له ، واحتفاء به ، بعد أن أدلهمت من حوله الخطوب ، واكفهرت الدنيا بشعابها ، طوال عشر سنوات من عمر دعوته أويذيد ، مما كان سبباً فيما أنتاب نفسه الشريفة من حسرات".(١)

ومن هذه الحادثة أراد ربّ العزة ، أن يشعر رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى معه بالرعاية والعناية ، والألطاف الخفية . بل وبالمناجاة في علو السموات ، حتى كان منه قاب قوسين، أو أدنى ، فأوحى إلى "عبده" ما أوحى ! وهذه حقيقة واقعة لم يزغ فيها البصر ، ولم يكذب فيما رأى الفؤاد ! وعلى هذا ، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يسرهو من تلقاء نفسه ، وبقدرته الذاتية ، وبطبعية البشرية وإنما أسرى به ، بقدرة الله تعالى ، ولم ير ما رأى ببصره العادي ، حتى تكون مجرد رؤية بصرية بما أودعت العين من قوة الأبصار البشرية ، وإنما كانت إرادة الله تعالى له حتى رأى ما رأى ، فالإرادة غير الرؤية التلقائية ، كما نرى والنص القرآني صريح في هذا المعنى ، لقوله تعالى. لِنُرِيَهُ مِنْ ءاياتِنَا ، وعلى هذا ، ففي المعنى الأول ، يقول تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِيْ اَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ فهو صلى الله عليه وسلم ، مسرى به ، وليس سارياً في المعنى الثاني، يقول تعالى : "لِنُرِيَهُ مِنْ ءاياتِنَا" ويقول عزوجل. "وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي اَرَيْنَاكَ إلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ" فهي إذن معجزة كبرى ، لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم يد في صنعها ، ولا قدرة على احداثها ، ففيم الجدال إذن ؟ وفيم المماراة ؟ "أفتمارونه على مايرى" وما كان ليرى ما رأى لولا أن اراه الله جل وعلاء هذا من جهة .

ومن جهة أخرى ، فإن هذه المعجزة التي استعلت على قوانين الزمان والمكان والنسب المعهودة في المنطق البشرى .

ويقول دكتور فتحي الدريني في مقاله في هذا الصدد:

"أقول: هذه المعجزة التي اطرحت تلك النواميس ، واستعلت عليها ، كانت مادة للابتلاء في دنيا الناس ، يفتن بها كل من المؤمن والمشرك على سواء ، فكانت بذلك فيعلا حاسماً بين صدق الإيمان ، وعمق الروح المؤمنة ورسوخ العقيدة ، وبين النفاق والشرك والسطحية ، والاتداد ، مما لا يتسع المقام لبسطه وتفصيله ".(٢)

فآمن المسلمون بهذه المعجزة ، والكفار في عالم الحيرة ذهبو إلى أبي بكر، فقالوا له ، هل لك يا أبابكر في صاحبك يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ، فقال

١- فتحي الدريني ، الدكتور : مجلة نهج الإسلام ، تحت عنوان : البعدالديني والاجتماعي والسياسي لمعجزة الإسراء والمعراج ، ص ٤٦ .

٢- فتحي الدريني ، الدكتور : مجله نهج الإسلام" تحت عنوان : البعد الديني والاجتماعي والسياسي لمعجزة الإسراء والمعراج، ص٤٧ .

لهم أبوبكر ، أنكم تكذبون عليه ، فقالوا بل هاهو ذاك في المسجد يحدث به الناس، فقال أبوبكر ، والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك ، فوالله أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أونهار ، فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبين ابن هشام هذه القصة كذلك :

"فقال أبوبكر يا نبي الله أحدثت هؤلاء القوم إنك اتيت بيت المقدس هذه الليلة ، قال نعم ، قال يا نبي الله ، فصفه لي فأني قد جئته قال الحسن ، فقال رسول الله ، فرفع لي حتى نظرت إليه ، فجعل رسول الله يصفه لابي بكر ويقول أبوبكر صدقت ، أشهد أنك رسول الله كلما وصف له منه شيئاً ، قال صدقت أشهد أنك رسول الله قال ، حتى انتهى قال رسول الله لابي بكر ، وأنت يا أبابكر الصديق فيؤمئذ سماه الصديق".(١)

وبعد شهادة أبي بكر آمن السعداء بهذه المعجزة واعترض الأشقياء عليها وأنكر واعلى من يؤمن بها. ثم إنه لا منفذ للإنكار بعد أن يثبت العلم مقدرة الإنسان على نقل الصوت والصور من أقصى الأرض إلى أقصاها في لمح البصر، وبعد أن استطاع الإنسان أن ينتقل من الأرض إلى غيرها في سرعة مذهلة يكاد العقل لا يصدقها .

الإسراء والمعراج في كلام شوقي وإقبال

الإسراء والمعراج لتعد من أهم المعجزات النبوية وهي أبرز الفضائل الحميدة للنبي صلى الله عليه وسلم وميزته الممتازة، وبسبب أهميتها ركزّ الشعراء المادحون على هذه الخارقة وتكلموا كثيراً عن عظمتها ، مثل السير من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ، والسرعة الفائقة للبراق، وعجائب التي ظهرت أثناء الإسراء إمامة نبينا صلى الله عليه وسلم للأنبياء عليهم السلام والصلوة ، السفر العمودي للمعراج والأحداث التي حدثت ما بين سماء الدنيا والعرش العظيم أثناء المعراج ، واعتذار جبريل عليه السلام عن مرافقته عند سدرة المنتهى ، والاستواء على العرش العظيم ، وشرف التخاطب والكلام مع الله ورؤية الحق جل وعلا برأى العين.(٢)

والمراج ضمنت هذه الأحداث الجليلة كلها ، ولا ريب أن هذا السفر كان عظيما وشاهقاً وجليلاً وفيه مجال وسيع وزوايا مختلفة وعديدة للشعراء المادحين من ناحية الفكر والخيال، وهذا

١- السيـــــــرة النبوية لابن هشام ومع تفسير احاديث الروض الانف للسهيلي .ملتان ،باكستان:المكتبة الفارقية ، ١٣٥٥هـ/١٩٧٥م.ص٢٤٦- ٢٤٧

٢- انظر: الجامع الصحيح البخاري: كتاب الصلوة : باب : كيف فرضت الصلوة في الإسراء، ١/٥٠٧٥. وكتاب بدء الخلق : باب : ذكر الملائكة ، ص ٤٥٥ ، باب : حديث الإسراء ، ص٥٤٨، ٥٥٠.

- وانظر : الصحيح المسلم، كتاب الإيمان : باب الإسراء برسول صلى الله عليه وسلم، ١/٩٩.

الحدث العظيم مازال يحرّض الشعراء ويثير عواطفهم وأحاسيسهم في شعرهم المدح ، حتى وقد نظم بعض الشعراء القصائد المعراجية كتذكار خاص لهذا الحدث الجليل العظيم .

وقد ذكر الشعراء رد فعل الناس على هذه المعجزة ، فأمن بها كثير وصدقوها ، وضلّ كثير، وتعصبوا و كذبوا ما صدقوه من قبل ، مثلاً كانت الأرض في رايهم مركزا للكون ، والشمس تدور حولها وغبروا على ذلك دهراً طويلا لا يدينون لغيره، ولا يتصورون سواه ، ثم تبين لهم أن الأرض ليست إلا ذرة في هذا الكون وأنها من توابع لنجم آخر يدرن حوله ، فاستجهلوا عقولهم السابقة ، وسخروا من عقائدهم المغابرة . والمؤمن يصدقها مطمئنا إليها، منشرح الصدر لها، لأن إيمانه بها موصول بدينه كله ، ورباط يصل حاضره بمستقبله ، وينبوع لطمأنينة نفسه ويؤمن أن المعجزات أعمال خارقة للعادة ، ومنحها اللّٰه تعالى أنبياء ه يتحدّوا بها مكذبيهم ، فتكون دليلهم القاطع على أنها صادقون في دعواهم.(١)

وأن الشعراء في تصويرهم أصحاب افتنان ، ومن حقهم أن يبتكروا صوراً من خيالهم ، وليس عليهم بأس في هذا ولا ذاك ، إذ كان من أغراض الشعر التأثير في النفوس بما يرسمه من صورتضفى على الجمال جمالا، وتضيف إلى الجلال جلالا، وتزيد العظيم عظمة وتهبط بالقبيح إلى درك أقبح ، وليس الشعر وثيقة مجردة من الخيال وإلا كان واقعا منظوما ، أو علماً موزوناً مقفى. وقد أشاد شوقي بالإسراء والمعراج في تصوير جليل ، فجعلها مرحلتين متصلتين ، شوقي يبدأ شعره في الإسراء بالإشارة إلى تساؤل الناس عنه : أكان في اليقظة أم في المنام؟ أو بعبارة الشاعر نفسه : أكان بالهيكل أم بالروح؟ ثم يجيب عن هذا التساؤل، فيذكر أنه كان بهما جميعاً ويزيد أن نظريات العلم ، ومقتضيات الحياة البشرية لا يمنعان وقوعه على هذه الصورة ، ولا يناقضان من تفصيلاته شيئاً . لأن الرسول عليه السلام قد أعدله ، وألف بينه بكل ما تقتفيه طبيعة الحال من صفاء وروحانية وإشراق ، فإذا هو عليه السلام يسمو على حدود الزمان والمكان ، ويتحرر من قوانين الطبعية وقيود المادة ، فلاحساب لـلأبعاد ، ولا سلطان للقوي ، ولا ضرورة لشئ من مطالب الحياة على نمطها المعتاد، ثم ينقلب من هذا التفسير العلمي إلى تسليم الرضا والاطمئنان ، فيرد الأمر كله إلى ارادة اللّٰه التي لا ترد، وقدرته التي لا يعجزها شيٌ في السماء ولا في الأرض ، ويقول شوقي:

"يا ايها المسرى به شرفا إلى ... مالا تنال الشمس والجوزاء
يتساءلون وأنت اطهر هيكل ... بالروح أم بالهيكل الاسراء

١- ورد تفصيل الاسراء والمعراج في كثير من كتب السيرة والتفسير والسنة مثل الصحيح البخاري، ٩٦/٣، وصحيح مسلم، ٢١١/٢، وسيرة ابن هشام، ٣٦/٢، وتفسير طبري ٢/١٥ ، ٢٤/٢٧، وتفسير الزمخشري، ٢٥٠/٢، ٣٧/٥.

بهـمـا سـمـوت مـطهرين كلاهمـا　　نـــور و روحـــانية وبهـــاء
فـضـل عـليك لـذى الـجـلال ومـنّة　　والله يـفـعـل مـا يـرى ويشـاء" (١)

ثـم صـور رسـول الله صـلـى الله عـليه وسلم وهو يعرج إلى السماوات بأنه كان جمالا فيها، وحلية لها ، وقلادة على جيدها، وبأنه كان النقطة الزهراء في مناطق النور، وصور إعجاب الرسول بما رأى تـصـويـراً شـعـريـا خـالصا لا علاقة بينه وبين أخبار الإسراء والمعراج المأثورة ، وليس له نظير في قـصيـدة البوصيري ، إذ كان رسول الله مشدوها بما يرى من جمال وجلال ، ولكنه كان هو الجمال والجلال ، فكأنما كان وهو يتملّى بالنظر إلى جمال السماوات وجلالها يتملى بالنظر إلى نفسه ، فهو الـجـمـيـل ، وهو الجمال ، وهو الناظر إلى الجمال، وهو الجميل بيده مرآة يرى فيها جماله ، وفي هذه الصورة سبحات صوفية ، ومبالغة في الوصف الجسدي وتشبيه بالحسناء التي بيدها مرآة ، وهو تشبيه لا يـنـاسـب هـذا الـمقام ، ثم صور شوقي تقريب الله تعالى لرسوله الكريم ، بأنه أعد له منزلا رفيعا في حاشية من قدسه عند سدرة المنتهى ، لم يبلغه أحد غيره، فصار العرش تحته ، ومناكب جبريل متكأله، وأحسـب أن التـحية هنا لا معنى لها، وكان انسجام الصورة يقتضيه أن يقول : العرش امامك أو فوقك أو بـجـوارك أو بالقرب منك ، كما أن تصوير النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتخذ من مناكب جبريل مستندا له وتكأة فيه لون من الجفوة ، لأن هذا التصوير لا يليق بالحامل ولا يليق بالمحمول. فيقول:

"تـغشـى الـغيـوب مـن العوالم كلّما　　طـويـت سـمـــاة قلّدتك سماء
فـي كـل مـنـطـقة حـواشـى نورهـا　　نـون وأنـت الـنـقـطعة الـزهـراء
أنـت الـجـمـال بهـا وأنت المجتلى　　والـكف والـمـــرآة والحسناء
الله هيّـأ مـن حـظيــــرة قدسـه　　نـــزلا لـذاتك لـم يـجـزه عـلاء
الـعـرش تـحتك سُـدّة وقـوائـمـاً　　ومـنـــاكـب الروح الأمين وطـاء
والـرسـل دون الـعـرش لم يؤذن لهم　　حـا شـى لـغيـرك مـوعـدو لقـاء" (٢)

ويقول ماهر حسن فهمي:

"فـقـد أثـر شوقي الاطالة ، وأصح منطقا من شوقي في إطالته ، فقد تحدث في غير فضول عن الإسـراء والمعراج حديث تفرقه وتمييز وتحدث شوقي في غير فائدة كبيرة حديث مزج وتخليط، لأنه شغل بالحواشي والذيول ولم يعن بالجوهر والصميم حق العناية ، فتحدث في أربعة أبيات عن خلاف الـناس في الحال التي كان عليها النبي حين حدث الاسراء والمعراج ، وتحدث عن بقية الموضوع في ستة أبيـات ، ومـا نـرى بـالـدين ولا بالناس من حاجة دافعة تقتضيهم أن يقحموا العقل في أمور الدين الـغيبية، وبـجشـمـوه تـطبيق العلم عليها ومحاولة تفسيرها والتماس الأسباب والعلل لها على هداه أو

١- الشوقيات: ١/٣٩.
٢- الشوقيات: ١/٣٩.

بالقياس إلى ما نجد وما نرى في عالمى الحس والمشاهدة ، فالعقل يخطئ ويصيب ، والعلم يتغير ويتحور، وقد ينقض ما أبرم ، ويبرم ما نقض ، فمن الخير أن نرأ بالغيب في الدين عن ضلال العقل، وتخبط العلم، وأن نحول في الإيمان بمسائله على نصوص الكتاب والسنة ، حتى تطمئن القلوب وتثلج الصدور، وتنكشف الحيرة والشكوك.

والإيمان بأصل الدين يقتضى ، لا جرم ، الإيمان بكل ما يبلغ صاحب رسالته عن الله ، أيا ما كان نوعه ، وليس ينالنا من ذلك ضير ولا لوم ، فللعقل آفاق معينة ، ومعالم بينة ، وفي الخروج من تلك ومجاوزة هذه تكلف لا نفع فيه ، ولا ضرورة إليه ، ولا يزال ما نعلم من أسرار الكون أقل جدا مما نجهل وإن كان ما نعلم في الحقيقة غير قليل ، فالزيادة في أبيات شوقي ليست ذات قيمة معدودة ولا شأن مذكور ، وإنها لتذهب وحدها مع ذلك بطائفة من المآخذ والملاحظات".(١)

وقال في نهج البردة :

"أسرى بك الله ليلا إذ ملائكة	والرسل في المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفّوا بسيدهم	كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر	ومن يفز بحبيب الله يأتمم" (٢)

فصور الإسراء بالنبي صلى الله عليه إلى المسجد الأقصى والرسل قائمين مستعدين للقائه، فلم يكد ينزل بينهم حتى ابتهجوا به ، والتفوا حوله كما تحيط النجوم بالبدر ، وكما يتحلق الجنود حول العلم ، وقد أمهم في الصلاة ، لأنه أفضلهم عند الله.

ويقول ماهر حسن فهمي:

"ونلاحظ أن في قوله (ومن يفز بحبيب الله يأتمم) قلبا في التعبير ، لأنه أراد أن يقول (ومن يأتمم برسول الله يفز) فقد يفوز أحدهم بلقاء رسول الله ولا صلاة ولا إمامة ، ولكنه إذا ما لقيه وصلى وراءه فقد فاز، أما تصويره الرسل بأنهم كانوا محتشدين بالمسجد الاقصى، مستعدين للقاء النبي عليه الصلاة والسلام وتصويرهم ملتفسين به كالنجوم حول البدر، أو الجنود حول العلم ، وبأنهم اقتدوا به وصلوا وراءه ، فإن هذه الصور تتفق مع مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع شريعته وأنه خاتم الأنبياء وخيرهم" .(٣)

ثم تحدث شوقي عن المعراج وعن البراق ، وعما انكشف للمصطفى من أسرار ، وما منحه الله من نعم ، ورفع الشك في الإسراء والمعراج بحجة لا سبيل إلى إنكارها، وهي أن كل مستحيل علينا هين سهل إذا تدلق بقدرة الله تعالى ، وبعد هذا ضور تقدم النبي على الأنبياء بأنه هو وحده الذي أذن له في أن يتسلم العرش ، ويقول شوقي:

١- انظر: ماهر حسن فهمى ، الدكتور : شوقي شعره الإسلامي ، ص١٨٦ .

٢- الشوقيات : ١/١٩٨ .

٣- انظر: ماهر حسن فهمي، الدكتور: شوقي شعره الإسلامي، ص١٨٧ .

جبت السماوات أو ما فوقهن بهم | على منورة دريّة اللُّجم (١)
ركوبة لك من عزو من شرف | لا في الجياد ولا في الأنيق الرُّسم (٢)
مشيئة الخالق الباري وصنعته | وقدرة الله فوق الشك والتُّهَم
حتى بلغت سماء يطارلها | على جناح، ولا يسعى على قدم
وقيل: كل نبي عند رتبته | ويا محمد، هذا العرش فاستلم
خططت للدين والدنيا علومهما | يا قارئ اللوح، بل يالامس القلم (٣)
أحطت بينهما بالسر، وانكشفت | لك الخزائن من علم، ومن حكم (٤)
وضاعف القرب ما قلدت من منن | بلا عداد، وما طوقت من نعم (٥)

وهو في هذا التصوير يزيد على قصة المعراج أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ اللوح المحفوظ، ولمس القلم، يريد أن الله أطلعه على كثير من الخفايا والأسرار.

ويقول دكتور أحمد الحوفي في هذه الأشعار:

"وما من شك في أن شوقي بارع أيما براعة في قوله:

وقيل كل نبي عند رتبته | ويا محمد هذا العرش فاستلم

لأن هذه الصورة جمعت بين القول المجيد والأمر المكرم والاستماع المستجيب والحركة المرتبة ونداء الجبيب لحبيبه والقرب الجميل الحلو المأمول، وإنني لأشعر في كل مرة اقرأ فيها هذا

١- بهم: أي بملابسة بعضهم فيها، فإنه ورد أنه مر ببعضهم في السموات لا كما هو المتبادر من قوله أنهم صاحبوه حين جاب السموات، ويريد بقوله "منورة درية اللجم" البراق.

٢- "من" في قوله "من عزو من شرف" "للتعليل" أي لأجل عزك وشرفك، والأنيق الرسم: النوق الشديدة الوطء لقوتها، حتى كأنها ترسم في الأرض بمشيها آثارا ظاهرة والرسم: واحدها رسوم: والجياد: جمع جواد، وهو الفرس الرائع البين الجودة.

٣- خطه علوم الدين والدنيا: كناية عن تعليمها الناس، وبثها فيهم. وقراءه اللوح ولمس القلم. كناية عن اطلاع الله له على ما اطلعه عليه من الغيوب.

٤- عن ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: "علمني ربي ليلة الإسراء علو ما شتى. علم أخذ على كتمانه، وعلم خيرني فيه، وعلم أمرني بتبليغه".

٥- يجوز أن يكون "القرب" فاعلا "لضاعف" و"ما" وما بعدها مفعولا به، والمعنى أن قربه من الله تعالى قد اربى على جميع ما وليه صلى الله عليه وسلم من النعم التي لا يدركها العد، فكانت باضافة القرب إليها أضعاف ما كانت قبله. ويجوز أن يكون مفعولا. والفاعل "ما" وما بعدها، والمعنى أن ما تحلى الله تعالى عليه به من النعم التي لا تعدوا ولاه من الفضائل التي لا تحصى، قد زاد قربه لأنه كقرب على قرب، والاول أولى. (الشوقيات: ١٩٨/١-١٩٩)

البيت أو اسمعه بجلال المنظر وجمال الصورة وبراعة الرسام".(١)

أنظر مرة أخرى شعر شوقي في "الإسراء والمعراج" لتفهيم معناهم بكل الفهم.

فكلمة المسرى به في قوله:

يــأيهــا الــمســرى بــه شـرفــا إلــى　　　　مــالا تـنــال الشمـس والجوزاء

ويقول على النجدي ناصف:

"من الكلمات الفنية التي لا نكاد نراها في غير التطبيق والمرانة على الاشتقاق، وكلمة شرفا بعدها توشك أن تكون مقحمة لغير فائدة ولا قصد سوى إقامة وزن البيت ، فالكرامات التي اختص الله بها نبيه كثيرة ، وقد ألم الشاعر ببعضها ، فما اعتبارهذه وحدها آية الشرف والتكريم ، أليست ضرورة الوزن هي التي اقتضته ودعت إليه .

ويظهر أن شوقي لا يفرق بين الإسراء والمعراج ، أو أن العبارة لم تسعفه بما يدل على التفريق بينهما ، لكن الوجه الأخير بعيد الاحتمال ، فقد ذكر الإسراء ثم أدار الحديث كله على المعراج في غير تردد ولا محاولة ولا لبس ولا إبهام ، استمع إليه وهو يقول:

يتســاء لــون وأنــت اطهـر هيكــل　　　　بــالــروح أم بــالهيكــل الإسـراء

بهـمــا سـموت مـطهرين كلاهمـا　　　　نــور و روحــــانية وبهــــاء

وألـق بـالك إلـى كلمة سموت، بقولها في أول البيت الثاني بعد كلمة الإسراء في آخر البيت الأول، أو بعبارة أخرى يجيب بها مع ما يجيب به عن تساؤل المتسائلين بالروح أم بالهيكل الإسراء ، فتلك قرينة ظاهرة ترجع أن الشاعر يرى الإسراء صعودا في الجو، وسمو إلى الملأ الأعلى .

وتشبيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالكف والمرأة والحسناء في قوله:

أنــت الـجـمــال بهــا وأنت المجتلى　　　　والـكف والـمرآة والــحـسنــاء

تشبيه لا نجد له لهما ، ولا نفهم له معنى ، بل لا نراه تشبيها جائزا ولا متساغا، فكيف يصح إذ يكون النبي صلى الله عليه وسلم خاصة أبعد ما يكون من البشرية وأدنى ما يكون إلى الروحانية، أن يتخيله متخيل على هذه الصورة الأرضية التي لا تعرف تصونا ولا تدل على توقير ولا إجلال".(٢)

ثم يقول:

وكلمة حظيرة في قوله :

الله هيّــا مـن حـظــيـــــرة قدسـه　　　　نــزلا لــذاتك لـم يُجـزه عـلاء

كـلمة نابية ، يمجها الذوق ، وينقبض لها الصدر ، لسوء موقعها وكراهة المعنى الذي تخطره بالبال في هذا المقام ، والخيال الذي ينطوي عليه قوله:

الــعــرش تــحتك سـده وقـوائـمــا　　　　ومـنــاكـب الروح الأمين وطـاء

خيـال سجع سخيف ، فهو كما ترى يصورا النبي في الحضرة العلية قائما على مناكب الروح

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص١١١-١١٦.

٢- علي النجدي ناصف: الدين والاخلاق في شعر شوقي، ص١٣٨-١٣٩.

الأمين، يتطال إلى ربه ، ليكون منه أقرب ما يكون ، صورة لا نكاد نعرفها لغير متسلقة الأسوار ومقتحمى الدور على الناس إذا عزت المعارج والسلاليم.

وكلمتا الموعد واللقاء في قوله:

والرسل دون العرش لم يؤذن لهم   حاشى لغيرك موعدو لقاء

أشبه بكلام الغزل ، وأحكى لمواقفه ، وما من قارى ، أو سامع ينتهى إليهما في البيت إلا يذكر قول شوقي في الغزل :

نظـــــرة فابتسامة فسلام   فكلام فموعد فلقاء" (١)

فهو من أبياته المشهورة التي لا ينظمها الشاعر وقد رد أحمد شوقي موقف المعترضين على سمّوه صلى الله عليه وسلم إلى السماوات السبع وحولته فيها مستدلاً بهذه الحقيقة أن هذه الأحداث كلها حدثت بصنعة الخالق وقدرته ، فلا يعجز عليه شيئ أو حدوث أمر خارق ، وهكذا يعارض شوقي معترضي عصره الذين يرفضون تحقيق المعراج جسد يا و وجودياً لأن عقولهم تأبى بهذه الخارقة ، ويرد عليهم بقدرة الخالق التي لا تفوقها قدرة كما يقول:

مشيئة الخالق الباري وصنعة   وقـــدرة الله فوق الشك و التهم

أما إقبال : فكان رجلا تقيا وصاحب ثروة عقل وفهم وكان من عادته أن يقرأ القرآن بفهم معانيه وبشرح صدره ، لكى تنكشف أسرار القرآن عليه ، وكان يبدو أن إقبال قد أدرك أخيراً و بعد تفكير طويل الحقيقة الجوهرية المعراج النبوي ربما تكون قد خفيت على كثير من المسلمين، وهي أن هذا المعراج أمر متاح لكل إنسان ولكن بشروط . فيحدث إقبال فلسفة المعراج لنا بلسان الشاعر الصوفي جلال الدين الرومي في رسالة الخلود .

ويبدو أيضا أنه بدأ تفكيره في حقيقة المعراج هذه منذ صباه ، فقد كتب قصيدة باللغة الأردية في فترة مبكرة من حياته أسماها "القصيدة المعراجية".

ويقول فيها في ذكرى الاسراء والمعراج:

اليوم في كلا العالمين ذكر حبيب الله صلى الله عليه وسلم ،

اليوم على لسان كل زرة "صل على" .

لقد فتح معراج المصطفى عقدة الحياة ، اليوم تتجلى روح الله في روح النبي .

وثبوت هذا الجذب والشوق يمكن في "قوسين".(٢)

اليوم درس الخلود كامن في كل لمحة ذكر وفكر .

١- انظر: علي النجدي ناصف : الدين والأخلاق في شعر شوقي، ص ١٣٩- ١٤٠.

٢- اشارة إلى قوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ (سورة النجم، الآية:٩)

اليوم محفل الدلال ، اليوم يختلي البلبل بالوردة في ألفة ،
اليوم فناء لامتيازى عنك وامتيازك عني.
اليوم تحليق ، انني أطوى سعة العالمين ، اليوم قطع
لخيط الزمان والمكان".(١)

معنى المعراج عند إقبال

ويحدد إقبال في رسالة الخلود معنى المعراج فيقول:

از شعور است اين كه گوئى نزد و دور	چيست معراج انقلاب اندر شعور
انقلاب اندر شعور از جذب وشوق	دارها ند جذب وشوق از تحت و فوق
اين بدن باجان ما انبار نيست	مشت خاكے مانع پرواز نيست" (٢)
القريب والبعيد في الضمير	إنما المعراج تغيير الشعور
في الشعور ذاك من جذب وشوق	خلِّصنَّ الذات من تحت وفوق
ليس هذا الجسم للروح النظيرا	والتراب مانعا من أن نطيراً (٣)

"فالمعراج في حقيقة إذن تعبير عن نزوع روح المسلم الحق إلى الوصول إلى الله تعالى ، لا لكى تفنى في بحر نوره وانما لكى تطلب الشهادة منه تعالى على وجودها وخلودها وتعود بزاد جديد إلى العالم كما عاد المصطفى من معراجه لكى يقود امته نحو المجد والخلود".(٤)

فالمعراج النبوي إذن هو الذي حل عقدة الحياة ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد اكتسب الصفات الإلهية ، والعشق الحقيقي يكمن في إدراك النفس الإنسانية لا مكانية قربها من الله ، حتى تكون منه قرب قوسين ، وهنا يتحقق الخلود، ولا يكون للزمان أو المكان سلطان على الإنسان. هذه هي الحقائق التي تبدت لإقبال في هذا الوقت المبكر من حياته من خلال تفكيره في المعراج ، حيث

١- لم تنشر هذه القصيدة في أي من دواوين إقبال، ولكن الأستاذ عبدالرحمن طارق عثر إليها أخيرا عند أحد أصدقاء إقبال القدامى ونشرها في الطبعة الرابعة من كتابه "جهان إقبال" التي صدرت في لاهور سنة ١٩٦٥م ، على ص ٥٩٠-٥٩١.

٢- كلياتِ إقبال (فارسى) جاويد نامه : ص٤٢.

٣- الترجمة العربية: المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود، ص ١٥٢.

- والتراب هنا هو مادة جسم الانسان.

٤- محمدسعيد جمال الدين ، الدكتور : شرح رسالة الخلود (جاويد نامه) . الناشر : رقم الابداع بدار الكتب ، مطبع سجل العرب ، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ١٤، ١٨.

جعل من الشاعر الكبير"جلال الدين الرومي"(١) دليله إلى الأفلاك وماوراء الأفلاك كما كان جبريل دليلا للرسول الكريم في معراجه .

ولقد أشار إقبال إلى أن مسألة المعراج في الواقع هي حل لعقدة الزمان والمكان ، حيث نال النفس الإنسانية حريتها من أسرهما.

وفي الذات الإنسانية ، في رأى إقبال ، جانب لا يطرأ عليه تغيير ولا يعتريه تبديل بفعل الزمان والمكان ، هو قبس من النور الإلهي ذاته ، فإذا استطاع الإنسان أن ينمى هذا الجانب ويقويه ويدعمه بالعشق الإلهي، وبالدافع الدائم إلى الرقى فإنه يستطيع أن ينال "السلطان " الذي ذكره الله تعالى في سورة الرحمن في الآية الكريمة:

﴿يَامَعْشَرَ الْجِنّ والإِنْسِ اِنِ اَسْتَطَعْتُمْ اَن تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَاتِ وَالارضِ فَانفُذُوا ، لَاتَنْفُذُوْنَ اِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾(٢)

ويقول الرومي شارحا معنى السلطان لإقبال:

گفت اگر سلطان ترا آيدبدست ... مى توان افلاك را ازهم شكست

باش تا عريان شود ايں كائنات ... شويد از دامان خود گردجهات

در وجود او نه كم بينى ، نه بيش ... خويش را بينى ازو اور از خويش

نكته "الا بسلطان" ياد گير ... ورنه چون مور وملخ در گل بمير (٣)

قلت والسلطان إمّا كان لك ... لاستطعت اليوم تحطيم الفلك

انتظر يوما تعرّى الكائنات ... والغبار طال من ذيل الجهات

الأقل لا ترى والأكثرا ... أنت منه وهو منك ما ترى

قوله "إلا بسلطان" تذكرّ ... أو فمُت في الوحل والذر المبعثر (٤)

ولكن الإنسان الذي يستعمل هذه الثورة في الشعور وذلك "السلطان" ومقدرة النفس

١- هو جلال الدين الرومي (شيخ إقبال) أكبر وأشهر شعراء التصوف عند الفرس ، ولد بمدينة بلخ عام ٦٠٤هـ لأب من العلماء والفضلاء ، رحل به وهو صبي إلى بلاد الأناضول التي كانت تابعة من قبل للروم ، واستقرّ في مدينة قونية ، ولذلك عرف جلال الدين بالرومي ، كما عرفت بلاد الترك ببلاد الروم لعين السبب ، ولقد تلقى العلم أول ما تلقى على أبيه ، ثم عقد الأسباب بينه وبين العلماء والمتصوفة ، وتصدر للوعظ والإرشاد ،ثم مال إلى التصوف، وأصبح من شيوخه والتف حوله من المريدين خلق كثير، وله كتاب منظوم يسمى المثنوي يتضمن حكايات لها مغزى صوفي، وآيات قرآنية ، وأحاديث نبوية يفسرها ، ويؤولها ، ولكن لا على ظاهرها، ولا يداني المثنوي كتاب آخر في شهرته ، ونفاسته عند الصوفية، وكانت وفاة جلال الدين الرومي عام٦٧٢هـ.

٢- سورة الرحمن ، الآية : ٣٣.

٣- كلياتِ إقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص ٣٤.

٤- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ١٤٨، ١٤٩.

الإنسانية على الخروج من أمر الزمان والمكان ، كل أولئك رهن بشيءٍ واحد هو العشق ، هو التطلع الدائب إلى الرقي وإلى الوصول إلى الذات الإلهية.

ويقول القرآن:

﴿وإلى رَبّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ (١)

وهذه الآية تنطوي على فكرة من أعمق الفكر التي وردت في القرآن ، لأنها تشير على وجه قاطع إلى أن المنتهي يجب ألا يبحث عنه في حركة الأفلاك، وإنما يبحث في وجود كوني روحاني لانهاية له ، ورحلة العقل إلى هذا المنتهي الأخير رحلة طويلة وشاقة ، وفي هذا المنزع أيضا يبدو أن التفكير الإسلامي قد اتجه اتجاها مباينا لاتجاه التفكير اليوناني كل المباينة ، فالمثل الأعلى عند اليونان، هو التناسب وليس اللانهائية . أما في تاريخ الثقافية الإسلامية فإننا نجد أن المثل الأعلى ، في مجال العقل المحض وفي ميدان علم النفس الديني ، فالروح المسلم الحق تتطلع دائماً إلى الخروج من إطار هذه الحركة الكونية والعروج محلقة حتى تصل إلى المنتهى إلى الله تعالى ، وعندئذ تنال الخلود ولا يعتريها تغير بمرور الزمان ، ولا يحد من حريتها قيد بوجود المكان.

ولكن الكثيرين ممن أدركوا هذه الحقيقة أخطأ والهدف الأخير من التجربة ، فقد رأى البعض، وهم أصحاب نظرية وحدة الوجود ، أن الذات لا تملك عندما تصل إلى هذا المقام الرفيع إلا أن تفني في النور و تذوب فيه كما تذوب القطرة في البحر.

أما إقبال فيرى ، على العكس من ذلك ، أنه لابد للذات من أن تحكم نفسها في مواجهة هذا النور وأن تقاوم نزعة التحلل والفناء فيه ، فهدف الذات من عروجها هو أن تطلب الشهادة على وجودها من الله تعالى ، والوجود يتضمن معنى الخلود ، وهذا الوجود لا يمكن البرهنة عليه .

ويقول إقبال:

ولو لزم أن تعرف أن كنت حيا أو ميتا أوروحك في الحلقوم ، فاطلب الشهادة من ثلاثة شهود:

شـاهد اول شعور خويشتن	خويش را ديدن بنور خويشتن
شـاهد ثانى شعور ديگرے	خويش را ديدن بنور ديگرے
شـاهد ثالث شعور ذات حق	خويش را ديدن بنور ذات حق
بيش ايـن نور ا ربمانى استوار	حتى وقائم چون خدا خود را شمار“ (٢)
شـاهد فلتتخده من شعور	أو عيون مـالهـا إلاك نـور
واجعل الثاني شعور الآخرين	شـاهد الذات بعين الآخرين

١- سورة النازعات، الآية: ٤٤ .

٢- كليات فارسى : جاويد نامه ، ص ٣٢.

ولتكن ذات الإله خير شاهد ولها نور به ذاتا فشاهد

أنت إن واجهتَ ذيّاك الضياء نلت طولا سر مديّا للبقاء" (١)

فشهادة الله على وجود الذات الإنسانية لا تأتى إلا إذا احكمت نفسها ولم تفن أو تتحلل في هذا النور، كما فعل الرسول في معراجه، ووصفه الله تعالى وهو في هذا المقام بقوله ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ وإذا تمكنت الذات من أحكام نفسها أمام الله، أمكن لها أن تعتبر نفسها خالدة باقية، واكتسبت صفة الخلود من الله ذاته، فما المعراج إلا بحث عن شاهد عادل، مثل الله ذاته.

لابد للذات من أن تشبت في الإمتحان أمامه، وعندئذ تنال صفة من أخص صفاته وهي الخلود.

ويقول سيد جمال الدين في هذا الصدد:

وهذه هي الفكرة الأساسية لمنظومته "جاويد نامه" التي اختار لها إقبال هذا الاسم "رسالة الخلود" لكي تعبر عن مضمونها إذا نظر المرء إليها من هذه الناحية،أولكي تكون رسالة إلى شباب الأمة الإسلامية ممثلا في شخص ابنه "جاويد" كما صرح هو في المقدمات، إذا نظر المرء إليها على أنها "رسالة جاويد".

وربما كان هذا هو السبب في أنه عدل عن تسمية المنظومة، معراج نامه جديد، وسماها "جاويد نامه" فالمعراج ليس مقصود الذاته وإنما لهدف أبعد وهو الخلود، الخلود الذاتي لروح الإنسان العبقري الذي ينجح في اجتياز تلك التجربة الروحية، والخلود للأمة الإسلامية المتجددة في أجيالها الصاعدة دوما، وهم الذين يتوجه إليهم إقبال بندائه العميق ".(٢)

وهكذا رأينا أن كتب إقبال "رسالة الخلود" ويبين فيها تجرباته خلال معراجه ولكن كيف فكر إقبال هذا وما المعارج التي تأثر إقبال بها وكتب رسالته. الآن نستعرض هذه المعارج في السطور الآتية.

المعراج الذي تأثربها إقبال

فقد تأثر إقبال بالمعارج التالية:

١- المعراج النبوي

ألهب المعراج النبوي خيال الشعراء والصوفية من المسلمين وغيرهم على السواء، ويعد النص القرآني الذي تحدث عن هذا المعراج في سورة "النجم" والأثر النبوي الشريف الخاص بوصف رحلة الرسول صلى الله عليه وسلم المعراجية معينا لاينضب استقى منه جميع من كتبوا في هذا الموضوع حتى الآن.

١- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص١٤٧-١٤٨.

٢- انظر: محمد سعيد جمال الدين، الدكتور: رسالة الخلود (جاويد نامه)، ص١٤-١٨.

وكـان إقبـال أحداً ممن تأثروا معنويا وفنيا بمعراج النبي الكريم وقد سبق لنا أن فكرة المعراج وأهـميتـه فـي البـرهنة على التطور الروحى للإنسان قد تبلورت عند إقبال في شبابه ، ولا حظنا أن هذه الـفـكـرة مازالت تنموه وتتدعم حتى صارت في النهاية هدفا لنظرياته الفلسفية كلها، والواقع أن هذه الفكرة نمت في وجدان إقبال وترعرت تحت ظلال حبه القوي المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهو حـب مـلك عـليـه فؤاده وأفصح عنه في عديد من أشعاره وخطاباته ولم يزل حب النبي يزيد مع الأيام حتى كـان إقبال في آخر عمره إذا جرى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في مجلسه أو ذكرت المدينة على منورها ألف سلام ، فاضت عينه ولم يملك دمعه .

وقـد تـجـلـى حبـه للنبي صلى الله عليه وسلم بوضوح لافي ثنايانص "رسالة الخلود" وحدها وإنـمـا فـي فـكـرتهـا الأساسية ذاتها ، فهذه الرسالة المعراج . وكان إقبال يريد أن يطلق عليها الاسم "معراج نامه جديد" أي رسالة المعراج الجديد".(١)

ب ـ المعراج الصوفي ويشتمل

معراج أبي يزيد البسطامي(٢)

الـذي اشتهـر فـي بلاد فارس باسم با يزيد ، وقد ترجم هذا المعراج إلى الفارسية "الشيخ فريد الدين العطار في تذكرة الاولياء"(٣) ومعراج أبي يزيد رؤيايبين فيها الطريق إلى الله .

معراج سنائي الغزنوي (٤)

وهـو مـعـراج سـجله في مثنوي فارسي صغير أطلق عليه اسم "سير العباد إلى المعاد" ، ويتفق هـذا الـمعراج مع "جاويد نامه" بأن أول الأفلاك في كليهما هو فلك القمر وأن فكرة التمرد من الزمان موجودة في كليهما أيضاً.

منطق الطير للعطار

وهـو معراج رمزي نظمه بالفارسية الشيخ فريد الدين العطار(٥) ويحث نفس الفكرة الصوفية التي تصور مجاهدات الإنسان للتوصل إلى الله .

١ـ انظر : محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : رسالة الخلود (جاويد نامه) ص ٣٦٠.

٢ـ وهو بايزيد البسطامي من أهل القرن الثالث الهجري . ومن كبار الصوفية . وأول من نسبت إليه الشطحات.

٣ـ انظر: محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : رسالة الخلود (جاويد نامه) ، ١/١٤٣ـ ١٤٤.

٤ـ من شعرا التصوف في بلاد فارس ، توفي سنة ٥٢٦م.

٥ـ هـو فـريـد الـديـن مـحـمـد بن ابراهيم عطار ، كان الشاعر المعروف بلغة الفارسية ، ولد في نيشابور (ايران) سنة ١١٤٢م وتوفى ١٢٢٠م بمكة .

معراج ابن عربي (١)

وقد عرضه ابن عربي في كتابه:

الإسراء إلى المقام الأسمي (٢) وكذلك تحدث ابن عربي عن معراج له في كتابه "الفتوحات المكية" (٣) وإذا نحن أجملنا مظاهر تأثر "رسالة الخلود" بالمعراج الصوفي فسوف نجدها يسيرة نادرة، وإذا كان هناك من تأثر حقيقي فهو تأثر عكس مضاد في جعل الهدف من المعراج خلوداً كما هو الحال في معراج أغلب الصوفية المتأخرين، وثمة تأثر آخر هو العروج من مرحلة إلى مرحلة وإقبال متأثر في هذا الصوفي الكبير عبدالكريم الجيلي، الذي أثبت معراجه في كتابه "الإنسان الكامل" فقد بدأ "الجيلي" عروجه بفلك القمر وانتهى بفلك زحل، ومر بينها بعطارد والزهرة والشمس والمريخ، والمشتري، وهذا ما فعله إقبال، إلا أنه يمر بالشمس، فبلغ عدد ما مر به من أفلاك ستة فقط.

على أننا نرجع أن معراج الجيلي كان أكثر تأثيراً في تجربة إقبال وخصوصا من حيث القالب، إلا أن هناك اختلافا كبيرا في المضمون بين المعراجين.(٤)

رسالة الغفران

وهي رسالة أملاها "أبو العلاء المعري "(٥) في سنة ٤٢٤هـ وكتبها في نثر فني رائع صور فيها رحلته إلى الأعلى وسياحته في الجنة والنار، وبين فيها كيف غفر الله للأدباء والشعراء بوجه خاص، وإن كانوا عصاة ملحدين أو كفاراً.(٦)

وقد أجمل الدكتور طه حسين نقاط اللقاء ونقاط الاختلاف بين إقبال والشيخ المعري في قوله، والغريب أن الرجلين اشتركا أيضا في هذا التفكير المتصل بالملأ الأعلى وكلاهما فكر في هذه المعجزة التي جاء ت في القرآن وهي معجزة الإسراء، فكر هذا كلاهما، وحاول كلاهما أن يسري

١- هو عبدالوهاب بن العربي بن يوسف الفأسي، مولد في سنة ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م وتوفى١٠٧٩هـ/١٦٦٨م بفاس. (أعلام، ١٨٤/٤)

٢- أنظر: على حسين عبدالقادر، الدكتور: كتاب المعراج لأبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري. دار الكتب الحديثة لصاحبها، توفيق عفيفي ١٤ شارع الجمهورية، القاهرة، ص١٢-١٣.

٣- نفس المرجع: ٢١/١.

٤- أنظر: محمد سعيد جمال الدين، الدكتور: رسالة الخلود، ص٤٣.

٥- هو أحمد بن عبدالله بن سليمان تنوخي، ولد في مصر ٣٥٣هـ و توفى ٤٤٩هـ وكانت من اشهر الكتب: سقط الزند، لزوميات، رباعيات، مجموعة مكاتيب، رسالة الملائكة ورسالة الغفران، ومنها اكتسب "رسالة الغفران" شهرة كاملة.

٦- أنظر: محمد سعيد جمال الدين، الدكتور: رسالة الخلود، ص٤٣.

كـمـا أسـرى بـالـنبي صلى الله عليه وسلم. فأبوا لعلاء فكر في الجنة وفكر في النار، وحرص على أن يسبح فـي الـجـنة والنار، وأن يكون متفرجاً وأن يتحدث إلى الناس عن الجنة والنار، وعمايكون في الـجنة والنار فألف"رسالة الغفران" وإقبال تأثر بمجليه إلا أن يعرج في السماء كما عرج محمد صلى الله عـليـه وسـلـم مهـمـا يـكـن من شيٍّ فقد طاف إقبال في السموات كما طاف فيها أبوالعلاء ولكن الـنتيـجة لهـاتيـن الزيارتين متناقضة عند الرجلين أعظم التناقص، فأما أبو العلاء فعاد من زيارته للجنان والنار ساخراً منكراً يوشك أن يخرج عن الدين.

وأمـا إقبـال فـعاد من زيارته مؤمنا متعظاً يريد أن يملأ الدنيا موعظة وعبرة بعد هذه الزيارة إلى هذه السموات.(١)

معراج ويراف

كـان ويـراف رجلاً تـقيـاً وفي عهد اردشير عرج إلى السماء مع الملئكة وبعد عودته اخبر عن أحـوال الـنـار والـجـنة والـمبـغوضين والمنعمين، هذا الكتاب معروف، وقد نشر في اللغة الانجليزية بـلـنـدن، وهـذا الأمـر العجيب في هذه القصة أن ويراف في أثناء معراجه تمدد في بيت نار ثلاثة أيام، ولكن لم يصله الضرر. على كل حال لم يخل هذه القصة من الشبهات والتوهمات.(٢)

الجنة المفقودة لملتن (٣)

وهذا نظم ديني هو مأخوذ من واقعة إخراج آدم وحوا من الجنة.(٤)

الكوميدية الإلهية

وهـذا الأمـر من المعلوم أن الكوميدية الإلهية قد كتب بعد ستة مائة سنين من المعراج النبوي صـلـى الله عليه وسلم ومأخوذ بالمعراج النبوي والفتوحات المكية، السبب الكبير الذي أثر إقبال في

١- انـظـر: طـه حسيـن، الـدكـتـور: إقبـال شـاعـر فـرض نـفـسـه عـلـى الـدنيـا وعلى الزمان، مطبعة: قسم الصحافة والاستقلامات سفارة الباكستان بالقاهرة، ١٩٥٦م، ص٢٦-٢٧.

- انظر: أظهر: ظهور أحمد، الدكتور: إقبال العرب على الدراسات إقبال. ص٣٧.

- وانظر: النجار، فهيم قطب الدين: محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي تأثره وتأثيره، ص١١٧-١٢٠.

٢- عـبـاد الله فـاروقـي، الـحـافـظ: تـحـت عـنـوان: جـاويد نامه. إقبال ريويو. مجلة إقبال اكادمى باكستان، يوليو ١٩٦٣م، ص٦٨-٨٥.

٣- هـو الـشـاعر المعروف بلغة الانكليزية، كان سكرتير "كرمويل" ولكن بعد وفاته صارت حياته "حياة قاسية، حتى فقد نور عينيه، واملى ديوانه الشهير "الجنة المفقوده" (ديوان فردوس گم گشته) على بنته وزوجه. وتصنيفه هذه مهم جداً في الأدب الإنكليزى، ولد ملتن في ١٦٠٨م وتوفى ١٦٧٧م.

٤- سيـد عبـدالله، الـدكـتـور: مـطـالـعة إقبـال كـے چـنـد نـئـے رُخ (الأردية) (جهة جـديـدة لمـطـالعة إقبـال). الطبعة الأولى. لاهور، باكستان: ظفر سنز برنترز، كوبر رود، يونيو ١٩٨٤م، ص٥٤-٦٦.

كتـابة الـمسـرحية السـمـاوية على صورة "الكوميدية الإلهية" كانت تصورات (تفكرات) دانتى.(١) وكـانـت استـعار "دانتى" ذلك الحقائق من المعراج النبوي . ولدى دانتي غاية الإنسان هي ليست فنا في الله بل مشاهدة التجلى الإلهى بدوام الذات ، وفلسفة إقبال أيضا مبني على هذه الحقيقة .

كما يقول إقبال:

بـر مـقـام خود رسيدن زندگی است　　ذات را بـے پرده ديدن زندگی است

مـــرد مـومـن در نسـازد بـا صفـات　　مـصـطـفــى راضـى نشد إلا بذات (٢)

"الـــــحيـــاة هي للذات الوصول　　وهـي ذات ليـس يـخـفيهـا سدول

لـم تـلائـم مـؤمـنـا قـط الـصـفـات　　مـا اختيـار الـمـصـطفـى إلا لذات (٣)

هـكـذا تصور دانتى تساهل ، كسل ، الحرص وغيرها "الشر " وتصور حركة وصراع "الخير" هناك مؤقف إقبال كذلك.

ونـجـد فـكرات إقبال في تائيد الكوميدية الإلهية ، وبهذا السبب أثنى إقبال الكوميدية الإلهية كثيراً وأنشد جاويد نامه في تقليده واعترف عظمته الأدبية والفنية .(٤)

فتـأثـر إقبـال بهـذه الـمـعارج ونضج فكره وتألف كتابه ولا نجد له نظيراً من كتب في عصره وبـعـده واكتسب شهـــرة كاملة وفي السطور القادمة ، نستعرض كتابه (رسالة الخلود) والمعراج في فكر محمد إقبال بالتفصيل .

المعراج في فكر محمد إقبال

نـحـن نـعـلـم أن المعراج النبوي و لقاء ه بربه يحرك مشاعر إقبال ويوجه عقله ، وينبته وجدانه ويشـحـن قـريحته الشعرية كى يحدثنا عن هذه الرحلة المعراجية ، ولكنه لا يحدثنا حديثا مباشرا، لأن مـحـمـد إقبـال لايتـحـدث عن المعراج حديثا مباشرا وإنما تصور نفسه وكأنه قد عرج به إلى السماء تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم ونعلم كان إقبال يحب البني صلى الله عليه وسلم ، ومن شعره يقول:

"درجهـان زی چـون رسول انس وجان　　تـا چـواد باشی قبول انس وجان

بـاز خـود رابيـن هـميں ديداراوست　　سـنـت او سرّے از اسرار اوست" (٥)

١- الشاعر المعروف الإيطالي من القرن اربعة عشر الهجري، ولد ١٢٦٥م وتوفى ١٣٤١م.

٢- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص٣٢.

٣- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين محيب : رسالة الخلود ، ص ١٤٨ .

٤- S.M. Abdullah: The Nature of Dante's influence on Iqbal. p.459to 465.

- Selection from the Iqbal Review. Dr. Waheed qureshi, Iqbal Academy Pakistan Lahore. April 1983.

٥- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص٢٤٢.

أنت في دنياك عش مثل الرسول ومن الخلق ستحظى بالقبول
ذاتك انظر إنّ هذا رويته سرُّه السر العظيم سنته" (١)

فهو يحاول هنا أن يسرح بخياله وأن يتصور له الأمر وقد عرج به إلى السماء مثلما عرج بالنبي صلى اللّٰهعليه وسلم ، تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا النوع من التأسي. في سنة ١٩٣٢م ألف "جاويد نامه" (رسالة الخلود)وهو منظومة مزدوجة القافية (مثنوية) في بحر واحد وهو الرمل مثل منظومتى "الاسرار والرموز" وهي من أعمق شعره يحتاج قارئها إلى زاد كثير من المعرفة بالتصوف والفلسفة والتاريخ، وجاويد نامه (رسالة الخلود) قصة سفره إلى الأفلاك كقصة دانتى الشاعر الايطالي، فيها زهاء ألفى بيت.

قسم إقبال هذا الديوان إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: ما قبل العروج .

والقسم الثاني: العروج في الأفلاك

والقسم الثالث: ماوراء الأفلاك ، والأفلاك يعني السماوات .

القسم الأول

يبداء بدعاء إلى الله عزوجل ، أنه يبحث عن خلّ وفي فلم يجد، ولا يجد أمامه إلا أن يلتمس بالدعاء إلى الله ، وهذا الدعاء هو أن يجعله يتخلص من الزمان والمكان ، وأن يعتقه من أسر الزمان والمكان ،لأنه لو عتق من أسر الزمان والمكان فإنه يطلق وينطلق سر يعا لعله يستمر ويسير في الأفلاك وفيما وراء الأفلاك وليس من هدف إلا رسول الله.

وعندئذ بعدهذا الدعاء تظهر روح الشاعر الفارسي الكبير "جلال الدين الرومي" ويفهم إقبال مرشده واستاذه وكان أثر الرومي على إقبال عميقا.(٢)

١- الترجمة العربية : المصري، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٦٣ .

٢- لأثر الرومي على إقبال : أنظر :عبدالحكيم ، خليفة :مولانا روم و إقبال ، في مقالة "اورينتل كالج ميگزين ميں ذخيرة إقباليات (خزينة إقباليات في مجلة الكلية الشرقية: الباحثة شبانه انجم ، ص٣٦- ٣٧)

- وانظر: الندوي ، صلاح الدين محمد شمس الدين ، الدكتور ، قدم له ، المصري ، د.حسين مجيب : الإتجاه الإسلامية في شعر محمد إقبال .الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م ، الناشر ، دارالسلفية ، ص٢٥٢.

- Dr.Nazir Qaiser, Rumi's Impact on Iqbal,s religious thought, Iqbal Accademy Lahore,1989, p283 to 297.

- وانظر: مهدي حمود الفلوجي : إقبال شاعراً ومفكرا . (مجموعه من الكلمات والخطيب والمحاضرات التي ألقيت بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد العلامة محمد إقبال)١٩٧٧م،ص٥٣-٥٨.

- وانظر : رحيم بخش شاهين : مولانا جلال الدين الرومي ، مرشد إقبال : نوائے وقت (نداء الساعة) ٦دسمبر ١٩٩٠م.

- وانظر : اسرار خودى:ص٩، ١٢، ١٣، پيام مشرق ، ص١٣٢، زبور عجم،ص١٣، بال جبريل،ص٢١. اقبال كامل ، ص٣١١، ٣١٨، ٣١٩، فكر إقبال ،ص٣٧٤،سمير عبدالحميد ، الاسرار والرموز، ص٤٢.

وبهذا انتخب إقبال لسفره إلى الأفلاك "الرومي" ويقول إقبال عن روح الرومي كذلك :

"آشكارا مى شود روح حضرت رومى وشرح مى دهد اسرار معراج را
عشق شور انگيز بے پرواے شهر شعلۀ او ميرد از غوغاے شهر
خلوتے جويد بدشت و كوهسار يالب درياے ناپيد اكنار
من كه درياران نديدم محرمے برلب دريا بيا سودم دمے
بحر و هنگام غروب آفتاب نيلگون آب از شفق لعل مذاب
كور را ذوق نظر بخشد غروب شام را رنگ سحر بخشد غروب
بادل خود گفتگوها داشتم آرزوها جستجو ها داشتم
آنى واز جاودانى بے نصيب زنده واز زندگانى بے نصيب
تشنه و دور از كنار چشمه سار مى سرودم اين غزل بے اختيار" (١)
تلوح روح جلال الدين الرومى وتتناول بالشرح سرّ المعراج
شعله للعشق شبّت في المدينة ضجة للقوم تطويها دفينة
تنشد الخلوة في طود أشم أو على الساحل من بحر خضم
ما وجدت لي حميماً مرّة فقصدت البحر ألقي نظرة
ورأيت البحر في وقت الغروب زرقة فيها يواقيت تذوب
للضرير واهب نور البصر للمساء مكسب لون السحر
ثم ناجيت طويلا مهجتي(٢) وطلبت في خيالي مُنيتي
إنني الفاني ومالي من خلود وأنا حي ومثلي في اللحود
ظامئ والنبع عن ثغري بعيد فإذا بي منشد هذا النشيد" (٣)

فروح الرومي يحدثه عن المعراج ويقول له ، أتريد أن تعرج في السماء ؟ إنك إذا أردت أن تعرج في السماء ، لابد لك أن تحدث ثورة في الشعور ، فالمؤمن لا يقلع من هذا العالم الذي يعيش فيه ولا يخضع كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم إلا لهداية الإنسانية ، لقد ترك الرسول صلى الله عليه وسلم الكون وماوراء الكون واتجه إلى الله وحده لا يبغي غيره، فعندئذ تظهر روح ملك من الملائكة ، هو ملك الزمان والمكان ، هذا الملك يمرق إقبال بنظره لم يظهر بعدها إلا وجسده أكثر فضة وبساطة ايذانا ببدأ رحلته إلى الأفلاك .

١- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص٢٨ .

٢- المهجة : دم القلب . والمراد به هنا القلب.

٣- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ،ص١٤٥-١٤٦ .

وعند إقبال ينال الإنسان هذا المقام بقوة العشق، ولا يمكن المعراج بدون العشق، يقول إقبال:

”نهان اندر دو حرفی سرکار است مقام عشق منبر نیست ، داراست
براهیمان زنمروداں نترسند که عود خام را آتش عیار است“ (١)
تو خوده وقت قیام خویش دریاب نماز عشق ومستی را اذان نیست
مقام شوق بے صدق ویقین نیست یقین بے صحبت روح الامین نیست
گرا زصدق ویقین داری نصیبے قدم بیباك نه، کس در کمین نیست (٢)
سوزد مومن از سوز وجودش کشود هر چه بستند از کشودش
جلال کبریائی در قیامش جمال بندگی اندر سجودش
چه پرسی از نماز عاشقانه رکوعش چون سجودش محرمانه
تب وتاب یکے الله اکبر نه گنجد در نماز پنجگانه
دو گیتی را صلا از قرأت اوست مسلمان لا یموت از رکعت اوست“ (٣)
وفي حرفين هذا السر يستتر مقام العشق لا يبدو كمنبر
وإبراهيم نمروداً أيخشى لعود نفحة بالنار تنشر“ (٤)
صلاة العشق ميزها بوقت فليس لها المؤذن والخطيب
مقام العشق يفعمه اليقين يقينا يصحب الروح الأمين
إذا حصلت من هذا نصيبا فسير قدما، فما اعترض الكمين
ويحرق مؤمنا حر الوقيد من الأبواب يفتح ما يريد
جلال الكبرياء له قيام جمال الصبر يظهره السجود
أتسأل عن صلاة العاشقينا وفيها خفية هم ساجدونا
أرى ”الله اكبر“ مثل نار أفي خمس بدت للناظرينا
بداء العالمين بها يدوم ومنها مسلم خلداً يروم“ (٥)

القسم الثاني

وهو العروج في الأفلاك ، يشتمل على مراحل متتابعة يتخيل فيها الشاعر نفسه ، وكأنه ينتقل

١- كليات إقبال (فارسي) ارمغان حجاز ، ص٢٧.

٢- نفس المرجع ، ص٢٧٦.

٣- نفس المرجع ، ص٢٧٨- ٢٨٠.

٤- الترجمة العربية : المصري ، د.حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص٤٩٧.

٥- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب: هدية الحجاز ، ص ٤٩٩- ٥٠٠.

من فلك إلى آخر بصحبة شيخه ودليله "جلال الدين الرومي" ويقابل في كل واحد من هذه الأفلاك عدداً من أرواح المصلحين الإسلاميين "كالسيد جمال الدين افغاني".(١) والسياسي الكبير التركي"سيد حليم باشا" (٢) والمهدي السوداني، فيعرض عليهم كل المشكلات التي تواجه العالم الإسلامي المعاصر ويجري بينه وبينهم حوار من أروع ما اشتملت عليه آدابنا الإسلامية من حوارات من الوجهتين المعنوية والفنية ، وفي بعض الأفلاك يلتقى بعدد من ممثلى الاتجاه الباطل في الحياة الإنسانية كأبي جهل (٣) ويدلل من خلال حواره مع أبي جهل ، كيف استطاع الإسلام أن يحل المشكلات التي لا زال العالم يعانى منها إلى يومنا هذا كالتعصب الجنسي والتفرقة العنصرية والقومية، وهي مشكلات عالجها الإسلام العلاج الناجع في بساطة وواقعية وتلقائية فكرية خالية من التكلف والتعقيد.

القسم الثالث

وفي رحلته المعراجية الخيالية ، ينطلق الشاعر ومرشده الرومي إلى ماوراء الأفلاك ، فيدخل الفردوس الجنة ، ويصف فيها قصراً للملوك الثلاثة الشهداء ، أو لهم ، مؤسس الأسرة الفيشارية في إيران "نادر شاه الافشاري"(٤) والثاني ، مؤسس أفغانستان الحديثة "أحمد شاه أبدالي"(٥)والثالث ، قاهر الجيوش البريطانية في بلاد الهند "السلطان " الشهيد فتح على تيبو(٦) هؤلاء هم الملوك

١- هو جمال الدين الأفغاني ، ذلك المصلح الديني ، والسياسي ، والاجتماعي، ورجل الفكر الحر والأدب العالي ، ومن له الزيادة في دعوته إلى الحق ومكافحته للباطل . وكان الداعي إلى التجديد في الإسلام ، راغبا في إصلاح العالم الإسلامي بالرجوع إلى القرآن . بعد أن فترت عنه همم المسلمين ولم يأخذوا بتعاليمه الداعية إلى شحذا لهمم وتحرير العقول ، كان الأفغاني عظيم الأثر ، واسع النفوذ ، دائب العمل في مصر على الخصوص، وتوفي عام ١٨٩٨م.

٢- هو سعيد حليم باشا الصدر الأعظم الذي قتل عام ١٩٢١م في روما ، ولقد فرض إجلاله حتى على خصومه لسداد رأية، ورجاحة عقله ، والجامع بينه وبين الأفغاني أن كلا منهما صاحب نزعة إسلامية إصلاحية .

٣- عمرو بن هشام ، زعيم الجاهلية والنخوة العربية .

٤- نادر : هو شاه أفشار الذي كان قائداً في جيش الشاه طهماسب الثاني آخر ملوك الصفويين، وقد تأتى له أن يدفع غارة الأفغان على إيران، فتربّع على عرشها عام ١٧٣٦م كان سنّيا، وبذل وسعه في التقريب والتوفيق بين المذهب السنّي والمذهب الشيعي الذي كان المذهب الرسمي للدولة الإيرانية في عهد الصفويين .

٥- وأبدالي : هو أحمد شاه دراني المتوفي عام ١٧٧٣م ، كان من قادة جيش نادر كما حكم من قبله إقليم مازندران، وبعد مقتل نادر مضى إلى أفغانستان حيث أصبح ملكاً ، واتخذ من مدينة قندهار عاصمة له ، يعدُّ مؤسسا لدولة الأفغان.

٦- السلطان الشهيد هو تيبو سلطان الذي كان له الملك في الدكن ، وقد حارب الإنجليز الذين غلبوا على عاصمته ، ثم قتل في حومة القتال عام ١٧٩٩م.

الشهداء الثلاثة الذين فضلوا الإقامة في الفردوس، يعقب هؤلاء الملوك على ما يحدث في العالم الإسلامي المعاصرو يعلقون على هذه المشكلات التي تجابه المسلمون ويحاولون الوصول إلى حلول لها ، بل إنهم يحسبون على المسلمين المعاصرين تطرفهم وتقليدهم للغرب ونسيانهم لشرعة الجهاد ، جهاد النفس ، قبل جهاد العدو، ويبين لهم السلطان "تيبو الشهيد" أن الحياة هي الإرادة وهي العزيمة يقول لهم :

كيف ينبت الإنسان من حفنة تراب ، فليس الإنسان ترابياً ولكن معدنه روحي وهو قبس من نفحات الله عزوجل ، كيف ينبت الإنسان من حفنة تراب بالقلب بإرادة في ذاك القلب .

وهنا ينطلق الشاعر مع مرشده جلال الدين الرومي ويقول له هذا المرشد:

"قم فيمضي وحده ويستمع إلى صوت صادر من أعماق الكون ، يقول له : من أمتي يامن يقول لا إله إلا الله ، أن تكون هناك نظرة واحدة بالآف العيون ، حيثما وجدت وحدة الفكر وجدت الأمة أن على المسلمين أن يبرهنوا دائماً على تطبيقهم للمثل العربي القائل :

"خيامنا منفصلة وقلوبنا واحدة " وهنا يعم النور الكون فيخر الشاعر صعقا فاقد النطق ثم يضيق على صوت قوي يأمره إلى العودة إلى الأرض ".(١)

وكان إقبال في خياله الشعري متأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم في معراجه، لقد اتخذ من معراجه ايطاراً صب فيه روئيته الفلسفية وآراء ه الإصلاحية ويقينه الذي لا يتزعزع ، لأن الإسلام هو العلاج النافع لآلام البشرية والمتنفس السليم لا حيلة للإنسان وطاقاته .

ويقول إقبال في المعراج:

"چيست معراج آرزوے شاهدے　　امتحانے رو بروے شاهدے
شاهد عادل كه بے تصديق او　　زندگى ما را چو گل را رنگ و بو
در حضورش كس نماند استوار　　وربما ندهست او كامل عيار
زره از كف مده تا بے كه هست　　پخته گيرانلر گره تا بے كه هست
تاب خود را بر فزودن خوشتراست　　پيش خورشيد آزمودن خوشتراست" (٢)
ماهو المعراج؟ مرجاة لشاهد　　واختبار، وتراه عين شاهد
شاهد عدل وممّا قاله　　عيشنا البستان أزهارله

١- محفوظ، حازم محمد أحمد: محمد إقبال ، المعلم ، الفيلسوف الشاعر الإسلامي الكبير ، تحت عنوان : محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : المعراج في فكر محمد إقبال، للطباعة والنشر : دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩م،ص٥٧-٦٣.

٢- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص٣٤.

مـا لإنسـان ثبـات فـي الـحضور(١)	أو هـو الـكـامـل لا يشـكـو القصور
ذرة لا تـلـق مـــن هـــذا للّـهيب	ثـم صـنـه مثل تـذكـار الـحبيب
أن تــزيـد الـنور فيك ذاك أخـلـق	أن تـضـاهيـه بشـمـس ذاك أليـق" (٢)

ولم يكن لإقبال أن يصل إلى مرتبة النبي الكريم في النضج الذاتي ، فبينما اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من الذات الالهية ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، وهو يمتلك زمام نفسه وشعوره، لولا ما خالجه من خشية في بادئ الأمر . فإن إقبال صعق بمجرد "تجلى الجلال " وغاب عن وعيه، ولكنه آفاق في النهاية على صوت صادر من أعماق العالم الأعلى يفضي إليه بأمور ثم يقول له في النهاية . "إذهب " وهذا الأمر الإلهي بالعودة إلى الأرض من جدير لنشر دعوة الحق بين الناس ، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم حين تلقى أمر ربه .(٣)

وقد يكون من الطريف المفيد أن ننقل لكم في هذا الصدد فقرة من كتاب إقبال : تجديد التفكير الديني في الإسلام" وقد ذكرنا أيضا هذا قبل ، ولكن هذا المقام الجيد لقول هذا، وهو عن عبدالقدوس الجنجوهي الصوفي الهندي قوله : "صعد محمد النبي صلى الله عليه وسلم العربي إلى السموات العلى ثم رجع إلى الأرض. قسماً بربى لو أن بلغت هذا المقام لما عدت أبداً" . وهنا يعلق إقبال ويبين الفرق بين الوعي النبوي والوعي الصوفي في مقام المشاهدة .

الصوفي لا يريد العود من مقام الشهود أبداً ، وحين يرجع ، ولا بد، فرجعته لا تعني الكثير للبشر عامة، أما رجعة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي رجعة مبدعة ، إذ يعود ليشق طريقه في موكب الزمان ، ابتغاء التحكم في ضبط قوي التاريخ وتوجيها على نحو ينشئ به عالماً من المثل العليا جديدا، فمقام الشهود عند الصوفي غاية تقصد نداتها ، ولكنه عند النبي صلى اللّهعليه وسلم يقظة لما في أعماقه من قوي سيكولوجية تهزّ الكون هزّا . وهكذا قدّر لرجعة الرسول صلى الله عليه وسلم من معراجه أن تغير نظام العالم الإنساني تغييراً تاماً.

ويقول عمر بهاء الدين في هذا الصدد في كتابه كذلك :

"وإن رغبة النبي صلى الله عليه وسلم في أن يرى رياضته الدينية قد تحولت إلى قوى عالمية حية ، رغبة تعلو على كل شيء ، ولهذا كانت رجعة ضربا من الإمتحان العملي لقيمة رياضته الدينية ، وعندما يتغلغل النبي صلى الله عليه وسلم فيما يواجهه من أمور مستعصية وينفذ إلى أعماقها ، تتجلّى

١- الحضور عند المتصوفة هو حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبيُّ عنده كالحكم العيني، ونقيضه الغيبة ، وهي غيبة القلب من دون الله حتى يغيب عن نفسه، ويستطيع مشاهدتها.

٢- الترجمة العربية : المصري ، د.حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص١٤٨.

٣- محمد سعيد جمال الدين ، الدكتور : رسالة الخلود (جاويد نامه) ص٣٦-٣٩.

له حينئذٍ نفسه فيعرفها . ولهذا كان مما يحكم به على قيمة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وحجة رسالته ، البحث في نوع الرجولة التي أبدعها، والبحث عن العالم الحضاري الذي انبعث عن روح دعوته ".(١)

ثم يقول:

"إذا نفخ الشعر في النفوس الحياة وبعث الإنسان فهو وراثة النبوة وأنظر البيتين التاليين.

"إذا الشعر في النفس شب الحياة　　و ولد في الناس بعثا وقوة

شامى وأدىّ رسالة　　وكان امتداداً للإرث النبوة" (٢)

لقد وضع إقبال نصب عينيه في إعداد هذا الديوان (رسالة الخلود) كلامن "الفتوحات المكية" لمحي الدين ابن عربي " الصوفي الشهير، "ورسالة الغفران " "لأبي العلاء المعري" ، والكوميدية الالهية " "لدانتى" بالإضافة إلى قصة الإسراء والمعراج ، كما وردت في كتب السنة، ولأجل ذلك نجد في هذا الديوان مزايا هذه الكتب جميعاً وخصائصها البارزة ، كما تتجلى أيضاً بوضوح شخصية إقبال وأصالته وفلسفته وإسلامه .

والفرق بين رحلة إقبال إلى السماء والكوميدية الإلهية لدانتي، أن إقبال حصر سفره في الكواكب الستة فقط ، فلم يقم برحلة واسعة لجهنم والأعراف ، بينما قام لهما دانتى بجولة واسعة وليس معنى ذلك أن إقبال لم يعرض لنا مشاهد جهنم والأعراف ، بل قدمها لنا في رحلته في فلك الزحل حيث نجد فيه المجرمين يعانون أشد أنواع العذاب بسبب عصيانهم لأوامر الله سبحانه وتعالى، وخيانتهم لبلادهم وأوطانهم ، ومن ناحية أخرى لم يتناول إقبال في هذه المرحلة المسائل الوحية والأخروية فقط ، كما هو الشأن في "الفتوحات المكية" و"الكوميدية الإلهية" تناول المسائل الحية التي من صميم حياتنا المعاصرة ، تلك التي اتخذها إقبال فلسفة له في شعره بوجه عام، وكذلك رأينا إقبال في هذا الديوان لأول مرة شاعراً طبيعياً وفناناً رائعاً ، إذ أن شعره ينبض بالموسيقى والنغمات العلوة التي تأخذ بمجامع القلوب وتحرك أو تارها كما

١- الأميري ، عمر بهاء الدين : في رحاب الفكر الإسلامي العظيم إقبال والزبيري،جده، سفارة جمهورية باكستان الإسلامية الرياض . ١٤٠٨هـ ،ص١٠.

٢- نفس المرجع ، ص١٦.

أنه يقدم لنا صورة حية للمسرحية الفنية بأسلوبها وقوالبها وحوارها.(١)

وبعد استعراض نموذج كلام شوقي وإقبال في "الإسراء والمعراج ، نجد هذه الحقيقة البينية أن فكر إقبال في هذا الموضوع مختلف مطلقا من فكر شوقي، يذكر شوقي معراج النبي صلى الله عليه وسلم وحوادثه خلال معراجه فقط ولا يبالي بالنقاط الأخرى قط.

أما إقبال كما ذكرنا ، يبين معراج نفسه بأسلوب بديع ويفهم معنى معراج وكيفياته بطريق أحسن وينقل تفكراته وتجرباته على صفحة القرطاس بقوة القلم وقوة الذهن.

١- الأعظمي ، محمد حسن : اللآئي الإسلامية الغالية (من افكار إقبال وسعدي العالية، العربية والأردية) ترجمها من الأردية والفارسية .الطباعة والنشر :كراتشي، باكستان: عالمي تنظيم اتحاد العالم الإسلامي، ١٩٣٧م ، ص١٢٨-١٣٠.

وللمزيد التفصيل "المعراج في فكر إقبال" .

- انظر: اله آبادي بهار: تفسير إقبال(الأردية) ، دهلي ، الهند: مطبعة : جمال برنتنك بريس، ١٩٨٢م، ص٧٨، ٧٩.
- وانظر: المقالة: ارشاد أحمد شاكر : جاويد نامه ، مقدمه حواشي و تعليقات (الأردية)، جامعة المفتوحةلإقبال، ١٩٩٩م، ص١١١، ١١٢.
- وانظر : يوسف حسين خان ، الدكتور : روح إقبال (الأردية) ،لاهور، باكستان: مطبعة ، اشرف بريس ، آئينه ادب ميناء انار كلي، ص٤٧٥- ٤٨٥ .
- وانظر : حافظ عبادالله فاروقي : جاويد نامه . اقبال ريويو ، مجلة إقبال أكادمي باكستان ، يوليو ١٩٦٣م ، ص٦٨ـــ٨٧. وانظر: محمد ظريف ايم اے ، قاضي : إقبال قرآن كى روشنى ميں (الأردية) (إقبال في ضوء القرآن)، الطبعة الثانية، لاهور ، باكستان: مطبعة : نقوش بريس، ١٩٦٣م ، ٢/٣٠٠-٣٠٧.
- وانظر : Dr. Nazir Qaiser, Rumi Impact on Iqbal's Religious thought : Miraj (Ascension) Iqbal Academy Pakistan, Lahore, 1989.

الفصل الرابع

الهجرة النبوية وتأسيس الدولة الإسلامية

والأجدر أن نقدم أهمية الهجرة النبوية ودورها في تأسيس أول دولة إسلامية في العالم في ضوء الأحاديث النبوية وآثار الصحابة قبل استعراض نموذج من كلام شوقي وإقبال في هذا الصدد.

وننظر أن الله نوّر أرض مكة بنور الإسلام وأنزل الله فيها بركاته وسعاداته . ولكن لا يمكن لبني قريش أن يتركوا دين أسلافهم ويقبلوا دين الإسلام بسهولة ولهذا قاموا على عداوة هذا الدين بقوتهم . وكذّبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وأذوه صلى الله عليه وسلم و أصحابه بعقوبة جسدية وذهنية . وضيقوا أرض مكة عليهم .

ولكن بالرغم من هذه الصعوبات لم يتزلزل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق التبليغ وسواء السبيل (سبيل الحق) وكانت حالة أصحابه كذلك .

فقد نصر الله تعالى نبييه وأصحابه ، فجاء ت وفود من أرض بعيدة إلى مكة لقبول الإسلام، وفي هذه السلسلة جاء وفد من المدينة إلى مكة ونوروا أنفسهم بنور الإسلام ودعوا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة لنشر الإسلام ، فلما رأى أن عداوة القريش للمسلمين تجاوزت الحدّ وبدأوا يقتلون المسلمين صباحا ومساء. فأذن للمسلمين بالهجرة من مكة إلى المدينة ، فأخذ المسلمون يهاجرون سراً من مكة إلى المدينة ، ولم يبق بمكة مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلا اثنان من السابقين الأولين وهما سيدنا أبوبكر و سيدنا علي رضي الله عنهما.

قال حسن كامل في كتابه في هذا الصدد :

"فخرجوا جماعة بعدها جماعة ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظرأن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة إلى المدينة ، وكان أبوبكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل ، لعل الله يجعل لك صاحباً.(١)

مؤامرة قريش ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم تمثيلاً بأمر الله

ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله يخرجون من مكة رويداً رويداً ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فاجتمعوا في دار الندوة ، وهي كانت دار القصي بن كلاب ، يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . اطلعه الله تعالى على ما تشاوروا فيه بقوله تعالى :

١- المطلاوي، حسن كامل : رسول الله في القرآن الكريم . طباعة بمصر ، ١٩٨٢م ، ص١٨٧.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(١)

فقد اختلف أراؤهم، فخافوا أن يقاتلهم أهله بدافع العصبية، ويخلصوه من أيديهم، ثم يتفقون أن يختاروا من كل بطن من بطون قبائلهم شأبا ليقتلوه قتلا جماعياً فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقوى بنوهاشم على حربهم، فإذا طلبوا الدية قدموها لهم، وهذه الرأى الأخير هو الذي استحسنوه بعد التشاور في دار الندوة . ولكن انقذ الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من هذا الفعل القبيح . فأتى جبيرل عليه السلام فقال :

"لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، وعلى منتصف الليل اجتمعوا القريش على بابه بالنية الفاسد، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم، قال لعلي بن طالب، نم على فراشي وتسبح ببردي (٢) هذا، فنام علي رضي اللّهعنه فيه بلا خوف وخطر".(٣)

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت، فأخذ حفنة من تراب في يده، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو بعض من آيات من سورة يسين وهي : ﴿يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ .... فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾(٤)

حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلاوة هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إيقاظا وقد وضع على رأسه ترابا، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب . وذهب رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم إلى دار أبي بكر وخرج معه من مكة إلى المدينة، وبلغهما على فم غارثور (٥). وهو الغار(٦) الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن، وجاء ت قريش يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذ رأوا على باب الغار نسج العنكبوت قالوا: لم يدخل أحد، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قائما يصلي وأبوبكر يرتقب، فقال أبوبكر للنبي صلى الله عليه وسلم، هؤلاء قومك يطلبونك، فقال له النبي الكريم صلى الله عليه وسلم .

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٧)

ودعا النبي فنزلت عليه سكينة من الله سبحانه وتعالى . قال الله تعالى :

﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ

١- سورة الأنفال، الآية : ٣٠.

٢- تسبيح ببردي : اجعل ثوبي غطاء لك .

٣- انظر: المطلاوي،حسن كامل : رسول الله في القرآن الكريم .ص١٨٨.

٤- سورة يسين، الآية :١- ٩.

٥- جبل بأسفل مكة، وقد سُمي الغار الذي يقع فيه باسمه .

٦- ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾، سورة التوبة، الآية : ٤٠ .

٧- سورة التوبة، الآية: ٤٠ .

هِيَ العُلْيَا، وَاللَّهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ﴾ (١)

فأرسل أبوبكر عامر بن فهيرة مولى أبي بكر أميناً مؤتمنا حسن الإسلام فأستاجر رجلا من بني عبد بن عدى يقال له "ابن الأيقط" .(٢) وهو هادى بالطريق ، وكان يأتيهما عبدالله بن أبي بكر حين يمسى بكل خبر يكون في مكة ويريح عليهما عامر بن فهيرة الغنم في كل ليلة فيحلبان ويذبحان ، ثم يسرح بكرة فيصبح في رُعيان (٣) الناس ولا يفطن له حتى إذ هدت (٤) عنهم الأصواب ، قد مكثا في الغار يومين وليلتين بنصرة الله بلاخوف وخطر.

ثم خرجا من الغار فأخذا على الساحل ، فجعل أبوبكر يسير أمامه ، فإذا خشي أن يؤتى من خلفه سار خلفه (صلى الله عليه وسلم) فلم يزل كذلك مسيره ، حتى إذ كان بأبيات قديد(٥) وكان على طريقهما جاء رجل وهو سراقه بن مالك بن جعشم على فرسه ، فقال أبوبكر : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الطلب قد لحقنا ، قال﴿لَاتَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. حتى إذا دنا منهما فكان بينهما وبينه قدر رمح ، أو رمحين ، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم اكفناه بما شئت" فساخت قوائم فرسه إلى بطنها في أرض صلد وثب عنها وقال سراقة: يا محمد صلى الله عليه وسلم قد علمت أن هذا عملك ، فأدع الله أن ينجيني مما أنا فيه ، فوالله ! لأعمّين على من ورائى من الطلب، وهذه كنانتي(٦).فخذ منها سهما فإنك ستمر بإبلى وغنمي بموضع كذا وكذا، فخذ منها حاجتك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحاجة لي فيها، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأطلق ورجع إلى أصحابه ".(٧)

قدومه عليه السلام المدينة وفرح أهل المدينة بقدومه

وسمع المسلمون بالمدينة بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فكانوا ينتظرونه كل يوم ، فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظارهم ، فلما آووا إلى بيوتهم ، فرجل منهم بصر رسول الله من سقف بيته ، فقال بأعلى صوته : يا معشر العرب، هذا جاء كم الذي تنتظرون ، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرّة ، وذلك يوم الأثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبوبكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا ، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه

١- سورة التوبة ، الآية: ٤٠ .

٢- كان حليفا لقريش في بني سهم من بني العاص بن وائل وذلك يؤمئذ العدوي مشرك.

٣- جمع راع.

٤- أي سكنت .

٥- موضع بين مكة والمدينة .

٦- جحبة من جلد أو خشب ، تجعل فيها السهام .

٧- انظر : يوسف الكاندهلوي : حياة الصحابة . دمشق ،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، ١/٤٩٦-٥٠٨.

- وانظر: طبري، ابن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار المعرفة. وانظر: احمد بن حنبل : المسند. دارالمعارف : ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

وسلم، فأقبل أبوبكر ، حتى ظلّل عليه بردائه ، وعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك.

وعن ابن عائشه يقول :

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جعل النساء والصبيان يقلن:

"طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع" (١)

الهجرة النبوية في كلام شوقي وإقبال

وتناول شوقي هذه الحادثة (الهجرة النبوية) بكل إيمان وبسرور ، وهو يؤمن أن الهجرة كانت ضرورية لبقاء الإسلام ولتأسيس الدولة الإسلامية ، بأن كان المسلمون ضعفاء في مكة وكانت حياتهم في الخطر ، لا يمكن لهم أن يعيشوا حياة الأحرار والحياة المطمئنة ، حتى أهل مكة كانوا يؤذونهم على أداء فرائضهم الدينية ، فيؤدون عباداتهم خفية ، وفي مكة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قليلون وأما أعداؤه فهم كثيرون ولا يحبون هذه الكيفية ، ثم يؤمن بأن دين الإسلام دين الحق وجاء دين الإسلام لتعلوا كلمة الله العليا على الأديان الأخرى كلها . كما قال الله تعالى في القرآن الحكيم :

﴿هُوَ الَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِالۡهُدَىٰ وَدِينِ الۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ ، وَلَوۡ كَرِهَ الۡمُشۡرِكُونَ﴾(٢)

ولكن لا يمكن كل هذا في أرض مكة المكرمة ، بأن أرضها يثبت أرض بور لشجر الإسلام ونموه. فيبين شوقي هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأسبابه فيما يلي :

"نال الرسول الضُّرُّ من عداه ... وبلغ الأذى به مداه
ومات من آوى(٣) وربى واصطنع ... وذاد عن خير النبيين ومنع
وحائط الدعوة في أساسها ... وركنها قبل اشتداد بأسها
وارت أبا طالب الأحجار ... فأعوز الحامي وعزّ الجار
وركبت متن هواها هاشم ... وجال غاويها وصال الغاشم
وكان من أفحشها أبولهب(٤) ... عمٌّ ، ولكن مذهب السوء ذهب

١- انظر :يوسف الكاندهلوي : حياة الصحابة ، ١/٥٠٩-٥١٠.
- وانظر: البخاري ، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري بحاشية السندي. بيروت ، لبنان: ج ٢.
- وانظر:السهيلي ، أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الغثمي . السيرة النبوية لابن هشام ومع تفسير أحاديث الروض الأنف .ملتان ، باكستان : ١٣٧٧هـ /١٩٧٧م، ٢/٣٠٢ .

٢- سورة التوبة ، الآية :٣٣.

٣- هو عمه أبو طالب .

٤- عمه المذكور في القرآن . سورة لهب ، الآية:١-٥.

فحققت الهجرة وهي مُرّة ... ما وصفت إلا لنفس حُرّه

سبيل موسى في الزمان الأول ... ومذهب الروح ولمّا يحول (١)

ومركب الأفراد والإعلام ... وخصماء الظلم والظلام

ما أجمل الهجرة بالأحرار ... إن ضنت الأوطان بالقرر (٢)

وفي البيت الأول يبين شوقي الصعوبات والمشاكل التي تحمل النبي صلى الله عليه وسلم بيد الكفار ويشير في أبياته إلى الصعوبات والتي واجهها النبي على وفاة عمه أبي طالب . والقريش ما أمكن لهم أن يوذوا النبي صلى الله عليه وسلم في حياة أبي طالب .

وكان شخصية أبي طالب كعمود للنبي صلى الله عليه وسلم وبعد إسقاط هذا العمود قامت قريش وغيرهم من الكفار على عداوة المسلمين وخاصة ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ذكر أبي طالب وحبه للنبي صلى الله عليه وسلم ، يذكر شوقي عمه الآخر"أبا لهب" هو رائد الكفار ، ولا يبالي بالقرابة والنسبة ، بل سبق سبقاً في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم من الآخرين . وتضع امرأته الأشواك حيثما يمرّ النبي صلى الله عليه وسلم وهو أيضاً التحق بالآخرين في مؤامرة قتل النبي صلى الله عليه وسلم (نعوذ بالله).

وفي هذه الأحوال يظن شوقي أن لا بد للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه أن يهاجروا إلى ارض أخرى لكي يدعوا إلى دعوة الإسلام هادئاً و مطمئناً ، ولا شك أن الهجرة كانت دواً مراً ولكن كانت ضرورية لشفاء الإنسانية ، ثم يبين شوقي أن الهجرة أسوة الأنبياء من اليوم الأول. ثم يضرب مثال موسى عليه السلام في هذا الصدد، وهو الذي ترك وطنه في سبيل الله وإعلاء كلمته .

وكانت هجرة النبي من شعار الأنبياء و بإذن الله ، فحديث شوقي عنها حديث مصور مفتن. ثم يعرض لنا تصوير سفر النبي صلى الله عليه وسلم خلال هجرة و واقعاتها . فيعرض لنا صورة قوية التعبير لعصبة الكفار، وهي هائمة حول الغار تطارد الرسول صلى الله عليه وسلم . ولعل سبب وقوفهم عند الغار هو رؤيتهم نور النبي صلى الله عليه وسلم يشع منه ، أو سماعهم ، همس التسابيح والقرآن، لحظة من لحظات الروع العميق تطير فيها الأحلام ، ويقترب المشركون قليلا قليلا ، حتى يرون نسج العنكبوت العتيق وعش الحمام على فوهة الغار فيعودون وهم يجررون أذيال الخيبة ، والدنيا تلعنهم، كما يرجع الباطل وقد هزمه الحق المبين، كل هذا و الرسول والصديق ترعاهما عين الله فيجد ان الأمن والطمأنينة من الله تعالى .

ويبين شوقي هذه الصورة في الأشعار التالية وأشرنا من قبل في "المعجزات النبوية" إلى هذه

١- عيسى عليه السلام ولم يكن اكتمل حولا.

٢- أحمد شوقي بك : دول العرب وعظماء الإسلام . مصر:١٩٣٣م ، ص٢٧-٢٨.

الأشعار أيضاً:

ويقول شوقي:

"سل عصبة الشرك حول الغار سائمة   لـولا مطـاردة المختار لم تسم (١)
هـل أبصروا الأثر الوضّاء أم سمعوا   همس التسابيح والقرآن من أمم
وهـل تمثل نسج العنكبوت لهم   كالغاب والحائمات الزغب كالرخم
فـأدبروا، ووجوه الأرض تلعنهم   كباطل من جلال الحق منهزم
لـولا يدالله بالجارين ماسلما   وعينـه حول ركن الدين،لم يقم (٢)

وبهـذه الأشعـار يسخر شوقي من المشركين، ويهزأ بهم، ويمثل ضلالهم وإخفاقهم تمثيلا بشعاً مخيفاً يخزى له وجه الشرك ويرغم به أنف الجحود.

فـأدبروا وجوه الأرض تلعنهم   كباطل من جلال الحق منهزم

فنصر الله أصحابه و هذه سنة الله أن اللعنة للكفار دائماً ورحمة للمؤمنين دائماً. وبالهجرة فتحت أبواب الرحمة والرقى للمسلمين ونال المؤمنون مقام العلو والشرف، وعلم الكفار أهمية الإسلام والمسلمين بقلوبهم، ولهذا الهجرة النبوية لا بد لتأسيس الإسلام ونموها.

وأما إقبال، فيظن أن هناك ثلاثة عوامل لابد منها للحضارة الإسلامية وبقاء ها، وهي:

الأول: الهجرة من الأرض غير الملائمة.

الثاني: "الجهاد".

الثالث: "اجتهاد".

فيظهر لنا أن الهجرة النبوية كانت أول مظهر للدعائم المذكورة آنفاً، فالروح التي انعكست في صورة الهجرة، ننظر تلك الروح في دوائر الجهاد والاجتهاد أيضاً. ولا ريب أن دعوة الإسلام إلى كافة الناس: وليس الإسلام لا في منطقة خاصة.

كمايقول إقبال:

از حديث مصطفى دارى نصيب   دين حق اندر جهان آمد غريب (٣)

١- عصبة الشرك: أي عصبة من أهل الشرك الذين ذهبوا يطلبونه صلى الله عليه وسلم يوم هجرته.

٢- الشوقيات: ١/١٦٦.

- وانظر: فهمي، ماهر حسن، الدكتور: شوقي، شعره الإسلامي. ص١٨٦، ١٨٧.

٣- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه: ص١٤٤.

- انظر: محمد منور، بروفيسور: برهان إقبال، جهان إقبال، جهان قرآن. لاهور، باكستان، إقبال أكاديمية، ١٩٨٧م، ص١٥٣.

مـن حديث المصطفى نلت النصيبا؟ كـان ديـن الـحق في الدنيا غريباً" (١)

الإسـلام لا يتعلق بمقام أو منطقة وهذا الدين دين خاص ، وكل أرض من الدنيا وطنه، ويثبت النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة بالهجرة أن الوطن ليس بمحدود ومقيد لأن الدين لاحد له والمجتمع الإسلامي يختلف من المجتمعات الإنسانية الأخرى بخصوصياته السامية . ويبين إقبال خصوصية الإسلام هذه قائلا :

"مسلم استى دل باقليمے بلند گم مشواندر جهان چون وچند
مى نگنجد مسلم اندر مرزو بوم در دل او ياوه گردد شام و روم" (٢)

لا تحد الأرض قلب المسلم لا يرى في تيه "أنى وكم" (٣)
ليس للمسلم في الأرض عطن حائر في قلبه كل وطن" (٤)

وهاجر نبينا صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ليثبت هذه الحقيقة أن الأرض كلها لله والإنسان خليفة الله على الأرض والأرض كلهاله وله أن يتصرف فيها كيف يشاء.ويبين إقبال هذه النقطة قائلا:

"عقدهٔ قوميت مسلم كشود از وطن آقائے ما هجرت نمود
حكمتش يك ملت گيتى نورد بر اساس كلمهٔ تعمير كرد" (٥)

عقدة الأقوات حلّ المسلم هجر الدار الإمام الأعظم (٦)
أمة ملء الدُّنى قد أسسا جعل التوحيد فيها أسسا" (٧)

وبعض من الناس ما فهموا غاية الهجرة وقالوا ، ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم وطنه ومولد آباء ه إلا خوفاً من أعداء ه ولصيانة نفسه .

ولكن كل هذه الدلائل تخلو من الصدق ، ويبين إقبال بيان هذه الجماعة قائلا:

"پس چرا از مسكن آبا گريخت؟ تو گمان دارى كه از اعدا گريخت؟

١- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب ، ص٢١٢.

٢- كليات إقبال(فارسى) رموز بے خودى، ص٢٥٢.

٣- لايتيه في عالم العلل والمقادير.

٤- يقول إقبال في ديوان ضرب كليم .

"إنما الكافر حيرا ن له آفاق تيه
وأرى المؤمن كونا تاهت الآفاق فيه".

الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص٢٠٨.

٥- كليات إقبال (فارسى) ، رموز بے خودى، ص٢٥٤.

٦- يعني : أن المؤمن المجاهدة لاتعوقه ولا تحيره عقبات هذا العالم ، بل يسخرها كما يشاء .

٧- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: رموز نفى الذات ، ص٢٠٩.

قـصـه گـويـان حـق زما پوشيده اند　　　مـعـنـى هجرت غلط فهميده اند" (١)

فـلـمــا ذا أرض أهــليــه هــجــز؟　　　أتــــراه خشية الأعـــداء فـــرّ؟

حـجـب الـقـصــاص مـعنى القصة　　　غـلـطـوا في فهـم مـعنى الهجرة" (٢)

وبعدذكر هذا البيان يوضح إقبال معنى الهجرة وغاياته قائلا:

"هـجـرت آئيـن حيـات مسلم است　　　ايـن ز اسبـاب ثبـات مسـلم است

مـعـنــى او از تـنك آبـى رم اسـت　　　تـرك شبـنـم بهـر تسخيريم است" (٣)

هـجـــــرة شـــــرع حيـــاة المسلم　　　هـجــــــرة ســــرّ ثبات المسلم (٤)

إنهــــا التسيـــار نــحـــو الـــوســعة　　　ولأجـل اليـمِّ تـرك الـقـطـــــرة" (٥)

يعنى الهجرة هي المبادئ التي تقوم عليها حياة المسلم . ولا يتعلق بشرق ولا بغرب ، كما يقول إقبال : "الـمسـلـم الـربـانـى ليس بشرقي ولا غربى ، ليس وطنه دهلي ولا اصفهان ولا سمرقند، إنما وطنه العالم كله " .(٦)

وقـول إقبـال هـذا يعبر عن الشخصية العالمية الإنسانية التي لا يحدها جنس ولا وطن ، وإنما أرض الله كـلهـا وطـنـه، وهـذا مـا عبـر عنه أيضا على لسان طارق بن زياد(٧). عندما نزل على أرض الأنـدلـس ، لـمـا نـزل طـارق بـالجزيرة الخضراء ، أمر بالسفن بالإحراق، فأحرقت ، فجاء ه رجال من الجيش و استعجابوا على فعله وقالوا له: لقد قطعت بنا الحبال ،فكيف نرجع إلى بلادنا ، فوضع طارق يـده عـلـى السيف وقـال: أنـا لا أفكر في الرجو ع ، وسنبقى هنا ونتخذه وطنا، فإن كل ما كان لله من أرض وبلاد ، وطن لنا، لا فرق في ذلك بين العجم والعرب والشرق والغرب.

ويقول إقبال:

"طـارق چو بر كنارهٔ اندلس سفينه سوخت　　　گـفـتـنـد كار توبه نگاه خرد خطاست

دوريـم از سـوادِ وطن باز چون رسيم؟　　　ترك سبب زروے شريعت كجارو است

١- كليات إقبال(فارسى) رموزبے خودى ، ص٢٥٤.

٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: رموز نفى الذات، ص٢٠٩ .

٣- كليات إقبال(فارسى) رموز بے خودى ، ص٢٥٤ .

٤- فـي الـقـرآن الـكـريـم : ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ (سورة النساء ، الآية:٩٧) فالهجرة ترك المكان الذي يعسر فيه العمل إلى المكان الذي يتيسر فيه أداء الواجب.

٥- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفى الذات ، ص٢٠٩ .

٦- الندوي ، أبو الحسن على الحسني : روائع إقبال ، بدمشق : ١٩٦٠م ، ص٨٩.

٧- طارق بن زياد ، فاتح الأندلس سنة ٧١١ هـ ، وتوفى رحمة الله سنة ٧٢٠هـ .

خنلیدو دست خویش به شمشیر برد و گفت | هر ملک ملک ماست که ملک خدائے ماست (١)
طارق أحرق السفين فقالوا: | ليس هذا من فعله برشيد
غرباء ومن لنا برجوع | ذا خطارٌ في الشرع غير سديد
أمسك السيف طارق في ابتسام | قائلا واثقا بعزم شديد
ملكنا اليوم خالصا كل ملك | إنه ملك ربنا المصود" (٢)

ولدى إقبال بقاء روح المسلم مضمر في الهجرة كما يقول في قصيدة "قرطبة" "أن المسلم لا تعرف أرضه الحدود ولا يعرف أفقه الثغور ليست دجلة والنيل ودانوب إلا أمواجا صغيرة في بحره المتلاطم عصوره عجيبة وأخباره غريبة، نسخ العهد العتيق ، وغير مجرى التاريخ وهو في كل عصر ساقي أهل الذوق ، وفي كل ميدان فارس، ميدان الشوق شرابه رحيق ، وسيفه ماض في كل معركة".(٣)

وفي قصيدة أخرى يعد إقبال الكون كله وطن المسلم ، ويقول المسلم في ألفاظ إقبال:

"چین و عرب ہمارا ، ہندوستاں ہمارا
مسلم ہیں ہم وطن ہے سارا جہاں ہمارا" (٤)

الصين لنا والعرب لنا | والهند لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا دينا | وجميع الكون لنا وطنا" (٥)

ويظن إقبال أن حب الوطن من طينة الإنسان ويحب الأرض التي ولد وترعرع فيها ، وبلاده التي عاش في كنفها ، فحب الوطن للإنسان فطري ، وأما الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ليست قومية، ودين الإسلام يدعوا إلى الأخوة الإسلامية لا إلى الأوطان والبلاد ، يبين إقبال هذا المنطق ، يعبر من حبه الشامل للإنسانية جمعاء ، الذي يسعى لخيرها ويهديها إلى طريق الحق ، كما يعبر إقبال عن نفسه في الشعر التالية :

"عجمی خم ہے تو کیا مے تو حجازی ہے میری | نغمہ ہندی ہے تو کیا، لے تو حجازی ہے میری" (٦)

١- كليات إقبال (فارسی) پيام مشرق ، ص٢٣٦.
٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رسالة الشرق ، ص٢٩٨.
٣- الندوي ، أبوالحسن علي الحسني : روائع إقبال ، ص٨٩.
- وعبارات : ساقي ، أهل الذوق ، فارس ، ميدان الشوق: تعبيرات صوفية رمزية ، تشير إلى المعرفة والحب الإلهي .
٤- كليات إقبال (الأردية) بانك درا ، ص٢٨١.
٥- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ : صلصلة الجرس ، ص٩١ .
- وانظر: شعلان ، صاوي على، والاعظمى ، محمد حسن : الأعلام المخمسه للشعر الإسلامي، ص٥٥.
٦- كليات إقبال (الاردية)بانك درا ، ص٢٩٩.

أنـا أعـجـمـي الـدن لـكـن خمرتي   صـنـع الـحـجـاز كرمهـا الفينـان
إن كـان لـي نـغـم الهـنـود ولحنهم   لـكـن هـذا الـصوت مـن عدنـان (١)

ولـوسعـى الـكـفـر للتغلب على الحق وانتشرت ظلمته فلا بد للمسلم أن يترك موضع الظلمة والكفر و أن يعلن الحرب ضد الكفر ويسعى لإقامة الثورة . كما فعل رسولنا صلى الله عليه وسلم .

ويقول إقبال:

ہے ترک وطن سنت محبوب الٰہی   دے تو بھی نبوت کی صداقت کی گواہی (٢)
تـرك الـوطـن من سنة محبوب إلهي   فيـجـب عـليك أن تشهـد بـالنبوة

فيـنـصـح إقبـال الـمسلمين أن تربط علاقاتهم بالنبي صلى الله عليه و سلم وأن لا يفخروا على أنسابهم . بأن لا معنى القومية والوطنية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما يقول:

مٹا دیا میرے ساقی نے عالم من و تو   پلا کے مجھ کو مئے لا الہ الاھو" (٣)
سـاقـي مـاحـصـل الـذي أبـغيـه   الـذّات عـالـمـهـا متى نـاغيـه
الـقـلـب مـنشـغـل بـمـا عـاطيتـه   عـمّـن يـغـنيـه ومـن يسقيـه (٤)

ثم يقول:

"بازو تیرا توحید کی قوت سے قوی ہے   اسلام تیرا دیس ہے تو مصطفوی ہے" (٥)
يـدك الـقـوي بقـــوة الـتـوحيد   الإسـلام وطنك وأنت مصطفوي

وبـالجملة ، كل العالم للمسلمين لكى تعلوا كلمة الحق فيها ويصرف فيها على مشية الخالق سبحانه وتعالى. كما يقول:

"مـومـنـان را گـفـت آن سلطان دين   مسـجـد مـن اين همه روئے زمين" (٦)

١- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان، الشيخ: صلصلة الجرس، ص ١٠٠.

٢- كليات إقبال(الاردية) : بانك درا ، ص ٢٨٤.

٣- كليات إقبال (الاردية): بال جبريل، ص٥٥٢.

٤- الترجمة العربية : زهير ظاظا ، الأستاذ : جناح جبريل ، ص٤١٣.

٥- كليات إقبال(الاردية):بانك درا، ص٢٨٣.

٦- كليات إقبال (فارسى) پس چه بايد كرد اے اقوام شرق، ص٣٨.

قـال خير الـخـلـق تـاج المرسلين كـل أرض مسـجـد لـلـمـؤمـيـن" (١)

فـرأينـا خـلال دراسة شـعر إقبال وشوقي أن الهجرة كانت من سنة الأنبياء السابقين وأن دور الهـجـرة لها أهمية كبيرة في تقوية رسالة الإسلام وبناء أول دولة إسلامية في المدينةالمنورة . ونحس التشابه في فكر إقبال وشوقي حول هذا الموضوع.

١- الترجمة العربية: المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ : والأن .... ماذا نصنع . يا أمم الشرق، ص٣٥٩.

- وانظر : روزنامه امروز (الجريدة اليومية ، امروز) تحت عنوان : كلام إقبال وعشق رسول . ٢٠ نوفمبر ١٩٨٨م.

- وانظر: النجار : فهيم قطب الدين : محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي تأثره وتأثيره ، ص٩١-٩٢.

- وانـظـر: هـاشـمـي ، شـفـيـق الـرحـمـن ، بروفيسور : اقبال كا تصور دين (الأردية) (تصور الدين لإقبال) ، لاهور، باكستان: فيروز سنز المحدودة الذاتية، ص٦١،٦٢.

- وانـظـر: سيـد عبـدالله ، الـدكـتـور: مـطـالـعـه اقبـال كـے چند نئے رخ (الجهات الجديدة لمطالعه إقبال) ، لاهور باكستان، يونيو ١٩٨٤م ، ص ١٨٤- ١٩٤.

الفصل الخامس

غزوات وجهاد النبي صلّى الله عليه وسلّم

إن الجهــاد ذروة سنام الإسلام ، ولا شك أن الإسلام دين رحمة وسلام إلا أنه يفرض على أتباعه رفع السيف لاعلاء كلمة الله للقضاء على الفتنة وليكون الدين كله لله. قال الله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾(١) وقال الله تعالى كلمة في موضع آخر:
﴿ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ (٢)

وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم معانديه من الكفار والمشركين كما أنه جاهد اليهود والنصارى ليعم الإسلام العالم كله وينتفع به البشرية أجمعها. الأن نتأمل الأسباب التالية لنفهم روح الجهاد عميقا.

محاولات عدو الإسلام لإطفاء نور الله

إذا انتخب الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للنبوة فأمره أن يستمر دعوة الإسلام سرياً، فجعل داعياً إلى الله بالسر إلى ثلاثة سنواتٍ ، ثم أمره الله الأن جاء الوقت أن يعلن دعوته على رؤوس القريش وأن ينذر عشيرته الأقربين . فقال الله تعالى في القرآن الكريم :
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٣)

ومنذ ذلك الحين جهر بالرسالة الإلهية ، فناداه قريش وقال لهم:

"هل سمعتموني ذات يوم أقول كذبا ، فأجابوه بصوت واحد ، أنهم لم يعرفوا منه غير الصدق والأمانة ، قال فإني نذيرلكم بين يدي عذاب شديد، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين وأني لاأملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا : لا اله إلا الله واجتناب الفواحش كلها، والإيمان بوحدانية الله، وعندئذ استبد الغضب بهم جميعا ، ولكن أبا لهب كان أقساهم عليه وأشدهم وطأة ، لقد نهض ، فصاح تبّالك سائر هذا اليوم ، ألهذا جمعتنا . وأرتج على محمد صلى الله عليه وسلم ، فنظر إلى عمه ، ثم مالبث أن جاء الوحي بقوله تعالى:
﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَّتَبَّ ....مِنْ مَّسَدٍ﴾ (٤)

وشيئاً بعد شيئ أمست عداوة هذا الرجل للرسول صلى الله عليه وسلم ، كان من دأبه ودأب زوجته أن يعذباه بكل وسيلة ممكنة ، في أيام الحج ، حين يجتمع الناس في بلاد العرب ، كان الرسول يطّوف بينهم يدعوهم إلى الدخول في دين الله ، وكان أبو لهب يحرّض الناس أن لا يستمعواله ، لأنه مخالط في عقله ، وهكذا بذلت كل جهد مستطاع للقضاء على حياته من طريق المكر و الحيلة ،

١- سورة البقرة ، الآية:١٩٣ .

٢- سورة التوبة، الآية:٤٠ .

٣- سورة الحجر ، الآية: ٩٤.

٤- سورة لهب ، الآية:١-٥ .وانظر: منير البعلبكي : حياة محمد و رسالته. بيروت: ١٩٦٧م ،ص ٩٩.

ولما رأى رغم أن بذل كل جهوده لم يكن له أن يصرف محمد صلى الله عليه وسلم من دعوة الإسلام ، يجتمع كل قبائل القريش وذهبوا إلى أبي طالب عم الرسول وحاميه ، فخاطبوه على النحو التالي:

"يا أبا طالب . إن ابن أخيك قد سبّ الهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامنا ، فإنذار لأبي طالب بالحرب، وكان الموقف من غير ريب ، بالغ الدقة ، لقد وجد أبو طالب نفسه في مآزق حرج ، كان أمامه سبيلان ، إمكانية الحرب ضد أهليه وعشيرته من ناحية، وحبه العميق لابن أخيه من ناحية ، فلم يكن من اليسير عليه أن يقرر أي سبيل يختار، وفي هذه الحال من القلق والحزن استدعى محمدا صلى الله عليه وسلم و شرح له الموقف من نواحيه جميعاً ، وقال له "يا ابن اخي" ارحمني ولا تحملني مالا طاقة لنا به ، إنه لا قبل لي بمقاومة قريش كلها مجتمعه ، قال الرسول: "ياعم" والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، لن أترك ، حتى يظهره الله دينه أو اهلك فيه ".(١)

وكان شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم كلها من عند الله ، لأن كان إيمانه أن الله لن يتركه مفرداً أبداً . كما قال الله تعالى :

﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ (٢)

فكان أبولهب يتبعه مثل ظله ويحذر الناس من قبول رسالته ولكن كان الإسلام لإنتشار ، فنشر نور الإسلام من قبيلة إلى قبيلة . وبعد الفشل في كل جهودهم فالقريش فكر عن المؤامرة أن يقاطعوا كل صلات وروابط من بني هاشم ، ثم أنهم كتبوا صحيفة بهذا المعنى وعلّقوها في جوف الكعبة ، فلبث بني هاشم في شعب أبي طالب إلى خمسة سنين، وفي غضون ذلك نشأت بين القرشيين معارضة للبأساء التي فرضت على بني هاشم ، وكان أصحاب القلوب الرقيقة من القرشيين قد شعروا بقسوة المقاطعة وفدحها ، وهكذا أجمع خمسة منهم أمرهم (هشام بن عمر ، زهير بن أبي أميه، والمطعم بن عدي، وابو البحتري بن هشام وزمعة بن الأسود) وتعاهدوا على رفع الحرم وتمزيق الصحيفة اربأ اربأ ، وفي غضون ذلك تجلّت علامة من العلامات الإلهية وتفصيل الأمر أن الصحيفة المعلقة في جوف الكعبة اكلتها الأرضة إلا الحرف "الله "(٣)

وكان من أمر الله. وبعد جهود هذه النفوس الشريفة يقطع هذه المقاطعة ، ولكن عداوة القريش لم ينتهى ، ويستمروا مؤلمين المسلمين ، حتى يكرهوهم أن يهاجروا من مكة إلى المدينة ، ولكن قريش كانوا أصحاب سيئ النية. وسيئ القلوب ، لم تحمّلوا طمانينة المسلمين ورقيهم ، فبدأ

١- وانظر: منير البعلبكي : حياة محمد و رسالته ، ص١٠٠.

٢- سورة بني إسرائيل ، الآية :٧٤.

٣- منير البعلبكي : حياة محمد و رسالته ، ص١٠٢.

القريش مؤامرة ضد المسلمين ، وفي تلك الأحوال رفع المسلمون سيوفهم لدفاع عن الإسلام في حالة الاضطرار . وفي هذه النبذة التاريخية رفع نبينا صلى الله عليه وسلم السيف في يديه ، لالدفاع نفسه الذاتية بل لدفاع الأمة المسلمين ودين الله.

أهمية الجهاد في القرآن والحديث

الأن ننظر أهمية وضرورة الجهاد في الإسلام في ضوء الآيات التالية :

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ .... إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ .... وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)

﴿وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ .... إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣)

﴿وَلَا تَهِنُوا .... عَلِيماً حَكِيماً﴾ (٤)

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ.................... هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾(٥)

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا .... وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٦)

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ .... لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٧)

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ .... لَقَدِيرٌ﴾(٨)

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا.................... لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ (٩)

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَنْ .... هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(١٠)

١- سورة البقرة ، الآية: ١٩٠- ١٩٥.

٢- سورة البقرة ، الآية: ٢١٦- ٢١٨.

٣- سورة البقرة، الآية: ٢٤٤- ٢٤٥.

٤- سورة النساء ، الآية: ١٠٤.

٥- سورة البقرة ، الآية ١٥٤-١٥٧.

٦- سورة محمد ، الآية: ١-٧.

٧- سورة الحجرات، الآية: ٩-١٠.

٨- سورة الحج ، الآية: ٣٩.

٩- سورة محمد ، الآية: ٣٥.

١٠- سورة الممتحنة ، الآية:٧-٩.

- وانظر: موضوع "الجهاد" في الآيات التالية :

سورة البقرة ، الآية : ٢٦١- ٢٧٤، سورة النساء ، الآية : ٧١- ٧٦، ٧٧- ٧٨، ٨٨، ٩١، ٩٤، ٩٥ ، سورة المائدة ، الآية : ٥٤- ٥٦ ، سورة الانفال ،الآية: ٣٦- ٤٠ ، ٥٥- ٦١، ١٥- ١٦ ، ٤٥- ٤٦، ٦٤- ٦٦ ، ٧٢ . سورة التوبة ، الآية: ١- ٥، ٧- ١٦، ٢٣- ٢٤، ١١١، ١١٩- ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، سورة محمد ، الآية: ٣١، ٣٦- ٣٨. سورة الحديد ، الآية: ١٠- ١١، ١٨- ١٩، ٢١- ٢٧. سورة الممتحنة ، الآية: ١-٣، ٧-٩. سورة الصف ، الآية: ٢-٤، ١٠- ١٤. سورة ال عمران ، الآية: ١١٣، سورة الانفال،الآية: ١-٤، ٩-١٤، ١٧- ١٩، ٢٠- ٢٨، ٣٦- ٤٤، ٤٥- ٤٩ ، ٦٧- ٧٢.

نجد ذكر الجهاد في كتب الحديث كذلك :

عن أبي الزناد ، عن الأعرج عن أبي هريرة ، أن رسول الله قال : "مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الدائم ، الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع".(١)

وعن عبدالله بن عبدالرحمن بن معمر الأنصاري ، عن عطاء بن يسار ، أنه قال : قال رسول الله: "ألا أخبركم بخير الناس منزلاً ، رجل أخذ بعنان فرسه ، يجاهد في سبيل الله ، ألا أخبركم بخير الناس منزلا بعده ، رجل معتزل في غنيمته ، يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ، ويعبد الله ، لا يشرك به شيئاً". (٢)

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله ، عصم مني ماله ، ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ".

عن أبي هريرة قال ، لما توفي رسول الله ، واستخلف أبوبكر ، وقاتل من كفر من العرب،قال عمر: يا أبابكر ، كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال : لا اله إلا الله عصم مني نفسه ، وماله إلا بحقه وحسابه على الله".

قال أبوبكر : والله! لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله ! لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ، لأقاتلتهم على منعها ، فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عزوجل ، قد شرح صدر أبي بكر للقتال وعرفت أنه الحق".(٣)

عن أنس ، عن النبي "جاهدوا المشركين بأموالكم ، وأيديكم ، وألسنتكم "(٤).

عن أبي هـريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه يغزو ، مات على شعبة نفاق".(٥)

١- أخرجه البخاري في : ٦٥ ، كتاب الجهاد والسير، باب : فضل الجهاد والسير ، ومسلم في : ٣٣، كتاب الأمارة، ٢٩ . باب : فضل الشهادة في سبيل الله ، حديث رقم : ١١٠ .

٢- هذا حديث مرسل ، وقد وصله الترمذي ، وحسنه في : ٢٠، كتاب : فضائل الجهاد ، ١٨ ، باب : ماجاء أي الناس خير ، وكذلك : النسائي في : ٢٣ ، كتاب الزكاة ، ٧٤، باب : من يسأل بالله عزوجل ولايعطى به . وفي ، المؤطا امام مالك بن أنس ، كتاب الجهاد ، ٢١، باب: الترغيب في الجهاد : ١/ ٤٤٣- ٤٧٦.

٣- صحيح سنن النسائي ، كتاب الجهاد ، ١، باب: وجوب الجهاد، رقم الحديث: ٢٨٩٤، ٢٨٩٥، ٢٩٠٠. ٢/٦٤٦- ٦٤٩.

٤- صحيح سنن النسائي ٢٠، كتاب الجهاد : ٢، باب : التشديد في ترك الجهاد ، رقم الحديث : ٢٩٠١، ص٦٤٩.

٥- صحيح سنن النسائي ٢٥، كتاب الجهاد ، ٣، باب: الرخصة في التخليف عن السرية . رقم الحديث:٢٩٠٢. ص٦٤٩.

الجهاد في كلام شوقي و إقبال

ويؤمن شوقي أن غزوات النبي كلها كانت في سبيل الله وللدفاع عن الإسلام وانتشاره. وغزا صلى الله عليه وسلم كل الغزوات في ضوء آيات القرآن الحكيم .

كما قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ (١)

ويؤيد شوقي أن جميع الأديان انتشرت بقوة السيف إلا الإسلام. كما يقول شوقي:

"وأي دين بسوى السيف انتشر   كم أيدت بالسيف أديان البشر" (٢)

وأما الإسلام فلاعلاقة له بالسيف في نشره وأن السيف رفعه المسلمون لإقامة السلم ورفع الظلم.

فيقول:

"كل غزاةٍ للنبي حقه   لم يعد في حرب قريش حقه
ليس سواء كلها العوان   لا يستوي الدفاع والعدوان
هم بلغوا نهاية التمرد   وطردو الإسلام كل مطرد
فكانت الحرب لدفع الحيف   قد يؤخذ السلم بحد السيف" (٣)

ويذكر شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وثباته في الغزوات ، ويجعل شوقي هذه الشجاعة موضوعاً لمدح النبي صلى الله عليه وسلم .

فيقول:

"والليث دونك بأسا عند وثبته   إذا مشيت إلى شاكى السلاح كمى
محبة الله ألقاها ، وهيبته   على ابن آمنة في كل مصطدم
كأن وجهك تحت النقع بدرجى   يضئ ملتثما ، أو غير ملتثم
بدر تطلع في بدر فغرته   كغرة النصر ، تجلوداجى الظلم" (٤)

ويبين شوقي في هذه الأشعار شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيسميه اسد الله وهو علامة الجرأة والبسالة. وعندما يخرج صلى الله عليه وسلم إلى ميدان الجهاد ، فيغشى عليه نصرة الله ومحبة الله ويغشى على عدوه هيبته ورعبه ، وارتسم خوفه على وجوههم .

ويقول زكي مبارك عن هذا الشعر الأخير :

١- سورة التحريم، الآية: ٩.

٢- فهمي، ماهر حسن، الدكتور : شوقي شعره الإسلامي . دار المعارف بمصر ، القاهرة، ص١٥١.

٣- نفس المرجع ، ص١٥٣.

٤- الشوقيات: ١/ ٢٠٠.

"وهذا شعر جميل لكنه أزق من أن يوصف به ذوو البأس وهم يقارعون الهول في ميدان الجلاد".(١)

ويرى شوقي أن الجهاد بالسيف لا بد منه في الأحوال التي لا مفر منها ولا يجد فيه الإنسان حيلة أخرى ، لأن إصلاح الفساد الذهني في الأفراد والشعوب التي لا تؤمن بالقرآن ولا بالذي أنزل عليه ، لا يمكن إلا بالجهاد في سبيل الله وليست الأدلة العلمية كافية لانتشار الإسلام ، لأن جذورالشر لا تقلع إلا بالبأس الشديد والقوة المرهبة .

ويكتب الشيخ مقتدي حسن أعظمي في مقاله:

"وقد أجاب شوقي في قصيدته عن أقوال المعارضين للإسلام ، ومنها أن الإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم قد استخدم السيف لإنتشار دعوته ، مهما أن الأنبياء لم يبعثوا لحقن الدماء لأنهم بعثوا رحمة للعالمين ، وقد ردّ شوقي على هذا الاتهام ردّا عنيفا قائلا بأنه يجب على المعارضين أن يلفتوا نظرهم إلى المسيحية التي حقن الدماء في كل عصر من عصورهم السالفة ".(٢)

يبين شوقي أهمية الجهاد ووجوبه في هذه الأشعار .

ويقول شوقي:

"قالوا: غزوت، ورسل الله مابعثوا　　لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفك دم

جهل ، وتضليل أحلام وسفسطة　　فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم

لما أتى لك عفواً كل ذي حسب　　تكفل السيف بالجهال والعصم

والشرُّ إن تلقه بالخير ضقت به　　ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

سل المسيحية الغرّا ، كم شربت　　بالصّاب من شهوات الظالم الغلم

لو لا حماة لها هبّوا لنصرتها　　بالسيف ، ما انتفعت بالرفق والرُّحم" (٣)

و قارن شوقي بين الإسلام والمسيحية ، فرأها لم تنشر إلا عن طريق السيف والقوة .

ويقول الدكتور شوقي ضيف :

"وهذا المقطع الخاص بالدفاع عن غزو الرسول مما يردده المبشرون وبعض المستشرقين عن الإسلام ، وأنه انتشر بالسيف والدم ".(٤)

فنجد في البيت الأول ، يعرض الموضوع كما يصوره بعض أهل الديانات الأخرى تعصبا أو

١- زكي مبارك ، الدكتور : الموازنة بين الشعراء ، ص٢٣٣ .

٢- أعظمی ، مقتدی حسن : شوقي كی دینی شاعری (الشعر الديني لشوقي) ، ص٤٦٠ .

٣- الشوقيات: ٢٠١/١ .

٤- شوقي ضيف ، الدكتور : شوقي شاعر العصر الحديث ، ص١٣٧ .

جهلا. إذ يذكرون أن القتال همجية وتعذيب وإبطال للحياة . ونشر للخراب والدمار، وما لهذا يرسل المرسلون ولكن لا بالقوة والسيف بل بالأخلاق الحميدة انتشر الإسلام ومن اسباب كانتا إشاعته المودة والرحمة . والأبيات الثلاثة من بعده تكر على هذه القضية بالنقض والتفنيد ، فيذكر أن الرسول صلوات الله عليه لم يلجأ إلى السيف في بدء دعوته ، ولقد بدأ جهاده بشرح الرسالة ، والترغيب فيها ، والاحتجاج لها، فاتبعته جمهرة أهل الرأى السديد والحسب الشريف عن طواعية نفسهم ، وأمرأهل الحقد و الضلالة والعناد على مناهضة دعوته ، والكيد له ، والافتنان في إيذائه وإيذا أصحابه . ولكن لما اشتد الكفار على المسلمين وحاولوا بضرب الإسلام فاضطر إلى الحرب ضدهم وأصبح استخدام السيف لقلع الشر ضروريا ولمصلحة عامة الناس وأمن المجتمع الإنساني.

أما بقيه الأبيات فتسوق الشواهد من التاريخ على أن القتال ضروري لا مفر عنها في نشر الدعوات وحمايتها، وفي إقامة الملك وتثبيت دعائم السلطان ، ولم يتح لها الظهور والأمن إلا في كنف السلطان ، ولاقدر لها الذيوع إلا في أثر الفتوح وتحت ظلال السيوف ، وكانت الأمم ولا تزال تعول على القتال في إحقاق الحقوق وإبطال المظالم وتأسيس الدول ، وإقرار النظام.

ويقول الدكتور زكي مبارك في هذا الصدد:

"أما شوقي فقد أبان عن حكمة الجهاد ، وأفصح عنها إفصاحاً وقد رأى لتأييد حجته أن يضرب المثل بالمسحية فقد كانت دين سلام ورخاء ، ولكنها لم تقم إلا بالسيف ".(١)

وقد رسم أحمد شوقي جند النبي صلى الله عليه وسلم في ميدان الحرب في صورة وأفرادها أقوى من الأسد وهم يلمعون كالبرق الخاطف على رؤوس أعدائهم وعلى الكفر والضلال إذ كانوا سيوفاً من سيوف الله الذي لا يتسطيع أحد أن ينكسر.

ونلاحظ أن شوقي في قوله:

"علمتهم كل شئي يجهلون به — حتى القتال ومافيه من الذمم
دعوتهم لجهاد فيه سئوددهم — والحرب أسّس نظام الكون والأمم" (٢)

فالإسلام يحث في القتال على الإحسان والوفاء بالعهود ، وينهى عن البغي والكذب ونقض العهد ، وعن قتل الأطفال والنساء والمنقطعين للعبادة والتبتل ، وعن قتل الماشية ، واتلاف الاشجار والزروع ، فالمختصر دين الإسلام دين الرحمة والعاطفة . فالرسول صلى الله عليه وسلم كان كالقمر والصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كالنجوم التي تلآلاء في السماء وتضئي في ظلمات الليل وتهدي إلى خير السبل فضّحوا أنفسهم في سبيل الإسلام ونشر الدين الحنيف والدعوة الإسلامية في

١- زكي ،مبارك ، الدكتور : الموازنة بين الشعراء ، ص٢٣٣، ٢٣٤.

٢- الشوقيات ، ٢٠٢/١.

أقطار العالم كلها ، فقال الله سبحانه وتعالى عنهم في القرآن الحكيم :

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (١)

وأعمال المجاهدين جليلة في ميدان الحرب، وقد أهدى الشعراء المادحون عواطف الشكر والامتنان إلى أهل النبي الأطهار والصحابة كرام على خدماتهم العظيمة في هذا السبيل .

فصور شوقي جميع أعمالهم الحربية بتصوير حسن وألفاظ مبتكرة.

أما إقبال فتناول هذا الموضوع في معنى أوسع ، ويؤمن أن حياة المسلم كله عبارة من الجهاد، وهذا الوصف الخاص للإسلام ويقرر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بغزواته أن الجهاد يلزم لبقاء الإنسانية ولبقاء الخير وإن لم يكن المسلمون يتصفون بصفة الجهاد فلا يبقى لهم أي دور في العالم ديناً وسياسة.

فننظر أن حياة محمد صلى الله عليه وسلم كانت مملوء ة من وصف الشجاعة والجرأة من ولادته إلى وفاته . وتحمل كل المصائب والنوائب والآلام بأيدى الكفار ، ولكن لبث بالهدوء أبداً ، ولما علم أن الكفار مازالوا يؤذونه وأصحابه فيضع السيف في يده لرفع ظلمهم ولإعلا كلمة الله . فنزل في ميدان الحرب كالأسد ويغلب على كل العناصر الفاسدة ، لا ريب كان محمد صلى الله عليه وسلم شابا باسلاً ، ولا يخاف أحداً إلا الله ، وكان يؤمن بأن الله ينصره في كل مجال . كما قال الله تعالى في القرآن الحكيم .

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (٢)

وغزا صلى الله عليه وسلم الغزوات كلها بالمتانة والوقار وبهدوء القلب وبالايمان بالله ، ونجد الامثلة من التاريخ، عندما وجلت نفوس المسلمين في الحرب الشديد ، ففي ذلك الوقت ثبت النبي صلى الله عليه وسلم أمام الكفار وشجع أصحابه في حالة حرجة وخطرة . وقام بنفسه في الصف الأول ورفع الهتاف بالتهليل بكل الإيمان واليقين . وعندما سمع المسلمون هذا الهتاف التفوا حوله وهجموا على الأعداء بكل شجاعة وبسالة. أما سيف النبي صلى الله عليه وسلم فنراه كالبرق اللامع ضد الكافرين .

ويبين إقبال أوصاف سيف النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في ميدان الحرب كان سيفه كالحديد الصارم ، ولكن مع ذلك الشجاعة والبسل ، عندما يؤدى صلاته ، انهمرت الدموع من عيونه، وفي أيام الحرب دعا الله بالخشوع والخضوع وبهدوء القلب ، ويرطّب شفتيه بذكر الله بكرة وأصيلا.

ولدى إقبال كان سيفه صلى الله عليه وسلم في ايام الحرب لا نهزام الكفار وكانت الدموع

١- سورة البينة ، الآية:٨.

٢- سورة الأنفال، الآية: ١٧ .

تسيل منه صلى الله عليه وسلم وقت الصلاة التي كانت لشفاء امته . كما يقول إقبال:

"وقت هيجا تيغ او آهن گداز | ديدهٔ او اشكبار اندر نماز
در دعائے نصرت آمين تيغ او | قاطع نسل سلاطين تيغ او" (١)

وفي وقت اليأس والجدل كان سيفه كالحديد و اثناء صلاة سالت عيونه بالدموع ، فدعا للفتح والنصرة وسيفه كآمين الذي قطع نسل السلاطين والامراء .

ثم يبين إقبال أن المؤمن يعرف أهمية الجهاد ويعلم أن كل إقدامه للحق ، ولما يخرج من البيت إلى ساحة الجهاد ، فهو متقين أن الفلاح والفوزله على كل حال ، وأنه إن عاد حيا من ميدان الحرب، سيتمتع لرؤية عظمة الإنسان ، ولو نال مقام الشهادة في ميدان الحرب ، فيعلم أن الله يشترى نفس المؤمن بعوض الجنة، كما قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم :

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(٢)

فيفرح المسلم بكلتا الحالتين ولا يبالي بنفسه قط في سبيل الله : كما يقول إقبال :

جنگ شاهان جهان غارت گرى است | جنگ مومن سنت پيغمبرى است
جنگ مومن چيست؟هجرت سوئے دوست | ترك عالم، اختيار كوئے دوست
آنكه حرف شوق با اقوام گفت | جنگ را رهبانى اسلام گفت
كس نداند جز شهيد اين نكته را | كه بخون خود خريد اين نكته را" (٣)
الملوك حاربوا من أجل سلب | كالنبي مؤمن في خوض حرب (٤)
وبها يمضي إلى دار الحبيب | يهجر الدنيا لوصل من قريب
قال للقوم النبي ذوالمحامد | راهب الإسلام من كان المجاهد (٥)
الشهيد وحده هذا دراه | بدم أجراه في الحرب اشتراه" (٦)

ويبين إقبال هذه النقطة في موضع آخر كذلك :

تيغ بهر عزت دين است وبس | مقصد او حفظ آئين است وبس" (٧)
ويستخدم المسلم سيفه لعزة الدين فقط | وغايته حفظ دستور المسلم فقط

١- زيب النساء سرويا: مقاله ، كلام إقبال ميں انبياء كرام كا تذكره، حضرت محمد إقبال كى نظر ميں (الأردية) تذكرة الأنبياء في كلام إقبال ، سيدنا محمد في عيون إقبال ، ص ٣١٦.

٢- سورة التوبة ، الآية :١١١.

٣- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص٣٤٨.

٤- أي أن المؤمن يشبه النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقتدي به في الجهاد .

٥- الإشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلم : "الجهاد رهبانية الإسلام" .

٦- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص٣١٣.

٧- كليات إقبال (فارسى) رموز بے خودى، ص٢٤٨.

ولدى إقبال ، السيف والقرآن هما أساسان لازمان لحياة المسلم في الدنيا والآخرة ، وينال العزة والسمو بهما في الدنيا وبهما ينال الكرامة في القبر ورضوان الله في الآخرة.

كما يقول إقبال:

"مومنان را تيغ با قرآن بس است ... تربت ما را همين سامان بس است" (١)

الكتاب والحسام حسبنا ... بهما يزدان حقاً قبرنا" (٢)

ثم يذكرنا "إقبال" بأسلافنا الذين عرفوا قيمة الجهاد و جاهدوا في سبيل الله لنشر دين الإسلام، ففتحوا الممالك وحكموا الدول، بعد أن وطئت خيولهم القلاع والحصون ، وما اشتروا هذا المجد إلا بدمائهم ، فهو يذكرنا بهذه الحقيقة .

تھے ہمیں ایک تیرے معرکہ آراؤں میں ... خشکیوں میں کبھی لڑتے، کبھی دریاؤں میں

دیں اذانیں کبھی یورپ کے کلیساؤں میں ... کبھی افریقہ کے تپتے ہوئے صحراؤں میں

شان آنکھوں میں نہ جچتی تھی جہاں داروں کی ... کلمہ پڑھتے تھے ہم چھاؤں میں تلواروں کی" (٣)

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسمـ ... ـك فوق هامات النجوم منارا

كنّا جبالا في الجبال أذاننا ... قبل الكتائب يفتح الأمصارا

لم تنس إفريقية ولا صحراؤها ... سجداتنا والأرض تقذفُ نارا

وكأن ظل السيف ظلُّ حديقة ... خضراء تنبت حولنا الأزهارا" (٤)

ولدى إقبال يولد المسلم فقط لكي يقطع جذور الشر والفساد من الدنيا ويقيم الدولة العادلة، فلهذا الأمر "الجهاد والعمل" لازم، وإقبال يشبه "المسلم" بالصقر ، وهو يطير إلى علو السماء ، فيلزم على الشاب المسلم أن يزين نفسه بهذه الخصوصية ، فلو اختار العزلة من السماء فهو مجرد عن صفات الصقر، فكذلك لو طرأ على المسلم كيفية الجمود واليأس ، ولم يبذل جهوده لا علاء كلمة الله، فمعناه أنه لم يتصف بصفات المسلم ، والمسلم الصادق يحب الجهاد(٥) وانتشار الإسلام ولايبالى بحياته في ميدان الحرب .

ويصف "إقبال" المؤمن المجاهد القوي الذي كان ينطلق كالسهم النافذ إلى قلب العدو، بعد أن يكبر تكبيره في ميدان الجهاد، فيقول:

١- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص ٢٩٠ .

٢- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٨٦ .

٣- كليات إقبال(الاردية) بانك درا ، ص ٢٩١ .

٤- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ : صلصلة الجرس، ص ٩٤ .

٥- هاشمي ، شفيق الرحمن بروفيسور : إقبال كا تصور دين (الأردية) (تصور الدين عند إقبال). لاهور، باكستان: ص٣٧٧- ٣٧٩ .

"ذلك المؤمن المجاهد يغشى غمره الحرب، والردى يخشاه

تحت ظل السيوف ماضي قوي درعــــه لا إلـــــه إلا الله " (١)

فتيقن إقبال أن الجهاد لا بد لحياة المسلم ورقى لإسلام ،و بدون الجهاد لا يمكن أن يعيش المسلمون على الأرض حياة العزة والمجد.

فهكذا يبين إقبال تصويرا واضحاً لغزوات النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في ميدان الحرب، وأشعاره كالمرأة التي تُرى تصوير جهاد مسلمى القرون الأولى بكل وضوح .

ويقول شوقي : قد دعا الإسلام إلى السلم والأمن ، فلم يستجب خصومه .

ولا عجب في أن يكون الإسلام دين الأمن والسلم ، وهو يسمي دار السلام(٢) ويجعل التحية فيها سلاما(٣).

كما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾(٤).

ودين الإسلام دين الرحمة ودين السلام.وعندما يلتقى المسلمون بعضهم بعضا يقولون "السلام عليكم" وهو تحية المسلمين كما يرسل في صلاتهم تحية والسلام على المسلمين كلهم .

وعند شوقي كما ذكرنا من قبل ، أن المسلمين لم يحاربوا الخصوم إلا دفاعا عن النفس والعقيدة . ولكن بعضاً من المعترضين وخصومي الإسلام يتهمون الإسلام بدين الحرب وأنه يجبر الناس على اعتناقه بالسيف ويسد طرائقهم الحرية لاختيار دينهم ولكن كل ذلك اتهام يخلوا عن الحقيقة ، فلا تثريب على الإسلام في أن يضطرهم إلى ما فيه خيرهم ورشادهم، فهو دين كالمربى المخلص الحازم ، ومن خصائصه ، هو يفتح القلوب بأخلاقه وحسن سلوكه ، وهذا السبب الخاص لانتشاره بالسرعة .

ثم يتجه شوقي إلى التاريخ ويستمد منه البرهان على أن الشر من شأنه أن يتعاصى ويتمرد على الخير . فيقول:

إن المسيحية تعرف مقدار ما عانت من تشريد وتقتيل وتحريق ، ويستمر هذه السلسلة إلى أن تنصر قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧م) ولم تستقر ولم تنتشر إلا بقوه ملوكها، فكم من ملك أو أمير أذاع

١- الترجمة العربية: شعلان ، صاوي على ، والاعظمى محمد حسن : اقبال كا فلسفه حيات وموت (بالعربية والأردية) (فلسفة إقبال في الحياة والموت) ،كراتشي، باكستان: ١٩٦٩م، ص٣٤.

٢- سورة الأنعام ، الآية:١٢٧.

٣- سورة الأحزاب ، الآية: ٤٤.

٤- سورة الفرقان ، الآية:٦٣.

المسيحية أو نشر الكاثوليكية بسيفه مثل شارلمان وملوك فرنسا وقياصرة بيزنطة وروسيا وملوك المجر وغيرهم ، لهذا يعلم أتباع المسيحية أنفسهم أنهم طالما شربوا كئوس الظلم دهاقا من أيدي حكام طغاة ، فلما هب لحمايتها وحمايتهم ملوك أقوياء نكلوا بالوثنية وطاردوا أتباعها أمنت المسيحية، ولولا هذه الحماية القومية مانفع المسيحية اعتمادها على الرحمة والرفق والاستسلام".(١)

وختم دفاعه ببرهان آخر من حياة السيد المسيح نفسه ، فقال إن أعداء ه قبضوا إليه ، لأنهم أقوياء وهو ضعيف ، لكن الله نجاه من أيديهم .

كما يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم :

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ، مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ، بَلْ رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾(٢)

ثم يعود شوقي في القصيدة إلى الحرب ، فيقول إن النبي صلى الله عليه وسلم عرف قوانين الحروب وما تقتضيه من ذمم ويجاهدون في حماية دينهم و وطنهم ، على أن أراء شوقي في الحروب الإسلامية الأولى لا تخرج عن أنها حروب للدفاع عن العقيدة والحق ، فهي جهاد عظيم. كقوله في مخاطبة الرسول :

"كم من غزاة للرسول كريمة … فيها رضا للحق أو إعلاء
كانت لجندالله فيها شدة … في إثرها للعالمين رخاء
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها … فعلى الجهالة والضلال عفاء
وعموا على الحرب السلام وطالما … حقنت دماء في الزمان دماء" (٣)

وفي رأى شوقي أن الحرب كانت علاجا لتطهير النفوس من أرجاس الوثنية ، وهذا داء عضال لا تشفى منه إلا الحرب التي تقضى على بعض الناس لإحياء بعض حياة تليق بالإنسان ، كما يبتر الطبيب عضوا سرطانيا ، فكذلك الجهاد لا بد لشفاء الإنسانية .

ويقول شوقي:

فرأى الله أن تطهر بالسيـ … ف وان تغسل الخطايا الدماء
وكذلك النفوس وهي مراض … بعض أعضائها لبعض فداء
لم يعاد الله العبيد ولكن … شقيت بالغباوة الأغبياء

١- أحمد الحوفي ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص١٨٧ .

٢- سورة النساء ، الآية:١٥٧ .

٣- الشوقيات : ١/٤٠ .

وإذا جلّت الذنوب وهالت   فمن العدل أن يهول الجزاء" (١)

ولا شك أن شوقي يدافع عن الإسلام بشعره وأفكار متلاحقة وبراهين مقنعة. وشوقي يرى الحرب ضرورة أحيانا لا مفر عنه، ويستدل من التاريخ على صدق رأيه ويعرض تصوير غيرة المسلمين لدينهم.

ثم يقول شوقي غضب رسول الله لله وحبه لله. كما يقول:

"وإذا غضبت فإنما هي غضبة   في الحق لاضغن ولا بغضاء

الحرب في حق لديك شريعة   ومن السموم الناقعات دواء" (٢)

وفي رأي شوقي هدف الحرب في الإسلام هو تقويه السلم ودعائمه لبقاء الإنسانية. ووسيلة لحقن الدماء، ولانقطاع جذور الشر والفتنة والفساد.

ويؤمن إقبال أن حياة محمد صلى الله عليه وسلم كلها عبارة عن جهاد وهو الذي حرر الإنسان من عبادة الأصنام الباطلة، وأخبرنا أن الإنسان سيد هذه الأرض، وكل الكائنات وموجوداتها مسخرة للإنسان، فيدرسنا أن نعبدا لهاً واحداً، وهو الذي خلق السموات والأرض، فلا يجوز لإنسان أن يكون عبداً للكاهن وعابداً للصنم المنحوت ولا يحق له ان يسجد لرام(٣) وكرشن(٤) وسيتا(٥) وقطعان القردة(٦) والحياة والأبقار ونهر كنكا وجمنا والشمس والقمر والنجوم. فحين قال النبي صلى الله عليه وسلم "لَا إِلَهَ إِلّا اللّه" حطم جميع الألهة الباطلة، ولكن ما أمكن هذا إلا بالجهاد، فلهذه وقعت بدر وحنين وفتح مكة وفتح خيبر وتطهير الجزيرة وتحريرها.

١- أحمد الحوفي، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي، ص ١٩٠.

٢- الشوقيات، ١/٣٨.

٣- رام: هو معبود لمذهب الهندوكية، وكان رجلا متقيا، ولد في بيت "دشرتهـ" (ملك ايودها) وكانت أمّه كوشليا، وهو كان ابنا اكبر لأبيه، فاختاره أبوه للسياده المملكة ولكن كانت زوج أبيه "كيكشي" كانت أرادت المملكية لأبنها بهرت، فلهذا أجبرت زوجه لأبعاد رام عن وطنه، فأنفاه مع زوجته "سيتا" وأخيه "لكشمن". وخلال منفاه حارب حربا ضد راون (صورة الظلم والاستبداد) هو الذي اختطف زوج رام "سيتا" فقتله وهكذا استخلصه الناس من ظلمه، وقصة حياته موجودة في كتاب المقدس "رامائن".

٤- كرشن: هو معبود لمذهب الهندوكية أيضاً، ولد في دواربتا، وكانت امه "ديوكى"، ولكن أخها كان عدوها وكان يقتل أولادها عند وقت ولادتهم. لأن كان يعرف أن يقتل بيد ابن أختها، ولكن حفظت أمه ابنها كرشنا، وأبعده عنها لحياته. وربى كرشنا في بيت يشودا، ولما صار شابا قويا قتل أخ أمه، وقصة حياته موجودة في كتابه المقدس "مهابهارت".

٥- سيتا: هي زوجة وفية لرام. ونجد قصتها في كتاب "رامائن".

٦- هنومان: وهو معبود هندوكي أيضاً، وساعده رام في حربه ضد راون، ونجد ذكره أيضا في رامائن.

يعنى الحياة وسرورها كامنة في الجهاد . ويقول إقبال:

"ہر مسلماں رگِ باطل کے لئے نشتر تھا — اس کے آئینۂ ہستی میں عمل جوہر تھا
جو بھروسا تھا اُسے قوت بازو پر تھا — ہے تمہیں موت کا ڈر اس کو خدا کا ڈر تھا
باپ کا علم نہ بیٹے کو اگر ازبر ہو — پھر پسر قابلِ میراث پدر کیونکر ہو" (١)

"جهاد المؤمنين لهم حياة — ألا إن الحياة هي الجهاد
عقائدهم سواعد ناطقات — وبالأعمال يثبت الاعتقاد
وخوف الموت للأحياء قبر — وخوف الله للأحرار زاد
أرى ميراثهم أضحى لديكم — مضاعا حيث قد ضاع الرشاد
وليس لوارث في الخير حظ — إذا لم يحفظ الإرث اتحاد" (٢)

وبالروح الجهادي كان المهاجرون والأنصار قادة في السياسة ورواة للحكمة وحفظة للقرآن ومحررين للبشرية .

ويبين إقبال تلك الأوصاف كذلك :

"إذا كانت الأقدار سراً محجبا — فإن جهاد الحر يجلولنا القدر
جهاد الفتى يعلو به فوق قدره — وفوق الأماني والمواهب والفكر
بنور جهاد الحي سار محمد — بجيش على راياته الفوز إكليل
يكبر جندالله حول ركابه — فيهتف بالبشرى و بالنصر "جبريل"
أرى فرصة الأعمال ومضة بارق — يضئ ثناها لمحة ويزول
إلى الفوز جاهدما استطعت ولا تتم — ففي القبر نوم بعد ذاك طويل
إذا العزم نادى فارم سهمك ساعدا — على قبة الأفلاك وامض عظيما" (٣)

وكانت تلك هي التربية ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تولت تربية الأجيال بعد الأجيال وهي التي شهرت سيف صلاح الدين (٤) ، فقاوم أوربا وحيدا وهي تلك المحبة التي أوقدت

١- كليات إقبال (الاردية) بانكِ درا ، ص٣٥٦ .

٢- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ : صلصلة الجرس ، ص ١٠٦ .

٣- امجد حسين ، سيد أحمد ، الدكتور ، و ، ابراهيم محمد ابراهيم ، الدكتور : شاعر الشرق محمد إقبال . القاهرة، مصر: ١٩٩٧م ، ص١٠٧ .

- وانظر : شعلان، صاوي على ، الشيخ: ايوان اقبال : مختارات من شعره ، مطابع سجل العرب ، ١٩٧٧م ، ص١٢٤ ، ١٢٤ .

٤- خليل ، الأشرف صلاح الدين ، هو كان من سلطان المملوك، ولد في تنكرت في سنة ١١٣٨م . وقتل على يد اميره سنة ١١٩٣م.

نـارا الـعشق في قلب أبي يزيد البسطامي فاجتذب إلى الإيمان والتوحيد في قلوب المئات من الكفار، تـلك هـي محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، التي فاضت في قلوب الأولياء عشقاً كان من علامه جـلال الـديـن الـرومـي، (١) والغزالي (٢) وأضاء ت للعقول تفكيرا كان من أبطاله أمثال الرازي(٣) وابن رشد (٤) وغيره .

وكـان دعـــــوة إقبال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، دعوة إلى الحياة والقوة والأمل والـعـمـل، وتـرك اليـأس والـمـخـاوف والـخـضـوع، فدعا إقبال شباب المسلمين إلى ايقاظ القلب والشـعـور، وأعـلاء هممهم، فهلا تدبر الشباب هذه الدعوة واستجابوا لها، فاختاروا المعالى، وعرفوا شـرف الـوجـود، فـحصلوا على أفضل الموجود، ولم يقفوا في السبق إلى الغايات عند حد محدود، أنهم إن يفعلوا هدوا إلى الخير وهدوا إلى صراط مستقيم .(٥)

فأثار إقبال شباب المسلمين باشعاره قائلا:

لا تسـلـنـي الأن عـن ثـورتـه	أنهـا ميـدان بـدر وحـنـيـن
فـي أبـي بـكـر وفي صـاحـبـه	في عـلـى ثـم في صبر الحسين
سيف أيـوب وتـقـوى بـايـزيـد	فيهـمـا مـفتـاح كـنـزا العـالمين
هـا هـنـا الـحـكـمة والدين القويم	وهـنـاك الـحـكـم لـلـدنيـا يقام
لا تـقـل أيـن ابتـكـار الـمسـلمـين	وسـل الـحمراء واشهد حسن تاج
أشـعـل الإيـمـان نـاراً بـالـعـراء	أوقـد الـنـور يـكف من تـراب
راكـب الـنـاقة في صـحـرائـه	سـار فيهـا راكبـا خيـل الـقـدر
كبـرو الله فـي ظـل الـحـروب	وصـفـوفـاً تـحـت ظل المسجد" (٦)

١- جلال الدين الرومي، هو شيخ إقبال، وقد سبق ذكره من قبل هذا .

٢- غزالى، هو أبو حميد محمد بن محمد الطوسي، ولد في سنة ١٠٥٨م في إيران وتوفى ١٨ دسمبر سنة ١١١١م، وكتب كتابه المعروف احياء علوم الدين في أربعين مجلدة .

٣- هـو ابـو عبـدالله مـحـمـد بن عمر بن الحسين فخر الدين الرازي، هو العالم المسلم، ألف نحو مائة كتب ولكن تأليفه "مفاتيح الغيب" اكتسب شهرة كاملة، ولد في سنة ١١٤٩م في ايران وتوفى سنة ١٢٠٩م في الخوارزم.

٤- هـو أبـو الـوليـد محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد، وكان فلسفي، ولد في سنة١١٢٦م في كاردابا (الاندلس) وتوفى سنة ١١٩٨م .

٥- انظر:محمد موسى كامل : إقبال، من اولئك الاحاد الذين وهبو نفسه لنفع الإنسانية، ص٦١.

٦- شعلان، صاوي علي، الشيخ : ايوان إقبال : مختارات من شعره، ص٥.

ويرى إقبال أن الحياة جهاد دائم .ويقول إقبال لإنسان اليوم:

"ولك الوقت والتصريف فيه ليس ياغرّا! للنجوم غناء
أين منك الأفلاك ؟ إنك حر وهي قهر ذهابا والاياب" (١)

وعندما علم المؤمن هذه الحقيقة نال الحرية الكاملة من العبودية، وعرف أن الإنسان العبد لا عـزة له ولا مقام له في المجتمع إلا الضلالة والعجز. وفي رأى إقبال الفرق بين المؤمن والكافر هو أن المؤمن يسخر هذا العالم ويقتحم عقباته إلى مقاصده العليا ، وتضل فيه الآفاق ، أما الكافر فيضل في الآفاق.

يقول إقبال في ديوانه "ضرب كليم".

"کافر کی یہ پہچان کہ آفاق میں گم ہے مومن کی یہ پہچان کہ گم اس میں ہے آفاق" (٢)

إنما الكافر حيران له الآفاق تيه
وأرى المؤمن كونا تاهت الآفاق فيه" (٣)

أن المؤمن يكون دائما متحمساً ومستيقظاً مجداً للعمل في كل الوقت ، والكافر أو العبد عاجز لا يبتكر ولا يجدّد .

ويقول في أسرار خودي:

"عبد را تحصيل حاصل فطرت است واردات جان او بے ندرت است
از گران خيزى مقام او همان نالہ هائے صبح وشام اوهمان
دميدم نو آفرينى كار حُر نغمه پيهم تازه ريزد تار حُر" (٤)

فطرة العبد حصول الحاصل ليس في تفكيره من طائل
في مقام من همود راكد نوحه ليلاً وصبحاً واحد
ومن الحرِّ جديد الخلقة كل حين ، وحديث النغمة" (٥)

ويبين "إقبال" بعد ذلك أن الحالة قد تغيرت، وافكار الأقوام قد تبدلت ، واستحكم الجبن في قلوب كثير من المسلمين ، وتركوا العمل والسعي وتخلفوا عن ركب التمدن . ولم يعد لهم دراية بالجوهر الإنساني أو قوة الذات بل يئسوا من الرقي والتمدن ومن هنا كانت دعوته إلى العمل والأخذ

١- عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: إقبال ، فلسفة إقبال ، فلسفة إسلامية أساسها القرآن، ص٥١.
٢- كليات إقبال (الاردية) ضرب كليم : ص٨٨٧.
٣- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : ضرب كليم ، ص٤٢.
٤- كليات إقبال (فارسى) اسرار خودي، ص١٧٢ .
٥- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص١٧٥.
- وانظر : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ، ص١٦٦، ١٧٦.

من الرقي ومقتضيات العصر ما يناسب.

ويصور إقبال تصوير "المسلم الحاضر" في شعره قائلا:

"لم يبق في يد مسلم درع ولا ... سيف يصول به ليوم جهاد
ولو أنه وجد السيوف فهل له ... ذوق الخلود وحب الاستشهاد" (١)

وإقبال يدعو المسلم إلى الجهاد بل إن من أهم معالم رسالته الدعوة إلى الاعتماد على النفس، فإن أكبر داء الشرق عامة والمسلمين خاصة فقدان عزة النفس وضياع علو الهمة . فيقول إقبال يخاطبهم :

"اعرف حقيقتك أيها الزارع ، لأنك أنت الحب وأنت المزرعة وأنت الماء وأنت المحصول، هل يرتعش قلبك من خوف الطوفان مع إنك أنت الربان وأنت البحر وأنت السفينة وأنت الساحل ، وأسفاه على جهلك لأنك أصبحت محتاجاً إلى الساقي". (٢)

وكان إقبال يؤمن بالدين إيمانا قويا ويعتبره في قمة التجارب الإنسانية ، ويحرص كل الحرص على بقائه وظهوره على صورته الحقيقة وهذا الدين لا يتمثل عنده إلا في الإسلام، ولذلك يحزن إقبال لتأخر ركب الإسلام بسبب تخلف المسلمين ووقوعهم في أوهام شتى خرافات وتناسيهم إسلامهم ومجدهم العريق ، وآمن إقبال بالجهاد وحين قامت تلك الطائفة التي تنكر الجهاد ، فيعلم أنهم يخافون الموت ، فهم شاكون في لقاء الله وفي الخلود ، ثم هم يعبدون المال ويؤثرون الحياة الدنيا ، لذلك يخشون أن يموتوا فيحرموا مماهم فيه من نعيم زائل ، ويحكم "إقبال" على هؤلاء بأنهم فقراء، وأن أموالهم لا تساوي التراب، وعلى كل حال سيموتون طوعا وكرها. فيقول :

"المؤمن الحق كان الله غايته ... والله كان لديه السمع والبصرا
والآن أضحى إله المال كعبته ... وخوفه الموت أفناه وما شعرا
يا مؤمنا بلقاء الله مالك في ... ذعرمن الموت قد أشجعت من كفرا
قدعاد قلبك ميتاً بين أضلعه ... كأنه في حنايا الصدر قد قبرا
من كان يحسب أن الموت هاوية ... وأنه عدم يستأصل البشرا
فنار آماله ينحط عنصرها ... إلى التراب ويلقى الموت محتقرا" (٣)

١- شعلان ، صاوي علي والأعظمي ، محمد حسين : الحياة والموت في فلسفة إقبال العربية والأردية ، من قصيدة الأردية ، ص٣٦.

٢- عبدالحميد ابراهيم ، سمير : ديوان ارمغان حجاز ، ص١٦ .

٣- شعلان ، صاوى على ، والاعظمى، محمد حسن: الحياة والموت في فلسفة إقبال (من قصيدة الأردية) ، ص٣٩.

فحاول "إقبال" أن يبدد من النفوس استسلامها إلى الدنيا وإخلادها إلى نعيمها الزائل ، ودعانا إلى الحذر منها والاحتياط منها، فيقول:

"مثل الحياة كطائر مترنم غنى فأرقص حوله الأزهارا
ما كان أعذب لحنه لكنّه كالحلم حلّق في الفضاء وطارا
لا يعلم الإنسان كيف أتى إلى دنيا المتاعب أو متى ما يرحل
إن الحياة شرارة لم تبتسم إلا لتجعلنا لها أحطابا
في عرس دنيانا مأتم للردى تطوى شيوخا في البلى وشبابا
إن الحياة على الأنام بخيلة بدوامها والعيش غير مخلد" (١)

ولا ريب أن الله تعالى هو المنفرد بالبقاء ، أما خلود الإنسان فهو من تقدير الله في الأزل ، إلا أن هذا الهيكل الترابي لا بد أن يمر عليه الموت ، وعند إقبال أفضل الموت هي التي تقع في ميدان الجهاد ، فلحظة من عمر الأسد خير من حياة الشاة مائة عام (٢) ، وإلى ذلك المعنى يشير في هذه الأبيات ، فيقول:

العمر لا يقاس بالأعوام والعقل لا يقاس بالأجسام
واليوم من عمر أسود الأجم بألف عام من حياة الغنم
عش ساعة في لجج البحار ومت شهيدالمرج والتيار
ولا تعش دهراً كعيش الخامل مقيداً بين صخورا الساحل" (٣)

والمؤمن يطلب من الله الموت ، التي تعطيه الحياة الأبدية وهي الشهادة في سبيل الله في ميدان الحرب .

كما يقول إقبال :

"مرد مومن خواهد از يزدان پاك آن دگر مرگے كه برگيردذ خاك
آن دگر مرگ انتهائے راه شوق آخرين تكبير در جنگاه شوق" (٤)
ما يرجِّي مؤمن من ربه موت إطلاق له من تربه
لطريق الشوق هذا الموت غاية وهو للتكبير في حرب نهاية" (٥)

١- شعلان ، صاوى على ، والاعظمى، محمد حسن: الحياة والموت في فلسفة إقبال (من قصيدة الأردية) ، ص٤٧ .

٢- مقولة ، سلطان تيبو شهيد.

٣- شعلان ، صاوي علي ، والاعظمى محمد حسن : الحياة والموت في فلسفة إقبال، ص١٢٧ .

٤- كليات إقبال(فارسى) جاويد نامه ، ص٣٤٦.

٥- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص٣١٢.

وكان أكثر من مائة وعشرين إصابة على جسم القائد الإسلامي خالد بن الوليد (١) وهو فخور بتلك الجروح، إلا أن فخره هذا كان ينقصه الاستشهاد، ونرى إقبال يرثيه، فيقول:

"مات ولكن لم يمت — فهو مخلد الثناء
له من الذكرى حياة — لا يشوبها الفناء
إن الحياة في الجهاد — والخلود للعمل" (٢)

ثم يتحدث "إقبال" عن المؤمنين وصفاتهم ومواقفهم في الحياة وكيف ينبغي لهم أن يكونوا أقوياء، معززين ومكرمين، فيقول:

"المؤمنون على عنا — ية ربهم يتوكلون
لا خوف يفزعهم ولا — هم في الحوادث يحزنون
لأراك في الافصاح ها — رونا وفي الإيمان موسى
إني رأيت الخوف في — الدنيا عدواً للعمل
هو مطفئ نور الرجا — ء وسالب كنز الأمل
يرمي الارادة بالتنزل — زل والعزيمة بالخور
ومن احتواه الخوف — لا يجني من الروض الثمر
المؤمنون لهم من الـ — مولى أمان الأولياء
بلغوا الكمال عن الد — نيا العريضة أغنياء" (٣)

فإقبال ينصح أن لا يهمنا أن نعيش طويلا، ولكن يهمنا أن نعمل عملا جليلا، بأن الأحياء في الحقيقة هم الذين جاهدوا في حياتهم لازالة السوء من أنفسهم، ويضرب إقبال لنا من حياتهم الأمثال، مشيرا إلى أن حياة الدنيا ميدان العمل والكفاح، ليكون لنا دور عظيم في الحياة.

فيقول:

"بنور الجهاد الحي سار محمد — بجيش على راياته الفوز اكليل
إلى الفوز جاهد ما استطعت لا تنم — ففي القبر نوم بعد ذاك طويل

١- خالد بن الوليد، كان في حياته الاولى من أعداء الإسلام وقام ضد محمد صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد (٦٢٥م) ولكن شرّف بالإسلام بعد فتح مكة ٦٢٩م، وبعد قبول الإسلام نشر الإسلام بقوة عزمه وبقوة ايمانه، ويلقب بـ سيف الله، ومضت كل حياته في ميدان الجهاد، وتوفى ٦٤٢م.

٢- شعلان، صاوي علي، والأعظمى، محمد حسين: الحياة والموت في فلسفة إقبال، ص١١٧.

٣- نفس المرجع، ص١١٧.

منازل وادى الصامتين على البلى ستبقي بها حتى النشور مقيما" (١)

فهكذا إقبال يحث المؤمن على الجهاد ويقرر من الأمثال أن حياة المؤمن في الجهاد و عزة القوم في الجهاد . فنرى أن شوقي وإقبال هما يؤكد ان على الجهاد لبقاء المسلمين والإسلام ، وهما يتفقان على أن الإسلام انتشر بقوة الدين وبقوة الأخلاق لا بقوة السيف ، كما يتهمه بعض من أعداء الإسلام والحقيقة أن ما رفع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم السيف لنفسه . ولكن للدفاع عن الدين. ونجد أسلوبهما وفكرهما في هذا الموضوع رائعاً جدا.

١- الطرازي ، عبدالله مبشر ،الدكتور : المفكر الإسلامي الكبير العلامة الدكتور محمد إقبال. جده:١٧٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ٣٧.

- وانظرللتفصيل: "إقبال والجهاد" في كتب التالية :

هاشمي ، شفيق الرحمن ، بروفيسور : اقبال كا تصور دين ، ص ٣٨٠- ٣٨٢.

- وانظر: سليم اختر ،الدكتور : اقباليات كے نقوش (الأردية) نقوش الإقباليات . باكستان:اقبال اكاديمية، ١٩٧٧م، ص٢٥٩- ٢٦٢.

- وانظر : طاهر سورتي ، عبدالرحمن : إقبال ، پيامبر جهاد : (الأردية) ، اقبال ريويو ، مجله إقبال اكادمي باكستان، ج١، عدد ٤ ، يناير ١٩٧٤م ، ص٢٩- ٣٦.

الفصل السادس

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله

لا ريب أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم أسوة كاملة وأسوة حسنة للأمة الإسلامية والإنسانية كلها في جميع مجالات الحياة إلى يوم القيامة .

كما قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(١)

ونجد شهادة خلق النبي صلى الله عليه وسلم في كتب الحديث والتفاسير والسير أيضا بالتفصيل .

ويذكر يوسف الكاندهلوي أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه قائلا:

وكان خلقه القرآن. هذه كلمات عائشة "زوجة الرسول"، وكلمة "الخلق" هنا، إنما تعنى حياته كلها، ولقد كانت حياته كلها قرآنا، يرضى برضاه ويسخط لسخطه، وأخرجه البيهقي عن زيد بن بابنوس قال: قلنا لعائشة : يا أم المؤمنين، كيف كان خلق رسول الله ؟ فذكروه، وفي حديثه، ثم قالت : أتقرأ سورة المؤمنون ؟

أقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(٢)﴾ إلى العشر، قالت : هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم". (٣)

فنجد حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، قد خلصت لله كاملة، في ليله ونهاره، في صمته ونطقه، في حركته وسكونه، لله سبحانه وتعالى، ولم تكن حياته وحدها هي التي خلصت لله، وبل كان مماته أيضاً". (٤) ويتخلّص من كتب التفسير والحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم الناس خَلقا وخُلقاً

١- سورة الأحزاب، الآية:٢١.

٢- سورة المؤمنون، الآية: ١.

٣- الكاندهلوي، محمد يوسف : حياة الصحابة . تقديم : الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، ٣/١٢٢-١٢٥.

٤- الملطاوي، حسن كامل : رسول الله في القرآن الكريم، ص١٠٩.

وكان صلى الله عليه وسلم أحلم الناس(١). أشجع الناس (٢) ، وأعدل الناس(٣) وأعف الناس لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه (٤) وكان أسخى الناس. (٥)

أخلاق النبي وشمائله في شعر شوقي وإقبال

وبعد الإشارة إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من كتب الحديث والسير والتفاسير، نجد أن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم كان أحب الموضوع لمادحي الرسول صلى الله عليه وسلم.

والشعراء من العرب والعجم كلهم اختاروا هذا الموضوع بكل سرور ومحبة ، وعرضوا أزهارا معطرة في صورة شعر في خدمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنه المثل الأعلى للبشر كله ، في سلمه ، وحربه ، وفي رضائه وغضبه وفي فرحه وحزنه ، وفي يسره وعسره ، وفي رخائه وشدته، وفي سره وجهره .

وشخصيته النبي صلى الله عليه وسلم متصف بكل الأوصاف الحميدة ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى في عظمة النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنَّكَ لَعَلى خُلُقُ عَظِيم﴾ (٦)

وقد اشاد شوقي بأخلاق النبي صلى اللهعليه وسلم في عدة من قصائده :

ونجد ذكر أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في نهج البردة ، فوصفه بالكرم والعلاء والبأس

١- أخرجه أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله من رواية عبدالرحمن بن أبزى: كان رسول الله من أحلم الناس، الحديث وهو مرسل ، وروى أبو حاتم بن حبان من حديث عبدالله بن سلام في قصة اسلام زيد بن شعنه من أحبار اليهود وقول زيد لعمر بن خطاب : يا عمرؓ كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله حين نظرت إليه إلا اثنتين ، لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما ...... الحديث)

٢- الحديث: أنه كان أشجع الناس، متفق عليه من حديث أنس .

٣- حديث : كان أعدل الناس ، أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم : لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه ، وفيه : قد وسع الناس بسطه وخلقه فصارلهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء .

٤- أخرجه بخاري ومسلم من حديث عائشة : ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا إمرأة يملكها.

٥- أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس ، فضلت على الناس بأربع، بالسخاء والشجاعة ، الحديث ، ورجاله ثقات وقال صاحب الميزان ، إنه منكر وفي الصحيحين من حديث: كان رسول الله أجود الناس واتفقا عليه من حديث ابن عباس.

٦- سورة القلم ، الآية:٤.

- وانظر: النبهاني ، يوسف بن إسماعيل ، الشيخ : الأخلاق النبي وشمائله في جواهر البحار في فضائل النبي المختار . مصر:١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، ٣/١٠٤-١٠٥ ، ٢٠٥-٢٠٧.

والبطل ، ويعترف جميع الناس أوصافه حتى أعداؤه ، ثم يذكر شوقي يتمه، ورعاية الله له ، وهدايته للناس وتعليمه إياهم ، وتحريرهم من أغلال الجهل ، و وازن بين إحياء عيسى عليه السلام ميتا وبين إحياء محمد أجيالا من رقاد الجهالة ، وقال إن الجهل موت ، وإيقاظ الجهال معجزة كاحياء الموتى.

فيقول:

"البدر دونك في حسن وفي شرف   والبحر دونك في خير وفي كرم
شمّ الجبال إذا طاولتها انخفضت   والأنجم الزهر ما واسمتها تسم
والليث دونك بأسا عند وثبته   إذا مشيت إلى شاكى السلاح كمى
تهفو إليك ، وإن أدميت حبتها   في الحرب أفئدة الأبطال والبهم
محبة الله ألقاها ، وهيبته   على ابن آمنة في كل مصطدم
كأن وجهك تحت النقع بدر دُجى   يضئ ملتثما أو غير ملتثم
بدر تطلع في بدر فغرته   كغرة النصر تجلو داجى الظلم
ذكرت باليتم في القرآن تكرمة   وقيمة اللؤلؤ المكنون في اليتم
الله قسم بين الناس رزقهم   وأنت خُيِّرت في الأرزاق والقسم
أخوك عيسى دعا ميتا فقام له   وأنت أحييت أجيالا من الرمم
والجهل موت فإن أوتيت معجزة   فابعث من الجهل أوفا بعث من الرجم" (١)

يقول أحمد الحوفي:

"وفي رأينا أن خير هذه الأبيات قوله (تهفوا إليك) لأن هذا عن تصوير الابطال ، لا يخاف من الأعداء ، لأن بطولته كانت إلى شريعته ولدينه، والكفار معجبون ببطولته، وكانوا يعترفون عظمته صلى الله عليه وسلم بالقلب ولكن يصدهم الكبر والعناد لاعتناق دينه ، وهذا التصوير لا شك في روعته. وكذلك قوله (ذكرت باليتيم)، ويذكر يتمه بتكريم ، ولا مثيل له في اليتمة".(٢)

ولا شك أن شوقي يؤمن بأن الجهل موت وهذا الشرف كله للنبي كريم صلى الله عليه وسلم أنه علّم الناس بقوة الأخلاق وأهداهم إلى سبيل الرشاد وأخرجهم من الظلم إلى النور .

٢- وقال في الهمزية أن إمارات فضل النبي صلى الله عليه وسلم بدت وهو فتى يتيمٌ، ثم ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتهر في صباه بالأمانة والصدق ، وكان قومه قد عرفوا أمانته ، وعلموا صدقه ، و وثقوا به قبل أن ينفسوا عليه نبوته ويعاندوا دعوته .

ثم وصفه بأنه ذواخلاق عالية تهوا ها المعالي ويتعلق بها الإشراف وقال إن هذه الأخلاق

١- الشوقيات : ١/ ٢٠٠، ٢٠١.

٢- أحمد الحوفي ، الدكتور: إسلام في شعر شوقي، ص١٢٦ .

كانت كفيلة بأن تكون دينا هاديا.

ثم يذكر شوقي جمال النبي صلى الله عليه وسلم ويشبه وجهه بالقمر، ثم عاد شوقي إلى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالسخاء وإلى وصفه بالعفو، و وصفه بالرحمة التي لا نظير لها ولكنه مع عفوه ورحمته كان يغضب للحق في غير ما حقد ولا بغض ولا تحرق للتنكيل بمن يعاندون الحق، وكان يرضى بالحق ويطمئن إلى مرضاته في الحق عن معرفة وإرادة، على حين أن كثيرا من الناس يرضون متظاهرين بالحلم ومتسترين بالنفاق . ثم يذكر شوقي أنه كان النبي خطيبا عظيم التأثير في قلوب سامعيه، وكان قاضيا عادلا لايرتاب المحتكمون إليه في عدالة حكمه، وكان عظيم الحفاوة بما يحمى. وعظيم الرعاية لمن يجير، وكان المثل الأعلى في رعاية حق الإنسان في الحياة والكرامة .وكان رحيما بالحيوان، كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم خير الناس بعلاً لأزواجه العشرة وخيرهم وفاءاً لأصدقائه .

ويذكر أحمد الحوفي عن صفته في كتابه قائلا:

"وكان أعظم الناس وفاءً بعهوده ووعوده" .(١)

ثم عاد في القصيدة نفسها إلى الإشادة بأخلاق الرسول، فنوه بشجاعته، وأشاد برحمته، فيقول:

"نعم اليتيم بدت مخايل فضله ... واليتم رزق بعضه وذكاء
في المهد يستسقى الحيا برجائه ... وبقصيدة تستدفع البأساء
بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم ... يعرفه أهل الصدق والأمناء" (٢)

ثم ينتقل بعده إلى امتداح جملة الشمائل والصفات، ويقول:

"يامن له الاخلاق ما تهوى العلا ... منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا لقامت وحدها ... دينا تُضئ بنوره الآناء
زانتك في الخلق العظيم شمائل ... يغرى بهن ويولع الكرماء" (٣)

فشوقي يضيف بعض الأوصاف الذاتية، فيقول:

"فإذا سخوت بلغت بالجود المدى ... وفعلت مالا تفعل الأنواء
وإذا عفوت فقادراً و مقدّرا ... لا يستهين بعفوك الجهلاء
وإذا رحمت فأنت أم وأب ... هذان في الدنيا هما الرحماء

١- أحمد الحوفي، الدكتور: إسلام في شعر شوقي، ص١٢٦.

٢- الشوقيات: ٣٥/١.

٣- نفس المرجع.

وإذا غضبت فإنما هي غضبة　　في الحق لاضغن ولا بغضاء
وإذا رضيت فذاك في مرضاته　　ورضا الكثير تحلم ورياء
وإذا خطبت فللمنا برهزّة　　تعروا الندى وللقلوب بكاء

إلى أن يقول:

وإذا بنيت فخير زوج عشرة　　وإذا ابتنيت فدونك الآباء
وإذا صحبت رأى الوفاء مجسما　　في بردك الأصحاب والخلطاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته　　فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا مشيت إلى العدا فغضنفر　　وإذا جريت فإنك النكباء
وتمد حلمك للسّفيه مداريا　　حتى يضيق بعرضك السفهاء" (١)

ونلاحظ أن شوقي يبدأ القول عن كل صفة من جمهرة الصفات النبوية بكلمة (إذا) فأسلوبه فيها هو الأسلوب المتبع في الصفات المتجددة، يتعاطاها صاحبها وقتا، ويدعها في حين آخر، مع أنه يقدرها حق قدرها، ويراها جميعاً أمثلة عليا في نوعها.

ويقول:

وإذا سخوت بلغت بالجود المدى　　وفعلت مالا تفعل الأنواء

وكالغضنفر في شجاعته وهيبته ويقول:

وإذا مشيت إلى العداء فغضنفر　　وإذا جريت فإنك النكباء
وإن له مع ذلك أبياتا حسانا　　استطاع على قرب فكرها

وهو أحسن استخداما في شعره من عذوبة الألفاظ.

وإذا رحمت فأنت أم وأب　　هذان في الدنيا هما الرحماء

فقد قاس رحمة الرسول برحمة الوالدين، وهو المقياس المفضل المألوف لا يمكن لأحد ان ينكره أو يجهل مكانه، فمن لم يجده من نفسه عاطفة، رآه من حوله عملا، والشاعر يقصر الرحمة في الدنيا على هذا النبع، ويجعل إليه منتهاها، لأنها يعطفان على الأبناء طبعا ويعطفان على أشباههم رقة وتأثرا.

٣- وكرر هذا في ذكرى المولد الأولى التي مطلعها:

"به سحر يتيمه　　كلا جفنيك يعلمه" (٢)

وسماه نبي البر في قوله:

١- الشوقيات: ١/٣٦.

٢- الشوقيات: ٢/١٣٨.

"نبـــي البـــر عـــلّـمــه وجـــاء بـــه يـعـلّـمـه
لــكــل عــنــده فـي البــر حــق لـيــس يهـضـمـه
ســحــاب الــجــود راحتــه وفـي بــرديــه عيـلـمـه" (١)

٤ـ وأشاد في ذكرى المولد الثانية بلطف النبي صلى الله عليه وسلم إلى الفقراء، وبره بالمحتاجين، قال إنه وضح سبله للناس، وسنّ لهم دستوره، وهداهم إليه، ثم قال إنه كان الطبيب الذي شفى الناس من داء نفوسهم، كما يقول:

"نبــي البــر بيـنــه سبيــلا وسـنّ خـلالـه وهـدى الشّـعـابـا
تـفـرق بـعـد عيسـى النـاس فيـه فـلـمـا جـاء كـان لهـم متـابـا
وشـافـي الـنـفـس مـن نزعـات شر كشـاف مـن طبـائعهـا الذئـابـا" (٢)

ويبين شوقي صفات الرسول الكريم للقارئين بكل وضوح، فيقول:

"يـامـن لـه الأخـلاق ماتهوى العلاء مـنـهـا ومـا يتـعشـق الـكـبـراء
زانتك فـي الـخـلـق الـعـظيم شمائل يـعـزى بهـن ويـولـع الـكـرمـاء" (٣)

وكتب أرجوزة طويلة "دول العرب وعظماء الإسلام، في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول:

"مـرتسـمـا فـي الأدب الإسلام مـن اجتـنـاب الـخـمـر والازلام
مـنـحـرفـا عـن الـدمـى صبيـا وهــكــذا مــن يـجتـبـى نبيـا
مبــرأ مــن نــزق وطيــش وختــلافــى بــنــى قـريــش
مــلــقبــا فــي الـبـدر الأميـن دون بـنـى الاعيـان بـالأمين" (٤)

فنرى في هذه الأشعار أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين باختيار الأوصاف الحميدة التي تقوي المجتمع الإسلامي ونهى عن الأوصاف السئية التي تضعف المجتمع الاسلامي وهكذا درّس نبينا درس الأخلاق في كل حياته كما ذكرنا هذا من قبل.

أمـا كلام إقبال فهو مملوء بحب النبي صلى الله عليه وسلم وبذكر أوصافه وأخلاقه، وباعث شعره كله كان عشق النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مؤسس الإسلام، ويتقين إقبال أن إتباع أسوته الحسنة هي وسيلة النجاة لعالم الإنسانية في الدارين، ولهذا ينبغي لنا أن نختار أسوة النبي صلى الله

١ـ عيلمه، بحره: نفس المرجع.

٢ـ الشوقيات: ٧١/١/١.

٣ـ الشوقيات: ٣٥/١.

٤ـ شوقي، أحمد بك: دول العرب وعظمائه اسلام، ص٢٣ـ ٢٤.

عليه وسلم في حياتنا كلها ، كما يقول في أوصافه ومحامده صلى الله عليه وسلم :

"لوح بھی تو قلم بھی تو تیرا وجود الکتاب گنبدِ آبگینہ رنگ تیرے محیط میں حباب" (١)

اللوح أنت وما في اللوح من قدر وكل ما فيه من سطر و من كلم

لو تنطق القبة الزرقاء ما كذبت بأنها ذرة في بحرك العرم" (٢)

ويثبت إقبال في هذا الشعر أن حسن الكون كله بسبب وجود النبي صلى الله عليه وسلم وبحسن أوصافه الحميدة تتزين موجوداتها كلها . ونجد فكر إقبال هذا في شاعريته كلها.

ويكتب افتخار أعظمي في مقدمة "ارمغان حجاز".

"أعطى إقبال شعر مدح الرسول البصيرة الحكمية والشكل الفلسفي ، ليست في شعره تأثراته وقتية ، بل شعره يقصّ لنا التدنى أو العروج للأمة الإسلامية ، وجهود الحركات الإسلامية للنهضته".(٣)

ويقول إقبال في موضوع شعره (خلافت إسلامية) : إن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم نزلت كالمطر على أرض مكة وغيّرت حالتها وبدّلت نظامه الذي أسس على الظلم والجور والتكبر إلى نظام العدل والمساواة ، وظهر إلى حيز الوجود الثقافة الجديدة بأيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأنه متصف بنفسه بثروة الأخلاق العالية ، فأقام طبقات الناس كلها من العرب في صف واحد، بدون أي امتياز بين الغني والفقير ، ولوالى والمولى، والمستاجر والأجيروغيرها. (٤)

ثم يذكر إقبال ألفته صلى الله عليه وسلم وصداقته للبشر وعطفه وعلمه ، وحكمته وعدله، وحلمه في شعره.

تھی تو موجود ازل سے ہی تیری ذات قدیم پھول تھا زیب چمن پر نہ پریشان تھی شمیم

"شرط انصاف ہے اے صاحب الطاف عمیم بوئے گل پھیلتی کس طرح جو ہوتی نہ نسیم

ہم کو جمعیت خاطر یہ پریشانی تھی ورنہ امت تیرے محبوب کی دیوانی تھی" (٥)

قد كان هذا الكون قبل وجودنا روضا و أزهارا بغير شميم

والورد في الأكمام مجهول الشذا لا يرتجى ورد بغير نسيم

بل كانت الأيام قبل وجودنا ليلا لظالمها وللمظلوم

١- كليات إقبال(الاردية) : بال جبريل ، ص٧٢٦.

٢- الترجمة العربية: زهير ظاظا ، الأستاذ : جناح جبريل ، ص٥٠١، ٥٠٢.

٣- أعظمي ، افتخار : أرمغان حجاز ، ص٣٥.

٤- انظر: إقبال كى نثرى تحريروں ميں عشق رسول كى ضيا بارياں (ضوء عشق النبى في تحرير نثر إقبال) مجلة الكلية الشرقية: مدير : بريلوي ، د. عبادت. ط، الكلية الشرقية ، بلاهور باكستان ،١٩٧٧، ص٥٥٧-٥٥٨.

٥- كليات إقبال (الأردية) : بانك درا ، ص٢٩٠.

لـمـا أطـل مـحـمـد زكـت الـربـى واخـضـرفـي البستـان كل هشيم

وأذاعـت الـفـردوس مـكـنون الشذا فـإذا الـورى فـي نـضـرة ونعيم" (١)

ويقول د، تحسين فراقي في هذا الصدد:

"وكـل الشـعر الذي تقرب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو المدح في رأينا ، والمدح في الـحـقيقة ، لا معنى له أن نبين الأوصاف المحمدية صلى الله عليه وسلم بالألفاظ فقط بل يجب علينا أن نـعـلم غاية النبوة بقلوبنا ونتبع أوامره ، ولما نعلم ونعرف أهمية وضرورة النبي صلى الله عليه وسلم لـموجودات العالـم ، فتستحق شخصيته أن نمدحه في صورة الشعر والنظم أو القصيدة أو المثنوي ، أو الرباعي أو المثلث ، أو المخمس أو المسدس حسب استطاعتنا الشعرية ".(٢)

ولدى إقبال السيرة المحمدية صلى الله عليه وسلم وأخلاقه المثل الأعلى في الحرب والسلم، مع الأصدقاء والأعداء ، وبمعنى آخر كانت أخلاقه القرآن ، ومتى يفهم الإنسان هذه الحقيقة. فيعشق فضيلته وميزاته بقلبه.

ويقول الدكتور نجيب الكيلاني مخاطبا المسلم :

"ولا شك أن حبك لـمحمد صلى الله عليه وسلم وعشقك إياه، سيدفعك حتما إلى السير في طريقة ، واقتفاء أثره في حياتك ، وهذا هو الهدف والغاية للإنسان " .(٣)

فـكتب "غالـب"(٤) مثنويا بعنوان "بيان ظهور شأن النبوة والولاية التي في الحقيقة شعاع نور الأنوار الالهي ".

ويـأتـي إقبـال هنا بسوال سائلاً "غالبا" عن معنى قوله: إن لكل عالم أولياؤه وانبياؤه ، فيجيب غالب قائلا:

دقـق الـنظر فستجد أن عملية الخلق مستمرة ومتجددة على الدوام ، وفي كل حين يظهر عالم جـديد ، فيكون هناك أيضا رحمة للعالمين ، أي أنه لا بد لكل عالم من هذه العوالم التي خلقها الله في الكون من وجود رحمة للعالمين فيه .

١- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ : صلصلة الجرس ، ص٩٣.

٢- فـراقـي ، تـحـسـيـن ، الـدكـتـور : جستجو (الاردية) (البحث) تحت عنوان: علامة إقبال اور ثنائے خواجه ، لاهور، باكستان: ١٩٨٧ ، ص١١٠.

٣- الكيلاني ، نجيب ، الدكتور : إقبال ، الشاعر والثائر ، ص٦٧.

٤- هـو أسد الله خان غالـب ، هو من أعظم شعراء القارة الهندية ، نظم بالفارسية والأردية، ويتسم شعره ببعد الخيال ، ودقة التـصـويـر ، وهو مفكر عميق التفكير في تحليل النفوس ووصف الطباع ، ولد في ٢٧ دسمبر ١٧٩٧م ، في آگره (إحدى المدن من الهند) وتوفي ١٥ فبرائر ١٨٦٩م بدهلي (الهند).

اقرأ هذه المكالمة بين إقبال وغالب في رسالة الخلود يسأل إقبال أي زنده رود:

صـد جهـان پيدا درين نيلى فضا است　　　هـر جهـان را اوليـاء و انبياء است (١)

ألف دنيـا فـي الـفـضـاء الأزرق　　　وبهـا كـل نبـي متـقـي" (٢)

ويجيب غالب لإقبال أي زنده رود:

نيك بـنـگـر اندريـن بـود ونبـود　　　پـه بـه پـے آيـد جهـانها در وجود

هـر كـجـا هـنـگـامـه عـالم بود　　　رحـمة لـلـعـالمينـے هـم بـود" (٣)

أنـظـرن فـي الـوجـود والـعدم　　　كـم دنـى تـأتـي لـنـا منذا القدم

نـحـن دنيـا فـي الوجـود إن رأيـنـا　　　رحـمة لـلـعـالـمين قـد رأيـنـا" (٤)

ولدى غالب الخلق والتقدير والهداية هذه كلها بداية، ورحمة للعالمين هي النهاية، فهو إذن يشرح هنا معنى رحمة للعالمين التي اتصف بها الرسول قائلا:

"خـلـق وتـقـدير وهدايت ابتداست　　　رحـمة لـلـعـالـمين انتهـا اسـت (٥)

إن خـلـقـا وقـضـاء ابتـدا(٦)　　　رحـمة لـلـعـالـمين انتهـاء" (٧)

محـمد صلى الله عليه وسلم هو غاية الخلق وذروة كماله، وهذا العالم قد حصل على رونقه بنور المصطفى، فكل الأشياء في أي عالم، نراه لا قيمة لها ولا رونق فيها إن لم تكن قد استنارت بعد بنور المصطفى.

وقد عبّر إقبال عن تأثير ظهور النور المحمدي في هذا الكون وتأثير شخصيته السعيدة. ولدى إقبال الشخصية المحمدية صلى الله عليه وسلم سبب النجاة للضعفاء والمحتاجين من أيدى رؤوسا مكة، وهي التي غيرت التقاليد بمثل عليا السيئة، ونبذ كل أشواك الشر والفساد من حدائق مكة المطهرة، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾(٨)، ومع الحق اندثرت كل الميزات والفوارق بين إنسان وإنسان آخر.

ويذكر إقبال وصفه الخاص هذا قائلا:

١- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه، ص٢٣٢.

٢- الترجمة العربية: المصري، د.حسين مجيب: رسالة الخلود، ص٢٦٠.

٣- كليات إقبال(فارسى) جاويد نامه، ص٢٣٢.

٤- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص ٢٦٠.

٥- كليات إقبال(فارسى) جاويد نامه، ص٢٣٦.

٦- يلمع الشاعر إلى قوله تعالى في سورة الأعلى ﴿الَّذِى خَلَقَ فَسَوّى، وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدى﴾ (سورة الأعلى، الآية:٢-٣)

٧- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب: رسالة الخلود، ص٢٦١.

٨- سورة الاسراء، الآية: ٨١.

تـا امینـے حق بـحقـداران سپـرد　　　بـنـدگـان را مسـنـد خـاقان سپرد
شـعـلـه هـا از مـرده خاکستر کشاد　　　کـوهـکـن را پـایـۂ پـرویـز داد
اعتبـــار کـــار بـنـدان را افـزود　　　خـواجـگـی از کـار فـرمـایان بود
قـوت او هـر کهـن پیکـر شکست　　　نـوع انسان را حصار تازه بست" (١)

وأمينـــا بـعـث الـمولـى بـه　　　سَلّـم الـحق إلـى أصحـابـه
رفـع الـعبـدان بـالـحـق إلـى　　　سـرر الـخـاقـان والـزور قـلـى
بــثّ فـي بـرد الـرّمـاد الشعـلا　　　فـعـلـى بـرويـز فـرهـا دعـلا (٢)
سـلـب السلطـان حزب الآمـرين　　　فسمـا بـالـحق قـدر الـعـاملين
عـزمـه هـدّ قـديـمـات الـصـور　　　وبـنـى حـصـنـاً جـديداً للبشـر" (٣)

ولاريب أن محمدا صلى الله عليه وسلم الانسان المثالي والإنسان الكامل، وباتباعه يمكن لنا أن نحصل على مقام رفيع في الدنيا والآخرة ، ونجد الأمثلة من التاريخ الإسلامي أن الناس نالوا مقام العزة والاحترام بإتباعه في حياتهم .

كما يقول إقبال:

اقبال کس کے عشق کا یہ فیض عام ہے　　　رومی(٤) فنا ہوا، حبشی(٥) کو دوام ہے" (٦)
بـعشـق من عمّت هذه البركات يا إقبال؟　　　فـقد فني فيها الرومي ونال الحبشي بها اللدوام

ويقرر إقبال رحمته صلى الله عليه وسلم للعالمين بمثال إحسان إلى أخت عدى بن حاتم(٧)، وهي التي حضرت أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأسيرة من قبيله طي ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا أخت سيد القوم وبنت محسن القوم، وكان أبي معروفا في رحم، كان يطعم الجيعان الطعام، ويرحم على الضعفاء ، فأرحموني ، عندما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلماتها ورأى حالتها ، سالت الدموع من عيونه ، فقال ، كان في أبيك صفات المؤمنين ،

١- كليات إقبال(فارسی) رموزبے خودی ، ص٢٣٤.

٢- برويز ملك عظيم من ملوك الفرس ، وفرهاد مهندس فارسي له مع برويز وجاريته شيرين رائعة في الأدب الفارسي.

٣- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص٢٠٤ .

٤- رومي ، هو سكندر رومي(٣٥٥ق م - ٣٢٣ق م) ملك اليوناني ، المعروف سكندر أعظم .

٥- سيدنا بلال ، وكان أحد من عبيد القريش ، وعند ما أسلم أذاه أمية بن خلف (مولى بلال) صباحا ومساء . فحرّره محمد صلى الله عليه وسلم من أعداء الإسلام وأعزه ، ويقال مؤذن الإسلام .

٦- كليات إقبال (الاردية): بانگ درا ، ص٤٣٠ .

٧- المعروف الحاتم الطائي ،(ت نحو سنة ٦٠٥م) أجود الناس في أيام الجاهلية .

وكان هو رجلاً متقياً ، فأمر رسول الله بتحريرها ، وأعطاها زاداً لسفرها".(١)

ويبين إقبال أوصافه الحميدة في شعره قائلا:

"حريت ز او از ضمير پاك او — اين مے نوشين چكيد از تاك او
عصر نو كاين صد چراغ آورده است — چشم در آغوش او وا كرده است
نقش نو بر صفحه هستى كشيد — اُمتے گيتى كشاے آفريد
امتے از ماسوا بيگانه — بر چراغ مصطفى پروانه
ناشكيب امتيازات آمده — در نهاد او مساوات آمده
همچو سرو آزاد فرزنداں او — پخته از قالوا بلى پيمان او
سجدهٔ حق گل بسمايش ذده — ماه وانجم بوسه بريايش ذده" (٢)

"ازهر التحرير في روضته — هذه الصهباء من كرمته
عصرنا اللألاء في أنواره — فتح الأعين في أحجاره
خطّ في العالم سطراً مبدعا — أمة فاتحة قد أبدعا
صدرها من وقدة الحق أضاء — ذرة منها أنارت في ذكاء
المساواة لديها فطرة — ومن التميز فيها نفرة
نسلها كالسرو حرقد علا — عهدها أحكم من "قالوا بلى" (٣)
سجدة الحق بسيماها غرر — قبّل النجم تراها والقمر" (٤)

وبعد ذكر أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم الحميدة ، يذكر إقبال بعض أوصافه الأخر ويقول ، أسس النبي صلى الله عليه وسلم المجتمع الإسلامي على الأخوة والمساواة وأعطى المسلمين دستور الإسلام ، وأمرهم بإطاعة الله ورسوله في جميع مجالات الحياة ، وأمر الناس أن يطهروا جسدهم وملابسهم من كل الرجس ولسانهم من اللغو، وقلوبهم من الأخيلة الفاسدة ، لأن دين الإسلام دين الطهارة والأمن ، ثم أمر الناس بإيفاء العهد في جميع شؤون حياتهم ، وأن لا

١- الفاخوري ،حنا : الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب الحديث،الأدب القديم. الطبعة الأولى. دار ذوي القربي: ١٤٢٢هـ ، ص٢٢٣.

- وانظر: سرويا ، زيب النساء : كلام إقبال ميں انبياء كرام كا تذكره، حضرت محمد اقبال كى نظر ميں (الاردية) ذكر الأنبياء في كلام إقبال وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في عيون الإقبال) ، ص٣٢٣- ٣٢٤.

٢- كليات إقبال(فارسى) رموز بے خودى ، ص٢٣٤- ٢٣٦.

٣- إشارة إلى الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾(سورة الأعراف ، الآية:١٧٢)

٤- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص ٢٠٤- ٢٠٥.

يخدعوا الآخرين في التجارة، فيدعوا الله ويؤمنوا بالله للنفع وللبركة في تجارتهم، ويزينوا أنفسهم بالصفات الربانية وبصفات رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم لكى ينالوا حب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم.

فيقول إقبال:

در جهان آئين نو آغاز كرد مسند اقوام پيش در نورد
از كليد دين در دنيا كشاد همچو او بطن اُم گيتى نژاد" (١)

سننا في كوننا قد جدّدا ومن المعاضين ملكا بدّدا
فتح الدنيا له مفتاح دين عقمت عن مثله ام السنين" (٢)

ثم يذكر إقبال شجاعة النبي ويقول هي صفته الخاصة، وبهذه الصفة انتشر الإسلام في الدنيا، ولم يخف رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه أبداً، لأنه كان واثقاً بالله ونصرته. فيبن إقبال صفته وصفة المسلمين هذه بلسان شعر كذلك:

''پاؤں شیروں کے بھی میدان سے اُکھڑ جاتے تھے
تجھ سے سرکش ہوا کوئی تو بگڑ جاتے تھے
تیغ کیا چیز ہے ہم توپ سے لڑ جاتے تھے'' (٣)

لو أن أساد العرين تفزعت لم يلق غير ثباتنا الميدان
وكأن نيران المدافع في صدو ر المؤمنين الروح والريحان" (٤)

وبعد هذا يذكر إقبال عظمته عليه الصلاة والسلام وفضائله العديدة، مثلاً فقره واستغناءه، وخلوته وخضوعه وحكمته في الأمور السياسية.

فيقول:

طور موجے از غبار خانه اش كعبة را بيت الحرم كاشانه اش
بوريا ممنون خواب راحتش تاج كسرى زير پائے امتش" (٥)

موجة من نقعة الطور الأشم داره الكعبة العظمى حرم
أثرت سحق حصير عفّته وعلت تيجان كسرى أمته" (٦)

١- كليات إقبال: (فارسى) اسرار خودى، ص ٦٠.

٢- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: أسرار أثبات الذات، ص١٣٩.

٣- كليات إقبال (الاردية) بانك درا، ص٢٩١.

٤- الترجمة العربية: المصري، صاوي شعلان: صلصلة الجرس، ص ٩٥.

٥- كليات إقبال(فارسى) أسرار خودى، ص٦٠.

٦- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: أسرار أثبات الذات، ص١٣٨- ١٣٩.

ويتقين إقبال أن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن للمسلمين فقط بل سحاب فضله وكرمه كالمطر الواسع على أعدائه أيضاً .

فيقول:

لطف وقهر او سراپا رحمتى آن بياران اين باعدا رحمتى" (١)

لطفه والقهر كل رحمة لصديق وعدوّ رأفة (٢)

ثم يقول:

نسخة كونين را ديباجه اوست جمله عالم بندگان وخواجه اوست" (٣)

هو عنوان كتاب العالمين سيد الكونين، مولى الثقلين" (٤)

ثم يحذر إقبال المسلمين من أن يكونوا عالة على الغير وعن السؤال من غيرالله ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهانا عن السؤال من دون الله ، لأنه يضعف قوة الذات أو قوة النفس ، ويكون سبب الخجالة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة .

كما يقول:

تا نه باشى پيش پيغمبر خجل روز فردائے كه باشد جان گسل" (٥)

احذر الخزى أمام المصطفى يوم يخزى كل ساع ما وفى" (٦)

ويؤمن المسلم أن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم هي ستر عيوبنا في الدنيا وفي الآخرة.

كما يقول إقبال:

روز محشر اعتبار ماست او در جهان هم پرده دار ماست او (٧)

هو في الدنيا علينا ساتر وهو في الحشر إلينا ناظر" (٨)

وبالجملة ، لدى إقبال الإسلام هو الدين الكامل ، ومؤسسه هو الإنسان الكامل.

وشخصيته متصفة بالأخلاق العالية وتهدى الناس إلى الفوز والفلاح والنور والرشد والنجاة

١- كليات إقبال (فارسى) أسرار خودي، ص٦٤.

٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص١٣٩ .

٣- كليات إقبال (فارسى) أسرار خودي ، ص٦٦.

٤- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص ١٤٠ .

٥- كليات إقبال (فارسى) أسرار خودى ، ص٧٢.

٦- الترجمة العربية ، نفس المرجع ، ص١٤٢ .

٧- كليات إقبال، نفس المرجع ، ص٦٤ .

٨- الترجمة العربية : نفس المرجع ، ص١٣٩ .

ويبين إقبال هذه النقطة في أشعاره التالية :

هست دين مصطفى دين حيات　　شرع او تفسير آئين حيات
گر زمينى ، آسمان سازد ترا　　آنچه حق مى خواهد آن سازد ترا
صيقلش آئينه سازو سنگ را　　از دل آهن ربايد زنگ را" (١)

إن دين المصطفى دين الحياة　　شرعه للناس قانون الحياة
إن تكن أرضا يصيّرك السماء　　ويربّيك كما الحق يشاء
يصقل المرأة من صخر شديد　　وينقّي الرّين من قلب الحديد" (٢)

فهكذا لاحظنا أن شوقي وإقبال قدما شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وأوصافه وأخلاقه بكل وضوح.

وتناول شوقي كمحب صادق لرسول الله صلى الله عليه وسلم شخصية النبي وأوصافه من حياته الطيبة ، وعرض شخصيته كالمثل الأعلى ، ولكن لا نجد عنده تلك الجدة والفكر البديع والابتكار في الأسلوب مثل ما نجده في كلام إقبال كما نجد في كلام إقبال .

١- كليات إقبال (فارسى) رموز بے خودى، ص٢٨٢.

٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص٢١٩.

الفصل السابع

الإسلام وخصائصه

إن ديـن الإسـلام، ديـن الـرحـمة ودين السعادة ودين النجاح للإنسانية كلها .وهو دين رباني لايـقـوم على التفريق بين أنبياء الله ورسله ولا ينبني على الحقد والبغضاء لأتبا ع الأديان الأخرى وإنما هو دين التسامح والسماحة .

كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿قُولُوٓا اٰمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْنَا وَمَآ اُنْزِلَ اِلٰٓى اِبْرٰهٖمَ .... وَنَحْنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ﴾ (١)

وقال الله تعالى :

﴿اِنَّآ اَنْزَلْنَا التَّوْرٰىةَ فِيْهَا هُدًى وَّنُوْرٌ﴾ (٢)

وقوله :

﴿واٰتَيْنٰـهُ الْاِنْـجِيْلَ فِيْـهِ هُـدًى وَّنُـوْرٌ وَّمُـصَـدِّقًـا لِّـمَـا بَيْنَ يَدَيْـهِ مِنَ التَّوْرٰىةِ وَهُدًى وَّمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِيْنَ﴾(٣)

ويدعوا المسلمين وغيرهم إلى البروالسلم بغير تعصب جنسي ولوني ولساني في قلوبهم .

كما قال الله تعالى:

﴿ لَا يَنْهٰـكُـمُ اللّٰهُ عَـنِ الَّـذِيْـنَ لَـمْ يُقَاتِلُوْكُمْ فِى الدِّيْنِ وَلَمْ يُخْرِجُوْكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ اَنْ تَبَرُّوْهُمْ وَتُقْسِطُوْٓا اِلَيْهِمْ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِيْنَ ﴾ (٤)

ثم يدعو الإسلام أهل الكتاب إلى المجادلة بالرفق ، كما جاء في القرآن الحكيم .

﴿وَلَا تُجَادِلُوْٓا اَهْلَ الْكِتٰبِ اِلَّا بِالَّتِىْ هِىَ اَحْسَنُ ﴾ (٥)

ولا ريـب أن هـذا الـديـن ديـن التسامح ! وقد حضّ النبي المسلمين على التسامح وحبّبه إلى الـمسـلـمين بأقواله وأفعاله ، فلم يكن عجبا أن سماحة المسلمين بهرت الشعوب التي فتحوا بلادهم، وجـعـلوا أكثر ذكرا على ألسنتهم بالثناء على الإسلام ورجاله ، لأنهم رأوا من المسلمين الغالبين سموا في الأخلاق ، ونبلا في المعاملة ، وسماحة لم يعهدوها من قبل حينما كان يحكمهم الفرس والروم.

فيذكر شوقي سماحة الإسلام هذه ، ويبدؤها بأبيات يعرض فيها فكرة التوحيد ، فيقول:

١- سورة البقرة ، الآية: ١٣٦ .

٢- سورة المائدة ، الآية:٤٤ .

٣- نفس المرجع ، الآية:٤٦ .

٤- سورة الممتحنة ، الآية:٨.

٥- سورة العنكبوت ، الآية : ٤٦ .

بك يا بن عبدالله قامت سمحة ... بالحق من ملل الهدى غرّاء
بنيت على التوحيد وهو حقيقة ... نادى بها سقراط والقدماء
وجد الزعاف من السموم لأجلها ... كالشهد ثم تتابع الشهداء
ومشى على وجه الزمان بنورها ... كهان وادى النيل والعرفاء
إيزيس ذات الملك حين توحدت ... أخذت قوام أمورها الأشياء" (١)

فالتوحيد وهو أساس عقيدة المسمين، ومتجه العبادة، قد هدى به الناس من الأولين، آمنوا به، ودعوا إليه، واستشهدوا في سبيله منهم خلق كثير، إذ فالذين كذبو بالإسلام، وأثروا لوثنية عليه، إنما كانوا في سفاهة عمياء وضلال فوقه ضلال، وهو قول كان يمكن قبوله لو لم يكن في كلام شوقي نفسه مايرده ،ويقول شوقي:

"لما دعوت الناس لبى عاقل ... وأصمّ منك الجاهلين نداء
أبو الخروج إليك من أوهامهم ... والناس في أوهامهم سجناء" (٢)

وفي هذه الأبيات يبين لنا شوقي دعوة الإسلام ويقسم المجتمع الإنساني إلى طبقتين .

١ـ العقلاء ٢ـ والجهلاء

أمن العقلاء الأحرار، وكفر الجهال المقلدون، ثم يتحدث شوقي عن فضل الإسلام في إصلاح حال البشرية، وإقامة الحكم بين الناس على قواعد المساواة والشورى، ثم عن الشريعة الإشتراكية المحمدية، وطريقتها في علاج الفقر واصلاح حال الفقراء، وفضلها على الأديان الآخرين. فيقول :

"داء الجماعة من أرسطاليس لم ... يوصف له حتى أتيت دواء
فرسمت بعدك للعباد حكومة ... لا سوقة فيها ولا أمراء
الله فوق الخلق فيها وحده ... والناس تحت لوائها أكفاء
والدين يسر والخلافة بيعة ... والأمر شورى والحقوق قضاء
الإشتراكيون أنت إمامهم ... لولا دعاوى القوم والغلواء
داويت متئدا، وداووا ظفرة ... وأخفّ من بعض الدواء الداء
الحرب في حق لديك شريعة ... ومن السموم الناقعات دواء
والبر عندك ذمة، وفريضة ... لامنّة ممنونة وجباء
جاءت فوحدت الزكاة سبيله ... حتى التقى الكرماء والبخلاء

١ـ الشوقيات : ٣٨/١.

٢ـ نفس المرجع .

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل في حق الحياة سواء
فلو أن إنساناً تخير ملة ما اختار إلا دينك الفقراء" (١)

وأن الإسلام يرعى حقوق الفقراء ويهمل مصالح الأغنياء، ودين الفقره والأمراء، ودين كل طائفة وطبقة من الناس، لأنه دين الأخوة والمساواة، بأنه لا يسمح للأمراء أن يستبدوا بالرعية ويفرضوا عليهم حقوقا ما أنزل الله بها من سلطان، ولكنه لا يسمح للرعية أن يتجاهلوا الحدود المرسومة، وإذ يأخذ الزكاة للفقراء من الأغنياء، فيشعر الفقير أن الغنى لاينساه ويرحم عليه، ويترك بنصيب من النعمة التي أنعم الله بها عليه والأغنياء يستشعر طمأنينة، وفي قصيدة عنوانها "مرحبا بالهلال" يتحدث شوقي كذلك عن الإسلام، فيذكر أنه يقدر العاملين، وأصحاب الهمم البعيدة والعزائم الصادقة، ويفسح لهم المجال .

كما يقول شوقي :

"أمم الهلال مقالة من صادق والصدق أليق بالرجال مقالا
متلطف في النصح غير مجادل والنصح أضيع ما يكون جدالا
من عادة الإسلام يرفع عاملا ويسوِّد المقدام والفعالا
ظلمته ألسنة تؤاخذه بكم وظلمتوه مفرطين كسالى" (٢)

وبهذه الخصائص الحضارة الإسلامية جديرة بأن تعلو على الحضارات العالمية كلها.

ويقول شوقي:

"سرت الحضارة حقبة في ضوئه ومشى الزمان بنوره مختالا
وبنى له العرب الأجاود دولة كالشمس عرشا والنجوم رجالا
رفعوا له فوق السماك دعائما من علمهم ومن البيان طوالا" (٣)

ثم يقبل على العرب، فيمدحه في بيانه و أخلاقه .وسياسته بما هو أهل له، ويقول:

"الله جل ثناءه بلسانهم خلق البيان وعلّم إلا مثالا
وتخير الأخلاق أحسنها لهم ومكارم الأخلاق منه تعالى
كالرسل عزما والملائك رحمة والأسد بأسا والغيوث نوالا
عدلوا فكانوا الغيث وقعا كلما ذهبوا يميناً في الورى وشمالا
والعدل في الدولات أسس ثابت يغني الزمان وينفد الأجيالا

١- الشوقيات : ١/٣٨- ٣٩.
٢- الشوقيات : ١/٢٣٢.
٣- الشوقيات : ١/٢٢٣.

أيـام كـان الـنـاس في جهلاتهـم　　مثـل البهـائـم أرسلـت إرسـالا

مـن جهلهـم بـالـديـن والـدنيـا معـا　　عبـدوا الآ صـمَّ وألهـوا التـمثـالا" (١)

فهكـذا يبيـن شـوقي خصائص الإسلام ويؤمن أن هذا الدين هو دين الأخلاق الحسنة ويفتح أبواب الرحمة للإنسان. ثم يذكر شوقي خصوصية أخرى للإسلام.

ويوقـن أن الـصلـوة أسـاس لدين الإسلام وهي الفارقة بين المسلم وغير المسلم، والصلاة تـقـرب الإنسـان مـن الله وتـفتح أبواب الخير والرزق، وتكشف كل الأسرار بين الخالق والمخلوق، وعـنـدمـا يـصلـى المسلم الصلاة يشعر بفرحة وسكون خلال الصلاة وبعد الصلاة يخاف سخط الله وغضبه في جهره وسره. وتنقطع جذور الشر كلها من المجتمع بفيض صلاة الجماعة.

ويقول د.أحمد الحوفي:

"والـصـلاة من صالحة العبادات، رياضة أبدان، وطهارة أردان، وتهذيب وجدان، وشتى فضائل يشب عليها الجوارى والغلمان".(٢)

ثـم يـذكـر الزكـوة ويبين هي النعمة العظمى لمتبعي الإسلام وبالتي تدور الثروة بين الأغنياء والفقراء، ونظام الكون يجري على الخطوط السديدة، وبالزكاة يمكن لأمراء حفظ أموالهم.

ثم عاد يرغبهم في الإنفاق، ويدلل على المساواة، فقال:

"إن الهـواء يـخترق الأكـواخ كما يخترق القصور، وأن الشمس ترسل أشعتها إلى الخصيب والجـديـب، وإلـى الـغنى والفقير و أن الماء يروى الأسود والكلاب، وأن الموت حتم لا يهرب منه ثرى ولا معدم، وأن الناس جميعا يتساوون بعد الموت فيرقدون في الثرى، ليزهدهم في اكتناز المال، ويذكر الأغنياء البخلاء بأن الموت مدرك لهم، ويستركون مالهم لغيرهم، وكان الخير لهم أن يقدموا من مالهم عملا صالحا ينفعهم عندالله".(٣)

ويقول شوقي:

"يـريـد الـخـالـق الـرزق اشتراكـا　　وإن يك خـص أقـوامـا وحـابـى

فـمـا حـرم الـمـجـد حتى يـديـه　　ولا نسـى الشـقـى ولا الـمـصـابـا

ولـولا الـبـخـل لـم يهـلك فـريق　　عـلـى الأقـدار تـلـقـاهـم غـضـابـا

تـعبـت بـأهـلـه لـو مـا وقبلـى　　دعـاة الـبـر قد سئموا الخطابا

ولـو أنـى خـطبـت عـلـى جـمـاد　　فـجـرت بـه إلـيـنـا بـيـع الـعـذابـا

١- الشوقيات: ١/٢٢٣.

٢- الحوفي، أحمد، الدكتور: إسلام في شعر شوقي، ص٤٠، ٤١.

٣- نفس المرجع، ص٤٢.

ألـم تـر لـلـهـواء جـرى فـأفـضـي إلـى الأكـواخ واخترق الـقـبـابـا
وأن الشـمـس فـي الآفـاق تـغشـى حـمـى كسـرى كـمـا تغشى اليبابا
وأن الـمـاء تـروى الأسـد منـه ويشـفـى من تـلـعلـعهـا الكلابا (١)
وسـوى الله بيـنـكـم الـمـنـابـا و وسـدكـم مع الرسل الترابا" (٢)

وأنكر في القصيدة الأخرى على بعض المسلمين بخلهم بالزكوة وتهاونهم في أدائها، كأنها ليست ركنا من أركان الدين.

فيقول :

أكـل فـي كتـاب الله إلا زكـاة الـمـال لـيـسـت فـيـه بابا
ولـولا البـر لـم يبعـث رسـول ولـم يـحمل إلى قوم كتـابـا" (٣)

ثـم يـذكـر الـركـن الثـالـث لـديـن الإسـلام ، وهو "الصوم" ويتيقن أن الصوم أحسن الوسيلة لإحساس جوع الجوعان.

وقال في الصوم :

"وحـرمـان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله ، وخضوع ، يستشير الشفقة ، ويحضّ على الصدقة ، ويكسر الكبر ، ويعلم الصبر ويسن خلال البر". (٤)

ثم يذكر الحج ويقول:

إن الحج ركن من أركان الدين وفرض الله على عباده أن يحجوه البيت الحرام . كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾(٥)

وبيتـه مـظهـر الـجـلال والحشمة ، والحق حائطه وجداره ، والتوحيد مظهره ومناره والنبيون بـناته وعماره ، والله عزوجل ربه وجاره .(٦) ثم يدل أن الحج مظهر المساواة والأخوة بين المسلمين كلهم في العالم .

ثم اتى بذكر الحج فريضة يدل على هذا قوله في شكواه سنة ١٩٠٤م من مظالم حاكم مكة :

١- التلعلع : خروج لسان الكلب من العطش.
٢- الشوقيات: ١/٦٠.
٣- الشوقيات: ١/٥٧.
٤- الحوفي ، أحمد ، الدكتور : إسلام في شعر شوقي ، ص٤٤ .
٥- سورة آل عمران، الآية:٩٧.
٦- انظر ، أحمد الحوفي ، الدكتور : إسلام في شعر شوقي، ص٤٥ .

خليفة الله شكوى المسلمين رقت   لسُدّة الله هل ترقى لك الكلم
الحج ركن من الإسلام نكبره   واليوم يوشك هذا الركن ينهدم
عز السبيل إلى طه وتربته   فمن أراد سبيلا فالطريق دم" (١)

ونظم قصيدة "إلى عرفات بسنة ١٩١٠م :

لك الدين يا رب الحجيج جمعتهم   لبيت طهور السّاح والعرصات
أرى الناس أشتاتا ومن كل بقعة   إليك انتهوا من غربة وشتات (٢)

فهكذا يصور لنا شوقي خصائص الإسلام بطريق أحسن، ويثبت عظمته بدلائله القوية.

وعندما نستعرض كلام إقبال فنجد أن جذور حبه للإسلام عميقة ، ولم يبين عظمة الإسلام بلسانه فقط بل يثبت حقانية الإسلام بعد مطالعة أفكار وفلاسفة العرب والعجم.

ولبث إقبال في بلاد الغربية مدة طويلا وقرأ علم الاوربا بالتفصيل ،وبعد الغواص في بحر العلم والعرفان وصل النتيجة أن الأسلام دين الحق وهو دستور العمل، وهو دين الرحمة من اليوم الأول إلى اليوم الآخر ، ويفتح أبواب رحمته للعالم الإنساني كله . وهو دين التذكير والتبليغ ، ودين الفلاح والحياء ، ودين كل الأنبياء وهودين حي. والدين الذي غلب على أديان العالم كلها.

كما قال الله سبحانه وتعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِىٓ اَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدٰى وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ﴾(٣)

ثم يقول:

﴿اِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَاللّٰهِ الْاِسْلَامُ﴾ (٤)

فالإسلام دين حق جاء ليحطم كل باطل. والباطن لا بد أن يزول كما أتى في القرآن :

﴿قُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ اِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوْقاً﴾(٥)

﴿وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ الْاِسْلَامِ دِيْناً فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الْاٰخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ﴾.(٦)

ولقد كان إقبال شديد الإيمان بأن للدين أهمية عظيمة فعال الأثر في توجيه حياة الفرد والجماعة على السواء ، وكان يرى أن الدين الإسلامي دين الأخلاق ، بمعنى أن رسالته رسالة إنسانية

١- انظر ، أحمد الحوفي ، الدكتور : إسلام في شعر شوقي، ص٤٥.
٢- الشوقيات: ص٩٩.
٣- سورة التوبة ، الآية: ٣٣.
٤- سورة آل عمران ، الآية: ١٩.
٥- سورة بني إسرائيل ، الآية : ٨١.
٦- سورة آل عمران ، الآية:٨٥.

ليس لها حدود زمانية أو مكانية ، وأن به قوة كامنة تستطيع أن تحرر نفوس البشرية من قيود الأجناس والألوان. فرسالة الإسلام عند إقبال هي قرار الحرية وتدعيم العدالة وتوطيد المحبة بين البشر كله. وهو يقول في هذا الصدد:

"وليست غاية الإسلام منحصرة في الواردات الذاتية التي تجعل المرء بمعزل عما حوله من الأشياء وعمن حوله من الناس ، بل بناء للتربية التي تجعل الفرد صالحا لأن يكون منه ومن غيره مجتمع صالح وأن العصبيات التي تدعوا إلى البغضاء والتنفير هي وضيعة مهينة، ليس لها في الإسلام وجود". (١)

ثم يذكر إقبال من أوصاف الإسلام "الأخوة" ويؤمن أن أساس هذا الدين على المساواة والأخوة ، ولايفرق هذا الدين بين الإنس ويرعى حقوق الناس كله. ثم يضرب مثال لنا من التاريخ الإسلامي ليثبت الأخوة في الإسلام ويقول:

''ایک ہی صف میں کھڑے ہوگئے محمود وایاز   نہ کوئی بندہ رہا نہ کوئی بندہ نواز'' (٢)

محمود(٣) مثل اياز(٤) قام كلاهما   لك بالخشوع مصليا مستغفرا" (٥)

ولدى إقبال الحضارة الغربية تظهر كمثل اللولؤء اللامع والساطع من البعد ، وضياء ها تعجب بالأنظار ، والقلب يميل إليها ، ولكن في الحقيقة وهي كالجسد بدون الروح وكالثمر بدون حلوة، والحياة بدون الألوان ، لأن أسست على تعصبات من النسل واللون والوطن وغيرها من التعصبات الأخرى الدنية.

كما يقول إقبال:

''فساد قلب ونظر ہے فرنگ کی تہذیب   کہ روح اس مدنیّت کی رہ سکی نہ عفیف
رہے نہ روح میں پاکیزگی تو ہے ناپید   ضمیر پاک و خیال بلند و ذوق لطیف'' (٦)

أرى تثقيف إفرنج   فسادا القلب والنظر
فروح حضارة لهم   خلت من عفّة الوطر

١- عثمان أمين ، الدكتور : إقبال ، رسالة محمد إقبال . القاهرة: ١٩٥٦ ، ص ٧٨.

٢- كليات إقبال (الاردية) بانگ درا ، ص ٢٩٢.

٣- محمود غزنوى ، يقال له حاطم الاصنام وحطم الاصنام في الهند في سنة ٤١٦هـ وتوفى ٤٢١هـ/١٠٣١م.

٤- وهو كان العبد المحبوب للملك محمود الغزنوي وهو كان مصاحبه خلال سفره إلى الهند وخلال أدائه لفريضة الحج والعمرة أيضاً .

٥- الترجمة العربية : المصري ، صاوي شعلان ، الشيخ : صلصلة الجرس ، ص ٩٦.

٦- كليات إقبال (الاردية) ضرب كليم ، ص ٩٢٩.

إذا مـــا الـــروح جـــانبهـــا جـــمـــال الـصـفـو والـطـهـر
فـــأيـــن جـــمـــال وجـــدان ولـــطف الـــذوق والـــفـكـر" (١)

ونـنـظـر الـفرق الواضح بين الإنس في هذه الحضارة الغربية وهي تقسم مجتمعها في طبقات مختلفة ، فهكذا تسبب الاضطرار والانتشار في المجتمع .

ويذكر إقبال نظام الحضارة الغربية قائلا:

غـربيـــان گـم كـرده انـدر افـلاك را در شـكـم جـوينـد جـان پـاك را
رنگ و بـو از تـن نـگيـرد جـان پـاك جـذبـه تـن كـاري نـدارد اشتـراك
ديـن آن پيـغـمبـر حـق نـاشـنـاس بـر مسـاوات شـكـم دارد اسـاس
تـا اخـوت را مـقـام انـدر دل است بيـخ او در دل نه در آب وگل است
هـم ملـوكيـت بدن را فـريبـى است سينـهٔ بـے نور او از دل تهى است" (٢)
إن أهـل الـغرب أفلاكـا أضـاعـوا طـلبـوا الـروح ببطـن حين جـاعـوا
مـا استمـد الـروح حسنـا من جسد وعـلـى الـجسـم الشيـوعـي اعتمد
قـولـــه فـي كـفـره هـذا الـمبيـن ليـس إلا فـي مســـــاواة البطون
فـي صـميـم الـقـلـب ذيـاك الإخـاء مـا احتـوى أضـلالـه طيـن ومـاء (٣)
الــجســوم بـــالـثـراء سُـمِّـنـت والـصـدور مـن قـلـوب جـردت" (٤)

ولكن الإسلام لا يحب النظام القائم على العصبيات مثل ما ذكرنا فيما سبق.

ويـقـر أن هـذا الـنـظام السامي للإنسانية ويقضي كل الفوارق بين الطبقات والإسلام. يفتح أبواب القوة والرزق لكل رجل على حسب جهده واستطاعته . ويدرس درس الأخوة والمساواة والمحبة بينهم.

ولدى إقبال أفضل الفخر للإنسان هو أن يكون قلبه معموراً بثروة الإيمان والمساواة.

ويقول إقبال:

نـــه افـغـــانيـم و نـے تـرك وتـتـاريـم چـــمـــن زاديـم ويك شـاخسـاريـم
تـمـيـز رنگ و بـو مـا حـرام است كـه مـا پـروردهٔ يك نـو بهـاريـم" (٥)
رايتك لا تـــزال أسيـــر طيـــن إلـــى تـــرك وأفـــغـــان تـــرد

١- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : ضرب كلم ، ص ٦٣ .

٢- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه ، ص ١١٨ .

٣- يقول: إن الأخاء في الروح لا في الجسد.

٤- الترجمة العربية: المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص١٩٧ .

٥- كليات إقبال (فارسى) پيام مشرق ، ص٨٦.

أنـــا بشـــر بـــلا لـــون وريـــح ولـــلتـــوران أو لـــلهـــنـد بـعـد (١)

ويـأتـى إقبـال شـواهـد من أمثال بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسى ، الذين ما كـانـوا مـن العـرب ولكن نالوا المقام الرفيع والمكانة السامية في المجتمع الإسلامي بينما لم يحصل على هذه المنزلة كثير من أبناء العرب .

وهـذا مثـال واضـح أن ديـن الإسـلام لا يـنـحـصر على حسب ونسب ، وعندما سئل سلمان فـارسـى عـن نسبـه ، فـقـال بـالافتـخـار سـلـمـان بـن الإسلام ، لأن الإسلام لم يحفل اللون والنسل والوطن".(٢)

ومـؤسسـي الإسـلام سيـدنا محمد صلى الله عليه وسلّم، دعا إلى هذا المساواة وجمع الناس كـله على رصيف واحد و حضّ الأمراء على انفاق مالهم لنصر الضعفاء في سبيل الله . وهو أيضاً بذل متـاعه كله في سبيل الله متا ع الدنيا كله كانت تحت قدميه ولكن لم يحفل بها أبداً ، وقسم كلها قبل المساء بين المستضعفين من أصحابه رضوان الله عنهم.

ونجد من خصائص الإسلام احترام آدم وبنى آدم بدون أي تعصب وتميز كالحسب والنسب واللون والعقيدة وغيرها . كما جاء في القرآن الحكيم .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ (٣)

وجاء في موضع آخر.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ . إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ . (٤)

ويبين إقبال مقام آدم واحترامه في شعره .

بـرتـر از گـردون مـقـام آدم اسـت اصـل تهـذيـب احـترام آدم اسـت" (٥)

وعـــن الأفـلاك أعـلـــى قـدره فـكـا لـحـميـد مـن تـغـنى شكره" (٦)

ثم يقول في موضع آخر:

١- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رسالة الشرق ، ص٢٧٣.

٢- أنظر: هاشمي ، شفيق الرحمن ، بروفيسور : اقبال كا تصور دين (الاردية) (تصور الدين لإقبال) ، ص٦٤- ٦٥.

- وانـظـر: سـرويا ، زيب النساء : كلام إقبال ميں انبياء كرام كا تذكره، حضرت محمد اقبال کی نظر میں (تذكرة الأنبياء كرام في كلام إقبال ، سيدنا محمد في عيون إقبال)، ص ٣٣٢.

٣- سورة بني اسرائيل ، الآية: ٧٠.

٤- سورة الحجرات ، الآية : ١٣.

٥- كليات إقبال (فارسى) : جاويد نامه ، ص١٢٨.

٦- الترجمة العربية: المصري، د.حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٠١.

حرف بدرا برلب آوردن خطاست　　کافرو مومن همه خلق خداست
آدمیت احترام آدمی　　با خبر شو از مقام آدمی
آدمی از ربط وضبط تن به تن　　بر طریق دوستی گامی بزن (١)
تنطق العوراء ؟ذا كل الخطا　　كافر أومومن ربى برا
أنت إنسان ؟ أخاك فاحترم　　ليس منا غير هذا من علم
تربط الناس جميعا عروة　　منك في هذا الطريق خطوة" (٢)

ثم يقول إقبال أن الإسلام هي النعمة العظمى لنبي آدم ووسيلة النجاة من النوائب في الدنيا وسبب الفلاح في الآخرة.

ثم يذكر أركان الإسلام وخصائصه ويؤمن أن معالجة داء الإنسانية كلها مضمرة في أداء أركان الإسلام بخشوع وبخضوع .

كما قال إقبال:

لا اله باشد صدف گوهر نماز　　قلب مسلم راحج اصغر نماز
در كف مسلم مثال خنجر است　　قاتل فحشاء وبغى ومنكر است
روزه بر جوع وعطش شبخون زند　　خيبر تن پروری را بشكند
مومنان را فطرت افروز است حج　　هجرت آموز وطن سوز است حج
حب دولت را فنا ساز وزكوة　　هم مساوات آشنا ساز وزكوة" (٣)
درة التوحيد ، فاحفظها الصلاة　　حجك الأصغر ، فاعرفها الصلاة
في يد المسلم هذا الخنجر　　يقتل الفحش به والمنكر
يفتك الصوم بجوع وصدى　　ضابطا بالقسط هذا الجسدا
وينير الحج قلب المؤمن　　هجرة الأهل به والوطن
بالزكاة العابد المال اذّكر　　علمت حب المساواة البشر" (٤)

وفي هذه الأبيات يبين إقبال أن بكلمة التوحيد يدخل الإنسان في حصن الإسلام ويقال له

١- كليات إقبال (فارسى) جاويد نامه ،ص٣٨٤.

٢- الترجمة العربية: المصري ، د.حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٣٣٢.

- وانظر أيضا: ملك ، مظفر حسين ، الدكتور : مكارم أخلاق اور إقبال ، في مجلة إقبال ٨٤، مدير ، عشرت وحيد، الدكتور ، إقبال اكاديمية باكستان ١٩٨٤م ، ص٣٢١، ٣٢٢.

٣- كليات إقبال (فارسى) اسرار خودى ، ص١١٢.

٤- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص١٥٥.

المؤمن، ثم يؤدي الصلاة ، وهي تعين الحدود بين المؤمن والكافر والمسلم والمنكر وتفرق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الملحدية ، ويذكر أركان الإسلام الأخرى كالصوم ، والزكوة والحج ويؤمن أن أساس الإسلام على هذه العناصر الخمسة .

فيقول:

اين همه اسباب استحكام تست   پخته محكم اگر اسلام تست" (١)

تلك أسباب بها تستحكم   إن يكن في القلب دين محكم" (٢)

ويشترك إقبال في رأيه هذا برأى شوقي ، وهما يعدان أركان الاسلام من خصائصه الأساسية وأسلوبهما وفكرهما رائع جدا.

ولدى إقبال الإسلام دين الضياء وأشرقت الأرض بنوره وهذا الدين يضمن للبشرية الفوز والنجاة في الدنيا والآخرة وبتعاليم هذا الدين قام أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقضوا على الوثنية الجاهلية وحطّموا الأصنام ورفعوا ألوية التوحيد في العالم أجمعه.

فيقول إقبال:

حكمة الدين أن تسلم للشرع   وترضى بكل حكم قضاه

عش بأحكامه ترا العيش صفوا   ورخاء أو نضرة ونعيما

قد حباك الآله أحسن تقويم   لتحيا خلقا سويا كريما

إن إرث الخليل إيمانه الصادق   فاحفظ ميراث إبراهيما

كل قلب له من الحق نور   وله من هدى النبي نصيب

قم وأنذر به الخلائق طرا   تجد الكون كله يستجيب

وتقبل أوامر الدين بالرغبة   والشوق والرضا كل آن

حكمة الدين في العدالة والحب   ليست في البغض والطغيان

وبأن لا يحتاج في الأرض إنسان   ليحظى بالرزق من إنسان" (٣)

ثم يذكر إقبال وصف الإيثار والمحبة في الإسلام ويؤيد ذلك بمثال الأنصار الذين عرضوا أنفسهم ومتاعهم للذين صاروا اخوانهم في الدين بعد الهجرة تاركين اموالهم في مكة والذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، أولئك هم نجوم مكة خلت منهم مواطنها ليشرفوا مرة أخرى في سماء دار الهجرة وقد أسكنهم الأنصار في الصدور قبل الدور ، وفي ظل

١- كليات إقبال (فارسى) أسرار خودى ، ص١١٢.

٢- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص١٥٥.

٣- شعلان، صاوي علي، الشيخ: ايوان إقبال ، مختارات من شعره ، "رسالة إلى شباب الإسلام"، ص١٨٩.

الـمجتمع الإسلامي الجديد وتحت راية الحق والتوحيد وحفرت القبر للجاهلية الوثنية ، ثم يعلو آذان بـلال ، وقـد حـان الحساب ولكنه حساب رحيم وفتح عظيم وصلح عميم ، أخ كريم وابن أخ كريم أسدل من العفو ستاراً و أفاض الرحمة مدراراً و أرسلها آية دوت بها الأرجاء .

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١)

وبهـذه الأوصـاف سيـطـر الـمسلـمـون عـلى العالم وحول سراج الملة التفت القلوب جندا وانتـظـمـت الأرواح مـن الـمـحبة عـقـدا و إذا بـالجزيرة كلها قافلة واحدة في طريق المجد الصاعد ، ويـحيـى النور القادم من السماء ، شاع الإيمان والإسلام حتى غير بنى سام وحام والتقى شمل العروبة الـمـوحـدة بخالقها المؤمنة بربها أنها تذعن لله إيمان وإسلاما وتستعير نشيدها من الجنة إلى سكان الأرض سلاماً سلاماً .(٢)

ولـكـن لـما ترك المسلمون العمل والجهد وحرموا على أنفسهم هذه الأوصاف ونسوا أسوة نبيهـم فشلـوا فـي مـجـالات الـحياة كلها . والأقوام الغربية غلبت عليهم ويبين إقبال سبب هذا التغير ويـقـول : أن الأمـم الغربية قد تفوقت على الأمم الشرقية بقوة العمل وفي سحاب القنوط المظلم يدعو إقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول:

يـا رأس مـال البـائسيـن ويـا منار الحائرين   ادع الآله يهب لأمتك الشجاعة واليقين
ويـعيذهم من شر خوف الموت من قبل الممات   الخوف يفني البائسين وهم على قيد الحياة
يـا مـن هـدمـت الـلات والعزى وحررت الحرم   وبـنيـت أعلى أمة تهدى بسيرتها الأمـم
ذكـراك ورد سـائـغ يـحلوبه العيش المرير   وبـغيـرة الإيمان صار الدين كنز للفقير
يـا مـنتهـى كـل الـمنازل في طريق السالكين   يـامـن إلـى أنواره تهفو قلوب العاشقين
أنـت الهـداية والـدليـل وأنـت عـرفاني وفكري   وسـفينتي في الدين والدنيا وطوفاني وبحري
ذادت بـي الانات والعبرات حتى عيل صبرى   فـإلى متى هـذا اللهيب يظل مطوياً بصدري
لـم يـق لـلأرواح فـي شـوق الـعبـــادة من أثر   لـم يبق لطف تلاوة القرآن في وقت السحر" (٣)

وكـان إيـمـان إقبـال واثقا بحقانية الإسلام ، ويتأكد أن المسلم اليوم مريض ، ولا دواء له إلا الرجوع إلى الإسلام وإتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

١- سورة يوسف ، الآية:٩٢ .

٢- أنظر:شعلان، صاوي علي ، الشيخ: إيوان إقبال ، مختارات من شعره ، "رسالة إلى شباب الإسلام" ، ص ١٩١ .

٣- شعلان، صاوي علي ، الشيخ : ايوان اقبال: "مختارات من شعره "، ص٩١ .

فيقول:

بتان رنگ وخو کو توڑ کر ملت میں گم ہوجا نہ تورانی رہے باقی نہ ایرانی نہ افغانی'' (١)

عـليك أن تـخـلـع من عصبيات اللون والدم وغيرها من التعصبات وصر جزواً اللأمة الإسلامية ناسياً علاقات الوطنية حتى لا تكون تورانيا وايرانيا وافغانيا بل رجلا اسلامياً .

ويـعتمد إقبال على أن المسلمين سيحصلون على مقامهم الفاقد بقوة العمل والجهد ، ان شاء الله. فيقول:

شب گریزاں ہوگی آخر جلوۂ خورشید سے یہ چمن منور ہوگا نغمۂ توحید سے'' (٢)

سيـنـور هـذا الليل المظلم بظهور الشمس سيشرق هذا البستان بالهتاف التوحيدي

ويـحـس إقبال هذه الحقيقة أن المسلمين اليوم أكثر حاجة إلى أن يزينوا أنفسهم بقوة الأخوة الإسلامية والمساواة مثل ما كانوا في القرون الأولى .

فيقول:

یہی مقصود فطرت ہے یہی رمز مسلمانی اخوت کی جہانگیری محبت کی فراوانی'' (٣)

وهوية المسلم أن يكون المجتمع الإنسانى مبنياً على الأخوة والمحبة.

ثم يدرسنا بقوله:

ہوس نے کردیا ٹکڑے ٹکڑے انساں کو اخوت کا بیاں ہوجا محبت کی زباں ہوجا'' (٤)

قـد فـرق الـحـرص الإنسان في طبقات فـكن تصريح الأخوة ولسان المؤدة

وهـكذا لاحظنا أن إقبال يبين أوصاف الإسلام وخصائصه بكل وضوح ويوقن بأن كل الرقى والـعـروج لا سبيـل إليهـا إلا الخصائص الحميدة التي أتى بها الإسلام ولهذا يدرسنا أن نختار أوصافه الحميدة بكل القوة. وهكذا أراد شوقي بشعره اتباع الأسوة المحمدية صلى الله عليه وسلم في حياتنا كـلها للفوز والفلاح ، وأن الإسلام دين الفلاح ودين الرحمة ويتضمن كثيراً من الخصائص كما أشار إقبال وشوقي في شعرهما.

١- كليات إقبال (الاردية) بانك درا، ص ٤٨٠.

٢- كليات إقبال (الاردية) بانك درا ، ص٣٣٨.

٣- نفس المرجع ، ص٤٨٠.

٤- نفس المرجع، ص٤٨٣.

- وانـظـر: هـاشـمي ، ايم يعقوب : مقالات ، اقبال عالمي كانگريس ، إقبال اتحاد عالم الإسلامي كا نقب. لاهور، باكستان: ٦٧/٣، ٨٥، ٨٦.

- وانظر: طارق ، عبدالرحمن ، پيام إقبال . لاهور ، باكستان: اقبال اكاديمية ، ص١٩٢- ١٩٤.

الفصل الثامن

القرآن الحكيم والحديث النبوي والسنة النبوية

إن القرآن الكريم هو كلام الله ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي ستبقى إلى الأبد وهو الحجة القاطعة لتحقيق نبوته عليه الصلاة والتسليمات .

والقرآن المجيد أيضاً أعلن بالصراحة عن عظمته وايجازه:

﴿قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اَنْ يَّأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرانِ لَايَأْتُوْنَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيْراً﴾(١)

وهذه الآيات صريحة في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه شيئاً و أن الأمر كله لله وأن في القرآن هدى وتبصرة لقوم يعقلون ، وأصرح من هذا قوله تعالى في سورة العنكبوت :

﴿وَقَالُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ايٰاتٌ مِّنْ رَبِّهِ ، قُلْ إِنَّمَا الايٰاتُ عِنْدَ اللّٰهِ وَإِنَّمَا اَنَا نَذِيْرٌ مُّبِيْن ، أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ اَنَّا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلٰى عَلَيْهِمْ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لِرَحْمَةً وَذِكْرٰى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ﴾(٢)

وقد كان العرب عجزوا عن معارضته و عن الاتيان بسورة واحدة على نهجه ، وقال الله تعالى:

﴿اَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرٰهُ ، قُلْ فَاْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ ، وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ﴾(٣)

وقال سبحان وتعالى:

﴿فَلْيَاْتُوا بِحَدِيْثٍ مِّثْلِهِ اِنْ كَانُوا صٰدِقِيْنَ﴾ (٤)

ونظم شوقي الشعر الديني وذكر في قصائده عظمة القرآن وصيانته وبقاء ه إلى القيامة بكونه نكتة رئيسية للدعوة الإسلامية ، وهو الإيمان به ، ويعلن الشاعر بأبدية هذه المعجزة بين المعجزات .

وفي نهج البردة يذكر أحمد شوقي القرآن الكريم من ناحية البلاغية في الأدب العربي وتأثيراته المعنوية للعصر الحديث ، فيقول:

جاء النبيون بالآيات ، فانصرمت ... وجئتنا بحكيم غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد ... يزينهن جلال العتق والقدم
يكاد في لفظة منه مشرفة ... يوصيك بالحق، والتقوى وبالرحم" (٥)

١- سورة بني إسرائيل ، الآية: ٨٨.

٢- سورة العنكبوت ، الآية: ٥٠، ٥١ .

٣- سورة يونس ، الآية: ٣٨.

٤- سورة الطور ، الآية: ٣٤.

٥- الشوقيات ، ١٩٧/١.

وأما البيت الأخير فيقول على نجدى ناصف عنه :

"وكل ما في البيت الأخير أن القرآن بارع الإيجاز ، حتى تكاد اللفظة منه تتسع لما لا يتسع له إلا الكثير من ألفاظ غيره ، كأنما القرآن ليس فيه سوى الإيحاز أو كأنما ايجازه هو وحده المزية التي لا يجارى فيه ، فإذا لم يكن هذا من القرآن هو بلة إلا صبع من البحر ، أو احتياز اليسير من زبده فما يكون" .(١)

فيبين شوقي عظمة وأوصاف القرآن الحكيم ، بأنه يؤمن أن القرآن فيه آيات بينات ودلائل واضحة وأخبار صادقة ، وآداب عالية . كما قال الله تعالى فيه:

﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (٢)

ثم يذكر أسلوبه ويقول أن أساليب القرآن ليس للإنسان يمكن أن يأتي بمثلها فصاحة وبلاغة. كما يقول الله تعالى:

﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ (٣)

وصفات القرآن الحكيم غير محدودة ، وهو المعجزة الكبرى لا يستطيع أحد أن يجاريه أو يأتي بشيءٍ من مثله، فيقول :

"الذكر آية ربك الكبرى التي ... فيها لباغى المعجزات غناء
صدر البيان له إذا التقت اللُغى ... وتقدم البلغاء والفصحاء
نسخت به التوراة وهي وضيئة ... وتخلف الإنجيل وهو ذكاء
لما تمشى في الحجاز حكيمه ... فُضت عكاظ به وقام حراء
أزرى بمنطق أهله وبيانهم ... وحيٌ يقصِّر دونه البلغاء
حسدو فقالوا : شاعر أو ساحر ... ومن الحسود يكون الاستهزاء
قد نال بالهادى الكريم وبالهدى ... مالم تنل من سئودد سيناء
أمسى كانك من جلالك أمة ... وكأنه من إنسه بيداء
يوحى إليك الفوز في ظلمائه ... متتابعا تجلى به الظلماء" (٤)

ثم انظر إلى قوله:

لما تمشى في الحجاز حكيمه ... فضت عكاظ به وقام حراء

١- علي نجدي، ناصف: الدين والأخلاق في شعر شوقي ، ص٨٢.

٢- سورة هود ، الآية: ١.

٣- سورة فصلت ، الآية:٤٢.

٤- الشوقيات: ٣٧/١.

ويقول على نجدي ناصف عن هذا الشعر:

"فجراء هنا كلمة تطلبها القافية أشد مما تطلبها المقابلة بينها وبين عكاظ ، فلم يكن حراء وحده متنزل القرآن ، ولكنه موضع من مواضع تشاركت في ذلك بخطوط مختلفات، وإنما فضله عليها من هذه الناحية أنه أول موضع نزل فيه قرآن ، وهو قدر من المناسبة لا يرفع المقابلة بينه وبين عكاظ كما ترى إلى مرتبة الكمال " .(١)

ويظهر من أبيات شوقي أنه لم يقم بأداء حق القرآن كما حقه في شعره ، فرأيناه هنا ضيق الأفق كما نلاحظ في قصيدته "نهج البردة " .

وأحمد شوقي يطالع القرآن عن طريق العقل لأنه يتكلم عن محاسنه اللغوية والمعنوية فقط، فذكر القرآن في البردة يسند إلى الدين والأحاسيس القلبية، وشوقي لا يفصل بين القرآن وصاحب القرآن ، فهو يعد أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله وكماله إسناداً إلى القرآن الكريم وشوقي يمزج عظمة القرآن وفضله بمدح النبي صلى الله عليه وسلم ويبين فضيلة القرآن الكريم ببيان فضل النبي صلى الله عليه وسلم وكرمه ، لأنه هو صاحب القرآن ، والقرآن لا يفصل عن صاحبه وقد أشير إلى هذه العلاقة القطعية الدائمة في القرآن الكريم عدة مرات.

١- ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ (٢)
٢- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (٣)
٣- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾(٤)
٤- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ (٥)
٥- ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (٦)

ثم يقول:

آيات حق من الرحمن محدثة   قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا   عن المعاد وعن عاد وعن ارم

ويقول الدكتور زكي مبارك عن هذه الأشعار:

١- على النجدي، ناصف : الدين والأخلاق في شعر شوقي ، ص١٠٧-١٠٨.

٢- سورة الأنعام ، الآية: ١٩.

٣- سورة الحجر، الآية: ٨٧.

٤- سورة الشورى ، الآية:٧.

٥- سورة الشعراء ، الآية:١٩٣-١٩٤.

٦- سورة البقرة ، الآية:١٢٩ . سورة آل عمران ، الآية:١٦٤ . سورة الجمعة ، الآية:٢.

"وفيه إشارة إلى ما اختلف فيه المتكلمون عن قدم القرآن وحدوثه ، وهي إشارة مهمة لا تغنى في دفع ولا تائيد ، والبيت الثاني غير جيد المعنى ، لان أخبار القرآن عن عاد وعن ارم، ليس حجة إلا عند المسلمين ، أما جمهور العالم ، فلم يصدق من أخبار العهود الأولى غير تشهد به الآثار ، فنجد أن هذه الأشعار ضعف ونقض العلاقة القلبية بالقرآن الحكيم ، ولهذا لم يؤدى شوقي حقه القرآن الحكيم كما حقه" . (١)

أما إقبال فكان القرآن في قلبه وروحه و وجدانه وشعوره. وغاية حياته كان تفهيم القرآن كله بشمول أسراره ورموزه ، فبدأ قراء ة القرآن الكريم، وكان إقبال يقرأ القرآن الحكيم بعد صلاة التهجد ويتدبر آياته ويتفكر فيها وتسيل دموعه غزيرة من التأثر والخشوع أمام كتاب الله حتى خادمه الوفي على بخش كان يضع المصحف في الشمس لتجف أوراقه .

فقد اتضح له بعد مطالعته للقرآن الحكيم أن هذا الكتاب يحث على العمل الصالح أي الجهاد بل أنه لا يوضح طريق النجاة في الآخرة فحسب، بل يوضح أيضاً سر الرفعة في حياة الدنيا.

ولقد كانت قراء ة محمد إقبال للقرآن قراء ة تختلف عن قراء ة الناس ولهذه القراء ة الخاصة فضل كبير في تذوقه للقرآن ، وقد حكى قصة لقرأته القرآن، وهذه القصة مذكورة في عدة من الكتب كما أشرنا إليه في الباب الثاني من قبل .

ويقول إقبال:

"وقد كنت تعمدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان أبي يراني، فيسألني ماذا أصنع ؟ فأجيبه بأني أقراء القرآن وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله ، فأجيبه جوابي، وذات يوم قلت له : ما بالك يا أبي ! تسألني نفس السؤال وأجيبك جوابا واحداً ، ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غد؟ فقال: إنما أردت أن أقول لك : يا ولدي ، إقراء القرآن كأنما نزل عليك . (٢)

ولم يزل محمد إقبال إلى آخر عمره يغوص في بحر القرآن ، ويطير في أجوائه ، ويسير في آفاقه ، فيخرج بعلم جديد ، وإيمان جديد ، وإشراق جديد ، وقوة جديدة ، وكلما تقدم دراسته ، واتسع آفاق فكره، إزداد إيمانا بأن القرآن هو كتاب الخالد ، والعلم الأبدي وأساس السعادة ، ومفتاح الأقفال المعقدة وجواب الأسئلة المحيرة ، وأنه دستور الحياة . يرفع الله به أقواما، ويضع به آخرين .

١- زكي مبارك ، الدكتور: الموازنة بين الشعراء ، ص ٢٣٥-٢٣٦ .

٢- الندوي ، أبو الحسن : روائع إقبال، ص ٣٠، ٣١.

- وانظر : النجار ، فهيم قطب الدين: محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي تأثره وتأثيره، ص٩٣.

- وانظر: شعلان ، صاوي علي، الأعظمي ، محمد حسن : الأعلام الخمسة للشعرالإسلامي ، ص ٨.

ويقول في مقطوعة شعرية:

"إنك أيها المسلم لا تزال أسيرا للمتزعمين للدين ، والمحتكرين للعلم ، ولا تستمد حياتك من حكمة القرآن رأسا ، أن الكتاب الذي هو مصدر حياتك ومنبع قوتك ، لا إتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة ، فتقرأ عليك سورة "يس" لتموت بسهولة ، فواعجبا ، قد أصبح الكتاب الذي أنزل ليمنحك الحياة والقوة ، يتلى الآن لتموت براحة وسهولة ".(١)

وتأمل هذه الشعر في هذا الصدد:

به بند صوفى وملا اسيري — حيات از حكمت قرآن نگيري
بآياتش ترا كارے جز اين نيست — كه از يسين ، او آسان ميرى
ز قرآن پيش خود آئينه آويز — دگر گون گشتهٔ از خويش بگرنز
ترازوے بنه كرد از خود را — قيامت هاے پيش را بر انگيز" (٢)
لملا أو لصوفى أسير — وفي القرآن للعيش الكثير
من الآيات ما أدركت شيئاً — ومن ياسين بغتيك الحفير (٣)
لك القرآن كالمرأة فانصب — ونفسك دع إذا غيّرتَ واهرب
لما قدمت ميزانا لتصنع — وفي الماضي قيامات لتطلب" (٤)

ولدى إقبال "القرآن الكريم" هو الأصل للشرعية الإسلامية على أن القرآن ليس مدونة في القانون ، فغرضه الرئيسي أن يبعث في نفس الإنسان أسمى مراتب الشعور بما بينه وبين الله وبين الكون من صلات ، ولا شك في أن القرآن يقرر بعض المبادي والأحكام العامة في الشريعة الإسلامية، وبخاصة فيما يتعلق بنظام الأسرة التي هي الركن الركين للحياة الاجتماعية ، ويقرر القرآن وجوب الجمع بين الدين والدولة وبين الأخلاق والسياسة في تنزيل واحد ، والجدير بالملاحظة في هذا الصدد أن القرآن يعتبر الكون متغيرا، بل هو ينطوي أيضا على عناصر تنزع إلى الابقاء على القديم ، ومن الواضح كذلك أن أسس المبادي التشريعية في القرآن تعمل في حقيقة الأمر كمنبّه للفكر الإنساني ، ولقد كان الرحيل الأول من فقهائنا أكثر أعتماداً على هذه الأسس التي جاء بها القرآن

١- الندوي ، أبو الحسن : روائع إقبال ، ص ٣٢.

٢- كليات إقبال (فارسى) أرمغان حجاز ، ص ١٤٠ .

٣- يدعو إقبال إلى النظر في القرآن الكريم وتدبر آياته البينات التي تهيب بالناس ليحيوا حياة حرة كريمة وتهدي إلى ما تصلح به الدنيا والدين وفيها الوازع عن حياة الخمول والجمود ويسخر ممن لاهم له إلا سورة "يس" فقد جرت العادة بقراء تها في المقابر.

٤- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : هدية الحجاز ، ص ٤٦٤ .

ويرى إقبال كذلك ، أن ما ينادى به الجيل الحاضر من أحرار الفكر في الإسلام ، من تفسير أصول المبادئ التشريعية تفسيرا جديداً ، وعلى ضوء تجاربهم وعلى هدى ما تقلب على حياة العصر من أحوال متغايرة ، وهو رأى له ما يسوغه كل التشويغ . والحق في أن يتهدى بما ورثه من آبائه وأسلافه من غير أن يعوقه ذلك التراث في تفكيره ، وحكمه وحل مشكلاته الخاصة.(١)

وفي ١٩١٧م كتب إقبال في مقال له :

"وإن القرآن يفيض بفرحة الحياة وبالنور ، وليس فيه مكان لتصوف متشائم أو امور مظلمة منقبفه" .(٢)

وهذه الجملة ملفتة للانتباه حقا في ضوء فلسفته المتأخرة ، ففرحة الحياة ، والحماس الخالص لألفاظ القرآن ، كما أوحى بها للنبي صلى الله عليه وسلم ، من أبرز ما يميز رواه وهذا بطبعية الحال يؤدي بنا إلى دور رسول الله في أعمال إقبال.

وجعل إقبال القرآن مصدراً لدعوته لأنه كان يؤمن بالقرآن إيمانا لا حد له وأشار إلى هذا سمير عبدالحميد فقال:

"إن كل ما كان يفكر فيه إقبال كان يفكر فيه بعقل القرآن وكل ما كان يراه كان يراه بعين القرآن ، وكان إقبال شاعر القرآن وقرآن الشعر".(٣)

وإن إقبال ليحمل القرآن في عقله الثاقب ، حمله في قلبه المؤمن ولما كان مفهوم الدين عنده السعي الدائم للفوز والنجاح، اعتمد الدين في نظره على أساس من التجربة ، والحق أنه اتخذ من القرآن جوهراً لكتابه هذا الذي ينطوي على محاضرات ألقاها في مدينة مدراس وحيدر آباد وعليگر، ويرى أن بشعور الإنسان يتسامى القرآن الكريم نحو الرحمن وهذا ما يشكل تلك النزعة التعليمية لكتاب الله التي أعجب بها الشاعر الألماني جوته وهو يتأمل الدين الإسلامي قوة تهذيب. وقد بلغ التهذيب الإسلامي إلى حد الكمال ، لأنه يفقه منه أن القرآن الكريم يصور ما للإنسان من قدرة على الابداع الذي لا ينتهي عند حد ، وماله من روح تسمو به وتنقله من حال إلى أخرى. (٤)

ويقول إقبال:

١- إقبال ، محمد: تجديد التفكير الديني في الإسلام، الترجمة العربية : عباس محمود ، ص ١٩٠-١٩٣.

٢- أنماري، شمل : أسرار العشق المبدع ، في كتابات محمد إقبال ، المحاضرة الخامسة في سلسلة محاضرات مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ص ١٧.

٣- إبراهيم، سمير عبدالحميد ، الدكتور : إقبال و ديوان ارمغان حجاز ، ص٢١.

٤- انظر: المصري، د. حسين مجيب : إقبال والقرآن. القاهرة ، مصر:١٩٧٧م، ص ١٣٤.

از تــلاوت بــر تـو حـق دارد كـتــاب   تـو ازو كـامـے كه مى خواهى بياب (١)
لــكـتـــاب الله حــق ، فــاقــرآن   كــل مـــا تبغيــه منــه فـاطلبـن (٢)

أمـا فـلسـفة إقبـال فجميعها ماخوذة من القرآن الحكيم ، إذا تأملنا أبياته أخذنا أن أساس كل شعره على تعليمات القرآن.

كما يظهر من الأبيات التالية :

آں كتـــاب زنـده ، قـرآن حـكيـم   حـكـمـت او لا يـزال است وقديم
نسـخـــهٔ أســرار تـكـويـن حيـات   بـے ثبـات از قـوتـش گيـرد ثبـات
حــرف او را ريـــب نـے تبـديـل نـے   آيـــه اش شـــرمــنـده تـأويـل نـے
پــختــه تـر سـود اے خـام از زور او   در فتـد بـــاسـنگ جـام از زور او
مـــى بــرد يـــا بــنـدو آزاد آورد   صيــد بــنـدان را بــفـزيـــاد آورد
نــوع انســـان را پيــام آخــريـں   حــامــل او رحـمة لــلعــالـمين
ارج ميـــگيــرد از ونـــا ارجـمـنـد   بـنـده را از سـجـده سـازد سر بلند
رهــزنــاں از حـفـظ او رهبر شـدنـد   از كـتـابـے صـاحـب دفتر شـدنـد
دشـت پيـمـايـاں زتـاب يك چراغ   صـد تـجـلـى از عـلوم اندر دمـا غ
آنـكـه دوش كـوه بـارش برنتافـت   سـطـوت او زهـرهٔ گردوں شگافت
بــنـگـــراں ســرمـايـــهٔ آمـال مـا   گـنـجـد انـدر سينـهٔ اطـفـال مـا" (٣)
الـكـتـاب الـحي والـذكـر الـحكيم   حـكـمة في الـدهـر تبقى لا تـريم
إنّ فيــه ســر تـكـويـن الـحيـــاة   يستـمـدُّ الـنـكـس أيـداً مـن قـواه
لــفـظـــه لا ريـــب أو تبـديـل فيـــه   آية لا لبـــس أو تـــأويـل فيـــه
قــــوة فـيــــه تــشــدُّ الخورا   وبهـا يـرمـي الزجـاج الـحـجـرا
قـطّـع الأشــراك عـن صيـد كسيـر   فـدعـــا الـصيــاد منـه بـالثبـور
ذ ابـــلاغ آخـــر لـــلـمـرسـلـيـن   قـد تـلاه"رحـمة لـلـعـالـمين"
تــرفــع الــخــامـل فيـــه رفـعـة   وتـقيـم الـرأس منـه سـجـــدة
قــاطـعوا لـطـرق هـــداة صيّروا   مـن كـتـاب ، كـم كـتـاب سطّروا
والبـــوادي مـــن ســـراج زهـــرا   قـد أضـــاؤوا بـالـعـلوم الـفـكـرا

١- كليات إقبال ، رموز بے خودى ، ص٢٧٢.
٢- عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار نفي الذات ، ص٢١٦.
٣- كليات إقبال (فارسى) رموز بے خودى ، ص ٢٧٠.

الـــذي يـــصـدع مـنـــه الـجبـل وعـــلـى الأفـلاك مـنـــه وجـل (١)
ذلك اليـــنبـــوع مـــن آمـــالـنـــا قـد حـواه الـصـدر مـن أطـفـالـنـا" (٢)

والـقرآن الكريـم يحكي كثيرا من قصائص الأنبياء كي يرشد به الناس في الأزمان القادمة وفي قـصة كـل الـنبي نـجـد الـحكمة والهداية وطريق النجاة في الدنيا والآخرة . والكتب مملؤة بقصص الأنبيـاء وهـنـاك كثيـر مـن الشـعراء الذين نظموا أشعارهـم مبنيا على تلك القصص وكذلك ذكر إقبال قـصـص الأنبيـاء فـي شعره لإبراز الحقيقة والفرق بين الحق والباطل والأمثال الأبدية لهداية الناس من أسوة الأنبياء السابقين خلال قصصهم .

ويذكر إقبال قصة آدم وخلافته كذلك :

حـــرف أنـــي جـــاعـــل تـقـديـر او از زميـــن تـــا آســـمـــان تـفسير او
مـــن چـــه گـويـم ازيـم بـے ســاحلش غـــرق اعـصـــارو دهــور انـدر دلـش
آنـچـــه در آدم بـگـنـجـد عـالـم است آنـچـه در عـالـم نگنجد آدم است" (٣)
قـــول "إنـــي جـــاعـــل" تـقـديـره بيـــن أرض وســـمـــا تـفسيـــره (٤)
يـــالــــه بـحـــراً بـلا شـط يـفـور قـلـبــه قـد اغـرقـت فيـه الـدهـور
إنـمـــا الإنـســـان دنيـا قـد وسـع هـــذه الـــدنيـــا لـــه لـم تتسـع (٥)

وأشـار إقبـال إلـى قـصة آدم ليثبـت شرف الإنسان ، إن الإنسان يستحق الخلافة في الأرض ، فهـكذا يبين لنا قصة يوسف عليه السلام من القرآن الحكيم ، أن إخوته الذين غاظهم منه أن يؤثره أبوه عـليهـم وذهبـوا به وجعلوه في الجب ، ثم تركوه فيه وقدموا على أبيهم باكين أن الذئب أكله ، ولكن الله نـصر يوسف وأوقاه، حيث مرت بالجب قافلة ، فلما أد لوالد لو فيه تعلق يوسف به وأنجاه الله من الهلكة ، فيبين إقبال تلك الواقعة في أبياته كذلك :

لـــعـــلـهـــا از سـنگ ره آيـد بـرون يـــوسـفـــان روز چـــه آيـد بـــرون
رستـــخيـــزے در كـنـــارش ديـده ام لـــرزه انـــدر كـوهسـارش ديـده ام" (٦)

١- الاشـــارة إلـــى الآية : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ سورة الحشر ، الآية:٢١.

٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور: أسرار نفي الذات ، ص٢١٤ـ ٢١٥.

٣- كليات إقبال(فارسی) جاويد نامه ، ص ١٢٦.

٤- قـال الله تـعالـى في سورة بقرة : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة ، الآية: ٣٠) ومعنى استخلاف الله آدم في الأرض أنه سيكون له سلطان عليها ، وسيتصرف في موادها لاستخدامها لحاجاته.

٥- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ١٦٤.

٦- كليات إقبال (فارسی) جاويد نامه ، ص٦٦.

يظهر الياقوت من صغر الطريق　　يوسف يخرج من جب عميق
ويولي عن ديار من كفر(١)　　ليرى من ذلك الكفر المفر (٢)

ثم يقول قصة يوسف مع أبيه حين أرسل إليه من مصر قميصه و وجد فيه ريح يوسف فارتد إليه بصره الذي كان الحزن قد أذهبه ،وطالما قال شعراء التصوف في هذا المعنى ليرمزوا به إلى ما يعرف لديهم بتلقى الإلهام من عالم الغيب .

إلا أن إقبال يريد بذلك نقيض ما يريد الصوفية ، لأنه يرمز به إلى طلب المعرفة والثقة في الذات واستعداد كل قدرة خفية تكمن فيها.

ويقول إقبال:

نصيب خود زبوے پيرهن گير　　به كنعان نگهت از مصر ويمن گير
خودى صياد و نخچيرش مه ومهر　　اسير بند تدبيرش مه ومهر (٣)
ومن ريح القميص فنل نصيبا　　تنسَّم من ضفاف النيل طيبا (٤)
وذاتك نيّرين بهما تصيد　　ومن تدبيرها لهما القيود (٥)

فهكذا يبين قصة سليمان والنملة التي جاء ت في سورة النمل . فيقول:

جهان غير از تجلى هاے ما نيست　　كه بے ما جلوهٔ نور وصدا نيست
توهم از حجتش يارى طلب كن　　نگه را از خم وپيچش ادب كن
يقين مى دان كه شيران شكارى　　دريں ره خواستند از موريارى (٦)
تجلينا به الدنيا تكون　　بنا نور تجلى أو رنين (٧)

١- في الأصل إشارة إلى إبراهيم عليه السلام وما جاء في سورة الانعام وهو﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الانعام ، الآية : ٧٤).

٢- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ١٦٤ .

٣- كليات إقبال(فارسى) گلشن راز جديد ، ص ٣٠٦.

٤- قال تعالى في سورة يوسف : ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة يوسف ، الآية: ٩٣) وقد أرسل قميص يوسف من مصر إلى أرض كنعان ، ووجد فيه يعقوب رائحة يوسف ، فأرتد إليه بصره.

٥- الترجمة العربية: المصري، د. حسين مجيب : روضة السر الجديد . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد. ١٩٧٧م.ص ٣٨٠.

٦- كليات إقبال (فارسى) گلشن راز جديد، ص٣٠٦.

٧- إقبال لا ينكر الوجود ، بل ما يبدو من مظاهر الموجودات ، وهو يؤكد أثر العقل على ما يقع تحت الحس ، ويشير إلى أن العالم يحمل طابع الإنسان عليه .

ومنها العون في اللأواء جرّب بأحوال لها نظرا فأدب
وأيقن أن أساد الفلاة أرادت عون نمل(١) للنجاة (٢)

ولإيضاح هذا من كلام إقبال نقول أن النملة لما شاهدت جنود سليمان قادمين في العنيف من هجومهم نفرت من وجههم فتبعها نمال غيرها ، وصاحت فيها منبهة محذرة، وبذلك أنجت النمال وأنجت جنود سليمان من ظلم كانوا على أوشك ارتكابه وهم لا يشعرون ، ألا وهو سحق تلك النمال سحقاً. ثم يذكر قصة موسى عليه السلام ومعجزاته بالتفصيل ولا حاجة لنا أن ننقل هذه الواقعة بالتفصيل لشهرتها.

فيتحدث إقبال عن هذه القصة في الأبيات التالية:

"تو شمشيرى زكام خود برون آ برون آ از نيام خود برون آ
نقاب از ممكنات خويشتن بر گير مه و خورشيد و انجم را به بر گير
شب خود روشن از نور يقين كن يد بيضا برون از آستين كن" (٣)
ليشهر منك ذياك الحسام بغمدك لا يطيب لك المقام
وتملك قدرة فارفع نقابا تنل شمسا وبدرا والسحابا
دجاك أنر بأنوار اليقين يداً بيضا(٤)، أظهر للعيون (٥)

وبعد ذلك يبين إقبال قصة رؤية الله على كوه طور ويبين اضطرابه كذلك :

١- هذا مذكور بقوله تعالى في سورة النمل : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمٰنَ جُنُوْدُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ والطَّيْرِ فَهُمْ يُوْزَعُوْنَ حَتّٰى إِذَا أَتَوْا عَلٰى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يٰأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوْا مَسٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٰنُ وَجُنُوْدُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيْ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِيْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلٰى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضٰهُ وَأَدْخِلْنِيْ بِرَحْمَتِكَ فِيْ عِبَادِكَ الصّٰلِحِيْنَ .(سورة النمل، الآية:١٧-١٩)

فلما رأت النملة جنود سليمان فرت منهم فتبعها غيرها وصاحت محذرة منبهة ، وهذا منها شبيه بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم وكأنها بذلك أنجت النّمال كما أنجت جنود سليمان من ظلم كادوا يرتكبونه وهم لا يشعرون وهو سحق تلك النمال ، فعجب سليمان لها على ضعفها كيف كانت سبباً في نجاة جنود من ظلمهم النمال من هلاكها.

- أساد الفلاة : أسود الصحراء ، وهم هنا جنود سليمان.

٢- الترجمة العربية : المصري ، د.حسين مجيب : روضة السر الجديد ، ص٣٨٠.

٣- كليات إقبال (فارسى) گلشن راز جديد ، ص٣٥٠.

٤- الدجى: الليل ، واليد البيضاء : المشعة . قال تعالى في سورة طه : ﴿واضْمُمْ يَدَكَ إِلٰى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوْءٍ آيَةً أُخْرٰى ، لِنُرِيَكَ مِنْ آيٰتِنَا الْكُبْرٰى ، اِذْهَبْ إِلٰى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغٰى﴾ (سورة طه ، الآية: ٢٢-٢٤)

٥- الترجمة العربية : المصري ، د. حسين مجيب : روضة السر الجديد ، ص٤٠١.

"چشـم مـوسی خواست دیدار وجود — ایـں هـمـه از لـذت تحقیق بود
لـن تـرانـی نکتـه هـا دارد دقیـق — اند کے گم شو دریں بحر عمیق
در نـگـر هـنـگـامـهٔ آفـاق را — زحـمـت جلوت مده خلّاق را" (١)
عيـن مـوسـى رؤية الـدنيـا أرادت — وإليهـا رغبة التـحـقيق سـاقـت
(لـن تـرانـى) أنهـا الـمـعـنـى الدقيق — ولتـضـع فـي ذلك البـحـر العميق (٢)
هـذه الآفـاق بـالـعيـن ارمـقـن — وتـجـلـى ربهـا لا تـطـلبـن" (٣)

ويتحدث إقبال عن الأنبياء الآخرين في أشعاره وزين أشعاره بذكر تلك القصص التي جاء ت في القرآن الكريم . وغاية شعر إقبال كان تفهيم القرآن الحكيم بالقلب والروح. وفي الحقيقة كان شعر إقبال تفسير القرآن ، بأن فتح إقبال بصره على القرآن ولقد شرح مفهوم القرآن الكريم للزمان ، ويفسر إقبال القرآن بالمأثور المستقيم في الفهم ، ولا يميل إلى تأويل ولا تمثيل .

وما كان إقبال صاحب فرقة دينية ولا شيخا لطريقة خاصة ليبحث لها عما يؤيدها من براهين في القرآن ، بل كان ذلك المؤقن الذي فهم القرآن ما ينبغي أن يفهم ، فما معنى حرف من معانيه كان منه ولذلك رأى أن تكون الهداية به ، واستلزم قيام الدعوة الإصلاحية في الإسلام على أساس منه(٥) وفلسفة إقبال "الإنسان الكامل " أخذها من القرآن الكريم .أماأولئك الذين يزعمون أن فلسفة إقبال مأخوذة من الفلسفة الغربية . فرأيهم ليس بمصيب. ويبين إقبال لهم أن القرآن هو مصدره الوحيد لكل ما نظم ، وقولهم هذا يدل على جهلهم بالإسلام .

فيقول إقبال:

گـفـت برما بند و افسون فرنگ — هست غوغایش ز قانون فرنگ
ذوق حـق ده ایں خطا اندیش را — اینکه نشناسد متاع خویش را
گـر دلـم آئینـهٔ بے جوهر است — در بحر خم غیر قرآن آمضمر است
اے فروغـت صبح اعصار و دهور — چشم تو بیننـدهٔ ما فی الصدور
پـردهٔ نـامـوس فـکرم چاك کن — ایں خیابان راز خارم پاك کن

١- كليات إقبال(فارسى) جاويد نامه ، ص ١٣٠.

٢- الشاعر يريد قوله تعالى في سورة الاعراف : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف ، الآية: ١٤٣)

٣- الترجمة العربية: المصري ، د. حسين مجيب : رسالة الخلود ، ص ٢٠٢.

٥- المصري ، د. حسين مجيب : إقبال والقرآن ،ص ٢٨٤.

تـنگ کـن رخت حیات اندر برم — اهـل مـلـت را نـگهدار از شرم" (١)

قيل اهدى سحر أو ربة لنا — وبقانون الفرنج افتتنا (٢)

إهدى للحق الذي أفكا — الذي يجعل ما قد ملكا (٣)

إن يكن قلبي غوي لا يبصر — أو سوي القرآن لفظي يضمر

أنت يا من نوره صبح العصور — أنت يا عالم أسرار الصدور

أهتكن أسرار فكري وافضحن — طهرن من شوكتي روض الزمن

وحياتي أقطع لأجل الأمة — واكفين شري أهل الملة" (٤)

ويشير إقبال إلى قوله تعالى:

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾(٥)

ويدعو إقبال المسلمين إلى التمسك بالقرآن . لأنه سبيل الحرية ، ولعله يشير بطرف خفي إلى فهم هذه الآية التي تشير إلى أهل الكتاب من النصارى واليهود والكفار عامة ، وإدراك أخطاء هم ومؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين .

ويقول إقبال:

رشتۀ بالم يكن بايد قوى — تا تو در اقوام بهيمتا شوى" (٦)

"لم يكن" أمسك بها وأشد ديدا — لترى في الناس حراً أوحدا" (٧)

والقرآن الكريم عند إقبال نعمة عظمى للمسلمين ، وهو حبل الله المتين ، من تمسك به نجا ومن أفلته وانحرف عنه هلك .

فيؤكد إقبال أن نمسك كتاب الله ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوة . كما يقول:

اے که از اسرار دیں بیگانه — باريك آئين ساز اگر فرزانۀ

از يك آئينى مسلمان زنده است — پيكر ملت ز قرآن زنده است

ما همه خاك و دل آگاه اوست — اعتصامش كن كه حبل الله اوست

١- كليات إقبال(فارسى) رموزِ خودى ، ص ٣٦٤.

٢- القانون: آلة موسيقية ، وفي كلام تورية بالقانون الذي معناه الشرع .

٣- اهد من ادعى أن فلسفتى مأخوذة من الفرنج ،لأنه يجهل ما في دينه من قوانين.

٤- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص ٢٤٥.

٥- سورة البينة ،الآية: ١ .

٦- كليات إقبال (فارسى) رموزِ خودى ، ص٣٥٦.

٧- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفى الذات ، ص ٢٤٢.

چون گهر در رشتهٔ او سفته شو ورنه مانند غبار آشفته شو" (١)

قد جهلت الدين عنه حائدا الزمن يا حرُّ نهجا واحدا
وحدة الشرع حياة الأمة فمن القرآن روح الملة
نحن طين وهو قلب لا جرم هو حبل الله من شاء اعتصم
فانتظم في سلكه كالدرر أو غباراً في الرياح انتشر" (٢)

ومشيرا إلى قوله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(٣)

وهكذا أعطانا إقبال الدليل الصادق على تأثير القرآن في فكره وثقافته وفلسفته كلها، مما لا يترك مجالا لريب مستريب أبداً .

فدعا إقبال الأمة الإسلامية إلى القرآن الحكيم بكل أخلاص بأنه يتيقن أن نجاة المسلم مضمرة في التعليمات القرآنية ويعترف معترضوا إقبال بداعة فلسفته وكلامه وجهده الذي بذل لإيقاظ شعور الإنسان .(٤)

١- كليات إقبال (فارسي) رموز بے خودی ، ص٢٧٦ .

٢- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص٢١٧-٢١٨ .

٣- سورة آل عمران ، الآية: ١٠٣ .

٤- انظر : حامد ، محمد : أفكار إقبال . لاهور ، باكستان : يناير ١٩٨٦م ، ص ١٠-٣٨ .

- وانظر: صديقي ، شمس الدين ، الدكتور، ومرتضى ، سيد ، الدكتور، وجعفري ، اختر : في "خيابان دانائے راز" تحت عنوان آبروئے ما زمام مصطفى است ، شاه محمد يونس ، سيد . بشاور، باكستان: عدد اكتوبر ١٩٧٧ ، ص ٢٦٤-٢٨٥ .

- وانظر M.S. Rashid , Iqbal and Quran: Published by London and Bostan 1981. p 47-49.

- وانظر : نيازي ، نذير، سيد : انتخاب مقالات إقباليات : إقبال اور قرآن ، اشاريه جرائد (جرنل تا فكرو نظر) ١٩٨٨م ، ماخوذ من ميثاق ، يناير ، فبرائر ١٩٧٤م.

- وانظر: روزنامه مشرق (الجريدة اليومية ، الشرق) علامه إقبال اور قرآن حكيم ، ٢ سبتمبر ١٩٨٨م.

- وانظر: اقبال نامه ، بنام سر راس مسعود ، ٣٦٢/١ .

- وانظر: مقالة : الرحمن ، عتيق : اقبال كى شخصيت اور شاعرى مكاتيب كے آئينے ميں (شخصية إقبال و شاعريته في مرأة مكاتيب) وانظر : عشرت وحيد ، الدكتور : اقبال ٨٤م ، لاهور، باكستان : اقبال اكاديميه ، ١٩٨٦م ، ص٥٠٧-٥١٥ .

- وانظر: المصري ، د.حسين مجيب : اندلس بين شوقي وإقبال . بيروت: ١٩٩٩م ، ص١٣٧ .

- وانظر: وحيد الدين ، سيد : روزگار فقير (الاردية) ، ١٨٧/١ .

- وانظر: عزيز احمد ، أستاذ : أفكار إقبال ، اربع محاضرات حول الدكتور إقبال . سفاة جمهورية باكستان الإسلامية بدمشق ، ص٢٧-٢٨ .

- وانظر : اله آبادى ، بهار : تفسير إقبال . سرينگر ، كشمير : ١٩٨٢م ، ص ١٣-١٦ .

أما الحديث والسنة النبوية صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله أفصح الناس وأبينهم وأحكمهم، وكانت حياته كلّها هداية ونوراً . وأفعاله وأقواله رشدا للعوام والخواص ووجوده كان سراجا منيرا، ولهذا حرص المسلمين على حفظ ذلك الأثر العظيم، فجمعوا كلامه و وصف أفعاله وأحواله الأسفارية الضخام و وعوا منها في صدورهم مالا يدخل تحت حصنه وكلامه صلى الله عليه وسلم منزّه عن اللغو والباطل وإنما كان في توضيح قرآن أو تقرير حكم أو ارشاد إلى خير أو تنفير من شر وفي حكمة ينتفع الناس بها في دينهم ودنياهم بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان بعد القرآن الكريم ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب جداً.

فشوقي يتحدث عن فصاحة الأحاديث، ويذكر أثر القرآن فيه .فيقول:

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة   حديثك الشهد عند الذائق الفهم
حليت من عطل جيد البيان به   في كل منتثر في حسن منتظم
بكل قول كريم أنت قائله   تحي القلوب، وتحي ميت الهمم" (١)

وفي هذا الأبيات يبين شوقي أن حديث النبي صلى الله عليه وسلم عذبة وكريمة وتأثر أثرا كبيرا في قلوب السامعين . وتحي القلوب الموتى، وفيها أصول المعرفة، وآداب المعاملة والسلوك.

وقول شوقي:

أما حديث في العقول فمشرع   والعلم والحكم الغوالى الماء
هو صبغة الفرقان نفحة قدسه   والسين من سوراته والراء
جرت الفصاحة من ينابيع النهى   من دوحه وتفجّر الإنشاء
في بحره للسابحين به على   أدب الحياة وعلمها إرساء
أتت الدهور على سلافته ولم   تفن أسلاف ولا سلا الندما" (٢)

ويقول النجدي ناصف في هذا الصدد:

"فالحديث النبوي صلى الله عليه وسلم مورد للعلم والحكمة، ثم دوحه، ثم ينبوع، ثم بحر، ثم خمر، ما نأخذه على الشاعر في هذه الأبيات الجميلة إلا أنه يشبه عمل الأحاديث الشريفة في نفس قارئيها بعمل الخمر في عقول شاربيها، ويشبه أصحاب روايتها المقطعين لها، لأن المقام أجل، ولأن الخمرة حرام في الإسلام وهي رجس من عمل شيطن ويرى فيها اثم كبيراً، فليس يجوز إذا في مقام المدح لنبي الإسلام أن تشبه بها صفة من صفاته أو حال من أحواله، بل لا يجوز أن تذكر أبدا في مثل هذا المقام إلا على الصورة التي يصورها هو بها، و وفق الرأي الذي يراه هو فيها أيضاً".(٣)

١- الشوقيات: ١/١٩٧.
٢- الشوقيات: ١/٣٧.
٣- علي النجدي ناصف: الدين والأخلاق في شعر شوقي، ص١١٢.

فشوقي يصورلنا صفات الرسول صلى الله عليه وسلم التي كانت له أكبر عون على تحقيق دعوته ، والتي مكنة من أن يحول أمة جاهلة متفرقة إلى دولة إسلامية عزيزة الجانب ، يصور لنا حتى تكون مثلا أعلى يقتدى به المسلمون في حاضرهم ويتخذ من حياة الرسول ما يذكر المسلمين بديتهم المسع وماضيهم المجيد .

فيقول:

بسوى الأمانة في الصبا والصدق لم　　　يعرفه أهل الصدق والأمناء
يامن له الأخلاق ما تهوى العلا　　　منها وما يتعشق الكبراء
والحسن من كرم الوجوه وخيره　　　ما أوتى القواد والزعماء" (١)

فيبين أحسن الصورة لصفات وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول عن الشريعة المحمدية ويؤمن بأنها هي التي تقيم دين الحق وشريعته تبين الفرق الواضح بين الحق والباطل.

بك يا ابن عبدالله قامت سمحة　　　بالحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد وهي حقيقة　　　نادى بها السقراط والقدماء" (٢)

وكان الأخوة والمساواة من المبادئ السامية التي دعا إليها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

فرسمت بعدك للعباد حكومة　　　لا سوقة فيها ولا امراء
الله فوق الخلق فيها وحده　　　والناس تحت لواء ها أكفاء" (٣)

ثم يقول:

والبر عندك ذمة وفريضة　　　لامنة ممنونة وجباء
جاء ت فوحدت الزكوة سبيله　　　حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى　　　فالكل في حق الحياة سواء (٤)

ثم يتحدث عن أثمار الشريعة المحمدية ويثبتها من الحقائق التاريخية، أنه كيف صار الضعفاء والجهال من رعاة الإبل والشاء أغنى الناس بثورة الشريعة المحمدية على صاحبها الصلوة والسلام وصاروا سراة العلم والعدل بهذه الشريعة.

فيقول:

شريعة لك فجرت العقول بها　　　من زافر بصنوف العلم ملتطم

١- الشوقيات: ١/ ٣٥.

٢- الشوقيات: ١/ ٣٨.

٣- الشوقيات : ١/ ٣٨.

٤- الشوقيات: ١/ ٣٨- ٣٩.

وعـلـمـت أمة بـالـقـفـر نـازلة رعـى الـقيـاصـر بعـد الشـاء والنعم
لـلعـلـم والـعـدل والتـمدين مـا عزموا مـن الأمـور ومـا شدّوا مـن الحـزم
سـاروا عـليهـا هـداة الناس فهي بهم إلـى الـفـلاح طريـق واضـح العظم (١)

وهـذا الأمر واضح أن شوقي يريد أن يعرض أسوة حسنة للقوم بكتابة المدح النبوي صلى الله عـليه وسلم ولهذا في أواخر مدحه هو يدعوا الله ورسوله العافية لقومه ويؤمن أن كل نوائب القوم هي بسبب الغفلة من الشريعة المحمدية صلى الله عليه وسلم ، فلهذا يقول :

أدرى رسـول الله أن نـفـوسهـم ركبـت هـواهـا والـقـلـوب هـواء

ثم يقول:

ظـلـمـوا شريـعتك التي نـلـنـا بهـا مـالـم يـنـل في رومة الـفـقهـاء" (٢)

فـفـي الهمزية النبوية أشاد شوقي ببعض شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وبها كذلك توسل للمسلمين وشكا من ضعفهم ، وبعد ذلك عاد إلى الإشادة بالشريعة.

بيـان جـل مـوحيـه وعـلّـم عـزّ مـلهـمـه
حـكيـم الـذكـر بيـن الـكتـا ب مـظهـره وميسـمـه
وكـم لـلـحـق مـن غـاب رسـول الله ضيـعـمـه
لـه الـغـزوات لا تـحـصـى ولا يـحـصـى تـكـرمـه
تـكـاد تـقيـد الأسـرا ء قبـل السيف أنـعـمـه

ثم أشاد بأمانته قبل البعثة في قوله :

أمـين قـريـش مـا اختـلـفـت فـجـاء تـه تـحـكّـمـه
صبيـا بيـن فتيتهـا إليـه الأمـر يـرسـمـه" (٣)

وفـي ذكـرى المولد يمدح "نبي البر" ويذكر المسلمين بتعاليم الرسول وكيف نبهنا إلى طريق المجد وهو الإقدام ، ثم يسأل الله أن يزيل الضر عن المسلمين ويتوسل إلى الله برسوله ، أن يحقق هذا الأمل :

"نبـي البـر بيـنـه سبيـلا وسـن خـلالـه وهـدى الشـعـابـا
وشـافـي الـنـفـس من نـزعـات شـر كشـاف مـن طبـائعـهـا الـذئـابـا
وعـلـمـنـا بـنـاء الـمـجـد حتى أخـذنـا إمـرة الأرض اغتصـابـا
ومـا استـعـصـى عـلـى قـوم مـنـال إذا الإقـدام كـان لهـم ركـابـا

١- الشوقيات: ٢٠٤/١.
٢- الشوقيات : ٤١/١.
٣- الحوفي ، أحمد ، الدكتور : الإسلام في شعر شوقي ، ص ٢٦٥.

سـألـت الله فـي أبـنـاء ديـنـي   فـإن تـكـن الـوسيلة لـي أجـابـا
ومـا لـلمسلمين سواك حصن   إذا مـا الـضـر مسَّهـم ونـابـا" (١)

ثـم أوصـى الـمسلمين أن يتبعوا أسوة الرسول الكريم الحسنة صلى الله عليه وسلم ، لأنه متصف بجميع الصفات الحسنة ، فينبغي لنا أن نتبع أسوته الحسنة في مجالات الحياة كلها.

فيقول:

خـذ بـالـكـتـاب وبـالـحـديـث   وسـيـرة الـسـلـف الـثـقـات
وارجـع إلـى سـنـن الـخـلـيـفـة   واتـبـع نـظـم الـحـيـاة
هـذا رسـول الله لـم   يـنـقـص حـقـوق الأمـهـات
الـعـلـم كـان شـريـعـتـه   لـنـسـائـه الـمـتـفـقـهـات
رضـن الـتـجـارة والـسـيـا   سة والـشـئـون الأخـريـات
روت الـحـديـث وفـسـرت   أي الـكـتـاب الـبـيـنـات
وحـضـارة الإسـلام تـنـطـق   عـن مـكـان الـمـسـلـمـات" (٢)

وكـذلك انتهـز ذكـرى مـولـد الـنبي (٣) صاحب الرسالة التي رفعت من شأن العلم والفكر ، فحض على التعليم ، وبين أن الأمة إذا علمت الفقراء من بينها فإنها قد تجني ثمرات من العزة والمجد، وهـذا كل فيض من ينبوع الخير الذي يخرج من نهر رحمة الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشوقي يـصـورلنا أحسن التصوير بصفات النبي الظاهرية والباطنية وأوصنا لاتباع أسوة الرسول صلى الله عليه وسلم بذهن العاقل وبقلب المؤمن.

وصـاحبـنـا إقبـال كـمـا أخذ فلسفته من القرآن الحكيم ، فكذلك اقتبس كثيراً من أفكاره من السنة الـنبوية الشريفة بأن أحاديث الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم هي الوسيلة العظمى لفهم الشريعة الـمحمدية صلى الله عليه وسلم ، ومن يفهم الشريعة المحمدية صلى الله عليه وسلم يقترب إلى الله سبحانه وتعالى . ومن يقترب إلى الله فهو الشخص الأفضل وهو يعيش حياته بإذن الله ويتبع أسوة رسول الله ويحب العمل في حياته ، فهذا هو أساس فلسفة إقبال .

كما قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الحكيم :

﴿لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيٰتِهٖ وَيُزَكِّيهِمْ﴾(٤)

١- الشوقيات : ١/٧١ ، ٧٢.

٢- الحوفي ، أحمد ، الدكتور: الإسلام في شعر شوقي ، ص١٧٨ .

٣- الشوقيات ، ١/٧٠.

٤- سورة آل عمران ، الآية:١٦٤.

﴿هُوَ الَّذِىْ بَعَثَ فِىْ الأُمِّيّٖنَ رَسُوْلاً مِّنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَيْهِمْ ايَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ﴾ (١)

يرى إقبال أن النبي صلى الله عليه وسلم خير أسوة للناس إلى يوم القيامة ولا يمكن للبشرية الفوز والفلاح إلا باقتفاء أثره المبارك.

يقول إقبال:

"نسخة كونين را ديباچه اوست — جمله عالم بندگان وخواجه اوست" (٢)

هو عنوان كتاب العالمين — سيد الكونين، مولى الثقلين" (٣)

ويقول أبوالحسن عن شعر إقبال في النبي صلى الله عليه وسلم:

"فكان شعر إقبال في النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، من أبلغ أشعاره وأقواها، وكان حشاشه نفسه وعصارة عمله وتجاربه، وكان تصويرا لعصره وتقريرا عن أمته وتعبيرا عن عواطفه".(٤)

وفي معنى حاجة المسلمين إلى التمسك بتعاليم السنة النبوية، يقول إقبال في رموز نفي الذات تحت عنوان "الرسالة".

از رسالت در جهان تكوين ما — از رسالت دين ما آئين ما
آن كه شان اوست يهدى من يريد — از رسالت حلقه گرد ما كشيد
حلقه ملت محيط افزاستے — مركز او وادئ بطحاستے
ماز حكم نسبت او ملتيم — اهل عالم را پيام رحمتيم
از ميان بحر او خير بم ما — مثل موج از هم نميريزيم ما
امتش در حرز ديوار حرم — نعره زن مانند شيران دراجم
معنى حرفم كنى تحقيق اگر — بنگرى باديدهٔ صديق اگر
قوت قلب وجگر گردد و نبي — از خدا محبوب تو گردد نبي
قلب مومن را كتابش قوت است — حكمتش حبل الوريد ملت است" (٥)
بالرسالات بدا تكويننا — شرعنا منها ومنها ديننا
ذاك من "يهدي إليه من يريد" — حلقة منها حوالينا يشيد (٦)

١- سورة الجمعة، الآية:٢.

٢- كليات إقبال (فارسى) أسرار خودي، ص٦٦.

٣- الترجمة العربية: عزام، عبدالوهاب، الدكتور: أسرار أثبات الذات، ص١٤٠.

٤- الندوي، أبو الحسن علي: روائع إقبال، ص١٧٤.

٥- كليات إقبال(فارسى) رموز بے خودى، ص٢٢٨.

٦- إشاره إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ اَنْزَلْنٰهُ ايٰتٍ بَيِّنٰتٍ، وَاَنَّ اللّٰهَ يَهْدِى مَنْ يُرِيْدُ﴾ (سورة الحج، الآية:١٦)

حلقة ذات محيط يعجز   ساحة البطحاء فيها مركز
نحن مما جمعتنا أمة   أرسلت للناس فيها الرحمة
موجنا في بحرها متصل   موجة من موجة لا تفصل
أمة في حرز سور الحرم   في حفاظ مثل "أسد الاجم" (١)
إن تحقق ممعنا في كلمي   نظرة الصديق رب الفهم
فالنبي الروح فينا والعصب   وإلى القلب من الرب أحب (٢)
سفره في القلب نبع القوة   شرعه حبل وريد الأمة" (٣)

ويقول إقبال تحت عنوان "إن حسن سيرة الأمة المسلمة من التأدب بالآداب المحمدية":

"غنچه از شاخسار مصطفى   گل شو از باد بهار مصطفى
از بهارش رنك و بو بايد گرفت   بهره از خلق او بايد گرفت
مرشد رومى چه خوش فرموده است   آنكه يم در قطره اش آسوده است
مگس از ختم الرسل ايام خويش   تكيه كم كن برفن وبرگام خويش
فطرت مسلم سراپا شفقت است   در جهان دست وزبانش رحمت است
آنكه مهتاب از سر انگشتش دونيم   رحمت او عام واخلاقش عظيم
از مقام او اگر دور ايستى   از ميان معشر باليتى" (٤)
أنت كم في فروع المصطفى   فتفتح في ربيع المصطفى
نظرة من روضه فالتمس   وسنا من خلقه فاقتبس
مرشد الروم الذي قطرته   قد حوت بحرا، سمت قولته
لا تجد الحبل من خير البشر   لا تقل عندي فنون وبصر
فطرة المسلم طرا رأفة   قوله والفعل كل رحمة
العظيم الخلق من شق القمر   رحمة عمّت ونور للبشر (٥)

١- "وأسد الأجم" إشارة إلى بيت البردة :

أحل أمته في حرز ملته   كالليث حل مع الأشبال في أجم

٢- وأما ما قال إقبال من أن النبي قد يكون أحب إلى قلوبنا من الرب فلعل قصده به أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرب إلى شعورنا ومشاعرنا لكونه من جنسنا، فالقلب يعشق إليه بسهولة وبأدنى معرفة به بينما الله تبارك وتعالى أحب إلى المؤمنين من كل شيً . فقد قال الله تعالى : ﴿والَّذِينَ آمَنُوا ،وَاشدُّ حُبّا للهِ﴾ (سورة البقرة، الآية:١٦٥) فيمكن أن الرسول أحب كل المسلمين كذلك .

٣- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

٤- كليات إقبال (فارسى) رموز بے بودى ، ص ٢٩٠.

٥- ونسب شق القمر إلى الرسول مجازا والمعنى الحقيقى أن الله تعالى شق القمر معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم .

لسـت مـن مـعشـرنـا فـاعتـزل   إن تـكـن مـنـه بـعيـد المـنـزل" (١)

فـصور إقبال سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الأبيات بأجمل صورة ، ويبين أن من خصائص رسالته تقويم الصلات والعلاقات بين العبد والمعبود ، وقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسوله كـالبشـر الـكـامـل ، فأعطانا دستور الحياة الكاملة لكي نعيش حياتنا تحت هذا الدستور، وبفضل الله دستور نبينا موجود عندنا كسراج منير في ظلمة حياتنا.(٢)

ومـن مـراحـل تـربية الذات لدى إقبال الطاعة والتزام أحكام الشرع وإتباع الرسول المبين أمر لابد منه، كما يأمر الله تعالى به لنفع الإنسانية ونجاتها في الآخرة .

كما قال الله تعالى:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُوْلَ فَقَدْ اَطَاعَ اللّٰه ﴾ (٣)

وقال الله تعالى في موضع آخر:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَولَ المُؤمِنِيْنَ إِذَا دَعُوآ اِلَى اللّٰهِ وَرُسُولِهٖ لِيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ اَنْ يَقُوْلُوْا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا واولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ﴾ (٤)

وقال الله تعالى:

﴿وَمَآ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ اِلَّا لِتُبَينَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوْا فِيْهِ وَهُدًى وَّرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُّؤمِنُوْنَ﴾ (٥)

ويقول إقبال:

بـــاز اے آزاد دستـــور قـــديـــم   زينـت پـا كـن هـمـان زنجيرسم

شـكـوه سـنج سـختـئ آئيـن مشـو   از حـدود مـصـطـفـى بيـرون مـرو" (٦)

ارجـعـن يـــا حــر دستـور قـديم   زيـنـن رجـلـك بـالـقيـد الـوسيـم

شـــدة فـي شـرعـنـا(٧) لا تشـكـون   وحـدود الـمـصـطـفـى لا تعدون" (٨)

وفـي الـديـوان الأسـرار والـرمـوز يبيـن الشاعر أن من مقومات الأمة الإسلامية إتصالها الدائم

١- الترجمة العربية: عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : رموز نفي الذات ، ص٢٢١.

٢- فراقي ، تحسين ، الدكتور : جستجو (الأردية). لاهور : ١٩٨٧م ، ص١٢٠.

٣- سورة النساء ، الآية: ٨٠.

٤- سورة النور ، الآية: ٥١.

٥- سورة النحل ، الآية: ٦٤.

٦- كليات إقبال(فارسى)أسرار خودي، ص١٠٨.

٧- ويـنـصـح الـمسلم بالتزام الشرع واحتمال شدته ، فهذا قانون لا يسعد الإنسان بدونه ، ويقول للمسلم كنت حرا باتباع دستورك القديم فارجع وقيد رجلك بهذا القيد الجميل ، ففي هذا القيد حريتك لا عبوديتك.

٨- الترجمة العربية : عزام ، عبدالوهاب ، الدكتور : أسرار أثبات الذات ، ص١٥٤.

بمحمد صلى الله عليه وسلم يقول في رسالته إلى نيكلسون :

"أن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة للمسلم ، فقد كانت حياته خير مثال للسعي الدائم ، فقد كانت حياته كلها صورة للعمل" . (١)

فشخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شخصية كاملة ، فهو ديباجه كتاب العالمين وسيد العالمين ، ووجوده كربيع وحديثه كالأزهار وسنته كالنور ، فيجب علينا أن نطيع سيرته وحياته في حياتنا للنجاح في العالم الدنيا والعالم الآخرة .(٢)

ونصلى على نبينا محمد صلى اللهعليه وسلم الصلاة والسلام وبالحقيقة حياة المسلم عبارة عن حياة النبي و وجدنا أن أسلوب إقبال الذي استخدم في شعره مادحاً النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يفوق أسلوب شوقي في هذا الصدد ويسود إقبال بمنهجه الرائع على شوقي.

١- انظر مقدمة ديوان الأسراء والرموز من رسالة إقبال إلى نيكلسون، ص١٦.

٢- هاشمي ، شفيق الرحمن ، بروفيسور : إقبال كا تصور دين (الأردية) . لاهور ، باكستان: ص٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٤، ٥٥.

- وانظر: رسالة الخلود (جاويد نامه) ص ٢٣٤، ٢٣٥.

- وانظر : محمد إقبال : تجديد التفكير الديني في الإسلام، الترجمة العربية: عباس محمود ، ص ١٩٦-١٩٧.

- وانظر : الاعظمي محمد حسن ، شعلان ،صا وى علي ، فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند والباكستان. داراحياء الكتب العربية ، ١٩٥٠م . ،ص ١٧١.

خاتمة البحث

هناك أراضي عديدة في الدنيا اشتهرت بالخصائص المتنوعة، بعضها اشتهرت بزراعتها وأخرى امتازت في مجال اللعب وبعضها تفتخر بمبانيها وبعضها اكتسبت شهرة من حيث رجال العلم والفنون والفلاسفة، أما أرض مصر، فهي اكتسبت شهرة من نواحي شتى، لأنها هي مهد العلم والأدب والحضارة والثقافة منذ العصور القديمة، فقد نبغ فيها رجال العلم والأدب، والعالم اعترف لهم الفضل والمجد في ميادين مختلفة من العلوم والفنون، وهؤلاء رجال قد نوّروا المناطق العديدة بنور علمهم وفضلهم، ولاتزال مصر الحديثة تفتخر بهذه الرتبة الرفيعة العالية في العالم العربي وفي العصر الحديث هناك عدة رجال تعد من الشخصيات الجليلة في مجال الأدب، ولا ريب أن أحمد شوقي من أبرزها وأشهرها في العرب، وهو أحد من أعماد الأدب. هو الشاعر الذي مزج القديم بالجديد وأضاف المواضع البديعة إلى الشعر العربي، مكنّه على الرتبة الرفيعة المرموقة في الفن والخيال حتى صار نطاقه أوسع وأشمل، وظهر كزهرة جميله التي عطرت جميع أنحاء مصر من عطرها.

ومن تلك الشخصيات التي تركت آثاراً عميقة في مجال العلم والأدب على المستوى الدولي شخصية إقبال، فقد ظهرت شخصية إقبال على سماء العلم والأدب كالشمس في آخر القرن التاسع عشر و في بداية القرن العشرين ولم تشرق شبه القارة الهندية فحسب بل العالم الإسلامي كله. إن هذا البحث يقوم على أساس دراسة مقارنة لشعر شوقي وإقبال في المديح النبوي صلى الله عليه وسلم.

والمديح النبوي صلى الله عليه وسلم غرض سام من أغراض الشعر عبرالقرون ونجد أوليات الشعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب وكان عمه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وبعد هذا نجد اهتماما خاصا لمدح النبوي صلى الله عليه وسلم عند كل الشاعر. ونجد محب موضوعات المدح النبوي عند الشعراء فيما يلي:

خَلقه صل الله عليه وسلم ، وخُلُقه ، وشعره ، وجسده ،و وجهه ، وسيفه ،ومعراجه ،و اوصافه النبوية ، واوصافه البشرية، و ايفاء ه، ومحبته لكل البشر ،و سخاه كالمطر، عهوده وغيره مثل كذلك.

أما شاعرنا شوقي فقد تناول من تلك الموضوعات . أوصافه خُلقه والخليقه وأوصافه الدعوية/النبوية.

وفي ضمن هذه الموضوعات يعرف شخصية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كرحمة وبركة لكل الإنسان ولديه هو سبب تخليق الكائنات . ويظهر شوقي عقيدته ومحبته لمحمد صلى الله عليه وسلم من كل جوانب ويفضله على سائر الأنبياء عليهم الصلات والسلام .

ويذكر شمائل النبي صلى الله عليه وسلم في قصائده (الهمزية النبوية ، نهج البردة، ذكرى المولد الاولى وذكرى المولد الثانية) بالتفصيل .

ولدى شوقي هذا من فضائل النبي وصفاته الخلقيه أن الله خلقه من قبل تخليق آدم وبعثه من آخر المرسلين وأكمل دينه الإسلام على بعثته ، فهو سيد المرسلين وأحسن الخالقين وأسوته أسوة حسنة لكل الإنسانية إلى يوم القيامة بدون تخصيص مسلم أو غير مسلم ، وهدايته كالنور في ظلمة هالكة ووجودة كرحمة وسعادة بين المسلمين وغير المسلمين وأتم الله نعمته في صورة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقال له سيد البشر، ورحمة للعالمين ، ولا مثيل له في كل حال .

ولدى شوقي جوده عليه الصلاة والسلام أكثر وأعظم ويفضل جود النبي صلى الله عليه وسلم على المطر. ثم يذكر عفو النبي صلى الله عليه وسلم ويقول عفوك ظاهر مبين حتى الجهلاء يعترفون بعفوك وانت تعفو حين تكون قادراً على الانتقام ويكون العدو تحت سيفك. ثم يذكر شوقي غضب النبي صلى الله عليه وسلم فهو للحق دائما ولحماية الدين والدفاع عن الحق ويذكر شوقي شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم فهو كالغضنفر في تقدير شجاعته وهيبته ، وكانت العرب يفتخرون بشجاعتهم وبسالتهم وثباتهم في الحرب ضد العدو ، وانهم لا يخافون من الموت، ثم يذكر شوقي في قصائدهم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان خطيبا مفردا عظيم الثائر في قلوب سامعيه، وكان قاضيا عادلا لايرتاب المحتكون إليه في عدالة حكمه ، وكان عظيم الحفاوة مما يحمي، وعظيم الرعاية لمن يجير ، وكان المثل الأعلى في رعاية حق الإنسان في الحياة والكرامة ، فإذا أمتلك عبداً أو أسيرا بره ورعاه ، وكان رحيما لأصدقائه ، وكان أعظم الناس وفاءً بعهوده ودعوده ، وكان أعظم

الـنـاس هيبتـه في النفوس . وقد أشاد شوقي بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في نهج البردة، فوصفه بالكرم والعلاء ، والبأس. ثم ذكر يتمه ، ورعاية الله له ، وهدايته للناس ، وتعليمه إياهم ، وتحريرهم من أغـلال الـجهـل وكـان هـذا الـعـمـل صـعبا جداً ، كل العرب كانوا مستغرقين في ظلام الكفر وعبادة الأصـنـام ، ولا يـمـكـن لهـم أن يتـركـوا دينهم الذي كانوا عليه بسهولة ، وكان رسول الله يفهم هذه الـحـقيـقة ، فيبـدأ دعـوتـه مـن أسـرتـه ، فـدعاهم إلى دين الحق ، ولا يبالى النبي صلى الله عليه وسلم أقـوالهم، وكان يتوكل على الله وعلى ثبات همته ، وصبر على كل ايذاء أعداه ، وتحمل كل النوائب، وبلّغ رسالة الإسلام بالعزم والتوكل ، فأيده الله وجعل دينه غالبا على كل الأديان العالمية.

وأمـا شاعرنا إقبال فقد تناول موضوعات مدح النبي صلى الله عليه وسلم بكل احترام، وكان قـلـب الشـاعـر يخفق بذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وحب النبي صلى الله عليه وسلم كان يجري كـالـدم فـي روحـه وجسـده ، ولـدى إقبال مقصود ايجاد الخلائق هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكـل العالم الإنساني يدور حول هذا المحور. و يتقين إقبال أنه بعث الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلـم رحـمة لـلـعـالـميـن وخاتم النبيين ومقامه بين الأنبياء كالقمر بين الكواكب وزين الله الأرض والسـمـوت بـوجود نبيه صلى الله عليه وسلم ويقول إقبال أن الشر والضرر والظلمة تتحول إلى الخير والـنـفـع والنور بسبب اخلاق النبي الكريم ويسلك كل إنسان بدون الامتياز في خيط واحد وينمحى آثـار الـظـلم والاستعباد وتغلق أبواب التفاخر بالحسب والنسب ويقوى الضعفاء وداس النبي الكريم الـعبـودية تـحـت أقـدامـه وبـدلـه من قوة العزة والأمن وحطم أصنام الباطل وحرّر الإنسان من عبودية الإنسان وكان هذا إحسانا عظيما على الإنسان .

ثم يذكر إقبال شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم بكل افتخار ، وهو الذي قام في بحر العدواة والبـغض والعناد بقوة الإيمان واليقين وتحمل كل الإيذاء من السباب والفحش والمقاطعة من الكفار بطلق الوجه ولم تهافت قدمه من صراط المستقيم .

ثـم يذكر إقبال هجرة النبي وجهاد النبي صلى الله عليه وسلم يتقين اقبال أن كل خطوته صلى الله عليه وسلم كان إلى صراط المستقيم وإلى سبيل الحق .

وبعد ذكر موضوعاتهما في المدح النبوي ، فندرك أنهما يتفقان في الموضوعات التالية:

ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، البعثة النبوية ، والوحي الرباني، الخوارق والمعجزات، الهجرة النبوية وتأسيس الدولة الإسلامية ، غزوات وجهاد النبي صلى الله عليه وسلم ، أخلاق النبي صل الله عليه وسلم وشمائله ، إسلام وخصائصه ، القرآن الكريم والحديث النبوي.

وفي ولادة الرسول الكريم صور شوقي أن أسماء الرسل في اللوح المحفوظ صحيفة واسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم طغراء لهذه الصحيفة ، ولديه إن الله بشرّ به السماء فأزينت ، وأنعم به على الأرض فتعطرت ، بشيرا بنصرة الحق وهداية البشر وتجميلهم بمكارم الأخلاق ، فهو مولدى الهدى الذي ليس كمثله هدى، الهدى الذي سطع على الكائنات ، فيبين شوقي تصويرا حسنا بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في قصائده.

ولدى إقبال ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم موجب بركاة وسعادة، وقبل ولادته كان العرب كله في فضاء المنافرة والبغضاء ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم جعلهم أسوة مودة وشفقة واختارلهم صبغة التوحيد والرسالة وصاروا نفس واحدة على أساس كلمة التوحيد ونسوا اختلافهم من الحسب والنسب واللون والوطن.

ويظن إقبال وجوده صلى الله عليه وسلم كشمعة الهداية والقمر المنير، ولديه دينه حتف للوطنية والقومية . هو رجل حر من القريش ولكنه لا يفضّل حراً على عبد، وغنيا على فقير ، وعربيا على عجمي ، يجلس مع مولاه على مائدة واحدة ويأكل معه ، ولقد اختلط الأحرار الابيض بالعبيد الأسود ويمحو الفرق بين الغني والفقير.ولاشك أن هذه المؤاخات بسبب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما الهجرة النبوية فتناول شوقي هذه الحادثة بكل الإيمان والسرور وهو يؤمن أن الهجرة كانت ضروريا لبقاء الإسلام ولتأسيس الدولة الإسلامية .

ثم يعرض لنا تصوير سفر النبي صلى الله عليه وسلم خلال هجرة وأحداثها ، ويبين أن الهجرة فتحت أبواب الرحمة والرقى المسلمين ونال المؤمنون مقام العلو والشرف في العالم .

وعلم الكفار أهمية الإسلام والمسلمين وكانت الهجرة النبوية لابد لتأسيس الإسلام ونموها.

ولدى إقبال الإسلام لايتعلق من مقام أومنطقة خاص وأثبت النبي صلى اللهعليه وسلم هذه الحقيقة بالهجرة أن الوطن محدود ومقيد وأن الدين لاحدله ، وأن الأرض كلها لله والإنسان خليفة الله على الأرض.

ثم يذكر هما جهاد النبي صلى الله عليه وسلم وهما يتأكدان أن رفع نبينا سيف في سبيل الحق.

وبعد هذه أشاد شوقي بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في عدة قصائده ويذكر لطف النبي صلى الله عليه وسلم إلى الفقراء، وبره بالمحتاجين، وقال انه وضح سبله للناس، وسنّ لهم دستوره، وهداهم إليه وهو كان الطبيب الذي شفى الناس من داء نفوسهم، ولدى إقبال إتباع أسوته الحسنة هي وسيلة النجاة لعالم الإنسانية في الدارين وأن رحمة الرسول نزل كالمطر على أرض العرب وتغيّرت حالتها وبدّل نظامه الذي أسّس على الظلم والجور والتكبر إلى نظام العدل والمساواة. وأسس النبي صلى الله عليه وسلم المجتمع الإسلامي على الأخوة والمساواة وأعطاه المسلمين دستور الإسلام.

ويبدو من كلامها (شوقي وإقبال) ثقة روحية والحب العميق للإسلام. وهما يفخران على معارك الإسلام في عهد الماضي وهما حزين على أحوال المسلمين في عهد الحاضر ويصدر من اقلامهما شعر الحرية والعزية والعظمة ولم يقنطا من مستقبل المسلمين.

ونجد مماثلة أيضاً بينهما في حب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويظهر تخيلات وعواطف القلوب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كلامهما ونظما اشعار في حبه على نهج البوصيري وكتب البوصيري قصيدته في اثنتا وستين ومئة بيت في كيفية المفلوج، وأعطاه محمد صلى الله عليه وسلم جائزة في منامه البردة، وكتب شوقي تسعين ومئة بيت في ١٩١٠م وسماها "نهج البردة" وكتب إقبال اثنتين عرائض في اللغة الفارسية على نهجه، الأولى "عرض حال مصنف بحضور رحمة للعالمين" تشتمل على اثنتين وستين بيتاً، والثاني "درحضور رسالت مآب" وتشتمل هي على خمسة وستين بيتاً.

ويتفرقان فيما يلي حيث انفرد شوقي:

قال شوقي عدة من الشعر لحصول التظاهر والتفاخر والعزة، وهذه من المحركات لشاعريته، وفي كثير من جوانب شعر شوقي يتردد هذا اللحن الديني وما يتصل به من تمجيد الإسلام وعاش شوقي حياة لهو ولعب ولكنه كان يؤمن بالقيم الإسلامية، فهكذا بدأ نزاع في قلبه بين العمل والنظرية، فحاول شوقي انهاء هذا النزاع فقال الشعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم واعترف

تقصيره وتسيل دموع الندامة عن عينيه.

ويتفرقان فيما يلي حيث انفرد إقبال:

كان كل شعر إقبال مملوءاً بحب النبي وبمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ونجد الموضوعات التالية في شعر إقبال التي لم نجد في شعر شوقي مثل: يذكر إقبال معرفة الذات ويرى إقبال أن معرفة الذات مهما جداً لحياة الإنسان، لأنها هي قوة الإيمان، وهي سبب معرفة النفس التي هي درج السلّم للمعرفة الالهية. ولما يفقد الإنسان هذه النعمة، فكأنه ميت لديه.

ثم يذكر اقبال "الفقر" ويبين معناه في شعره بكل وضوح. والفقر لدى إقبال علم معرفة الأسرار والقوة. وصاحب الفقر لا يخاف من الطاغوت وأصطدم الكفر. ثم نجد ذكر الأمة الإسلامية والوحدة المتكاملة في شعر إقبال.

ثم يصف إقبال صفات المؤمن، ولدى إقبال هو صاحب الارادة والاختيار، والذي يغلب الدنيا ولا تغلبه، ولايهاب الموت بل يبتسم له. ولدى اقبال المسلم حي خالد، لأنه يحمل رسالة خالدة .ويحتضن أمانة خالدة، ويعيش لغاية خالدة.

ثم يدعو إقبال الأمة الإسلامية إلى حب النبي صلى الله عليه وسلم في شعره ويثبت أن حب النبي صلى الله عليه وسلم هو السبيل الواحد للفوز والمجد في الدنيا وللعزة والكرامة في الآخرة. نجدأيضاً حقيقة "عبده" في شعر إقبال، وعبده ليس سوى سر الا الله، أن سره هو لا اله الا الله، أنه سر إلهى، ومعرفته معرفة الله ذاته.

ثم يذكر إقبال مدينة الرسول في شعره ويتخيل إقبال أنه سافر إلى مكة والمدينة لرفعة فكره وشعره العذب وقلبه الحنون وحلّق في أجواء الحجاز. وتحدث إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بما شاء قلبه وحبه، وأخلاصه ووفاءه.

وبعد الذكر موضوعاتهما في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، نذكر الميزات الفنية التي يتصف بها شعر شوقي، فنجد عنده، خصائصه الخصائص التقليدية والخصائص الأصلية.

ولا ريب شوقي كان لبقا في تصريف أغراضه، مدح أناسا ولم يغضب خصومهم ومدح الإسلام وانتقد المسلمين، وأجاد شوقي التركية والفرنسية وأكثر من الاطلاع على ما فيهما من أدب أصيل أومنقول إليهما. وفي شعر شوقي موازنات كثيرة بين الأدبين العربي والغربي من حيث المعاني

والأسلوب . ثم نجد عاطفة في شعر شوقي . ثم إن عاطفته الصادقة السامية تتصف بالقوة ، أما أسلوبه، فعكف شوقي على النماذج العباسية الحية عند أبي نواس والبحترى وأبي تمام والمتنبي والشريف الرضى وأبي فراس وأمثالهم ، وكان اعجابه شديدا بالبحتري والمتنبي خاصة ، وسرعان ما اهتدى إلى أسلوبه ، وهو أسلوب يسلك نفس الدروب التي سلكها البارودي من قبله ، يذكر شوقي التشبيه والاستعارات والأخيلة والصور والمعاني في شعره . ومع ذلك استخدم شوقي في شعره الجناس، الطباق ، حسن النسق، الموسيقى ، القافية والعروبة وإيجاز وأطناب وصنائع وبدائع أيضاً.

ولإقبال ميزات تميزه عن غيره من الشعراء المعاصرين ومنها ـ أسلوبه ـ وكان إقبال شاعراً منفرداً في تاريخ المسلمين كله ، وأنشد أيضا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كشعراء الإسلام الذين سبقوه ويظهر في شعره ولوعة حبه للرسول وكذلك قلقه الشديد لما آل إليه أمرالأمة وكذلك مؤثرات الحضارة الأوربية ، وتصوراتهم لمفهوم الوطنية الضالة ومستعمرات المسلمين وتدهور أحوال الأمة الإسلامية و مخاطبته للرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الأحوال .

نجد العاطفة أيضا في شعر إقبال ، ثم نجد الوزن والقافية والموسيقى والبلاغة والفصاحة في شعر إقبال.

وميزة إقبال خاصة وهي قال إقبال شعره في اللغة الفارسية والأردية أيضا واستخدم ابتكارات التجديد في شعره . ولا يخلو كلام اقبال من رومانية وكلاسيكية هما جز ولا ينفك لشعره، ونجد التشبيهات الجمالية في شعر إقبال منتشرة . وفكره الديني أيضا مملوء بحسن التشبيهات وكان إقبال يحب الجمال والحسن في الكلام نثراً وشعراً ونجد في شعره ميزة إقبال هذه صراحة و واضحة.

وبعد ذكر ميزاتهما فندرك أن شوقي وإقبال مع كون أحدهما شاعراً عربيا والأخر شاعراً أرديا، يتفقان في صدق الحاسة وابتكار الأسلوب ، وجدة المعاني وقوة الإقناع والتأثير في النفوس.

فقد توصلت خلال بحثى إلى نتائج هامة منها :

١ـ أن شوقي و إقبال شاعران معاصران.

٢ـ أن شوقي يحتل مكانة عظيمة في الأدب العربي الحديث وكذا إقبال يحتل مكانة مرموقة من بين شعراء الأردية والفارسية ، أما الذي يجعل إقبال يفوق على صاحبه هو أنه قد ترجم كثير من شعره إلى العربية ونال الإيجاب والتقدير من العرب أجمعه ولم يقدر لشوقي ذلك ، فمع

مكانته السامية في العرب لم يترجم شعره إلى لغة أخرى.

٣- انهما يتفقان في كثير من الموضوعات والأغراض الشعرية وخاصة في موضوعات المدح النبوي .

٤- إن دراسة متانية لشعر كل من شوقي وإقبال يضمن الأمة العودة إلى ما فيها الذهبي التليد.

٥- إن شعرهما تعبير صادق عن أحوال الأمة المسلمة وأسباب ضعفها ، وشعرهما رسالة صادقة للأمة الإسلامية للتقدم والنجاح في جميع المجالات.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة ال عمران

سورة الأعراف

سورة الانفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	كتب احكمت .... حكيم خبير	١	٤٧٣
٢-	يابراهيم اعرض عن هذا	٧٦	١٦٧

سورة يوسف

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	لاتثريب عليكم اليوم	٩٢	٢٣٤، ٤٧٠
٢-	اذهبوا بقميصى هذا .... باهلكم اجمعين	٩٣	٤٨٠، ٤٨١

سورة الرعد

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	ولكل قوم هاد	٧	٣٥٩
٢-	ويسبّح الرعد بحمده	١٣	١٣٧
٣-	وان ما نرينك ....وعلينا الحساب	٤٠	٣٦٨

سورة ابراهيم

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	قالت لهم رسلهم ....من يشآء من عباده	١١	٣٦٨
٢-	ربنآ انى اسكنت ....عند بيتك المحرم	٣٧	٣٧٩

سورة الحجر

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	ولقد اتينك سبعا من المثانى	٨٧	١٦٤، ٤٧٤
٢-	فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين	٩٤	٤٢٥

سورة النحل

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	وما انزلنا عليك الكتب ...... لقوم يؤمنون	٦٤	٤٩١
٢-	واوحى ربك الى النحل..........مما يعرشون	٦٨	٣٦٦

سورة الاسراء

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١ـ	سبحن الذى اسرى بعبده...... انه هو السميع البصير	١	٣٧٩، ٣٨٥، ٤٥٣
٢ـ	تسبح له السموت......انه كان حليما غفورا	٤٤	١٣٧
٣ـ	ولقد كرمنا بنى ادم	٧٠	٤٦٧
٤ـ	ولولا ان ثبتنك ....شيئا قليلا	٧٤	٤٢٦
٥ـ	جآء الحق وزهق الباطل...... كان زهوقا	٨١	٤٥٣، ٤٦٤
٦ـ	قل لئن اجتمعت............لبعض ظهيرا	٨٨	٤٧٢
٧ـ	وما جعلنا الرؤيا التي ارينـاك إلا فتنة للناس	٦٠	٣٧٥، ٣٨٨

سورة مريم

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١ـ	يٰزكريا انا نبشرك بغلم	٧	١٦٧
٢ـ	يىحيٰ خذ الكتب بقوة	١٢	١٦٧

سورة طه

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١ـ	وانا اخترتك فاستمع لما يوحى	١٣	٣٦٧
٢ـ	وما تلك بيمينك يموسى	١٧	١٦٧
٣ـ	واضم يدك الى جناحك .... انه طغى	٢٠ـ٢٤	٤٨١
٤ـ	قلنا لا تخف انك انت الاعلى	٦٨	٢٦٨، ٢٨٦
٥ـ	ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى	١٢٢	١٣١

سورة الانبياء

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١ـ	وسخرنا مع داؤد .... وكنا فعلين	٧٩	١٣٧
٢ـ	وما ارسلنك الا رحمة للعلمين	١٠٧	١٦٢، ١٦٣، ٢٣٤، ٣٧٤

سورة القصص

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	انك لا تهدى ....هو اعلم بالمهتدين	٥٦	٣٦٨
٢-	وما كنت ترجوآ ....ظهيراً للكفرين	٨٦	٣٦٨

سورة العنكبوت

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	ولا تجادلوا أهل الكتاب ....بالتى هى احسن	٤٦	٤٥٩
٢-	انما الايات عندالله ....لقوم يؤمنون	٥٠-٥١	٤٧٢

سورة الأحزاب

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة	٢١	٤٤٥
٢-	تحيتهم يوم يلقونه سلم	٤٤	٤٣٥
٣-	يآيها النبى انا ارسلنك ....سراجا منيرا	٤٥-٤٦	١٦٣،٣٧٦
٤-	ان الله وملئكته يصلون على النبى......وسلموا تسليماً	٥٦	١٦٤،٢٨٧
٥-	انا عرضنا الامانة ......كان ظلوما جهولا	٧٢	١٣١

سورة يٰسٓ

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	يٰسٓ ، والقرآن الحكيم...... فهم لايبصرون	١	٤١٥
٢-	انك لمن المرسلين	٢	٤١٥

سورة الصافات

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	ونادينه اَن يا براهيم	١٠٤	١٦٧

سورة فصلت

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	لا ياتيه الباطل .... من حكيم حميد	٤٢	٤٧٣

سورة الشورى

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا ومن حولها	٧	٤٧٤
٢-	اللّه يجتبيَ اللّه من يشاء	١٣	٣٦٧

سورة محمد

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللّه ......ويثبت اقدامكم	١-٧	٤٢٧
٢-	فلا تهنوا وتدعوا ....لن يتركم اعمالكم	٣٥	٤٢٧

سورة الفتح

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	محمد رسول اللّه والذين معه......رحمآء بينهم	٢٩	٢٧١

سورة الحجرات

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	وان طائفتان .... لعلكم ترحمون	٩-١٠	٤٢٩
٢-	يايها الناس انا خلقنكم .... ان اللّه عليم خبير	١٣	٢٦٣،٣٦٤، ٤٧٦

سورة الطور

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	فلياتوا بحديث............إن كانوا صادقين	٣٣-٣٤	٤٧٢

سورة النجم

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى	٩	٣٩٧
٢-	فاوحى الى عبده مآ اوحى	١٠	٣٧٩
٣-	ما كذب الفؤاد ما راى	١١	٣٨٧
٤-	والنجم اذا هوى............ افتمرونه على ما يرى	١-١٢	٣٨٤، ٣٨٧
٥-	راهُ نزلةً أُخرى	١٣	٣٨٧، ٢٨٥

سورة الرحمن

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة الجمعة

سورة المنافقون

سورة التحريم

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	يايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم	٩	٤٢٩

سورة القلم

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	وانك لعلى خلق عظيم	٤	١٦٥، ٢٣٣، ٤٤٦

سورة المعارج

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	من الله ذى المعارج	٣	٣٨٤
٢-	انا لقدرون على ....وما نحن بمسبوقين	٤٠- ٤١	١٣٢

سورة المزمل

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	يا ايها المزمل	١	١٦٧

سورة النازعات

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	وان إلى ربك المنتهى	٤٤	٤٠٠

سورة التكوير

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	انه لقول رسول كريم.......... بقول شيطن رجيم	١٩-٢٥	٣٨٤، ٣٨٨

سورة الاعلى

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	الذى خلق فسوى والذى قدّر فهدى	٢-٣	٤٥٣

سورة التين

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم	٤	٢٨١

سورة العلق

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	اقرأ باسم ربك الذى خلق ...... الذى علم بالقلم	١-٤	٣٦١

سورة البيّنة

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	لم يكن الذين كفروا..........تأتيهم البيّنة	١	٤٨٣
٢-	رضى الله عنهم ورضوا عنه	٨	٢٧٢،٤٣٣

سورة الكوثر

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	انا اعطينك الكوثر	١	١٦٤
٢-	إن شانئك هو الابتر	٣	١٦٤

سورة لهب

	الآيات	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	تبت يدآ ابى لهب ....حبل من مسد	١-٥	٤١٧،٤٢٥

فهرس الأحاديث النبوية

كان النبي أشد حياء من العذرا في خدرها ، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفنا في وجهه ٢٣٢

رجعنا من الجهاد الاصغر إلى الجهاد الأكبر. قالوا : وما الجهاد الأكبر يا رسول الله ! . قال : جهاد بالنفس . ٢٥٦

إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا. واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم ٣٦٠

فهرس الأعلام

فهارس الأماكن

فهرس المصادر والمراجع

الكتب العربية

١ـ آزاد ، ابو الكلام، (مولانا) : ترجمان القرآن . الطبعة الرابعة . لاهور ، باكستان: ١٩٨٩م.

٢ـ ابراهيم ، سمير عبدالحميد :

iـ اقبال وديوان هدية الحجاز . الطبعة الأولى. لاهور: المكتبة العلمية ١٥ شارع مدرسة البنات ، ١٩٨٦م.

iiـ ديوان الاسرار والرموز . الطبعة الأولى ، لاهور: مكتبة العلمية ١٥ شارع مدرسة البنات، ١٩٧٨م.

٣ـ ابراهيم ، (حافظ) : ديوان حافظ ابراهيم . مصر ، الجزء الأول في سنة ١٩٣٩م، والجزء الثاني في سنة ١٩٤٣م.

٤ـ ابراهيم ، محمد اسماعيل: الصلوات على النبي . الطبعة الثامنة . مصر: مطبعة الاعتماد ؛ ١٣٧٠هـ /١٩٥١م.

٥ـ ابن الأثير ، عزالدين علي الجزري ، (الحافظ): أسد الغابة في معرفة الصحابة . طهران : المطبعة الاسلامية . الجزء الأول والجزء الثاني١٣٨٥هـ ، والجزء الثالث والرابع ١٣٨٦هـ.

٦ـ ابن ادريس ، عبدالرحمن ، عبدالله : الأدب والنصوص . الطبعة السابعة ، جدة : دار الاصفهاني وشركانه للطباعة، ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م.

٧ـ ابن سلام : طبقات الشعراء . ط : القاهرة.

٨ـ ابن جرير،الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن . بيروت : دار المعرفة .

٩ـ ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي : العلل المتناهية في الأحاديث الواهية . الطبعة الأولى . لاهور، باكستان : دار نشر الكتب الإسلامية ، ١٩٧٩م.

١٠ـ ابن سعد : طبقات الكبرى. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر دار صادر بيروت . ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

١١ـ ابن عبدالبر، ابو عمر يوسف بن عبدالله ، (الحافظ): الاستيعاب في معرفة الاصحاب. حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٩٣٦م.

١٢ـ ابـن عبـدربـه ، شهـاب الـديـن أحمد أندلسي: العقد الفريد . مصر: مطبعة الازهر. ١٣٤٦هـ /١٩٢٨م .

١٣ـ ابـن عبـدالـوهـاب ، عبدالله بن الشيخ : مختصر سيرة الرسول. الطبعة الأولى. لاهور: جامعة العلوم الاثر، المكتبة السلفية . ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.

١٤ـ ابن عساكر : تهذيب تاريخ دمشق الكبرى. بيروت : دار الميسرة، ١٩٧٩م.

١٥ـ ابـن قتيبة ، أبـو مـحـمـد عبـدالله بـن مسلم : الشعر والشعراء. بيروت، لبنان: دار الثقافة للنشر والتوزيع . بدون التاريخ.

١٦ـ ابن قيم ، (الامام) : زاد المعاد . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٩٨٥م.

١٧ـ ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل ، (الإمام) :

i ـ السيرة النبوية . بيروت، لبنان : دار احياء التراث العربي ، بدون التاريخ.

ii ـ البـداية والـنهـاية . الـطبعة الأولى . لاهور ، باكستان : المكتبة القدوسية . أهل الحديث ماركيت اردو بازار. ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م.

١٨ـ ابن هشام : سيرة النبي . بيروت : ١٩٦٩م.

١٩ـ ابـو الـحسنـات ، قـطب الدين أحمد: ديوان بديع البيان لعلي عليه السلام ، الترجمة الأردية. كانبور : المطبع المجيدي . ١٣٤١هـ.

٢٠ـ أبـو شـادي ، زكـي أحـمـد ، شـوقـي أحمد: اعلام الشعر العربي الحديث . بيروت : المكتبة التجارية للطباعة والنشروالتوزيع .

٢١ـ احسـان حـقـي ، (الـدكـتـور): نـداء إقبال ، مؤتمر اقبال بدمشق . الطبعة الأولى. دمشق : دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر . ١٩٨٦م.

٢٢ـ أحـمـد أميـن ، طـه حسيـن: المنتخب من الأدب العربي . القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق . ١٩٣٤م.

٢٣ـ أحـمـد تـوفيـق ، (الـدكتور) : الصلوة والسلام . لاهور : مكتبة جديد بريس ٤ فاطمه جناح . بدون التاريخ .

٢٤ـ أحـمـد سـعـيـد والآخرون: نحبة من آراء مفكري العرب دول محمد إقبال. القاهرة : السفارة الباكستانية . بدون التاريخ .

٢٥ـ احمد بن محمد : المواهب الدينية . بيروت: المكتب الإسلامي . ١٣٧٣هـ/١٩٩١م.

٢٦ـ أحمد ، عبدالوهاب : اثنا عشر عاما في صحبة امير الشعراء . القاهرة : مصر.١٩٣٢م.

٢٧ـ احمد معوض ، (الدكتور) : العلامة محمد إقبال ، حياته وآثاره . مصر: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٨٠م .

٢٨ـ الاسـكـنـدري ، أحـمـد ، (الـعـلامة) : تـاريـخ الأدب العربي وتاريخه . مصر: دار المعارف . ١٣٣٥هـ/١٩١٦م .

٢٩ـ الاصفهاني ، راغب ، (الامام) : محاضرات الأدباء . ط : القاهرة ، بدون التاريخ.

٣٠ـ أظهر ، ظهور أحمد ، (الدكتور) :

i ــ إقبـال الـعـرب عـلـى دراســات إقبــال . لاهـور : الـمكتبة العلمية . ١٥ شـارع مدرسة البنات،١٩٧٧م.

ii ـ حياة إقبال ، لاهور ، باكستان : مطبعة إقبال أكادمي ١٩٨٥م.

٣١ـ الاعشـى ، أبـو بـصيـر ميـمـون بـن قيس : الصبح المنير في شعر أبي بصير . مطبعة آدلف هلز معوسن ببانة. ١٩٢٧م .

٣٢ـ الاعظمي ، محمد حسن ،و الشعلان ، الصاوي علي ، الشيخ :

i ـ الحياة والموت في فلسفة إقبال (بالعربية والأردية) . كراتشي ، باكستان: ١٩٦٩م.

ii ــ فـلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند والباكستان . الطبعة الأولى . القاهرة: دار احياء الكتب العربية . ١٩٥٠م ، الطبعة الثانية ، دمشق : دار الفكر . ١٩٧٥م.

iii ـ الاعلام الخمسة للشعر الإسلامي . القاهرة : دار احياء الكتب العربية . بدون التاريخ.

iv ــ الـلألي الإسلامية الغالية ، من أفكار إقبال وسعدي العالية .(العربية والاردية) . كراتشي، باكستان : عالمي تنظيم اتحاد العالم الإسلامي.

٣٣ـ أكـرم ، مـحمد أحمد علي ، (الحافظ): الأمة الإسلامية العربية في شعر محمد إقبال. القاهرة: ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م.

٣٤- الأميري ، عمر بهاء الدين : في رحاب الفكر الإسلامي العظيم إقبال والزبيري. مطبعة جدة ، الرياض : سفارة جمهورية باكستان الاسلامية . ١٤٠٨هـ .

٣٥- أنماري ، شمل : أسرار العشق المبدع ، في كتابات محمد إقبال المحاضرة الخامسة في سلسلة محاضرات مؤسسة الفرقان للثرات الإسلامي . لندن : متحف فيكتوريا وألبرت الملكي. ١١نومبر ١٩٩٦م.

٣٦- ايلتاني ، محمد : محمد إقبال ، مفكراً اسلاميا. مطبعة . النجاح الجديدة . الدار البيضاء ، ط.دار الثقافة . ١٩٧٨م .

٣٧- ايلياوي : أعلام الشعر العربي الحديث. الطبعة الأولى . بيروت : المكتبة التجارية للطباعة والنشر. ١٩٧٠م.

٣٨- باني بتي ، محمد إسماعيل ، الشيخ : تذكرة الشعراء المتغزلين . لاهور : مطبوعة نقوش ، المعهد رواج الاردية .١٩٥٦م.

٣٩- بدايوني ، نظامي : قاموس المشاهير. ١٩٢٣م.

٤٠- البرعي ، عبدالرحيم بن أحمد : ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية . مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . ١١يونيو ١٩٥٠م.

٤١- بروكلمان ، كارل : تاريخ أدب العربي . مصر : دار المعارف .

٤٢- البعلبكي ، منير : حياة محمد ورسالته . الطبعة الثانية . بيروت: دار العلم للملايين . ١٩٦٧م.

٤٣- بك ، شوقي أحمد : الشوقيات . الطبعة الثانية . مصر: مطبعة الاصلاح شارع محمد علي. ١٣٢٥هـ/١٩١١م.

٤٤- بك ، شوقي احمد : دول العرب وعلماء الإسلام . مصر : ١٩٣٣م.

٤٥- بك ، مردم الخليل : محاضرات خليل في انشاء العربي . سوريا ، دمشق: شارع مسلم البارودي. بدون التاريخ .

٤٦- بهجت أحمد : انبياء الله . الطبعة الثالثة . القاهرة : دار الشرق . ابريل ١٩٧٥م.

٤٧- البوصيري ، شرف الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد : ديوان البوصيري . الطبعة الأولى. مصر: شركة مكتبة والمطبعة المصطفى البابي الحلبي . ١٩٥٥م.

٤٨- البيهقي : دلائل النبوة . القاهرة : دار النصر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، ١٣شارع سعد الله بالدرب الاحمر . ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٤٩- تفضل علي ، (السيد) :

أ ـ لمحة عن حياة إقبال. القاهرة : قسم الصحافة والاستقلات سفارة باكستان.١٩٥٦م.

ii ـ إقبال ، رائد من رواد الحركة الإسلامية. القاهرة:قسم الصحافة والاستقلات سفارة باكستان.

٥٠- الجبور ، عبدالنور : المعجم الأدبي ، بيروت : دار العلم للملايين.

٥١- جلوآنوي ، غلام محمد: مديحة النبي . فيصل آباد: محمد يار وتو كتب خانه دهدى والا ، ١٢٨١هـ/١٩٧٨م.

٥٢- جمال الدين ، محمد سعيد ، (الدكتور) : رسالة الخلود .(شرح جاويد نامه) . القاهرة: مطبع سجل العرب . رقم الابداع بدار الكتب .١٩٧٤م.

٥٣- الجوهري ، عبداللطيف : مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية. الطبعة الأولى ، مصر : مكتبة النور، ٥ شارع الأهرام ، اوكسى . ١٩٨٦م.

٥٤- الحاوي ، ايليا : أحمد شوقي أمير الشعراء . الطبعة الثانية . بيروت: دار الكتاب اللبناني. ١٩٨٠م.

٥٥- حسين ، امجد، والآخرون : نخبة من آراء مفكري العرب دول محمد إقبال. القاهرة : سفارة باكستانية . بدون التاريخ .

٥٦- حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت . بيروت: دار بيروت للطباع والنشر ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٥٧- حسب ارشاد : مولود النبي . لاهور ، باكستان : ملك دين محمد تاجر كتب ، السوق الكاشميري . ١٩٢٦م.

٥٨- خان، مفتي أحمد يار ، الحاج: شان حبيب الرحمن من آيات القرآن . كراتشي: ازهر بكدبو، آرام باغ . بدون التاريخ.

٥٩- الخطيب ، عبدالحميد ، السيد : في حب الله ورسوله (مجموعة قصائد). الطبعة الرابعة . مصر: مطابع دار الكتاب العربي. ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

٦٠- خليل الرحمن ، عبدالرحمن : محمد إقبال وموقفه من الحضارة العربية . الطبعة الأولى. مكتة المكرمة : دار حراء . ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٦١- دروزه ، محمد عزه : سيرة الرسول . مصر: عيسى البابى الحلبي وشركاه. ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

٦٢- الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثماني، (الامام): الاعلام النبلاء . الطبعة الاولى. مصر:شركة مكتبة والمطبعة المصطفى البابي الحلبي . بدون التاريخ.

٦٣- الرافعي ، مصطفى صادق : تاريخ آداب العرب. ط . القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية . بدون التاريخ.

٦٤- الريحاني ، (الأستاذ) : العربية وشاعرها الاكبر . مصر: مطبعة المعارف ومكتبها. ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م.

٦٥- الزركلي ، خير الدين :

i- الأعلام . الطبعة السابعة . بيروت ، لبنان : دار العلم للملايين . مايو ١٩٨٦م.

ii- قاموس تراجم لا شهر الرجل والنساء من العرب والمتوبين والمستشرقين . الطبعة السابعة، بيروت ، لبنان: دار العلم للملايين ، مايو ١٩٨٦م.

٦٦- زكي مبارك ، (الدكتور) :

i- المدائح النبوية في الأدب العربي . مصر : مصطفى البابي الحلبي وأولاده . ١٩٣٥م.

ii- ديوان زكي مبارك . الطبعة الأولى. القاهرة : مكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي، مطبعة حجازي بحوار قسم الجمالية. ١٩٣٣م.

٦٧- الزمخشري ، جارالله محمود بن عمر ، (الامام) : تفسير الزمخشري. بيروت، لبنان : دار الكتب العربي ، بدون التاريخ .

٦٨- زهير ظاظا، (الأستاذ): جناح جبريل . لاهور ، باكستان: دار الإقبال للطباعة والنشر . ١٩٨٩م.

٦٩- الـزيـات ، أحـمـد حسـن : تاريخ الأدب العربي . لبنان : مكتبة الأنجلوالمصرية . ١٦٥ شارع محمد بك فريد. بدون التاريخ.

٧٠- السبـكـي ، أبـو نـصـر عبـدالـوهـاب : طبـقـات الشافعية الكبرى. مصر : المطبعة الحسينية . ١٣٣٤هـ .

٧١- السريوني ، محمد صبرى : الشوقيات المجهولة . مصر : دار الكتب. ١٩٦١م- ١٩٦٢م.

٧٢- سـعيـد ، أحـمد امجد حسين ، (الدكتور) : شاعر الشرق محمد إقبال. الطبعة الأولى . مصر، القاهرة: سفارة جمهورية باكستان ١٩٩٧م.

٧٣- السـعيـد ، جـمـال الـديـن ، سعيد ، احمد ، امجد حسين: نخبة من آراء مفكري العرب حول محمد إقبال . القاهرة : سفارة باكستانية ،بدون التاريخ .

٧٤- سـميـع ، عـاطف الزين : قصص الأنبياء في القرآن الكريم المختار من مجمع البيان الحديث، خاتم النبيين محمد . بيروت ، لبنان : دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة .١٩٨٢م.

٧٥- السهيلي ، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن احمد بن أبي الحسن الخثمي : السيرة النبوية لابـن هشـام ومـع تـفسيـر احـاديـث الـروض الأنف . مـلتان ، باكستان : المكتبة الفاروقية. ١٣٧٧هـ /١٩٧٥م.

٧٦- سيد علي : ديوان علي بن أبي طالب . كانبور : المطبع المجيدي. ١٣٤١هـ.

٧٧- السيـوطـي: جـلال الـديـن عبـدالـرحمن ، (الإمام): الخصائص الكبرى. بيروت : دار الكتب العلمية ١٣٢٠هـ ، حيدر آباد ، دكن ، دهلي :المطبع المحتسباني. ١٣٧٨هـ .

٧٨- شـاه ولـي الله ، ابـن عبـدالـرحيـم الـدهـلوي : حجة الله البالغة . القاهرة ، بغداد : دار الكتب الحديثة ومكتبة المثنى . بدون التاريخ .

٧٩- شـــــرارة ، عـبـدالـلـطيف : شعراؤنا شوقي . بيروت : دار صادر داربيروت للطباعة والنشر. ١٩٦١م.

٨٠- شـفيـع ، شيـخ مـحـمـد ، (مـولانـا) : نـفـحـات . كـراتشي ، بـاكستـان : دار المعـارف . رجب١٣٩٣هـ.

٨١ـ الصالحي ، محمد بن يوسف ،(الامام): سبل الهدى والرشاد . بيروت : دار الكتب العلمية. ١٩٩٣م.

٨٢ـ الضبي ، أحمد بن محمد بن الحسن : ديوان الصنوبري . بيروت ، لبنان : دار الثقافة . ١٩٧٠م.

٨٣ـ الضيف ، شوقي ، (الدكتور) :

i ـ الأدب العربي المعاصر في مصر. الطبعة الثامنة . القاهرة : دار المعارف ١١٩ كورينش النيل. بدون التاريخ.

ii ـ شوقي شاعر العصر الحديث . مصر : دار المعارف . بدون التاريخ .

iii ـ تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي . القاهرة : دار المعارف ١١٩ كورينش النيل. ١٩٦٣م.

٨٤ـ iv ـ فصول في الشعر ونقده . الطبعة الثالثة . مصر : دار المعارف . بدون التاريخ.

٨٥ـ الطبري ، أبو جعفرمحمد بن جرير : تاريخ الطبري ،(حققه محمود محمد شاكر)، مصر، القاهرة: دار المعارف . ١٩٦٠م.

٨٦ـ الطرازي ، عبدالله مبشر ، (الدكتور) : المفكر الإسلامي الكبير العلامة الدكتور محمد إقبال . جدة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٨٧ـ طه حسين ، أحمد أمين : المنتخب من الأدب العربي . القاهرة : المطبعة الأميرية ببولاق، ١٩٣٤م.

٨٨ـ طه حسين : من حديث الشعر والنثر . مصر : دار المعارف. ١٩٥٧م.

٨٩ـ طه حسين ، (الدكتور):

i ـ إقبال شاعر فرض نفسه على الدنيا وعلى الزمان . مطبعة القاهرة : قسم الصحافة والاستقلات سفارة باكستان . ١٩٥٦م.

ii ـ في الشعر الجاهلي. القاهرة: قسم الصحافة والاستقلات سفارة باكستان.

iii ـ حافظ وشوقي . الطبعة الأولى . مصر: مطبعة الاعتماد. ١٩٢٣م.

٩٠- طه وادي، (الدكتور):

i ـ شعر شوقي الغنائي والمسرحي. الطبعة الخامسة . القاهرة : دار المعارف ١١٩ كورينش النيل .

ii ـ الشعر والشعراء المجهولون . الطبعة الثالثة ، القاهرة : دار المعارف ١١٩ كورينش النيل.١٩٩٥م.

٩١- عباس حسن : المتنبي وشوقي. القاهرة : دار المعارف بمصر. ١٩٦٤م.

٩٢- عباس ، محمود: التجديد التفكير الديني في الإسلام. الطبعة الثانية. لاهور : المعهد الثقافة الإسلامية، باكستان. ١٩٨٦م. الطبعة الأولى. القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٩٥٥م.

٩٣- عبدالباقي ، محمد فواد : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . لاهور: مكتبة رحمانية اقرأ سنز غزني ستريت اردوبازار، بدون التاريخ.

٩٤- عبدالوهاب ، أحمد : اثنا عشر عاما في صحبة امير الشعراء . القاهرة ، مصر: ١٩٣٢م.

٩٥- عبيد ، أحمد : ذكرى الشاعرين ، شاعر النيل وأمير الشعراء. الطبعة الأولى . دمشق : المكتبة العربية لأصحابها عبيد أخوان . بدون التاريخ .

٩٦- عثمان امين ، (الدكتور) : رسالة محمد إقبال . القاهرة : قسم الصحافة والإستقلامات . سفارة باكستان . ١٩٥٦م .

٩٧- عزام ، عبدالوهاب ، (الدكتور) :

i ـ ديوان الاسرار و الرموز . مصر : دار المعارف.ابريل،١٩٥٦م.

ii ـ أسرار أثبات الذات ورموز نفي الذات .(من ديوان إقبال) . الطبعة الأولى. دمشق ، بيروت: دار ابن كثير . ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

iii ـ ضرب كليم (من ديوان إقبال). الطبعة الأولى . دمشق ، بيروت : دار ابن كثير . ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

iv ـ رسالة الشرق . كراتشي : اقبال أكادمي ١١٦ ميكلود رود.بدون التاريخ.

٧ــ إقبـال ، فـلسـفة إقبـال، فـلسـفة إسـلامية أسـاسهـا القرآن . ماخوذ من اقبال العرب على دراسـات إقبـال . تـقـديـم : أظهـر ، ظهـور أحـمد : الطبعة الأولى . لاهور : المكتبة العلمية، مدرسة البنات . ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٩٨ـ عـزيـز أحـمد ، (الأستاذ) : أفكار إقبال أربع محاضرات حول الدكتور إقبال . دمشق : سفارة جمهورية باكستان الإسلامية . بدون التاريخ.

٩٩ـ الـعسـقلاني ، ابن حجر ، شهاب الدين أحمد : الاصابة في تمييز الصحابة . مصر : دار الكتب المصرية . ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

١٠٠ـ عـلـي ، امام : مـنـاهـل الأدب العربي ، مختارات من أحمد شوقي . بيروت : المكتبة العلمية ١٥ليك رود. بدون التاريخ.

١٠١ـ علي ، سيد: ديوان علي بن أبي طالب. كانبور : المطبع المجيدي. ١٣٤١هـ.

١٠٢ـ العقاد ، محمود عباس:

i ـ مجموعة أعلام الشعر . الطبعة بيروت، لبنان : دار الكتب العربي . ١٩٧٠م.

iiـ شعراء مصر وبيئتاتهم في الجيل الماضي من مجموعة أعلام الشعراء . بيروت : دار الكتاب ١٩٧٠م.

١٠٣ـ الـغـزالـي ، أبـو حـامـد مـحـمـد بـن مـحـمـد ، (الإمـام) : احياء علوم الدين . بيروت، لبنان: دارالمعرفة. بدون التاريخ .

١٠٤ـ الـغـوري ، عبـدالماجد : ديوان محمد إقبال . الطبعة الأولى ، دمشق ، بيروت: دار ابن كثير . ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.

١٠٥ـ الـفـاخـوري ، حنا: الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب الحديث. الأدب القديم . الطبعة الأولى ، دار ذوي القربى . ١٤٢٢هـ .

١٠٦ـ فاروقي ، محمد طاهر : سيرة إقبال . الطبعة الثالثة ، لاهور : ١٩٤٩م.

١٠٧ـ فرح ، عبدالفتاح يوسف :

iــ والأن ....مـاذا نـصـنـع يـا أمـم الشـرق . الـطبـعة الأولى . القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة.٢٠٠٢م.

ii ــ محمد إقبال : مثنوي ، مسافر ،الترجمة العربية ، يوسف منصور ، محمد علاؤ الدين . الطبعة الأولى . القاهرة : المجلس الاعلى للثقافية . ٢٠٠٢م .

١٠٨ـ فروخ عمر ، (الدكتور):

i ــ كلمة في أحمد شوقي . الطبعة الثانية . بيروت : مطبعة منشورات مكتبة ميمنة المعرض. ١٣٦٩هـ /١٩٥٠م.

ii ـ تاريخ الأدب العربي . بيروت : دار العلم للملايين . بدون التاريخ.

١٠٩ـ الفلوجي ، مهدي الجمود: إقبال شاعراً ومفكراً . جدة : دار الاصفهاني وشركانه للطباعة. ١٩٧٧م.

١١٠ـ الفهمي ، ماهر حسن ، (الدكتور) : شوقي شعره الإسلامي . القاهرة: دار المعارف بمصر، ٥شارع ماسيرو. بدون التاريخ.

١١١ـ فهيمي شماً : محمد في كتاب المقدس . ترجمة : عبدالأحد داؤد ، البروفيسور ، الطبعة الأولى. قطر : لرساسة المحاكم السرعية والشؤون الدينية . ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١١٢ـ القادري ، محمد حسين ، (الأستاذ) : حديث النفس . لاهور، باكستان: المطبعة العربية ، ٣٠ ليك رود انار كلى. ١٩٩٥م.

١١٣ـ القرطاجني ، حازم : ديوان حازم القرطاجني . بيروت ، لبنان : دار الثقافة . ١٩٦٤م.

١١٤ـ القسطلاني ، احمد بن محمد (ت٩١١) : المواهب الدينية ، بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٣٧٣هـ /١٩٩١م.

١١٥ـ القشيري ، أبو قاسم عبدالكريم بنى هوازن : كتاب المعراج . تخريج وتحقيق : عبدالقادر علي حسن ، (الدكتور) : الطبعة الأولى . القاهرة : دار الكتب الحديثة . ترتيب : محمد سعيد اللحام . لاهور : مكتبة رحمانية . اقرأ سنز ، غزني ستريت اردو بازار . بدون التاريخ.

١١٦ـ كامل ، محمد موسى : إقبال من اولئك الاحاد الذين وهبوا نفسه لنفع الانسانية ، ماخوذ من إقبال العرب على دراسات إقبال. تقديم : اظهر، ظهور أحمد . الطبعة الأولى . لاهور ، باكستان: مطبعة المكتبة العلمية ١٥ شارع مدرسة البنات. ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م .

١١٧ـ الكاشفي ، معين ، ملا: مدارج النبوة في مدارج الفترة. سكهر ، باكستان : مكتبة نورية رضوية وكتورية ماركيت و مطبعة سراحي منشي نولكشور ، لكهنو، ١٩٢٦م.

١١٨ـ الكاندهلوي ، يوسف : حياة الصحابة . دمشق: دار القلم جلبوني ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

١١٩ـ كحالة ، عمر رضا : معجم المؤلفين . بيروت : دار احياء التراث العربي. بدون التاريخ .

١٢٠ـ كيرانوي ، وحيد الزمان القاسمي ، مولانا: القاموس الوحيد. تقديم : مولانا عميدالزمان قاسمى كيرانوي ، لاهور ، كراتشي : اداره اسلاميات .بدون التاريخ.

١٢١ـ الكيلاني ، نجيب ، (الدكتور) : إقبال الشاعر الثائر . الطبعة الثالثة . القاهرة : مؤسسة الرسالة، شوارع سوريا. ١٩٥٩م.

١٢٢ـ الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد : أعلام النبوة . تقديم: طه عبد الرؤوف . الازهر : مطبعة شمس الحرية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ٩ شارع الصادقية ميدان . ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

١٢٣ـ مبارك ، زكي ، (الدكتور):

iـ الموازنة بين الشعراء . الطبعة الأولى . مصر : المصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مارس ١٩٣٦م / ١٣٥٥هـ .

iiـ المدائح النبوية في الأدب العربي . مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده . ١٩٣٥م .

iiiـ ديوان زكي مبارك . الطبعة الأولى . القاهرة: مكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي ، مطبعة حجازي بحوار قسم الجمالية .١٩٣٣م .

١٢٤ـ مباركفوري ، صفي الرحمن : الرحيق المختوم . الرياض: مكتبة دار الاسلام .

١٢٥ـ محفوظ ، محمد أحمد حازم ، (الدكتور) :

iـ محمد إقبال وقضيته الفلسطينية . القاهرة : دار الهداية للنشر والتوزيع ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

iiـ الحكيم الأمة وشاعر الإسلام علامة محمد إقبال . القاهرة : دار البيان للطبع والنشر. ١٩٩٧م.

iii ــ محمد إقبال ، المعلم ، الفيلسوف ، الشاعر الإسلامي الكبير . تحت عنوان : المعراج في فكر محمد إقبال ، للدكتور جمال الدين ، محمد سعيد . القاهرة : دار الثقافة. ١٩٩٩م.

iv ــ العلامة محمد إقبال في مصر الأزهر . القاهرة : دارالثقافة ، شارع سيف الدين المهراني. ١٩٩٨م .

v- إقبال شاعر الإسلام . القاهرة: دار البيان للطباعة والنشر . ١٩٩٩م.

vi- دراسات إقبال في مصر . القاهرة : دار البيان للطبع والنشر . ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٢٦- مرزباني ، أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى : معجم الشعراء . تحقيق : أحمد فراج عبدالستار .مصر: عيسى البابي الحلبي وشركاه ،١٩٦٠م.

١٢٧- مسعود ، جبران : الرائد . الطبعة الثامنة . بيروت : دار العلم للملايين .١٩٦٧م.

١٢٨- المصري ، اديب : المختار من شعر امير الشعراء أحمد شوقي . الطبعة الثالثة . مصر : مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر . بدون التاريخ .

١٢٩- مصري ، حسين مجيب ، (الدكتور) :

i- الأندلس بين شوقي وإقبال . الطبعة الأولى . بيروت : المطبعة العصرية .١٩٩٩م.

ii ــ قرآن وإقبال . القاهرة ، المصر : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٦٥ شارع محمد فريد . ١٩٧٧م .

iii- روضة الأسرار لمحمد إقبال . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد. ١٩٧٧م.

iv- هدية الحجاز . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد.

v ــ رسالة الخلود (من ديوان إقبال) . الطبعة الأولى. دمشق ، بيروت : دار ابن كثير. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م .

vi ــ روضة السر الجديد . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد . ١٩٧٣م.

vii- إقبال والعالم العربي . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٧٦م.

١٣٠- مصري ، صاوي علي شعلان:
i- ايوان اقبال . مختارات من شعره . مطابع سجل العرب.مصر: اللجنة الباكستانية المصرية. ١٩٧٧م.
ii- صلصلة الجرس (من ديوان إقبال) الطبعة الأولى . دمشق ، بيروت : دار ابن كثير. ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
١٣١- المقري ، أحمد بن التلمساني ، الشيخ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب . بيروت ، لبنان : دار الكتب العربي . بدون التاريخ .
١٣٢- الملطاوي ، حسن كامل : رسول الله في القرآن الحكيم . القاهرة : دار المعارف بمصر ١١١٩ كورنيش النيل. ١٩٧٢م .
١٣٣- معلوف ، لويس : المنجد . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت : بدون التاريخ.
١٣٤- منور ، محمد ، (بروفيسور):
i- أبحاث ذكرى إقبال المئوية . لاهور : جامعة بنجاب ، قسم الاقباليات . مطبعة المكتبة العلمية ، ١٥ شارع ليك: ١٩٨٢م .
ii- إيقان إقبال . الطبعة الأولى . ١٩٧٧م . الطبعة الثانية .لاهور ، باكستان : إقبال أكادمي. ١٩٨٤م.
١٣٥- الناصف ، علي النجدي ، الدكتور: الدين والأخلاق في شعر شوقي . مطبعة كوستائسوني وشركاه . ١٩٤٨م.
١٣٦- النبهاني ، يوسف بن اسماعيل ، الشيخ (ت ١٣٥٠هـ):
i- جواهر البحار في فضائل النبي المختار . مصر : مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.
ii- المجموعة النبهانية في المدائح النبوية (أربع مجلدات) بيروت ، لبنان : المطبعة الأدبية. بدون التاريخ.
iii- حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين . لائل بور : المكتبة النورية الرضوية. بدون التاريخ.

iv_ الأنوار المحمدية من المذاهب الدينية . بيروت : المطبعة الأدبية ، مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة . ١٣١٢هـ .

١٣٧- نبيله إسحاق ، المحفوظ ، حافظ : دراسات إقبال في مصر . القاهرة : دار البيان للطبع والنشر. ١٤٢١هـ /٢٠٠٠م.

١٣٨- النجار ، فهيم ، قطب الدين : الشاعر الإسلامي محمد إقبال والشعر العربي الجندي المسلم. النشر والناشر : مجهول ١٩٩١م .

١٣٩- الندوي ، أبو الحسن علي الحسني : روائع إقبال . دمشق : دار الفكر . ١٩٦٠م.

١٤٠- الندوي ، سعيد اعظمي ، والندوي واضح رشد : البعث الإسلامي ، شعارنا الوحيد ، إلى الإسلام من جديد . العدد الثامن . لكهنؤ ، الهند : البعث الإسلامي ندوة العلماء . ١٩٨٦م.

١٤١- الندوي ، سليمان ، السيد : رسالة المحمدية . الطبعة الثانية . دمشق : مكتبة دار الفتح ١٣٨٣هـ /١٩٦٣م.

١٤٢- الندوي ، صلاح الدين محمد شمس الدين ، (الدكتور) : الإتجاه الإسلامية في شعر محمد إقبال. تقديم : المصري ، حسين مجيب ، الدكتور . الطبعة الأولى . مصر: دار السلفية. ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٤٣- الندوي ، واضح رشيد ، وسعيد اعظمي : البعث الإسلامي شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد. العدد الثامن ، لكهنؤ ، الهند: البعث الإسلامي ندوة العلماء . ١٩٨٦م .

١٤٤- الهاشمي ، أحمد :جواهر الأدب . مصر: دار السلفية . بدون التاريخ.

١٤٥- الهوفي ، أحمد ، (الدكتور) :

i_ اسلام في شعر شوقي . جمهورية مصر العربية . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة التعريف بالأمم . ١٩٧٢م.

ii_ أضواء على الأدب الحديث . الطبعة الأولى . القاهرة : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل. ١٩٨١م .

١٤٦- الهيكل ، محمد حسين ، الأستاذ : إقبال الحركة الإسلامية عند إقبال الدعوة لإعادة عز الإسلام ومجده ماخوذ من إقبال العرب على دراسة إقبال ـ تقديم : أظهر ، ظهور أحمد .

الطبعة الأولى. لاهور، باكستان: المكتبة العلمية. ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

١٤٧- يماني محمد عبده، (الدكتور): علّموا أولادكم محبة رسول الله. بيروت، دمشق: دار القبلة للثقافة الإسلامي المملكة العربية جدة، مؤسس علوم القرآن. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٤٨- مجهول: ذكرى محمد إقبال. دمشق: دار الفكر، بدون التاريخ.

١٤٩- مجهول: فنون الأدب العربي الفن الغنائي: المديح، مصر: دار المعارف. ج٤.

فهرس كتب الأحاديث النبوية

١- ابن حنبل، عبدالله، أحمد الشيباني المروزي (الإمام) ت ٢٤١هـ : المسند (تحقيق: الدرويش عبدالله محمد) . الطبعة الأولى . دار الفكر. ١٩٩١م.

٢- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، أبو عبدالله (ت٢٧٣هـ): سنن ابن ماجة . تعليق : محمد فؤاد عبدالباقي. بيروت : دار احياء التراث العربي. ١٩٧٥م.

٣- أبو داؤد، سليمان بن اشعث السجستاني الازدي (ت٢٧٥هـ): سنن أبي داؤد . شرح : عزت عبدالدغاس . الطبعة الأولى . سوريا : دار الحديث، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

٤- الانباري، كمال الدين أبوالبركات عبدالرحمن : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. ليدن : مكتبة بريل . (بدون التاريخ)

٥- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (الإمام) : الصحيح البخاري. شرح : الدكتور محمد مصطفى ديب البغاء .الطبعة الرابعة . دمشق : بيروت . ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٦- تبريزي، محمد بن عبدالله الخطيب (ت٧٤٢هـ) : مشكوة المصابيح تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني . الطبعة الثالثة .بيروت : المكتب الإسلامي.١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٧- الترمذي، أبو علي، محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩) : جامع الترمذي . الطبعة الأولى. مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده .١٣٨٥هـ/١٩١٦م.

٨- مالك، ابن أنس بن مالك، (الإمام) : المؤطا .(تحقيق محمود فؤاد عبدالباقي). (بدون الطبعة). بيروت : دار احياء التراث العربي . ١٤٥٦هـ/١٩٨٥م.

٩- مسلم، أبو الحسن ابن الحجاج القشيري (الإمام (ت٢٦١هـ) : صحيح مسلم (شرح: الإمام النووي) . الطبعة الأولى . بيروت : دار احياء الكتب العربية. ١٣٧٣هـ/١٩٥٥م.

١٠- النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (الإمام) ت ٣٠٣هـ : سنن النسائي . (شرح الحافظ جلال الدين السيوطي) . الطبعة الأولى . بيروت : دار الجبل . ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

الكتب الأردية

١ـ آغـا يـمـين ، (الـدكـتـور): اقبـال اورنـژاد نـو. مـجـمـوعـه مقالات . الطبعة الأولى . لاهور، باكستان: ظفر سنز برنترز ، كوبر رود .١٩٨٦م.

٢ـ أحـمـد عربي، ضياء الدين : اقبال از عطيه بيگم. الطبعة الثالثة . لاهور ، باكستان: زريس آرت بريس ٦١ الشارع السكة الجديدة .١٩٨١م.

٣ـ اختـر راهـي : اقبـال سيـد سليمان ندوي كى نظر ميں . الطبعة الأولى .لاهور ، باكستان: بزم إقبال ، كلب رود : مارس: ١٩٧٨م.

٤ـ اشفاق ، رفيع الدين ، (الدكتور): اردو ميں نعتيه شاعرى . كراتشي، باكستان: اردو اكادمي. ١٩٧٦م.

٥ـ اصـغـر يـعـقـوب : ذكـر إقبـال . لاهـور ، بـاكستـان : شـاه ايند سنز بـروسيـس بـرنـتـرز ، نوفمبر،١٩٧٧م.

٦ـ أظهـر ، ظهـور أحـمـد : إقبـال عـرب شـعـر كى نظر ميں . لاهور ، باكستان: مطبعة المكتبة العلمية، ١٥ليك رود : ٣٠نوفمبر: ١٩٧٧م.

٧ـ اعـظـمـي ، عبـدالـلطيف ، (السيد) : إقبال دانائے راز . الطبعة الأولى . دهلي: مكتبة جامعة . يوليو:١٩٧٥م.

٨ـ افضل ، محمد رفيق : گفتار إقبال. الطبعة الثالثة . لاهور ، باكستان : ادارة تحقيقات ، جامعة بنجاب . سبتمبر: ١٩٨٦م.

٩ـ إقبال ، محمد ، (العلامة) :

iـ كليات إقبال (اردوية) . لاهور ، باكستان : شيخ غلام علي . ١٩٧٣م.

iiـ بال جبريل (من كليات إقبال الاردية). لاهور ، باكستان: مكتبة جمال . ٢٠٠٥م.

iiiـ ارمغان حجاز (من كليات إقبال الاردية). لاهور ، باكستان : مكتبة جمال. ٢٠٠٥م.

ivـ ضرب كليم (كليات إقبال الاردية). لاهور ، باكستان: مكتبة جمال .٢٠٠٥م.

vـ بانگ درا(من كليات إقبال الاردية). لاهور باكستان: مكتبة جمال ، المنزل الثالث حسن ماركيت ، اردوبازار . ٢٠٠٥م.

vi- جاويد نامه . الطبع الأول . لاهور : ١٩٣٦م.

١٠- اكرام ، شيخ محمد : رود كوثر .لاهور : فيروز سنز . ١٩٥٨م.

١١- اكبر علي ، الشيخ : إقبال ، اس كى شاعرى اور پيغام . الطبعة الأولى . لاهو ر، باكستان : كمال ببلشرز . ١٩٤٦م.

١٢- اله آبادي ، بهار : تفسير إقبال . مطبعة دهلي : جمال برنتنگ بريس . ١٩٨٢م.

١٣- باقر ، محمد ، (الدكتور): أحوال و آثار إقبال . ج: دوم ، الطبعة الأولى . لاهور ، باكستان: بزم إقبال . نوفمبر: ١٩٨٨م.

١٤- تهانوي ، اشرف علي ، (مولانا) : حبيب خدا . الطبعة الثانية . لاهور ،باكستان: ايم ثناء اللّٰه خان، ٢٦ ريلوے رود . ١٣٦٨هـ /١٩٤٩م.

١٥- تونسوي ، طاهر، (السيد):

i- حيات إقبال . لاهور : ندرت بريس . بدون التاريخ .

ii- إقبال اور مشاهير. دهلي ، الهند: مكتبة نعيمية . ١٩٨١م.

١٦- جاويد إقبال ، (الدكتور) : زنده رود . الطبعة الثالثة . لاهور ، باكستان : شيخ غلام علي ايند سنز. ١٩٨٤م.

١٧- چغتائي ، عبداللّٰه (الدكتور) : إقبال كى صحبت ميں . لاهور ، باكستان : ١٩٧٧م.

١٨- حامد ، محمد : أفكار إقبال . الطبعة الأولى . لاهور ، باكستان : اقبال اكادمي ، مستر وبرنترز، مزنك . يناير: ١٩٨٦م.

١٩- حميد ، نسيم : علامة إقبال، همارے عظيم شاعر . كراتشي، باكستان: فضلي سنز برائيويت ليمتيد . ديسمبر:١٩٩٣م.

٢٠- خان، غلام مصطفى ، (الدكتور) : إقبال اور قرآن . الطبعة السادسة . لاهور ، باكستان: اقبال اكادمي . ٢٠٠٦م.

٢١- خان ، يوسف حسين ، (الدكتور) : روح إقبال . مطبعة لاهور ،باكستان: اشرف بريس ، آئينه ادب ، ميناء انار كلى . بدون التاريخ.

٢٢- الدراني . س ـ الف : إقبال يورپ ميں . لاهور ، باكستان : إقبال اكادمي. ١٩٨٥م.

٢٣- ديده مري ، اعظم شاه ، محمد : تاريخ كشمير أعظمى. كشمير : سرينگر. ١٧٥٥م.

٢٤- دار ــ بى ــ اے : كـلام إقبال پر عربي أدب كے اثرات . (اقبال ريويو) . لاهور : إقبال اكادمي باكستان. ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٢٥- رام ، سري رام : ضمخانة جاويد . مطبوعة نولكشور . ١٩٠٨م.

٢٦- رضـوي ، آل أحـمـد ، (السيـد) : مذاهب عالم ميں تذكرة خير الأنام . الطبعة الأولى. اسلام آباد ، باكستان: مادرن بك دبو آب باره . ١٩٩١م .

٢٧- رضوي ، واجد : دانائے راز. لاهور ، باكستان: مقبول اكادمي . ١٩٦٧م .

٢٨- رشيد دستگير ، غلام : آثار إقبال . حيدر آباد : المعهد الطباعة الأردية .

٢٩- سالك ، عبدالمجيد : ذكر إقبال . لاهور ، باكستان: بزم إقبال . ١٩٥٥م.

٣٠- سـديـد ، أنور ، (الدكتور): إقبال شناسي اور ادبى دنيا . الطبعة الأولى . لاهور، باكستان: بزم إقبال ، اظهر سنز برنترز . ١٩٨٨م.

٣١- سـليـم اختر ، (الدكتور): اقباليات كے نقوش ، الطبعة الأولى . لاهور ، باكستان: ابراهيم سنز برنترز . ١٩٧٧م.

٣٢- شـاه ولي الله ، عبدالرحمن : محمد إقبال ، ١٨٧٧- ١٩٣٨م . اسلام آباد ، باكستان: مجمع البحوث الإسلامي. ١٩٧٧م.

٣٣- شاه نشاة أحمد : ثناء خوان رسول . لاهور : عمير برنترز . ١٩٩٤م.

٣٤- شـمـس تبـريز خان ، (مولانا): نقوش إقبال . الترجمة الأردية : الندوي أبو الحسن ،(مولانا): روائع إقبال. كراتشي ، باكستان : مجلس نشريات اسلام ناظم آباد . ١٣٩٦هـ/١٩٧٣م.

٣٥- شـوكـت علي ، بروين: اقبال كا فلسفه سياسيات . لاهور: شيخ غلام علي ايند سنز . جامعة اشرفية ، اچهره . بدون التاريخ.

٣٦- صديقي ، افتخار أحمد:

i- عروج إقبال . لاهور ، باكستان : بزم اقبال . جون: ١٩٨٧م.

ii- عـروج إقبـال . شـخـصيت اور فكر وفن كے ارتقاء كا دور بدور جائزة . الطبعة الأولى . لاهور، باكستان: بزم إقبال . زرين آرت بريس ريلوے رود . ١٩٨٧م.

iii۔ شذرات فكر إقبال . ترتيب : جاويد إقبال . لاهور ، باكستان: مجلس ترقي ادب. ١٩٧٣م.

٣٧۔ صوفي ،خالد نظير : إقبال درونِ خانة . الطبعة الأولى . لاهور ، باكستان:اقبال أكادمي، ٢٠٠٣م.

٣٨۔ طارق ، عبدالرحمن: پيام إقبال . لاهور ، باكستان: اقبال اكاديمي ، ايبك رود ، اناركلى. بدون التاريخ.

٣٩۔ عابد ، علوي عابد ، السيد : شعر إقبال . لاهور : اظهر سنز برنترز ١٠٠٨ الثن رود. سبتمبر:١٩٩٣م.

٤٠۔ عبدالله ، السيد ، (الدكتور) :

i۔ مطالعه إقبال كے چند نئے رخ . الطبعة الأولى . لاهور ، باكستان: ظفر سنز برنترز ، الشارع الكويز . يونيو : ١٩٨٤م .

ii۔ مقامات إقبال . الطبعة الثانية . لاهور : منصور بريس. ١٩٦٤م.

٤١۔ عثماني ، طيب : حديث إقبال. الطبعة الأولى . باكستان : تاج بريس. ١٩٦١م.

٤٢۔ عزام ، عبدالوهاب ، (الدكتور): پيام مشرق . الطبعة الأولى . ١٩٥١م ، الطبعة الثالثة. لاهور، باكستان: اقبال اكادمي فالكن برنتنگ بريس . ١٩٨١م.

٤٣۔ عشرت وحيد ،(الدكتور): إقبال ٨٤م ، الأردية . الطبعة الأولى . لاهور ، باكستان: اقبال اكادمي. ١٩٨٤م.

٤٤۔ عطاء الله ، الشيخ : إقبال نامه . الطبعة و الجزء الأول . لاهور : ١٩٤٥. والطبعة والجزء الثاني. لاهور ، باكستان: دين محمد بريس . ١٩٥١م.

٤٥۔ فاروقي ، لطيف : إقبال و آرت . لاهور ، باكستان : كتاب محل اندرون لوهاري دروازه . بدون التاريخ.

٤٦۔ الفاروقي ، محمد طاهر،(الدكتور) : إقبال اور محبت رسول . الطبعة الثالثة . لاهور ، باكستان: طيب إقبال برنترز. ١٩٩٥م.

٤٧- فتح بوري ، فرمان ، (الدكتور): اردو کی نعتیه شاعری . لاهور ، باكستان: آئينه ادب چوك مينا انارکلي ١٩٧٤م.

٤٨- فراقي ، تحسين ، (الدكتور) : علامة اقبال اور ثناء خواجه . ماخوذ من جستجو. الطبعة الثانية. لاهور ، باكستان : يونيورسل بكس گنج شكر برنترز. ١٩٨٧م.

٤٩- فقير ، وحيد الدين ، (السيد) : روزگار فقير (الاردية) . الطبعة السادسة ، كراتشي، باكستان: لائن آرت بريس ليمتيد. ابريل: ١٩٦٦م .

٥٠- فوق ، محمد دين : تاريخ أقوام الكشمير . سرينگر ، كشمير.١٩٤٣م.

٥١- فيوض الرحمن ، ايم-اے (حافظ): ترجمة الهمزية النبوية ، امير الشعراء أحمد شوقي.

٥٢- القادري ، طاهر ، الدكتور: فلسفة معراج النبي . الطبعة الحادية العاشرة . لاهور : منهاج القرآن ببليكيشنز. يوليو: ٢٠٠٦م.

٥٣- قاسم ، محمود ، سيد : اسلامي انسائيكلو بيديا . لاهور : الفيصل ناشران وتاجران كتب ، اردو بازار .

٥٤- قريشي ، عبدالله :

i- روح مكاتيب إقبال . لاهور : إقبال اكادمي باكستان. ١٩٧٧م.

ii- مقالات إقبال . الطبعة الثانية ، لاهور: طفيل آرت برنترز ، سركلر رود . ١٩٨٢م.

٥٥- قريشي ، وحيد ، (الدكتور) : علامه اقبال کی صحیح تاريخ ولادت . نقوش إقبال ، عدد ١٢٣.

٥٦- گيلاني ، خورشيد أحمد : علامه اقبال جن كا سرمايه هستي تها فقط عشق رسول (مجموعه مقالات بين الاقوامي فكر إقبال سيمينار) . اسلام آباد : بالتعاون اسلامي جمهورية ايران. ١٩٩٦م.

٥٧- محمد ظريف ، ايم-اے ، القاضي : إقبال قرآن کی روشني ميں . الطبعة الثانية . مطبعة لاهور باكستان : نقوش بريس .١٩٦٣م.

٥٨- معين الرحمن ، السيد ، (الدكتور): جهان إقبال. الطبعة الأولى . لاهور ، باكستان: سفارت بريس. ١٩٩٧م.

٥٩- معين ، وقار ، السيد : اقبال شناس اور نيا زونگار . لاهور ، باكستان: ظفر سنز برنترز شمع بلازه . ١٩٨٨م.

٦٠- معيني ، عبدالواحد، ايم-اے ، السيد : مقالات اقبال . الطبعة الثانية . لاهور : طفيل آرت برنترز سركلر رود . ١٩٨٢م .

٦١- ملك ، عزيز : تذكار نبي قرآني آيات كى روشنى ميں . الطبعة الأولى . راولبندي ، باكستان: ديا ببليكيشنز ، اسلام آباد برنتنك بريس. جنورى: ١٩٩٩م.

٦٢- منصور بوري ، محمد سليمان ، قاضي : رحمة للعالمين . لاهور ، باكستان: شيخ غلام علي ايند سنز . بدون التاريخ .

٦٣- منور محمد ، بروفيسور: برهان إقبال ، جهان إقبال ، جهان قرآن. الطبعة الثانية . لاهور، باكستان: اقبال اكادمي . اقرأ برنتنك بريس . ١٩٨٧م.

٦٤- مهر ، غلام رسول ، مولانا : اقباليات . ترتيب : امجد سليم نوي . لاهور: ١٩٨٨م.

٦٥- ندوي ، عبدالسلام ، مولانا : إقبال كامل . لاهور ، باكستان: آتش فشان ببليكيشنز ٤، غزني ستريت. ١٩٩٢م.

٦٦- ندوي ، عبدالله عباس: عربى ميں نعتيه كلام . كراتشي ، باكستان : ايوب بيكجز. ١٩٨٢م.

٦٧- نيازى ، نذير ، السيد : دانائے راز . الطبعة الثانية . لاهور ، باكستان:إقبال اكادمي ، ايمان برنترز.١٩٨٨م.

٦٨- هارون ، عبدالسلام ،(الدكتور) : سر گزشت إقبال: (الأردية) . لاهور، باكستان:١٩٧٧م.

٦٩- هاشمي ، رفيع الدين ، (الدكتور):

أ- علامه إقبال اور مير حجاز . لاهور ، باكستان : بزم إقبال ، اظهر سنز برنترز . لنتن رود . يناير:١٩٩٤م.

أأ- خطوط إقبال . لاهور : إقبال اكادمي باكستان. ١٩٧٦م.

٧٠- هاشمي ، شفيق الرحمن ، بروفيسور : إقبال كا تصور دين . لاهور ، باكستان: فيروز سنز ليميتد.

٧١- هـاشمي ، ايم يعقوب : إقبال عالمي كانگريس ، إقبال اتحاد عالم اسلامي كا نقيب . لاهور: دانش گاه بنجاب . بدون التاريخ .

٧٢- واحـد ، س ــ الف : فـكـر إقبـال كـا تـعارف . الطبعة الثالثة . لاهور، باكستان: منظور احمد برنتنگ بريس . نياز احمد سنگ ميل ببليكيشنز . ١٩٨٤م.

٧٣- واجد ، رضوي : دانائے راز . لاهور ، باكستان: مقبول اكادمي. ١٩٦٧م.

٧٤- وقـار عـظيـم ، سيد :اقبال شاعر اور فلسفي . الطبعة الثالثة. لاهور ، باكستان: اقبال اكادمي. ١٩٧٧م.

٧٥- مـقـالات: إقبـال عـالـمـي كـانگريس . ٢ ديسمبر إلى ٨ ديسمبر ، ج٣، دانش گاه بنجاب. ١٩٧٧م.

٧٦- اردو دائره معارف إسلامية . لاهور : جامعة بنجاب ، مكتبة علمية .

الكتب الفارسية

١- إقبال محمد ، العلامة :

i- كليات إقبال (الفارسية) ، الطبع الأول . لاهور : شيخ غلام علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد ببليشرز ١٩٩ سركلر رود ، چوك انار كلي. ١٩٩٢م.

ii- پيام مشرق (من كليات إقبال الفارسية) . الطبع اول . لاهور : شيخ غلام علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد ببليشرز ١٩٩ سركلر رود . چوك اناركلي . ١٩٩٢م .

iii- اسرار ورموز (من كليات إقبال الفارسية مع سليس اردو ترجمة) . طبع اول ، لاهور : شيخ علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد ببلشرز ١٩٩سركلر رود ، چوك اناركلي.١٩٩٢م ، ج اول.

iv- زبور عجم (من كليات إقبال الفارسية مع سليس اردو ترجمة).طبع اول ، لاهور: شيخ علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد ببلشرز ١٩٩سركلر رود ، چوك اناركلي.١٩٩٢م ، ج اول.

v- جاويد نامه (من كليات اقبال الفارسية مع سليس اردو ترجمه).طبع اول ، ج دوم.لاهور: شيخ علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد ببلشرز ١٩٩سركلر رود ، چوك اناركلي. ١٩٩٢م .

vi- پس چه بايد كرد اے اقوام شرق (من كليات إقبال الفارسية مع سليس اردو ترجمة). طبع اول . ج دوم ، لاهور : شيخ علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد ببلشرز ١٩٩سركلر رود ، چوك اناركلي. ١٩٩٢م .

vii- ارمغان حجاز(من كليات إقبال الفارسية مع سليس اردو ترجمة) .طبع اول ، ج دوم.لاهور: شيخ علي ايند سنز (برائيويت) لميتيد ببلشرز ١٩٩سركلر رود ، چوك اناركلي. ١٩٩٢م .

٢- عزام ، عبدالوهاب ، (الدكتور) : پيام مشرق .(من ديوان إقبال) . دمشق ، بيروت : دار ابن كثير: ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م .

فهرس الرسائل العربية

١- توصيف أحمد: المدح النبي في شعر إقبال. رسالة الماجستير، جامعة بنجاب، باكستان. ١٩٩٩م.

٢- قريشي، اسحاق ،(الدكتور) : المدائح النبوية في باكستان، رسالة الدكتوراه، جامعة بنجاب، باكستان . ١٩٧٩م.

٣- قطب الدين، النجار فهيم : محمد إقبال وصلته الثقافية بالعالم العربي تأثره وتأثير . مقالة للدكتوراه، الجامعة المفتوحة لإقبال ،باكستان . ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

٤- نصير الدين، سلطان أحمد : علامة إقبال شاعر الإسلام .مقاله الماجستير، جامعة بنجاب، باكستان . أغسطس: ١٩٨٥م.

فهرس الرسائل الأردية

١- اعظمي، مقتدي حسن : شوقي كى ديني شاعرى . رسالة الماجستير، جامعة بنجاب، باكستان.

٢- رياض مجيد : عصر حاضر کے نعت گو . مقالة للدكتوراه . جامعة بنجاب باكستان.

٣- زينت فردوس : مولانا غلام رسول مهر بحيثيت إقبال شناس . مقالة ايم فل، شعبة إقباليات، الجامعة المفتوحة لعلامة إقبال. ٢٠٠١م.

٤- سرويا، زيب النساء : كلام إقبال ميں أنبياء كرام كا تذكرة . مقالة ايم فل، (شعبه إقباليات) الجامعة المفتوحة لإقبال . نوفمبر: ٢٠٠١م .

٥- شاكر، ارشاد أحمد : جاويد نامه، مقدمة، حواشيوتعليقات. رسالة الماجستير . الجامعة المفتوحة لإقبال . ١٩٩٩م.

٦- شبانه انجم : اورينٹل كالج ميگزين ميں ذخيره إقباليات . رسالة الماجستير، جامعة بنجاب، ١٩٨١م.

٧- صديقي، افتخار أحمد ،(الدكتور): إقبال كا ذهنى ارتقاء . رسالة الماجستير، جامعة بنجاب.

٨- عتيق الرحمن : إقبال كى شخصيت اور شاعرى مكاتيب كے آئينے ميں . مقالة ايم فل ، (شعبه إقباليات)، الجامعة المفتوحة لإقبال .

٩- منير حسين ، سيد : إقبال كي دعائيه شاعرى . مقالة الماجستير، جامعة بنجاب . ١٩٩٥م.

فهرس المجلات العربية

١- جاويد إقبال (الدكتور) : "آباء إقبال واصله" . إقباليات : ع١، ١٩٩٢م.

٢- الدريني ، فتحي (الدكتور): "البعد الديني والإجتماعي والسياسي لمعجزة الاسرار والمعراج".نهج الإسلام.

٣- الطرازي ، عبدالله مبشر: "الشاعر الإسلامي الكبير ، محمد إقبال، سيرته وشعره وفلسفته في الحياة والموت". إقباليات: ع١، ١٩٩٢م.

٤- قريشي وحيد (الدكتور) : "إقبال وأسرته " . إقباليات : ع٢، ١٩٩٤،٣م.

٥- محمد منور(بروفيسور): "حياة إقبال" (تعريب: اظهر، ظهور احمد، الدكتور) . إقباليات : ع١، ١٩٩٢م.

٦- الولي، الشيخ : "محمد إقبال شاعر الإسلام" . إقبال : ع١، ١٩٩٢م.

فهرس المجلات الأردية

١- أظهر ، ظهور أحمد (الدكتور): "أحمد شوقي كى نعتيه شاعرى" . ماهنامه شام و سحر: نعت نمبر.لاهور ، باكستان.

٢- خادم حسين ، تجمل حسين : "إقبال كى نثرى تحريروں ميں عشق رسول كى ضياباريان". مجلة الكلية الشرقية . (١٩٧٧م)

٣- صديقى ، شمس الدين (الدكتور) ، وجعفرى ، مرتضى اختر (الدكتور) : "خيابان دانائے راز" بشاور : (اكتوبر:١٩٧٧م).

٤- سورتي ، عبدالرحمن ، طاهر : "إقبال ، پيامبر جهاد" ، اقبال ريويو: ع١٤، (يناير :١٩٧٤م)

٥- الفاروقي ، عبادالله (الحافظ): "جاويد نامه " . إقبال ريويو: (يوليو :١٩٦٣م)

٦ـ ملك ، مظفر حسن (الدكتور) : "مكارم أخلاق اور إقبال" . اقبال ريويو: (١٩٨٤م)

٧ـ قريشي ، وحيد (الدكتور) : "نقوش إقبال نمبر٣" نقوش إقبال : ع١٢٣، (١٩٧٧م)

٨ـ نيازى ، نذير (السيد) : "انتخاب مقالات إقبال ، حياة وسيرة إقبال . ايك اجمالى خاكه" .

اشاريه جرائد (جرنل تا فكرونظر : (يناير ، فبرائر :١٩٧٤م)

٩ـ وقار عظيم (السيد) : "اقبال حضور بارى ميں ". اقبال ريويو مجله إقبال .(يناير:١٩٦٤م)

١٠ـ "محمد إقبال والثقافة الألمانية" ، مجلة فكروفن (الصادرة من ميوانح بالمانيا الغربية) : ع(١٩م)، ص٢٤.

فهرس الجرائد

١ـ الجريدة : ادبيات من ابريل ١٩٨٠م.

٢ـ الجريدة اليومية امروز باكستان (روزنامه امروز باكستان). ٢٠ من نوفمبر ١٩٨٨م .

نفس المرجع ،٢ من نوفمبر ١٩٩٠م.

نفس المرجع، ٢٥من مايو ١٩٩٠م و ٢٧ من نوفمبر ١٩٩١م.

نفس المرجع ، ٢١ من اكتوبر ١٩٨٨م.

نفس المرجع ، ٧نوفمبر ١٩٨٥م.

٣ـ الجريدة اليومية "الشرق" لاهور (روزنامه مشرق لاهور). ١٢ من يوليو ١٩٨٨م، و ٢ سبتمبر١٩٨٨م؛

٤ـ نفس المرجع ١٥ من يوليو ١٩٩١م.

٥ـ الجريدة "ليدر" آله آباد . ٤ من اكتوبر ١٩٣٠م.

٦ـ الجريدة نوائے وقت لاهور ، ٣من ابريل ١٩٨٨م.

٧ـ نفس المرجع ، ١٢ من اكتوبر ١٩٩٥م ، ١٥من دسمبر ١٩٩٦م.

فهرس الكتب الإنجليزية

1- Abdullah,S.M."The Nature of Date's Influence on Iqbal". Iqbal Review: Auditer, Dr.Waheed Qureshi. Lahore: Iqbal Academy, April,1983.

2- Bukhari Shohrat: "A Comperative Study of Iqbal and Shawqi". Iqbal Review: Lahore: Iqbal Academy Pakistan.

3- Grover, Varinder: Muhammad Iqbal Political Thinker of Modern India. New Dehli: Deep and deep Publication, E.159. Rajouri Garden.

4- Iqbal Muhammad , Allama: The Reconstrution of Religious thought in Islam. Lahore: Iqbal Academy, Institute of Islamic culture. 1986.

5- Jairazbhoy, Al Hajj Qasim Ali: Muhammad a Mercy to all the Nations. London: Luzac and Co Oriental and foreign book seller 46 great Rusell Street, 1937.

6- Malik, Abdul Latif : The work of Muhammad Iqbal. Lahore: People's Publishing house Dec,1983.

7- Muhammad Munawwar, prof: "The Potrait of Ahmad Shawqi". Iqbal Review: Pakitan: Iqbal Academy.1987.

8- Iqbal and Quranic wisdom lahore, pakistan: Islamic Book Foundation. 249 Sammanabad.

9- Nazir Qaisar: Rumi's Impact on Iqbal's Religious Thoughts. Lahore, Pakistan: Iqbal Academy.1989.

10- Qazi: Iqbal was a true Muslim. The Pakistan: No.14, 1995.

11- Raschid Kegan Poul, M.S: Iqbal Concept of God. London: Boston 1981.

12- The Oxford History of India. Third Edition.1961.

فهرس المحتويات